



مصر القديمة

سليم حسن

السيادة العالمية والتوحيد



0129372

Bibliotheca Alexandrina



مهاجرا ديجا



مصر القلمية

تأليف

مستقيم حسن

الجزء الخامس

السيادة العالمية والتوحيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

كانت آخر مرحلة وصلنا إليها في مطافنا في تاريخ أرض الكنانة وحضارتها في الجزء السالف هي عصر « أمنحتب الثاني » الذي يعدّ في نظر المؤرخين بحق آخر أبطال فراعنة مصر الذين امتشقوا الحسام ودوخوا الأمم المجاورة التي خرجت على الحكم المصري في النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة، من أجل ذلك كانت مدة حكمه خاتمة عهد الحروب الطاحنة، التي بدأها « أحمس الأول » في آسيا وفاتحة عصر جديد في تاريخ مصر والشرق معا . ولا نزاع في أن عهد خلفه « تحتمس الرابع » كان باكورة مرحلة جديدة في حياة الشعب المصري وحضارته التي امتازت بطابع جديد لم يعهد من قبل في تاريخ الأمة المصرية منذ فجر تاريخها . فقد أغمد فراعنتها السيوف في قرابها، وسرحت الجيوش الى أوطانها وبدأوا يحنون ثمار تلك الانتصارات الساحقة والفتوح الشاسعة التي أحرزها آباؤهم الفاتحون وعلى رأسهم « تحتمس الثالث » المؤسس الأعظم للإمبراطورية المصرية أول إمبراطورية في العالم، فقد جعل هيئة مصر والفرع منها يدب في قلوب ممالك الشرق القديم قاصيها ودانيها . وما لبثت بعد ذلك أن أخذت تلك الممالك المجاورة تدين للكنانة بالطاعة وتحمل اليها الهدايا تارة، والجزية تارة أخرى، كما أخذ جنود الحاميات المصرية الذين رابطوا في أمهات المدن والمعازل في بلاد سوريا وفلسطين شمالا، وبلاد النوبة و « كوش » جنوبا يجلبون الى بلادهم من خيرات تلك البلاد ما وصلت اليه أيديهم وما قدره لهم سلطانهم وبطشهم . والواقع أنهم غرقوا في بحبوخة الثراء الذي كان يفيض عليهم من هذه الأصقاع، ودب في نفوسهم وأرواحهم الرخاوة التي تسببها الثروة الوفيرة، والأرزاق الكثيرة، والبطالة المضللة، والفراغ المغري، حتى فسدت أخلاقهم وذهبت عنهم ريح البطولة الحربية وحب الفتح والمغامرة . وقد ضرب لهم المثل الأعلى في ذلك ملوكهم الذين كانوا يعيشون على مجد أسلافهم العظام، غير أن هؤلاء

الفراعنة مع ذلك لم تعوزهم الحيل ولا السياسة في حفظ مكان امبراطوريتهم العظيمة والرفع من شأنها وبقاء سلطانها كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا من غير أن يمتشقوا الحسام. وقد كانت الأحوال مهيئة لهم وقتئذ، إذ كانت كل الممالك المجاورة لاتزال لدنة العود لم تبلغ من القوة والبطش ما كانت عليه مصر وقتئذ، وقد انتهز ملوك مصر الذين كانوا لا يريدون الحرب ولا يميلون اليها هذه الفرصة، فأخذوا يعقدون مع هذه الأمم المحالفات، ويخطبون صداقتها بمختلف الطرق وشتى الأساليب المغرية، مما هيا لمصر البقاء فترة طويلة حاملة لواء السيادة في العالم القديم قاطبة. ومن أهم الأساليب المبتكرة التي انفرد بها فراعنة مصر وقتئذ لإحكام أواصر المصادقة والمهادنة رباط المصاهرة، ثم الذهب البراق الذي كانت تزخر به أرض مصر وممتلكاتها النوبية. وكان أول من اتبع هذه السياسة الفرعون «تحتمس الرابع»، الذي تزوج من أميرة متنية، وكان بذلك أول من ضرب بالتقاليد الفرعونية عرض الحائط، إذ كان على الفرعون منذ أقدم العهود أن يحتفظ بالدم الإلهي يجرى في عروق أسرته وحدها، وأن يكون زواجه منحصرًا في دائرة البذرة الفرعونية الخالصة التي كانت على حسب الأساطير منحدره من ظهر الإله «رع» أول من حكم مصر بالعدل والاحسان، حتى أنه كان يبيع لنفسه زواجه من أخته بل ومن بنته أيضا، ومن ثم نرى أن اختلاط مصر بالأمم المجاورة جعلها تتحرر من سياج التقاليد الموروثة التي ظلت حبيسة فيها عشرات القرون، ولقد كانت المغريات وطبائع الأحوال وسنن الرقي والتقدم تحتم على مصر وملوكها الخروج من هذا الحصار الذهبي الذي ضربته على نفسها في مصر الى العالم الخارجي الذي بسط أمامها صفحة جديدة خلاقة لم يتمتع أهلها بمثلا منذ ظهوروا على أفق التاريخ. وقد كانت هذه النهضة الجديدة لحير مصر في بادئ الأمر، إذ ازدهرت البلاد وعمها الخير من كل النواحي، وفي كل ميدان من ميادين التقدم العمراني الذي ينجم عادة من اختلاط أمم متحضرة بعضها ببعض، ومن أجل ذلك نرى أن كل ما كان في البلدان المجاورة من صناعات وفنون وعلوم وثقافات قد انتفعت بها مصر، مما أضفى على الحضارة المصرية

القديمة ثوبا جديدا لم تلبسه من قبل ، كما أن الأمم المجاورة من جهة أخرى أخذت عن مصر الشيء الكثير من ثقافتها وحضارتها مما أنعش نفوس أقوامها ومهد لهم السبيل الى السير في مدارج الرقي مما أيقظهم من رقدتهم وجعلهم يعملون على التحرر من الحكم المصري الذي لم يكن في مجموعه جائرا اذا قيس بما نراه اليوم من عسف الأمم القوية وبطشها بالدويلات الصغيرة .

وقد ظل الحكم المصري على نهجه الجديد متخذا سياسة المصاهرة والتعالف مع الأمم المجاورة خلال حكم « أمنحتب الثالث » ، الذي ضرب المثل الأعلى في مصاهرته لملوك الدول العظيمة وبخاصة « بابل » و « خيتا » و « متني » ، فسارت الأحوال في ظاهرها على ما يرام ، ولكن فاته أن هذه الأمم كانت تشب وتتمو ويعظم سلطانها على مر الأيام مسيرة لسنن الرقي فتزداد أطماعها ويعظم جشعها ، كما فاته أن الإمارات التي كانت خاضعة لمصر أخذ يدب في نفوس أقوامها روح الاستقلال ، لانصراف مصر وحكامها عنها من جهة ، ومن جهة أخرى أخذت الإمارات القوية منها تغير على الضعيفة ، وبخاصة عندما رأى أمراؤها أن مصر قد أصبحت متهاونة في أمر المحافظة عليها ، وأن جيوش الفرعون أصبحت لا يحفل بقوتها ولا يعتد ببطشها . وكان الفرعون من جانبه لا يهتم إلا بجمع الضرائب وإقامة العماثر في الديار المصرية ، والمحافظة على صداقة الأمم المجاورة له ما استطاع لذلك سبيلا دون أن يستل سيفه في وجه أي إمارة تائرة . والواقع أن في عهد « أمنحتب الثالث » كانت الامبراطورية المصرية في ظاهرها صاحبة السيادة العالمية ، تعيش على ما ضيها المجيد بما تركه « تحتمس الثالث » من هيبة وخوف في نفوس الأمم المجاورة لبلاده ، وفي الأقاليم التي فتحها بحدّ السيف وحسن السياسة ، غير أن عوامل الانحلال كانت تسرى في دمها بسرعة مدهشة ، وإذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها في عصرنا الحالى فانه في استطاعتنا أن نشبه امبراطورية « أمنحتب الثالث » بالامبراطورية الانجليزية الحالية من بعض الوجوه . فقد

قامت دولة الانجليز بما كان لها من سيادة بحرية وبما أحرزه بحارتها العظام في أول أمرها على منافستها أسبانيا من فتوح ومد سلطان عدّة قرون ، ولم يكن لينافسها في هذا المضمار أمة أخرى بعد ذلك ، حتى أصبحت سيادة البحار ، فعظمت مستعمراتها وهابتها الدول الأخرى التي كانت أقل منها نفوذا وسلطانا ، ولكنها عندما شعرت بنمو الأمم التي تنافسها أخذت في العمل على استبقاء عظمتها بالمحالفات الودية والسياسة الحكيمة في حكم مستعمراتها ، ولكن الزمن كان ولا يزال يسير بخطواته السريعة في رقيّ الدول ومبادئها الإنسانية القويمة وجعل الأمم الضعيفة تأخذ في أسباب القوة والأمم الناشئة تهيب لنفسها مكانة تتفق مع شبابها ، وما لها من آمال في المستقبل ومناهضة من يقف حجر عثرة في سبيل تقدّمها ، واتخاذ مكانة لا ثقة بها ، ومن ثم أخذت الدولة الانجليزية تتحل وتضعف أمام تيار المبادئ القوية التي تغمر العالم وهي بلا شك سائرة في طريقها المنحدرة إلى أن تتساوى بغيرها من الدول التي كانت صاحبة السيادة عليها كما حدث لمصر بعد عهد « إخناتون » ، إذ قد أصبحت دولة ثانوية بالنسبة لخيراتها . على أنه لا يمكننا أن نجزم بالوقت الذي تنزل فيه هذه الدولة نهائيا من عليائها إلى المستوى الطبيعي التي هي سائرة نحوه ، مستوى الشيخوخة والهرم . ولو أتيح لمصر فراغنة على غرار « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث » في تلك الفترة لامتدّ بقاء سلطانها الإسمي وهيبته الظاهرة مدة أخرى من الزمن ، ولكن شاءت الأقدار أن يتربع على عرشها بعد « أمنحتب الثالث » فتى في مقتبل العمر وشرح الشباب لم تكن تهمه السياسة كما يهيمه أمر مذهبه الديني الحديد . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان قد نشأ تنشئة دينية خاصة ورث مبادئها عن والده وجده ، وكان لها كره كهنة « آمون » الذين طغى سلطانهم على البلاد ، وعظمت ثروتهم حتى أصبحوا بما لهم من نفوذ مملكة داخل مملكة ليس للفرعون عليها سيطرة أو سلطان حقيقي . وقد حاول كل من الفرعونين السالفي الذ كر الخضد من شوكة هؤلاء الكهنة والقضاء على نفوذهم فلم يستطيعا لذلك سبيلا ؛ فلما تولى « أمنحتب الرابع » عرش الملك ورث كراهية هذه الطائفة عن والده وجده ،

وقد كان من رأيهما إحياء عهد حكم الإله « رع » الذى يعدّ أول ملك حكم مصر بالقسطاس المستقيم المناهضة « آمون » وشيعته، وبذلك بدأ على ما يظهر كهنة هذا الإله ينتعشون كما أخذوا يمدّون يد المساعدة للفرعون للقضاء على شيعة « آمون » وأنصاره . وكان الجو العالمى والوعى القومى مهيبين لهذه الفكرة بعض الشيء، وبخاصة أن المصرى كان يعرف أن معنى ديانة « رع » العدالة والصدق فى كل شىء . والواقع أن « أمنحتب » لما تسلم زمام الأمور فى البلاد وجد أن والده وجدته كانا قد سارا نحو إعادة توحيد الإله « رع » فى صورته المختلفة، ومن ثم نعرف أن الإصلاح الذى أخذ « اخناتون » على عاتقه القيام بإعلانه لم يأت فجأة بل جاء على مهل وبخطوات وثيدة مترنة متلاحقة انتهت بوصوله للغاية التى كان ينشد تحقيقها، فقد رأى بثاقب عقله كما رأى أسلافه من قبل أن الإله المسيطر على العالم أجمع ويشرف عليه فى كل البقاع هو الإله « رع » الذى يتمثل فى قرص الشمس (آتون). وكان هذا الإله يتخذ أشكالا متعددة وأسماء مختلفة، فكان يسمى « رع » ويسمى « رع حور الأفق » ويسمى « رع خبر » (أى إله الوجود) كما كان يصوّر فى صورة صقرو فى صورة إنسان برأس صقرو وهكذا. وقد رأى « أمنحتب » فى بادئ أمره أن يميز إلهه على الآلهة الأخرى ، فرمز له بصورة قرص الشمس الذى تتدلى منه أشعة بأيد بشرية مائحة الخيرات، وجعله قوة خفية تظهر عظمتها ومقدار نفوذها فى هذا القرص المادى المجسم . وقد كان فى بادئ الأمر يدعى « حور أختى » (حور الأفق) و « رع » بجانب اسمه « آتون » . ثم تدرج بعد ذلك خطوة أخرى فسماه « آتون » فقط وأقام له المعابد فى أنحاء البلاد، ولم يعارض فى ذلك كهنة « آمون » لأن إلههم كان يسمى « آمون رع » الذى يمثل إله الشمس أيضا، ولكن لم يلبث أن أخذ « أمنحتب » ينكر وجود الإله « آمون » لأنه لا يتفق مع فكرة الوحدةانية التى كان يمثلها إلهه الخفى الذى كان يرمز له بقرص الشمس، هذا فضلا عن أنه كان لا يتمثل فى صورة صنم قط، فقام بحملة جبارة على آمون وأصنامة وعاداته وشعائره فمحاها من الوجود . وهشم تماثيله

واسمه أينما وجد، ولذلك غير اسمه من أمنتحتب الى إخناتون (سرور آتون) وبعد ذلك حمل حملته الأخيرة الشاملة على جميع الآلهة الأخرى ، فحرم عبادتها وقضى على كل الشعائر التي كانت تقام لها ومحا لفظة « آلهة » أينما وجدت في كل أنحاء امبراطوريته . ولما كانت المقاومة على ما يظهر شديدة في « طيبة » هجرها وأقام لنفسه عاصمة جديدة وسماها « إخناتون » أى أفق آتون (تل العمارنة الحالية) وهناك أقام المعابد لإلهه الحديد الذى كان يرمز له بقرص الشمس وجعل مبادئه «العدالة» و «الحق» و «الصدق» كما حرم تصوير إلهه في أى صورة كانت . وأخذ في إقامة المعابد له في جميع أنحاء الدولة المصرية ونشر فيها تعاليمه وقد كان لهذه المبادئ أثرها الظاهر في كل نواحي الحياة المصرية وبخاصة في الفن الذى أصبح يمثل الأشياء على حقيقتها لا على حسب القواعد الخافتة المتبعة منذ أقدم العهود . ويرجع السبب في ذلك الى أن هذا الفرعون كان يريد أن يسير على منهاج الصدق والحقائق كما هى لا يرى إلا إلهًا واحدًا خالقًا لكل شيء ولم يخلقه أحد . ولسنا مبالغين اذا عددنا « إخناتون » أول شخصية في التاريخ أبرز فكرة التوحيد في معناه الحقيقي كما نفهمه ، فقد كان يسير على أسس قوامها أن الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى برأ ما فى السموات والأرض لا شريك له . وتدل كل الشواهد على أن هذه العقيدة قد انتقلت الى آسيا وضربت بأعراقها فيها وبخاصة أن «موسى» عليه السلام قد تعلم في مصر فكان من الأنبياء المتعلمين الذين جاءوا بعد « إخناتون » وورثوا عنه فكرة التوحيد المنزلة .

غير أن هذه التعاليم لم يطل أجلها بعد موت « إخناتون » ، إذ لم تكن قد تغلغت في نفوس الشعب وبخاصة ان معظم أتباعه لم يكونوا قد أشربوا عقائده الحقة بل كانوا قد اتبعوه لأنه الفرعون صاحب القول الفصل وحسب ، وأن رجال كهنة آمون كانوا لا يزالون متسلطين على عقول الشعب ومتعصبين لعقائدهم التي ساروا عليها منذ فجر التاريخ ، ولذلك لما أظهر الملوك الذين خلفوا « إخناتون » ضعفهم أمام كهنة آمون وكثرت الخلافات حول من يتولى العرش بعد موت هذا العاهل ، أعطى كل ذلك الفرصة لكهنة « آمون » وأتباعه للتغلب على أتباع « آتون » ، ومحو عبادته ثانية وإعادة

عبادة «آمون» كما كانت من قبل . وقد سهل الأمر لكهنة «آمون» فضلا عما ذكرنا أن الأسرة المالكة كانت قد انقرضت بموت «توت عنخ آمون» ، وتولى زمام الأمور في مصر جندي عظيم ممن كانوا ينتمون لعبادة «آمون» من قبل الانقلاب الذي أحدثه «إخناتون» . وهذا الجندي هو «حور محب» الذي رجعت في عهده عبادة «آمون» الى مكاتها الأولى ، وكذلك أخذ الآلهة الآخرون مكاتهم السالفة .

وقد كان من جراء انهماك «إخناتون» في بث مبادئه الدينية التي تعد بحق في نظرنا المبادئ الحقبة التي يتمثل فيها كل صفات الوجدانية القويمة التي لا يتسرب إليها أي شك — وإن كانت في نظر المصري القديم تعد مبادئ الزيف والكفر — أن ترك «إخناتون» أمر سياسة امبراطوريته ظهريا فانتشرت فيها الثورات وتخطفتها الدول الفتية التي كانت آخذة في الظهور حول بلاده ، فانتقصتها من أطرافها شيئا فشيئا خفية وبخاصة بلاد «خيتا» ونهرين ، وبابل ، التي كانت في بادئ الأمر على وء وصفاء مع مصر ، ولكن ما لبثت أن قلب بعضها ظهر المحن للفرعون عندما آنس فيه الضعف وأخذ يغير على ممتلكاته جهارا فكان لبلاد «خيتا» نصيب الأسد . وقد وضعت أمامنا الكشوف الأثرية التي ظهرت في مصر وفي بلاد «خيتا» صفحة من أروع الصفحات في تاريخ الشرق القديم وبخاصة في الأصقاع التي تشمل ما يسمى الآن الوحدة العربية . ففي مصر كشفت خطابات تل العمارنة التي كتبت بالخط المسماري وهي التي تبودلت بين مصر وحكام سوريا وفلسطين وبلاد «نهرين» «وبابل» و«خيتا» ، وفي بلدة «بوغاز كوى» (خاتوشا) عاصمة بلاد «خيتا» الواقعة في قلب آسيا الصغرى عثر على سجلات وزارة خارجية مملكة «خيتا» ، وما دار بينها وبين مصر وأمم الشرق من مكاتبات . ومن الغريب المدهش أن هذه الوثائق كلها تقدم لنا صورة عن بلاد «خيتا» تكاد تشبه في كثير من الوجوه مركز مصر الممتاز بالنسبة لهذه الدول مما سيراه القارئ مفصلا في مكانه .

ولقد حاولنا في تفصيل الحقائق السالفة الذكر أن نورد المصادر الأصلية التي أعتمدنا عليها بقدر ما سمحت به الأحوال ، من الوثائق المصرية « وخطابات تل العمارنة » وسجلات « بوغازى كوى » كما أننا أسهبنا في كثير من الموضوعات

رغبة في أن نضع أمام القارئ الباحث صورة واضحة عن هذا العصر الذي يعدّ أزهى عصور تاريخ مصر من حيث علاقاتها الخارجية مع بلاد الشرق التي تسعى لتؤلف وحدة متماسكة تقاوم بها عدوان الدول الغربية القوية، كما أنه يعدّ الفترة التي ظهرت فيها فكرة التوحيد بمعناها الحق. هذا بالإضافة إلى أنه في هذا العصر أيضاً رأينا الفراعنة يقتربون أبناء الطبقة الدنيا من الشعب إليهم، ويتخذون منهم أعواناً وبطانة كما كانوا يتخذون منهم مربيات ووصيفات وخيليات وقوادا للجيش وضباطا بقصد مقاومة طبقة الموظفين الذين كانوا قد كوّنوا لأنفسهم طائفة يبرقراطية قوية استحوذت على كل مرافق البلاد. وقد انتهى الأمر بأن زحزحت هذه الطبقة شيئاً فشيئاً رجال الجيش الذين احتلوا كل الوظائف الكبرى، وفي آخر المطاف تولى الملك واحد منهم وهو « آي » ثم خلفه « حور محب » وهو جندي قوى ومشروع كبير وضع للبلاد تشريعاً عظيماً أصبح فيما بعد مضرب الأمثال وقبل وفاته أوصى بالملك لقائد جيوشه « رع مسيس » الذي أسس الأسرة التاسعة عشرة وهي التي أقالت مصر من عثرتها على أيدي فراعنتها واستردت الشيء الكثير من مجدها الغابر بفضل « سیتی » الأول و « رع مسيس الثاني » العظيم. وسيكون ذلك موضوع الجزء التالي إن شاء الله.

شكر

والى أتقدم هنا بعظيم شكرى لصديق الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة سمندون الأميرية لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلف، ولا يسعنى إلا أن أقدم شكرى للأستاذ محمد إبراهيم نصر الذى أبدى عناية فى كتابة أصول هذا الكتاب وبذل مجهودا مشكورا فى قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس معى.

والله أسأل أن يوفقنى الى ما فيه خير البلاد ومجدها ما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قد يبدو غريبا لأول وهلة ما ذهبنا إليه من اتخاذ عهد حكم «تحتمس الرابع» بداية عصر جديد في سياسة النصف الثاني من حكم الأسرة الثامنة عشرة ؛ ولكن لدينا من الأسباب والمبررات ما يعضد ما ذهبنا إليه ويجلو غرابته . فقد توهنا في الجزء الرابع من هذا المؤلف أن «أمنحتب الثاني» كان آخر فرعون — على ما نعلم — حارب فلول الهكسوس الذين استوطنوا بلاد آسيا بعد أن أجلاهم «أحمس الأول» عن أرض الكنانة بحملة . ولا نزاع في أن «أمنحتب الثاني» كان قد قضى على البقية الباقية من أمراء الأقطار الآسيوية المنتسبين لقوم الهكسوس ، ولذلك لما تولى «تحتمس الرابع» لم يجد أمامه عقبات قائمة تذكر في إخضاع من ثار من أمراء سوريا ، بل وجد أمامه أحوالا مهيئة للسير على سنن سياسة جديدة رشيدة في معاملة من حوله من الأمم الفتية القوية التي كانت تحيط بامبراطوريته . وقد كان قوام هذه السياسة المصادقة والمهادنة والود الذي مكنت أواصره ووثقت عراه بالمصاهرة بينه وبين أقوى هذه الدول . والواقع أن «تحتمس الرابع» كان أول فرعون خرج على تقاليد آبائه منذ القدم ، إذ نراه يناشد ملك «متنى» الود ويطلب إليه الزواج من ابنته . وقد كانت نتيجة هذا الزواج أن توثقت عرى المحبة والصداقة بين البلدين ، وسرى بعد أن هذه السياسة الحكيمة قد قفا أثرها أخلاف «تحتمس الرابع» مما أدى إلى بسط سلطان مصر ونفوذها بالطرق السلمية على جميع العالم المتمدين حتى أصبحت سيادة مصر سيادة عالمية لا ينازعها فيها منازع فترة طويلة من الزمان .

ومن جهة أخرى يدل مالدينا من معلومات على أنه قد ظهر في عهد «تحتمس الرابع» علامات واتجاهات في الفكر لتيارات خفية تسير ببطء وعلى مهل مبشرة بقيام انقلاب إصلاحى دينى سام غرضه القضاء على الوثنية جملة والاعتراف بإله واحد فرد صمد . وقد أخذت بذور هذه العقيدة تضرب بأعراقها في عقول أصحاب الفكر في مصر منذ عهد « تحتمس الرابع » حتى نضجت وأتت أكلها في عهد « أمنحتب الرابع » الذى تسمى بأخناتون كما سنفضل فيه القول في حينه .

هذه هى الأسباب والمبررات التى حدث بنا لاتخاذ عهد«تحتمس الرابع» فاتحة عصر جديد فى سياسة مصر العالمية والدينية .

تحتسب الرابع

١٤١٥ - ١٤٠٥



من بين اللوحات الكثيرة التي كشفت عنها أعمال الحفر التي قامت بأبحاثها الجامعة المصرية حول معبد « بوالهول » ثلاث لوحات تلفت النظر غير لوحة « أمنحتب الثانى » العظيمة التي تحدثنا عنها . فإن هذه اللوحات أجمل شكلا ، وأدق صناعة من اللوحات الأخرى التي أهداها الموظفون لتمثال « بوالهول » ، وقد مثل على كل منها شاب من علية القوم ، بل أمير يقدم قربانا لتمثال « بوالهول » ولتمثال الملك . وفي لوحتين منها كان الملك المقدم إليه القربان هو « أمنحتب الثانى » ، وفي ثلاث اللوحات قد محى عمدا اسم الأمير ، وفي واحدة منها كان اسم الأمير موضوعا فى طغراء . وقد محى اسم الأمير بدقة وعناية بحيث لم تمس كلمة من الكلمات التي مع الاسم بأى سوء ، كما أنه قد اتخذت الحيلة فلم يضر رمز من الرموز المقدسة ، ومن ذلك نفهم أن هذا المحو قد قام به شخص يحمل فى صدره ضغينة شخصية لأصحاب هذه اللوحات ، كما أنه لا يحمل أى حقد على الفرعون أو الإله الذى صور على اللوحة ، ومن ثم نعلم أن هذا العمل لم يكن من جانب رجال « إخناتون » . ومما تلفت النظر أن محو الاسم لم يكن قاصرا على الاسم البارز الذى كان يتبع الصورة ، بل قد تخطاه الى الاسم الذى فى صلب متن اللوحة نفسها ، غير أنه لحسن الحظ قد خان هذا الحماقد الذى قام بالمحو نظره ، فترك لنا الاسم سليما فى مكانين ، ومن ثم نعلم أنه كان يسمى « أمنمات » ، وأنه كان يحمل ألقابا تعد من أعظم ألقاب الدولة وأرفعها .

والآن يتساءل المرء من هم هؤلاء الأمراء الذين مثلوا على هذه اللوحات ؟ هل هم شخص واحد ، أم هم ثلاثة شبان يحتمل أنهم إخوة ؟ ولما كان لكل منهم

خديرة شعر (شوشة) مما كان يرمز به عند المصريين القدامى لسنّ الطفولة استطعنا أن نحكم بأنهم لم يبلغوا الحلم بعد ، ولكي يكون في استطاعتنا محاولة حل هذا اللغز ، نفحص كل لوحة على حدها ، وسنرمز لها هنا تسهيلا لفحصها بالأحرف « ا » « ب » « ح » ؛ فمن اللوحة الأولى (١) نعلم أن صاحبها كان أميرا صغيرا بهي الطلعة يقدم قربانا لكل من تمثالى « بو الهول » والفرعون « أمنحتب الثانى » ، وأن الشخص الحقود الذى محاسمه لم يلحق أى ضرر بأى اسم أورد من إلهى . ولا نزاع فى أن هذا الفرد الذى محاسمه لم يكن من عمال « إخناتون » لأن اسم « آمون » بقى على اللوحة لم يصبه أذى .



(١) موميّة تخمس الرابع

وفي اللوحة الثانية «ب» نجد أن الأمير الممثل عليها يشبه الأول، وكذلك يقدم لتمثال « بولبول » والملك « أمنحتب الثاني » قربانا . وقد كان كذلك لم يبلغ سنّ الرشد كما يدل على ذلك غديرة شعره المدلاة على صدره ، وكان يحمل ألقابا عالية وكلها بطبيعة الحال ألقاب نخرية ، وكذلك نرى النقوش التي نقشت فوق تمثاله تكاد تكون صورة مطابقة للنقوش التي على لوحة الأمير السابق ، مما يوحي بأن اللوحتين قد تكونان لأمر واحد بعينه . وهذه اللوحة كذلك قد أصابها أضرار كثيرة على يد فرد أراد أن يحو شخصية صاحبها وحده ، ولم يكن للتعصب الديني شأن في إتلافها لأن كل الرموز الدينية بقيت سليمة . ومما هو جدير بالذكر أن اسم هذا الأمير كان منقوشا في طغراء لا تزال خطوطها الخارجية ظاهرة .

أما اللوحة الثالثة « ح » فنرى عليها أميرا يظهر أنه مثل الأميرين اللذين مثلا على اللوحتين السابقتين ، ويسمى « أمنمات » . فقد ترك لنا اسمه في مكانين على اللوحة أخطأهما عدوه . أما في بقية اللوحة فقد محى اسمه تماما . وهذا الأمير ممثل كذلك بغديرة الشعر التي تدل على الطفولة أيضا ، ويرى مقدما القربان للإله « بولبول » وللملك « أمنحتب الثاني » ، وفي منظر آخر يقدم قربانا للإلهة « إزيس » . من أجل ذلك يمكننا أن نستخلص مما سبق الحقائق التالية :

- (١) إن اللوحات الثلاث متشابهة في الأسلوب والصناعة وكلها من عصر واحد.
- (٢) وإن اسم الأمير قد بقي لنا في لوحتين وهو « أمنمات » .
- (٣) وأن هذا الشاب كان ابن ملك .
- (٤) وأن الاسم المحو كان في حالة واحدة موضوعا في طغراء .
- (٥) وأن هذا الأمير كان في لوحتين يقدم القربان لتمثال « بولبول » والملك معا .

(٦) وأن اسم أولئك الأمراء قد محى على يد شخص معادٍ يحمل في قلبه حقدا شخصيا لصاحب اللوحة وليس له علاقة بالملك أو بالإله « بولبول » .

(٧) وأنه في اللوحة الثالثة « ح » نرى أميرا يقدم القربان لتمثال الملك ، وأن اسم الأخير قد فقد عفوا نتيجة كسر وليس نتيجة محو .

وإذا فحصنا كل النتائج التي وصلنا إليها في هذا البحث ، اتضح جليا أن أولئك الأمراء على ما يظهر أولاد الفرعون « أمنحتب الثاني » ، ويحتمل أن اللوحات كذلك هي كلها كانت لأمر واحد أى لأخ أصغر « لتحتمس الرابع » . وسرى عندما نفحص متن اللوحة الجرانيتية المنسوبة لهذا الفرعون أن « بو لهول » يتحدث في رؤية صادقة للأمير « تحتمس » ويساومه في أنه إذا قام بتنظيف ما يحيط بتمثاله من رمال ، وحافظ عليه مما يطمس جسمه ويخفيه عن الأعين ، فإنه سيمنحه تاج مصر . ومن ذلك يتضح جليا أن الأمير « تحتمس » لم يكن هو الوارث الحقيقي لعرش مصر ، وإلا فإن وعد « بو لهول » له يكون عديم الفائدة لأنه كان بطبيعة الحال سيخلف والده بعد موته دون منازع ، ولم يكن في حاجة لتحمل مشاق تنظيف « بو لهول » ليكافأ عليه بعرش الملك الذى كان سيؤول إليه طبعيا دون مناهض . ومن ذلك يمكننا أن نزع بحق أن إخوة الأمير « تحتمس » أو أخاه كانوا عقبة في سبيل تولى عرش الملك ، وأن « تحتمس » قد قضى عليهم بطريقة ما إما بالموت أو النفى ، ثم محا بعد ذلك أسماءهم ، وكل ما يشعر بوجودهم لأجل أن تنسى ذكرياتهم . ولا نزاع في أن قصة الحلم هي محض اختراع لأجل أن يبرر موقفه أمام رأى العام ، وهذا يفسر لنا العزيمة الصادقة التي نفذ بها الشطر الذى كان عليه أن يقوم به في المساومة .

ولعمري لقد كان هذا التحايل للاستيلاء على عرش الملك بغير حق شرعى من البدع التي نشأت في مصر منذ عهد الأسرة الخامسة ، فمنذ ذلك العهد نجد الملوك الذين لم يكن لهم حق شرعى مطلق في تولى العرش يمتثلون أقصوصة يجعلون القوة الإلهية تتدخل فيها لتحل لهم الاستيلاء على عرش الملك ، وأول من استعمل هذه الحيلة ملك في الأسرة الخامسة ثم استعملها على ما يظهر

« سنوسرت الأول » ، وفي الأسرة الثامنة عشرة شاعت وتنوعت الأساليب التي كانت تتبع وسيلة لذلك كما شاهدنا في حالات « حتشبسوت » و« تحتمس الثالث » ، ثم « تحتمس الرابع » الذي نحن بصددده الآن .

ومما يعضد الرأي الذي أوردناه هنا أن « أمنحتب الثاني » كان له أولاد ذكور عديدون وقد ذكر لنا الأستاذ « فلندرز بترى » في تاريخه عن مصر استنادا على ما دونه « لبسيوس » في كتابه عن آثار مصر (L. D. III, Pl. 69a) أن من المحتمل أن يكون « تحتمس الرابع » إخوة يتراوح عددهم بين الخمسة والسبعة من أبيه « أمنحتب الثاني » لأنه وجد في قبر « حكرنح » مربى « تحتمس الرابع » منظر مثل فيه « تحتمس » الصبي جالسا على حجر مربية ، وقد مثل معه إخوة آخرون عديدون ، ومما يؤسف له أنه وجد كل أسمائهم قد محيت ، وعدم ذكرهم في أى مكان آخر يشعر بأن أخاهم « تحتمس » كان قاسيا مجحفا لآثارهم وذكرياتهم كما أساء إليهم أنفسهم (راجع Petrie, "History", II, p. 165) . والواقع الذي يؤسف له أن هذه النظرية التي استعرضناها هنا على ضوء هذه الكشف الحديثة لا تجعل من « تحتمس الرابع » رجلا مثاليا ، لأنه وإن لم يكن قد لعب دور السفاح في هذه الرواية المحزنة — والظاهر أنه قد قام بهذا الدور المشين لأسباب كثيرة — فإنه كان رجلا جامد القلب يحب الأثرة إلى أقصى حد ، ولا يبعد أنه كان السبب في الحزن الذي توجعت منه أمه ، وأظهرته في الكلمات الباقية التي وجدناها على تماثيلها ، وسنرى حالة مماثلة لهذا المحو في صورة أحد أولاد « سيتي الأول » ويحتمل أنه إخوة « رعمسيس الثاني » لأن صورته قد أزيلت من منظر موقعة « سيتي الأول » ، التي على جدران معبد الكرنك غير أن في ذلك بعض الشك .

والآن نعود إلى هذا الأمير التعس « أمنمات » الذي وجعت لوحاته في منطقة « بوهول » إذ لا بد أنه كان جريا على تقاليد الأسرة في هذا العهد قد خرج لزيارة « بوهول » للصيد والقنص في تلك المنطقة التي اشتهرت بحيوانها البرى . ومن

المحتمل أنه هو وإخوته كانوا قد تعودوا الطراد في هذه المنطقة، وكان من بينهم ذلك الشاب الماكر الغامض الذى أصبح فيما بعد «تحتمس الرابع»، وكان قد اعتاد الصيد في «وادي الغزال» (وهو اسم أطلق على صحراء «منف» وما جاورها). واللوحة الجرانيتية التى أقامها بين محالب «بولهول» قد حفظت لنا قصة الجيلة التى برر بها توليه العرش بما قام به من عمل جليل لتمثال هذا الإله الذى كان يخفى في صورته إله الشمس أعظم الآلهة المصرية قوة وسلطانا وعدالة، وعلى ذلك كان إقصاء كل مدع آخر للملك أمرا لا مفتر منه، وأن كل ما آتاه من سفك دم وبطش بإخوته أو بالوارث الأصلي كان تنفيذا لنبوءة هذا الإله العظيم.

وهاك متن هذه اللوحة :

التاريخ وألقاب الفرعون : « السنة الأولى ، الشهر الثالث من الفصل الأول ، اليوم التاسع عشر من حكم جلالة حور ، الثور القسوى ، منشىء الضوء ، محبوب الإلهتين ، الباقي فى الملكية مثل «آنوم» ، حور الذهبى : القوى السيف ، وصاذ الأقواس التسعة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبورع » ابن الشمس ، «تحتمس الرابع» ، المضى فى التيجان ، محبوب «آمون» مُعطى الحياة والثبات والرضا مثل رع محلدا .

(١) لقد كان رأى السائد عند علماء الآثار واللغة المصرية القديمة أن هذه اللوحة حديث خرافة وأنها ألقت فى العهد المتأخرة (راجع Erman, "Ein neues Denkmal von der grossen Sphinx", Sitzung Berlin Akademie (1904) 428 ff. and p. 1063 - 1064.) . غير أن الأستاذ « شبيجلبرج » برهن على أن هذا الرأى فاسد ، وأنها كتبت فعلا فى عهد هذا الفرعون (راجع Spiegelberg, "Orient. Lit. Zeitung" (1904) 1268 ff. (and 343.) .

ومع كل ذلك لم يفتن الأستاذ « ادورد مير » بحجج الأخير وقال عنها إنها خرافة ، ولها مثيل فى اللغة المصرية القديمة وهو لوحة « بترش » وفى البابلية خرافة مرجون .

(راجع Ed. Meyer, "Geschichte des Altertum", II, I P. 149, note 1.) .

ولكن بعد كشف لوحة « أمنحنب الثانى » القائمة بجوار لوحة « تحتمس الرابع » وغيرها من اللوحات المماثلة لا يسمع الإنسان إلا الاعتراف بأنها من صنع عصر « تحتمس الرابع » مع إصلاح ما تهشم منها فيما بعد على يد ملك تقي .

نعت «تحتمس الثالث» : "يعيش الإله الطيب ابن «آتوم» حامى «حورأختى» ، والصورة الحية لإله الكل ، والماهر ، ومن أنجب «رع» ووارث «خبرى» المتاز ، وصاحب الوجه الجميل مثل والده ، ومن خلق مجهزا بصورة «حور» عليه ، وهو ملك ... الآلهة ؛ خطوة مع تاسوع الآلهة ، والذي يظهر عين شمس ، ومن يرضى «رع» ، والذي يجمل «طيبة» ومن يقدم الصدق للإله «آتوم» ، ومن يمنحه قاطن جنوبي جداره (بتاح) ومن يقيم أثرا بالقرب اليومية للإله الذى خلق كل الأشياء ، ومن يبحث عن كل نافع لآلهة الجنوب والشمال ، ومن يقيم بيوتهم بالحجر الجيرى ، ومن يمنح كل قربانهم ابن «آتوم» من جسده «تحتمس الرابع» الذى يضىء فى التيجان مثل «رع» ، وارث حور على عرشه «منخبرو» «رع» معطى الحياة .

(٢) «تحتمس الرابع» فى طفولته : «وعندما كان جلالة طفلا مثل «حور» الشاب فى «نخيس» كان جسمه مثل حامى والده «حور» ، وقد كان مثل الإله نفسه ، وقد كان الجيش مبتهجا بحبهم له ، وقد كان يعيد أعمال بطولته مثل ابن «نوت» (أى الإله «أوزير») وأولاد الملك وكل العظام ، وكانت شجاعته تفيض منه ...

«تحتمس الرابع» الرياضى والصيد : تأمل ! إنه قد قام بعمل كان محببا إليه على هضاب مقاطعة «منف» على جانبيها الجنوبي والشمالي ، فكان يرمى هدفا من نحاس ، ويصطاد أسودا وحيوان الصحراء الصغير ، راكبا فى عربته وجياده كانت أسرع من الريح ، ومعه اثنان من أتباعه ، ولم يكن يعلم ذلك أحد . مكان «تحتمس» المختار للراحة بعد الصيد : "ولما حانت ساعة الراحة لأتباعه ، كان ذلك دائما «معبد ستبت» (أى المعبد المختار وهو الاسم الذى كان يطلق على معبد «بولهول») الخاص بالإله «حورام اخت» (وهو اسم «بولهول» فى عهد الدولة الحديثة . ومعناه الإله «حور» فى الأق ، والأق معناه هنا الجبانة التى دفن فيها ملوك الأسرة الرابعة ، وقد كان أول من سماها بهذا الاسم هو «خوفو») بجانب الإله «سكر» فى «روستاو» والإلهة «رننوت» فى «إبات تامون» ... فى الصحراء (أى الجبانة) «وموت» صاحبة ... الشمالية ... سيدة الجدار الجنوبي ، والإلهة «سنخت» القاطنة فى الجبل فى المكان الفاخر الأزلى قبالة سيد «خرعما» (مصر عتيقة) والطريق المقدسة للالهة المؤدية للجبانة الغربية .

(١) كانت تسمى مدينه «منف» الجدار الأبيض وكان معبد الإله «بتاح» يقع فى الجهة الجنوبية من هذه المدينة ولذلك أطلق عليه «قاطن جنوب جداره» أى أن الجدار الأبيض هى بلده التى يسكن فيها .

(٢) «حميس» هى البلدة التى ولد فيها «حور» بن «إزيس» وهو الذى تولى الملك بعد والده «أوزير» وموقعها كوم الخبيزة الحالى فى شمالى الدلتا .

ويقيم تمثال «خبرى» العظيم جدا في هذا المكان ، وهو العظيم في شجاعته ، والذي يظله في «رع» ، وهو الذي تهرع إليه ربوع «منف» وكل المسدن التي بجواره رافعين أكف الضراعة إلى وجهه وحاملين القرب العظيمة لروحه “ .

«تحتمس الرابع» يرى بولبول في رؤية صادقة : ” واتفق ذات يوم أن ابن الملك المسمى «تحتمس» أتى راجعا عربته وقت الظهيرة ، وجلس يتفيا ظل الإله العظيم فغشاها الناس عندما كانت الشمس في منتصف السماء ، فرأى جلالته إلهه المبجل ، يتكلم بضمه كما يتكلم والد مع ابنه قائلا : تأمل أنت في يا بني «تحتمس» إني والدك «حورام اخت — خبرى — رع — آتوم» إني سأمنحك ملكي على الأرض رئيسا على الأحياء وستلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش الإله (١) «جب» (إله الأرض) الأمير الوراثي — وستكون الأرض ملكك في طولها وعرضها : وهي كل ما يضيء عليه الرب المهيمن . وطعام الأرضين سيكون ملكك ، وجزية كل الأقطار مدة عهود طويلة سنيا . وإني مول وجهي شطرك وقلبي معك ، وستكون أنت المحافظ على كل أشيائي ، لأنني أشعر بألم في كل أعضائي . ورمال المحراب الذي أنا فيه قد غمرتني ، فالتفت إلى لفعل ما أرغب فيه ، لأنني أعلم أنك ابني وحامي . تأمل ! إني معك وإني قائدك .

ولما فرغ من كلامه هذا استيقظ ابن الملك سامعا ذلك ... فهم كلمات الإله ووضعها في قلبه . ثم قال (لأتباعه) تعالوا دعونا نسرع إلى بيتنا في المدينة ، وإنيهم سيحافظون على ما نحضر من قربان لهذا الإله : ثيران ... وكل الخضر صغيرة ، وسنقدم الثناء للإله «ونفر» (أي زير في عالم الآخرة) ... «وخفر» ، والتمثال الذي عمل «لآتوم حورام اخت» ... «

مغزى اللوحة : والظاهر أن «تحتمس» بعد أن ضرب ضربته السياسية التي قضت على كل مناهض له في التربع على العرش ، أسرع في إنجاز ما عليه من دين لهذا الإله ، إذ نعلم أنه قد أزال الرمال عنه فعلا ، ولم يكتف بذلك ، بل أقام سورا حول مريض التمثال بناء من اللبن . وقد بقي الاعتقاد السائد عند علماء الآثار أن هذا السور من عمل ملوك البطالمة ومن بعدهم إلى أن كشفت أعمال

(١) كان «جب» إله الأرض وكان أحد أعضاء تاسوع الآلهة في «هليوبوليس» وكان والد «أوزير» و«إزيس» و«نفتيس» و«ست» و«حور» الأكبر ، وكان قد حكم مصر يوما في بداية حكم الأسرة الإلهية ثم خلفه على العرش ابنه «أوزير» .

الحفر التي قامت بها الجامعة المصرية عن السور كله وظهر أنه من عمل « تحتس الرابع » نفسه ، إذ وجدنا بعض لبنات في بناء السور نفسه عليها طغراء الفرعون « تحتس الرابع » .

وقد ترك لنا هذا الفرعون كذلك سلسلة جميلة من اللوحات التذكارية من إهدائه لهذا الإله . والظاهر أنها كانت في الأصل مثبتة في أحد الجدران الحافظة لتمثاله من إغارة الرمال عليه ، وهذه الجدران كانت تحيط به من كل الجهات . وقد كشفنا في أثناء الحفر عن إحدى عشرة لوحة من هذه اللوحات ، وكلها من الحجر الجيري الأبيض مستديرة القمة ، ويبلغ حجم الواحدة منها على وجه التقريب ٦٥ × ٤٥ سنتيمترا . وفي كل منها منظر مثل فيه « تحتس الرابع » إما وحده أو مع زوجه « نفرتارى » يقدمان قربانا للالهة المختلفين ، وهؤلاء هم : (١) رع : حور صاحب « سخنو »^(١) (٢) « تحوت » سيد « الأشمونين » (٣) « وازيت » سيدة « ب » و « دب » = (بوتو) (أى « إبطو » الحالية بمركز دسوق) ، (٤) والإله « سكر »^(٢) الإله الأعظم سيد « شتيت » (٥) والإله « آمون رع » سيد ... « والإلهة « سشات » ربة الكتابة (٦) والإلهة « حتحور » سيدة شجرة الجميز (٧) والإلهة « حتحور » سيدة « إنرتى » أى بلدة جبلين (٨) والإله « آتوم » رب « هليوبوليس » (٩) والإله « بتاح » رب الصدق ، والإلهة « رننوت » صاحبة « إيات — تاموت » (وهى ربة الحصاد) ، ومن المحتمل أنها كانت تعبد هنا لتجعل الأرض القاحلة خصبة مثمرة . وهذه اللوحات وغيرها مما كشف عنه لها أهمية خاصة ، إذ أنها تمدنا بقائمة بأسماء الآلهة الذين كانوا يعبدون في هذه المنطقة .

(١) « بلدة بالقرب من « هليوبوليس » .

(٢) وهى الإلهة العظيمة للوجه البحرى .

(٣) إله الموتى القديم فى « منف » وقد وجد فى بعد مع الإله « أوزير » .

(٤) مكان بالقرب من « مدينة هابو » . ويعد مكان الخشب المقدس فى المقاطعة الرابعة من

الوجه القبلى .

وعلى الرغم مما يحوم فى أذهانتنا من شك ، وما يعتورنا من سوء ظن فلا نزاع فى أنه قد قام بعمل جليل أكثر مما قام به أى فرعون ، لإزالة الرمال من « بوهول » وإصلاح ما حوله وإن كان قد عمل هذا ليقى على عرش الملك آمننا مطمئنا .

ولا نزاع فى أن كهنة « عين شمس » كان لهم أثر عظيم فى تحويل الأنظار عن عبادة « آمون » وإحياء عبادة الإله « رع » ثانية ، وبخاصة أن الفراعنة كانوا قد بدءوا يشعرون بقوة سلطان كهنة الإله « آمون » . وقد كان أول من حاربهم وأراد القضاء عليهم هو « تحتمس الرابع » الذى بدأت فى عهده بلا نزاع حركة إعادة عبادة « رع » ، وهى تلك الحركة التى انتهت بالإصلاح الشامل الذى تم على يد « إخناتون » ؛ ولدينا من الأدلة ما يعزز هذا الرأى ، وبخاصة اللوحة التى عثر عليها فى المعبد الصغير الذى أقامه والده « أمنحتب الثانى » من اللبن ، وأقام فيه لوحته المشهورة التى سبق الكلام عنها . وهذه اللوحة قطعة من الحجر مستطيلة الشكل محاطة بإطار مرتفع ومستطيل داخلى وطرف اللوحة مستدير من أعلى ، غير أنه قد تأكل بعض الشيء ، وهذا الجزء العلوى المستدير يشغله قرص شمس مجنح وهو الشكل العادى للإله « حور بحدت » ، وقد بدت فيه ظاهرة غريبة عن الفن والتقاليد المتبعة ، وذلك أن قرص الشمس بأجنحته المنتشرة والمكتنف بصليين قد زود بذراعين ويدين آدميتين ممسكتين بطغراء عظيمة كأنهما تحميانه ، واسم الملك الذى فى الطغراء قد محى ولم يبق منه إلا كلمة « تحوت » ونجد على كلا جانبي الطغراء سطرين من النقوش موجودين فى كتابتهما جاء فيهما "لته يمنح الحياة والسعادة حور بحدت الآله العظيم ، سيد السماء المشرق من الأفق" ففى هذه العبارة إشارة صريحة إلى « حور بحدت » ولكن بصورة غير مألوفة ، والواقع أن قرص الشمس المجنح يتألف فى العادة من قرص الشمس يكتنفه صلان ، ومزود بجناحين ، ولكننا لم نعرف قط على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا أنه كان يزود بذراعين بشريتين

فهل معنى ذلك أن هذه أول محاولة لنشر مذهب عبادة « آتون » أو أن هذا الرسم كان من نسج خيال المفتن الذى رسم اللوحة؟ ويخيل إلى أن النظرية الأولى هى التى تقرب من الحقيقة، وذلك لأن اللوحة كانت قد نقشت فى عهد ليس ببعيد من عهد انتشار مذهب « آتون »، وأعنى بذلك عهد « تحتمس الرابع »، وإذا كان هذا الفرض صحيحا برهن لنا ذلك على أن « آتون » لم يكن إلها أتى به من بلاد « سوريا » كما يظن البعض، ولكنه كان إلها مصريا خالصا، وأنه فى الواقع صورة أخرى من صور إله الشمس الذى نشأ فى « هليو بوليس » . ولا غرابة فى ذلك، فإنه قد عثر على جعران من عهد هذا الفرعون يذكر فيه إله الشمس باسمه « آتون » (راجع J. E. A, Vol. XVII, P. 23) وقد جاء عليه النقش التالى "لقد شاهد أمراء النهرين ؛ وهم يحملون للفرعون « منخبورع » عند ما كان خارجا من قصره وهم يسمعون صوته مثل صوت ابن نوت (أوزير) وقوسه فى يده مثل ابن وارث « شو » (أى إله الأرض جب) (وبذلك يتحدث النقش عن الملك بوصفه ابن « جب » و « نوت » على حسب الآراء التقليدية) . وإذا أيقظ نفسه للقتال « وآتون » أمامه، فإنه يخرب الجبال ويطأ الأراضى الأجنبية زاحفا إلى « نهرين » وإلى « كاراي » (آخر الحدود الجنوبية) ليخضع سكان الأقاليم الأجنبية مثل رعاياه لحكم « آتون » أبدي الأبدين " .

ولا نزاع فى أن ما جاء على هذا الجعران بالإضافة للرسم الذى ظهر على لوحة الجيزة له أهمية عظمى من الوجهة التاريخية . حقا إن الباحثين قد زعموا من قبل أن الثورة الدينية والفنية التى قام بها « إخناتون » تضرب بأعراقها إلى عهد « تحتمس الرابع » غير أن البراهين التى ذكرت لإثبات هذه الحقيقة لم تقم على أدلة أصيلة كالبرهانين اللذين قدمناهما الآن . وهذه البراهين الثانوية على الرغم من أنها ليست قاطعة فإنها تقوى النظرية التى قدمناها وهاكها :

(١) يشير « إخناتون » على إحدى لوحات الحدود بأنه كان يحارب كهنة

« آمون » (راجع Davies, "El Amarna", V, P. 31) .

(٢) يشاهد على قطعة حجر من « تل العمارنة » « إخناتون » يقدم قربانا للإله « آتون » وقد وصف هذا الإله بأنه يقطن بيت الفرعون « منخبرورع » في بيت « آتون » في إخناتون » (راجع Schafer, "Altes und Neues zu Kunst und Religion von Tell el Amarna", A. Z., LV p. 33.)

(٣) تشبه صور تماثيل المجاويين التي وجدت للملك « تحتمس الرابع » تماثيل المجاويين التي عملت « لإخناتون » في كونها لم ينقش عليها إلا اسم الفرعون وحده ، وقد خلت من كل نقش سحري ، وهذا مالا يوجد على تماثيل مجاويين لأى ملك آخر .
(٤) يدل فن عهد « تحتمس الرابع » على أنه عصر فن جديد يزرع في صورته إلى محاكاة الطبيعة والواقع الخ (راجع Davies, "M. M. A. XVIII, (Dec. 1923) II, P. 40 f.f.; and Frankfort, "The Mural Paintings of El Amarna", (Pl. 29.)

(٥) عثر على قطع آثار عليها اسم « تحتمس الرابع » في « تل العمارنة » (راجع Frankfort, ibid,)

وعلى أية حال فلدينا فيما تقدمه هذه اللوحة وهذا الجعران برهان قاطع على أن « آتون » قد مثله لنا « تحتمس الرابع » في صورته التي ظهر بها فيما بعد بالأيدى المتدلية منه معطية أشعة الشمس كما جاء على اللوحة ، بل كذلك قد ميزه باسمه عن إله الشمس كما جاء على الجعران ، وكذلك عبده بوصفه إله حرب نصره على أعدائه ، وضمن له السيادة على سائر العالم جاعلا كل الإنسانية رعايا لقرص الشمس . ولا نزاع في أن هذا الجعران قد نقش تذكارا لانتصار الفرعون على الأعداء في حرب في « آسيا » لم يعين على وجه التأكيد تاريخها . وهذا النوع من الجعارين كان منتشرا في هذا العصر كما سلف الكلام عنه في عهد « تحتمس الثالث » .
أما عن ديانة « إخناتون » وكيفية نشوئها وانتشارها فقد فصلنا القول في ذلك في فصل خاص كما سيجىء بعد .

ومن كل ما سبق نستطيع أن نستخلص أن « تحتمس الرابع » قد أقام لوحته الأولى والثانية لغرضين : الأول ليبرر اعتلاءه عرش الملك برا منه بوعده للإله « بوهول » الذى كان يمثل إله الشمس والذى مناه بتولى عرش الفراعنة الذين يعدّ كل منهم نفسه وارث « رع » فى أرض الكنانة ، والثانى لينفذ فكرة إعادة عبادة الإله « رع » فى صورته الجديدة التى بدأت تأخذ شكلا خاصا فى أذهان الفراعنة ، وتتمو تدريجا حتى أخذت صورتها النهائية فى عهد « إخناتون » كما سنرى بعد .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن اسم « خفرع » الذى ينسب إليه نحت تماثال « بوهول » قد ذكر فى نقطة مهشمة من لوحة « تحتمس الرابع » الكبرى ، ولذلك لا يمكننا أن نفضى بأى رأى عن سبب ذكره هنا . وكل ما يمكن إثباته فى هذا الصدد هو أن « تحتمس الرابع » لم يرع حرمة معبد « خفرع » إذ أن قطعة الحجر التى نقشت عليها اللوحة كانت مغتصبة من أحد جدران معبد الذى أقامه لهذا الإله بعينه ، ومن المحتمل جدا ، أن « تحتمس الرابع » نفسه لم يعرف كثيرا عن هذا المعبد الذى كان مطمورا فى الرمال عندما أقام لوحته أمام تماثال « بوهول » .

حروب تحتمس الرابع : يدل ما لدينا من الوثائق حتى الآن على أن « أمنحتب الثانى » لم يقم بحروب بعد حملته الثانية المؤرخة بالسنة التاسعة من حكمه ، والظاهر أنه قضى البقية الباقية من حياته فى هدوء وسكينة ملتفتا إلى تنظيم أحوال البلاد الداخلية . وفى هذا الوقت حدث تقدم جديد فى الفتح من جانب مملكة « متنى » فى شمالى « سوريا » ، والظاهر أن المصريين لم يقوموا بمحاولة لصدّه ، فضلا عن ذلك عقدت معاهدة مودة وصداقة بها نظمت الحدود بين البلدين .

ولما تولى « تحتمس الرابع » الحكم قام بحملة على شمالى بلاد سوريا (نهرين) ، غير أن الوثائق المباشرة التى تحدثنا عن هذه الغزوة لم يكشف عنها بعد . ولا بدّ أنها

قد دؤنت على لوحة أو لوحات كما كان يفعل والده وجده العظيم «تحتمس الثالث»؛ غير أنه قد ترك لنا قائمة بالقرايين التي قدمها للاله في معبد «الكرك» بعد عودته من انتصاراته في هذه الأصقاع، وقد أشار فيها إشارة عابرة تدل على قيامه بالحملة الأولى في تلك الجهة، فقد ذكر أن بين هذه القرايين أشياء (قد استولى عليها جلالتة من بلاد «نهرين»... الخاسي في حملته الأولى المظفرة) راجع؛ Mariette, "Karnak", P. 32. (Breasted, A. R. II, § 816.)

وقد أشار إلى أخبار هذه الحملة أحد رجال حرس الفرعون المسمى «أمنحتب» في نقوش لوحة قبره (راجع Sharpe, Breasted, A. R. II, § 818; "Inscriptions", I, P. 93.)

حيث يقول : تابع الفرعون في حملته في الأقاليم الجنوبية والشمالية، ذاهبا من «نهرين» الى «كاراي» في ركاب جلالتة عند ما كان في ساحة القتال، ورفيق قدى سيد الأرضين، ورئيس اصطبل جلالتة، وكاهن الإله «أنوريس» الأكبر «أمنحتب المرحوم» .

ومعلوماتنا عن نتائج هذه الحملة أنه قد أنحد كل الثورات التي قام بها الأمراء التابعون له ثم حاد عن طريق «لبنان» حيث أجبر الأمراء هناك على تقديم مقدار عظيم من خشب الأرز لبناء سفينة «آمون» المقدسة . ولما وصل إلى «طيبة» أسس مستعمرة للأشوري الذين أحضرهم على ما يظهر من «جزر» «بفلسطين» في ساحة معبده الجنائزي الذي أقامه بجوار معابد أجداده على ضفة «طيبة» الغربية .

ويؤكد ما ذكرناه ما جاء في منظر قبر «خع ام حات»^(١) الذي كان يعد من كبار أشراف هذا العصر كما كان رئيس الخزانة في عهد «تحتمس الرابع»

(١) قبر هذا الأمير منحوت في محفور «جبانة شيخ عبد القرنة» في «طيبة الغربية» (رقم ١٢٠) .

(راجع Loret, "La Tombe de Kha-m-ha", Mission Arch. Franç. I, pp. 113-132.) وهذا القبر قد خربه الأهالي وأخذت نقوشه وبيعت لتجار الآثار من الأوربيين ويوجد جزء كبير من هذه النقوش في «برلين» .

و « أمنتب الثالث » . ومن بين مناظر قبره منظر من عهد « تحتمس الرابع » يرى فيه هذا الفرعون جالسا في محراب من جهة الشمال وخلفه أوان من الصنامة الأسبوية الفاخرة من الذهب والفضة وكميات عظيمة من هذين المعدنين في هيئة حلقات ، وخلف هذه يشاهد أمراء أسبويون منحنين حتى الأرض ، وقد نقش فوقهم المتن التالى : ” إحضار جزية « نهرين » بأمراء هذه البلاد لأجل أن يلحوا فى طلب منحهم نفس الحياة . الخضوع لرب الأرضين العظيم ، عندما يأتون حاملين جزيتهم لرب الأرضين قائلين : امنحنا النفس الذى تعطيه يا أيها الملك العظيم “ .

وكذلك نجد منظرا مماثلا فى مقبرة الضابط « ثانى » يرجع إلى عهد هذا الفرعون وقد جاء فيه : (راجع Scheil, “Tombeaux Thebains”, Mission Arch. Franç. V. P. 601.) . ” إحضار جزية بلاد « رتنو » وتقديم الأقاليم الشمالية ، الفضة والذهب والفيروز وكل حجر ثمين من أرض الإله من أمراء كل الأقطار . لقد حضروا ليقدموا هدايا للإله الطيب وليتمسوا نفسا لأنوفهم بواسطة كاتب الفرعون الحقيق ومحبيه قائد الجنود وكاتب المجتدين « ثانى » “ .

وقد أقام هذا الفرعون لوحة صغيرة فى معبده الجنازى فى طيبة الغربية تحدثنا عن استيطان السوريين ساحة المعبد المسورة : ” استيطان قلعة « منبرورع » بأهل « خارو » الذين أسرم جلالته فى بلدة « غزا » جيز “ (راجع Petrie, “Six Temples”, I, P. 7.) . وخشب الأرز الذى أحضره جلالته ذكر على المسلة القائمة الآن فى « روما » حيث يشير الفرعون إلى خشب الأرز الذى قطعه فى بلاد « رتنو » (راجع Breasted , A. R. II § 838.) ، وكذلك جاء ذكره على لوحة « سمن » (Smn) المحفوظة بمتحف « اللوفر » (راجع De Rouge, “Notice des Monuments”, P. 153. and Text, Brugsch, “Thesaurus”, VI, 1461, No. 113.) (Louvre C-202.) .

وفى هذه اللوحة قد ذكر هذا الفرعون مرتين أنه فاتح « سوريا » مما يدل على أنه قام فى هذه الجهات بحروب مظفرة .

والظاهر أن الفرعون لم يكد يستقر به المقام في عاصمة ملكه حتى اضطرت له للقيام ثانية الثورات في بلاد « واوات » ، وقد كان في تلك الآونة مشغولا بالاحتفالات بعيد معبد « طيبة » في اليوم الثاني من شهر « برمودة » عندما وصل إليه خبر العصيان الذي اندلع في « واوات » . ففي اليوم الثاني ذهب الفرعون في الصباح المبكر في موكب حافل ليستخير الإله ويتلقى منه الوحي بما عساه أن يفعل وقد بشر فعلا بالنصر . وقد قامت الحملة نحو الجنوب في سفن أعدت لها ، وكان الفرعون يضرب مرساه في طريقه عند كل معبد عظيم حيث كان الآلهة يخرجون لاستقبال جلالته ويشدون أزره لملاقاة العدو في ساحة الوغى وبخاصة الإله « ددون » إله تلك البقاع الخاضع ، وقد التقى الفرعون بالعدو في مكان ما في بلاد « واوات » وانتصر عليه وعاد بأسلاب كثيرة ، وقد وضع الفرعون الأسرى الذين استولى عليهم وعاد بهم من تلك الجهات في معبده الجنائزى في « طيبة » الغربية ، وقد علم المكان الذي وضع فيه هؤلاء الأسرى بلوحة نقش عليها ” مستعمرة أهل بلاد « كوش الخاضعة » وهم الذين ساقهم جلالته من انتصاراته “ وهاك نص لوحة « كونسو » التي تحدثنا عن هذه الحملة (راجع L. D. III, Pl.69e) : ” يعيش « حور » . (ثم يأتي بعد ذلك ألقاب الفرعون) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر ورع » معطى الحياة مخلدا . السنة الثامنة الشهر الثالث من الفصل الثانى اليوم الثانى “

إعلان العصيان : ” تأمل ! لقد كان جلالته في المدينة الجنوبية في بلدة « الكرنك » ، وقد كانت يداه مطهرتين بظهور ملك ، وقد أدى الاحتفالات التي تسر والده « آمون » لأنه وهبه الأبدية والخلود بوصفه ملكا موطدا على عرش « حور » . وقد حضر إنسان ليقول لجلالته : إن الأسود قد انقض من أعالي « واوات » وقد دبر العصيان على مصر . وقد جمع لنفسه كل المتوحشين وعصاة الأقاليم الأخرى “ .

وحى آمون : ” فذهب الملك في سلام إلى المعبد وقت الصباح ليجعل القربان العظيم يقدم لوالده المصور بجماله . تأمل ! لقد أتى الفرعون نفسه أمام حاكم الآلهة « آمون » لينصحه في أمر ذهابه وليخبره عما سيحدث له ، مرشدا إياه إلى الطريق السوى ليفعل ما يرغب فيه ، كما يتكلم والد لابنه وقد خرج من عنده فرح القلب ... لأنه شبعه بالقوة والنصر “ .

سير الحملة جنوباً : ”وبعد ذلك سار جلالتة ليهم السود في بلاد « النوبة » وهو قوى البأس في سفينته ... مثل « رع » عند ما يشرق في سفينته السماوية ... وجيشه الذي ينتصر به كان معه على كلا الشاطئين في حين كان المجندون الجدد على شاطئ واحد ، وكانت السفينة (أى السفينة الملكية) مجهزة بالجرس عند ما كان الفرعون يسير نحو الجنوب مثل « نجم الجوزاء » ، وقد أضاء الجنوب بجماله . وكان الرجال يهتفون لما رأوا من شفقتة والنساء يرقصن للرسول (؟) وقد كان الإله « متو » في « أرمنت » يحفظ كل عضو من أعضائه والإله « اررق » كانت قائدة (أمامه) ، وكل إله في الجنوب كان يحمل ... أمامه . والإله « نخت » البيضاء صاحبة « الكاب » كانت تزين رأس جلالتة بعصايق ويداها كانت خلفي (لجأيته) وقد غلت لى الأقواس التسعة جميعاً ... وسوت عند مدينة « ادفو » ، وقد خرج إلى الإله الجليل لمقابلة الفرعون مثل الإله « متو » في كل صورة عتشفاً أسلحته وعدته وهاتجا مثل الإله « ست » صاحب « كوم امبو » “

الواقعة : ”وقد جاء إليه جيشه العظيم العدد ... بسيفه الجبار ، وقد استولى الرعب منه على كل نفس ، وقد وضع الإله « رع » الرعب منه بين كل الأراضى مثل « نخت » في سنة الندوة (الوباء) ؛ وقد سار بعربته في داخل الهضبة الشرقية وشق الطرق كأنه الفهد ، ... وقد وجد كل أعدائه مبشرين في الوديان الوعرة المسالك ... “.

وهذا الوصف للوقعة ربما نجده مصوراً على عربة حربه التي بقى لنا جزء منها إذ نشاهده على عربة حربه هذه ومعه قوسه (وبلطة) حربه مثل الشبل يودى بأعدائه (راجع صورة هذه العربة في Carter and Newberry, “The Tomb of Thoutmosis IV”, P. 24, & Pls. IXff .

آثار تحتمس الرابع : بقى « تحتمس الرابع » في استغلال مناجم شسبه جزيرة « سيناء » على غرار سلفه فقد وجد اسمه على بعض المباني والصور هناك (راجع Petrie, “Researches in Sinai”, P. 107, 156, 157, ibid. fig. 148) (8; Gardiner and Peet, “Sinai”, I, Pls. VIII, 208. XII, 207; وفي منف وجد له عقد (بوابة) عليه اسمه (راجع Quibell, “Excavations at Sakkara,” (1910) P. 3.

ومحراب على لوحة (راجع Petrie, "Memphis", VI, Pl. IV, P. 12)
وقطع أساس (راجع A. S. III, P. 25).

وفي كوم الحصن وجد له جمران جميل الصنع في الحفائر التي عملت في هذه
الجهة حديثا (تقرير مصلحة الآثار)، وفي العرابة المدفونة عثر له على جذع تمثال
من الحجر الجيري الأبيض السليسي وقد كتب الاسم على الحزام (Mariette, "Abydos", P. 350).

وفي «دندرة» لا تزال توجد في المعبد قطعة من آثاره كتب عليها اسمه (راجع
Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens" (Leipzig 1865-1885)).

أما في الكرنك فلا تعرف مبان أصلية لهذا الفرعون ولكنه نقش مناظر
أضيفت للبوابة الرابعة، وقد اختفت المارضة الجنوبية (والعتب) أما العارضة
الشمالية فتوجد نقوشها على جانبيها الغربي والشمالي؛ ويقول «صريت» على أية حال إن
هذا الجزء قد أعاد نقشه الملك «شباكا» (راجع Mariette, "Karnak", P. 28;
L. D. III, Pl. 69 d).

وكذلك نقش هذا الفرعون قائمة بالمطابا التي قدمها «لامون» بعد عودته
من حملته الأولى في بلاد «آسيا» على الواجهة الشرقية للحائط الذي أقامه
«تحتمس الثالث» حول مسلة «حتشبسوت» ليخفي نقوشها، وكذلك ذكر تماثيل
بلته وله، كما أقام تماثلا ضخما لنفسه أمام (بوابة) «تحتمس الأول» (Wiedemann, "Geschichte", P. 378).

وكذلك عثر له على تماثيل في «الكرنك» (راجع Legrain, "Statues", 1-42080).

وفي «الأقصر» عثر له على لوحة (راجع Lacau, "Cat. Stele", No. 34021).
وفي «القرنة» أقام لوحة لوالده «أمنحتب الثاني» (راجع A. S. IV, P. 128-32).

ولوحة يتعبد فيها للإلهة « ارايتيس » (Arathis) (راجع Six, Petrie, "Temples", Pl. VIII. •

وكذلك أقام في « القرنة » معبده الجنازى ولكنه خرب ولم يبق منه الآن إلا بعض بقايا من القطع التي عليها نقوش. وكذلك عثر على جزء من رأس ضخم له . وفي الأقصر نجد صورة الملكة « موت مويا » زوج هذا الفرعون ممثلة مع ابنها العظيم في طفولته ولكن لا نجد لها مع الملك وذلك لأن الفرعون « أمنحتب الثالث » تنسب أبوته مباشرة للإله « آمون » (راجع "Mission Arch. Franç." XV, Figs. 203-4. •

وقد بدأ هذا الفرعون إقامة معبد مدينة « الكاب » وأتمه وحده، وهو الذى يقول فيه : " تأمل ! لقد عمل هذا لجلالة الملك « ماعت نب رع » المجل آثار والده الإله الطيب « منخبرورع » المسمى الخالد الأبدى (L. D. III. Pl. 80 b.) " . وفي « أسوان » وجدت لوحات عليها اسمه (راجع Cat. De Morgan, "Mon." PP. 66, 73, 45, 90, 84. •

وفي « إلفنتين » نقش اسمه على بعض قطع من المعابد (راجع De Morgan, "Ibid, P. 115. •

وفي « امدا » ذكر اسمه في نقوش المعبد (راجع Weigall, "Lower Nubia" Pl. IV, 2. وفي « حلفا » وجدت لوحات عليها اسمه (راجع P. S. B. A., (1894) 17, 18. • وكذلك ذكر اسمه في معبد « بوهن » (راجع Maciver and Woolley, "Buhen", P. 96. •

وكذلك وجد اسمه في « أريكا » (راجع Maciver and Woolley, "Areika", P. 5. •

وفي « كونسو » أربعة آثار من حكم هذا الفرعون نشاهده فيها يضرب السود أمام آلهة « النوبة » « ددون » و « حى » وخلفه تقف ملكة تلقب بالبنت

الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية (راجع L. D. III, Pl. 69 b) واسمها كتب بصورة الصل على علامة « نب » ويقراً « عرات » ، ولما كانت هذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها اسمها فمن المحتمل أن يكون هذا رمزاً للملكة المؤلمة ، ويمكن أن يشير إلى الملكة « موت موبا » . وخلافاً لذلك يوجد نقش طويل نشر منه عشرون سطراً الخ كما ذكرنا آنفاً .

وفي أمدا (Amada) يوجد لهذا الشرعون أعمال كثيرة ، فقد ذكر اسمه على عقود (بوابات) المعبد (L. D. III, Pl. 69 f.) Champollion "Notices", 96-100. وكذلك نشر له مناظر (L. D. III, Pl. 69, g, h, i.) وكذلك توجد صورة الفرعون (راجع Champollion, "Monuments", 45, 6) .

وله آثار عدة في جبل « بركل » Reisner, "The Barkal Temples" in 1916", J. E. A. (1918) P. 100. فقد أقام معبداً لا تزال بقاياه هناك . أما آثاره الصغيرة فله أشياء كثيرة منها لوحة من أثاث قصره من المرمر (راجع University College) ، وفي أبواب الملوك وجد له إناء من المرمر (راجع A. S. IV, P. 45) ، وكذلك عثر له على قطعة من إناء من المرمر . (راجع Nash, "Notes on Some Egyptian Antiquities", P. S. B. A., XXIX, P. 175

أما جعارينه : فيوجد منها عدد عظيم أهمها واحد رسم عليه صورة ابنه الأمير « تحتمس » (راجع Tyzkiewicz Coll.; Wiedemann, "Geschichte", P. 378.) كما يوجد له جعارين نقش عليها حمل مديح مثل « تحتمس الرابع » الفنى المظاهر ، أو « نفاكل الأراضى » أو « مؤسس الآثار » . وقد عثر له كذلك على خاتم من الفخار المطلق وهو أقدم ما عثر عليه من هذا النوع (راجع Petrie, "History", II, P. 171, figs. 107, 108, 109.) وله جعران (راجع Chassinat, "Note sur Deux Scarabees", Rec. Trav. XXXIX, P. 110.) . وتعتبر الأعمال الخاصة التي عملت في هذا العهد أدق صنعا من الآثار العامة الباقية .

أسرة الفرعون « تحتمس الرابع » : يحيط بأسرة هذا الفرعون شيء من الغموض والإبهام لقلة المصادر التي توضح لنا معرفتها بصورة جلية وكل ما نعرفه من النقوش التي وصلت إلينا أنه تزوج من ثلاث نساء أهمهن الملكة « موت مويا » ومعنى الاسم الإلهة « موت » في السفينة المقدسة .

آثار « موت مويا » : ومن الآثار التي تنسب إليها سفينة مقدسة نحتت من الجرانيت الجميل ، طولها سبعة أقدام ، وقد نقش عليها اسمها وألقابها (راجع B. Mus. Arundale and Bonomi, "Gallery", P. 34.) ومن المحتمل جدا أن هذه السفينة كانت في الأصل موضوعة في معبد ابنها « أمنحتب الثالث » بالأقصر (راجع "Mission Arch. Franç". XVI. P. 63-67.) .

وكذلك عثر لها على تمثال ضخم في « دندره » (راجع Weigall, "Guide" P. 34.) كما يوجد لها رأس من الجرانيت (راجع Budge, "Sculpture" P. III.) . أما زوجه الثانية فهي « نفرتاتي » وقد عثر لها على جعران موجود الآن في مجموعة « بترى » في « ينفرستي كوليج » (راجع Petrie "Scarabs and Cylinders", XXX) وزوجه الثالثة تدعى « صرات » وتلقب الابنة الملكية والأخت الملكية والزوجة العظيمة (L. D. III, Pl. 69 e.) .

وقد سميت بهذا الاسم تبركا باسم الإلهة السورية « أرائيس » (Arathis) (راجع Justen XXXVI.) ، أما أولاد تحتمس الذكور فلا نعرف منهم إلا ثلاثة غير « أمنحتب الثالث » الذي خلفه على العرش . أولها « تحتمس » الذي عثر له على تمثال صغير (راجع Benson and Gourlay, "Temple of Mut in Asher", P. 328.) أما الثاني فيدعى « أمنمات » وقد عثر له على بطاقة باسمه (راجع P. S. B. A., XXV, 360.) وكذلك جاء ذكره في قبر « حور محب » (راجع Mission Arch. Franc. V, P. 434, Pl. II,) وابنه الثالث يدعى « أمنمحات » ويوجد له في المتحف البريطاني أواني أحشاء (راجع Cairo Mus. 46037-9)

وجاء ذكره في قبر والده «تحتمس الرابع» (راجع Carter and Newberry, "Tomb of Thothmosis IV" P. 6).

بناته : ترك هذا الفرعون عدة بنات عرف منهن تسع جاءت أسماؤهن على بطاقات من الخشب وقد كنّ ينسبن خطأ للملك «تحتمس الثالث»، ومن المحقق الآن أن والدهن هو «تحتمس الرابع» (راجع Birch, "Two Rhind Papyri" Pl. XII; A. Z. XXI, P. 142). وله ابنة غير هؤلاء الإناث تدعى «توت آمون» (Theutamon) وجد لها أواني أحشاء (راجع Cairo Museum. 46046) كما ذكر اسمها في قبر والدها «تحتمس الرابع» (راجع Carter and Newberry, Ibid). وله ابنة أخرى تدعى «تاعا» وجد لها أواني أحشاء (راجع P. S. B. A., XXV, 359). كما ذكر اسمها في قبر «حامل خاتم» (ibid 359).

وفاة «تحتمس الرابع»: والظاهر أن آخر عمل صالح قام به «تحتمس الرابع» هو إقامة مسلة جده «تحتمس الثالث» التي نقشها وبقيت ملقاة في مكانها خمسة وثلاثين عاما كما ذكر لنا «تحتمس الرابع» نفسه (راجع الجزء الرابع ص ٤٥٩)؛ ثم صعد بعدها إلى السماء وهو لا يزال أخضر العود غص الإهاب، وكانت مدة حكمه لا تزيد على ثمانية أشهر وتسعة أعوام كما ذكر لنا «مانيتون»، وقد دُفن في مقبرته التي أعدها لنفسه في وادي الملوك، ثم نقل منها في عهد الفوضى التي حدثت في نهب قبور الملوك والعظماء في أثناء البحث عن الكنوز في عهد «رعمسيس التاسع»، وقد أودع هو وابنه العظيم وغيرهما من الفراعنة العظام في قبر «أمسحتب الثاني»، وبقي في هذا المكان إلى أن كشف العالم «لوريه» عن قبر الأخير في عام ١٨٩٨ م. أما قبره هو فكان أول سلسلة من القبور الملكية التي كشف عنها «ثيدورديفيز» وفتح في عام ١٩٠٨. وكان بطبيعة الحال قد نهب في الأزمان القديمة، ولكن مع ذلك وجد فيه عدة قطع أثاث لها أهميتها وبخاصة عربة حربه التي كسى جزؤها الخشبى بالكثان ووضع عليه طبقة من الجص نقش عليها مناظر حرب بالنقش الفائر. وتعدّ

من أحسن القطع الفنية التي ورثناها من عهد الإمبراطورية المصرية، وبخاصة رسم أول موقعة حربية عرفناها من عهد الإمبراطورية . وعلى الرغم من أن مدة حكم هذا الفرعون كانت قصيرة المدى فإن مصر بدأت في عهده سياسة جديدة عادت على البلاد في المستقبل بنتائج مباشرة وثير مباشرة على أعظم جانب من الأهمية في مد سلطانها وتكوين إمبراطوريتها العظيمة . وتلك كانت سياسية التحالف التي عقدت بين « مصر » وبلاد « متني » ، وهي التي قد وطدت أركانها بزواج الفرعون من أميرة « متنية » الأصل . وهذه أول مرة نعرف فيها أن ملكا مصرية تزوج من أميرة أجنبية .



(٢) تخلص الرابع وزوجه « تي ما »

وقبل أن تنتقل إلى حكم العاهل العظيم « أمنحتب الثالث » يجدر بنا أن نلقى نظرة عامة عن علاقة « مصر » بالدول المجاورة التي كانت قد أخذت تظهر في الأفق بصورة بارزة .

علاقات مصر بالدول المجاورة

لقد كان من جراء توطيد سلطان مصر في أنحاء الامبراطورية التي أسسها « تحتمس الثالث » محد السيف ، ثم حافظ على مكانها من بعده ابنه « أمنحتب الثاني » بما أوتي من قوة وعزيمة أن ساد السلام بعد حكمهما جيلين من الناس . وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يدر بخلد أى عاهل جاء بعدها توسيع رقعة امبراطوريته بعد « نهر الفرات » في داخل آسيا . وقد خلق هذا الجوّ العالمى الذى كان يسوده روح السلام علاقات الودّ والمهادنة بين الفراعنة وملوك الأمم العظيمة المجاورة للعاهلية المصرية ؛ ولذلك كانت المراسلات التي تدور بين مصر والأمم التي حولها منعمة بالمحبة الخالصة والود الصادق ؛ حتى أن فرعون مصر كان يخاطب أنداده كما يخاطب الأخ أخاه والصديق الحميم صديقه حتى ارتفعت بينه وبينهم كل التكاليف الرسمية . ولذلك تقرأ في المكاتبات التي كانت تدور بينه وبينهم أن الفرعون كان يرجو لهم كل خير كما كانوا يحبونه راجين له كل فلاح . ولكل أهل بيته وعظاء دولته وحتى خيله وعرباته وبلاده كل خير وسعادة . ولقد كانت هذه المجاملات بين الفرعون وأصدقائه من ملوك الأمم الأخرى مرعية لدرجة عظيمة جدا ، حتى أن ملك بابل المسمى « بورنابور ياش » (Burnaburias) عتب على « أمنحتب الرابع » وعلى زوجته « نفرتيتي » في رسالة مظهرها ألمه الشديد لإهمالها السؤال عنه وهو طريق الفراش . وقد جاء ردّ فرعون مصر على هذا العتب رقيقا مهذّئا لخاطر صاحبه إذ اعتذر إليه في أدب جم قائلا : ” إنه لم يعلم بمرضه وأن بعد الشقة بينهما كان السبب الوحيد في عدم معرفته المرض الذى أصابه “ .

(راجع Mercer, “The Tell Amarna Tablets,” Vol. I. P. 21. No. 7.)

وقد كانت العادة المتبعة في المراسلات بين هؤلاء الملوك أن تبدأ الرسالة بذكر اسم المرسل إليه ثم يذكر اسم المرسل بعد ، غير أنه عثر على خطاب جاء فيه لفت نظر لمرعاة آداب الكتابة في هذه النقطة . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن الرسالة وصلت إلينا مهشمة ، فلم نقف على حقيقة محتوياتها ومراميها (راجع Am. 42, 15) فقد جاء فيها لماذا وضعت اسمك فوق اسمي ؟ غير أننا لا نعلم علاقة ذلك بما جاء في باقى الرسالة .

المصاهرة : وكان من أهم روابط الودة والمصافاة بين ملوك هذا العصر المصاهرة غير أنها لم تقم على قدم المساواة بين مصر وجيرانها وحليفاتها على وجه عام . وذلك أن ملوك مصر كانوا يستحلون لأنفسهم الزواج من بنات الملوك حلفائهم . وفى الوقت نفسه كانوا يحرمون بناتهم على الأمراء الأجانب مهما كانت منزلتهم ومهما عظم سلطانهم . ولقد كانت العادة المتبعة فى عهد ملوك الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة فى عهد النصف الثانى من حكم فراعنتها أن يتزوج الفرعون عند اعتلائه العرش من بنت أو أخت أحد الملوك العظام المصادقين له . وقد ضرب « أمنحتب الثالث » الرقم القياسى فى هذا المضمار ، إذ كان من بين نساء قصره عدة غانيات من الأميرات الأجنبية اللاتى بنى بهن . فنعلم أنه تزوج من أخت ملك بابل المسمى « كاداشما نخرب » ثم بنى بأخته أيضا . وكذلك تزوج من أخت ملك متنى « دوشرتا » ثم من أخته هذا إلى أنه تزوج من بنت ملك « أرزاوا » المسمى « تارخونداراب » وهو أحد أمراء سوريا . وعلى الرغم من إسرائفه فى الزواج بأجنبيات لم يرض أن تكون واحدة منهم ملكة شرعية على عرش البلاد . بل تزوج من إحدى بنات الشعب وفضلها على كل الأجنبيةات متخذاً إياها ملكة شرعية على أريكة مصر .

ولما سؤلت نفس ملك بابل المسمى « كاداشمان إنليل » له ، أن يطلب الزواج بأميرة مصرية ، كان جواب الفرعون « أمنحتب الثالث » له أن قال : " إنه

منذ القدم لم تعط بنت فرعون إنساناً“ . فأجابه ملك بابل على هذا قائلاً : ”لماذا ؟ إنك ملك ولك أن تفعل كما يحب قلبك فإذا أعطيتها (أى الأميرة المصرية) فن ذا الذى يجسر أن ينسب بأية كلمة ؛ وإذا لم ترسل أحداً فإن ذلك يعنى أنك لا ترعى أية حرمة للإخاء والصداقة ... ولأى سبب لا يرسل لى أخى زوجة ؟ وإذا لم ترسل أحداً فإنى سأفعل مثلك وأمتنع عن إرسال زوجة لك“^(١) .

والواقع أن الفرعون المصرى على الرغم مما بينه وبين ملك «بابل» من علاقة طيبة كان يأبى أن تتضاءل نفسه وتترل من عليائها ويجعل الدم الإلهى المصرى يختلط بدم أجنبي آخر خارج بلاده . ومع أن هذا الامتناع من جانب الفرعون كان يغضب أحياناً أصدقاءه من الأمراء جيرانه ، إلا أنه كان من جهة أخرى فى يده سلاح آخر قهار يجعلهم يأتون إليه صاغرين متزلفين . بل كان يجعلهم طوع بنانه ذلك السلاح هو الذهب الذى كانت تزخر به «مصر» وتجمعه من ممتلكاتها بالقناطير المقنطرة، وقد كان نادراً فى البلاد الأخرى ، مما جعل الأمراء يتهافتون للحصول عليه ؛ فقد كتب «دوشرتا» ملك «منى» للفرعون يقول : ”إن الذهب فى مصر مثل التراب فى غزارته“ من أجل ذلك كان يلح فى طلبه ليرسل إليه الفرعون ذهباً لا يحصى (راجع Mercer, Ibid:19, 61; 20, 52, 71; 26, 41, 20, 136) وكذلك كان ملك «بابل» يلتمس من الفرعون دائماً، بل يلحف فى طلب الذهب لإنجاز ما كان يقوم به من الأعمال . ومن الغريب أن أحد هؤلاء الملوك كان يحرص على أن يكون ما يرسل إليه من الذهب فى شكل سبائك ليعرف مقدار صفائه وعدم غشه . والواقع أن كثيراً من أولئك الملوك قد شكوا من الذهب الذى أرسله الفرعون إليهم ، محتجين بأنه لم يكن ذهباً نظاراً ، بل كان يحتوى عناصر أخرى تقلل من قيمته (راجع Am. 7, 70; 10, 18) . وكان ملك «آشور» يطلب الذهب ليستعمله فى زخرف مباني قصره وتزيينه (راجع Am. 16, 14 ff: 19 ff) ؛ أما ملك «الآشيا» (قبرس) ، فكان متواضعاً فى طلباته لأنه كان يعد نفسه من أتباع الفرعون، ولذلك

(١) راجع : Mercer, Ibid. No. 4.

كان يطلب إليه فضة، ثم يلح في طلب زيت لشدة حاجته إليه في بلاده . وفضلا عن ذلك كان تيار تبادل الهدايا بين ملوك « آسيا » « ومصر » لا تنقطع أسبابه ، ولا أدل على ذلك من القوائم المملوءة بأنواع السلع المتبادلة بين ملوك مصر وملوك آسيا العظام . وقد جاءت هذه القوائم مفصلة مبينا فيها مقادير الهدايا كما ذكرت لنا أسماء القواد الذين كان يكلفون حملها . وكذلك ذكرت فيها أسماء الغواني اللاتي كن يرسلن هدايا للفرعون . ومن هذه القوائم نعلم أن « بابل » كانت مختصة بإرسال « اللازرد الأزرق » الذي كان المصري يعد الحصول عليه مغنا عظيما لندرته في بلاده . أما « قبرص » فكانت بالإضافة إلى ما تصدره من سن الفيل تشحن إليها الأخشاب والحبوب وكميات عظيمة من النحاس الذي كان يوجد فيها بمقادير وفيرة . وتقص علينا الآثار أن مقدار النحاس الذي كان يرسل إلى مصر من قبرص قد قل وتضاءل وأن السبب في ذلك يرجع إلى أن يد « رجال » « إلهة الطاعون » قد أودت بحياة زجال ملك « قبرص » ، بل اختطفت حياة ابنه مما أدى إلى شل حركة استخراج النحاس ولهذا السبب نفسه بقي رسول الفرعون الذي أرسله لهذا الغرض في قبرص مدة ثلاثة أعوام (راجع Am. 35,8) .

أما مملكة « كاردونياش » أي (بابل) فقد كانت العلاقات بينها وبين مصر تسير على أحسن ما يرام منذ عهد ملكها « كاراينداس » الأول (Karaindas) وهو الملك السادس عشر بالنسبة لترتيب أسرة الكاسيين (راجع Am. 10; 8) (١٤٥٠ - ١٤١٥ ق م) وهو أحد أخلاف ملوك « سنجار » (بابل) التي سجل « تحتس الثالث » على آثاره الهدايا المقدمة إليه من أميرها . وكذلك في عهد « أمنحتب الثاني » . ويعتد اعتلاؤه عرش بابل خاتمة فترة طويلة مجهولة من تاريخ هذه البلاد يبلغ مداها حوالي مائتي سنة، وقد بدأ منذ عهده يكشف أمامنا عن تاريخ هذه البلاد بعض حقائق ضئيلة . فقد عثر على آجرة كتبت بالخط المسماري في معبد « إنا » للإله « نانايا » صاحب « أوروك » (Uruk) نعت فيها بالملك القوى

« ملك بابل » وملك « سومر » « وآكاد » وملك « كاششو » (Kassu) وملك « كاردونياش » (Kardunias) . ويلاحظ في القاب هذا الملك أنه قد حرص فيها على ذكر السلالات الهامة التي يسيطر عليها ، وهو في ذلك يختلف عن ملوك الأسر القديمة ؛ على أن معظم أخلافه من ملوك الأسرة الكاسية ، كانوا لا يحملون لقب ملك على الرغم من أنهم كانوا دائما الطبقة التي يتألف منها المحاربون وأصحاب السيطرة على البلاد . ومهما يكن من أمر فإن الدولة كانت في ظاهرها آخذة دائما في التكمص بالثوب البابلي ؛ أما في الداخل فإنها لم تتخذ لونا جديدا في قوتها ، إذ كانت حركة التجارة تسير في مجراها القديم ؛ وكذلك كانت ثقافتها ومعتقداتها الدينية تتأثران طريقيهما القديمتين ؛ ولم يحدث في البلاد جديد في خلال مائة السنة الأخيرة من العصر الذي نحن بصددده ، وذلك على عكس البلاد المصرية التي كانت تسير بخطوات واسعة في كل فروع المدنية والثقافة ؛ وليس لدينا وثائق من هذا العصر نستطيع بها أن نرسم الخطا التي كانت تنزلق فيها بلاد « بابل » نحو الهاوية السحيقة التي أودت بها إلى الحضيض .

والواقع أن الدور الذي لعبته « بابل » على مسرح التاريخ العالمي ، قد أسدل عليه الستار في أواخر الأسرة الأولى من تاريخها ؛ وكل ما أنقت عليه لنا يد الدهر بعد ذلك ، لا يتجاوز التقاليد الجامدة ، التي ظلت تترنح ثم تنكش وتذبل حتى يبت وأمسست هشيا التهمته نار الزمن من أجل ذلك لم يكن في الحسبان قط أن تسنيقظ من سباتها العميق ، وتطفر طفرة فتية خارج عقردارها ، بل ظلت قابعة منكشة في مهدها راضية بنصيبها ؛ ولذلك لما رغب « الكنعانيون » في القيام بثورة على الحكم المصري وولوا وجوههم شطر « كاريكالوزا الثاني » (١٣٩٠ — ١٣٧٥ ق م) وهو ثاني أخلاف الملك « كاريينداش » ليأخذ بناصرهم في عصيانهم هذا ، أبي إجابة مطلبهم ، فكان ذلك مما رفع منزلته في عين الفرعون ؛ بل زاد في توثيق عرا الصداقة بين البلدين (راجع Am. 9, 19) .

أما عن مملكة « إلام » وعلاقتها بالأمم المجاورة فليس لدينا أية معلومات عنها في هذا العصر .

وفي تلك الفترة كان « باتيسى » (كاهن بلاد آشور) يسيطر على من في حوض نهر « دجلة » حتى « دايالا » (Diala) وهو الإقليم الذى كانت تسيطر عليه مملكة «متنى» في الأزمان السالفة . وعلى ذلك لم يكن لحكام « بابل » أى مطمع في مد سلطانهم على هذا الإقليم ولذلك اكتفى « كاراينداس الأول » بعقد معاهدة بينه وبين « آشور بلنيتششو » (Assurbelnisesu) ملك آشور عام ١٤٣٠ ق م؛ كان أهم شرط فيها أن تبقى الحدود بين البلدين ثابتة .

وفي خلال تلك المدة ظهرت في عالم الوجود مملكة «متنى» أو «خانيجالبات» (Chenigalbat) قوية السلطان يجلس على عرشها الملك «ساوششتار» (Saussatar) الذى كان يعاصر الفرعون تحتمس الثالث . وقد حافظت على مكائنها وقوتها في عهد أخلافه؛ بل زادت في فتوحها وعظمتها وقد استمرت في طريقها هذه حتى قام الملك «مورسيل الثانى» عاهل مملكة «الخيتا» يناوئ ملكى «متنى» و «حلب» ويقلب لها ظهر المجن، لأنهما كانا قد أعلنا فيما مضى الحرب على ملك «الخيتا» «دودخاليا الثانى» وبخاصة على الملك «خاتوسيل» (Chattusil) حوالى عام ١٤٣٠ ق م . وقد كان موقف بلاد «الخيتا» في خلال هذه الفترة حرجا لأنها لم تفقد سيطرتها على سوريا وحسب بل انتزعت منها الأراضى الجبلية الواقعة في أعلى نهر «الفرات» وفي شرقى «آسيا» الصغرى

وكان إقليم «أشوا» (Isuwa) الواقع شرقى منحى نهر الفرات حتى منابع نهر «دجلة» منضما إلى مملكة «متنى»؛ هذا إلى أن سكان المقاطعات الواقعة شرقى إقليم جبل «طوروس» قد هجرها سكانها واستوطنوا الأراضى الواقعة في الجهة

(١) راجع : Albrecht Goetze, "Kizzuwatna & the Problem of Hittite Geography", (Map).

الأخرى من نهر الفرات ، يضاف إلى ذلك أن ملك « كيزواتنا » (Kizzuwatna) الواقعة في الشمال خليج إسوس^(١) ، قد نقض ميثاقه مع مملكة « خيتا » وانضم إلى مملكة « متني » .

ومما زاد الطين بلة ، وجلب انخية والارتباك في بلاد « خيتا » أن ملك « أرازوا » (Arzawa) الذي كان يمتد سلطانه على سهول « كلوكا » العليا (سلسيا) قد أبرم معاهدة مع مصر ، وكانت سهول « كلوكا » هذه تعد أخصب بقعة في آسيا الصغرى ، وكان لابد للملك « خيتا » أن يسيطر عليها إذا أراد الزحف على « سوريا » ، كما أن هذه البلاد بعينها كانت ضرورية لمصر إذا كانت تريد المحافظة على سلطانها في شمال « سوريا » ؛ ومن أجل ذلك أرسل « أمنتخب الثالث » الهدايا الثمينة إلى ملك هذه البلاد « تارخوندارابا » (Tarchundaraba) فطلب إليه أن يزوجه ابنته . ومما يلفت النظر في الرسائل التي دارت بين الفرعون وبين ملك هذه البلاد أنها لم تكن مدونة بالصيغة الرسمية المعتادة عند مخاطبة النذ للند ، فلم يخاطبه الفرعون بلفظة « أنى » ، هذا فضلا عن أنه وضع اسمه في أول الخطاب بدلا من اسم المرسل إليه كما جرت العادة وعلى حسب التقاليد الرسمية ، ويحتمل أن الفرعون « أمنتخب الثالث » قد اتهم مع « تارخوندارابا » هذا الموقف الشاذ لأن الأمير الذي كان يسيطر على هذا الإقليم كان يلقب « ابن الملك » أى نائب ملك « مصر » في هذه الجهات كما كانت الحال في بلاد « كوش » ؛ وكانت التقاليد تحتم على من يحمل لقب « ابن الملك » أن يخاطب الفرعون بالعبارة التالية : « سيدى ملك مصر ووالدى » . وقد أرسل أمير هذه البلاد رسوله الخاص مع سفير الفرعون العائد من بلاد « خيتا » مزودا بالهدايا المؤلفة من ستة عشر رجلا لوالده (أى لملك مصر) (Am. 44.) كما كان يخاطبه . وقد طلب إليه بطبيعة الحال أن يرسل إليه ذهباً مما تزخر به أرض « مصر » .

(١) راجع : Albrecht Goetze "Kizzuwatana & the Problem of Hittite Geography", (map).

والواقع أن هذا الأمير لم يكن من رعايا فرعون « مصر » ؛ فلم يكتب إليه بالصيغة التي كان يتحتم على التابع المصري أن يخاطب بها مليكه ، إذ كان لزاما عليه فيها أنه يقبل الأرض بين يدي سيده سبع مرات ، بل كان أميرا مستقلا في بلاده وتقع بلاده على وجه التقريب في إقليم « أمانوس » (جنوبي جبال « طوروس » وغربي أعالي نهر الفرات) .

أما مملكة « متني » فقد استمر السلام سائدا بينها وبين مصر منذ عهد « تحتمس الثالث » ولم يحدث ما يكدر صفو العلاقات بين البلدين بل على العكس ازداد توثق علاقات الود والمهادنة بينهما في عهد ابن « سوششاتار » المسمى « أرتاتاما » . وقد تزوج الفرعون « أمنحتب الثالث » أو « تحتمس الرابع » من ابنته بعد أن طلب يدها منه للمرة السابعة ؛ والظاهر أن ملوك « متني » كانوا لا يجيبون بالرضا عن زواج بناتهم إلا بعد لأي وتردد شديدين فقد طلب الفرعون « أمنحتب الثالث » إلى ملك « متني » « سوششاتار » البناء بأخته « جلوخيا » ست مرات ، وأخيرا تزوج منها في السنة العاشرة من حكمه عام ١٣٩٥ ق.م . وقد وصلت إلى مصر وفي ركابها سبع عشرة وثلاثمائة غادة من غواني بلاد « متني » ؛ وقد كان حادث هذا الزواج موضع نخاره حتى أنه سجله بطريقة مبتكرة ، إذ قد نقش تاريخ هذا الحادث المدهش على جعل كبير الحجم ونسخ منه صورا عدة كما يحدث ذلك الآن عندما يراد تخليد ذكرى أى حادث عظيم فيعمل طابع بريد خاص . ولقد كان غرضه أن يبقى تذكار هذا الحادث خالدا عند الأجيال المقبلة على أن « جلوخيا » لم تصبح ملكة « مصر » الشرعية لأنها أجنبية . وقد ذكر « أمنحتب الثالث » على هذا الجعران خوف اللبس اسم زوجته الشرعية الملكة « تي » المصرية المنبت ، كما ذكر اسم والديها على هذا الجعل التذكاري منوها بأنهما من عامة الشعب ، وأنه كان نخورا بهذا الزواج الخارج عن تقاليد بيت الملك .

(١) راجع : Albrecht Goetze, "Kizzuwatana & the Problem of Hittite Geography", (Map).

والواقع أنه على الرغم من المتزلة التي كانت تحتلها مملكة « متني » وما كان بينها وبين مصر من علاقات ودية وما كانت تمتدّها به مصر من الذهب الذي كانت دائماً في حاجة إليه فإن كل ظواهر أمورهما تدل على أنها كانت أقل مرتبة من مصر من كل الوجوه . فإنها لم تكن قد خطت خطوة واحدة نحو التقدّم في داخليتها إذ كان ينقصها الأسس المتينة في تكوينها الأصلي ؛ فقد كان معظم سكانها ليسوا من أصل « خاري » (متني) ؛ كما أن الوظائف الرئيسة فيها كانت في يد الطبقة العليا من « المارياني » وهم قوم من سلالة « آرية » ، هذا بالإضافة إلى أن العناصر التي كانت تتألف منها البلاد لم تكن متحدة في عقائدها الدينية إذ كان « الخاريون » من جهة يتعبدون للإلهين « تشوب » (Tesub) و « شميكي » (Simike) كما كانوا يعبدون الإله « شاوشكا » (Sau-ska) ، ومن جهة أخرى كانت تعبد في البلاد الآلهة الهندية ومن بينهم المعبودان « عشترت » و « شاماش » ، من أجل ذلك لما حدثت الاضطرابات التي أعقبت موت « دوشرتا » انقلب الخلاف الذي كان قائماً بين « الخاريين » أو (الحورانيين) وبين « المارياني » إلى حروب طاحنة سالت فيها الدماء .

ولا نزاع في أن رجال الفتيين قد قاموا في الماضي بأدوار تكاتفوا فيها سوياً ، وكان في مقدورهم أن يتعاونوا معاً عندما وقع « أرتاشوارا » (Artasuvara) ابن « شوتارنا » ضحية مؤامرة كانت نتيجةها أن تولى قاتله « تونخي » الوصاية على عرش البلاد بدلاً من « دوشرتا » الذي كان لا يزال قاصراً . غير أن « دوشرتا » توصل في نهاية الأمر إلى تخليص نفسه وعاقب قاتل والده كما قضى على حزبه حوالي عام ١٣٩٠ ق م .^(١)

ثم أعقب ذلك انتصار باهر أحرزه على « خيتا » عندما هاجمت بلاده ، كل ذلك هياً له الفرص لتوطيد العلاقات الودية بينه وبين مصر لتكون سنداً يرتكز عليه عند الشدائد لمنازلة أعدائه (راجع Ed. Meyer, "Gesch". II, I. P. 151 ff.) .

(١) راجع : Ed Meyer, "Gesch". 11,1, P. 151 - 61. & Albrecht Goetze, ibid P. 75 - 81

الموظفون والحياة الإجتماعية فى عهد

« تحتمس الرابع »

« إبي » : كان « إبي » يحمل لقب المشرف على سفن « تحتمس الرابع » فى معبد « آمون » (L. D. III, Pl. 264)؛ وقبره فى جبانة « شيخ عبد القرنة » ويحتوى على منظر الوليمة الأسرية المعتاد وصور أقاربه (Champollion, "Notices" P. 519) ونجد من بين أولاده واحدا يدعى « دنرجى » يحمل الألقاب التالية : الحاكم والمشرف على الكهنة ، والكاهن الأكبر ، ومدير بيت الإله « متو » رب « أرمنت » ؛ وله ابن آخر يدعى « پاي » وكان يحمل لقب الكاهن الأول « لتحتمس الرابع » (L. D. III, Text. P. 264) .

« أمنحتب ساسى » : أمنحتب (الرجل المهذب) كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، والوالد الإلهى ومحبوب الإله ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، والكاهن الثانى للإله « آمون » وعينا ملك الوجه القبلى فى « أرمنت » وحامل خاتم ملك الوجه البحرى (Davies, "The Tombs of Two Officials of Thothmes IV", Pls. IV, IX. (رقم ٧٥) . (راجع 3- 102 P. I, "Bibliography", Porter and Moss) ويرى على جدرانها من التشويه والتخريب ما يدل على أن صاحبه كان مغضوبا عليه لأننا نجد أن صورته قد محيت محو تاما عن قصد فى كل مكان وجدت فيه ، وكذلك صورة زوجته ، اللهم إلا عندما كانت تقوم بدور مغنية الإله « آمون » . على أن المحو لم يقف عند هذا الحد بل تعداه إلى طائفة من خدمه . وكذلك نرى أن اسم « آمون » قد محته شعبة « آتون » وكذلك صور الكاهن « سم » ، ولكن الأذى الذى لحق بجماعة النسوة المشيعين للجنازة ، ومحو المتون الخاصة بالشعائر الجنازية وإن كانت قد تعزى إلى شعبة « آتون » إلا أنه من المحتمل كذلك أن تكون محاولة من جانب أعداء « أمنحتب ساسى » لإيقاع الضرر بمدفنه الحسن .

والقبر يحتوى على بعض مناظر أتقن رسمها ، وفي استطاعتنا أن نعرف من بينها عمل مفتنين أولهما الرئيس الذى رسم المناظر الهامة والأشكال ، والآخرا أقل منه حدقا وإتقانا ؛ وكان عمله منحصرا فى رسم أشكال تقليدية ، ويحتمل كذلك أنه رسم الأثاث ؛ (Davies, Ibid. P. 3.) فنشاهد منظر وليمة يشتمل على بعض أوضاع غريبة ، إذ المعتاد فى رسم مثل هذا المنظر أن نجد صاحب المقبرة وزوجه يجلسان أمام الضيفان ، ولكن هنا نشاهد منظرا خارج المنزل الذى أقيمت فيه الوليمة و « أمنحتب » نفسه يدخل بعربته من باب البيت يتقدمه سائسان ويتبعه أربعة خدام حاملين أمتعته الشخصية .

ولدينا منظر هام نشاهد فيه « أمنحتب » يتسلم وظيفة الكاهن الثانى للإله « آمون » . (راجع Davies, ibid, Pls. XIII, XIV. P. 8 ff.) والمثن المفسر لهذا المنظر قد هشم ، ولكننا نفهم مما تبقى منه ما يساعدنا على تفسير المنظر . "وقد وجد (الملك) أنى رجل مفيد لسيدته ، وجعلنى أغرس لنفسى فى السماء (أى المعبد) . وقد عرفت السر الذى فيه ، وتعلمت القواعد لاستعطاف الإله ، وتقديم العدالة لسيدته ، وقد صدر الأمر لأصدقاء الفرعون بالنطق بالمسدايح تعبدا لللك (وقد كان الترحيب فى قم الكهنة والموظفين ، وقد ظهروا ، وكانت أفواههم مملأى بـ ... وقد عينت كاهنا ثانيا ... الوجود السرى لرب الآلهة ، وقد كنت أعرف كل شئ . خفى ، وكل الأبواب قد فتحت لى ... الطريق ... وحراس الأبواب يكشفون عن الإله فى يوم ... وكنت ... إلى المعبد ، وكان فى سليا وأصابعى ماهرة إلى أن أستريح فى مكانى فى الجبابة " .

وفى أسفل هذا المنظر نشاهد صورتين عظيمتين هما بلا شك « لأمنحتب » وموظف آخر ؛ قد وكل إليه وضعه فى منصبه الجديد ، غير أن كلاهما قد محى . وبعد ذلك نرى مغنيات « آمون » ومن بينهم زوج « أمنحتب » وبناته آتيات لمقابلة الموكب عند دخوله المكان المغروس بالأشجار الواقع أمام (بؤابة) معبد « آمون » فى الكرنك وهنا يشاهد واجهة المعبد (ببواباته) المزينة بالشرفات وبعمد أعلامها وبباب ضخم يكتنفه تماثيل ضخمة للفرعون .

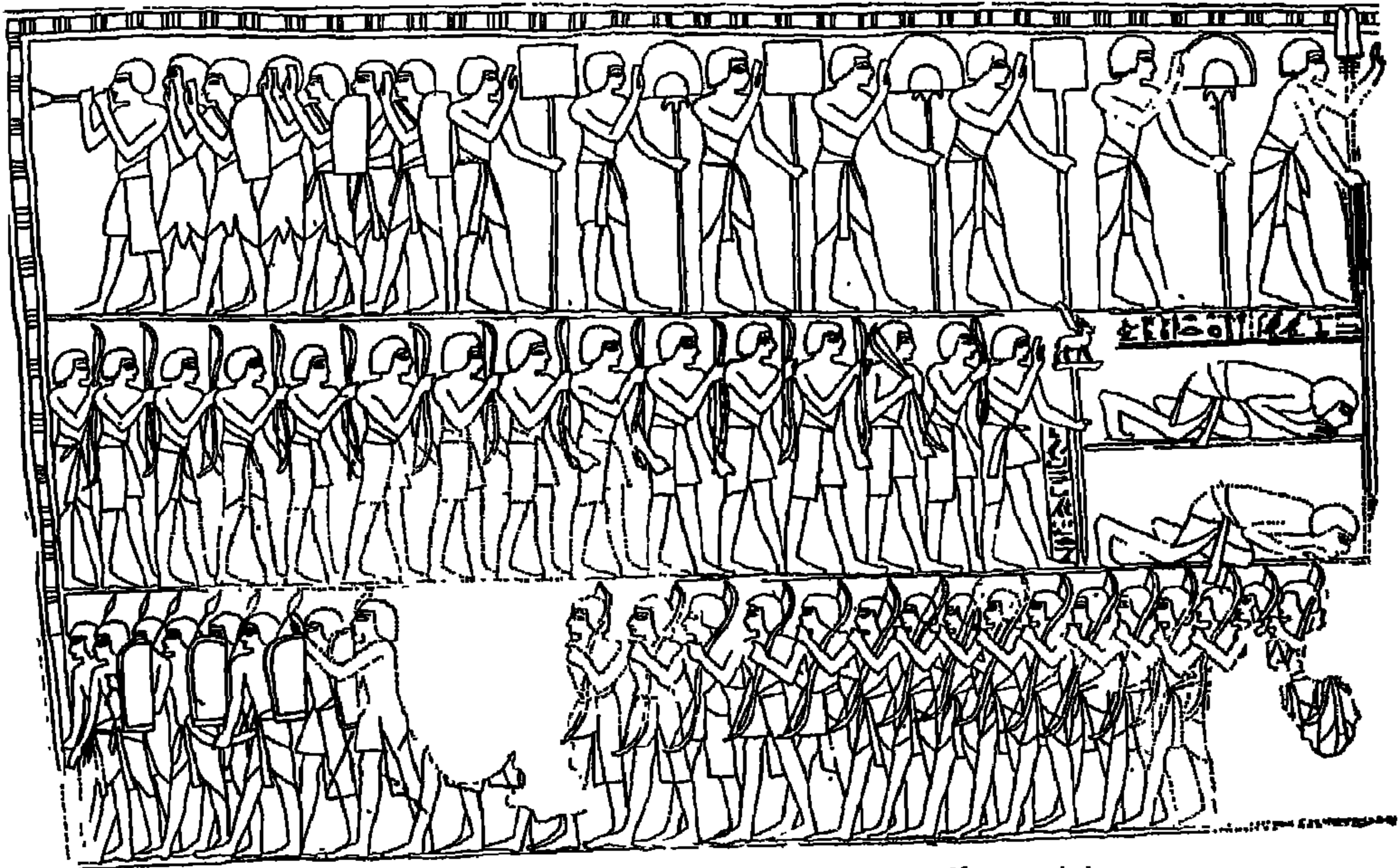
(١) أى أغرس شيئا لأتعلم به .

وبعد أن نصب « أمنحتب » هذا كاهنا ثانيا في معبد « آمون » كان لزاما عليه بعد ذلك أن يفحص مصانع ضياع « آمون » إلهه فنشاهده يشرف أولا على وزن المعادن الثمينة التي كانت تسلم للصناع الذين يشاهدون منهمكين في صياغة أشياء مختلفة . وفي جهة أخرى نجده يفحص أعمال صناع العربات والسرّج (Davies, ibid, Pls. VII - VIII).

وبعد الفراغ من فحص المصانع يتجه « أمنحتب » إلى حصاذا المحصول حيث يفحص تسجيل كل شيء . فالقمح الذي كان لا يزال واقفا في الحقل كانت تسمح حقوله بحبال ملفوفة على بكرة لها رأس تيس ، وقد كانت هذه العملية بمثابة ضابط لمنع السرقة التي كانت تحدث غالبا بين الحقل والمخزن . وقد كانت هذه العملية تجري بأخذ نسبة محصول قطعة صغيرة من الأرض ثم يقاس عليها وبذلك كان يعرف مقدار المحصول الذي لا بد أن يورد إلى مخزن الإله . وأخيرا كان يكال الحب الذي حصده ويسجله كتاب . ويلحظ هنا أن فلاحا قد ارتكب غلطة كان يعاقب عليها بالضرب أمام رجل عظيم (راجع Davies, ibid Pl. IX) وفي منظر آخر نرى « أمنحتب » يستعرض أمام الفرعون « تحتمس الرابع » ثمرة نشاطه وهي الهدايا التي يقدمها له (راجع Davies, ibid, XII)، ولذلك يقول المتن : فحص الهدايا الملكية واستعراضها أمام ... على حسب أمر ورغبة جلالة لجعل قلب جلالة رب الآلهة راضيا ... وباحثا عما يمكن أن يخدم به والده « آمون » ومزينا بيته بالذهب ، ولقد كان لذلك يخطه التسجيل كتابة — من كل أنواع الآنية التي لا حصر لها ، وقلائد منات وصاجات وقلائد ؟ ... وتماثيل ... ملك الآلهة . وقد كان الكاهن الثاني معتادا أن يخرج ممدوحا ومحجوبا من حضرة جلالة .

وهذه الهدايا كانت تنتظم تماثيل ومجوهرات وأواني معدنية الخ ، وأخيرا نقش على جدران قبره المناظر الجنائزية ، ولا يزال يرى منها بعض المحافل العادية وكذلك منظر رحلة المومية لزيارة « العرابة المدفونة » (راجع Davies, ibid, Pls. XV, (XVII & Urk. IV, P. 1216).

«نب آمون»: يعبد «نب آمون» من الموظفين العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة الذين وصل إلينا شيء يذكر عن تاريخ حياتهم الحكومية . وتدل ظواهر الأحوال على أنه كان أول ظهوره في ميدان العمل الحكومي في خدمة الفرعون الخاصة، إذ كان يشغل وظيفة «ياوره» في كل حملاته في الجنوب والشمال كما كان يلقب قائد جنود عديدين ؛ وقد كانت أول وظيفة هامة رقي إليها هي حامل علم السفينة الملكية «مرى آمون» . (راجع Davies, ibid, Pl. XXVI) ، وهذه الوظيفة تعادل الآن «قائدا بحريا» . ولا نزاع في أن وظيفته كانت حربية ولا أدل على ذلك من أنه رقي فيما بعد إلى رتبة رئيس الرماة (قائد المشاة) ثم رئيس الشرطة في «طيبة الغربية» (Ibid Pl. XXXIII) . وقد خدم هذا الموظف في عهد الفرعونين «تحتمس الرابع» و «أمنحتب الثالث» ، إذ نجده في حكم الأول يقدم له تقاريره الرسمية وفي عهد «أمنحتب الثالث» نجد في أحد مناظر المقبرة طغراء هذا الفرعون على (بوابة) المعبد (راجع Ibid, Pl. XXXIII)



(٣) «نب آمون» يتسلم وظيفة رئيس الشرطة أمام جنوده واستعراضهم

على أن ترقية « نب آمون » إلى وظيفة رئيس الشرطة قد هيأت له على ما يظهر فرصة تمكنه من القيام بخدمة سيده دون كبير عناء في تجشم الأسفار معه وبخاصة بعد تقدم سنه ، والمتن الذى يحدثنا عن هذه الترقية يرجع إلى السنة السادسة من عهد « تحتمس الرابع » (راجع Ibid, P. 35. Pl. XXVI) وهو : "أمر صادر من جلالة صاحب القصر (له الحياة والسعادة والصحة) فى هذا اليوم إلى الأمير ، قائد سفن الوجه القبلى والوجه البحرى ، والأمر هو كما يأتى : إن جلالتى (له الحياة والسعادة والصحة) قد أمر أن تستقبل عمرا طويلا طيبا بخطوة الفرعون لأنك تهتم بأمر « نب آمون » ، حامل العلم فى السفينة الملكية « مرى آمون » فقد بلغ سن الشيخوخة فى خدمة الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) بثبات . وفى الحق إنه كان يحسن كل يوم فى إنجاز ما أمر به ، ولم يقدم عنه تقرير (سيئ) ، هذا فضلا عن أننى لم أجده قد تعدى حدوده ، وإن كان قد وثى به فعلا ، والآن قد أمر جلالتى أن يمنح وظيفة رئيس الشرطة فى « طيبة » الغربية فى مكان ... وفى مكان « عظيم القوة » حتى يرتفع إلى سن وقور ، وأن يصبح له الحق قانونا فى بيته وماشيته وحقوقه وعبيده وكل أملاكه فى البحر والبر دون أن يسمح لأى مراقب ملكى أن يتدخل فى أمرها ؛ حامل علم السفينة الملكية « مرى آمون » وقائد الجنود « نب آمون » ، وهذا المتن نقش فى قبر « نب آمون » الواقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٩٠) ؛ ونستطيع أن نشاهده ممثلا فيه وهو يتسلم رمز وظيفته والوثيقة بتعيينه ، فنراه واقفا وبيده عصاه ذات الطابع الخاص من التى تشاهدها فى أيدى قبائل البدو ، وقد كانت بلا شك معروفة للجنود الذين تحت إمرته (Ibid. P. 35) ، وقد تقبل « نب آمون » باحترام « علم الغزال » وهو رمز شرطة طيبة الغربية ثم براءة تعيينه التى كانت موضوعة فى أسطوانة صغيره على هيئة عمود مثل فى صورة نخلة ، وهذه قد قدمها له كاتب ملكى يسمى « إيوفى » الذى جاء لهذه المأمرية . ثم يأتى خلف « نب آمون » رجال الشرطة الذين سيكونون تحت قيادته . ويلاحظ أن هؤلاء الشرطة قد اتجهوا اتجاhein ويمكن تفسير ذلك بأنهم كانوا يستعرضون أمام « نب آمون » أو « الفرعون » . وهو يشاهد فرقة من الجنود العاملين يشتركون فى الحفل وكذلك يقف جنود يحملون الأعلام من كتائب مختلفة يحيون الرئيس . ثم يصحبهم جنود من فرقتين مختلفتين ومعهم بوق يعطى إشارة التقدم أو التأخر فى السير . وهؤلاء

الجنود قد تركوا أسلحتهم جانبا ولم يحملوا إلا دروعهم . ويشاهد اثنان من كبار الضباط قد انبطحا على الأرض : واحد منهم لم يذكر اسمه ويحتمل أنه هو الذى حل محل « نب آمون » والثانى هو قائد الشرطة فى « طيبة » ويدعى « ترى » وجدنا اسمه فى هذه المقبرة فى مكان آخر وقد يجوز أنه أخو « نب آمون » أو أحد أقاربه . أما الجنود فكان يقودهم ضابط شرطة يسمى « مانا » ويحمل علما ؛ غير أن ملابسه لا تختلف عن ملابس معظم رجال الشرطة ، ويلاحظ أن بعض الجنود كانوا مسلحين بعصى رماية ، وبعضهم الآخر بحراب ولا يمكن تمييز ضباطهم (انظر الصورة رقم ٣) .

ولدينا منظر آخر يظهر فيه « نب آمون » واقفا أمام الملك ، ويغفل أنه يحمل بإحدى يديه علم السفينة الملكية « مرى آمون » ويقدم بيده الأخرى طاقة أزهار للفرعون وأمامه خادمان يحملان رموز وظيفته وهى (بلطة) وحزام وحزمة أعشاب ومروحة ؛ وكذلك نشاهده ممسكا بحبل ربط فيه جماعات من الأسرى السوريين ويحتمل أن ذلك رمز لخضوع أملاك مصر لإدارة « نب آمون » ؛ وكذلك كان يقدم الأسرى والجزية للملك ؛ وأهم ما يسترعى النظر فيها جوادان غاية فى الجمال والنشاط (Ibid. Pl. XXIX.) .

اقتراع المجندين السنوى : ولدينا منظر يدعو إلى الحيرة والدهشة معا يظهر فيه « نب آمون » كأنه عائد من حملة سورية كان قد رافق فيها الفرعون . فيشاهد وهو داخل إلى ميناء « طيبة » فى سفينة مزخرفة بأجمل الزينة وبخاصة شُرْعها ، وفى المؤخرة كان يجلس الفرعون فى جوسق صغير يحلق فوق رأسه إلهة العقاب وبجانبه العربة الملكية ، وفى أسفل المنظر جلس عدد من الرجال على كراسى ، كما يرى جم غفير من الناس رسم بطريقة تدل على مهارة المفتن المصرى فى الإنحراج . وعلى اليمين يمكن رؤية منزل بيت « نب آمون » ويلاحظ أن أربعة رجال وأمرأة ينحنون بنحسوع للقاعدين على الكراسى . وفى الجهة المقابلة من المنظر يشاهد مجندون يجلسون على الأرض حاملين حقائبهم وأقواسهم على ظهورهم .

ويظن الأثرى « ديفيز » أن هذا المنظر الأخير يمثل اقتراح المجندين السنوى ، فالرجال الجالسون هم المجلس العسكرى فكان فريق من أعضائه ينتخب المجندين الجدد ، فى حين كان الفريق الآخر يفصل فى الشكاوى المقدمة من أقارب المجندين الذين يرجون الإعفاء ثم يصدر بعد ذلك القرار النهائى وأخيرا كانت تفرق الأسلحة والحرايات على الرجال الذين وقع عليهم الاختيار .

ويحتوى قبر « نب آمون » غير ذلك على مناظر خاصة أو أسرية ، فمنها نعلم أنه كان قد تزوج باثنتين ورزق منهما ما لا يقل عن ست أو سبع بنات وسبعة ذكور . وليس لدينا ما يثبت أن « نب آمون » قد تزوج بهما فى وقت واحد أو بواحدة بعد انفصالة عن الأخرى . وقد ظهرت معه زوجه « تى » كثيرا وحباها بنقوش تدل على حبه لها أكثر من الأخرى التى كانت تدعى « موت نفرت » .

وقد شغل منظر الوليمة فى هذا القبر حيزا كبيرا رسمت فيه كل صور أقاربه ، وأهم ما يلفت النظر فيه منظر طائفة من المغنيات رسمت إحداهن بوجه كامل وهذه ظاهرة نادرة فى الفن المصرى ، والظاهر أن هذا الوضع كان مقصورا على من ليس لهم مكانة فى المجتمع المصرى .

عمل رجال الشرطة : وقد رسم المفتن فى هذا المنظر حادثا صغيرا فى ذاته غير أنه من الأهمية بمكان لندرته فى مثل هذه المناظر : وذلك أنه صور موظفا جالسا تحت شجرة وبيده غصن يرمز به للعيد أو الفرح ، وقد أتى إليه أخوه « ترى » (أى أخو نب آمون) رئيس الشرطة فى الحى الواقع غربى « طيبة » ومعه رجلان قبلغ الضابط « ترى » عن الحالة قائلا : " إن الحى الجنوبي والحى الشمالى يسود فيهما النظام " ثم يضيف إلى ذلك رجاله ويحتمل أنهم رجال (الدورية) للحين : " إن المكان فى أمان والنظام فيه جيد جدا " . ولا شك فى أن هذا هو التقرير الذى كان يقدم كل مساء بانتظام من رجال شرطة « طيبة » . ولا ريب فى أن مثل هذه اللحات الخاطفة التى تطلع علينا من وقت لآخر من ثنايا النقوش تضع أمامنا صورة حية عن النظام المركب الذى كانت تعيش فى ظله هذه العاصمة العظيمة فى الإزمان السحيقة .

ونشاهد « نب آمون » في منظر آخر يقدم شكره للإله « آمون » اعترافاً منه بالجليل لإثثار ماشيته وكرومه . وهنا نشاهد رسم معبد « آمون » وقد نقش على بابه الكبير اسم الفرعون « أمنحتب الثالث » . وكذلك يرى بيت « نب آمون » وهو مسكن جميل جداً (Ibid. Pls. XXX, XXXIII, XXXIV.) ملون باللون الأحمر القاتم مما يوحي بأن جدرانه قد غطيت بطبقة من الجص ، ويوجد في أصل سقفه المنبسط (ملقفان) لتوصيل هواء الشمال والجنوب إلى داخل المنزل . أما بابه الضخم فمن الخشب الأسود له مصراع واحد من خشب أصفر . وفوق الباب نافذة مزخرفة ، كما يوجد في الجدار على مسافة أعلى من هذه النافذة نافذتان أخريان . على أن ذلك لا يعنى حتماً أن البيت كان يتألف من طابقين وذلك لأن المصريين لم يكونوا متعودين أن يضعوا نوافذهم في مواضع عالية في الجدران . وهذه النوافذ كانت تغلق بواسطة مصاريع مزخرفة . وترى نحتان تطلان على السقف خلف البيت مما يوحي بوجود حديقة خلف البيت . وهذا المنظر الذي صورت فيه الأشياء على طبيعتها لا كما عدّدت يعدّ خروجاً على التقاليد القديمة الجامدة . وبجانب البيت وبركته الجميلة نشاهد كرماً كانت تجنى ثماره لتعصر نبيذاً كما يشاهد رجل يعدّ قربان للإلهة « رنوت » وهو يقول : ” لحضرتك يا رنوت ! امنحني الطعام والخير “ . وكذلك يرى طائفة من بحارة « نب آمون » قد حضروا لتهنئة قائدهم (ومن المحتمل ليدوقوا طعم نصرته اللذيذة) وقد جاءوا إليه وهم ينشدون أغنية حربية ” إنه يدرب جنوداً وجنوداً ويفعل ذلك الحاكم لأجل آمون وقلبه فرح “ . وفي منظر ثانوى يرى « نب آمون » يفحص بعض ماشيته فيقول للكاتب « تحوت نسر » الذى يجلس عند قدميه : ” لا تول ظهرك لماشية آمون سيدنا ! “ وقد يعنى بذلك أن ينتحل عذراً للكاتب الذى جلس وظهره في وجه « نب آمون » أو غير ذلك . وبعد ذلك نشاهد في نفس المنظر رجالاً يسمون الماشية بنار حامية .

« ثانى » : لقد جاء ذكر هذا الرجل العظيم فيما سبق أما ألقابه فهى : كاتب الجيش أمام جلالته ، وكاتب الملك الحقيقى ومحبوبة ، وكاتب الجيش

(Urk. IV. P. 1006) والمشرف على الجنود وكاتب المجندين ، والمشرف على كتبة الجيش العظيم للفرعون ، والسمير العظيم الحب ، وعينا ملك الوجه القبلي ، وأذنا ملك الوجه البحري ، والمشرف على جيش الفرعون ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد .

وقبر « ثاني » يقع في جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٧٤ ويحتوى على مناظر تحدثنا عن حياته الخاصة وأعماله في وظيفته ، (راجع -Biblio- Porter, & Moss, "graphy" II. PP. 100 - 101) . وقد خصص منظر كبير لعرض عسكري حيث تجند الجنود ، فعلى الجدار الداخلى من الجهة الشمالية نشاهده يقوم بعملية اقتراع الجنود الجدد ، فترى فى الصف الأعلى فى الخلف صفين من الجنود كل منهما يتألف من عشرة رجال ، فيرى رئيس الفرقة الذى على الجهة اليسرى وفى يده علم لا يمكن الإنسان أن يرى شيئاً من شريطه ، ويلاحظ أن الجنود قد وضع كل منهم يده اليمنى على كتفه الأيسر أما يده اليسرى فكانت مدلاة على جانبه . وأمام الفرقة الثانية يقف ضابط وفى يده عصا تميزا لمركزه . ويلاحظ أن الجنود ليسوا مسلحين ولبسوا قميصا قصيرا مصنوعا من الجلد المجدول لف حول وسط الجندى وطرفه ظاهر ويوجد فى وسط هذه الجداول مربع من الجلد .

أما الضابط فكان يرتدى الشنديت وفوقه لباس من الكتان له شكل خاص لف حول وسطه ويغطى ما فوق الركبة . وتشاهد فرقة ثالثة تمشى فى اتجاه مضاد للفرقتين السابقتين ويسير أمامها ضابط .

أما فى الصف الأسفل فيوجد فرقتان يتجه كل أربعة رجال من أولاهما إلى جهة مضادة لزملائهم ويشاهد أمام واحدة منهما جندى يحمل على ظهره طبلا كالذى نشاهده الآن فى بعض جهات القطر ، ويلاحظ أن حامله قد رفع يده ، أما الفرقة الثانية فيسير أمامها حامل علم موضوع على كتفه الأيسر . وهؤلاء الجنود كانوا يرتدون الشنديت وعلى اليمين يسير سبعة من السود يحمل الأول والثانى منهم يوقا ، أما الخمسة الباقون فقد سلحوا بعضى ويزين رأس كل منهم ريشة نعام .

وفوق الصورة الثالثة نشاهد جيشا يقوده ضابط يقف أمام الفرعون بنحشوع يقوم جنوده بتمرينات عسكرية في صفين ، ففي الصف الأسفل من جهة اليسار نجد خمسة جنود غلاظ الجسم من النوبيين (وهم ليسوا من الزوج لأن شعرهم ليس مجعدا) ويلحظ أن بطون سيقانهم ربلة أكثر من المعتاد وأنهم مسلحون بعصى ويرتدون شبكة فوق قميصهم المسدل حتى الفخذ ، وقد علق خلف هذا القميص ذيل حيوان كما علق نظيره على الساق مما تحت الركبة . وعلم هذه الفرقة قد ميز بصورة مصارعين أما الجنود الذين على اليسار فوق هؤلاء فكانوا يرتدون القميص الذى كان يرتديه جنود الدولة الوسطى . والفرقة التى على يمينهم ومن أسفل منهم يرتدى كل من أفرادها قميصا مستديرا له طرف بارز (شنديت) وهو الذى كان يرتديه الضباط بمثابة قميص داخلى ، وكذلك كانوا يتمنطقون بحزام . أما الفرقتان الأخريان فكان كل منهم يلبس قميصا مخططا وآخر أبيض عريضا فوقه .

ولدينا منظر آخر فى هذا القبر نشاهد فيه عرض الخيل والثيران أمام « ثانى » . وتدل كل الظواهر على أن هذا الضابط قد بدأ خدمته فى عهد « تحتمس الثالث » وظل فى مناصب الحكومة حتى عهد حفيده « تحتمس الرابع » (Urk. IV. P. 1005.)

« ثونا » : كان « ثونا » من بين الموظفين الذين كانوا دائما يسرون فى ركاب الفرعون كما يدل على ذلك ألقابه وهى : الأمير الوراثى ، والسمير الوحيد ، وحارس خطوات الفرعون فى كل مكان ، ومدير البيت فى بيت جلالاته ، وحامل المروحة على يمين الملك ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، ومدير البيت العظيم ، ووالد الإله (أى الفرعون) ومحبوب الإله ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس أسرار إلهتى القطر والمشرف على ثيران الإله « آمون » . (راجع Bouriant, "Rèc. Trav." Vol. XI. P. 157. & P. 158.) ويقع قبر « ثونا » فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٦٧ ، غير أننا نعرف عنه أشياء أخرى من الآثار ،

فقد عثر على لوحة في العرابية المدفونة نشاهد فيها « تحتمس الرابع » يقدم قربانا « لأوزير » بوساطة « ثنونا » الذى يقف فى اللوحة وراء الفرعون وتبعه زوجته (Petrie "History", II, P. 172; Lacau, "Stèles du Nouvel Empire", No. 34023. Pl. XIV,) وتوجد له كذلك لوحة أخرى فى متحف « استوكهلم » راجع. Lieblein, "Dict. Noms", P. 590.

« زسر — كا — رع سنب » : عثر على قبر « زسر — كا — رع — سنب » فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٣٨ ويحتوى على بعض مناظر هامة خاصة بالحصاد الذى كان تحت مراقبة « زسر — كا — رع — سنب » نفسه لأنه كان يحمل لقب الكاتب الذى يحصى الحب فى مخزن غلال القربان المقدسة « للإله آمون » ، أما باقى ألقابه فهى كما يأتى : الكاتب ، ومدير بيت الكاهن الثانى « للإله آمون » والمشرف على مربى...؟ (Kuentz, B. I. F. A. O., Vol. XXI, PP. 120 - 125) وقد صور فى مقبرة هذا الكاتب منظر يمثل أمامنا الخطوات التى تتبع فى إنتاج القمح كما نشاهدها فى الطبيعة بمراقبته اليقظة ، إذ نراه واقفا عند حقل الغلال متكئا على عصاه (Wreszinski, "Atlas", Pl. 143.) وأمامه رجل يحث الأرض وخلفه صبي يبذر البذور. وبعد ذلك نجد رجلين يقومان بعزق الأرض بفأسيهما ومتجهين نحو شجرة معلق عليها سلتان تحتويان طعاما وجرة ماء ليبرد مأوها بظلها الظليل . ثم يرى فى الصف الأعلى القمح وقد نضج وهو يفوق الرجال الذين يحصدونه طولا ، وبعد الحصاد نشاهد بعض فقراء القوم يلتقطون ما ترك وراء الحصادين من سنبلكما هى العادة حتى يومنا هذا فى زمن الحصاد . ونرى بعد ذلك رجلين يحملان السنبلك فى سلات ضخمة لأجل الدرس حيث تدور عليها الماشية حتى تفصل الحب عن القشور ، ثم يأتى دور التذرية بآلات خاصة تشبه المراوح أو المذراة فى أيامنا هذه . ومما يلفت النظر وجود ما نطلق عليه الآن اسم العروسه وتتألف من سنابل القمح ، J. E. A. Vol. VIII. P, 235 ff. & Ibid Vol. XIX, P. 31. وقد وجدت أمثال هذه الصورة فى مقابر أخرى وكانت تعد بمثابة بركة

لمحصول القمح (راجع Davies, "The Tomb of Nakht" Pl. XX) ، وأخيراً نشاهد « زسر — كا — رع — سنب » يقدم قربانا محروقة للإلهة « رنوت » التي تمثل في صورة ثعبان ، كما يوجد أمامها مقدار عظيم من القربان على مائدة عظيمة . ويدل لقبها الذي دُون أمامها على أنها كانت سيدة مخازن الغلال (Wreszinski, Pl. 143.) . ومما يلفت النظر في الوليمة التي رسمت على جدران قبره أن الفتيات اللاتي كنّ يقمن بخدمة السيدات المضيفات عاريات الأجسام اللهم إلا من حزام ضيق يستر عوراتهنّ وإلا بجوهراتهنّ العادية التي كنّ يتزين بها . والظاهر أن هذا المنظر من أحدث المناظر التي مثلت على هذه الصورة في عهد الأسرة الثامنة عشرة . وتدل شواهد الأحوال على أن صور طائفة السيدات الرشيقات والفتيات المغنيات والراقصات اللاتي كنّ يقمن بخدمة المضيفات قد نقلها المفتن القديم نقلا أميناً عن مقبرة « أمنحتب ساسي » .

« مري رع » : لم يعثر على قبر « مري رع » حتى الآن ، وكل ما نعرفه عنه من نقوش محبرة صنعت من الخشب وهي الآن بالمتحف البريطاني وقد وجد فيها أربع عشرة عينا للألوان وقد كانت مستعملة فعلا إذ وجد فيها أثر الألوان، وقد كتب عليها ألقاب ووظائف « مري رع » ودعاء للإله « تحوت » وألقابه هي : الأمير الوراثي ، والأمير الذي على رأس المقربين لدى الفرعون ، ومدير البيت العظيم للملك . أما الدعاء الذي نقش على هذه المحبرة فيمتاز عن الأدعية الأخرى ، إذ أنه موجه للإله « تحوت » رب الكتابة الهيروغليفية ليمنح « مري رع » علم الكتابة الذي هو منبعه وأصله ، وكذلك فهم اللغة المصرية . والواقع أنه من النادر جدا أن نصادف في الأدعية والصلوات المصرية ما يقصد منه غير الأشياء المادية كالشراب والطعام أو طول العمر ولذلك جاءت هذه الأدعية بطلب العلم والمعرفة من الأشياء الطريفة في بابها . وهذه المحبرة قد صنعها سكرتير « مري رع » المسمى « تن » ويلقب كاتب مدير البيت العظيم (J. E. A. Vol. XVIII, P. 57. Pl. VII, 3.) .

« نبي » : يوجد في « سرابة الخادم » نقش في الصخر يظهر فيه « نبي » واقفا خلف « تحتمس الرابع » الذي يقدم قربانا للإلهة « حتحور » (راجع (Gardiner and Peet, "Sinai", Pl. XIX, No. 59.) •

أما ألقابه على اللوحة فهي : رسول الفرعون لكل أرض ، ومدير بيت ... زوج الفرعون ، وعمدة ثارو ، وطفل الرضاعة (أى الذى ترى مع الفرعون) •

« بتاح مس » : كان « بتاح مس » من كبار رجال الدولة ، غير أننا لم نعثر على شيء من آثاره الضخمة وبخاصة قبره ، وكل ما نعرفه عنه ينحصر في نقوش تمثل لا نعرف المكان الذى جاء منه وقد كتب عليه الألقاب التالية : الأمير الوارثي ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى في مقدمة ... ومدير الصناعات في البيتين (المعبدين) ، والكاهن «سم» ، والمدير الأعلى للصناعات (لقب الكاهن الأكبر للإله «بتاح» في منف) (راجع (Borchardt, "Statuen und Statuetten", No. 584.) •

« بنحت » : يقع قبر هذا الموظف الكبير في جبانة « ذراع أبو النجا » رقم ٢٣٩ وأهم ألقابه هي : المشرف على كل الأقاليم الشمالية « أى بلاد سوريا » ولذلك نجده قد رسم لنا منظرا يمثل قوما من السوريين يحملون الجزية إلى مصر ، ولكن مما يؤسف له أن هذا المنظر مهشم تهشبا مريعا ولم يبق منه إلا القليل جدا (راجع (Wreszinski, "Atlas", Pl. 373.) •

« حقر نصح » : كان مريبا لابن الملك « أمنحتب » وقد ورث هذه الوظيفة على ما يظهر من والده « حقر شاو » الذى كان يشغل هذه الوظيفة في عهد الملك تحتمس الرابع • وقبره يقع في جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٦٤ (راجع Porter & Moss "Bibliography" I. 94.) ونشاهد فيه منظرا يظهر فيه « حقر نصح » يقدم طاقة أزهار لمرب آخر يحتمل جدا أنه والده وقد جلس على كرسى وفي حجره « تحتمس الرابع » في طفولته ، وعلى الرغم من تصويره في هيئة طفل فقد كان يلبس صدرية عليها طغراء باسم « تحتمس الرابع » بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحرى •

وكذلك صور ثانية ومعه بعض الأمراء الملكيين وقد محيت أسماؤهم . وكان « حقر
نحج » يحمل كذلك لقب طفل الرضاة ، وقد عثر له على مخروط جنازى فى جبانة
« شيخ عبد القرنة » عليه لقبه طفل الرضاة ورئيس جياذ جلالته (A. S, VI.
P. 91, No. 39 .

« أمنحتب » : وكان يحمل لقب الكاهن الأول للإله « أنحور (أونوريس) »
رب العراة المدفونة ، وقد عثر له على لوحة فى العراة نفسها مقدمة لهذا الإله من
« أمنحتب » هذا (Lieblein, "Dict. Noms," No. 602) .

« باعا عفو » : كان من بحارة الفرعون « تحتمس الرابع » ولقب بحامل العلم
على السفينة « مرى آمون » ، وقد أهدى لوحة فى العراة للإله « أوزير » وهى
الآن بمتحف « اللوفر » (Ibid. No. 716.) ، ومن المحتمل أنه هو الرجل الذى خلف
« نب آمون » قائدا للسفينة « مرى آمون » عند ما رقى الأخير إلى قائد الشرطة
فى « طيبة الغربية » .

« حوى » : ويلقب نحاس آمون ، وقبره فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٥٤
وقد اغتصبه كاهن يدعى « كانرا » فى باكورة الأسرة التاسعة عشرة ، وكان يلقب
رئيس مخازن الإله « خنسو » (Porter and Moss, ibid, I. P. 86.) ، ومما يسترعى
النظر أن نقوش هذا الغاصب تظهر خشنة رديئة الصنع إذا ما قرنت بالنقوش
الجميلة التى صنعها لنفسه « حوى » فى عهد الأسرة الثامنة عشرة الزاهر بجمال فنه
(Davies, M. M. A. (1922), P. 53, fig 5. .

« نفرحات » : وجد له لوحة فى العراة المدفونة ، والظاهر أنه كان من رجال
العمارة فى هذه الجهة لأنه كان يحمل لقب رئيس الأعمال فى معبد من معابد
« العراة المدفونة » ، كما كان من الرجال المقترين من الفرعون ، إذ نعت بلقب تابع
الفرعون فى كل أمكته . وقد ظهر الفرعون « تحتمس الرابع » على الجزء الأعلى
من هذه اللوحة يتعبد « للإلهة نوت » ، وفى الجزء الأسفل نشاهد « نفرحات »

يقدم قربانا للالهة «نوت» أيضا (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire",
• (P. 42. Pl. XIII, No. 34022.

« حاعنخف » : وجد اسم هذا الكاهن الملقب الوالد الإلهي على نقش
في صخور « كونو سوا » وقد ظهر عليه كل من الإله « مين » والإله « خنوم »
متواجهين وبينهما طغراء الفرعون « تحتمس الرابع » فوق نقش محو . وقد وجد
كذلك اسم أحد أقارب الفرعون المدعو « نب عنخ » تحت اسم « حاعنخف »
(راجع De Morgan, "Cat. Mon." P. 73. No. 45.)

الفرعون أمنحتب الثالث

١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق . م



مقدمة : يدل ما لدينا من وثائق على أن « تحتمس الرابع » كان آخر فرعون
عظيم من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، سار على رأس جيش عرمرم لتأديب
الأمراء النافرين في بلاد آسيا وإخضاعهم وإعادة النظام إلى كل ممتلكاته في تلك
الجهات النائية ؛ فلما مات ترك ملكه الذي كان يمتد من « الفرات » شمالا إلى
« كراي » جنوبا ينجم على ربوعه السلام والسكينة ، وبموت هذا العاهل انطفأت
شعلة الروح الحربي الذي كان يضيء نفوس فراعنة هذه الأسرة الأماجد ، كما خبت
في نفوس الشعب . وتلاشت تلك الصفات التي كانت تقود رجال « تحتمس
الثالث » إلى ساحة القتال بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام .

عاجلت المنية « تحتمس الرابع » وهو في نضرة الشباب ومقتبل العمر الذي
ترجى فيه الأعمال العظيمة . وقد تضاربت الآراء والبحوث الطبية في نسبة
« أمنحتب الثالث » إلى سلفه « تحتمس الرابع » ؛ فإن تحتمس مات في عنفوان

شبابه غير متجاوز السادسة والعشرين ربعا من عمره كما يقول الأطباء الذين فحصوا عظامه ؛ ومن أجل ذلك يعتقد بعض المؤرخين أن « أمنحتب الثالث » ليس ابن « تحتمس الرابع » ارتكنا على نتائج ذلك الفحص الطبي ويرون أنه أخوه (راجع • (G. Elliot. Smith; Daressy, A. S IV, P. 110.

وإذا كان تقدير سنه صحيحا استحال أن يكون « أمنحتب الثالث » ابنه ؛ لأن أمنحتب حين خلفه على العرش تزوج في السنة الثانية من حكمه بالملكة « تي » ، ولا يعقل أن يكون لتحتمس وهو حدث السن ابن أهل للزواج في هذا الوقت اللهم إلا إذا كان هذا الزواج صوريا لافعليا ، ولذلك رجح بعض علماء الآثار تخلصا من هذا المأزق أنه كان أخاه على الرغم مما ورد في الآثار مثبتا أنه ابنه مما سنفصل القول فيه . فالفرق الذي يدعى أنه أخوه يقول : إن ماجاء على الآثار من أنه ابنه إنما هو تجاوز



(٤) أمنحتب الثالث في شبابه

في التعبير. فقد جاء فعلا في نقوش مدينة «الكاب» (راجع (L. D. III, Pl. 83 b.) أنه والده. وكذلك في نقوش «حورمحب» (راجع (L. D. III, Pl. 78 a.) ذكر أنه والده ولكن قد يكون دعيه وحسب. وقد جاء في خطاب من خطابات «تل العمارنة»، كذلك (Am. 5, 4) أن «منخريا» أي «تحتمس الثالث» هو جد «أمنحتب الثالث». خير أن أمه «موت مويا» لا يمكن أن تكون زوج «تحتمس الرابع» اعتمادا على أن اسمها لم يذكر على الآثار بهذا اللقب، وكذلك لا يحتمل توحيدها مع الأميرة المتينة أخت «ارتا تاما» كما يقال غالبا، وهي التي تزوجها «تحتمس الرابع» (Am. 29, 16). ومن المهم جدا أن نذكر أن «تحتمس الرابع» قد احتفل بعيد «سد» (أي العيد الثلاثيني) مرتين (راجع Breasted, "Temples of Lower Nubia" A. J. S. L. XXIII. (1906) P. 51. أن هذا العيد لا يقام على أساس تاريخي ثابت (راجع Ed. Meyer. "Gesch." II, I. P. 149). أما الذين يقولون إن «أمنحتب الثالث» هو ابن «تحتمس الرابع» والملكة «موت مويا» فيستندون على النقوش والمناظر التي تركها «أمنحتب الثالث» نفسه على جدران معبد الأقصر، وهي التي تمثل ولادة هذا الفرعون الإلهي.

ولادة أمنحتب الثالث كما صورت على جدران معبد الأقصر —

وقد كان ملوك مصر منذ نهاية الأسرة الرابعة عندما يعوز الفرعون منهم المؤهلات التي تبرر له ارتقاء عرش البلاد، يحتال في إيجاد حجج ترفعه إلى عرش الملك أمام أعين الشعب الذين كانوا ينظرون إلى الفرعون نظرة الإله، وأنه من دم إلهي خالص، أو بعبارة أخرى كان يعد ابن الشمس. والظاهر أن الملكة «موت مويا» والدة «أمنحتب الثالث» لم تكن من دم ملكي خالص مما دعاه إلى تمثيل ولادته على جدران معبد «الأقصر» ليظهر للبلاد أنه هو ابن الإله «رع»، ولذلك نراها في المنظر الذي على جدران معبد الأقصر تجتمع بالإله «آمون» وتجل منه الملك «أمنحتب الثالث» وذلك جريا على عادة الثالوث في المعابد المصرية أي أن الإله يجتمع بالإلهة زوجه التي معه في المعبد وبذلك يعقبان ذكرا يكون هو الابن وثالث

ثلاثة . وبهذه الطريقة الملققة يصبح الفرعون الحديد ملكا على البلاد حتى ولو كان أجنبي الأب والأم عن الدم المصرى كما حدث فى تسويج « الاسكندر الأكبر » الذى مثل هذه الرواية عند اعتلائه عرش مصر (راجع Ecole des Maspero, "Hautes Etudes Anniversaires". (1897). على أن مافعله « أمنحتب الثالث » هو نفس ما عملته الملكة « حتشبسوت » من قبله كما ذكرنا . وتدل كل الشواهد على أن « أمنحتب الثالث » هو ابن الملك « تحتمس الرابع » كما تحدثنا النقوش وأن مسألة تقدير سنه مشكوك فيها (Wolf, A. Z., LXV, P. 98.) .

تولى « أمنحتب الثالث » وهو صغير السن وقد استمر فى حكم البلاد منفردا نحو ست وثلاثين سنة كان فى خلالها أعظم جاهل فى العالم المتحدين ، كما كانت « مصر » أكبر امبراطورية فى الشرق القديم وصاحبة السيادة السياسية والأدبية فيه .

حروبه فى السودان : وتدل الوثائق التى وصلت إلينا حتى الآن على أنه لم يقم بحرب غير حملة واحدة فى بلاد « كوش » فى السنة الخامسة من حكمه وهذا دليل على أنه لما تولى الملك كان السلام على وجه عام نحيما على ربوع دولته المتراصة الأطراف فى آسيا .

والظاهر أنه قامت ثورة فى بلدة « أبهت » الواقعة بعد الشلال الثانى فكلف الفرعون نائبه فى أقطار الجنوب وابن الملك المسمى « مرمس » بجمع جيش من النوبيين من بلاد النوبة السفلى والزحف به لقمع الثورة بمساعدة الجيش المصرى الذى كان بقيادة الفرعون نفسه ، وكان قد أقلع فى فصل الفيضان وهو الوقت الذى كان يحتفل فيه بعيد تسويج الفرعون . وعلى الرغم مما جاء فى وصف هذه الحملة من تهويل ومبالغات فإن القتال كان يدور مع فئة صغيرة من السودانيين وقد بلغ عدد من قتل وأخذ أسيرا نيفا وألفا . وبعد أن أحرز الفرعون النصر على هؤلاء العصاة أوغل فى بعض الوديان الواقعة على ضفتى النهر وكانت مأوى لقبائل الصحراء الذين تعسّدوا الانقضاض على الأماكن المعمورة من وقت لآخر لسلبها ونهبها ، غير أننا

عندما نقرأ أن « أمنحتب الثالث » قد بسط حدوده إلى حيث شاءت إرادته حتى وصلت إلى عمد السماء الأربعة لا يعنى ذلك إلا أنه لم يتعد بلدة « نباتا » الواقعة بالقرب من الشلال الرابع . وما لدينا من الوثائق لا يدل على أن السيادة المصرية تخطت هذه النقطة . فكانت الحدود الجنوبية لبلدته لا تعدو إقليم « كاراي » . ونراه في أثناء هذه الحملة على بلاد « كوش » قد أخضع بعض قبائل ذكر اسمها ، غير أن هذه الأسماء لم تذكر على الآثار المصرية قبل حكمه ولا بعده . ولا يعنى ذلك أن كل القبائل التي نجدها على الآثار مصورة بوصفها أسرى قد أخضعها هو في حروبه التي شنّها في بلاد النوبة وما بعدها ، فإننا نجد في عهده مرسوما على جدران معبد « صولب » صور أقوام من السوريين وبلاد « نهرين » و« قادش » وجهات أخرى من التي كانت في حالة سلم معه . وحقيقة الأمر إذن أن صور هذه البلاد وأهلها المبكين في الأغلال لا تدل إلا على أنها كانت خاضعة للحكم المصرى . (راجع Petrie, "History", II, P. 18) ولدينا وثائق تحدثنا عن هذه الحملة أهمها لوحة نقشّت في الصخر عند الشلال الأول ، رسم في الجزء الأعلى منها الملك يبطأ بتقديمه الأسويين ويضرب السود وأمامه الإله « آمون » ثم الإله « خنوم » إله الشلال وخلفه الإله « بتاح » رب « منف » .

ومما يؤسف له أن هذه النقوش مهشمة ، هشمها رسل « أمنحتب الرابع » (اخناتون) وهالك ما تبقى منها : " الستة الخامسة الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم الثاني وهو يوم التوزيع في عهد جلالة « حور » الثور القوى ، المضى في الصدق ، محبوب الإلهتين مؤسس القانون ، ومهدى الأرضين « حور » الذهبى ، العظيم في القوة ، وضارب الأسويين ، الإله الطيب ، حاكم طيبة ، رب القوة ، شديد البأس ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب ماعت رع » ابن الشمس « أمنحتب الثالث » حاكم طيبة ، محبوب آمون ، وملك الآلهة ، و« خنوم » سيد الشلال الذى يعطى الحياة . لقد أتى إنسان ليخبر جلالاته أن العدو صاحب « كوش » الخامس قد دبر عصيانا في قلبه . فسار جلالاته للظفر به ، والتقلب عليه ، فآتمه في حملته الأولى المظفرة . وقد خرج جلالاته مثل ومثل... « حور » ومثل « متو » ... ولم يعرف هذا الأسد الذى كان أمامه ؛ وكان « نب ماعت رع » (أمنحتب الثالث) أسدا ذا عين مفترسة فاستولى ... « كوش » . وقد هزم كل الرؤساء في وديانهم حتى سقطوا مخضبين

بدمائهم الواحد فوق الآخر ... » (راجع Breasted, A. R. II. § 843 ff; L. D. III, 81 h.) وكذلك دُون على صخور جزيرة « كونسو » في النهاية الشمالية من « القبيلة » لوحة تذكر هذه الحملة كاللوحه السابقة وقد جاء فيها : ... السنة الخامسة عاد جلالة بعد أن انتصر في حملته الأولى المظفرة في أرض « كوش » الخامسة بعد أن جعل حدره تمتد كما يرغب فيه ، فقد امتدت حتى العمدة الأربعة التي تحمل السماء وأقام لوحة نصر عند بركة « حور » ، ولا يوجد ملك مصرى عمل مثل هذا غير جلالة : وهو القوى المتهيج بالنصر « نب ماعت رع » (أمنحتب الثالث)
ولا نعرف حتى الآن موقع بركة « حور » التي ذكرت في هذا النقش . (راجع Breasted, A. R. II. § 845 ; L. D. III, 82 a.)

لوحة سمينة : وفي « المتحف البريطاني » لوحة تشير إلى حروب « أمنحتب الثالث » في بلاد النوبة وما أخضعه نائب الملك المسمى « مرمس » (راجع Birch, "Archeologia", XXXIV, P. 388 ; "Archaeological Journal", VIII. P. 399 ; Breasted, A. R. II, 851.)

والجزء الأول من النقش قد ضاع ، ويحتمل أنه قد جاء فيه إعلان العصيان « حدث حصد محصول العدو صاحب « أبهت » (ibht) وقد قدم كل إنسان نفسه وأعد جيش الفرعون للوقعة ، وكان بامرة « ابن الملك » ، وقد جمع الجنود يقودها قوادهم وكان كل إنسان مع أهل قريته من حصن « بكى » (BKY) (بالقرب من كوبان) حتى حصن « تارى » (بالقرب من ابريم) وقد قطع اثنين وخمسين « إترو » (أى حوالى ٧٥ ميلا) .

الموقعة : "وقد أخذتهم قوة « نب ماعت رع » في يوم بل في ساعة في مذبحه وماشيتهم ، ولم يفلت واحد منهم ، وأحضر كل منهم ... الخوف وقد استولت عليهم قوة « أمنحتب » ، والمتوحشون منهم ذكورا وإناثا لم يفصل بينهم ، وذلك بتدبير « حور » رب الأرضين ، الملك « نب ماعت رع » الثور القوى الشديد فى البأساء . وقد كانت بلاد « أبهت » منقطعة ، وكان فى قلوبهم أشياء عظيمة ، ولكن الأسد ذا العين المقترسة — هذا الحاكم — قد ذبحهم بأمر « آمون — آتوم » والده الفاهر وهو الذى قاده بقوة ونصر " .

قائمة الأسرى والقتلى :

قائمة الأسرى الذين استولى عليهم جلالة فى أرض « أبهت » الخامسة :

خمسون ومائة عبد حى ، وعشرة ومائة رام ، خمسون ومائتا أمة ، خمسة وخمسون خادما من العبيد وخمسة وسبعون ومائة من أولادهم فجميع هؤلاء إذن أربعون وسبعائة نسمة ، يضاف إليهم اثنتا عشر وثلاثمائة يد منهم ، وعلى هذا فالمجموع الكلى هؤلاء الأسرى هو اثنان وخمسون بعد الألف من النسبات .

ما قاله نائب الفرعون : ” ابن الملك الساهر لأجل سيده ، محبوب الإله الطيب ، حاكم كل بلاد « كوش » ، وكاتب الملك « مرس » يقول : الحمد لك يا إله الطيب إن بأسك عظيم على من يجابهك وإنك تجعل من يثور عليك يقول : إن النار التي أشعلناها تضطرم فينا ، وإنك ذبحت كل أعدائك وطرحتهم تحت قدميك “ .

أعمال الفرعون في آسيا : أما الأراضي الآسيوية فإن قدم « أمنحتب الثالث » لم تطأها قط ؛ هذا على الرغم مما ذكره في نقوشه كما سيأتي من أنه أخضع بلاد « رتنو » وبلاد « نهرين » بحمد السيف ، يضاف إلى ذلك أنه لم يسيطر سيطرة فعلية على بلاد « سنجار » و « آشور » و « أرباخا » و « كريت » قط . والواقع أنه ربما كان يعني من ذكره هذه البلاد أنها كانت تدين له بالهدايا التي كانت تأتي إليه منها . إذا الواقع أن « أمنحتب » لم يذهب أبدا إلى هذه البلاد ولم يشن عليها أية حرب كما يدل على ذلك الخطاب الذي أرسله أمير جيل « بيلوص » (راجع Am. 69, 85) يلح فيه على الفرعون « أمنحتب الثالث » أن يحضر بنفسه ليضع حدا للهجوم الذي قام به « عبد أشرتا » الأمير الأموري فيقول فيه منذ أن فادروا والدك « صيدا » (منذ هذه الأيام) ، والبلاد قد انضمت إلى البدو (جاز) ؛ ومن ذلك نعلم أن آخر فرعون قام بحروب في سوريا هو الفرعون تحتمس الرابع (راجع Meyer, “Gesch.” II, 1, P. 150.) .

أما المصادر المصرية التي تشير إلى حروبه في آسيا فهي :

(١) لوحة من الحجر الجيري الأبيض أقيمت في معبده الجنائزى في « طيبة » تحدثنا عن انتصاراته في الشمال والجنوب . فنشاهد عليها منظرا يظهر فيه « أمنحتب » مرتين إحداهما على اليمين يسير فيه فوق أهالى الكوش المجذلين ، ورؤساؤهم مكبلون وراء خيله وقد كتب فوقهم النقش التالى : ” الإله الطيب رب السيف الشديد في سوقهم (عند عربته) مهلكا وارث الكوش الخاسئين ومحضرا أمراءهم أسرى أحياء “ ثم يشاهد بنفس الطريقة ماشيا فوق الآسيويين في الجهة اليسرى من اللوحة . وقد كتب فوق الأمراء الذين ربطوا في الخيل الكلمات التالية : ” الإله الطيب « حور » الذهبي المضى في عربته مثل طلوع الشمس ، العظيم في البأس ، والقوى في السلطة ، عظيم القلب مثل ماكن « طيبة » (متو) ضارب نهرين بسيفه البتار “ . وفي أسفل اللوحة كتب السطر التالى : ” كل مملكة ، وكل المدنيين ، وكل السكان ، ونهرين ، وكوش الخاسئة ، و « رتنو العليا » و « رتنو السفلى » تحت قدمي هذا الإله الطيب مثل راع مخدأ “ (راجع “Breasted”, A. R. II, §

: (856 ff. Petrie. "Six Temples", X. المستولى على « سنجار » (Fraser, P. S. B. A. XXI, Pl. III) .

وفي معبد « صولب » نقش على عمده صور أسرى تمثل بلاد « سنجار » ،
و « نهرين » ، و « الخيتا » ، و « قادش » ، و « تونب » ، و « أوجاريت » ،
و « كفتيو » ، و « قرقيش » ، و « آشور » ، و « أراباخيتس » (راجع L. D. III, Pl. 88) .
ومما سبق نرى إذا صدقنا ما جاء على الآثار أن هذا الفرعون فتح البلاد المشار
إليها هنا ، بيد أن الحقيقة الواقعة أنها كانت كلها ممالك مصادقة له ترسل إليه الهدايا
كما أسلفنا .

امبراطورية « أمنحتب الثالث » وملاهيته

والواقع أن « أمنحتب الثالث » كان آخر فرعون حكم الامبراطورية المصرية من
أقصاها إلى أقصاها وهي ذلك الملك الشاسع الذي فتحه أسلافه المحاربون ؛ وإذا
قيس هذا الملك الضخم بأعمار الدول العظام الأخرى فإنها تعد قصيرة العمر إذ قد
وصلت إلى قمة مجدها في الفتوح في عهد « تحتمس الثالث » العظيم في حملته الثامنة
حينما عبر بجيوشه « نهر الفرات » وأقام لوحة الحدود على ضفته اليمنى وعندما انتصر
على الآسيويين في موقعة « قرقيش » عام ١٤٦٧ ق . م ولم يكد ينقضى قرن من
الزمان على هذا الفتح حتى وجدنا هذا الملك الشاسع أخذ يذوب ويتلاشى في آسيا
فلم يحل عام ١٣٦٠ ق . م حتى أصبح ملكها في سوريا أثرا بعد عين إلى أن أعاد
« سيتي » وابنه « رمسيس الثاني » بعض مجد البلاد ثانية في هذه البقاع .

والظاهر أن الروح الحربى الذى كان يتأجج في نفوس رجال الشعب المصرى
قد انطفأ مصباحه عندما أخذت عيشة الترف والبذخ والدعة تدب في الشجعان
الذين كانوا يقودون جيوش مصر إلى ساحة النصر والفخار .

ولا غرابة فقد كان « أمنحتب الثالث » أكبر مترجم للشعور القومى من هذه
الناحية . حقا كان نشطا مقداما إلى حد ما ، عندما كان يقوم بأعمال تراث إلى نفسها

وينعم بها لشخصه وإشباع شهوة في طويته ، إذ يدل ما ترك لنا من آثار وبخاصة جعارينه التذكارية على أنه كان صيادا ماهرا مثل والده وأجداده ، وقد سجل لنا على أحدها عدد الأسود التي سقطت مضرجة بدمائها بسهامه ، غير أنه على ما يظهر لم يرث منهم حب الغزو الذي بقي يضطرب في نفس «تحتمس الثالث» حتى أقعدته عنه الشيخوخة وأعباء السنين ، والواقع أنه بعد حملته إلى بلاد النوبة كانت كل الامبراطورية في هدوء تام مدة طويلة من الزمن ، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعله يقوم بدور آخر مثله تمثيلا يتفق مع عظمة مصر وضخامة ملكها . فقد أراد أن يمثل في شخصها كل البهاء والفخار وأبهة الملك التي أحرزها أجداده لمصر قبل أن يجبو مصباحها وتنكش في عقردارها . وقد كتب له أن يفوز بما أراد بما هيأته له الأحوال فكان مثله مثل «هرون الرشيد» الذي يرمز إلى عظمة الدولة العباسية مع الفارق أن الثاني كان يفز سنة ويحج أخرى ؛ أما الأول فكانت حياته صيدا وقنصا ، أو إنشاء أو تشييدا ، وقد كان يعد نفسه إلها على الأرض ، ولاغربة في ذلك فإن كل ملك مصري كان يلقب بالملك الطيب كما كان يلقب «آمون» أو «رع» أو «بتاح» بالإله الأعظم الذي يسكن السماء ، غير أن طبيعة «أمنحتب» الإلهية لم تكن رسمية فقط ، بل كان مثله كمثل الملكة «حتشبسوت» من قبله ، ابن الإله مباشرة . وذلك أن الإله «آمون» ملك الامبراطورية الأعظم ورب الأعظم قد تمثل للملكة «موت مويا» بشرا سويا في صورة «تحتمس الرابع» على حسب ما جاء في نص معبد الأقصر ، ونفخ فيها من روحه واجتمع بها ، ووضعت له غلاما زكيا اسمه «أمنحتب الثالث» وبذلك يكون «آمون» هو والده الروحي . ولا غربة في أن نرى هذا الفرعون يعد نفسه منذ نعومة أظفاره ابن الإله . وسنرى أنه كان مؤلما في المعبد الذي أقامه لنفسه ولإلهه «آمون» لهذا الغرض وحده .

يضاف إلى ذلك أن كل الثراء والغنى والجزية التي كانت قد كدست في طيبة مما كانت تنتجه أرض الكثانة ومما كان يتدفق عليها من البلاد الآسيوية وبلاد النوبة

وبخاصة ما كان يجبي من هذه الممتلكات من الذهب الذي كان لا ينقطع معينه من بلاد « واوات » وبلاد « بنت » . كل هذا الثراء كان مغريا خلافا وحافزا جذابا ودافعا قويا ليجعله ينظر إلى ملكه كما كانت ينظر الخليفة العباسي « الأمين » أو « لويس العاشر » عندما اعتلى عرش البابوية فراه يقول : ” بما أن الله قد وهبنا إياها فلتمتع بها “ . وعلى أية حال فإن حب التمتع بمناعم الحياة الدنيا وزيتها كان رائده الأعلى طوال مدة حكمه ، كما كانت الفتوح العظيمة هدف جدّه « تحتمس الثالث » . والظاهر أن الثورات في بلاد « سوريا » كانت معدومة عند توليته العرش ، فليس لدينا من الوثائق ما يشير إلى اضطرابه إلى الزحف على رأس جيش نحو آسيا قط ، اللهم إلا إشارة عابرة في أحد خطابات « تل العمارنة » عن زيارة قام بها إلى « صيدا » وربما كان من الخير لو اضطرتّه الأحوال إلى خوض غمار حرب في آسيا لحفظ مكان الامبراطورية . وتدل كل الأمور على أن كل بقاع العاهلية ظلت في هدوء وسكينة سنين عدّة على حسب ما كان يصل إلى سمعه من الأخبار التي كانت في معظم الأحوال تصاغ بصورة ترضى الفرعون وتهديّ خاطره .

حقا وصلت إلينا بعض رسائل من خطابات « تل العمارنة » تنبئ عن اضطرابات ومشاحنات قامت بين الأمراء في شمال سوريا ، وكذلك عن غارات قامت بها بعض القبائل النازحة مما كان يحفز « تحتمس الثالث » إلى سل الحسام وقيادة جيشه في الحال لإخمادها ووضع الأمور في نصابها قبل أن يستفحل الشر ويصبح لهيبا متقدّا . ولكن خلافا لذلك كان السلام شاملا والأمور تجري في مجراها الطبيعي ، من أجل هذا كان الجوّ مهيبا أمام « أمنحتب الثالث » للقيام بالأعمال السامية التي كانت تتجلى مظاهرها في تقدم الفن والعمارة والأدب ، وتلك ظاهرة نشاهدها غالبا في تاريخ حياة الأمم عندما تصل في عظمتها إلى الذروة في نواحي العمران وعندما تظل بعيدة عن مساوئ المدنية الكاذبة ، ولم يدب في عظامها الوهن والانحطاط اللذان يسببهما سوء استعمال الثروة بالتغالي في الترف . ولقد ساعده على السير في طريق

رقى البلاد الداخلى والخارجى أن تزوج فى باكورة توليته عرش الملك من فتاة من أعظم نساء التاريخ المصرى ذكاء وقوة عزيمه ، فقد كان نفوذها فى الداخل والخارج من أكبر العوامل فى تكييف مصير الامبراطورية فى هذه الفترة . ومن المحقق أن « أمنحتب » تزوج من « تى » قبل السنة الثانية من سنى حكمه ؛ ويقول الأستاذ برستد : إنها كانت من أصل وضع غير أن الوثائق التاريخية التى كشفت حديثا لا تساعد على الأخذ بهذا الزعم . حقا إنها لم تكن من دم ملكى ، ولكن من المحقق أن والديها كانا يشغلان وظائف راقية فى الدولة ، فكان والديها كاهن الإله « مين » وأمها كانت المشرفة على الملابس فى البلاط الملكى ووصيفة فى القصر . وتدل كل الأحوال على أن هذا الزواج قد جاء عن طريق الحب والمعاشرة ، إذ لا بد أن « تويا » أم « تى » التى كانت تحمل لقب الوصيفة الملكية ومغنية الإله « آمون » كانت على اتصال « بأمنحتب الثالث » فى طفولته . وهنا نشأت أواصر الحب بينهما وانتهت بزواجه منها (Quibell, "The Tomb of Yuaa and Thuiu", P. 18.) ، ولما كان هذا الزواج خارجا على التقاليد الفرعونية المرعية وهى التى كانت تحتم أن تكون الملكة الشرعية من دم ملكى خالص رأى هذا الملك الفتى أن يعلن نقضه لهذا التقليد غير مبال ولا هيب على الملأ بصورة تسترعى الأنظار وبطريقة فذة فى بابها ، وقد خلد ذكرى هذا الحادث بعمل تذكار أقام له احتفالا خاصا مما يدل على أنه كان عند توليته العرش له إرادته الخاصة ورأيه النافذ الذى لا يخضع لعرف أو تقليد . وهذا التذكار نقشه على جعران من صور عذّة (راجع Fraser, "Notes on Scarabs", P. S. B. A., XXI, Pl. opp. P. 155, 156.)

وهالك ترجمة ما جاء عليه :

” يعيش (ألقاب الفرعون كاملة) الملك « أمنحتب الثالث » معطى الحياة ، والزوجة الملكية العظيمة « تى » العاشقة . واسم والديها « يويا » واسم والدتها « تويا » وهى زوجة ملك عظيم تمتد حدوده الجنوبية حتى « كاراي » وحدوده الشمالية حتى « نهرين » “ .

ولقد استطاعت بنت الشعب هذه بما أوتيت من ذكاء وسحر أن تستأثر بلب زوجها وتستهوئ قلبه طوال مدة حياته حتى وهى فى شيخوختها ظلت صاحبة المكانة الممتازة بين الأميرات الأجنبية اللاتى كن أزواج « أمنحتب » .

ولقد أتى عليها حين من الدهر كانت هى المديرة لسكان الدولة . فقد كتب إليها « دوشرتا »^(١) ملك « متنى » رسالة فى عهد « أمنحتب الثالث » زوجها كما كتبها فى عهد ابنها « اخناتون » منوها بأنها هى التى تعرف تسيير الأمور أكثر من أى



(هـ) الملكة « نى »

(١) راجع : Mercer, "The Tell El Amarna Tablets", No. 26.

إنسان آخر ورجاها أن تعمل على توثيق علاقات الود والمصافاة وأن تجعلها أحسن حالا مما هي عليه عشر مرات وبخاصة أن تحفه بإرسال هدايا من الذهب النضار. وكان اسم « تي » مقرونا باسم الملك حتى في الوثائق التي كان لا داعي لذكرها فيها قط . ولا أدل على ذلك من تدوين اسمها على الجعران العظيم الذي نقش خصيصا لتخليد ذكرى زواج « أمنحتب الثالث » من الأميرة « جلوخيا » بنت ملك « متي » « دوشرتا » وكان الفرعون كان يقصد من ذلك تفضيل « تي » على هذه الزوجة الأجنبية الجديدة كما ذكرنا آنفا .

« أمنحتب » والصيد والقنص : أظهر هذا الفرعون الغضب الإهاب منذ باكورة حكمه قوة ونشاطا وميلا للغامرة في الطراد ، ومتابعته بصورة فريدة في بابها كأنه كان يريد أن يبذ والده وأجداده ، فقد ذكر لنا على جعران من الجعارين التي تركها لنا مؤرخا بالسنة الثانية من حكمه الطراد العظيم الذي نظم له لصيد الحيوان البري ، والظاهر أنه كان في بلاد الدلتا ، فقد أوردى بسهامه في يومين ، ستة وتسعين من قطع كان يتألف من سبعين ومائة رأس . وكان هذا أول طراد عرف له ، وهاك النص حرفيا :

« السنة الثانية من حكم جلالة « أمنحتب الثالث » معطى الحياة ، والزوجة الملكية العظيمة « تي » العائشة أبديا . الأعجوبة التي حدثت لجلالته . أتى إنسان ليقول لجلالته : توجد ثيران برية على النجاد في إقليم المستنقعات ، فأنحدر جلالته في النهر في سفينته المسماة « خع ام ماعت » (التي تظهر في الصدق) عند الأصيل ، وقد بدأ طريقه المستقيمة ، ووصل سالما الى إقليم « شتا » عند وقت الإصباح ، وقد ظهر جلالته على جواده (أى عربته) وكان كل جيشه خلفه ، وكان على القواد ورجال الجيش عامة ، وكذلك الأطفال (كپ) أن يتنبهوا لحراسة الماشية البرية : تأمل ! لقد أمر جلالته أن تحاط هذه الماشية بجدار مسور ، وقد أمر جلالته بإحصاء كل هذه الماشية البرية ، فقرر أنها سبعون ومائة ماشية

برية ، وقرر أن ما استولى عليه جلالته في الطراد في هذا اليوم هو ستة وخمسون ثورا برياً . وقد مكث جلالته أربعة أيام بدون عمل ليعطى جياده نارا (ينشطها) ثم ظهر جلالته على جواده كرة أخرى .

بيان بتلك الحيوانات التي استولى عليها في الطراد : وهي ” أربعون ثورا برياً فيكون المجموع ستة وتسعين ثورا برياً “ (راجع A. S., XLV, 87. ff.) ومن هنا نعلم أن هذا الفرعون قد اصطاد في يومين أكثر من ستة وتسعين حيواناً ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن الفرعون كان شقيقاً على جياده فقد أراحها مدة أربعة أيام لتستعيد نشاطها وقوتها للطراد ثانية .

على أن هذا الطراد ليس الوحيد في بابيه ، إذ نجد الفرعون يطبع لنا جعرانا آخر من عدة نسخ أظهرت الكشف منها حتى الآن أكثر من خمسة وثلاثين جعرانا ، وأزخه بالسنة العاشرة من حكمه ، وهذا الجعران خاص بالأسود التي اصطادها في السنين العشرة الأولى من حكمه فيقول : ” يعيش الملك « أمنتب الثالث » حاكم « طيبة » ، معطى الحياة ، والزوجة الملكية العظيمة « تي » العائشة : بيان بالأسود التي أرداها جلالته بقوسه من السنة الأولى إلى السنة العاشرة من حكمه « اثنان ومائة من الأسود المفترسة » (راجع (Breasted, A. R., II, § 865.)

والواقع أن « أمنتب الثالث » كان في السنين الأولى من فاتحة حكمه صيادا عظيماً ، غير أن الرقم القياسي الذي ضربه في صيد الأسود يتضاءل أمام ما أصابه ملك^(١) « آشور » « تجلات بيليزر » في هذا المضمار ، وقد جاء بعده بنحو ثلاثة قرون ، فقد ذكر لنا ملك « آشور » — ولا بد أنه كان خصب الخيال — قصة رائعة عن طراده الأسود قال فيها : ” إنني قتلت عشرين ومائة أسد بحماتي الغضة في صفوان شبابي ، وأنا على قدمي ، واصطدت ثمانية أسد ، وأنا منتط عريتي “ ولا شك في أن المطلع على ما جاء في تقرير كل من هذين العاهلين لا يسعه إلا أن يكمل الثناء

(١) راجع : Maspero. : “Cambridge Ancient History”, Vol. II. P. 250 ; “The Struggle of the Nations”, P. 625.

« لأمنحتب الثالث » ؛ لأنه حاول في بيانه أن يعطى نسبة يدركها العقل إذا قرنت بتلك النسبة الخيالية التي ذكرها ملك « آشور » .

مبانى أمنحتب الثالث

هذه صفحة من أنواع اللهو الذي كان يصرف فيه « أمنحتب » شطرا من حياته وبرفته وزوجه « تي » ، وهذه الهوية المحببة لم تكن لتثنيه عن الالتفات إلى جسام الأمور في داخلية البلاد عند ما كان يرى أن ذلك مما يحجده أو يرفع من شأنه في أعين الشعب ويكسبه رضى آلهته الذين حبوه بالنصر على الأعداء . ولذلك كان أول ما وضع فيه كل همته هو تجميل مدينة « طيبة » مهد أعظم آلهة الدولة وأعلاها كعبا . ولا غرابة فإن ذلك كان يتفق مع ميوله السلمية ، وقد كانت هذه المدينة آخذة في الاتساع يزداد بهاؤها وعظمتها باطراد منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة مما جعلها تأخذ بنصيب الأسد من الثروة التي كانت تتدفق على مصر من « سوريا » وبلاد « النوبة » . والواقع أن « طيبة » نالت في عهده ما لم تنله في عهد أى فرعون قبله أو بعده بما أقيم فيها من معابد فاخرة وقصور شامخة كانت مضرب الأمثال وبهجة الناظرين في عصره . على أن ما أقامه في هذه المدينة من آثار كان يترسم فيه خطأ أسلافه ثم يفوقهم في الفخامة والعظمة ، هذا فضلا عما ابتكره مما لم يسبق إليه .

فراه قد جرى على نهج أجداده في إقامة المعابد للآلهة المحلية في « طيبة » نفسها مقر الإله العظيم « آمون رع » ، كما أقام لهم المعابد في أنحاء بلاد النوبة ولم يجاره في هذا المضمار إلا « تحتمس الثالث » فقد بنى الأخير معبدا للإله « بتاح » في معبد الكرنك العظيم وأقام الفرعون « أمنحتب الثالث » على غرار معبدا للإله « متو »^(١) إله الحرب وآخر للإلهة « موت »^(٢) زوج الإله « آمون رع »

(١) راجع : Bouriant "Rec. Trav." XIII, P. 172, 173; Brugsch, Rec. LXII. [3]; Porter and Moss, "Bibliography", II, P. 3-5.
(٢) راجع : Benson and Gourlay, "Temple of Mut".

في معبد الكرنك أيضا (راجع Porter and Moss, " Bibliography " II, P. 89-91) وأعظم وأنخم بناء أقامه « أمنحتب الثالث » في « طيبة » معبده الجنازى الذى أقامه على الضفة اليمنى للنيل فى السهل المنبسط وراء شاطئ النهر وفى سفح التلال التى تكتنف النيل فى هذه الجهة ، وقد كان غرضه الأول من إقامته أن يكون معبدا جنازيا له يعبد هو فيه بوصفه إلهيا وكذلك ليكرم فيه والده « آمون » . غير أن عوادي الدهر ويد التخريب لم تبق عليه ولم تدرججرا من أحجاره ، ولم يصل لنا من أطلاله ما يدل على نخامته وعظمته إلا التمثالان المعروفان بتمثالى « ممنون » المنحوت كل منهما فى قطعة واحدة من الحجر الرملى المستخرج من محاجر الجبل الأحمر الواقع بجوار « عين شمس » ، وقد نقل هذا الفرعون هذين التمثالين إلى هذا المعبد فى طيبة الغربية ، ولذلك عبر « أمنحتب الثالث » بكبرياء ونخار عن نقلهما إلى هذا المكان بالعبارة التالية :

لقد نقلتهما من « عين شمس » الشمالية إلى « عين شمس الجنوبية » (أى من محاجر الجبل الأحمر الواقعة بجوار عين شمس إلى طيبة الغربية التى كان يطلق عليها المصريون اسم (عين شمس الجنوبية) .

وقد لقب هذا الفرعون نفسه على تمثاليه الضخمين المقامين أمام هذا المعبد " صاحب الآثار العظيمة التى نقلها بقوة من « عين شمس الشمالية » إلى « عين شمس الجنوبية " .

ومن حسن الصدف أن « أمنحتب الثالث » بعد أن أتم إقامة هذا المعبد العظيم أقام فى ردهته الكبرى لوحة عظيمة من الجرانيت الأسود نقش عليها نقوشا جاء فيها كل ما كان يحتويه المعبد من أثار نخم ، وزخرف بهيج ، وقد اغتصب الفرعون « مرنبتاح » هذه اللوحة بعينها وهى المعروفة بلوحة « بنى اسرائيل » ونقش على وجهها الغفل من النقش وصف حروبه ومآثره فى خلال حكمه ، كما اغتصب معظم أحجار هذا المعبد هو ووالده وبني به معبده الجنازى (راجع Breasted, A. R. II, § 878; Rec. XX, 37-54.) .

وهذه اللوحة لها أهميتها القيمة من الوجهة التاريخية والدينية، إذ تصف لنا معبد «أمنتحتب» الجنازى الذى أقيم فيه تمثالا «ممنون» ومعبد «الأقصر» ومايتصل به من مبان ، والقارب المقدس والبوابة الثالثة العظيمة التى أقامها هذا الفرعون فى معبد « الكرنك » ومعبد « صولب » الذى أقامه فى بلاد « التوبة » ثم أنشودة للإله « آمون » .

وسنورد ترجمة هذه اللوحة مع التعليق عليها ليرى القارئ عظمة ما قام به هذا الفرعون من المباني الدينية فاستمع لما جاء فيها عن معبده الجنازى :

« تأمل ! إن قلب جلالتك كان راضيا عن إقامة آثار عظيمة مما لم يعمل مثلها منذ الأزل .

ولقد جعله بمثابة أثر لوالده « آمون » رب « الكرنك » وسيد « طيبة » ، إذ أقام له معبدا نفعا فى غربى « طيبة » ليكون حصنا خالدا أبدا من الحجر الجيرى الأبيض المغطى كله بالذهب كما صفحت رقعته بالفضة ، وكل أبوابه كانت مصفحة بالسام . وقد كانت رقعته عظيمة الاتساع والججم جدا ، وأسس للأبدية ، وقد زين بهذا الأثر العظيم جدا (اللوحة) . والتماثيل الملكية فيه عديدة ، وقد صنعت من جرانيت « الفنتين » ، ومن الحجر الصلب ، ومن كل حجر فانتزعت ، ليكون عملا خالدا . وتضىء فى رقعته أكثر من السموات ، وأشعتها تسطع فى وجوه الناس مثل الشمس عندما تشرق فى الصباح المبكر . وقد جهز « بموقف للإله » ، وغشى بالذهب ، وأحجار ثمينة عدة ، ونصبت أمامه عمد أعلام مغطاة بالسام وهو يشبه الأفق فى السماء عندما يشرق فيه « رع » (الشمس) وتمدد بحيرته العظيمة من النيل العظيم ، رب السمك ، والطير طاهر فى » .

ثروة المعبد : « وحظيرة مملوءة بالعبيد ذكورا وإناثا ، وكذلك أولاد أمراء كل الأقاليم ، التى استولى عليها جلالتك . ومخازنه فيها من كل مالد وطاب مما لا يعرف له عدد ، وتحيط به مستعمرات من أراضى « خاروا » يقطنها أولاد الأمراء ، وحيوانها يعتد بالملايين مثل رمال الشاطئ » .

بوابة المعبد الغربية : وهو حبل مقدمة سفينة الصعيد وحبل مؤخرة سفينة الدلتا (نعتان للفرعون) وقد ظهر جلالتك نفسه مثل « بتاح » وكان ذكى الفؤاد مثل « الذى جنربى جداره » (أى الإله بتاح أيضا) باحثا عن أشياء ممتازة لوالده « آمون رع » ملك الآلهة ، فأقام له بوابة عظيمة جدا قبالة آمون (وهى

(١) المكان الذى يقف فيه الملك ليتوج فى قدس الأقداس .

البوابة التي كانت تكتنف تمثالي «ممنون» (وكان اسمها الجليل الذي منحه إياها جلالته : «آمون تسلم سفينة المقدسة » وهي مكان يرتاح فيه رب الآلهة « في عيد الوادي » الخاص به عند سياحة آمون إلى الغرب ليشاهد آلهة الغرب لينح جلالته حياة راضية “ .

أهمية هذا المتن : ولا نزاع في أن هذا الوصف الرائع لهذا المعبد لم يضع أمامنا تفاصيل دقيقة غير أنه شرح خلاص يعطينا صورة عن عظم ثروة الامبراطورية في هذا العهد وما كانت تنعم فيه البلاد من مجد وأبهة، وما كان يقدمه الفرعون للإله ، وما كان يتخذه لنفسه من أثاث وعتاد لعبادته . ومما يلفت النظر بوجه خاص ذكر مستعمرة « السوريين » التي أسست لهم في مباني هذا المعبد، مما يدل على مدى اختلاط الأجناس الأجنبية بالمجتمع المصري ، مما أدى إلى امتزاج دم جديد بالدم المصري فأثر في تغير سحن المصريين وبخاصة علية القوم، وسنرى أثر هذا الاختلاط فيما بعد . على أن هذه المستعمرة لم تكن الوحيدة في بابها بل لها مثيلاتها فقد عثر بجوار « بوهول » على مستعمرة كان جل أهلها من « العبرو » (العبرانيين) الذين نجد ذكرهم في لوحة منف الجديدة لأقول مرة ولا يزال اسم هذه المستعمرة باقيا في اسم بلدة « الحرونية » نسبة لإلههم « حورنا » أو « حول » وهو « بوهول » الذي وجد مع معبودهم الذي كانوا يعبدونه في بلادهم كما شرحنا ذلك من قبل على أنه لدينا لوحة أخرى لا تزال ملقاة بجوار تمثالي «ممنون» وفيها إهداء هذا المعبد للإله «آمون رع» . (راجع Breasted, A. R. II, § 904) وقد كان موضعها الأصلي في المعبد في «موقف الملك» أي أنها كانت ترتكز على الجدار الذي خلف حجرة قدس الأقداس . والجزء الأعلى من هذه اللوحة يحتوي على منظرين تقليديين يرى فيهما الفرعون « أمنحتب الثالث » وزوجه الملكة « تي » أمام الإله « سكر أوزير » في الجهة اليسرى والإله «آمون رع» في الجهة اليمنى (راجع L. D. III. Pl. 72)

وهاك نص اللوحة :

خطاب الفرعون : ” يعيش (القاب الفرعون) الملك « أمنحتب الثالث » يقول : تعال أنت يا «آمون رع» يارب طيبة ، يامن تسيطر على «الكرك» لقد رأيت بيتك ، الذي لك في غربي «طيبة»

وجماله يمتزج بجبال « مانو » (جبال خرافية في الغرب) عندما تسبح في السماء لتغرب وراءها ، وعندما تشرق في أفق السماء فإنه يضيء بذهب وجهك ، لأن واجهته شطر الشرق وإنك تضيء في الصباح كل يوم ، وجمالك في وسطه دائما ولقد صنعته صناعة ممتازة ، فهو من الحجر الرمل الأبيض الجميل “ .

تمثالا ممنون : “ولقد ملأته جلالتي بالآثار بتماثلي من جبال الحجر الصلب ، وعندما ترى في مكانها فإنها تبعث البهجة بسبب حجمها « العظيم » ، ولقد صنعت كذلك صورة في الحجر من المرمر والجرانيت الوردي والأسود . وقد أقام جلالتي « بوابتين » مريدا عمل أشياء ممتازة لوالدي ، وتمثيل خارجة وقد صورت جميعها ، ولقد كان ما صنعت من ذهب وحجر ، وكل حجر غال فاتحلا حصره . ولقد ألقيت عليهم التعليمات ليعملوا ما يسر حضرتك راضيا بماوى ممتاز مثل “ .

القربان : “ولقد خصصت لها (التمثيل) قربانا ، وقد عمل جلالتي هذه الأشياء للملايين السنين ، وإني أعلم أنها تمكث على الأرض لوالدي كل ما يلزم عمله له . وصنعت لك ظلا (مزولة أى ساعة شمسية) لسياحتك في عرض السماء مثل « آتوم » عندما يخرج مع كل الآلهة حينما يكون ناسوع الآلهة الذين خلقك والقردة المقدسة تجسد شروقك وظهورك في الأفق . والناسوع الإلهي يتبع ويقدمون الثناء للإله « خبري » والقردة المقدسة تمدحك عند ما تقرب في « الحياة » في الغرب “ .

المسلات : “وأقت مسلات هناك [... ..] ، ولقد أظهرت عطفًا لكل ما فعله جلالتي في صورة مقصورة لجلالتك وأقت لك ثانية آثارا في غربي المساوي العظيم ^(١) . ولقد عظمت كل الأعمال لأجل أن أقدم ضرائبي على يد جيشي . ولقد اغتبطت عند ما فعلت كل ذلك لوالدي . وخصصت لك قربانا يوميا عند بداية الفصول ، وضحايا في مواعيها ، بمثابة ضريبة لمعبدك . وخدام الإله والكهنة من أعظم وخير من في البلاد ، فتقبل ما فعلته يا أيها الوالد المبجل « يا آمون » الأزلي “ .

كلام آمون : الكلام الذي نطق به « آمون » تعال يا بني « أمنتب ، إني أسمع ما تقول ، ولقد رأيت آثارك ، وإني والدك خالق جمالك وإني أقبّل أثرك الذي أقتله .

كلام الناسوع الإلهي : “تعال في معبدك الأبدى ، وإنه «نب ماعت رع» (أمنتب الثالث) ابنك الذي عمل لك هذا وإنك في السماء ، وإنك تضيء الأرض ، والملك على الأرض يدير دولتك “ .

(١) اسم هذا المعبد هو بيت آمون في غربي طيبة (راجع Spiegelberg, “Die Bauinschrift

• (Amenophis III auf der Flinders Petrie-Stele”, Rec. Trav. XX, P. 49.

تمثالاً ممنون : ومما هو جدير بالملاحظة في هذه النقوش ذكر التماثيل التي أقامها الفرعون في هذا المعبد وقد نحتها من كل الأحجار النادرة، وكذلك الأواني والأشياء التي صنعها من الذهب . كما أشار إلى تمثال «ممنون» القائمين أمام «بوابة المعبد» وكذلك ذكر لنا وجود مسلتين . ثم ذكر لنا وضع منزلة ليعرف بها الكهنة سير الشمس في السماء . ومن كل هذا لم يبق لنا إلا تمثالاً «ممنون» (أمنحتب الثالث) ومع ذلك فقد أخنى عليهما الدهر وشوَّههما تشويهاً كبيراً بفعل العوامل الطبيعية ويد الإنسان معا . وكان يبلغ طول الواحد منهما قبل تهشيمه نحو تسع وستين قدماً ، وطول ساقه تسع عشرة قدماً ونصف القدم ، وطول قدمه عشر أقدام ونصف قدم ، وعرض صدره عشرون قدماً وطول أصبعه الوسطى أربع أقدام ونصف القدم ، وذراعه خمس عشرة قدماً ونصف راسم .

وربما يعزى بقاء هذين الأثرين لتأليه القوم لهذا الفرعون ، وعلى أية حال يظهر أنه لم تقم أية محاولة لإتلافهما واغتصابهما ، كما كانت سنة الفراعنة ، ولذلك فقد بقيا جالسين على حافة الصحراء يريان «طيبة» تنمو تارة وتسقط أخرى . فقد رأيا « الآثيوبيين » يدخلون البلاد ، ومن بعدهم « الآشوريين » ثم « الفرس » ثم أعقبهم « الإغريق » « فالرومان » ثم « العرب » أخيراً .

وفي عام ٢٧ ق . م . حدث زلزال قضى على بعض ما كان ماثلاً من خرائب « طيبة » وهشم التمثال الشمالى من تمثال «ممنون» فكسر نصفين ، وسقط نصفه الأعلى وكان هذا الزلزال الذى أعقبه الكسرفاتحة عهد جديد في شهرة هذا الأثر ، إذ بعد حدوث هذا التصدع بزمن قصير كان المارة يسمعون في الصباح المبكر عند طلوع الشمس صوتاً موسيقياً ينبعث من التمثال المكسور ، كأنه صوت عود ، وقد انتشر خبر تلك الأعجوبة ، ومن ثم حبك الخيال الإغريق الخصب الخرافات عن سبب هذا الحادث . وعلى الرغم من أن المصريين الذين كانوا يعيشون بجوار هذين الصنمين يعرفون أنهما للفرعون « أمنحتب الثالث » ، فإنهم أفتوا بأن الصوت المنبعث من التمثال هو صوت

«ممنون» بن «تيتوس» أخى الملك «برايم» صاحب «طروادة» و «إيوس»
الإلهة الإغريقية إلهة شفق الفجر .

وتقول الأسطورة إن ممنون كان يهاجم أهالى «طروادة» هو وجيش من
الأثيوبيين ضد الإغريقين ، وقد قتله «أخيل» البطل الإغريقى ، غير أن أمه
«إيوس» التقطت جثته من ساحة القتال ، ودعت الإله «زيوس» أن يمنحه الأبدية .
وقد صارت الدموع التى انهمرت من عينيها عليه تمثل نقط الندى التى تظهر
كل صباح عند مطلع الشمس . وفى رواية أخرى أن «ممنون» كان رجلا أثيوبى
الأصل وأنه قبل ذهابه إلى «طروادة» أتى إلى مصر ، ومن ثم ذهب إلى «سوس»
«بابل» ، وعلى حسب الخرافة الجديدة التى نشأت حول التمثالين نعرف أن
الأصوات الموسيقية العذبة التى كانت تسمع كل صباح عند مطلع الشمس هى
نبرات صوت هذا البطل يرحب بوالدته عند ما تشرق الشمس فى السماء الوردية
اللون ، ولقد نال هذا التمثال شهرة عالية دوت فى كل مكان حتى أن أباطرة
الرومان ، قد دفعهم حب استطلاع هذا الشئ الغريب إلى أن يفدوا
لزيارته . فى القرن الثانى بعد الميلاد قام الإمبراطور «هدريان» بسياحة
إلى «طيبة» ليستمع إلى هذا الصوت ، وبعد مرور سنين على زيارته هذه جاء
الإمبراطور «سبتيمس سيفرس» لزيارة هذا التمثال وسربه كثيرا لدرجة أخذه
فامر بإصلاح ما تهدم منه . فركب الجزء العلوى فى مكانه وبذلك ظهر بصورته
الحقيقية ، غير أنه مما يؤسف له أن هذا الإصلاح كان إيذانا باختفاء هذا الصوت ،
ومن ثم بقى صامتا فلم يسمع ثانية ؛ ومنذ ذلك العهد انفض الزوار الكثيرون من
حوله ، وأمسى التمثال فى عالم النسيان من هذه الوجهة ، ولكنه دون هذه الناحية
بقى حتى الآن صورة ناطقة بعظمة مقيميه ، ولا يزال كعبة الزوار من كل بقاع
العالم لشهرته وخصامته ، ولا أدل على مقدار شهرة هذا الصنم مما نجده من الكتابات
التي تركها لنا الزوار على أجزائه المختلفة منذ القدم حتى الآن^(١) .

(١) وقد رسم على كل من جانبي التمثال الثانى العظيم (الجنوبى الغربى) صورة كل من الملك «تى»
والملك «موت مويا» Porter and Moss. "Bibliography", II, P. 160

قصر « أمنحتب الثالث » فى الجهة الغربية من « طيبة » : وفى هذه الجهة من مدينة « طيبة » أقام « أمنحتب الثالث » قصرا منيفا بجوار المكان المعروف الآن بمدينة « هابو » ، وبذلك ضرب بالتقاليد الموروثة مرة أخرى عرض الحائط ، وذلك لأن السنة التى كانت متبعة حتى عهده هى أن تكون الجهة الغربية من طيبة ، مخصصة للبنى الجنائزية وحسب ، أما المباني الدنيوية فكانت مشاعة ؛ ولعله أراد بذلك أن يكون بعيدا عن جلبلة المدينة وغوغائها ، على الضفة اليسرى ؛ وكذلك ليكون حرا طليقا فى بحيرة زهرته التى بناها بجوار قصره . على أن كرايام وغير الزمن ، لم تبق من آثار هذا القصر الفاحر إلا قطعا صغيرة من الحجر المنقوش ؛ تمثل اثنتان منها انتصارات الفرعون على الأسويين والسودانيين . وهذا المنظر بعينه قد عثرنا على مثيله ، فى جزء من بقايا عربية « تحتمس الرابع » السالفة الذكر^(١) مرسوما على ظاهرها .

والواقع أنه لما كشف عن بقايا هذا القصر حديثا كشفنا علميا ، لم نجد منه إلا بقايا ضئيلة جدا ، مما يؤكد قول « ديدور » أن المصرى كان يعد مسكنه مجرد مأوى مؤقت . فلم تكن قصور الفراعنة تحوى من الآثار الضخمة ما كانت تحويه قصور « آشور » ؛ بل كان بناء من اللبن مثل البيوت الأخرى ، يحوطه إطار من الخشب ، مرفوع على عمد ، وله واجهات وأروقة ؛ ويحتمل أنه كان قليل الارتفاع عظيم المساحة . وإذا أراد الإنسان أن يتخيل قصرا مصرى فى تلك الفترة فما عليه إلا أن يرنى نحياله العنان ؛ من حيث العظمة والضخامة إذ على ما يظهر كانت كل العناية موجهة الى حسن الذوق فى تنسيقه وزخرفته وما بقى لنا من تنف صغيرة من زخرفة هذا القصر ، يدل على أن « أمنحتب الثالث » كان مثله كمثل أبنه « أمنحتب الرابع » (أخناتون) يرغب فى أن يجعل مناظر الطبيعة ممثلة داخل قصره لتكون متعة للعين ؛ فلا بد أن مناظر طيور الماء وهى تسبح فى أدغال نبات

(١) راجع : Porter and Moss, "Bibliography", I. P. 200.

البشنيين، والجمام وهو يرفرف في السماء الصافية الأديم وغير ذلك مما صوره في مناظره، كانت تدخل على قلب هذا الفرعون السرور والغبطة، ولا بد أن حجرات هذا القصر كانت مؤثثة بأحسن ما ينتجه الفن المصرى، من أنواع التصوير، والأداة الزخرفية الرشيقة، ولسنا مبالغين في هذا الخيال، ولا ذاهبين فيه شططا، فإن فيما عثر عليه من الأثاث الجنازى الفاخر فى قبر « يويا » وزوجه « تويا » وهما والدا الملكة « تى » زوج « أمنحتب الثالث » برهانا ساطعا على صدق ما تخيلناه . فقد وجدت فى هذا القبر قطع فنية من أحسن وأدق ما أخرجه المفتن المصرى ، وأحكم صناعته الصائغ الحاذق . ولسنا بذاهبين بعيدا للبحث عن وصف قصر هذا الفرعون، ففما خلفه لنا « توت عنخ آمون » من أثاث فاخر، وما كشف عنه حديثا من بقايا قصر « أمنحتب الرابع » فى « اختاتون » ، وقد كان يسكنه والده فى آخر أيام حياته ما يغنى عن كل وصف وتهويل . أما قصور عظماء القوم فستحدث عنها فى حينها .

حقا كان قصر « أمنحتب الثالث » مقاما من اللبى ومثله فى ذلك كمثل كل قصور الفراعنة ؛ غير أنه على ضوء ما عثر عليه فيه من بقايا ، وعلى ضوء محاكاته لقصور ابنه « أمنحتب الرابع » التى سنصفها بعد، كان لا بد مزينا بأجمل الزينة، ويجب أن نتصوره بوصفه بيتا صيفيا ذا ألوان جميلة بهيجة، له ممرات وردحات وسقف خفيفة الوزن ، محمولة على عمد مزخرفة ، متكئة على قواعد من حجر، وله مظلات مصنوعة من ألوان زاهية تحجب أشعة الشمس المحرقة، مقامة بجانب بحيرته الصناعية ، التى أقامها بخاصة ، فى مكان أطلق عليه اسم « زعر وحا » (مقصد النعم) وقد كان يتنزه على مياهها « أمنحتب الثالث » ويجواره زوجه الملكة « تى » فى قاربه المسمى « تحن آتون » (قرص الشمس يطلع) . ولا يبعد أن « أمنحتب » قد أقام هذا القصر فى الجهة الغربية من النيل ليتسنى له حفر بحيرة « تاروجا » التى تعد من أحسن مباحج عصره . ويعد الاحتفال العظيم الذى أقيم تخليدا لإنجاز هذه البحيرة بما فيه من عظمة وأبهة ظللا من ظلال الحوادث

العظيمة الباقية التي امتاز بها حكم هذا الفرعون، وقد سجل « أمنحتب الثالث » تاريخ حفر هذه البحيرة على جدران ليكون ذكرى باقية كما فعل بتسجيل أعماله الأخرى الخالدة، فاستمع لما نقش عليه : "السنة الحادية عشرة الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم الأول في عهد جلالة (القاب الملك) الفرعون « أمنحتب الثالث » معلى الحياة، والزوجة الملكية العظيمة « تي » العائشة . لقد أمر جلالة أن تصنع بحيرة للزوجة الملكية العظيمة « تي » في مدينتها « زعر - وحا » . ذرعها سبعة وثلاثة آلاف ذراع واتساعها سبعة ذراع . وقد احتفل جلالة بعيد فتح هذه البحيرة في الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم السادس عشر، عند ما ساج جلالة فيها بالقارب الملكي المسمى « آتون يسطع » (راجع Breasted, A. R. § 869) ولا نزاع في أن إتمام هذه البحيرة في هذه المدة القصيرة لأكثر دليل على النظام المدهش والمهارة الفائقة في تنسيق نواحي العمل في البلاد، فهذه البحيرة التي يبلغ طولها أكثر من ميل ويبلغ عرضها نحو نصف ميل قد أنجزت في خمسة عشر يوما .

أهمية اسم القارب « تحن آتون » : على أن الأهمية الحقيقية للتأريخ هنا، لم تكن في الواقع تنحصر في بناء هذا القصر أو في حفر تلك البحيرة، بل ربما كانت الأهمية العظمى تنحصر فيما ينطوي عليه اسم هذا القارب الذي كان يخرع باب البحيرة بالملك من معنى عميق، وذلك لأن الاسم « تحن آتون » (قرص الشمس يسطع) كان أول مظهر رسمي لاسم إله جديد مزج باسم هذا القارب « آتون » وسيكون له بعد خمسة وعشرين عاما أكبر مكانة عند الفرعون، كما سيكون أكبر شؤم وأبغض شيء عند السواد الأعظم من المصريين . على أنه لا يمكن الجزم في هذه الآونة بما إذا كان « آتون » الذي يحتفل « أمنحتب » بضوئه في اسم قاربه هو نفس « آتون » الذي كان يقصده والده « تحتمس الرابع » ثم ابنه « اخناتون » فيما بعد أم غيره، وإن كانت كل الدلائل والظواهر تدل على أنه هو بعينه كما سبق ذكره . وعلى أية حال فإن مجزء ظهور هذا الاسم في هذه الفترة، وبعد ذكره في عهد « تحتمس الرابع » يعد البذرة الأولى، لقيام هذا المذهب الجديد فيما بعد جملة .

(١) راجع : Bulletin de l'Institut de l'Egypte XX (1938) P. 51 ff.

حيث نجد رأيا آخر من سبب بناء هذه البحيرة .

وعلى أية حال فإننا نجد « أمنحتب الثالث » قد بقى ولو ظاهرا مؤمنا بآلهة آباءه الأولين مما جعله يستمر في إقامة المباني الضخمة لهم في « طيبة » وفي جميع أنحاء جهات القطر .

قبر « أمنحتب » في أبواب الملوك : وبعد أن أتم « أمنحتب » بناء قصره السالف الذكر وهو المقام من اللبن ، أخذ ينحت لنفسه بيتا للأبدية في أبواب الملوك ؛ ولكنه كان أول من عرف كيف يخفى قبره عن الأعين دون أسلافه ، فبدلا من إقامته في الجبانة الشاسعة المطلة على السهل المتصل بالنيل ، فإنه أقامه في مضيق جبلى قاحل من الصحراء بعيدا عن النيل على مسيرة ساعة من شاطئه . وهناك نحت عدة أروقة عظيمة لضريحه حفرت في جوف الجبل لعدة مئات من الأقدام ؛ وهذا الطراز من الدفن قد آتخذه فيما بعد كثير من الفراعنة الذين خلفوه . وهو يحتوى على ممر طويل يؤدى إلى حجرة بها عمودان ثم رواقان يوصلان إلى حجرة الدفن ، ويحتويان على ستة أعمدة ويتفرع من هذين الرواقين سبع حجرات^(١) ، وقد أحكم إخفاء مدخل المقبرة بمهارة فائقة ، فقد جعل خلف صخرة بارزة من الجبل ولم يفش سر وجودها في هذه البقعة إلا شظيات الحجر الصغيرة التى تحلفت من نحت المقبرة ووضعها عند الباب . ويدل ما تبقى على جدران المقبرة على أنها كانت مغطاة بملاط من الجص الملون الذى سقط معظمه . ونعلم مما تبقى منه أن صناعته كانت أجمل بكثير من صناعة مقابر الملوك الذين جاءوا بعده . وقد زينت جدرانها برسوم تمثل رحلة الشمس في أقطار العالم السفلى في مدة اثنتى عشرة الساعة خلال الليل .

(١) راجع : Lefebure, "Les Hypogés Royaux de Thebes" in Mission Arch. Franç. III, P. 172-3 ; (Plan) "Description de l'Egypte Ancienne", II, Pl. 79. [5]; Porter and Moss, "Bibliography", I, P. 28. and Plan, P. 22.

وقد عثر له على تابوت من الجرانيت الأحمر وعلى بعض تماثيل «مجاويين» بمجم
أكبر من المعتاد جدا وصناعتها من الطراز الأول (راجع Maspero, "Struggle
of the Nations", P. 310.) وكذلك بعض الأواني الجنازية .
وكذلك وجد غطاء تابوته المصنوع من الجرانيت الأحمر .

أثار « أمنحتب » في طيبة الشرقية

طريق الكباش : أما في طيبة الشرقية فقد أقام فيها عدة مبان نخص بالذكر
منها طريقا لتماثيل « بوهول » الذي يمثل الإله « آمون » برأس كبش ، ويتألف
من اثنين وعشرين ومائة تمثال نحتت من الحجر الرمل . وتقع هذه الطريق أمام
معبد الإله « خنسو » الحالي ، وقد نقش عليها اسم « أمنحتب الثالث » ، والظاهر
أن هذا الفرعون ، قد أقام معبدا في هذه النقطة في المكان الذي يحتله معبد
« رمسيس الثالث » الحالي .

البوابة الثالثة : وقد أقام « أمنحتب » كذلك بوابة بمثابة واجهة جديدة
لمعبد الإله « آمون » العظيم ، وتدل الكشف الحديثة على أن معظم الأحجار التي
ملأ بها هذا الفرعون جوف هذه البوابة كانت من معابد من سبقه ، وبخاصة من
معبدين صغيرين يرجع أحدهما للملك « سنوسرت الأول » والثاني للملكة
« حتشبسوت » وكذلك وجدت فيها أحجار من معبد للفرعون « أمنحتب الثاني »
وغيره كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

وقد ترك لنا هذا الفرعون وصف هذه البوابة على لوحته التي أقامها في معبده
الجنازي على الضفة الغربية من النيل في طيبة (راجع Breasted. A. R. II, § 889.)
كما ترك لنا بقايا نقش هام على البرج الجنوبي لهذه البوابة عند بنائها (راجع ibid. § 899.)
وهناك ما جاء على اللوحة الجنازية :

وصف بوابته بالكرك : " ملك الوجه القبلي ، والوجه البحري ، « نب ماعت رع » ،
ابن الشمس « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة ، الساهر على البحث عما هو مفيد ، والملك الذي أقام

أثرا آخر للإله « آمون » وبني له بوابة ضخمة جدا ، قبالة « آمون رع » ، رب طيبة ، منشأة كلها بالذهب . وظله الروحاني في صورة كبش مرصع باللازورد ، ومغشى بالذهب ، وبالحجارة الكريمة العسدة ، وليس له نظير ، وورقتها مزينة بالفضة ، وبرجاها عليها . وقد وضعت لوحات من اللازورد في كل جانب من جوانبها ، وبواباتها تتصل إلى عنان السماء ، مثل عمد السماء الأربعة ؛ وعمد أعلامها تضيء أكثر من السماوات ومنشأة بالسام ، وقد أحضر جلالته لها ذهباً من أرض « كراي » من حملته الأولى المظفرة التي ذبح فيها « الكوش » الخاسئين . أما النقوش التي وجدت على برج البوابة نفسها فمزقة جدا ، ولا يمكن أن تؤلف منها كلاماً متصلاً ، غير أنه يمكن أن نفهم من مضمونها أن هذه البوابة كانت من أجمل البوابات وأثمنها . ويتألف المتن على وجه التقريب ؛ من المدائح الملكية المعتادة ، ثم ذكر القربان التي قدمت للإله « آمون » ثم الهدايا التي قدمها الفرعون للإله ، من أزهار وفضة وذهب ، ولازورد حقيق ، وفيروزج ، وكل الأحجار الكريمة ، والأواني الفاتحة من السام ، مما لا تقع تحت حصر . وكذلك ذكرت لنا في هذه النقوش ، الآثار المتصلة بهذه البوابة ، وما قدمه لها الفرعون من عطايا وهدايا ، وقد جاء فيها ذكر مسلات لهذا الفرعون ، ويحتمل أنها كانت مقامة أمام هذه البوابة ، ولا بدّ أنها قد أزيلت لإقامة قامة العمد الكبرى ؛ والمسلات المعروفة « لأمنحتب الثالث » في الكرنك موجودة في المعبد في الجهة الشمالية ، غير أنه لم يبق منها إلا قطع (راجع L.D. Text. III, P. 2.) ، وقد ذكرنا من قبل أن هذا الفرعون قد أقام مسلتين أمام معبده الجنازي ؛ ولم يبق منهما أي أثر .

سفينة الإله « آمون » في الكرنك : وكان « أمنحتب » مهتماً بسفينة الإله « آمون » المقدسة ، التي كان يركبها في وقت الاحتفال بالأعياد العظيمة ليذهب لزيارة آلهة المعابد المجاورة وبخاصة في « عيد الوادي » الذي كان ينتقل فيه من معبده بالكرنك إلى « طيبة » الغربية إلى معبد « الدير البحري » (راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٥١٧) ؛ وقد كان ذلك يحتم استعمال سفينة كبيرة يوضع عليها القارب المقدس المسمى « وسرحات » ، وأحسن صورة لهذا المنظر نجدها في الكرنك

مصوّرة على البوابة الثالثة التى أقامها الفرعون « أمنحتب الثالث » وهى على الجدار الشرقى لبرج البوابة الشمالى .

وقد ترك لنا هذا الفرعون وصفا لهذا القارب الذى أمر بصنعه للإله « آمون » فى لوحته التى كانت فى معبده الجنازى (راجع Breasted, A. R. II. § 888) وهالك النص : " لقد صنعت أثرا ثانيا لمن أنجبني وهو الإله « آمون رع » رب طيبة ، الذى مكنتى على عرشه فصنعت له سفينة عظيمة لأجل « عيد بداية النهر » واسمها « آمون رع فى السفينة المقدسة » (ومرحات) من خشب الأرز الجديد الذى قطعه جلالته من أقاليم أرض الإله . وقد جره (الخشب) على جبال « رتنو » أمراء كل الأقاليم . وقد كانت واسعة وكبيرة ولم يصنع لها مثل (من قبل) ، وقد بنيت جميعها بالفضة وغشيت بالذهب ، ومحرايها العظيم من السام وبذلك تملأ الأرض بضوئها ، ومقدماتها كذلك لامة ، وتحمل التيجان العظمية التى تلف أصلها على كلا جانبيها لحمايتها ؛ وقد نصبت عمد الأعلام أمام (المحراب) موشاة بالذهب ، وبينها مسلمان عظيمتان ، وهى جميلة فى كل نواحيها ، وآلهة (أرواح) « بوتو » يقدمون لها عيدا ، وآلهة « نحن » (الكاب) يمدحونها ، وإلها النيل الجنوبي والشمالي يضمان جمالها ، ومقدماتها تجعل « نون » (النيل) يضىء كما تضىء الشمس عند ما تطلع فى السماء لتجمل سياحته اليبة فى عيد « أوبت » (الأقصر) فى سياحته الغربية لملايين ملايين السنين .

هذا الوصف الممتع ينقصه بعض التفاصيل عن هذه السفينة . غير أننا قد وجدناها لحسن الحظ فى الوصف الذى تركه لنا « رعسيس الرابع » لسفينته الجديدة التى وصفها « رعسيس الثالث » مع السفينة القديمة . فنجد فيها تفاصيل هامة عن حجم سفينة « آمون » فىقول مخاطبا الإله « آمون » :

" لقد صنعت لك سفينتك الفاهرة « ومرحات » طولها ثلاثون ومائة ذراع على النهر من خشب الأرز وألواحها المدهشة موشاة بالذهب الخالص حتى خط الماء ، كما صنع لسفينة « رع » عند ما يشرق من « بقت » (جبال نرافية تقع فى الشرق) ، فيجعل كل الناس تحيا بمشاهدته فقط . ومحرايها العظيم من الذهب الخالص المرصع بالأجوار الثمينة ، مثل محراب معبد « عين شمس » ، العظيم وقد وضع فى مقدمتها وفى مؤخرتها دوس بكاش من الذهب ، محلاة بأصلال ، وعلى رءوسها التاج « آتف » (راجع Foucart, "Etudes Thebaines. La Belle Fete de la Vallee", B. I. F. A. (O, XXIV, P. 186.)

موازته بين سفينة آمون وسفينة أمير البحر نلسن : ومن ذلك نرى جليا أن السفينة المقدسة كان يبلغ طولها نحو أربع وعشرين ومائتي قدم وتلك حقيقة تنطق بمهارة المصرى فى صنع السفن مما يدعو إلى الإعجاب والتقدير ، وبخاصة إذا وازنا سفينة « آمون » المقدسة بسفينة أمير البحر الإنجليزى العظيم « نلسن » التى انتصر بها على أسطول « نابليون » فى موقعة « الطرف الأغر » عام ١٨٠٥ ؛ وهى التى كان يطلق عليها « فكتورى » (النصر) فقد كان طولها لا يزيد على ست وثمانين ومائة قدم . أى أن سفينة الإله « آمون » التى بنيت عام ١٢٠٠ ق م . تربى عليها بنحو ثمان وثلاثين قدما . وكانت سفينة « نلسن » هذه تعدّ نحر الأسطول الإنجليزى فى عام ١٨٠٥ بعد الميلاد .

وقد أقام هذا الفرعون فى معبد الكرنك عدة مباني أخرى كما أضاف نقوشا على مباني الملوك الذين سبقوه .

معبد آخر للاله « متو » : فى النهاية الشمالية من معبد الكرنك معبد للاله « متو » أقامه له وبني أمامه بوابة ومستلين من الجرانيت الأحمر (راجع Champollion, "Notices", II, P. 271.) وكانت عمد هذا المعبد ذات أضلاع كثيرة ، وكان المعبد يحتوى قطعا عدة من الجرانيت الأسود من تماثيل الملك والإلهة « سخمت » إلهة الحرب وزوج « متو » . وكذلك وجد « لأمنحتب الثالث » تمثال حفر فى صورة « بوهول » وقد أصلح هذا التمثال الفرعون « مريبتاح » ونقشه باسمه ، ثم « رعمسيس الخامس » و « البطالمة الثانى والثالث والرابع والسادس » (راجع Baedeker, "Egypt", P. 161 ; Champollion, "Notices", II, P. 272.)

معبد الإلهة موت : وفى النهاية الجنوبية من الكرنك أقام هذا الفرعون معبدا كبيرا له أهمية كبرى للإلهة « موت » زوج « آمون » . وقد عثر فيه على عدد عظيم جدا من تماثيل هذه الإلهة التى مثلت برأس لبؤة تعد بالملئات ، وقد وزعت على متاحف أوربا بدلا من بقائها فى مكانها الأصلى ، والبحيرة التى حفرت

حول جوانب هذا المعبد وخلفه لا تزال باقية . وقد أصلح هذا المعبد فيما بعد الفرعون « شيشنك » (راجع -Sculp- Budge "Karnak", P. 15; Mariette, "Karnak", P. 15; Budge "Sculpture", III-4; A. S., V, P. 119-20; P. S. B. A., XXV, P. 217; Daressy, "Statues de Divinities", P. 265-8.) .

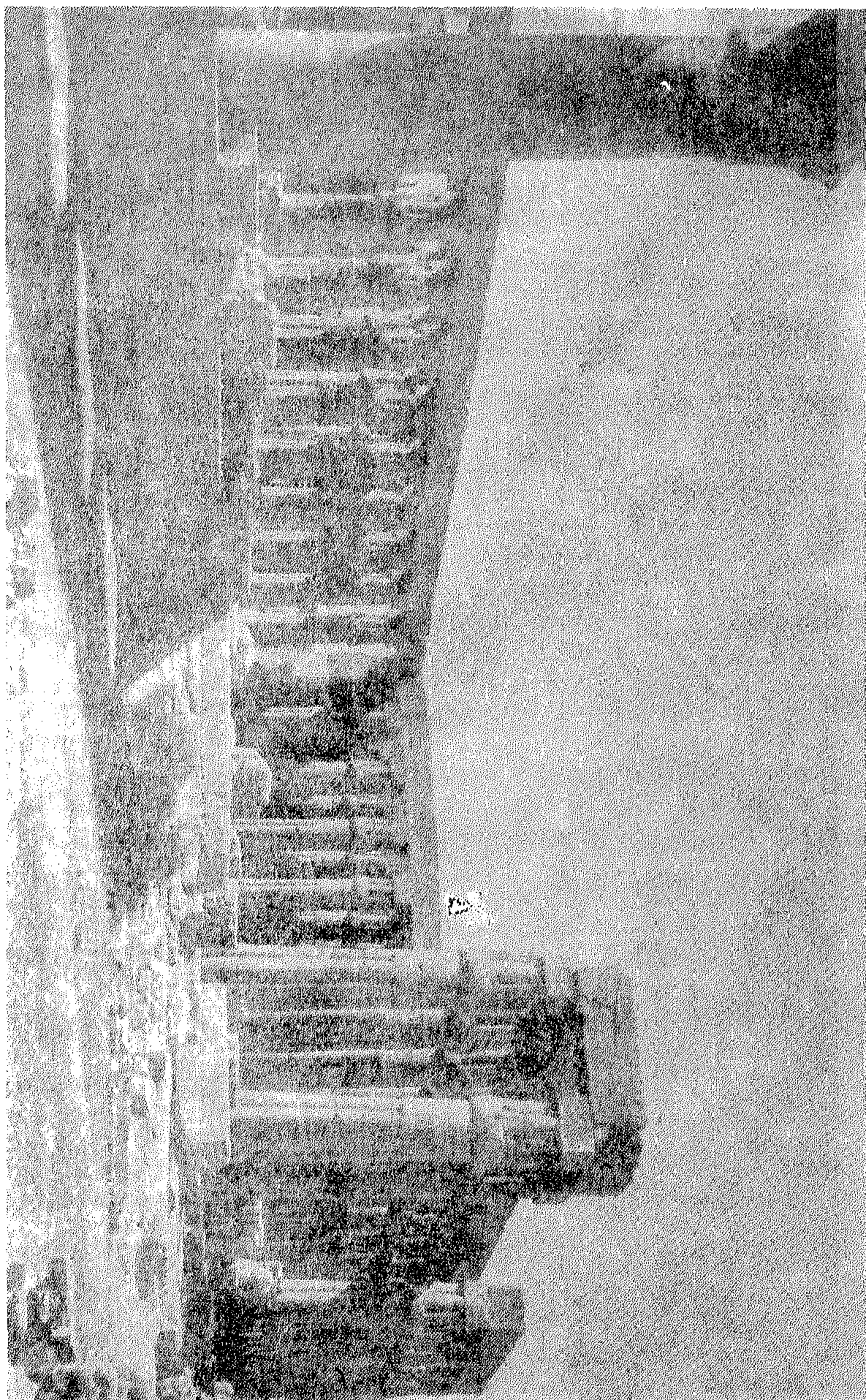
وكذلك ينسب إليه المبنى القديم لمعبد «خنسو» (راجع Rec. Trav. XXIII, P. 61.) .

وكذلك ترك لنا فيه ملوك كثيرون آثارا عدة (راجع Porter and Moss, "Bibliography" II, P. 89-97.) .

معبد الأقصر^(١) : أما في الأقصر نفسها فقد أقام « أمنحتب الثالث » معبدا خاصا بالإله « آمون » كما أقام له جدّه العظيم « تحتمس الثالث » معبدا خاصا في الكرنك ، ويعتد المعبد الذي أقامه « أمنحتب » في هذه الجهة أجمل معبد أقيم في عهد الأسرة الثامنة عشرة من حيث الدقة الفنية والتنسيق في البناء . وتدل النقوش التي على جدرانها على أن « أمنحتب » قد أقامه على أنقاض معبد قديم كان قد أقيم في عهد الدولة الوسطى (راجع Lieblein, "Aegyptische Genealogien" A. Z. VII. (1896) P. 122 ff.) .

وقد وصل إلينا وصف هذا المعبد في نصين أحدهما على لوحة المعبد الجنائزي الذي أقامه هذا الفرعون لنفسه على الضفة الغربية للنيل (راجع Breasted, A. R. II, §. 886.) والثاني على عقد بوابة في المعبد نفسه (راجع L. D. III, Pl. 73, and Text. III, P. 80, 81.) ، والمعبد الحالي من عمل فراعنة عديدين ولا ينسب « لأمنحتب الثالث » منه إلا الجزء الجنوبي ، ويعتقد الأستاذ « بترى » (راجع Petrie, "History", II, P. 191.) خلافا لغيره من المؤرخين أن هذا المعبد لم يكن متصلا بطريق الكباش بمعبد الكرنك في عهد « أمنحتب الثالث » ، وذلك لأن محور هذا

(١) (راجع ما كتب عن هذا المعبد. ibid, P. 102 ff.) .



مبنى القصر (٦)

المعبد ، وطريق الكباش ، لا يوجد بينهما حبل اتصال ، أو علاقة تصل أحدهما بالآخر . أما ارتباط معبد الأقصر ، بمعبد الكرنك ، فيرجع أصله ، إلى التغيرات التي عملها « رعسيس الثاني » .

وهذا المعبد الفخم ، يشمل خمسة أجزاء لها ثلاثة محاور مختلفة بعض الشيء ؛ فالمحراب وهو المكان الذى ينتهى إليه الاحتفال بتمثال الإله ويوضع فيه مفتوح من الأمام والخلف وله قاعة أمامه ، ورواق ذو عمد فى الخلف ، وحجرات جانبية ، وأمام رواق العمد هذه ساحة مفتوحة . ثم قاعة عمد فيها أربعة صفوف ، كل منها يحتوى على ثمانية أعمدة ، محورها ينحرف بعض الشيء إلى الشمال ، بدلا من الشمال الشرقى مثل المحراب ، وبعد ذلك ساحة يحيط بها عمد بنيت فى اتجاه المحراب ؛ وأخيرا نجد أمام هذه الساحة والبوابة الضخمة ، التى تؤلف واجهة المعبد ، طريقا على جانبه أربعة عشر عمودا ، بمثابة مدخل ، وأمامها بوابة أصغر من السالفة .

وصف المعبد كما جاء فى الوثيقة الأولى : "ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، رب الأرضين « نب ما عت رع » (أمنحتب الثالث) ، وارث رع ، وابن الشمس ، رب التيجان : « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة الذى رضى ببناء أقامه لوالده « آمون » رب « طيبة » فى « إبت » الجنوبية (الأقصر) من الحجر الرمل الأبيض الجميل ، وقد أقامه واسعا كبيرا ، وقد زيد فى جماله ، وجدرانه من السام ، ورقعته من الفضة ، وكل أبوابه قد غشيت با ... وبرجاء يصلان الى عنان السماء ، ويمتزجان بالنجوم ، وعندما يراه القوم ينطلقون بالحمد لحلالته .

وإنه الفرعون « نب ما عت رع » الذى أرضى قلب والده « آمون » رب « طيبة » الذى وهبه كل ملكه ، ابن الشمس ، « أمنحتب » حاكم « طيبة » ضياء « رع » .

الوثيقة التى على صتب المعبد : "لقد أقامه (المعبد) أثرا لوالده « آمون رع » ملك الآلهة ، فأقام له قصرا جديدا من الحجر الرمل الأبيض الجميل ، وأعلى بناءه جدا وزاد فى وسعه ، وزينه بالسام جميعا ، وبكل الأحجار الفاترة الغالية ، ليكون مأوى للإله « آمون » ومكان استراحة لرب الآلهة ، وقد عمل على فرار ألقه (مسكنه) فى السماء ، لأجل أن يعطى الحياة " . على أن ما جاء فى النقش

من بيان مثل : « الذى بنى المعبد ونحت تماثيلهم وما كان مقاما باللبن أقيم ثانية بالحجر » . يدل دلالة صريحة على أن هذا المعبد كان قد أقيم على أنقاض معبد آخر من عهد الدولة الوسطى .

ولا نزاع فى أن الجزء الذى أقامه «أمنحتب الثالث» فى هذا المعبد الضخم، وهو الجزء الجنوبي يمتاز بجمال الفن ودقة التنسيق، تلحظهما لأول وهلة عين المقتن عندما تقرنه بالمباني الأخرى التى أقيمت فى العهود التى تلت عصره، وهى التى تنقصها تلك المسحة الفنية الراقية والتناسب الجميل الذى يمتاز به معبد «أمنحتب» .

معبد آخر بالقرب من الأقصر : وتشير لوحة معبده الجنائزى إلى معبد آخر أقامه هذا الفرعون بالقرب من معبد الأقصر، غير أننا لا نعرف عن آثاره شيئا ويقول «برستد» عنه : إنه ربما يكون فى المكان الذى لم يكشف عنه بعد بين الأقصر والكرك (راجع Breasted, A. R. II, § 887) وهاك النص الخاص بهذا المعبد :

”وقد أقام جلالت معبدا آخر لوالده «آمون» ، وقد أقام له حظيرة بمثابة قربان إلهى قبالة «أبت الجنوية» (الأقصر)، وهو مكان ملائم لوالدى فى عبده الجليل ، وقد أقت معبدا عظيما فى وسطه مثل «رع» عندما يشرق فى الأفق . وقد غرست فيه كل الأزهار ، وما أجمل «نون» (النيل) يجرى فى بحيرته فى كل فصل ، ونحمره أغزر من المياه ، كأنه النيل فى تمام فيضانه ، وقد خلقه رب الأبدية ، وطلع هذا المبنى عديدة ، بغزية كل الأقاليم ترد إليه ، ويؤتى لوالدى بأقوات كثيرة من كل البلاد بمشابة قرايين . وقد وهبى كل أمراء الأقاليم الجنوبية ، ومثلهم الشماليون ، كل واحد منهم مثل جاره ، وفضتهم ، وذهبهم ، وماشيئهم ، وكل حجر فخر ثمين فى بلادهم بالملايين ومئات الآلاف وعشرات الآلاف . ولقد أقتنه للذى أنجبني بقلب سليم على حسب ما نصبنى لأكون شمس نبائل الأقواس التسعة“ .

من هذا النص نفهم : أن معظم خيرات البلاد الأجنبية ، كانت تتدفق على هذه المعابد، ولا بد أن كهنة هذا المعبد، كانوا ينعمون بحياة رضية، كلها رخاء ، نحمرها أنهار، وفاكهتها مما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، وقصورها مغطاة بالذهب، فرشت بالأثاث الفاخر، مما يتخيله الإنسان فى جنات النعيم . جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يبغون عنها حولا .

معبد « صولب » : ومن المعابد ذات الروعة والجلال التي أقامها « أمنحتب » في هذا العهد وخصها بعنايته معبده الذي أقامه في « صولب » . ويعزى اهتمام الفرعون بهذا المعبد إلى أنه أقامه لعبادته هو والإله « آمون » معا . وهو في ذلك يشبه معبده الجنازى الذي أقامه في « طيبة » الغربية ويحتوى على عدة وثائق ذكر في إحداها اسم المعبد الذي لم تذكره النقوش التي دونها هذا الفرعون على لوحة معبده الجنازى . وسند كثرنا أولا ما جاء على هذه اللوحة ثم ما جاء على آثار المعبد نفسه . وهناك النص الذي جاء على اللوحة خاصا بمعبد « صولب » (Ibid § 890 ff.) .

” ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب ماعت رع » ، محبوب « آمون رع » ابن الشمس « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة . لقد أقت آثارا أخرى لآمون متقطعة النظير ، لقد أقت لك بيتك (الباقى) ملايين السنين فى ... « آمون رع » رب طيبة ، المسمى « المضىء فى الصدق » (نخ — م — ماعت) رافلا فى السام ، مأوى لوالدى فى كل أعياده ، وقد بنى بالجرازل على الجبل ، وقضى بالذهب كله ، ورقته زيت بالقضة ، وكل أبوابه بالذهب . ونصبت مسلمان على كلا جانبيه ، وعندما يشرق والذى بينهما تانى من بين أتباعه . وقربت له آلافا من الثيران وقطعا من أحسن الأجزاء الخلفية (من الثور) ” . ثم يلى ذلك أنشودة لآمون وهى :

أنشودة « لآمون » : كلام آمون ملك الآلهة .

- يا بنى من جسدى يا محبوبى « نب ماعت رع » .
- يا صورتى الحية ، يا من صورته أعضائى .
- ويا من حملته لى « موت » سيدة « اشرو » فى « طيبة » .
- وهى سيدة الأفواس التسعة التى نشأتك سيدا وحيدا للقوم .
- إن قلبى يفرح كثيرا عندما أرى جمالك .
- وإنى أقوم بعمل أعجوبة لجلالتك ، وبذلك تجدد شبابك .
- وذلك لأننى قد أقتك مثل شمس الأرضين .
- ف عندما أرى وجهى شطر الجنوب أقوم بعمل أعجوبة لك .
- لما أجعل أمراء « كوش » الخماسين يجهون نحوك .

حاملين كل جزيتهم على ظهورهم .
وعندما أولى وجهى شطر الشمال أقوم بأعجوبة أخرى لك .
إذ أجعل مما لك أطراف « آسيا » يسعون إليك .
حاملين كل جزيتهم على ظهورهم .
ويقدمون أنفسهم إليك مع أطفالهم .
حتى تمنحهم نفس الحياة .
وعندما أولى وجهى شطر الغرب أقوم أيضا بعمل معجزة لك .
إذ أجعلك تستولى على التحنو (اللوبيين) فلا تبقى منهم باقية .
ولأنهم يننون في هذا الحصن (بمثابة عبيد) باسم جلالتي .
وهو محوط بجدار عظيم يصل إلى السماء (في ارتفاعه) .
وما هولاء بآبناء رؤساء النوبة .
وعندما أولى وجهى شطر الشرق أقوم بعمل معجزة لك .
إذ أجعل أقاليم « بنت » تأتي إليك .
حاملين كل الأخشاب اللطيفة الحلوة في بلادهم .
راجين منه (الملك) الأمان والنفس الذي هو بهته .
يا ملك الوجه القبلي ، والوجه البحري ، وحاكم الأقواس التسعة ، ورب الأرضين « نب ماعت رع »
ابن الشمس ومحبيه « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة ، ومن أرضت آثاره قلب الآلهة لأجل أن يعطى
الحياة ، والنبات ، والرضا ، والصحة ، ولأجل أن يكون قلبه مبهجا مثل « رع » مخلداً .
ومن هذا النص تعلم أن « أمنحتب الثالث » قد أقام مسلتين آخرين
أمام هذا المعبد ، وقد ذكرنا على نقش دؤن على أحد الكباش التي أقيمت أمام
هذا المعبد . وبذلك يكون هذا الفرعون قد أقام أكثر من ثمانى مسلات
في « طيبة » و « صولب » إلا أنه لم يبق منهما واحدة في مكانها ، أما القصيدة
التي جاءت في آخر هذا النقش ، فتعدد لنا الممالك والأقاليم التي كان يسيطر
عليها هذا الفرعون ، والتي كان أهلها يأتون إليه صاغرين ، محملين بالحرية
والهدايا ، فكان يأتي إليه من الجنوب أهل السودان ، ومن الشمال وفد عليه
أهل آسيا حتى أقاصيها ، ومن الغرب كان يجلب إليه أهل « لوبيا » الذين استولى

عليهم ويتخرمهم في بناء هذا المعبد المحوط بسور عظيم ، يصل إرتفاعه إلى عنان السماء ، ومن الشرق كان يسعى إليه أهل بلاد « نبت » يحملون العطور والأشجار ذات الشذى الذكى ، ثم هم في الوقت نفسه يطلبون إليه أن يمنحهم نفس الحياة الذى هو ملك يده .

أما النقوش التى وجدت على ما تبقى من جدران المعبد فى تلك الجهة فلم نجد من بينها ما يدل على وصف المعبد فى المكان المخصص بها عادة وهو العتب ؛ ولكننا وجدنا ما يشير إلى ذلك فى بعض النقوش وبخاصة على تماثيل الكباش التى كانت مصفوفة على جانبي الطريق المؤدى إلى المعبد ، وكذلك على الأسود المشهورة التى كانت مقامة هناك والمحفوظ بعضها الآن بالمتحف البريطانى .

أما النقش الذى وجد على الكباش^(١) فهو :

” يعيش الإله الطيب « نب ما عت رع » ابن الشمس « أمنحيب الثالث » ، لقد عمله بمثابة أثر لصورة « نب ما عت رع » رب النسوبة ، الإله العظيم ، رب السماء ، مقياً لنفسه حصناً ممتازاً يحيط به جدار عظيم ، قضى شرفاته أكثر من السماء ، مثل المسلات العظيمة التى أقامها الملك « أمنحيب الثالث » حاكم طيبة ، لمسدة مليون مليون من السنين ، أبد الآبدين . يعيش الإله الطيب — ... لقد أقامه بمثابة تذكار لوالده « آمون رب طيبة ، فبنى له معبداً فائراً ، وقصد أقيم عظيماً فى سمته ، وضخامته ، وزيد فى جماله . (بواباته) تصل إلى عنان السماء ، وعمد أعلامه هى نجوم السماء ، ويرى من كلا جانبي النهر مضيئاً الأرضين “ .

وفى نقش ثان على صورة كبش آخر قد ذكر المعبد بأنه أقيم فى حصن « خع — م — ما عت » وأنه أهدى للإله « آمون » كما جاء فى نقش اللوحة الجنازية .
ومما يلفت النظر فى رسوم هذا المعبد بعض مناظر الحفل بعيد إهداء المعبد ، فنشاهد الفرعون ومعه رجال حاشيته يمتزون فى (البوابات) العظيمة التى

(١) واحد منها الآن بمتحف برلين *Ausführliches Verzeichniss des Berliner Museums*, P. 23, 24.) وقد وجد « ليسيوس » هذه التماثيل فى جبل « بركل » حيث نقلها « الأثوريون » من صولب (راجع (L. D. III, Pls. 80, 90) .

أقيمت فيه ، وكان لكل بوابة اسم خاص بها ، وتدل النقوش على أنها أقيمت جميعا من الحجر الرملي الأبيض الجميل ؛ وقد أقام له طريقا على غرار طريق معبد الكرنك يؤدي إلى داخل المعبد تحفه تماثيل « بوهول » على كلا الجانبين ، برءوس كباش وهى رمز للإله « آمون » وكذلك زين المعبد نفسه ، بتماثيل سباع ضخمة (انظر الصورة رقم ٧) وصقور، وصور حيوانات أخرى مقدسة كانت تعبد فى هذه المنطقة . وقد نقل بعض هذه التماثيل إلى « نباتا » (جبال بركل) عاصمة بلاد « السودان » . ويوجد كثير منها فى متاحف أوروبا الآن ، ففى « برلين » يوجد تماثلان كل منهما فى صورة كبش ، وكذلك توجد قاعدة تماثل صقر^(١) . أما فى « لندن » فيوجد أسدان له ، ولكن اتحلفهما لنفسه الفرعون « توت عنخ آمون » (Lepsius, "Auswahl", 13. A. B; "Rec. Trav." XI. P. 212).

والنقوش التى على بعض هذه التماثيل لها أهمية تاريخية إذ قد حرص « أمنحتب الثالث » على أن يذكر عليها تأسيس المعبد كما ذكرنا ؛ وكذلك يمكننا أن نستخلص



(٧) أسد جبل بركل

(١) راجع : (L. D. III, Pl. 80, 90) .

حقائق تاريخية أخرى من التغير الذى حدث فى نقوشها الأصلية ، إذ نجد أن نقوش الإهداء التى دونها « أمنحتب الثالث » على هذه التماثيل قد سجلت فى عهد الثورة الدينية التى قام بها « اخناتون » مما يدل على أن اضطهاد « اخناتون » للإله « آمون » كان قد وصل إلى « صولب » جنوبا ، وأنه تجنى على اسم والده فحاه لأنه يشمل كلمة « آمون » .

أعياد « سد » (العيد الثلاثيني) التى احتفل بها « أمنحتب الثالث » :
تدل النقوش التى ظهرت حتى الآن عن عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » على انه احتفل بعيد « سد » مدة حكمه ثلاث مرات . الاحتفال الأول منها فى السنة الثلاثين ، والثانى فى السنة الرابعة والثلاثين ، والثالث فى السنة السادسة والثلاثين . وقد كشف أخيرا الدكتور « أحمد نجوى » عن مقبرة أحد عظماء رجال عهد « أمنحتب الثالث » يدعى « خيوف » كشفا تاما بعد أن ظلت لا يعرف عنها إلا شئ يسير (راجع Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs at Thébes", 32; Porter and Moss "Bibliography", I. P. 152; Brugsch, "Thesaurus", PP. 1120-1121, 1190-94. & A. S. XLII. P. 29 ff. وتمدنا الرسوم والنقوش التى كشف عنها حديثا فى هذه المقبرة بمعلومات جديدة عن هذا العيد الغامض فلم يكن قد اتفق بعد علماء الآثار على معنى كلمة « سد » . غير أن الجرم الفقير منهم يترجمها « بالعيد الثلاثيني » على الرغم من أن هذه الترجمة لا تتفق مع الواقع . ويظهر أن عيد « سد » كان يحتفل به لتتويج الفرعون من جديد غير تتويجه الأول عند توليه مهام الملك . إذ يقال إنه فى الأزمان العريقة فى القدم كانت تقام شعيرة خاصة قد وجد ما يماثلها فى الأزمان الحديثة فى بلاد غير مصر . فقد كان يقتل فيها الملك اعتقادا من القوم أنه لم يعد بعد يتصف بالصفات اللازمة التى تؤهله للقيام بوظيفة الملك . وجريا

(١) راجع : J. E. A. Vol. V. P. 61 ff. حيث نجد الآراء المختلفة عن أصل هذا العيد .

على هذه الفكرة كانت تذبح الحيوانات المقدسة من وقت لآخر ، أو بعبارة أخرى بعد مضي زمن محدد على عبادتها . على أن هذه العادة قد محيت على كرا الأيام ، وتقدم أسباب العمران بالنسبة للملوك ، ولكن التقاليد كانت تفرض تضحية الفرعون ، ولذلك كان يقام احتفال خاص يتوهم أنه قد مات ثم يتوج هو نفسه من جديد ؛ وبهذه المناسبة كان يقام سرادق لتتويجه ، وكان يتدئ الاحتفال حسب الشعيرة المرعية ، وكان لزاما على الملك عندئذ أن يغير اسمه ويتخذ لنفسه قصرا جديدا .

ومن التقاليد التي تتصل بعيد « سد » كل المناظر التي يمثل فيها الفرعون ويمجى أشواطا في سباقات وكذلك مناظر للرقصات الخاصة التي كان يرقصها أمام الإله ، وكذلك مواكب أرواح الوجهين القبلي والبحري ، وهم يحملون الفرعون على محفة كالتى نراها مثلا في الأقصر على الجدار الجنوبي لمجرة الولادة .

وفي هذا العيد يظهر الفرعون كذلك لابسا تاج الوجه القبلي وتاج الوجه البحرى ، ومزملا في عباءة ، وجالسا فوق منضدة مرتفعة . ولقد حاول علماء الآثار واللغة المصرية القديمة كلهم تفسير كنه هذه الأفعال الخاصة بهذا العيد فلم يجدوا لذلك سيلا . ولكن يظهر أن النقوش والصور التي كشف عنها حديثا في مقبرة « خيوف » تلقى بعض الضوء على أصل هذا العيد وبخاصة في كونه عيدا لإحياء فرعون كرة أخرى . ولا أدل على ذلك من الدور الذى تلعبه « سفينتا الشمس » في هذا العيد ، ووظيفة « سفينتى الشمس » كما جاء في متون الأهرام هي أنها كانت تسير بالإله « رع » من الشرق عند ولادته في الصباح وتقرب به في الغرب في سفينة أخرى خاصة كان ينتقل فيها عند الأصيل . فتسير به في العالم السفلى أو عالم الأموات مدة ساعات الليل ، ثم يظهر في الشرق مرة أخرى ، وينتقل إلى سفينة النهار عائدا إلى الحياة كرة أخرى ؛ وهكذا دواليك . وقد كان للفرعون سفينتان مثل سفينتى الإله « رع » وجدتا منحوتتين في الصخر بجوار هرم « خوفو » . وكذلك بجوار هرم « خفرع » خلال الدولة القديمة ليعمل فيهما سياحته مثل

« رع » أومع الإله « رع » (راجع كتاب "Excavations The Solar Boats, " (at Giza", Vol. VI, Part I.

وتدل النقوش على أن هذا العيد كان ينتظم عدة احتفالات تقام حسب تقاليد العصر ومعتقداته، ولذلك لا نجد لها تجمع كلها في منظر واحد على ما يظهر أوفى مكان واحد على الآثار التي بقيت لنا حتى الآن . والظاهر أنه كان ينحت بعض هذه الاحتفالات وتصور على جدران « المقبرة » أوفى المعبد حسب اعتقاد صاحب المقبرة التي سترسم فيها هذه الاحتفالات . ومن الجائز أن المساحة التي كانت تحت تصرف الرسام لها دخل في رسوم مناظر هذا العيد . وقد ترك لنا « خيروف » في مقبرته بطيبة الغربية منظرين خاصين بالاحتفالات التي كانت تقام في هذا العيد كل منهما يختلف عن الآخر ، فالأول يفسر لنا العقيدة الشمسية، والثاني يوضح لنا العقيدة الأوزيرية، وكلاهما يدل على الحياة ثم الموت ثم الحياة ثانية وهكذا .

فالمنظر الأول خاص بالعيد الأول الذي احتفل به في العام الثلاثين من حكم « أمنمحتب الثالث » ، والثاني خاص بالعيد الثالث الذي أقيم في العام السادس والثلاثين من حكمه أيضا .

وسنورد هنا وصفا موجزا لمناظر العيد الأول كما جاءت على جدران مقبرة « خيروف » السالف الذكر . (راجع A. S. XLII, P. 29. ff.) .

فيشاهد على الجدار الشمالى من الجزء المكشوف حديثا منظر في طرفه الأيمن يرى فيه الملك مرتديا لباس العيد «سد» وبجانبه الملكة «تى» جالسين، والإله «حتحور» واقفة خلفهما، وهما يشرفان على توزيع الهدايا التي كانت تحتوى على أطواق من الذهب وطيور وسمك من الذهب أيضا، هذا إلى أشراف كان يمنحهم الفرعون عطفه . والمشهد الثانى يظهر فيه الفرعون والملكة خارجين من باب القصر المزدوج يتقدمهما عشرة كهنة كل واحد منهم يحمل رمزا قديما مقدسا مرفوعا على علم وأمامهم طائفة من الأميرات يحملن سلات ويلعبن بالصاجات .

وفي الطرف الأيسر من المنظر نرى صورة « سفينة الشمس » (مهشمة) يجزها عشرون من كبار موظفي القصر . وتدل النقوش الخاصة بهذه السفينة على أنها « سفينة الليل » (أى التى يغرب فيها الإله دلالة على الموت) ، وهى من النوع العادى وفى وسطها حجرة على هيئة محراب صغير ، ويشاهد فى مقدمتها ستارة منظومة من حبات خرز معلقة فى نهاية السفينة ويعملوها صورة الإله « حور » الطفل وثلاثة أوتاد . وفى وسط هذا المحراب يشاهد الفرعون واقفاً بملابس عيد « سد » وفى يده السوط والقضيب المعقوف ، ويرى خلفه صورة امرأة ربما تكون الملكة « تى » . وأمام المحراب يشاهد خمسة أشخاص أولها صاحب المقبرة « خيروف » . والثانى والثالث يحمل كل منهما لقب « القاضى والوزير » (أى وزير الوجه القبلى ووزير الوجه البحرى) . أما الرابع فإن النقش الدال على وظيفته وجد مهشما ، وخامسهما يشاهد خلف المحراب محركا سكان السفينة .

وأسفل هذا المنظر صورة هامة مثل فيها عذارى يرقصن رقصة دينية والنقش الذى يصف كل هذا المنظر يقول :

”السنة الثلاثون الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم السابع والعشرون من حكم جلالة « حور » الثور القوى المشرق مثل العدالة معطى الحياة ملك محبوبه « أمنتب » حاكم طيبة معطى الحياة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (نب ماعت رع) (رب العدالة رع) ابن الشمس محبوبه « أمنتب » حاكم طيبة معطى الحياة ، لقد ظهر الملك عندما أقيم الاحتفال بعيد « سد » عند باب قصره الكبير المزدوج وسمح للأمرء بالدخول فى إيوانه ، كذلك أقارب الملك الذين كانوا على رأس الشعب وهم أقارب الفرعون ، وموظفو سفينة الشمس ، ومديرو القصر ، والأشراف الملكيون فكوفتوا بذهب الثناء فى صور طيور وممالك مصوغة من الذهب ، وخلع عليهم ملابس من نسيج « سنفو » ونسيج « وازو » ثم صفوا فى الموكب (كل على حسب درجته) ثم أكلوا بعد ذلك خبز الإفطار وقربان الفرعون ، وبعد ذلك أمروا بالذهاب إلى بحيرة جلالته ليجدوا فى السفينتين الملكيتين ، وأمسكوا بأمراس مؤخرة سفينة الليل (مسكنت) وأمراس مقدمة سفينة النهار (معزوت) ثم جروا الجالس على العرش العظيم ووقفوا على درج سلم عرش جلالته ، وقد عمل ذلك على حسب ما فى السجلات القديمة ؛ ومنذ القدم لم يحتفل القوم بعيد « سد » احتفالا يضارع هذا ... ” .

وهذا المتن الهام يضع أمامنا بوضوح الدور الذى كانت تلعبه كل من سفيتى الشمس فى عيد « سد » . والظاهر أن الفرعون كان بعد إقامة الولا ثم وبذل العطايا للمصطفين الأخيار من بين أشرافه ورجال بلاطه يسير فى موكب إلى البحيرة المقدسة ، ولا بد أن تكون فى هذا الوقت هى البحيرة التى حفرها « أمنحتب » لللكة « تى » فى الجهة الغربية من « الأقصر » أو تكون بحيرة المعبد بالكرك وهو المرجح ، وفيها يتزل الفرعون فى سفينة الشمس الخاصة بالليل وهى التى تمثل الموت ثم فى سفينة النهار كل بدورها ويمجرها الموظفون وهم فئة خاصة يسمون موظفى سفيتى الشمس . ولما كان عيد « سد » هو رمز موت الفرعون وإحيائه كما قدمنا ، فالغرض إذن من هذا المنظر هو أن الفرعون كان يتزل أولا فى سفينة الشمس الليلية ، وهذا الحادث يمثل موته وتوحيده مع « إله الشمس » المتوفى . وبعد أن يطوف حول البحيرة كان ينتقل إلى سفينة النهار وهذا رمز لولادته من جديد مثل إله الشمس عندما تشرق فى الصباح ثم يطوف حول البحيرة ، وفى هذه الحالة كان العظماء الذين يجزون السفينة يعتبرون رمزا للنجوم الثابتة التى لا تغيب (النجم القطبى) والكواكب السيارة ؛ أما الأشخاص الذين كانوا فى السفينة مع الفرعون فيمثلون الآلهة الذين يكونون مع إله الشمس فى السفينة .

ومعنى كل هذا أن الملك هو ابن إله الشمس ، وكان يلعب كل الأدوار التى تمثل حياة هذا الإله الذى يولد فى الصباح فى الجهة الشرقية من السماء ثم يغيب فى الجهة الغربية ، أى يموت ليعود للحياة ثانية مولودا جديدا فى الجهة الشرقية من السماء ، وهذا ما يرمز إليه عند الاحتفال بعيد « سد » .

بيد أنه وجد فى الرسم الذى صور مناظره « خيوف » على جدران مقبرته فى عيد « سد » الثالث حلقة ثانية فى إحياء الفرعون كزة أخرى ، أو بعبارة أخرى عقيدة ثانية فى موضوع إحياء الفرعون تختلف عن العقيدة السابقة . وذلك أن العقيدة السابقة تمثل حياة الفرعون بحياة إله الشمس « رع » فى السماء أو العقيدة

الروحية . أما العقيدة التالية فتمثل حياته وموته بوصفه « أوزير » إله الموتى ،
أو بعبارة أخرى تمثل حياة الطبيعة المحسة التي تحيا ثم تموت ثم تحيا وهكذا دواليك ،
وذلك على حسب زيادة النيل فتحيا الطبيعة بحياته ثم تموت بموته وتجدد ثانية ...
ولقد كان « أوزير » بخاصة يعدّ في قديم الزمان ملكا حكم على الأرض مدة
ثم مات ثم أعيد للحياة كرة أخرى وبقي يحكم في عالم الأموات . وقد رسم منظر
هذا العيد على الرواق الشمالى لمقبرة « خيوف » فيشاهد في نهاية الطرف الأيسر
الفرعون « أمنحتب الثالث » ومعه الملكة « تي » وكلاهما جالس على عرشه
تحت مظلة نخمة . ويلاحظ أن العرش الذى تجلس عليه الملكة « تي » مزين
برسم « بوهول » وهو يطا تحت قدميه أعداء من السودانين والأسويين كما هى
العادة . ولكن لما كانت الجالسة على العرش امرأة فإن صورة « بوهول »
تمشيا مع ذلك مثلت برأس امرأة ، وكذلك الأعداء اللاتى تطوّهنّ تحت قدميها
أو المصفدات فى الأغلال جاءت مناظرهنّ فى صور نساء . ويقف أمام الملك
والملكة « خيوف » صاحب المقبرة ويحمل لقب « الكاتب الملكى » ولقب مدير
بيت الملكة « تي » وهو يقدم آنية من الذهب وقلائد للفرعون ، ويشاهد كذلك
أن الجزء الأعلى من صورة « خيوف » قد محى محوا تاما ، وفوق صورته نقش
يصف تقديم الحلى ويشمل قلائد من اللازورد وحليا من الذهب .

ويلاحظ أن جزء الجدار الذى خلف « خيوف » مقسم ثلاثة صفوف بعضها
فوق بعض وكل منها يشمل صورة « خيوف » يسير خلفه شخصان آخران ، وأمام
كل مجموعة منهم متن مؤلف من سطرين أفقيين ، غير أن الصور وال متن كليهما
قد محى ولم يبق منها جميعا إلا المتن الذى فى الصف الأعلى ، وهذه المتن تتحدث
عن الدور الذى كان يقوم به « خيوف » فى هذا الاحتفال بعيد « سد » .

ففى المتن الأول نقرأ :

”الستة السادسة والثلاثون . استعراض البارالوجدين ، أمام عيد «سد» الثالث لجلالته
بوساطة الأمير الورائى والسمير الوحيد عظيم الحب والكاتب الملكى ، مدير بيتك الزوجة الملكية العظيمة

« تي » ، ومن ذلك نفهم أن « خيوف » كان يقوم بدور رئيس التشريفات في هذا الحفل .

وخلف هذا المنظر نجد على الجدار منظر آخر مقسما أربعة صفوف بعضها فوق بعض أعلاها واسع والثلاثة الأخرى ضيقة وكلها تمثل الشعائر المختلفة لهذا العيد .

في الصف الأعلى شاهد « أمنحتب الثالث » واقفا أمام تمثال « زد » الذي يمثل هنا الإله « أوزير » [ومعنى الكلمة الثبات] . وهذا التمثال يقف في محراب ، وقد كتب على الجانب الأيسر من العرش : ” إني أقدم الغذاء ، إني أقدم لك الطعام “ .

وفي داخل المحراب الذي تقف فيه صورة الإله « زد » نقشت ستة أسطر أمام صورته هي : ” إنه يعطي الحياة كلها والسرور كله والصحة كلها « أوزير » المسيطر على معبد « سكر » العظيم ملك الأحياء ، والذي ينوي في ساحة جدران هذا الإله بعد إقامة « زد » وخلف تمثال « زد » هذا ثلاثة أسطر هي : ” الحماية والحياة كلها تحيط بك مثل « رع » “ ، وعلى حافة المحراب : ” لك الحياة والنبات والغاية والحكم على عرش « جب » (الأرض) أنت ياها الكائن الطيب « ونفر » يابن « نوت » الذي يقيم في حجرة من بيته “ (يعني « أوزير ») .

ثم يأتي بعد ذلك مشهد إقامة تمثال « زد » الذي يرمز به للإله « أوزير » (والمنظر مهشم) فيرى أمام « أوزير » شخصان يقدمان فروض الطاعة والخضوع وهما كاهنان يلقب كل منهما بلقب « عمود أمه » ويلاحظ أن العمود « زد » منحني نحو اليسار يسنده رجل ، والجبل الذي يشد به العمود له طرفان أحدهما في يد الفرعون والثاني في أيدي ثلاثة من أقاربه . وأمامهم رجل راحع يحمل في يده قربانا مؤلفا من خبز وجعة ، وأمامه مائدة عليها قربان من الخضر والفاكهة والأزهار ، ونقش على العمود متن مهشم نستطيع أن نفهم منه أن الفرعون يرفع العمود « زد » من الأرض . وفوق الجبل النقش التالي : ” رفع العمود « زد » الفرعون نفسه لتضيء الأرض بعيد « سد » الثالث “ . وكتب فوق الكاهنين المنحنيين نقش محي أوله ويظهر أن هذين الكاهنين كانا مكلفين إعطاء الملابس وليقفا على أقدامهما لعمل الحفل

بإقامة تمثال «زد» أمام الفرعون . ونقش أمام الملك ما يأتي : ” رفع تمثال « زد »
الملك نفسه ليعطيه الحياة مثل « رع » مخلدا “ .

ويقف خلف الملك زوجه « تي » ونقش أمامها : ” الزوجة الملكية العظيمة
محبوبته « تي » “ ؛ ويشاهد خلفها موكب مؤلف من الأميرات اللائي كنّ مشتركات
في إقامة تمثال « زد » كما يدل على ذلك النقش الذي يفسر المنظر .

الأحفال : خصصت ثلاثة الصفوف التي أسفل منظر إقامة عمود « زد »
لتوضيح الأحفال المختلفة التي كانت تقيمها الكهنة والكاهنات في هذا المعبد .

فالمنظر الأول يتبدى من اليسار ويشاهد فيه ثلاث غانيات يصفقن بأيديهن
وأمامهن عشرة كهان يرقصن بأوضاع مختلفة في جماعات ، وقد كتب بين جماعتين
منهن ” هذا الرقص يعمل أمام تمثال « زد » “ ، ويرى أيضا أربعة من هؤلاء الكهنة
يغنون أغنية كتبت أمامهم .

موكب القرابين : هذا المنظر يتبدى بمغنيين يصفقان على أيديهما ويغنيان
أغنية كتبت عليها أمامهما وتتألف من أربعة سطور . وخلف المغنيين أربعة من
حامل القرابين وكلهم من أقارب الفرعون ونقش فوقهم إحضار الجعة والخضر
وكل الأشياء اللذيذة الطاهرة إلى روح بتاح « سكر » عمود « أوزير » .

أما المتن الذي أمام المغنيين الأربعة فهو : ” فتح الباب على مصراعيه للاله « سكر رع »
في السماء لتجديد ضوء « آتوم » لأجل أن نرى الضوء في الأق ، ولأجل أن تملأ الأرضين بجمالك مثل
السماء ، وأنت ترسل أشعتك مثل « تحت » (حجر براق لامع) مثل وقت ولادتك ومثل « آتوم »
في السماء “ .

وخلف حامل القرابين نشاهد طائفة من الرجال يرقصون رقصة حركاتها مثل
حركات الراقصين في المنظر الأول . وهم كذلك مقسمون لجماعتين وقد كتب
في وسط الجماعتين التفسير التالي : ” إقامة هذا المحفل في يوم ... إقامة « زد »
« أوزير » الفانرا أمام التمثال الفانرليت الإله « سكر » “ .

الصف الثاني : يوجد في هذا الصف منظران الأول للغناء والرقص والثاني يمثل الحرب بالعصى وسيقان البردى .

ويتبدى المنظر الأول منهما بصورة غريبة في بابها تشتمل على ثمانى مغنيات الاثنان الأوليان منهن تضربان على الدف ، والباقيات يصفقن بأيديهن ويصحبهن المتن التالى : ” مغنيات ومغنون لإقامة الشعائر والاحتفالات لنصب تمثال « زد » “ ويلاحظ أن أربع راقصات يلبسن ملابس رأس تشبه التقيات الحالية لاصقة برءوسهن ويقمن برقصة استعملن فيها حركات بالجسم والأقدام والأذرة ؛ وقد نقش ينفن متن جاء فيه : نساء أتى بهن من الواحات لإقامة تمثال « زد » ؛ غير أنه من المستحيل علينا أن نفهم لماذا أحضرن من الواحات . وقد يحتمل أن الواحات الواقعة فى غربى مصر لها علاقة بالأحفال الخاصة بإحياء « أوزير » ؛ غير أن هذا يدل دلالة واضحة على العلاقة التى كانت بين الواحات وسكان مصر نفسها . وبعد هؤلاء الراقصات شاهد كهنة مرتلين ، يرقصون بأوضاع مختلفة ، ثم كهنة يتحاربون ، فبعضهم يتشاجر بقضبان بأيديهم فى أوضاع مختلفة ، وآخرون يتضاربون بسيقان البردى ، وهم يمثلون أهل بلدة « ب » بالدلتا ، وبلدة « دب » (بوتو) وغيرهم .

الصف الأسفل : وتستمر الاحتفالات فى الصف الأسفل ، وهو الصف الثالث والآخر ، ويمكن تقسيمه ثلاثة أقسام ، أولها الجزء الذى فى النهاية الشمالية من المنظر ، ويمثل « خيوف » يتبعه بعض الموظفين الذين يحملون أشياء خاصة ، والجزء الثانى يمثل السفن المحملة بالقرايين . أما الثالث فيمثل فيه الثيران والحمر التى تطوف أربع مرات حول جدران « منف » وقد كتب عليه : ” طوافها حول جدران « منف » أربع مرات فى هذا اليوم الذى ينصب فيه عمود « زد » الفاخر لاله « بتاح سكر أوزير » . ومن كل هذا يمكننا أن نفهم أن هذا الاحتفال بإقامة عمود « زد » هو رمز لإحياء الفرعون بعد موته ، أو بعبارة أخرى تنويج الفرعون من جديد . كما توج أوزير من جديد على عالم الأموات .

آثاره خارج القطر : إن أقدم آثار مصرية مؤرخة وجدت في أوربا هي للـك «خيان» ثم جعارين «أمنتب الثالث» ، والملكة «تى» ، وقد عثر على عدد كبير منها بمناسبة الفخار الإيحيى . فقد وجدت جعارين في « مكينا Mykenae » (راجع Sewell, "Tiles from Mycenae with the Cartouche of Amen-hotep III, "P. S. B. A. XXVI, P. 258; Hall, "Discoveries in Crete and their Relation to the History of Egypt and Palestine", P. S. B. A, XXXI. P. 141.) .

كما وجدت آنية هناك باسمه (Dussaud, "Civilization Pre-Helleniques) (dans le bassin de la Mer Egée, (Paris 1910) P. 155.

وكذلك وجدت جعارين باسم هذا الفرعون في جزيرة « رودوس » (راجع (ibid. P. 203) .

وفي « قبرص » وجد للـكة « تى » جعران في « إنكومي Enkomi » (راجع (Murray, Smith and Walters, "Excavations in Cyprus", IV, P. 608; . في سوريا : وفي « سوريا » وجد إناءان عليهما اسم هذا الفرعون في غزرة (راجع Petrie, "History", II. P. 188.) .

في سيناء : وفي « سرابة الخادم » في شبه جزيرة « سيناء » قام هذا الفرعون بأعمال عظيمة لاستحضار المعادن والأحجار ، وبخاصة الفيروزج ، وقد وجد له هناك لوحتان إحداهما مؤرخة بالسنة السادسة والثلاثين ، وفيها يشير قائد الحملة إلى البحر باسم «الأخضر العظيم» مما يدل على أنه قام برحلة إلى هذه الجهات عن طريق البحر ، ويلاحظ أن الفرعون قد مثل على هاتين اللوحتين يتعبد للإلهة « حتحور » ربة « الفيروزج » (راجع L. D. III, Pl. 71 c.) . وكذلك عثر له على مبانٍ هناك ، ونغار مطلقا باسمه (راجع Petrie, "Researches in Sinai", P. 74, 82, 108; Figs. 146, 4, 5; 148; 11, 12; 150. 12, 155. 7; Gardiner and Peet, "Sinai", Pls. LIX, LXV - VI, 211, 222.) .

وفي القاهرة : يوجد عمود مؤلف من قطع أعمدة من عهد « أمنحتب الثالث » في جامع التركمان بباب البحر وقد اغتصبه « مرنبتاح » و « ستناخت » ويحتمل أنه أتى به من « هليوبوليس » (راجع Daressy, "Notes sur des Pierres Antiques du Caire", Rec. Trav. XXXV. P. 46.) .

وفي الدلتا : أما في الدلتا فلم نعثله إلا على آثار قليلة أهمها أربعة تماثيل لموظفين من عهده ، وجدت في « تل بسطة » اثنان منها لحاكم يدعى « أمنحتب » وقاعدة واحدة لكاتب ملكي يدعى « خرفو » ويلقب كذلك « مديرا لبيت » وتمثال لم يذكر عليه اسم صاحبه لكاهن وكاهنة ، ولكن عليه مثل الآخرين اسم الفرعون (راجع Naville, "Bubastis", P. 31 - 33.) .

وفي بنها : عثر على قطعة حجر كبيرة من الجرانيت الأسود عليها اسم الفرعون واسم الثعبان الحارس « حرخنتي خاني » ("Monuments Divers", 63 b.) .

وفي طرة : فتح هذا الفرعون محاجر جديدة في السنة الأولى من حكمه . وقد دُون عمله هذا على جدران المحجر في « طرة » نفسها . وفي السنة الثانية من حكمه دُون نقشا آخر مثل النقش الأول ، وقد جاء فيه : " السنة الثانية في عهد جلالة الفرعون (الألقاب) أمنحتب الثالث ... ، أمر جلالتة بفتح حجرة جديدة لأجل قطع أحجار « عيان » الجميلة لبناء معابده (الملايين) السنين ، وذلك بعد أن وجد جلالتة حجرات قطع الأحجار التي كانت في « عيان » بدأت تظهر مخزبة جدا منذ الأزمان السالفة . وقد كان جلالتة هو الذي جدد لها لأجل أن يسلي الحياة والنبات والصحة مثل « رع » محلدا " (راجع A. S. XI, 259. (L. D. III, Pl. 71. C. d.) .

وقد وجد في مهب « كوم الحيطان » في « طيبة » قطعة من هذا الحجر مؤرخة بتاريخ الحجر باليوم الأول من السنة الأولى (Peirce, "History", II; P. 189; (Breasted, A. R., II. § 875) .

وفي البحيرة : وفي منطقة البحيرة عثر له على لوحة في الحفائر التي قامت بها البعثة الألمانية في هذه المنطقة . واللوحة توحى بأن هذا الفرعون قد قام بزيارة

منطقة الأهرام مثل أسلافه . وهذه اللوحة تحمل طغراء الفرعون ومنظرا مثل فيه الملك وهو طفل صغير عريان ، يقدم زهرة « البشنيين » لبوهول الذى مثل جالسا على قاعدة عالية ، ومتوجا بقرص الشمس يكتنفه صلان ، والظاهر أنه كان يوجد تمثال بين مخلي « بوهول » غير أنه محى . وتمثيل هذا الفرعون وهو طفل يشير إلى أنه تولى الملك وهو لم يبلغ الحلم بعد (راجع Holscher, "Das Grabdenkmal des Königs Chephren", P. 107.) .

وفي منف : وجد في معبدها اسم هذا الفرعون كما وجدت له مناظر نقلت معظم قطعها إلى « متحف بوستن » بأمريكا « وكوبنهاجن » (راجع Porter and Moss, "Bibliography", III. P. 220.) .

وكذلك وجد صندوق أوانى الأحشاء لقطة ؟ أهداها « تحتمس » بن « أمنحتب الثالث » ، وكان يشغل وظيفة كاهن الإله « بتاح » الأكبر (راجع Rec. Trav. XIV. P. 174-5.) .

وتعزى أقدم مقابر للعجل « أبيس » لعهد هذا الفرعون ، وقد كانت حجرة من الصخر يصل إليها الإنسان بمر منحدربنى فوقها مقصورة (راجع Mariette, "Le Serapeum de Memphis", publie d'apres le Manuscrit de l'Auteur Par. G. Maspero (Paris, 1882) P. 117.) ، وقد وجدت المقصورة للعجل الأول منقوشة ويشاهد على جدرانها الفرعون « أمنحتب الثالث » مع الأمير « تحتمس » واقفين أمام العجل أبيس (راجع Ibid, Texts, PP. 124-5.) .

وكذلك وجدت أربع أوانٍ من أوانى الأحشاء عليها اسمه (راجع Ibid, Pl. I.) . وكذلك وجد إناء من المرمر عليه اسم الأمير « تحتمس » ابنه فى « اللوفر » الآن (CIII) (Gauthier", L. R. II, P. 336.) ، كما عثر على قطعة حجر من هذا العهد وهى الآن فى المتحف المصرى (راجع Virey. "Catalogue", 230.) .

ميدوم : وفي « ميدوم » وجد نقش على الصخر ذكر عليه اسم « أمنحتب الثالث » (راجع Petrie, "Meydum", P. 4) أرخ بالسنة الثلاثين من حكمه (راجع Porter and Moss, "Bibliography" III. P. 90) .

كوم مدينة غراب : ووجد في غراب مائدة قربان أهدتها الملكة « تي » إلى الفرعون « أمنحتب الثالث » وقد جاء عليها : " عملت آثارها لأخيا المحبوب « نب ماعت رع » " . وكذلك وجد غطاء صندوق وأنبوبة تحمل ذكر عليهما اسم الملك وزوجته وابنته « حنت تانب » (راجع Petrie, "Illahun", Pls. XVII, XXIV) . وكذلك عثر على وسادة عليها اسم الفرعون (راجع A. S. II. P. 142) .

الكوم الأحمر : وفي الكوم الأحمر (بالقرب من المنيا) وجدت له لوحة عليها لقبه (راجع A. S., XII, P. 93) أما اسمه فوجد ممحوا ، وكذلك وجدت قطعة من الحجر عليها اسم « أمنحتب الثالث » في « هوارته » (بالقرب من المنيا) (راجع Murray, "Guide", P. 406) . ويحتمل أنه وجد في هذا المكان أيضا ثلاثة تماثيل من الأبنوس للفرعون « أمنحتب الثالث » والملكة « تي » ولأمير آخر (راجع Ippel und Roeder, "Denkmaler des Pelizaeus Museums zu Hildesheim (1921), PP. 70, 80, Abb. 23, 25) .

وبالقرب من هذه البلدة عثر على قبر سليم لفرد يدعى « ثوتى » من عصر هذا الفرعون وعصر ابنه « أمنحتب الرابع » وقد تجلى فيه فن العصر (راجع Chassinat, B. I. F. A. O., I, P. 226-7) . وفي زاوية الأموات عثر له على لوحة في الجبانة الحديثة وهي محفوظة بالمتحف المصرى الآن (راجع A. S. XII, P. 93) [VII] ، ولوحة منحوتة في الصخر بالدير البحرى مؤرخة بالسنة الأولى من حكم « أمنحتب الثالث » (راجع Rec. Trav, XXVI, P. 151-2) .

البرشة : وفي البرشة وجدت لوحة مؤرخة بالسنة الأولى من عهد « أمنحتب » في محجر (راجع P. S. B. A., IX, P. 195, 206) .

«العمارة» : وفي تل العمارنة وجدت بطاقة بردية عليها اسم هذا الفرعون (راجع
(A. Z. XXXIII, P. 72) ، وكذلك وجدت خواتم باسمه (راجع. J. E. A., VII, P. 182-3)
كما عثر له على خمسة ألواح من المرمر باسمه هناك أيضا (راجع. Berlin Mus.
(10586-8, 17955-6. Cartouches, "Aeg. Insch. Mus. Berlin", II, P. 242.
وكذلك لوحة « لأمنحتب الثالث » و « تي » أمامهما القربان (راجع. J. E. A.,
(XII, Pl. I. cf. P. I-2. ورأس « لأمنحتب الثالث » (راجع. Berlin Mus. 21299)
وقطع من إناء أحمر من الجرانيت (راجع. Frankfort, and Pendelbury,
("The City of Akhenaton", II, Pls. XLVII [2, 3] cf. P. 102. 108.)
«مسيخ» : وفي «مسيخ» يوجد معبد لهذا الفرعون (راجع. P. S. B. A.,
(VII. P. 172.

ريانة : وفي «ريانة» يوجد حصن من اللبن ختمت بعض لبناته باسم
«أمنحتب الثالث» (راجع. Murray, "Guide", P. 426.)

الوجه القبلي : أما في الوجه القبلي فآثار هذا الفرعون منتشرة بدرجة عظيمة .

«أرمنت» : ففي «أرمنت» وجدت قطعة من تمثال من الجرانيت الأسود
باسمه (راجع. Daressy, "Notes et Remarques", Rec. Trav. XIX, P. 14.)

«دندرة» : وفي «دندرة» وجد نقش من عصر البطالمة لهذا الفرعون في صورة
«حابي» (النيل) بطغراء «نب ماعت رع» على رأسه ، وأيضا تمثال لأمه
«موت مويا» . (راجع. A. S. VIII, P. 146.) أما في «الكرنك» وفي «الأقصر»
و « طيبة » الغربية فقد تكلمنا عن آثاره هناك بإسهاب في مكانه .

«الكاب» : ويوجد له في الكاب معبد صغير مؤلف من حجرة مربعة ذات
أربعة عمد وله ردهة ، وقد بنى في الوادي الصحراوي خلف المدينة ، وكان قد بدأ
في إقامته والده وأتمه «أمنحتب» للإلهة «نخبت» (راجع. L. D., III, Pl. 80.)

وكذلك يوجد اسم هذا الفرعون في المعبد الكبير الموجود بهذه البلدة (راجع

• (Weigall, "Guide", P. 328; Champollion, "Notices", I, P. 266.

الردسية : وفي « وادى عباد » بالردسية الواقعة على بعد ٣٥ كيلومترا

من إدفو في الصحراء يوجد نقش على الصخر مذكور فيه اسم الفرعون « أمنحتب

الثالث » (راجع A. S. IX, P. 76.) •

جبل السلسلة : وفي جبل السلسلة يوجد محراب عليه اسم هذا الفرعون

في المحاجر هناك كان يعلوه صقر وقد سقط الآن بجواره (راجع P. S. B. A., XI,

P. 233-4.) وكذلك توجد مائدة قربان أهديت إليه في السنة الخامسة والثلاثين

من حكمه (راجع (L. D. III, Pl. 81-c.) وكذلك وجد محراب عليه اسمه Weigall,

"Guide", P. 373. كما ذكر اسم وزيره « أمنحتب » هناك (راجع A. S. IV, P. 197.) •

إلفنتين : وكان يوجد في « الفنتين » معبد من أتم المعابد وأجملها من عهد

هذا الفرعون ، وقد كان حتى هدمه في نوفمبر عام ١٨٢٢ يحتوى على جزء من ألوانه

الأصلية ، وقد هدم لاستعمال أحجاره لإقامة معسكر ليسكن فيه الجنود السودانيون

الذين كوّن منهم « محمد على باشا » جيشا . ويقول « ليتان باشا » : " إن محمد

بك الذى كان مكلفا بتأليف هذا الجيش قد هدم المعبد لا جهلا منه بل عن قصد

ليمنع زيارة الأجانب لأسوان " (راجع J. E. A., Vol. XXXII (1946) P. 59.

ولكن لحسن الحظ كان هذا المعبد قد رسم في عهد الحملة الفرنسية وكذلك وجد

في مخطوطات المستر « بانكس » وغيرها (ibid, P. 57) ، والمعبد في ذاته كالمعابد

الأخرى له بابان من الأمام والخلف ويسير الاحتفال الدينى فيه حتى المحراب ،

ويشتمل على قاعة عمد مؤلفة من سبعة أعمدة في الجانب وأربعة أعمدة في الأمام

حول خارجه . ومن المميزات الغريبة لهذا المعبد أنه كان مقاما على طوار أجوف

يصل إليه الإنسان بسلم ذى درجات . وقد رسمت صورة المعبد كما رسم في وثائق

« بانكس » (راجع ibid, Pl. VII.) •

أسوان : وقد عثر له في « أسوان » على لوحة منحوتة في الصخر عليها أفراد يتعبدون إلى خرطوش « أمنحتب الثالث » (راجع Porter and Moss, "Bibliography" V, "Upper Egyptian Sites", P. 222. ولوحة أخرى من المرمر باسم « أمنحتب الثالث » والملكة « تي » يتعبدان « لأوزير » أهدهما « سبك نخت » مدير معبد آمون وهي الآن في « ميونخ » (راجع ibid. P. 242.) كما لا يزال في محاجرها التمثال العملاق الذي كان قد عمل لهذا الفرعون ملقى ، وعلى الرغم من أن جزءا منه لا يزال مدفونا في الأرض ، غير أنه من نسبة حجمه يمكن أن يقدر ارتفاعه بنحو ٢٥ قدما وفي هذه المحاجر نقش في الصخر يرى فيه النحات يتعبد لاسم هذا الفرعون ويقول فيه : إنه قد نحت تمثال جلالته العظيم أحد الأمراء (راجع De Morgan "Cat. Mon.", I. P. 62-3.)

كونوسو : وفي « كونوسو » نقشه المؤرخ بالسنة الخامسة من حكمه على الصخر .

وادي السبوع : وله محراب في وادي السبوع (راجع A. S. IX, P. 184.) .
أمداء : وفي « أمداء » وجد له لوحات ، وأتم كذلك نقش المعبد القائم هناك (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 340278.) .
عنينة : ووجد له في عنينة قطعة حجر عليها اسمه .

مرجيس : وفي قلعة « مرجيس » له معبد (راجع Gunn, "The Religion of the Poor in Ancient Egypt", J. E. A. III (1916). P. 81.) .

بوهن : (وادي حلفا) وجدت لوحات باسمه (راجع Maciver and Woolley, "Buhen" P. 180, 81.) .

سمنة : وفي « سمنة » عثر على لوحة عليها اسمه (راجع Brit. Mus. Budge, "Sculpture", P. 114, 115.) .

سدنجا : وفي « سدنجا » الواقعة في شمالي « صلب » أقام هذا الملك معبدا جميلا لا تزال بعض بقاياه تكريما للملكة « تي » وبه نقش يقول : " إن « أمنحتب الثالث » قد أقام هذه الآثار للوارثة العظيمة القوية سيدة كل الأراضي « تي » " (راجع L. D. III. Pl. 82. e-i). نباتا : (جبل بركل) وفيها عثر على بقايا محراب مهدى للإله « آمون » إله الشمس في جبل « بركل » ؛ والظاهر أن « أمنحتب الثالث » كان أول من لاحظ ميزة موقع هذا المكان وحاول أن يجعل من قرية « نباتا » الساذجة بلدة مصرية كبيرة متمدنة ، كما يوجد في « نباتا » آثار نقلت من « صولب » كما ذكر آنفا .

تمائيل الملك أمنحتب الثالث : نحت هذا الفرعون لنفسه عدة تماثيل ضخمة منها اثنان في « طيبة » ، نحت الجزء الأعلى من أحدهما في العهد الروماني ، وله تماثيل آخر بنفس الحجم مدفون خلف السابقين ، ورابع يبعد عن الأخير بعض الشيء ، وكذلك مجموعة من أربعة تماثيل في قطعة واحدة من الحجر فقدت رؤوسها (راجع Murray, "Guide" P. 464) .

وقد نقلت تماثيل ضخمة لهذا الملك مصنوعة من الحجر الجيري الأبيض من معبده الجنائزي وكسرت ، وعثر على بقاياها في مباني معبد « مرنبتاح » ومدينة « هابو » (Petrie, "History", II, P. 195) .

أما تماثيله العادية فيوجد منها اثنان من الحجر الجيري الأبيض في المتحف المصري (راجع Maspero, "Guide Boulaq" P. 422) وتمثال من الجرانيت الأسود في المتحف البريطاني (راجع Budge, ibid, P. 115) . وكذلك رؤوس أربعة تماثيل (راجع ibid. P. 115, 116) .

وفي موسكو : له تماثيل (راجع P. 125 (1920) "Ancient Egypt") . وفي أفنيون بفرنسا : توجد قاعدة تماثيل عليها اسمه (راجع Moret, "Monuments Egyptiens du Musee Calvet à Avignon", Rec. Trav. XXXV, P. 196) .

وفي مجموعة سورما : Saurma توجد مجموعة مؤلفة من الملك وزوجه « تي »
ويوجد لهذا الفرعون ثلاث صور ممتازة تمثله في ثلاثة أدوار مختلفة (راجع
Champollion, "Monuments" P. 232; L. D. III, Pl. 70. وقد شاهد « شميليون »
تمثال « بوهول » لهذا الفرعون في الكرنك (راجع Champollion, "Notices",
II, P. 272.) ، ومن الجائز أن أحد التماثيل الموضوعة الآن أمام كنيسة « سنت
بطرس برج » له (راجع Lieblein, "Die Agyptische Denkmaler in St.
Petersburg, Helsingfors, Upsala und Copenhagen (Christiania, 1873)
(P. 61.)

ويوجد له تمثال مجاوب في المتحف البريطاني (راجع Budge, "Guide",
P. 153.) هذا بالإضافة لتماثيله التي بالمتحف المصرى .

تماثيل الآلهة التي تنسب لعهد « أمنحتب الثالث » : ينسب إلى هذا
العهد تماثيل عدة للآلهة والإلهات وبخاصة تماثيل الإلهة « سخمت » المصنوعة
من الجرانيت الأسود وهي التي قد أقيمت على وجه خاص في معبد الإلهة بالكرنك .
كما يوجد تمثال واقف للإله « بتاح » من الديوريت في « تورين » وآخر جالس من الحجر
الجبرى الأبيض في تورين أيضا ، وفي مجموعة سابتيه (Sabatier Coll.) يوجد تمثال
للإله « أنوب » من الحجر البازلت . وكذلك تمثال قرد يمثل الإله « تحوت » من
حجر الكوارتسيت في المتحف البريطانى (راجع Budge "Guide", P. 120.)
وكل عليها اسمه (راجع Petrie "History", II, P. 176.)

عبادة أمنحتب الثالث : رأينا فيما سلف أن « أمنحتب الثالث » قد أقام
معبده الجنازى ليعبد فيه هو وكذلك أقام معبد « صولب » وقال عنه إنه بنى
لنفسه وللإله « آمون » بوصف أن كلا منهما إله . والواقع أنه لم يعبد بعد وفاته
كما كان المنتظر، إذ في معبد « صولب » نجد ابنه « اخناتون » يظهر بملابسه

الملكية العادية لا في الملابس الخاصة لعبادة الملك . وقد رأينا في أيام حياته أن بعض الموظفين كان يتعبد لتمثاله كما شاهدنا النحات « من » في أسوان . وكذلك في منف نجد هذا الفرعون يعبد أيضا (راجع Pap. Sallier. Verso, Pl. 2) ونشاهد منظرا على لوحة لكاهن معبد « أمنحتب الثالث » يتعبد فيها للإله « أوزير » والإلهة « إزيس » و « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » (راجع Champollion "Notices", II, P. 703) وفي الكرنك نقرأ على تمثال صيغة القربان المعلومة تتلى للإله « سكر » والإله « نفرتم » ثم الإلهة « سخمت » أى ثالث « منف » ثم للفرعون « أمنحتب الثالث » (راجع P. S. B. A., XI. P. 42)، وكذلك نجد منقوشا على صخور « بجه » صورة « أمنحتب » كاتب الفرعون يتعبد له (راجع Porter and Moss, "Bibliography", V, P. 256).

الأسرة المالكة : نعلم مما ذكرنا أن الملكة « تى » كانت زوجه الشرعية ، وأنها كانت مصرية المنبت وليس فيها أى دم أجنبي كما يدعى البعض . وقد ظهرت على جوانب تماثلى « ممنون » اللذين يمثلان « أمنحتب الثالث » زوجها ، وكذلك شاهدنا أنه كان يذكرهما على كل الجدران التى نشرها كما كانت تظهر بجواره فى كل المحافل الرسمية ، كما نجد فى معبد « صولب » وغيره مثل مقبرة « خيوف » (راجع Fakhry, A. S. XLII (1942) P. 449 ff.) وكذلك ظهرت صورتها فى مقبرة « حوى » فى تل العمارنة (L. D. III, Pl. 100. c) . وقد عثر فى مصنع مثال على قطعتين عملهما هذا المثال بمثابة تجربة فى تل العمارنة (Prisse, Art.) وفيهما نشاهد وجهها وقد عثر على تماثيلها المجاورة المصنوعة من المرمر فى قبر زوجها (راجع Petrie, "Tell El Amarna" "I, P. 6; "Description de l'Egypte" V, P. 60, 7).

وقد أهدت موائد قرابين لروح زوجها بعد موته ، وقد بقى لنا منها واحدة فى بلدة « غراب » (Petrie, "Illahun" Pl. XXIV.) وكذلك كتب اسمها على صناديق زينة

وجدت في غراب أيضا (ibid. Pl. XXIV.) وكذلك في «تورين»^(١) وقد وجدوا اسمها منفردا أو مع اسم «أمنحتب الثالث» على جعارين كثيرة؛ وفي حالتين وجدت صورتاهما معا (راجع Petrie, "Scarabs", Brit. Mus., Brocklehurst Coll.; 9 - 1305) ونجدها على جعران جالسة (راجع Petrie, "Scarabs", Brit. Mus. 1308.) وقد ظهر اسمها منفردا في محاجر «تل العمارنة»^(٢) وظهرت مع الفرعون «أمنحتب» في مناظر معبده الواقع شمالي مقياس النيل «بأسوان» (Porter and Moss, "Bibliography", V. P. 228.) أما الملكة «جبلوخيا» فلم نسمع باسمها إلا مرة واحدة على جعران زوجها كما سبق؛ وأما أولاد «أمنحتب الثالث» فقد ظل علماء الآثار لا يعرفون عنهم الشيء الكثير حتى أثبتت الكشوف العلمية والأبحاث الطيبة أنه أنجب «أخناتون» «وسمنخكارع» «وتوت عنخ آمون» وبناته هن «نفرتي» و«سات آمون» كما ذكر ذلك على الآثار. وكذلك ذكر اسم بنتين له على معبد «صولب» وهما «آست» و«حنت مريح» (راجع L. D. III. Pl. 86 b.) وقد جاء ذكر «سات آمون» على قطعة من صندوق من العاج (Brit. Mus. Archæological Journal, VIII, P. 397.) وكذلك نقش اسمها على طبق في «تل العمارنة» (راجع Petrie, "Tell el Amarna", Pl. XIII, 6.) وكذلك رسمت جالسة على حجر مريتها «نبت كاباني» على لوحة من «العراة المدفونة» (راجع Mariette, "Abydos", II. P. 49.) أما «حنت تانب» فلم نجد اسمها إلا على آنية كحل من الفخار المطلق كشف عنها في غراب (راجع Petrie, "Illahun", Pl. XVII, 20.) ويقول بترى: إن الأميرة «باقت آتون» هي ابنة «أمنحتب الثالث» كما تدل كل الظواهر على

(١) راجع : Rec. Trav. III. 127.

(٢) راجع : Petrie. "Tell El-Amarna", P. 4. Pl. XLII.

(٣) راجع : وقد تضاربت الآراء في زواجه من ابنته «سات آمون» وأن «توت عنخ آمون»

هو ابن «أمنحتب الثالث» منها. وستناول هذا الموضوع ثانية (راجع Varille, A. S. Vol. XL.

• (P. 651 - 7; A. S. XLV, P. 121.

ذلك وهى التى يقال عنها إنها سابعة بنات «أخناتون» وأصغرهن ويلاحظ أنها كانت ترافق الملكة «تى» وتسمى البنت الملكية فى حين أن بنات «إخناتون» كنّ يدعين بنات «نفرىتى» . وقد رسم صورتها مفتن البلاط «أوتا» الخاص بالملكة «تى» (راجع (L. D. III. Pl. 100. a.) أما عن خرافة نسب «تى» إلى أصل «متى» وأنها ليست مصرية فقد قضى عليها الكشف عن مقبرة والديها وكلاهما مصرية صميم ، وكذلك اسماهما مصريان ، وقد نصب «أمنحتب الثالث» كلا من والد زوجته «تى» ووالدتها فى مكانة رفيعة فى البلاط ، كما بنى لهم قبرا فاحرا فى «وادي الملوك» ونصب أخا «تى» المسمى «عائى» فى وظيفة الكاهن الأعظم لمدينة «أرمنت» التى كان يعبد فيها الإله «أمنتو» إله الحرب وهو من أعظم الآلهة المصرية (راجع Kees, A. Z. LIII, P. 81.) .

نهاية حكمه : ولا يزال هناك غشاء رقيق حول «أمنحتب الثالث» نفسه وكيفية انتهاء حكمه لا يجعلنا ننفذ إلى أعماق الحقيقة البحتة عن آخر أيامه ، إذ دلت الكشف الحديثة التى أميط اللثام عنها فى «تل العمارنة» أنه كان لا يزال على قيد الحياة حتى السنة التاسعة أو الثانية عشرة من حكم ابنه «أخناتون» ، وعلى أية حال فإنه دفن فى قبره الذى أعد له فى وادي الملوك وهو الذى كشف عنه «جوليه (Jollois)» و«دفلييه Devilliers» عام تسعة وتسعين وسبعمائة وألف من الميلاد . وقد نقش على جدران دهاليزه وحجروه صور ملونة تمثل الفرعون يتحدث مع الآلهة المختلفة . ولم تكن جثته فى القبر الخاص به الذى كان قد نهب نهبا تاما فى العصور التى تلت دفنه ، بل وجدت فى مقبرة حفيده «أمنحتب الثانى» كما ذكرنا من قبل . وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى .

ومما سبق نعلم أن «أمنحتب الثالث» يعدّ على ما يتضح أعظم ملك قام بأعمال البناء والتعمير فى عهد الأسرة «الثامنة عشرة» ، وكان النشاط والاهتمام اللذان بذلها الملوك السابقون له فى الحروب الطاحنة ، قد استغلها هو فى تصميم

المباني التي أراد أن يزين بها بلاده ، وفي زيادة ثراء معابد الآلهة في الوجهين القبلي والبحري ، وبخاصة في « طيبة » وفي « السودان » ؛ ومع أنه كان لدى هذا الفرعون عبيد لا يحصى عددهم رهن إشارته ، فلم يكن في استطاعته أن يبني « رومة » في يوم واحد كما يقول المثل السائر . ولا نزاع في أن زهرة مباني الأسرة « الثامنة عشرة » التي أقامها كانت تحتاج إلى الجزء الأكبر من سني حكمه ؛ غير أننا لا نعرف التواريخ التي تمت فيها مبانيه الضخمة . وعلى كل فإن الوثائق التي تركها لنا منقوشة على هذه المباني تنطق بعظم ما قام به هذا الفرعون في هذه الناحية .

والظاهر أن « أمنحتب » قد مات حوالى الخمسين من عمره ولم يبق ما يدلنا على شخصيته وخلقه إلا أثران وهما موميته في متحف القاهرة ، وهي التي قامت حولها الشكوك أولاً (راجع "Asiatic Review" Oct. 1927) ثم ثبت أنها له ، ثم لوحته الصغيرة الشهيرة المحفوظة الآن في المتحف البريطاني ، (أنظر الصورة رقم ٨) وهي التي مثل عليها جالسا مع ملكته « تي » وأمامهما مائدة محملة بكل مالد وطاب ، وفي هذه اللوحة نشاهد رجلا طغت عليه الشيخوخة قبل أوانها ، فأصبح مترهلا منحني العود بعض الشيء يجلس جلسة الزاهد في كل ملاذ الحياة ومتعها فأصبح وقد شبع منها لا تغريه ولا تجده سبيلا إلى نفسه ، فقد ملها وانقطعت بينهما كل الأسباب . فتراه وقد وضع إحدى ذراعيه إلى جانبه وذراعه الأخرى معتمدة على ركبته مسندا بها ثقل رأسه وكتفيه المكدودتين . أما وجهه فوجه إنسان متألم قد اعتاد الأوجاع والمرض ، وهذه الأوجاع نعرفها من موميته على الرغم مما أصابها من العطب الذي تسبب عن سرقة قبره ونقل جثته من مكان إلى آخر . ولحسن الحظ وجد رأسه سليما . وقد أسفر الفحص الطبي الذي قام به « اليوت سميث » على أن هذا العاهل العظيم كان يشكو آلاما قاسية بسبب (نحراريج) في أسنانه كما هي الحال في مصر حتى الآن .

والواقع أن البذخ والترف وعيشة الاستهتار التي كانت تتميز بها حياة هذا الفرعون وأفعاله ، والتي تنبئ عنها بقايا قصره في مدينة « هابو » لا كبر دليل على ما أصابه



(٨) أمنتب الثالث في أواخر أيامه

في أواخر حياته من وهن الصحة وترهل في الجسم على الرغم من صغره سنه وما كان ينتظر أن يتم على يديه في مثل هذا الدور من حياته الذي يكون فيه الشخص قد نضج وتأهب لجليل الأعمال ، ولا سيما أنه كان في أول حياته قد راض جسمه وقواه في الطراد الذي كان يهواه ، ولكن كل ذلك لا يجدي نفعا مع رجل أرخى لنفسه العنان في الملاذ والشهوات ؛ على أن مومية الفرعون « رعمسيس الثاني » تحدثنا عن نفس القصة ، ولكنها لم تكن في إسراف « أمنحتب » إذ قد عاش « رعمسيس » نصف قرن أكثر منه . ومع ذلك فإن الحالة التي وجدت عليها موميته من الوهن تنسب جلها للشيخوخة . ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنه لم يبق لنا من الماضي صورة حية تدل على صاحبها في صدق تعبير مثل صورة « أمنحتب الثالث » هذه .

الموظفون في عهد « أمنحتب الثالث » والحياة الاجتماعية في عصره
أمنحتب بن حبي (ويسمى كذلك حوى) : كان « أمنحتب بن حبي » المدير العظيم لبيت الفرعون ويعتد من أكبر الشخصيات الذين خدموا الفرعون « أمنحتب الثاني » بل قد يعد أكبر شخصية بارزة في عهد هذا الفرعون إذا استثنينا سمي « أمنحتب بن حبو » الذي سنعلم تاريخ حياته فيما بعد . ولم يكن « أمنحتب » هذا ينتسب إلى أسرة عريقة في المجد ، وإن كان ابن عم الوزير « رع موسى » الذي ستتكلم عنه في دوره وقد استطاع في مدة خدمته أن يجمع لنفسه وظائف عدة في الدولة ذات نفوذ عظيم وها هي ذى ألقابه ووظائفه مرتبة على حسب أنواعها :
(١) ألقاب الشرف التقليدية : الأمير الوراثي ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الأكبر لرب الأرضين ، والمدير الملكي ، والقاضي (أو المجل) .

(٢) ألقاب الكهانة : كاهن « ورت حقاو » ، والمشرف على الكهنة في بيت سخمت ، ومدير أعياد « بتاح » القاطن جنوبى جداره وكل آلهة « منف » ، والكاهن « إمي ورت » .

(٣) ألقابه الهندسية والإدارية : (راجع J. E. A. Vol. XXIV. P.

19, 20.) المشرف على الأعمال في «خنمت بتاح»، ومدير الأعمال، والمشرف على مخزن الغلال المزدوج في كل البلاد قاطبة، والمشرف على بيتي الذهب والفضة، والمشرف على كل صناعات الملك .

(٤) ألقابه الكتابية : الكاتب، وكاتب الملك، وكاتب الملك الحقيقي،

ومحبوبه (راجع Davies, "The Tomb of Ramose", Pls. IX, XI, XII, XIX)، وكاتب الفرعون للجنديين .

(٥) ألقابه بوصفه مدير البيت : مدير البيت، والمدير العظيم لبيت الملك،

ومدير البيت « لمنف »، والمدير العظيم لبيت الفرعون في « منف » .

نعوته : وقد كان « أمنتحتب » ينعت بالنعوت التالية : موضع ثقة سيده ،

ومن رقاء الملك، والمحبوب من رب الأرضين، ومن في قلب حور في بيته، وعينا ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، والحاكم الذي على رأس أشرف الفرعون، والرفيع المقام في مكانته والمعظم في وظيفته، والفم الذي يمنح الرضا في مسكن الملك، والفم الذي يبعث الرضا في كل الأرض قاطبة، ومن يمدحه «بتاح» كل يوم، والواحد الممدوح الذي خرج من الفرج ممدوحا، وصاحب الإله الطيب (Ibid Pls. IX, XI, XII, XIX).

وقد عثر لهذا الموظف العظيم على تمثال من الحجر الرملي وجده «بترى» في منف وعليه نقش طريف يتحدثنا عن تاريخ حياته (Petrie, "Tarkhan I, &").

(Memphis", V, Pls. LXXVIII – LXXX. فيقول : "إن هذا التمثال قد منح بمثابة خطوة من الملك ووضع في بيت «نب ماعت رع» المسمى المتحد مع «بتاح» وهو الذي أقامه جلالته حديثا لوالده «بتاح» القاطن جنوبي جداره في أراضيه المنزوعة غربي «حتكا بتاح» لأجل الأمير الوريث، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، ومحبوب رب الأرضين، العظيم في رتبته، والسامي في وظيفته، والحاكم الذي رأس أشرف جلالته، وعينا ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري » والذي على علم بطريفة القصر، والفم الذي يمنح الرضا في مسكن الفرعون، وصاحب الكلام

السامى؟ وكاتب الفرعون الحقيقى، ومحبوبه «أمنحنب» يقول : إني أنكلم إلى نخامتكم أتم يا من ستأتون إلى الوجود يا رجال المستقبل الذين سيعيشون على الأرض، لقد خدمت الإله الطيب والأمير «المرح» (?) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب ماعت رع» عند ما كنت فتيا وليس لى قريب . وعند ما تقدمت فى السن دخلت القصر عند ما كان فى سكنه الخاص حتى أرى «حور» فى بيته هذا، ومشى الأشراف خلفى (?)، وقد منحنى امتيازات عطف وذلك بسبب أخلاق السامية، ورقانى المدير العظيم للبيت، وكانت عصاى على رؤوس القوم، وقد أصبحت ثريا بالعيد والمناشية والأملاك من كل شىء مما لا يحصى عدده، ولم يكن هناك ما أرغب فيه بفضل سيد الأرضين «حور خع - م - ماعت»... ولقد أقت العدل من أجل «رع» لآتى عرفت أنه يعيش عليه، وأنفت من قول الكذب، ولقد رقانى لأقوم بالمباني التى فى بيته ملايين السنين وهو الذى أقامه حديثا فى أراضيه المتزومة غربى «حتكا - بتاح» (منف)، فى حى «عنخ تاوى»، ولقد كان والده «بتاح» الذى وانتظر؟ بمثابة أثر لوالده «بتاح» بعمل ممتاز أبدي بالحجر الجبرى الأبيض من «عيان» . ولقد كان جماله مثل أفق السماء، وكل أبوابه كانت من خشب الأرز المجلوب من المرتفعات (أى لبنان) من خيرة «جاو» وغشى بالذهب النضار المجلوب من الصحراء، وبكل أنواع الأحجار الثمينة . وكانت قاعاته وأبوابه من عظيم عمل خالد بمثابة قطعة حصينة، أما بحيرته فقد حفرت وغرست فيها الأشجار وصارت ساطعة بكل نوع من الأخشاب الثمينة المنتخبة من البلاد المقدسة، وقواعد أوانبه كانت من الفضة والذهب وكل أنواع الأحجار الصلبة . وبعد أن تم هذا البناء بصورة جميلة وقف جلالته قرايين جديدة مقدسة تحتوى على هبات يومية لولده «بتاح» القاطن جنوبى جداره ولآلهة هذا البيت، فقد كانوا يمدون بالطعام الطيب إلى الأبد، وعين كهنة مطهرون وكهنة من أولاد حكام «إنبو» (منف) وخصصت حقول

وماشية وعمال ورعاة من غنائم جلالته التي رجع بها من كل أرض ، وقد شغل جلالته تماما كل وظائف هذا المعبد ، وكان جلالته هو الذي أنجزها على هذا الوجه كما تستحق عن طيب خاطر ؟ وقد جعل جلالته هذا البيت يقدم لمعبد « بتاح » المؤن لكل تماثيله مثل بيوت ملك الوجه القبلي والوجه البحري التي بجانب جلالته في المدينة الجنوبية (طيبة) ، وقد كانت تحت مراقبة كل مدير بيت للفرعون خبزها أبدى . والآن تأمل لقد خصصت أملاكا من حقولى وعبيدى وماشيتى لأجل تمثال « نب ماعت رع » الذى يسمى وهو الذى أقامه جلالته لولده بتاح فى هذا المحراب .

قائمة بذلك : عشرة ومائتا فدان ونصف أرورا . وفى الأقاليم الشمالية وعشرون ومائتا فدان من الحقول مما أعطيته حظوة من الملك فيكون المجموع ثلاثين وأربعمائة فدان ونصف فدان ، هذا فضلا عن عشرة ... ألف أوزة من التي تضع بيضا ، وألف خنزير^(١) ، وألف خنزير صغير ، وقد مدحني جلالته على ذلك كما كنت ممتازا في قلبه ، ولقد رفعت إلى سن موقرة في حظوة الملك وأسلمت هيكل الجفاني إلى التابوت بعد حياة طويلة ، وانضمت إلى قبري في الجبانة وقد كان احترامى لدى رجال البلاط ، وحيي عند كل الناس ، وحظوتى كانت وطدت في القصر .

وقد منحني جلالته قربانا مقدسا مما قدم أمام تماثله الخاص بالجفلات في بيته المسمى المتحد مع « بتاح » الذى أقامه في أرضه المترعة غربى « حتكا بتاح » .

وفضلا عن ذلك فإنه عند ما يشبع الإله نفسه بما كولاته ، ويتسلم هذا التمثال كذلك وجباته ، تقدم المؤن أمام خادمه المطيع هذا (أى نفسى) على يد الكاهن المرتل الذى في بيته ، وعلى الكاهن المطهر اللبيب أن يقدم قربانا ... (٢٧) ... على حسب الشعائر المتبعة خلال اليوم .

(١) دلت الكشوف الحديثة على أن الخنزير كان يقدم فعلا قربانا إذ عثر على عظام خنزير في حجرة دفن الملك زدكارع أحد ملوك الأسرة الخامسة (راجع Prof. A. Batrawi A. S. XLII . P. 104) .

قائمة بذلك : ” فطائر بيت (المقدار المستعمل في الطهو ثلاثون) عشرون فطيرة ، فطائر بيت (المقدار المستعمل في الخبز أربعون وحدة) ثلاثون فطيرة ، وفطائر « بيت » (المقدار في الخبز مائة) مائة فطيرة ، وفطائر برسن (المقدار المستعمل في الخبز أربعون) عشرون فطيرة وفطائر برش (المقدار المستعمل في الخبز أربعون) ثلاثون فطيرة ، فيكون المجموع مائتي رغيف مختلفة . وجعة (المقدار الذي استعمل في صنعها ثلاثون) عشرة أباريق ، ومن الشحم إبريقان ؟ وساق واحدة من كل مقدمة ثور يرد إلى هذا البيت ، و « هن » واحد من النيذ ، ووطاب من اللبن ، وفطائر من الخبز الأبيض اثنان ، وإوزة واحدة وخضروست حزم ... وثلاث . وهكذا أقول : اصغوا أتم يا أيها الكهنة المطهرون والكهنة المرتلون والكهنة التابعون للمعبد المسمى « المتحد مع بتاح » ، وكل مدير بيت للفرعون سيعيش هنا فيما بعد في « إنبوا » . لقد منحكم جلالته خبزا وجعة ولحما وفطائر وكل ما لذ وطاب لأجل أن تغذوا أنفسكم في بيته المسمى « المتحد مع آمون » في خلال كل يوم فلا تطعموا في مؤنق التي قزرها إلى إلهي فضلا منه على في قبرى . على أنى لم أذكر أكثر مما هو ملكي الخاص ، ولم أطلب أى شىء أكثر مما يجب ، وذلك لأنى لما تعاقدت على تخصيص هذا العقار بتمثال الفرعون الكائن في هذا البيت (المعبد) في مقابل منحى قربانا مقدسا من تلك القرابين التي تترهبها التمثال المحفل بعد أداء التضحية الخاصة بالشعيرة الدينية رغبة في تسجيل مؤنق للأجيال ، كنت رجلا عادلا على الأرض يعرف إلهه ، وأنه سيزيد في جماله كما عاملت خدم بيته معاملة طيبة ، ولم أقص رجلا عن مرتبه ، ولم أغش إنسانا آخر في ممتلكاته ، ولم أغتصب أملاك آخرين بالخداع ، وكنت أمقت الغش وإنى أقول أيضا : إن كل مدير بيت للفرعون من الذين سيكونون في منف ، وكل كاتب وكل كاهن مرتل ، وكل كاهن مطهر تابع لهذا المعبد ، والكهنة غير المحترفين في كل المعبد ، وكل من سيكون في هذا البيت إذا منعوا مؤنق التي قزرها إلى « بتاح القاطن جنوبى جداره »

والإله الفاجر الذى يعيش على الصدق ، والذى سوى صورته بنفسه ، مما أعطانيه الملك «نب ماعت رع» لأجل أن أعمل قربانا لقبرى ، بسبب عظم حظوتى عنده (فإن مثل هذا الشخص) سيزوره غضبه ، وستزع وظيفته أمام وجهه ، ويعطاها رجل يكون عدوا له ، وستغيب عنه قرينته (روحه) وسيسقط بيته على الأرض . أما كل مدير بيت للفرعون فى « انبوا » وكل كاتب ، وكل كاهن مرتل ، وكل كاهن مطهر لهذا المعبد ، والكهنة غير المحترفين فى كل المعبد ، وكل من يلوذ بهذا البيت ويمنع الكاهن المرتل الذى فى بيتى مؤتى كل يوم ، فإن هذا الإله الفاجر سيمدحه ، وسيقضى حياته فى سلام وبدون شجار ، وسيرتفع إلى عمر موقر ، وتسلم وظيفته إلى أولاده بعد عمر طويل ، وستكون كل سنيه سعيدة بدون حزن ، وسيكون حسن السمعة بين الناس ، ولن يحيق به شر ، لأنى كنت عادلا ومنصفا على الأرض فقد أعطيت الجائع خبزا والعطشان ماء ، وعملت كل ما يرضى الناس ويمدحه الإله .

ومما سبق نعلم أن « أمنحتب » قد درج إلى أعلى الرتب بفضل مجهوداته وما امتاز به من الصفات العالية والخلق العظيم . فلم يرث وظائفه من والد صاحب ألقاب عظيمة أو عن أم لها نفوذ فى البلاط ، على أن مثل هذا النبوغ الشخصى كان من الأمور العادية فى مصر القديمة . ولا تراع فى أن « أمنحتب » قد بدأ مجال حياته الحكومية كاتبا ، وقد كان هذا أول لقب حمله ، ولا بد أنه أظهر براعة فى هذه الوظيفة مما جعله يرقى إلى وظيفة « كاتب الملك » وهو لقب ظل يحمله حتى آخر حياته ، ثم رقى بعد ذلك إلى رتبة كاتب الملك الحقيقى (أى أنه كان أحد السكرتاريين المخصوصين للفرعون « أمنحتب الثالث ») .

أما وظيفة « كاتب مجندى الفرعون » فقد كانت اختصاصاتها إطعام الجنود والعمال وكسوتهم وتفقد أحوالهم العامة . ونحن بدورنا نعلم أن وظيفة الكاتب لم تكن قاصرة على المهارة فى الكتابة وحدها بل كان لا بد للكاتب من أن يكون قديرا

في الحساب وحل المسائل الرياضية والميكانيكا المعقدة ، وكذلك وضع التصميمات الخاصة بالمشاريع العظيمة البنائية (راجع Papyrus Anastasi I & M. M. A. 18, Oct. Part. II. P. 6.) فليس من المستغرب إذا أن يكون « أمنحتب » في أول حياته الحكومية قد أضاف إلى وظائفه أعمال المدير العظيم لبيت الفرعون ، ورئيس الخزانة ومهندس البناء ، وقد وصل إلى قمة مجده بتولييه وظيفة المدير العظيم لبيت الفرعون في « منف » ، إذ قد وصل بها إلى درجة عظيمة من الثراء والفنى والجاه مما لم يصله أحد في جميع البلاد قاطبة إذا استثنينا سمي « أمنحتب بن حبو » الذى سنوفيه حقه فى حينه .

أما مهام وظيفة رئيس الخزانة فكانت ثانوية بالنسبة لمهام المدير العظيم لبيت الفرعون ، وأما لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى فكان لقب شرف وحسب ، وكان يحمله كل موظف من أصحاب الشهرة العظيمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ومن الأفراد الذين كان يكل إليهم الفرعون القيام ببعوث إلى البلاد الأجنبية . وما قام به « أمنحتب » بوصفه مهندس بناء ظاهر لا يحتاج إلى إيضاح كثير ، إذ أنه بوصفه مدير الأعمال ، والمشرف على المباني فى « خنمت بتاح » قد أقام معبد « أمنحتب الثالث » فى « منف » ويميز أنه كذلك قام بالإضافات التى عملها هذا الفرعون فى « معبد العرابة » . وعلى الرغم من أن هذا المعبد لم يكن من الفخامة والعظمة بحيث يضارع المعبد الذى أقامه « أمنحتب بن حبو » فى « طيبة » إلا أن ذلك لا يمنع من أن يكون على جانب عظيم من الأهمية والفخامة .

ولقد اشترك « أمنحتب بن حبي » بوصفه مواطناً منفياً فى الحياة الدينية الخاصة بمسقط رأسه ، لذلك نجده كان يشغل وظيفة المشرف على كهنة الإلهة « سنخمت » وهى زوج الإلهة « بتاح » وأم الإلهة « نفرتم » وهؤلاء يكونون ثالوث « منف » وقد كان كاهناً لإلهة أخرى برأس لبؤة وهى الإلهة المحلية « ورت حقاو » والظاهر أنه كذلك كان يشرف على كل الأعياد الدينية فى « منف »

وبخاصة أعياد الإله « بتاح » أعظم آلهة هذه الجهة ، ومن الجائز أن تكون الألقاب الدينية التي حملها ألقاب شرف في معظم الحالات ، وقد أخبرنا « أمنحتب » هذا أنه كان يختلف على القصر ، وأنه كان على أحسن ما يكون مع الفرعون من الود والخطوة ، وليس من الصعب تصديق هذا ، فقد كانت الصداقة التي بين الفرعون والرجل الذي ينهض بأعباء شئونه الخاصة ظاهرة بما كان بينهما من المنفعة المشتركة التي أحكت أواصرها كتابة فيما يتعلق بالقربان الذي كان يقدم لتمثال كل منهما ، على أن هذا العمل لم يكن اغتصاب متاع من جهة الفرعون ، ومن جهة أخرى لم تكن هبة للفرعون من قبل مدير البيت بل كان مجرد تبادل منفعة كما يحدث بين نذنين ، قامت على مبدأ قيمة دفعت مقابل قيمة تسلمت ، إذ أن مجرد قدرة « أمنحتب » على تخصيص ثلاثين وأربعمائة أرورا من الأرض للصرف منها للحفاظ على تمثال لدليل قاطع على مقدار ما كان عليه هذا الرأسمالي من الغنى الفاحش .

والواقع أن « أمنحتب » كان من أول أمره حتى نهاية المطاف موظفا منفيا . وتدل ظواهر الأمور كلها على أنه تلقن تعليمه الأول في « منف » ، ونال أعلى وظائفه هناك ، وأخيرا دفن في تربتها ، وقد كان شعوره وعاطفته الدينية مع آلهة الوجه البحري ، وبخاصة آلهة « منف » ولا أدل على ذلك من أن الإله « آمون » والآلهة الطيبين لم يذكروا على آثاره ، (ومن المحتمل أنه سمي « أمنحتب » تبركا باسم الفرعون « أمنحتب الثاني » الذي ولد في عهده لا من أجل الإله « آمون » وقد كانت زوجة « مري » مغنية الإله « آمون » مما يدل على أنها كانت طيبة الأصل غير أن في ذلك شكاً كبيراً) . وعلى الرغم من أن نشاط « أمنحتب » كان معظمه منحصرا في « منف » لا يصح أن نعتد مجرد موظف إقليمي لا مكانة له في المجتمع المصري الراق . إذ أنه مع ارتفاع « طيبة » إلى منزلة عاصمة الإمبراطورية ، فإن « منف » قد ظلت أكبر مدينة ، ومن وجوه كثيرة أهم مدينة

في مصر، يضاف إلى ذلك أن «منف» بما منحها الطبيعة من جو لطيف ومركز وسط بالنسبة للإمبراطورية المصرية ، كان فراغة الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة يفضلون الإقامة فيها معظم وقتهم أكثر من مكثهم في «طيبة» عاصمة البلاد السياسية والدينية . ومع أن « أمنحتب » قد بدأ حياته رجلا من عامة الشعب ثم دخل في خدمة الفرعون كما يقول هو من غير قرابة ، أى دون أن يكون رجلا من أسرة غنية وعريقة في الجاه لتساعده ، فإنه قد تسنم قمة المجد والقوة والنفوذ حتى أنه عند وفاته كان في مقدور ابنه « إبي » أن يحتل مكانته التي أصبحت خالية بموته . وهذا دليل ناطق أمامنا على أنه كان من المستطاع لأسرة مصرية أن ترتفع في جيل واحد من الحضيض إلى مكانة عليا تهى لأفرادها أن يشغلوا أعظم مناصب الدولة . ولما كانت الارستقراطية الوراثية غير معروفة في العادة في مصر في ذلك العصر، فلا بد أن « إبي » كان رجلا من أصحاب الكفايات العظيمة والمهارة الفائقة .

ولدينا عدد عظيم جدا من آثار « أمنحتب » باق حتى الآن مما يدعو للدهشة وهى : (١) قبره الذى أقامه لنفسه في « منف » ، والظاهر أنه كان بالقرب من المقبرة التى أقامها « حور محب » القائد العظيم والملك فيما بعد ، أى بالقرب من رأس الجسر « بسقاره » ، وذلك لوجود قطع منقوشة من هذا القبر في هذه الجهة (راجع J. E. A. Vol. XXIV. P. 18) ومعظم الآثار التى سنذكرها هنا مستخرجة من هذا القبر .

(٢) محبرة كتابة نموذجية من المرمر موجودة الآن بمتحف « اللوفر »
(Boreux "Guide Louvre" I. P. 66.)

(٣) محبرة أخرى نموذجية من المرمر بمتحف « متروبوليتان »
(Hayes, J.E.A.Ibid. P. 16.)

(٤) محبرة أخرى نموذجية من المرمر بمتحف « فلورنس » (A. Z. Vol. XLIV.)
(P. 89.)

- (٥) قضيب مكعب في متحف «فلورنس» (راجع. J.E. A. Vol. II, P. 139.)
- (٦) لوحة من الحجر الجيري الأبيض بمتحف « فلورنس » (Rec-Trav.)
• (II, P. 124-5.
- (٧) هرم صغير من الجرانيت الرمادي بمتحف «فلورنس» Schiaparelli
• ("Cat. Florence" P. 89.
- (٨) إناءان منقوشان من المرمر بمتحف « فلورنس » (A. Z. Vol.)
• (44. P. 89.
- (٩) هرم صغير من الجرانيت الأحمر في متحف «لندن» (Ibid. راجع.)
- (١٠) صندوق أواني أحشاء بمتحف « لندن » (Ibid. راجع.)
- (١١) رجل كرسي من الخشب بمتحف « لندن » (Ibid. راجع.)
- (١٢) لوحة من الحجر الرملي (كوراتسيت) بمتحف القاهرة (The) Quibell,
• ("Monastery of Apa Jeremias", P. 6, 146. Pl. LXXV
- (١٣) تمثال من (الكوراتسيت) من « منف » وهو الآن بمتحف
«اشموليان» بأكسفورد (راجع- Petrie, "Tarkhan I. & Memphis", V, P. 33-
• (36. Pls. LXXVII - LXXX.
- (١٤) تمثال من الجرانيت بالمتحف البريطاني الآن (Budge, "Guide to)
• (Sculpture", P. 127. No. 448. Pl. XVII.
- أمنحتب سورر : كان « أمنحتب » هذا يحمل اسم « سورر » أيضا ،
وهو من كبار موظفي الفرعون « أمنحتب الثالث » إذ كان يحمل الألقاب التالية :
« الأمير الوراثي وكاهن الفرعون ، « عتي » وحامل المروحة على يمين الفرعون ،
والكاتب الملكي والحاكم ، والسمير الوحيد الذي يقترب من سيده (أى المقرب)
وحارس خطوات رب الأرضين ، والمدير الملكي ، والأمير على خبز قاعة القربان
("Excavations at Giza ; V. P. 94 ff.) والمدير العظيم لبيت الفرعون، وقد نحت

أمنحتب قبره بالخوخة (رقم ٤٨)“ ويحتوى على بعض مناظر (Porter & Moss
(Bibliography”, I, P. 79.) طريقة يظهر في واحد منها صاحب المقبرة في وظيفته
” حامل المروحة على يمين الفرعون ، في حين نجد الفرعون نفسه يؤدى شعائر عيد
الحصاد الذى تكلمنا عنه فيما سلف كذلك نشاهد الإلهة «رنوت» ترضع إله الحب
« نبرى » ويتعبد لكليهما « أمنحتب الثالث » (Davies, M. M. A, (1929).
(P. 48, fig 8.& Wilkinson. MSS. V. P. 126.)“ .

غير أن قبر هذا العظيم قد فتك به شيعة « اخناتون » فتكا ذريعا إذ هشموا
جزءا كبيرا من نقوش الجدارن ، ومما يلفت النظر أن شيعة « اخناتون » ، قد محوا
نقشا بأكمله إلا علامة الأفق — فإنها تركت أينما وجدت ، وذلك لوجود
رمز الشمس فيها . وقد ترك لقب الفرعون « نب ماعت رع » دون أن يمس
بسوء ، أما اسمه الذى يحوى كلمة « آمون (أمنحتب) » ، فقد محى .

« خيروف » : كان « خيروف » من أكابر موظفى الدولة في عهد « أمنحتب
الثالث » ويقع قبره في « العساسيف » رقم (١٩٢) ، وقد كشف عنه الدكتور
أحمد نجرى حديثا بعد أن ظل موقعه مجهولا بعد كشفه الأول . وقد وجد فيه
مناظر جديدة لم تكن معروفة من قبل كما ذكرنا آنفا .

والظاهر أن « خيروف » كان من أنصار المذهب الدينى القديم فلم يقبل أن
ينضم إلى ديانة « اخناتون » وعصيته ، ويحتمل أن هذا هو السبب الذى من
أجله قد مجيت صورته ، وكذلك كل المتون التى تشير إلى نشاطه ، ويحتمل أن يكون
الداعى لذلك أسباب أخرى غابت عنا . وعلى أية حال فإن أهم منظر كشف عنه
الدكتور أحمد نجرى هو منظر عيد « سد » الذى يعد من أهم الكشوف التى أماطت
لنا اللثام بعض الشئ عن ماهية هذا العيد ، وقد تكلمنا عنه فيما سبق ، وقد
بقى علينا هنا أن نعدد ألقابه ووظائفه وهى « الأمير الوراثى » ، وحامل خاتم
ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والسمير العظيم الحب ، ومدير بيت

الزوجة الملكية العظيمة « تي » ، والمشرف على الخزانة ، وحاجب الفرعون الأول ، ورئيس أسرار بيت الملك ، والقاضى الذى فى مقدمة رجال البلاط ، والحاكم الذى فى مقدمة المواطنين ، وعظيم العظماء ، وعظيم السمار ، ومدير بيت الزوجة الملكية فى بيت « آمون » ، وكاتب الفرعون الحقيقى ، والوحيد المتكلم عن المواطنين .

وقد عثر على قاعدة تمثال لرجل يدعى « خيروف » نقش عليها الألقاب : كاتب الملك ، وكاتب الملك الحقيقى ، ومحبوبه ، ومدير البيت ، ومدير القصر (راجع . (Naville, "Bubastis", P. 33. Pl. XXXV, H.

وكذلك يوجد نقش على صخور « أسوان » يظهر عليه كاتب الملك ، ومدير البيت « خيروف » يتعبد للإله « رع حور اختي » وهو يشاطر هذا الأثر مدير الخزانة ، والمشرف على كتاب الملك رب الأرضين المسمى « مرمس » وهذا الذى أصبح فيما بعد نائب الملك فى بلاد النوبة ، (De Morgan, "Cat. Mon". P. 39. No. 177.) ومن المحتمل أن هذه النقوش كانت من آثار « خيروف » نقشها قبل أن يقوم ببناء قبره (رقم ١٩٢) (راجع . Ibid. P. 44, No. 4 .)

«تحتمس الوزير» : كان «تحتمس» هذا على ما يظهر وزيرا لمصر فى الوجه البحرى أوائل حكم « أمنحتب الثالث » (Anthes, A. Z. (1936) P. 60 - 68.) وألقابه هى : "الوزير ، وعمدة المدينة ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، وسمير الملك ، والذى يقترب من الإله نفسه ، وفم «نخن» وكاهن «باعت» ، ومن منح ذهب الاستحقاق ورئيس القضاة ، والوزير ، والذى فى المكان المقدس فى القصر الفرعونى (له الحياة والسعادة والصحة) " .

والآثار التى عرفت لهذا الوزير حتى الآن هى لوحة فى « ليدن » (U. 14.) وأخرى فى « فلورنس » (رقم ٢٥٦٥) ومجبرة نموذجية فى متحف « برلين » (راجع . Weil, "Viziere", P. 81 .)

« بتاح مس » بن الوزير « تحتمس » : كان « بتاح مس » بن الوزير تحتمس من أعظم موظفي الدولة في « منف » ، إذ كان يشغل منصب الكاهن الأكبر للإله « بتاح » . وفي باكورة حكم « أمنحتب الثالث » كان يحمل الألقاب التالية : « الأمير الوراثي ، ووالد الإله ، ومحبوب الإله ، ورئيس أسرار العرش العظيم ، والكاهن « سم » والمدير العظيم للصناع (لقب الكاهن الأكبر للإله بتاح) » . وفي السنة العشرين من حكم هذا الفرعون نجد أن « بتاح مس » يحمل لقب المشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري « أي بمثابة وزير الأمور الدينية » ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والسمير الوحيد . وقد جاء ذكره على أثرين لوالده المسمى « تحتمس » الموجودين الآن في متحف « فلورنس » ومتحف « ليدن » (راجع Leemans, "Agyptische Monuments", II. P. 248. No. 635.) .

« مري بتاح » : وهو ابن الوزير « تحتمس » وأخو الكاهن الأكبر للإله « بتاح » المسمى « بتاح مس » السالف الذكر ونعرف « مري تاح » هذا من آثار والده ، ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثي ، والسمير الوحيد الحب ، ومدير بيت « أمنحتب الثالث » وعينا ملك الوجه القبلي وأذنا ملك الوجه البحري (راجع Weil, Ibid. P. 81.) .

« بتاح مس » بن الكاهن الأكبر « منخبر » : كان « بتاح مس » هذا الكاهن الأكبر في « منف » في السنة الثلاثين من حكم الفرعون « أمنحتب الثالث » وكان ابن الكاهن الأكبر المسمى « منخبر » وألقابه هي : « الأمير الوراثي ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد ، والكاهن « سم » ، والمدير العظيم للصناع ، ووالد الإله ، ومحبوب الإله ، ورئيس أسرار معبد « حتكا بتاح » (منف) » (راجع Schiaparelli, "Cat. Florence". No. 1505.) وقد خلفه ابنه « با - حم - تر » كاهنا أعظم للإله « بتاح » رب « منف » في نهاية حكم « أمنحتب الثالث » (راجع Anthes, A. Z. (1936). P. 60-86) .

«بتاح مس» الوزير والكاهن الأكبر : كان «بتاح مس» يحمل لقب وزير الوجه القبلي في أوائل حكم «أمنحتب الثالث»؛ أما ألقابه فقد عرفت من لوحته موجودة الآن بمتحف «ليون» (B. I. F. A. O. Tome. XXX, PP. 499 ff.) وهي : «الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والكاهن الأول للإله «آمون» وعمدة المدينة الجنوبية «طيبة» والوزير في المدينة الجنوبية، ووزير كل أعمال الملك».

وفي السنة العاشرة من حكم هذا الفرعون كان يحمل الألقاب والوظائف التالية : «الأمير الوراثي، ووالد الإله، ومحبوب الإله، وعمدة المدينة، والوزير، والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري (وزير الشؤون الدينية)، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والكاهن الأول للإله «آمون» (No. 408. Mariette, "Catalogue d'Abydos).

«أمنحتب» الوزير : كان «أمنحتب» هذا وزيرا للفرعون «أمنحتب الثالث» من السنة الواحدة والثلاثين إلى السنة الخامسة والثلاثين، ولا نعرف أخباره إلا من عدة آثار صغيرة وهي : قاعدة تمثال، ولوحة، ثم محراب (Weil, Ibid. P, 85). ولوحة محفوظة الآن بالمتحف البريطاني (A. Z, XIII. P. 124)، وتمثالان من «تل بسطة» (Navelle, "Bubastis", Pl. XXXV, 6. & Rec. Trav. XXVI. P. 83.) ومنها نستخلص ألقابه التالية : «القاضي في بيت الفرعون، ورئيس الأرض قاطبة، والأمير الوراثي، والسمير الوحيد، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، وعينا الملك في الأرض كلها، والمقرب من «حور» في بيته، ومدير الأعمال ... وحارس خطوات رب الأرضين، والعظيم في بيت الملك، والفم الوحيد الذي يهدي الشر بكلامه(?)، والمشرف على المدينة (عمدة) والوزير، وحاكم «نخن» ومهدئ الخطوات في المكان المقدس (احتراماً له) والسمير الوحيد، محبوب سيده ومدير كل أعمال الفرعون في مقاطعات أرض المراعى في الشمال Weil. Ibid. PP. 85, 86; Naville, Ibid. P. 32.

«رع موسى»: يدل ما لدينا من النقوش على أن «رع موسى» قد خلف «أمنحتب» على كرسى الوزارة، ويحتمل أنه كان يشغل هذه الوظيفة في عهد اشتراك «إخناتون» في الحكم مع والده «أمنحتب الثالث»، وليس لدينا دليل مادي يؤكد هذا الزعم، وعلى أية حال فلم يكن «رع موسى» معارضا لحركة الانقلاب الدينى التى قام بها «إخناتون» لأنه لو كان ضدها لمحا اسمه من قبره كغيره من أعداء الانقلاب .

وقد كان والد «رع موسى» المسمى «نبى» يشغل بعض الوظائف العالية فى الدلتا، وأمه «إبويا» كانت تلقب «محبوبة حتحور» وكذلك كان قريب «أمنحتب» المدير العظيم لبيت الفرعون فى «منف» ويحتمل أنه ابن عمه، ومن الجائز جدا أنه كان بينه وبين «أمنحتب» بن «حبو» صلة قرابة (راجع Davies "The Tomb of Ramose", P. 2).

واللقاب «رع موسى» هى :

ألقاب الشرف : الأمير الوراثى، ووالد الإله، ومحبوب الإله، والسمير الوحيد، والسمير العظيم الحب، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى .

الألقاب الادارية : حاكم المدينة (العمدة) والوزير، والمشرف على الوثائق، ومدير أعمال الآثار العظيمة، ومدير الوجه القبلى والوجه البحرى، والفم الذى يهدى كل الأرض، ورئيس الأرض كلها (وكيل الملك) .

الألقاب القضائية : رئيس القضاة، وفم «نخن» وحارس «نخن»، وكاهن «ماعت»، والقاضى للفصل فى المعاملات، وموزع العدالة، وموزع العدالة يوميا ومقدمها لقصر سيدها، ومن يحكم بالعدل ويمقت الظلم .

اللقاب الكهانة : المشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى، والمشرف على كل معابد الوجه القبلى والوجه البحرى، وأعظم الرائين ورئيس أسرار الكلمات

المقدسة (أو المشرف على الكتابة المقدسة) ، ومدير القربان المقدسه ، ورئيس أسرار الإلهتين ، والعارف بأسرار العالم السفلى ، ومن يدخل في أسرار السماء والأرض ، والكاهن سم ، ومدير الموظفين كلهم .

علاقة « رع موسى » بالفرعون : الذى يقترب من سيده ، وعينا حور في بيته ، والذى ينفذ مبادئه بإدارة ، ومن له ثقة رب الأرضين التامة ، ورئيس أسرار بيت الملك ، والمتمكن في حظوته مع سيد الأرضين ، ومن يحبه رب الأرضين لفضائله ، والممدوح من الإله الطيب ، ومن يدخل القصر ويخرج منه وهو في حظوة .

علاقته بالموظفين : الذى يقدم القواعد المرشدة لرجال البلاط ، وعظيم العطاء وقائد السمار .

علاقته بالشعب : ومن يرتاح الناس بما يخرج من فيه ، ومن يتكلم المواطنون عنه ، ومن يرضى قلب رجال الدين (؟) (سكان عين شمس) ، والشريف أو الموظف الذى على رأس المواطنين ، ومن يبحث عن أحوال البلاد .

وقد نحت قبر « رع موسى » في صخور جبانة « شيخ عبد القرنة » ويحمل رقم (٥٥) ، ويعتد من المقابر العظيمة المهيبة المنظر ، وبخاصة من الوجهة الهندسية . وعلى أية حال فإن معظم مناظره ليس فيها ما يدعو للإعجاب أو الروعة ، وذلك لأن المناظر القليلة التى نقشت على جدرانها ، على الرغم من قيمتها الفنية العظيمة ، وبقائها محفوظة حتى الآن فإن جلها خاص بمكانة « رع موسى » الاجتماعية ونفوذه ، ولذلك جاءت خلوا من كل ما كان ينتظر من وزير أن يمثله لنا على جدران قبره ، فقد كان يعد حاميا للعدالة ، وساهرا على مصالح القوم ، كما نشاهد ذلك في قبر الوزير « رخ مى رع » أو قبر الوزير « وسر » .

على أن أهم ما يلحظ في قبر « رع موسى » هو التغير المفاجئ في أسلوب الفن . والظاهر أن بناء هذا القبر قد بدأ في أواخر عهد « أمنحتب الثالث » ، وتدل معظم

الزينة التي فيه على أنها كانت من أحسن ما أخرجها الطراز التقليدي، غير أنه قد لوحظ قبل الانتهاء منه أن «أختاتون» قد اعتلى عرش الملك، إذ نرى منظرا يظهر فيه الملك الفتى «أختاتون» أو «أمنحتب الرابع» كما كان معروفا في تلك الفترة جالسا تحت مظلة ومعه إلهة العدل «ماعت»؛ ويلاحظ أن طراز الرسم والنقش كان هو الطراز التقليدي، وليس فيه شيء من الشذوذ الذي نراه في طراز «تل العمارنة»، ولكن يظهر أن الأجزاء الداخلية جدا في المقبرة لم تكن قد تمت بعد عند ما بدأ «أمنحتب الرابع» يفرض على المفتنين طرازه الجديد في الفن، والتخلي عن القواعد الفنية القديمة التقليدية، ولذلك نشاهد «رع موسى» يأمر برسم منظر كبير وفق طراز الفن الجديد، فيظهر فيه «أختاتون» وزوجه «نفرتي» يطلان من نافذة الظهور (الشرفة) (Davies, Ibid. Pl. XXXIII)؛ وقد أحضرا أمامهما وفودا من سفراء البلاد الأجنبية، وصف هؤلاء في صف واحد : وأربعة من العبيد، وثلاثة من الساميين، ولوبي . والمدهش أن هؤلاء الوفود قد أتوا فارغى الأيدي لا يحملون أية هدية خلافا للمعتاد، أما المصريون فنشاهد منهم منحنيين بخشوع أمام الملك والملكة، في حين أن الأجانب كانوا معتدلين في وقفهم، رافعين أيديهم فقط علامة على التبعيد. وفي جزء آخر من هذا المنظر نشاهد «رع موسى» محملا بالإنعامات من الذهب، ومستعرضا ما ناله من حظ وفير لأصدقائه المعجبين (راجع Ibid. XXXIV. XXXV) على أن مثل هذا المنظر قد استعمل مرارا حتى أصبحت تسامه العين، وتملأ النفس في مقابر موظفي عهد «أختاتون» كما سنشاهد ذلك فيما بعد .

وعلى أية حال فإن معظم المناظر التي صورت على حسب الطراز الجديد كان قد وضع تصميمها بالمداد وحسب، وقبل أن يتم نحتها كلها تركت وهجرت المقبرة كلية، وقد يعزى السبب في ذلك إلى أن «رع موسى» ترك «طيبة» وتبع سيده إلى «تل العمارنة»، هذا على الرغم من أنه ليس لدينا أي أثر لأسرته أو له في العاصمة الجديدة .

وعلى الرغم من ذلك نجد أن قبر «رع موسى» قد اقتحمته شيعة «إخناتون» ومحووا اسم «آمون» غير أن صور «رع موسى» لم تمس بسوء . وعندما أعيدت عبادة «آمون» ثانية نشاهد أن اسم هذا الإله قد أعيد في كل مكان في القبر كما كان من قبل ، كما أن اسم «إخناتون» وصوره ، و «نفرتي» وأشكالها قد محيت ، لأنهما قد فقدتا مكانتهما وحقهما الشرعى في تولى عرش البلاد . وهنا نجد ثانية أن صور «رع موسى» لم يصبها أى أذى مما يدل على أنه قد أفلح في عدم إغضاب شيعة «إخناتون» وأتباع «آمون» على السواء ، ولكن الأثرى «ديفز» يظن أنه في الحالة الأخيرة ربما تركت صورته بسبب علاقته الأسرية ، أولأنه قد مات قبل أن يطوح بنفسه بين أحضان الذين أساءوا إلى «طيبة» وإلهها . وقد جاء ذكر «رع موسى» على آثار أخرى غير قبره ففى معبد «صولب» نراه مع وزير آخر (محي اسمه) يتقدمان الفرعون «أمنحتب الثالث» إلى مدخل المعبد (L. D. III, Pl.83.) كما نشاهده في نقش على صخر فى «سهل» يتعبد للإلهة «عنقت» وإلى طغراء «أمنحتب الثالث» (De Morgan, "Cat. Mon." P. 90. «عنقت» No. 79.) وله غير ألقابه العادية التى ذكرناها لقب (عين الملك فى الأرض كلها) .

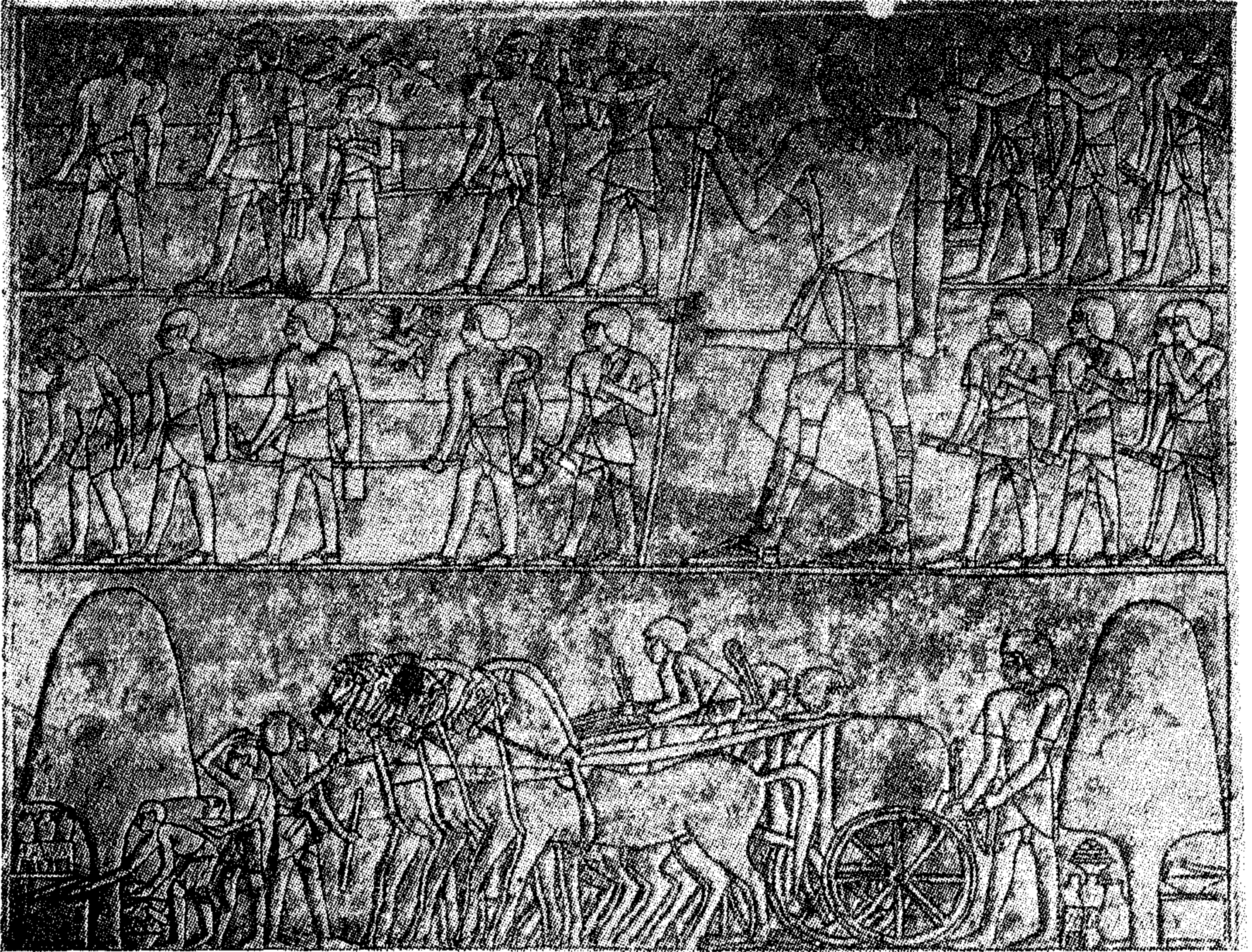
«نخع امحات» : كانت أهم الوظائف التى يقوم بأعبائها «نخع أم حات» هى الإشراف على خزائن الأرض أو بعبارة أخرى كان فى يده أقوات البلاد ، ومن أجل هذا كان يشغل الوظائف التالية : المشرف على مخازن الحبوب لسيد الأرضين ، والمشرف على مخازن الحبوب فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، والأمير الورائى ، وعينا ملك الوجه القبلى فى مدن الجنوب ، وأذناه فى أقاليم الوجه البحرى جميعها ، والممدوح من الإله الطيب «أنوبيس» ، ومدير أعياد «أوزير» ، والقائم على بيت التحنيط ، ورئيس صندوق «أنوبيس» (Loret, "La Tomb" de Kha. m. ha" P. 115-124 ; Wreszinski, "Atlas" Pl. 203 & 190.)

وقد نحت « خع أم حات » مقبرته في جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٥٧)، وتعد من أعظم المقابر التي أقيمت في هذه الجبانة من حيث الفخامة في النقش ، والإبداع في التصوير ، والواقع أن النقوش التي على جدرانها قد تفوق نقوش مقبرة الوزير « رع موسى » في دقة خطوطها وحسن إبرازها ، إذ نلاحظ في المناظر التي على جدران المقبرة أن المفتن لم يستعمل في إبرازها ذلك الطراز المبالغ فيه الذي كان متبعاً في عهد العمارنة ، ومع ذلك فإننا نشاهد فيها تلك الليونة والرشاقة في تخطيطها الأخاذ ، وفي منظر تلك الظهور المخنية التي تمثل رجال البلاط يقدمون خشوعهم وإجلالهم للفرعون في وضع طبعي لا تجبه العين إذا ما قيس بتلك الصور المبالغ في إبراز أجزائها ، وكان ذلك أهم ما يصبو إليه مفتن عهد العمارنة .

ولا نعجب إذا رأينا قبر « خع أم حات » قد زين جزء من جدرانها ببعض المناظر التي تمثل لنا مهام وظيفته الكبرى ، وهي الإشراف على مخازن خلال الدولة ، فقد صور لنا المفتن على الجدران مراحل محصول القمح من أول حرث الأرض حتى إقامة شعائر الاحتفال بخزن الحبوب وتقديم القربان للإلهة « ونوت » إلهة الحصاد ، وقد مثلت هنا في صورة امرأة برأس نعبان ، وهي ترضع ابنها إله الحصاد « نبرى » (Wreszinski, Ibid. Pl. 198.) .

وأهم ما يسترعى الأبصار هنا حادثة خاصة بمسح الأرض القائمة فيها سيقان القمح ، إذ نشاهد أمام الموظفين الذين يحملون جبل القياس ، ومن في مصيبتهم من الكتبة رجلاً قد قوسه السنون ، وجعدت سمته الشيخوخة ماشياً وبيده عصا (صولجان واس) وكان يضرب بها ضرباً خفيفاً على لوحة صغيرة نصبت في الأرض عند حدود حقل القمح (Wreszinski, ibid, Pls. 189, 191.) على أن هذا المنظر ليس فريداً في بابه إذ نجده ممثلاً في منظر مسح الأرض ، وأهمها على قطعة حجر من منظر ملون وجد في مقبرة « بطيبة » وهي الآن بالمتحف البريطاني (Budge, "Wall Decorations of Egyptian Tombs Illustrated")

القطعة متنا يخبرنا أن هذا الرجل المسنّ الذي يحمل العصا (صولجان واس) يحلف بالإله الأعظم الذي في السماء أن لوحة الحدود (أو الشاهد) قائمة في مكانها ، ويدل اليمين الذي حلفه ، والصولجان الذي في يده على أنه موظف معين من قبل مصلحة المساحة ليراجع أعمال المساحين (وما أشبه البارحة باليوم ، فلعمري الحق هذا هو نفس ما يحدث في أيامنا) ؛ ومن المحتمل أنه يحمل هذا الصولجان في يده في هذه المناسبات بمثابة رمز لتأدية مأمورية ، أما اللوحة فكانت لفصل حدود حقل عن حقل ، أو بعبارة أخرى كانت توضع تأمينا لفصل أملاك الأفراد بعضها عن بعض ،



(٩) خج محات يشرف على حقله

ولعدم التعدي ، وقد كانت أمثال هذه اللوحة تختم وتسجل في مصلحة المساحة كما تحدثنا عن ذلك صراحة في نقوش الوزير « رخ مى رع » ، وذلك عندما كان يعتد لنا في قائمة واجباته اليومية ، وعندما يأتي متظلم ويقول : إن لوحة حدودنا قد زحزحت فلا بد أن يفحص ما قد دون بخاتم الموظف المسئول ، وعلى ذلك يعاد إليه ما اغتصب منه بيد اللجنة التي زحزحت لوحته . على أن مثل هذا التسجيل كان ضروريا للفصل في المنازعات التي كانت تقوم بسبب زحزحة الحدود إما بسبب الفيضان أو بسبب استعمال السلطة أو بتعدي الجيران لزيادة أملاكهم . والواقع أن تعدي الجيران على الحدود كان بلا نزاع من الأمور الشائعة لأننا نقرأ في تحذيرات الحكيم « أمنحتب بن كانتخت » : لا تزحزن حجر حدود حقل القمح ، ولا تغيرن موضع جبل القياس (راجع J. E. A. Vol. XII. P. 204) ، ولا يمكن للباحث عندما يشاهد مناظر هذا القبر البديعة الصنع إلا أن يدهش منها لما تدل عليه من الثراء والتعميم الذي كانت ترتع في مجبوحته البلاد . فترى صاحب المقبرة مرتديا أنفخر الملابس عند ما كان يقوم بتقديم القربان ، فكان يرتدى ثوبا منمقا وحليا ثمينة ، وعلى رأسه شعر مستعار ، صف ثلاث طبقات بعضها فوق بعض مجمدة تجصيدا دقيقا أنيقا ، غير أنه كان عارى القدمين ، وقد يكون ذلك راجعا إلى ما تحتمه الشعائر الدينية ، وعندما كان يفحص مسح حقول القمح نراه مرتديا حلة بسيطة وقيصا قصيرا وشعرا مستعارا عاديا ، ومتعلا حذاء ضخما وحاميا ساقه بدروع خاصة ، وليس صاحب المقبرة وحده هو الذي تظهر عليه نضرة التعميم بل تظهر كذلك على موظفيه ، إذ نراهم يرتدون ملابس أنيقة وينتعلون أحذية جميلة حتى أحقر العمال الذين يعملون في تعبئة سنابل القمح في سلات ضخمة كانوا ينتعلون أحذية . (انظر اللوحة رقم ٩) يضاف إلى ذلك أنه في أوائل الأسرة الثامنة عشرة كان لكل من عظماء القوم عربية واحدة يجواديها تنتظر الركوب فيها للتنزه والعودة من الحقول بعد فحصها . ولكن الآن نرى فضلا عن عربية « خع ام حات » التي نشاهد سائقها

وسأئسها قد غرقا في النوم وهما في انتظار سيدهما ، ما لا يقل عن أربع عربات أخرى تنتظر أصحابها ، (راجع Wreszinski, Ibid. Pl, 192) بالقرب من شجرة ، وهذه العربات كانت بطبيعة الحال لموظفين أقل رتبة من « خع أم حات » (Ibid. Pl. 191) ومن بين مناظر مقبرة هذا العظيم مشهد غير عادي يظهر فيه أسطول سفن نقل مصرى قد رسا على الساحل في ميناء أجنبية . وهذه السفن كانت تحمل سلعا من طراز ثقيل ، والمقدمة مزينة برءوس ثيران ، وكانت تسبح بالشرع والمجاديف معا ، وتقاد بوساطة دفة واحدة ، وتنتهى أطراف المجاديف كلها برءوس ملكية . ويشاهد الملاحون يذهبون إلى الشاطئ بعضهم يحمل حقائب تحوى سلعا لا نعرف كنهها ، غير أنه المقصود منها التجارة مع الأهالى في مقابل المحاصيل المحلية التى تنتجها هذه البلاد الأجنبية . وتدل شواهد الأحوال على أن أهالى هذه الجهة من الزوج .

محصول الحبوب السنوى : على أن أهم منظر صوّر في مقبرة « خع أم حات » هو حادث وقع في الاحتفال بالعيد الثلاثينى للفرعون « أمنحتب الثالث » ، فقد مثل هذا العاهل جالسا على عرشه ، ومثل أمامه « خع أم حات » يقرأ وثيقة ، ويجواره نقش يقص علينا أن الفرعون قد ظهر على عرشه لأجل أن يتسلم تقريراً عن الحصاد في الجنوب والشمال وفوق « خع أم حات » النص الثانى :

” تقديم التقرير عن حصاد العام الثلاثين في حضرة الملك يشل الحصاد الذى نتج عن الفيضان العظيم لأجل العيد « سد » الذى احتفل به جلالة بوساطة المدير العظيم لأملاك الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، ومعه رؤساء الجنوب والشمال من أرض « كوش » الخامسة ، حتى حدود نهرين “ .

وتحت هذه الوثيقة الكلمات التالية : المجموع ٣٣,٣٣٣,٣٠٠ بوشلا من القمح ، وهذا في الواقع هو التقدير الوحيد لمحصول الحصاد على حسب التقارير الرسمية (أى ما كانت تنتجه مصر وما كان يصلها من البلاد الأجنبية التابعة لها) . ولا شك في أن هذا يعيد إلى ذا كرتنا في الحال قصة يوسف عليه السلام الذى كان قد جعله الفرعون على خزائن مصر لما تنتجه من غلال حتى يدخر منه في المخازن الفرعونية للسنين العجاف عندما تهتد البلاد بالقحط .

ولم يذهب نشاط « خع أم حات » سدى إذ كافأه الفرعون على ما قام به من جليل الأعمال في تغذية البلاد ، إذ نشاهده في منظر يرتدى أبهى حلل العيد ، وفي ركابه جماعة موظفيه ، والكل ماثلون أمام « أمنحتب الثالث » في حفل عيد « سد » وقد تسلم « خع أم حات » وموظفوه « ذهب الجدارة » من الفرعون وذلك لما قاموا به من مجهود محمود فقد زادوا محصول الحصاد في هذه السنة المباركة . (Ibid, Pl. 203.)

أما المناظر الجنائزية في هذه المقبرة فتوجد بها بعض تفاصيل غريبة . ونخص بالذكر منها منظر الجح إلى « العرابة المدفونة » إذ نشاهد في القارب الذى يجتز السفينة التى فيها المتوفى بعض متاع « خع أم حات » الخاص مثل عربته وجواديه وسريه ووسادته . (Ibid. Pl. 207.) وفي منظر آخر نشاهد الموكب الجنائزى يسير فى المساء إلى القبر الذى مثل هنا فى هيئة مبنى منفرد وأمام بابه علم برأس صقر الغرب . (Ibid. 209.) وأغرب من ذلك منظر الحفل « بفتح الفم » . وهذا الحفل كما سبقت الإشارة إليه كانت تؤدى شعيرته فى غالب الأحيان على مومية المتوفى أو على تمثاله ، غير أن هذا الإجراء لم يتبع فى مقبرة « خع أم حات » إذ نشاهد بدلا من المومية كرسيا خاليا قد كدست عليه الأزهار موضوعا فى محراب صغير يشبه الجوسق ، وهذه الأزهار هى التى كانت تمثل المتوفى ، ولذلك كان يقدم إليها القربان ، وتؤدى إليها الشعائر التى كانت تؤدى للمومية من كل وجه ، حتى النائمات والفتيات وصغار الأطفال الذين يقومون بدورهم فى العويل والتعجب أمام هذه الأزهار كأنها مومية أو تمثال المتوفى الحقيقى .

« إيمحتب » كاتب الفرعون : كان « أمنحتب » ضمن الموظفين الذين مثلوا فى مقبرة « خع أم حات » وألقابه هى : « كاتب الفرعون » ورئيس أسرار بيت التحنيط ، والممدوح من الإله الطيب ، والمقرب جدا من الفرعون فى بيت التحنيط ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضة (أى رئيس

الخزانة العام)، وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه (Loret, "La Tombe de Kha-m-ha", P. 131-2). وقبر هذا الموظف العظيم يقع كذلك في جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٠٢) وقد جاء فيه خلافا لألقابه السالفة أنه كان يحمل لقب طفل الرضاعة (راجع Gardiner & Weigall "Catalogue", No. 102).

« با إرى » : كان أهم عمل يقوم به « با إرى » هو وظيفة كاهن مطهر للإله « آمون » وكذلك كان يحمل الألقاب التالية « مطهر تاج آمون » ، ومطهر التاج ، والمشرف على الأراضي الزراعية ، والكاهن الأول للإله « بتاح » (في معبد طيبة) ، وأول أولاد الملك أمام « آمون » ، والمشرف على الأراضي الزراعية للإله « آمون » (راجع Scheil, "La Tombeau de Pari", P. 584-5 & Hall, "Hiero-glyphic Texts", Vol. VII. Pl. VII. وبكر أولاد الملك أمام « آمون »).

ويقع قبر « با إرى » هذا في جبانة « شيخ عبد القرنة » ويحتوى على المناظر العادية التى تشاهدها في مقابر هذا العصر . ومدخل هذا القبر المصنوع من الحجر الرملى موجود الآن « بالمتحف البريطانى » وقد رسم على أحد جانبيه المتوفى وهو يتعبد إلى طغراء « أمنحتب الثالث » ، وكذلك يظهر على الجانب الآخر وهو يرتدى جلد الفهد ليقوم بوظيفته الدينية (راجع Porter & Moss, "Bibliography" I, P. 144).

« بانحسى » المشرف على الخزانة : ليس لدينا من آثار « بانحسى » هذا إلا قاصمة تمثال عثر عليها في سرابة الخادم ، ومنها نعرف أنه كان يحمل لقب المشرف على الخزانة ، وكاتب الفرعون (Gardiner & Peet, "Sinai" Pl. LXV, No. 217). « منخب رع » كاهن « آمون » الأول : كان « منخب رع » يحمل لقب الكاهن الأول للإله « آمون » ولقب ابن الملك زب الأرضين « أمنحتب » وليس لدينا من آثاره إلا نقش على قطعة من عمود عثر عليها في « بحية » Champollion "Notices" I, P. 161 ، وكان يجب أن نفهم اللقب الثانى على معناه الأصيل غير أن

«جوتيه» لم يذكر «منخبر رع» هذا بين أولاد «أمنحتب الثالث» في كتابه عن ملوك مصر .

«من» رئيس النحاتين : كان «من» يلقب بالمشرف على الأعمال . في الجبل الأحمر ، ورئيس النحاتين للآثار الملكية العظيمة جدا ، ولا بد من أنه يشير هنا إلى الجبل الأحمر القريب من القاهرة لأنه كان مشهورا بأحجاره العظيمة وهي التي كان يفخر «أمنحتب الثالث» بأنه كان يقطع تماثيله منها كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد عثر له على نقش في منحور «أسوان» يرى فيه وهو يتعبد إلى تمثال ضخم لـ «أمنحتب الثالث» ، وكذلك يشاهد على هذه اللوحة ابنه «باق» يتعبد إلى صورة «إخناتون» الذي محى تماما ، غير أن قرص الشمس الذي يمثل «آتون» لم يمس بسوء . ولما كان طراز الوجه كله يوحي بأنه من عهد الزين فإن من المحتمل أن تكون من عمل «باق» نفسه الذي عاش في عهد «إخناتون» . (راجع De Morgan, "Cat. Mon." P. 40. No. 174.)

«نب كابني» مرضعة بنت الملك «سات آمون» : كانت هذه السيدة تلقب مرضعة الابنة الملكية «سات آمون» وكان ابنها «حقا تقرر» كاتباً في معبد «أوزير» . وقد عثر لها على لوحة أهداها للإله «أوزير» في «العراة المدفونة» (راجع Mariette, "Abydos". P. 49; Rec. Trav. VII, P. 188.)

«نخت» الأمين على الأسلحة في السفينة الملكية «خع أم حات» : كان «نخت» هذا الأمين على الأسلحة في السفينة الملكية «خع أم ماعت» وهي السفينة التي ذكرت على الجمل الذي سجل عليه صيد الحيوانات التي طاردها «أمنحتب الثالث» . وقد ورد اسم «نخت» ولقبه على مقبض سوط من الخشب موجود الآن في متحف «ليفربول» (راجع Newberry, "Historical Notes", P. S. B. A. Vol. XXXV. P. 157) ، ولدينا أسماء موظفين لهم علاقة بهذا القارب . منهم : «سا آست» الذي كان يلقب حامل العلم على السفينة الملكية «خع أم ماعت» ثم «بتاح مس» وكان يحمل نفس اللقب . ولدينا

كذلك لوحة في « المتحف البريطاني » نقش عليها لقب ضابط لهذه السفينة
(Ibid P. 158) .

« نفر سخرو » المشرف على خبز قاعة القربان : كان « نفر سخرو » من الأشراف
المقربين للفرعون كما تدل على ذلك ألقابه ووظائفه وهى : الأمير الوراثى ، والمشرف
على خبز قاعة القربان الواسعة ، والأمير فى البيت العظيم (المعبد الأهل للوجه القبلى) ،
وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الأول الذى يقترب من « حور » (الملك)
فى قصره الخاص (أى الحرم) ، وحارس خطى الفرعون ، ومدير البيت ، والكاتب
الملكى ، ومدير البيت لمعبد « أمنحتب الثالث » (الذى يسمى « رع ساطع ») .
وقبر هذا العظيم يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٠٧) (راجع
(Porter & Moss, "Bibliography", I, 136.) .

« حتب » حامل المروحة على يمين الفرعون : كان « حتب » يشغل وظيفة
« حامل المروحة لابن الفرعون » . وقد وجد له نقش بالقرب من « أسوان » مثل
عليه وهو يقوم بتأدية وظيفته وهى الترويح بالمروحة أمام « أمنحتب الثالث »
والملكة « تى » (راجع De Morgan, "Cat. Mon.", P. 41, No. 181.)
ويلاحظ أن هذا اللقب كان فى حالة « حتب » لقبا فعليا ، فى حين أن لقب حامل
المروحة على يمين الفرعون كان قد أصبح لقبا فخريا وحسب .

« حبي نحتف » حاكم « منف » : لم نجد لهذا الموظف العظيم حتى
الآن إلا نقشا على الصخر الممتد بين القيلة وأسوان . ونشاهده مرسوما عليه يتعبد
إلى طغراء الفرعون « أمنحتب الثالث » الذى وضع على مائدة صغيرة وألقابه هى :
الأمير الوراثى ، وعينا الملك فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، وكاتب الملك الحقيقى
ومحبوبه وحاكم ، « منف » (Ibid, I, P. 28. No. 8.) .

« سبك نحت » مدير بيت « آمون » : كان « سبك نحت » يحمل لقب مدير
بيت « آمون » وكان له ثلاثة أولاد كلهم كتبة فى الخزانة . وقد ترك لنا واحد

منهم وهو « سبك من » لوحة له بمفرده على الصخور الواقعة قبل « أسوان » على حافة النهر وقد ظهر فيها وهو يتعبد لطفراء « أمنحتب الثالث » ويلقب كذلك المشرف على بيت الذهب والفضة (راجع Ibid. I, P. 44, No. 2) ويحتمل أن له نقشا آخر في شبه جزيرة « سيناء » يلعب فيه فضلا عن لقبه هذا بالقاضي (Gardiner & Peet "Sinai" Pl. LXV, No. 220).

« سبك حتب » كاتب الملك : كان يلعب بلعب كاتب الملك والمشرف على الخزانة (Ibid. Pl. LXV, No. 220).

وقد ذكر اسمه ولقبه على قاعدة تمثال من المرمر .

« يويا » والد الملكة « تي » : كان يويا والد الملكة « تي » زوج « أمنحتب الثالث » الشرعية ، وقد تكلمنا عنه بعض الشيء فيما سبق ، وسنذكر هنا ألقابه كما وجدت على بعض آثاره التي عثر عليها في قبره الذي أقيم في وادي الملوك (رقم ٤٦) وهناك ألقابه : الأمير الوراثي ، والسمير الوحيد الحب ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والسمير الأول بين السمار ، وفم ملك الوجه القبلي ، وأذنا ملك الوجه البحري ، ووالد الإله ، والمشرف على ثيران « آمون » ، والممدوح من الإله الطيب ، والممدوح كثيرا في بيت الفرعون ، وصين رب الأرضين ، والمشرف على ثيران الإله « آمون » رب « أبو » (كفر أبو الحالى) .

وكانت زوج « يويا » تدعى « تويا » وألقابها هي : ربة البيت (وهو اللقب العادي لأي امرأة متزوجة) ، والوصيفة الملكية ، ومغنية « آمون » ، والأم الملكية لزوج الملك العظيمة ، والكاهنة المغنية للإله « آمون » ، والكاهنة العظيمة المغنية للإله « آمون » (Quibell, "The Tomb of Yuua and Thuiu", P. 18).

وقد كان « ليويا » و « تويا » غير الملكة « تي » ابن يدعى « حانن » ذكر على عدة آثار ، فقد جاء اسمه على تابوت والدته « تويا » ولقب عليه الكاهن الثاني للإله « آمون » (Ibid. P. 19) ، وكذلك ذكر بهذا اللقب على تمثال موجود

الآن «بمتحف تورين» هذا فضلا عن الألقاب الفخرية : حامل خاتم ملك الوجه
البحرى ، والسفير الوحيد ، أعظم الرائزين فى بيت الأمير (أى هليوبوليس)
والكاهن «سم» فى «إيون» الجنوبية (طيبة) (راجع Borchardt, A. Z. Vol.
XLIV, P. 98.) .

« أمنحتب » التشرىفاتى : كانت أعظم وظيفة يشغلها « أمنحتب » هى
الكاهن « امى خنت » أى التشرىفاتى ، وكذلك كان يحمل الألقاب التالية :
التشرىفاتى الأكبر (ومعناه الحرفى : الذى فى الأمام) وكان نشاطه يمتد إلى المعبد
والمقبرة والبلاط^(١) ، والممدوح من رب الأرضين . ومزين الفرعون فى «البيت العظيم»
(حيث تعبد الإلهة « نخت » وهو معبد « قوص ») (راجع J. E. A. Vol.
XXX, P. 27. Note. 3.) والذى يحرق قربان لرب الأرضين فى بيت اللهيب
(برنسر) للإله « آمون » (راجع Loret, "La Tombeau de l' am Xent
Amenhotep", P. 25. (Mission. Arch Franç (1881 - 1884).) والممدوح
من رب الأرضين ، والطاهر اليدين الذى يجعل مديحه فى بيت الإلهة « ورت
حقا » ، والمشرف على صناع « آمون » ، والمشرف على صناع رب الأرضين .
(Ibid. P. 30.) وقبر هذا الموظف العظيم يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » غير
أنه لم يرقم بعد (راجع : Porter and Moss, Ibid P. 193.) .

وسرحات المشرف على حريم الفرعون : كان « وسرحات » المشرف
على حريم الفرعون ، وقبره فى الخوخة (رقم ٤٧) (راجع Porte & Moss, "Biblio-
graphy", I. P. 78.) وعلى الرغم من صغر حجم هذا القبر فإن نقوشه جميلة الصنع ، غير
أنها لم تتم ونحرب بعضها . ونشاهد فى أحد مناظره « وسرحات » وخادمه ، واقفين
أمام « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » (A.S.IV.P. 177.P.II.) وصورة الملكة

(١) فبوصفه تشرىفاتيا لللك كان يضع التاج على رأسه ويزينه بالحلى (راجع Gardiner
"Onomastica", I. P. 23.) .

« قن » في هذا المنظر تعد أحسن صورة عرفت في كل الآثار المصرية حتى الآن ، وقد صوّرت هذه الصورة عند الكشف عن المقبرة ، ثم ردم القبر ثانية لعدم أهميته ، غير أنه حفر من جديد بعد عدة سنين ، ولكن بكل أسف كان اللصوص المحترفون قد سبقوا إلى حفر المقبرة وقطعوا صورة الملائكة من على الجدار التي كانت عليه وكان من جراء هذا العمل الشائن أن محيت بعض النقوش الخاصة بها حتى لا يعلم من أين أثت هذه الصورة ، وعلى أية حال فقد تسربت هذه الصورة المنقطعة القرين إلى « متحف بروكسل » مجزأة من كل نقش يدل على شخصيتها ، ولكن بالبحث وجد أنها هي الصورة الأصلية ، وهكذا أباح بعض علماء الآثار لأنفسهم أن يشتروا مثل هذه القطع المسروقة من المقابر دون أن يسعوا حتى في ردها بعد تأكدهم من سرقتها إلى مكانها الأصلي حتى تكون تحفة لكل المتفرجين ودرسا لأولئك الذين يعثون بالآثار وتشويهها من أجل بضعة درهيمات لا تسد حاجة ولا تشفى ظيلا .

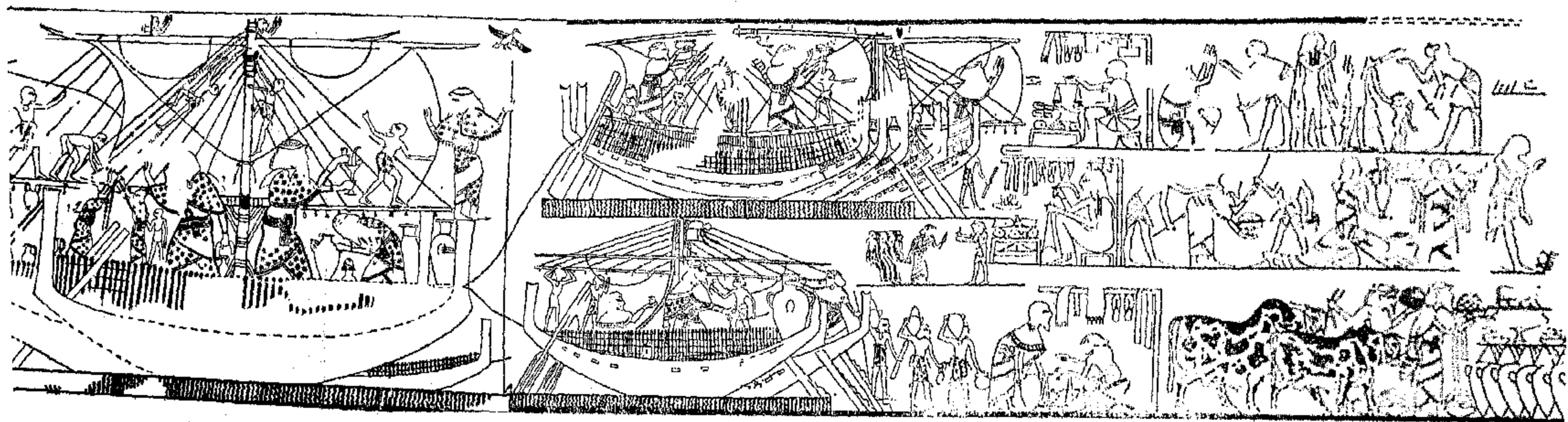
قن آمون

« قن آمون » : تحتوى المقبرة رقم ١٦٢ الواقعة في طيبة الغربية على منظر فذ من المناظر المنقوشة على جدران عظماء القوم في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وقد ظل اسم صاحبها مجهولا لما أصاب نقوش المقبرة من محو إلى أن عثر على بعض مخاريط أمام المقبرة عرفنا منها اسمه وألقابه . فقد كان « قن آمون » هذا يلقب عمدة طيبة ، والمشرف على مخازن غلال الآله آمون . وتدل الأحوال على أنه من المرجح جدا قد عاصر الفرعون « أمنحتب الثالث » أما المنظر الهام الذي وجد على جدران هذا القبر فيمثل رحلة تجارية قام بها تجار من سوريا إلى مصر بحرا ووصلت سالمة . فنشاهد في الجزء الذي على اليسار في هذا المنظر صورة سفينتين شرعهما منتشرة وعلى اليمين من هاتين السفينتين تشاهد مجموعتين من السفن وقد مثلتا في صفين الواحد منهما فوق الآخر . وعلى يمين هاتين المجموعتين من السفن نرى ثلاثة صفوف وضعت بعضها فوق بعض توخخ لنا كيفية إنزال السلع وتفريغها

وعرضها والحادثة المسجلة هنا كانت بطبيعة الحال من الحوادث الكثيرة الوقوع في عهد مجد الامبراطوريه ونمو ثروتها أى عند ما كانت أسيا لا تزال تدين لمصر بالسلطان وكانت الأحوال مهيأة للتجارة الدولية (أنظر الصورة رقم ١٠) .

والواقع أننا لن نحيد عن جادة الصواب كثيرا إذا رأينا أن هذا المنظر يمثل بداية سكك التجارة التى كانت تخرج من الثغور السورية ويحتمل أنها هى التى قد أصبحت واسعة النطاق نامية عند ما قام «ون آمون» التعس الحظ برحلته المشهورة (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ١ ص ١٦١ الخ) ثم وصلت قمتها فى تلك الرحلات التجارية التى كان يقوم بها الفينيقيون فى أنحاء العالم أما السفن التى حملت هذه التجارة البحرية المبكرة فليس هناك أى شك فى أنها من طراز مصرى من حيث الشكل والصنع (راجع Sève-Soderbergh Navy P. 56) . ومما يلاحظ فى هذا المنظر ما نشاهده جاريا على سطح السفينة الكبرى التى على اليسار إذ نرى بحارين يصعدان لطفى الشراع ، أحدهما يتسلق السارية والآخر يتسلق على الأمراس ، فى حين نرى اثنين آخرين يظهر أنهما ضابطان صغيران يعملان على إنزال عمود الشراع .

ويلاحظ كذلك فى هذا المنظر أن مكانة الأشخاص الذين مثلوا فيه على سطح السفن قد صبر عنها بالطريقة المصرية المعتادة أى على حسب حجم صورة كل واحد ؛ ويمكن رؤية ذلك بوضوح فى السفينة الكبيرة التى على اليسار فأهم شخصيتين بارزتين فيها هما بلا شك صاحبا السفينة والسلع التى تحملها ؛ فنشاهد أحدهما يتجه نحو الشاطئ مقدما قربانا استعطافا لإلهة الميناء فى حين أن الآخر كان ينظر خلفه ؛ والظاهر أنه كان يستدعى إليه شخصا آخر . ويلى هذين فى الحجم ضابط السفينة الذى يشاهد واقفا وقفة شاذة على عمود مقدمة السفينة ويديه قضيب بحس الماء بولغ فى طوله إلى حد المستحيل ، وكان ينظر خلفه معطيا الملاحين الذين كانوا يطوون الشراع الأوامر اللازمة .



(١٠) لوحة قن آمون - السفن السوديّة في ميناء مصري

وكذلك يشاهد على سطح هذه السفينة بحار منعن ليرفع إناء ضخما مما تحمله السفينة كما يرى ضابطان صغيران لا بسين ملابس مزركشة كالتى يرتديها رؤساؤهم ، يشدان الأمراس ؛ وكان أحدهما يستند على صبي من صبية السفينة . أما الملاحون العاديون فكانوا يرتدون القميص القصير العادى ذا اللون الفاقع ، وكذلك كان يلبس كل واحد منهم حول عنقه خيطا يتدلى منه قرص مستدير مما يذكركنا بنوط تحقيق الشخصية الذى كان يلبسه الجندى فى أثناء الحرب . وهؤلاء البحارة كانوا حليقي الرؤوس والأذقان معا ولم يستثن منهم إلا ثلاثة فى المجموعة السفلية التى على اليمين وهم الذين كانوا يحملون السلع إلى الساحل ؛ وهؤلاء قد ميزوا عن رفاقهم بلحاهم والهدابات المدلاة من وسطهم ومن أطراف قمصانهم ولا نعلم إذا كانت هذه القمصان مصنوعة من النسيج أو من جلود الحيوان .

أما الأفراد الذين صوروا خارج السفن فلبسهم بوجه عام واحدة فكل منهم يرتدى قطعة واحدة من نسيج الصوف ملفوفة على جسمه من أول الكعب وقد لفت حول الجسم بطريقة عجيبة ؛ وتحت هذا اللباس يشاهد قميص أبيض ذو كمين يستران الذراعين حتى الرسغين ، ويتمنطق بحزام عقد من الأمام عقدة متقنة مزركشة . وهذا الرداء الخارجى السالف الذكر يظهر عليه أنه زى جديد لم يشع استعماله إلا بعد عهد تحتمس الثالث . ويحتمل أنه مستعار من زى أهالى « خيتا » . أما لبس النساء اللائى مثلن فى الصف الأعلى من اليمين فى المنظر فيلاحظ فيه (كشكشة) أفقية مؤلفة من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وتشبه بعض الشئ ملابس أهل « كريت » المتقنة الصنع ، وقد أظهر المثال هذا الرداء شفيفا إلى درجة ما مما يدل على أنه كان مصنوعا من مادة خفيفة على عكس ملابس الرجال الثقيلة التى كانت أكثر صلاحية لجو شمالى بارد . أما الجزء الثالث من هذا الرسم الواقع على اليمين فيمثل سوقا للتجارة على الشاطئ نظمت فى ثلاثة صفوف . وهنا يلاحظ أن معظم السلع قد نقلت من السفن إلى الشاطئ أمام « قن آمون » :

(لم يظهر صورته في الرسم الذى نقله « ديفز ») إذ يظهر أنه قد وجدها كانت قد هشت ، فكان يمثل هنا بوصفه وكيل مشتريات مخازن آمون التى تحت إشرافه ، ومن المحتمل كذلك أنه كان يقوم بهذه الوظيفة لحساب سلطة عليا أخرى . والسلع المعروضة للبيع تحتوى أوانى ضخمة من النبيذ والزيت ؛ ومما يسترعى النظر من بينها ثوران لها سنامان وهما من فصيلة أجنبية (اقرن هذين الثورين بما جاء في مقبرة « نب آمون » رقم ١٧ وكذلك ما جاء في مقبرة « باحق من » رقم ٣٤٣) . أما السلع الأخرى المعروضة للبيع فتشمل أوعية تحتوى على طرائف من أنواع مختلفة ونماذج مما أخرجته يد الصياغ في صور أوان من المعدن الثمين . ففي الصف الأسفل من اليمين تشاهد إناء ذا فوهة واسعة من طراز سوري معروف يحتمل أنه صنع من الذهب وقد زين بصورة ثور واقف في داخله ، في حين تشاهد في الصف الأوسط تاجرا يحمل إناء طويلا ضيق الرقبة صيغ من الفضة (؟) وغطاؤه على هيئة رأس ثور . ويحتمل أن بعض السلع التى خف حملها وغلا ثمنها — ولا عجب أن تكون من بينها المرأتان والصبي المصورة في الصف الأعلى — كان مألها أن تضم إلى متاع « قن آمون » نفسه في مقابل السماح لأصحابها بالاتجار في الميناء المصرية بوصفه عمدة « طيبة » التى رست عندها السفن ، وكذلك بمثابة (عمولة) على المتاجر بوصفه (العميل) الذى يشتري لحساب الإله « آمون رع » ؛ وعلى الرغم من أن البضائع التى كانت تحملها هذه السفن التجارية كانت تباع بوساطة وكلاء لهم مكاتهم العالية مثل « قن آمون » فإنه كان على ما يظهر يوجد بجانب ذلك تجارة صغيرة حرة تباع بالتجزئة ، ولذلك نرى في الصورة المثلة على الشاطئ بجوار الماء حيث كانت ترسو السفن الأجنبية حوانيت صغيرة يقوم بالبيع فيها صغار التجار نساء ورجالا وأمامهم السلع مكدسة وحركة التجارة فيها رائجة . فنشاهد في الصورة التى أمامنا ثلاثة حوانيت والبضاعة المعروضة للبيع تحتوى قطع نسيج وأحذية ، ومواد غذائية وأشياء أخرى لا يمكن معرفة نوعها على وجه التأكيد . ويشاهد في الحانوت الذى في الصف

الأسفل تاجر سورى يحاول بيع إناء ضخّم من النبيذ أو الزيت ، فى حين نلّح فى الصف الذى فوقه بحارا عاديا حجت رأسه مقدّمة السفينة عن الناظرين يعرض للبيع قضيبا من الخشب الثمين ؛ ويدل وجود الموازين الصغيرة الحجم وهى التى كان يستعملها رجالان من أصحاب الحوانيت على أنها كانت تستخدم لوزن التبر الذى كان يتخذ مادة للبادلة ، ويجوز أنها كانت مستعملة لوزن كميات صغيرة من العقاقير الثمينة وما يشبهها .

وتشاهد كذلك فى هذا المنظر امرأة أمام حانوت ، وقد حدث بجوارها حادث له علاقة بإدارة الميناء إذ نرى بعض البحارة قد ساقهم رئيسهم أمام ضابط من ضباط الميناء كان يدوّن أسمائهم أو عددهم . والواقع أن المنظر فى مجموعه يعرض أمامنا لمحة حية عن نواحي الحياة المصرية القديمة التى لا نحظى بمثلها إلا نادرا ، لذلك فإننا نقدم عظيم شكرنا الجزيل لعمدة « طيبة » « قن آمون » الذى أمر برسم هذه التحفة على جدران قبره ، وكذلك نبدي عظيم إعجابنا بالمفتن الذى وضع تصميمها ؛ وأخيرا نفخر بالمثالين الأحداث الذين حفظوا لنا مجهوداتهم صورة هذا المنظر الذى كان قد ضاع كل أمل فى العثور على نسخة منه بعد تهشيم الأصل تهشيمًا لا يرجى الاستفادة منه .

سبك موسى : وكان يحمل لقب مدير الخزانة فى عهد أمنحتب الثالث ، وقد عثر على قبره فى بلدة « الرزيقات » الواقعة على الضفة الغربية من النيل على بعد ٢٠ كيلومترا جنوبى الأقصر . وعلى الرغم من صغر حجم قبره فإنه يحتوى نخبة المناظر التى تصوّر لنا حياة هذا الموظف الدنيوية . وحجرة دفنه قد مثلت على هيئة تابوت وقد نقش على جدرانها جنازة المتوفى ، وحياته فى عالم الآخرة ويرى فيها القارئ أنها تصوّر لنا مضمون « كتاب الموتى » (The Burial Chamber of the Treasurer) .
• (Hayes, "Sobkmose from Er Rizeihat", New-York 1939.)

المدينة فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة

الإدارة : لقد كان لسقوط دولة الهكسوس أثر فعال فى توحيد كلمة البلاد بحملة وتأسيس أسرة جديدة عام ١٥٨٠ ق م . وبتولى فراعنة هذه الأسرة مقاليد الأمور بدأ عهد جديد فى الثقافة العالمية . وذلك أنه لما انحطت دول آسيا العظمى فى ذلك الوقت ، وتدهورت إلى الحضيض برزت مصر وقتئذ فى تاريخ العالم كالزهرة النضرة وسط الأرض المجربة ، وقد كانت مصر على اتصال وثيق بجزيرة « كريت » فسارت معها جنباً لجنب فى سبيل الثقافة إلى أعلى مكانة من الرقى . هذا إلى أن المصرى قد شعر بمكانته الممتازة وقتئذ بين تلك الدول الهاوية ، وعلى الرغم من أن البيت الحاكم فى البلاد قد بقى كما هو فإن تولى « أحس » وهو أحد أفراد عرش الملك قد عد فاتحة أسرة جديدة أطلق عليها اسم الأسرة الثامنة عشرة ، كما أطلق على المدينة التى انتشرت فى هذا العصر والعصور التى تلت اسم مدينة الدولة الحديثة .

وفضلاً عما نالته البلاد من استقلال واتساع رقعة سلطانها فى الخارج فإنه كان من أهم واجبات الفرعون وأشقها وقتئذ إعادة نظام الملك الذى كان قد اختل ميزانه بوضع أسس متينة تسير على نهجها البلاد . وقد رأينا مقدار المقاومة التى كان لابد من التغلب عليها ، والحرب التى شنت على الهكسوس لم تقم بها الأمة عن بكرة أبيها لمناهضة السيادة الأجنبية ، بل قام بها فى الواقع ملوك « طيبة » الشجعان ، وهم الذين قد هزتهم النخوة الوطنية والعزة القومية وآزرهم فى ذلك أهل الجنوب ، وبخاصة جنوده الذين اتصفوا بالشجاعة والإقدام وحب الكفاح .

بقايا الحكم الإقطاعى : وإذا قرنا حالة البلاد فى تلك الفترة بما كانت عليه فى عهد الأسرة الحادية عشرة أو فى عهد « أمنمحات الأول » عند ما هب لجمع شتات كلمة الأمة وقت أن كانت مقسمة مقاطعات يحكم كل واحدة منها أمير وراثى مستقل — وقد ظلت كذلك حتى قضى على هذا النظام بحملة « سنوسرت الثالث » —

لوجدنا أن الحالة في عهد الدولة الحديثة كانت تختلف كل الاختلاف ، إذ لم نجد لنظام الإقطاع في البلاد أى أثر فعلى بالمعنى الذى عرف به في العهد الإقطاعى الأول ، اللهم إلا في المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلى التى اتخذ حكامها مدينة « الكاب » عاصمة لهم ، وقد كان أشرفها على ولاء تام واتصال وثيق بملوك « طيبة » في تلك الفترة ؛ إذ نجد في الواقع كثيرا من حكام « الكاب » كانوا يجاهدون وقتئذ في جيش الفرعون وفي أعمال الإدارة ، ويرجع تاريخ نسبهم إلى الأمراء الذين كانوا يحكمون هذه المقاطعة منذ الأسرة الثالثة عشرة وما قبلها . وهؤلاء الأمراء كانوا لا يزالون يحملون لقب الإمارة ، كما ظلوا ينحتون لأنفسهم مقابر ضخمة على غرار مقابر حكام العهد الإقطاعى الأول من زين جدرانها بتواريخ حياتهم وما قاموا به من أعمال عظيمة ، كما كانوا يرسمون عليها مناظر توضح حياة القوم اليومية من زراعة وتجارة وصناعة . وكانت إدارة هؤلاء الأمراء تمتد إلى « إسنا » وما جاورها ، فكانوا يشرفون على جباية الضرائب وتخزينها في المخازن الحكومية كما كانوا يقومون بتعداد المواشى ، والتفتيش على الحقول الملكية . والواقع أن حكم هؤلاء الأمراء كان إداريا لا وراثيا وقتئذ ، وكانت سلطتهم تمتد من قرب « طيبة » (برحتحور) حتى « الكاب » ، وهذا يدل على أن طبقة الأمراء الوراثيين ، كانوا قد اختفوا من البلاد جملة ، بعد أن كانوا في عهد الدولة الوسطى عماد نظام الحكم وركنه الركين .

القضاء النهائى على بقايا الحكم الإقطاعى : حقا إننا نجد بعض أفراد يحملون لقب الإمارة الذى كان يحمله أسلافهم في العهد الإقطاعى الأول ، غير أنهم كانوا يقطنون « طيبة » وفيها دفنوا ، وكانت ألقابهم جوفاء — ألقاب شرف وحسب — ولم يبق واحد في مقاطعته الأصلية غير أمير « الكاب » ، ففي عهد « تحتمس الأول » نجد أنه قد وكل أمر تنشئة أحد أبنائه الذى مات في حداثة سنه إلى أمير « الكاب » « باحرى » (راجع الجزء ٤ ص ٣٧٥) ، ويموت

الأخيرا انتهى حكم آخر أمير مقاطعة في البلاد جملة . وكان الفضل في القضاء عليهم يرجع إلى « أحسن الأول » ، وبذلك جمع السلطة كلها في يده ووجد كلمة البلاد ، وقد ساعده في الوصول إلى ذلك جيشه المدرّب ، وطبقة الموظفين الأكفاء الذين جمعهم حوله من طبقات الشعب الفقيرة .

نظم الحكم وما طرأ عليها من تغيير : وقد كانت الصورة التي اتخذها نظام الحكم والإدارة في عهد الأسرة الثامنة عشرة هي نفس الصورة التي كانت تحكم بمقتضاها البلاد منذ القدم بصرف النظر عن بعض التغيرات التي كانت تستلزمها الأحوال وتحتّمها نظرية النشوء والتطور والارتقاء . فنجد أن أرض الكنانة كانت مقسمة نظريا قسمين وهما القطران اللذان تتألف منهما البلاد منذ أقدم العهود — الوجه القبلي والوجه البحري — وبقى كل منهما يحمل لقبه الأصلي ، ولكن في الواقع نجد الوجه القبلي الذي ينسب إليه أمراء « طيبة » كان يمتد من « إلفنتين » حتى « أسبوط » و « القوصية » ، وقد كان الفرعون « تاعا » وكذلك ابنه « كامس » يحكمان هذا الإقليم ، وكان هذا الإقليم بعينه مقسما قسمين ، شمالي « طيبة » وجنوبها ، وقد كان الوزير وحاكم العاصمة هو المشرف على الإدارة فيهما . أما الجزء الشمالي من البلاد الذي كان يمتد من الأشمونين حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهو الجزء الذي كان يسيطر عليه الهكسوس ، فكان تحت إدارة وزير آخر يقطن « منف » (راجع ج ٤ رخ مي رع ص ٥٥٥) .

وهذا النظام الحكومي الذي اتخذته البلاد في عهد الدولة الحديثة كان في ظاهره غريبا ، فقد كانت عاصمة الملك تقع بعيدا عن وسط المملكة على مسافة سبعمائة كيلو متر من « منف » التي تعد نقطة الوسط ، وعلى مسافة مائتي كيلو متر من « أسوان » من آخر حدود مصر الجنوبية عند الشلال الأول . وهذا الوضع يظهر لأول وهلة مخالفا لما تقتضيه طبيعة البلاد ، ولكن السبب الذي دعا إلى اتخاذ العاصمة في هذه الجهة ، هو أن « طيبة » كانت مسقط رأس ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وعاصمة

ملكهم منذ نشأتهم ، ولذلك لم يغادروها عندما استولوا على البلاد جميعا ، ومن ثم نجد أمامنا من جديد عاملا هاما في سير حوادث التاريخ المصرى ، وهو أن تتبع كل الحوادث السياسية التى كانت بمقتضاها تسير الأحوال فى البلاد ويتوقف عليها تكييف النظام لمدة قرون ، يضرب بأعراقه فى الوجه القبلى . ولا أدل على ذلك من أن توحيد البلاد فى بادئ الأمر ، وضم الوجه القبلى إلى الوجه البحرى كان من عمل الملوك الحوريين الذين نشئوا فى «الكاب» ، وأخلافهم الذين ترعرعوا فى مقاطعة « طينة » ، وعندما كان الملك « مينا » قد أتم حصن « منف » الذى كان يطلق عليه « الجدار الأبيض » كان قبره وقبور رجال بلاطه مع ذلك فى مقاطعة « طينة » ؛ هذا فضلا عن أن مقر ملكه كان فى منطقة « العرابة » ، ولم تصبح « منف » عاصمة الملك ومقر الحكم إلا فى عهد الأسرة الثالثة ؛ ومن ثم صار الملوك يدفنون فى منطقتها . ولما سقطت الدولة القديمة لم يفلح ملوك « إهناسية المدينة » طويلا فى استمرار إبقاء عاصمة ملكهم فى مصر الوسطى « إهناسية المدينة الحالية » ، إذ بعد نضال طويل خضعوا لملوك الأسرة الحادية عشرة الذين كانوا يسيطرون على إقليم « طيبة » وما جاوره ، وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أصبح لمدينة « طيبة » وإلهها « آمون » مكانة عظيمة ، غير أن ملوك هذه الأسرة قد اتخذوا عاصمة ملكهم فى الشمال ثانية ، فكان مقرهم أحيانا فى « اللشت » وأحيانا فى « الفيوم » (راجع ج ٣ ص ١٧٨ ، ٣٣١) . ولما تأسست الأسرة الثامنة عشرة نقلت العاصمة إلى « طيبة » ، وقد بقى مقر الحكم فى هذه المرة فى الوجه القبلى فى هذه المدينة ، وأصبح الإله « آمون » إله الدولة يغطى على كل الآلهة الكبرى . وقد كان إقليم الجنوب أو كما يسمى « إقليم رأس الجنوب » من الوجهة الاقتصادية والزراعية فى المؤخرة بالنسبة لإقليم مصر الوسطى ، وبالنسبة لأرض « الدلتا » التى كانت ذات شهرة عظيمة من حيث الخصب والإنتاج ، وفى الحق كانت هذه البقاع الأخيرة الزراعية مسكونة بقوم عاملين يعيشون عيشة هدوء لا يميلون للحروب ، وكان فى استطاعة كل حاكم قوى

أن يسيطر عليهم دون مشقة أو مقاومة تذكر، في حين أن سكان الوجه القبلي كانوا قوما ميالين للحروب أقوياء البنية مما أهلهم لتحمل أعباء الحروب ، ونخص بالذكر منهم أشرف مدينة « الكاب » ، والدور الحاسم الذي قاموا به في محاربة أعداء البلاد . وقد كان يساعدهم في ذلك قبائل البدو النوبيون الذين اتخذهم الفراعنة حينئذ موردا لتغذية جيشهم العامل ، كما كان يتخذ منهم أحيانا رجال الشرطة الذين يحافظون على الأمن في مشارف البلاد . ولقد كان السبب في بقاء النظام الذي سارت عليه البلاد في عهد الدولة الحديثة نحو مائتي عام يرجع إلى المحافظة على تنفيذ النظم بيد من حديد مما لم يعط مجالا لقيام أى عصيان أو محاولة لنقض أسس الحكم .

الحكم في المقاطعات : ففي المقاطعات ظل نظام الحكم على ما كان عليه ، إذ كان لكل مقاطعة عاصمة فيها مقر الحكم كما كان لها معبدها الخاص وإلهها الذي كان يعبد فيها منذ القدم . غير أنه بدلا من الحاكم الوراثي الذي كان يسيطر على المقاطعة عين الفرعون لها حاكما من قبله له إدارة خاصة يعاونه فيها كتبته ، كما كان لكل مقاطعة مجلس (قنبت) يقيم في العاصمة ، وكذلك في الأقاليم ، غير أن هذا المجلس لم يكن بمثابة مجلس محلي بل كان يتألف من الموظفين ، وكذلك كانت توجد محكمة بمثابة سلطة إدارية^(١) (زازات) وكان على رأس طائفة الموظفين والإدارة كلها الوزيران اللذان يتلقيان تعليماتهما مباشرة من الملك وكانا هما المسئولين أمامه عن كل ما يحدث في البلاد .

(١) والواقع أن ما وصل إلينا من المعلومات عن نظام الحكم في عهد الدولة الحديثة أقل بكثير مما وصلنا في عهد الدولة القديمة أو الدولة الوسطى ، وذلك لأن نقوش المقابر التي وصلتنا من عهد الدولة الحديثة عن الإدارات المحلية قليلة جدا ، بل كل ما لدينا غير الأعمال الحربية التي قام بها بعض رجال الدولة في خدمتها ، ضرب الضرائب وتسليم الجزية وما أشبه هذا ، ذلك إلى ما كان يقدقه الفرعون على هؤلاء الرجال من الإنعامات .

ونجد في هذه النقوش التغير البارز الذي ظهر في هيئة الحكومة . وليس لدينا مثال خاص في هذا الموضوع ، وقد جمع الأستاذ «أرمان» بعض معلومات مختصرة في هذا الصدد في كتابه « مصر » =

مهام الوزير : والواقع أن الوزير كان لا بد من أن يكون واقفا على سير الأمور في البلاد ، إذ كانت تصل إليه التقارير عن عمل كل الموظفين المسؤولين أمامه ، وهو الذى كان يفصل فى الأمور الحكومية كلها ، وعلى ذلك كان هو قاضى القضاة ، إذ كانت ترسل إليه كل الأحكام التى كانت تصدرها المحاكم المحلية المختلفة وكان يذهب كل يوم إلى مكتب وزارته ويتربع على كرسیه ، ويجلس رجال مجلسه على كلا جانبيه وهم «عظماء الجنوب» ، ثم يؤتى أمامه بأصحاب المظالم والشكايات والمذنبين فيفصل فى أمورهم ، وكان يوجه عنايته التامة إلى موضوع الأملاك وبخاصة حدود الحقول التى كانت فى معظم الأحيان تضيق معالمها بسبب فيضان النيل ، هذا فضلا عن حوادث التعدى التى كانت تحدث كثيرا والمنازعات التى كانت تقوم بسبب الإرث كما كان يرسل إلى المقاطعات رسلا بمثابة عمال اتصال بين إدارة المقاطعات ومكتب الوزير ، فكان عليهم أن يقدموا إليه ثلاثة تقارير كل سنة فى اليوم الأول من الشهر الرابع من فصول السنة الثلاثة ، وبهذه الاحتياطات الحكيمة تلافت الإدارة المركزية التى كانت فى أيدي موظفين معينين من قبل الفرعون الوقوع فى خطر العودة إلى الحكم الإقطاعى ، وكذلك كانت كل الوصايا لا تنفذ إلا إذا أجازها الوزير ووقع عليها بخاتمه ، وكان الوزير يسير فى أحكامه على نهج الحياد المطلق ، كما كان رائده

= (Aegypten und Aegyptischen Leben," P. 114-145.) أما المعلومات التى نجدها فى العصور المتأخرة من عهد الدولة الحديثة ، (مثل محاضر القواضى فى عهد الأسرة العشرين فيجب ألا ننخذها أساسا للحكم على سير الأمور فى العهد الذهبى للدولة الحديثة ، وذلك لأن القوانين كانت قد تغيرت . والمصادر الأصلية لنظام الحكم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة هى النقوش التى نجدها فى مقبرة الوزير « رخمى رع » وما شاكلها من نقوش الوزراء الآخرين فى ذلك العهد (راجع ج ٤ ص ٥٦٩ الخ Davies, "The Tomb of Rekh-mi-Rè." PP. 84-94; "Newberry, The Life of Rekh-mi-Rè." P. 1086 ff. & Breasted, A. R. II, § 266 ff. .

ويظن الأستاذ « زينه » أن تنصيب الوزير يرجع عهده إلى الدولة الوسطى كما سبق شرح ذلك

(راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٤٥٩) .

في كل أعماله تنفيذ الحق مع مراعاة مصلحة الفرعون في صغار الأمور وبكارتها .
وكان يحلى جيده صورة إلهة العدل «ماعت» لتذكّره دائماً بواجبه من حيث العدالة^(١)
وكان من حقه أن يستعمل العصا مع المجرمين لانتزاع الاعترافات منهم ، هذا إلى
حلف اليمين باسم الملك^(٢) ، وكان كل من يخنث فيه يعاقب أشد عقاب .

وقد كان يعمل مع الوزير بصفة دائمة رئيسان للخزانة على ما يظهر . كما كان
يعمل تحت إدارتهما رؤساء عمال الخزانة والمخازن والمصانع التي كانت تجمع فيها
الضرائب والمصنوعات من خمر وزيت وحيوان وملابس وآلات من كل الأنواع
حتى أسلحة الحرب وعرباتها والقطع الفنية التي كان ينتجها المفتنون والمجوهرات ،
هذا فضلاً عن إدارة أعمال الفرعون الخاصة كإقامة المباني وصناعة اللبن والإشراف
على مناجم قطع الأحجار وجلب الأخشاب وصناعتها . (راجع مهام الوزير الجزء
الرابع ص ٥٨٣ الخ) .

وقد كان يخصص لكل معمل أو مصنع من هذه الإدارات جيش من العمال
عظيم العدد معظمهم من الرقيق وبعضهم من المصريين ، وهؤلاء العبيد قد جلبهم
الفرعون من البلاد التي فتحها بحد السيف في حروبه ، وكان يقوم على تشغيلهم
والإشراف عليهم عدد عظيم من الموظفين من كل الدرجات كل على حسب العمل
الذي يشرف عليه (راجع ج ٤ رخ مح ر ع ٥٩٦ الخ) .

الحياة الاقتصادية : أما حياة مصر الاقتصادية فهي على التقيض منها
في البلاد المجاورة مثل « بابل وآسيا الصغرى » فقد كانت ثروة البلاد ثروة زراعية
من قديم الزمان واستمرت كذلك في عصور التاريخ المصرى كلها في أساسها .
حقاً قد لعبت المعادن الثمينة في اقتصاد البلاد دوراً هاماً ، إذ كانت تستعمل في صور

(١) (A. S. XL, P. 185.) .

(٢) في عهد الفرس كان الحلف يعقد بالإله المحلي بدلاً من الفرعون . غير أننا لم نعرف بأى إله

يعقد اليمين إذا كان المتخاصمان مختلفين في الديانة (S. Ber. Berl. Ak. 1911. P. 140.) .

حلقات من النحاس وغيره بمثابة عملة ، ومع ذلك فإنها لم تكن تستعمل في التجارة الحكومية ولا في المعاملات الخاصة ، بل في الواقع بقيت تستعمل مثل سلع أخرى ، كالحبوب والماشية . وكانت الموارد الطبيعية تستعمل منذ أقدم العهود في التعامل لتسيير الأداة الحكومية ، وكذلك في المبادلات التجارية بسهولة ، كما تستعمل العملة الذهبية الآن ، فكانت المرتبات تدفع عينا من المحصولات على حسب مراتب الموظفين ، وعلى حسب عدد المستخدمين والخدم الذين تحت إدارة كل موظف كبير من هؤلاء الموظفين بما في ذلك الملكة ووصيفات القصر وأولاد الفرعون العديدين ورجال الحاشية الذين كان يجب إطعامهم ، وكانت تصرف هذه المرتبات من الذخائر التي كترت في مخازن الحكومة . وكان الضباط العظام و كبار الموظفين وعدد عظيم من المحظوظين يبذل لهم الفرعون العطايا من الأراضي والعبيد كما كان يقيم المعابد للآلهة ، ويجزل لها العطاء ، ويحبس عليها الأوقاف العظيمة . والواقع أن كل أراضى الدولة في الأصل إذا استثنينا ممتلكات الآلهة كانت ملكا للفرعون ، وهو الذى كان يهب من يشاء ويحرم من يشاء ، ولا أدل على ذلك من أن يوسف عليه السلام لما دخل مصر ، واتصل بالفرعون كان أول ما طلب منه أن يجعله على خزائن الأرض ، مما يدل على أنها كانت كلها في قبضة الفرعون ، على أنه قد جاء فى إحدى لوحات « تل العمارنة » ما يشير إلى وجود أملاك خاصة ، وذلك عند ما أراد أن يقيم الفرعون « اخناتون » مدينته الجديدة على مكان لا يملكه أحد فقال : تأملوا ! إن الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، قد وجد أنها ليست ملكا لإله ولا لإلهة ولا لأمير ولا لأميرة ، وأنه ليس لمخلوق أن يدعى ملكيتها (Davies, El-Amarna, Vol. V, P. 29.) على أن كل ذلك إذا حدث كان بطبيعة الحال من هبة الملك .

والواقع أن نظام الحكومة المصرية كان يقتضى أن كل فرد فى البلاد موظفا أو غير موظف ، كان يعيش من فيض الفرعون وعلى ذلك كان كل فرد يسعى وراء

كسب حظوته فينال الهبات التي كان هو وحده القادر على بذلها ، وقد كانت الطريق لذلك سهلة أمام خدامه الذين يخلصون في خدمته كما كانت مفتوحة أمام جيش الموظفين الذين بهم تسير الأداة الحكومية التي يتركز عليها كيان الدولة وبقاؤها ، وقد كانت الطريق لشغل هذه الوظائف لا يفتح أبوابها إلا لأولئك الذين يتعلمون الكتابة والقراءة في المدارس . وقد كان التلميذ ينفق عمرا طويلا في التعلم كما كانت العصا أكبر وسيلة تستعمل لإتقان أسرار الكتابة ويستعملها المعلم بسخاء .

المدارس والتعليم : والظاهر أن المدارس في عهد الدولة الحديثة كانت على درجتين فالأولى تعادل بوجه عام ما نسميه نحن « المدرسة » ويسمونها المصريون « بيت الحياة » وفيها كان يعلم الأولاد الكتابة والأدب القديم ، وقد استعملوا لكتابة تمارينهم كما ذكرنا قطعا من الخبز وشظايا الحجر الجيري التي كانت لا تكلف شيئا بدلا من صحائف البردي الباهظة الثمن ، وقد أسعدنا الحظ ببعض معلومات عن واحدة من هذه المدارس ، وقد كانت تابعة للمعبد الذي بناه « رعمسيس الثاني » للإله « آمون » في الجهة الغربية من « طيبة » وهو الذي يطلق عليه الآن اسم « الرمسيوم » وقد كانت ضمن المباني العظيمة الخاصة بالإدارات المحيطة بالمعبد من جهاته الثلاث ، وقد عثر في هذا المكان على عدد عظيم من « الاستراكا » يسترعى النظر ، وبخاصة ما وجد منها على كومة صغيرة من الأوساخ ، وتدل ظواهر الأمور على أن مدرسة المعبد كانت قائمة في هذا المكان ويبدو أن التلاميذ عند ما كانوا ينتهون من كتابة بعض هذه « الاستراكا » كانوا يلقون بها في هذه

(١) وقد أصدر الأستاذ « جاردنر » كتابا خاصا شرح فيه ما جاء في هذه البردية وغيرها من هذا النوع وأطلق عليه اسم « Ancient Egyptian Onomastica » في ثلاثة مجلدات . وقد تناول البحث في كل كلمة وردت في القوائم الثلاثة الهامة التي من هذا النوع . ويقول عن محتوياتها إنها كانت الخطوة الأولى نحو تأليف دائرة معارف . وقد فسر لنا السبب في تسمية كتابه « أونوماستيكا » أي قوائم كلمات بقوله : « إن هذه الكلمة اليونانية تعني قوائم أسماء أشياء رتب تحت أنواعها وأنها ليست سلسلة كلمات مرتبة على حسب الحروف الهجائية (راجع Ibid. Vol. I, 4 - 5) » .

البقعة . و بدرس هذه القطع التي كان ينسخها التلاميذ وجدنا أنها فوق احتوائها على بعض الموضوعات الانشائية التي تنتمي لعصر الدولة الحديثة تتألف من ثلاثة كتب عثر منها على مقتطفات عدة مكررة . وهي تعاليم الملك « أمنمحات » وتعاليم « خيتي » بن « دواوف » وأنشودة النيل وكلها تنسب إلى عهد الدولة الوسطى . ومما يسترعى النظر أن هذه القطع الأدبية الثلاث عثر عليها جميعا على ورقتين من البردى تدل الظواهر على أنهما ترجعان إلى أصل « منفي » ولا شك في أنهما كانتا تؤلفان الموضوع الرئيسي المعتاد لمنهاج المدرسة ، وقد وجدت مدونة بأكملها على هاتين الورقتين . أما ما وجد على قطع « الاستراكا » فكان يشتمل على مختارات قصيرة من هذه الموضوعات ومن كتابات أخرى لعظماء الكتاب . ومما يلفت النظر أننا نجد باستمرار في معظم الأحيان نفس المختارات معادة ، ولا يبعد أنها كانت القطع المنتخبة المقررة التي كان لزاما على كل فرد متعلم أن يحفظها .

وحينما كان يتخطى التلميذ هذا الدور الابتدائي من التعليم كان يقيد كاتباً في إدارة مما ثم يستمر في تحصيل العلم هناك على يد موظفين كبار . ويجوز أنهم كانوا رؤساء المباشرين . وفي الدولة القديمة نجد أن الأب هو الذي كان يستمر في تلقين ابنه إذا كان من كبار الموظفين . ولا أدل على ذلك من أن « بتاح حتب » طلب إلى « الفرعون » أن يسمح له بأن يعلم ابنه ليخلفه في وظيفته . وكان على الطالب في أثناء تلقيه هذا التعليم العالي أن يستمر في كتابة نماذج إنشائية لا تقف عند نقل بعض سطور كما كان يفعل من قبل بل تشمل قطعاً كبيرة . وقد وجدنا أن طالبا قد كتب ثلاث صحائف في يوم واحد . وقد لوحظ أن خطأ التلميذ يصححه معلمه على هامش البردية ، ولكن لسوء الحظ لم يكن يعنى المعلم كثيراً بما كتبه الطالب من الألفاظ التي تفسد المعنى . بل جعل معظم عنايته بشكل الحروف . فكان درسه أقرب إلى تجويد الخط منه إلى دراسة اللغة وتحقيقها . وتدل معظم النسخ الخطية المدرسية بوضوح على الأغراض الحقيقية من التعليم عندهم . فكان الغرض منه

أولا التربية . وثانيا المران على الأعمال التجارية ، وحسن الخط . والواقع أن موضوع الإيملاء لم يكن بالأمر الهين كما ذكرنا . إذ أن نظام الكتابة الهيروغليفية أكثر استعدادا لقبول الأغلط ولا يعدله نظام آخر في العالم . من أجل ذلك كانت العناية بهذا الموضوع عظيمة جدا . ولدينا كتاب يدلنا على عناية القوم وحرصهم على كتابة الكلمات الفردية كتابة صحيحة . ولا بد أن هذا الكتاب كان شائع الاستعمال في المدارس . وقد وضعه كاتب كتاب الإله في بيت الحياة (« أمنوبي » ابن « أمنوبي ») وقد عثر منه على ثلاث نسخ .

وقد اتخذ كاتب هذه الوثيقة لنفسه دور الكاتب الذي أراد أن يعلم التلميذ العلوم كافة . لذلك يحمل كتابه عنوانا مطولا . إذ يقول : ” التعاليم التي تجعل الفرد أدبيا ، وتعلم الجاهل علم كل كائن ، وكل ما صنعه « بتاح » وما سجله « تحوت » والسماء ونجومها والأرض وما عليها وما تخرجه الجبال ، وما تجود به البحار ، وما له علاقة بكل الأشياء التي تضيئها الشمس وكل ما ينمو على الأرض “ . ولا جدال في أن هذا العنوان له رنة عظيمة في الآذان ، إذ يجعل المستمع ينتظر معلومات ضخمة تكشف له الغطاء عن علوم هؤلاء القوم ، غير أن الأمر أهون من ذلك ، فالكتاب في حد ذاته لا يخرج عن مجموعة كبيرة من أسماء وألقاب بعضها متداول معروف ، وبعضها نادر غير مألوف ، وقد وضعت بنظام مرتب ترتيبا منطقيا لا بأس به ، فيذكر لنا أولا السماء وما فيها : السماء والشمس والقمر والنجوم والجوزاء ، والدب الأكبر ، والقرد ، والمارد ، والخنزيرة ، والسحاب ، والعاصفة ، والفجر ، والظلام والضح والفى ... وأشعة الشمس . ثم يتلو ذلك أشكال المياه الموجودة في الطبيعة والتربة . ثم يذكر في ست مجاميع الألفاظ التي تدل على الكائنات الحية . فيذكر العلوية منها أولا . وهي الإلهة والإلهات ، والأرواح الذكور منها والأناث . ثم يعدد لنا المخلوقات البشرية مرتبة على حسب مركزها في المجتمع . فنجد أولا الملك ثم الملكة . ثم يذكر لنا بعد ذلك كبار الموظفين . فرؤساء رجال

الدين والعلماء . ويلي ذلك السواد الأعظم من صغار الموظفين وأصحاب الحرف ، وبعد ذلك يضع أمامنا التعابير التي يعبر بها عن بنى البشر والجنود وأسماء الشعوب الأجنبية والأماكن المختلفة ، ثم ينتقل إلى ذكر أسماء ست وتسعين مدينة مصرية واثنين وأربعين اصطلاحاً للباني وأجزائها . ومسميات للأراضي والحقول . ثم يعدد لنا كل ما كان يأكله الإنسان أو يشربه . ويدخل في ذلك ثمانية وأربعون نوعاً من اللحم المطبوخ . وأربعة وعشرون نوعاً من الشراب ، وثلاثة وثلاثون نوعاً من اللحم النيء . وفي الجزء الختامي الذي وجد محطاً كان قد كتب عليه مسميات عن مختلفات الطيور وعدد عظيم من أسماء الماشية وغير ذلك من الأسماء التي جمعها « أمنوبي » بعناية ليضع أمام العالم صورة عن كل كائن ، شاكرًا للإلهين « بتاح » و « تحوت » . ولا شك في أن غرضه من جميع تلك المسميات ، وترتيبها تعليم تلاميذه كتابة المفردات كتابة صحيحة . وكما أسلفنا كانت كتابة الكلمات الأجنبية الكثيرة والأسماء الغريبة التي اندمجت بوفرة في اللغة المصرية الجديدة عقبة كثوداً حتى للطلبة المتقدمين ولذلك كانت تبذل عناية خاصة لتعليمها . فمن ذلك أن تلميذاً من الأسرة الثامنة عشرة يضع كل همه في أن يكتب على لوحة أسماء في « كفتيو » (كريت) ، وسنرى فيما بعد أن نماذج الخطابات التي أوردناها في هذا الكتاب هي من هذا النوع ، فتشتمل على كلمات وأسماء ليتعلم منها التلميذ كتابة الكلمات الأجنبية كما كان يتعلم من وثيقة « أمنوبي » .

والواقع أن قائمة « أمنوبي » هذه لا يمكن أن تعدّ فهرساً لسرد أسماء وحسب . وإن كان هذا هو مدلولها العملي كما يظهر لنا من ترتيبها وتنسيقها ، ولكن إذا أمعن الإنسان النظر إلى كنهها بعين فاحصة وجد أنها الخطوة الأولى نحو فكرة تأليف قاموس . إذ نجد أن الترتيب الذي وضعت به ينم عن ترتيب منطقي مميز في داخل كل مجموعة . كما نلاحظ علاقة ظاهرة بين كل لفظة وما سبقتها . وأعني بذلك أن الكاتب على الرغم من أنه لم يعطنا إيضاحاً عن تلك الألفاظ أكثر مما كنا نعرف

إلا أنه مكتننا من أن نفهم علاقة الكلمة بسابقتها من مركزها في القائمة، فأهمية هذه الوثيقة لفهم اللغة المصرية عظيمة جدا لنا . ويظهر مقدار ذلك جليا إذا علمنا أن الفهارس بمعناها الحقيقي معدومة كلية في اللغة المصرية . حقا إن لدينا بعض قوائم لأنواع الكلمات على « الاستراكا » كما توجد في متون مشهورة مثل أسماء البلاد السورية التي ذكرها كاتب ورقة « أنستاسي » الأولى أو قوائم أسماء المدن التي استولى عليها فراعنة مصر في الدولة الحديثة . والتي نقشوها على جدران معبد الكرنك وغيره . وكذلك القوائم التي ذكر فيها أسماء الأمم والأخشاب « والأشياء التي صنعت منها على الاستراكا » . على أن كل هذه القوائم وحتى وثيقة « جلنشيف » التي نحن بصدددها الآن لا يمكن أن تقاس بالفهارس الحقيقية البابلية .

وليس من الصعب أن يعرف الإنسان السبب في وجود هذه الفهارس في « بابل » وخلق مصر منها ، وذلك أن المصري قد اخترع الكتابة بنفسه لنفسه ليعبر بها عن لغته . وقد نمتا سويا في موطن واحد بعيدين عن التأثير الخارجي . ولكن في بلاد النهرين أي « بابل » كان للسومريين كتابة خاصة بهم . غير أن قوما من الساميين الذين لا يعرفون الكتابة غزوا هذه البلاد . ولما أقاموا فيها رأوا الفوائد التي تعود عليهم لو اقتبسوا منها نظام الكتابة، فأخذوه منها واستعملوه في التعبير عن لغتهم فنقلوا أولا الكتابة السومرية الأصلية كما شاهدوها . ولكنهم قرءوها بما يقابلها في لغتهم « الأكادية » ، وتعلموا بعد وقت أن يضعوا للكلمات السومرية ما يقابلها في لغتهم . ومن ذلك ألفوا لأنفسهم فهرسا باللغتين . وقد دفعهم إلى هذا حاجتهم الملحة للتفاهم بينهم وبين القوم الذين غزوه . ولكن مصر لم تكن في يوم ما في حاجة إلى ذلك ، وكذلك نجد أن اللغة الإغريقية التي تعد من أعرق اللغات لم تأخذ في وضع قاموس للغتها إلا بعد انقضاء العصر « الكلاسيكي » فيها .

ومما سبق نعلم أن المصرى كان يصنع مثل هذه القوائم ليتقن التلميذ فن الإملاء ولتبصرته بصفة عامة بكل ما يحيط به . وكان أعظم من كل ذلك عناية الأستاذ بتعليم تلميذه الأسلوب الصحيح . والتعايير المختارة لكتابة الرسائل .

من أجل ذلك كان التلميذ ملزما بنقل نماذج رسائل من كل نوع حقيقية كانت أو إنشائية ونقل النصائح والتحذيرات التى كانت تصلح لهذا النوع من التعليم ، إذ كان يكتبها فى شكل رسائل . ولذلك كان يطلق على ما يسطره التلميذ على ورق البردى اسم (تحرير الرسائل) ، وفى غالب الأحيان كان يضع التلميذ اسمه فى الخطابات الشخصية واسم معلمه كأنما هما يتراسلان ، فنجد التلميذ يكتب لنفسه أنه كسلان وفاسق وعاهر وأنه يستحق مائة جلدة . ويدل ما لدينا من الوثائق على أن بعض الموظفين من مختلف الطبقات كانوا يستقلون بتعليم تلاميذهم فنجد كاتب خزانة فرعون ورئيس سجلات الخزانة وكاتب مصنع فرعون وغيرهم لهم تلاميذ يتعلمون عليهم . ويرى القارئ فى المنافسة الأدبية « ورقة انستاسى الأولى » أن الموظف وإن كان فى الاصطبل الملكى كان فى قدرته أن يكون معلما ماهرا .

ولقد كانت مهنة التدريس متغلغلة فى نفوس الموظفين الذين يحسنون الكتابة لدرجة أنهم كانوا يباشرونها فى وسط أعمالهم . إذ نجد أن أحد الموظفين الذين كانوا يشرفون على نحت قبر « رعمسيس التاسع » فى صحراء وادى « أبواب الملوك » لم يطق صبرا على ترك مهنة التعليم حتى فى ذلك المكان المنعزل القفر فكان يكتب مساعده أو تلميذه أشياء مختلفة بمثابة تمارين على شظيات كبيرة من الحجر الجيرى المتخلفة من النحت ، وقد عثرنا منها على نموذج خطاب وقصيدة قديمة « لرعمسيس الثانى » وصلوات جميلة لشخص اضطهد ظلما فترى يد المعلم قد تناولتها بتصحيح بعض الأخطاء . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ٢ ص ١٤٢) ، وكان يوجد بجانب أولئك الموظفين الجيش ورجاله وما يتطلبه من نظام وعدة وعتاد مما ستكلم عنه فيما بعد .

سلطة الفرعون فى داخل البلاد وخارجها

على أن قيام مثل هذا النظام الإدارى والحربى وحسن سيره كان لا يتأتى إلا بالطريقة الفعالة والأنظمة الحكيمة التى يقررها الفرعون بنفسه ، ولما كان الفرعون وبلاطه هو المصدر الوحيد الذى منه يستمد كل الشعب حياته وسعادته ، فإنه كان لزاما عليه أن يكون قادرا على صرف العطايا لكل هؤلاء الموظفين بطريقة منظمة لا يعثرها تقصير أو خلل ، وبذلك يمكنه أن يضمن حسن سير رعيته ورغبهم فى خدمته . والواقع أن هذه كانت هى الحالة المتبعة فى عهد الدولة الحديثة ، وقد استمرت هكذا بصورة تدعو إلى الإعجاب والدهشة مدة تربى على قرن من الزمن ، على الرغم مما كان يفتاب البلاد من وقت لآخر من اضطرابات أو ثورات داخلية . ولا شك فى أن الدخل الذى كان ينفق منه الفرعون على مبانيه الضخمة وتماثيله الثمينة والآلات وأدوات الزينة ، وكذلك على بلاطه وعلى المعابد لا ينفد معينه ، وكان الفرعون يعتمد على جزء هام من هذا الدخل من خراج أملاكه ومصانع ، ولكن الجزء الأعظم ، كان يأتى إليه عن طريق نظام الجزية الدقيق الذى كانت تسير بمقتضاه البلاد ، وأول أبواب هذه الجزية كان خراج الأتبان المتزرعة عدا أملاك الكهنة أو أملاك المعبد فقد كانت معفاة من الضرائب ، والظاهر أنه كان يجبى من الأراضى عشرون فى المائة من محصولها كما ذكر ذلك فى تقارير بنى إسرائيل عن الحالة المالية فى عهد يوسف عليه السلام ، فقد أدخل يوسف عليه السلام قانون جباية الخمس بمثابة خراج على الأرض المترعة وهو ما كان يعطاه الفرعون ، وكانت أراضى الكهنة وخدمهم هى التى لا تعد من أملاكه (راجع Gen. 27, 26) وهذه الجزية الفاحشة لا يمكن الإنسان أن يتصور فرضها إلا على أرض خصبة مثل الأراضى المصرية الغنية التربة ، وعلى هذا النمط كانت تضرب الضرائب على كل فرع من المحاصيل وعلى ما تنتجه الصناعات ، هذا فضلا عن الضريبة التى كانت تفرض على الماشية والأشجار ،

ولتنفيذ مشاريع المرافق العامة كحفر الترع والمحافظة على صلاحيتها وغير ذلك من مرافق الحياة ، والظاهر أنه كانت تفرض ضريبة على الرؤوس .

أما الحالة المدنية في البلاد وثروة كل أسرة فكانت توضع لها قوائم يدون فيها عدد أفرادها وحالتهم . ثم تأتي بعد ذلك أعمال السخرة التي كانت تقتضيها الأحوال وبخاصة لإقامة المباني العظيمة التي كانت تقام في طول البلاد وعرضها ، وقد كانت أعمال السخرة من الأعمال الأساسية . وعندما كانت تشتد الحاجة إلى الأيدي العاملة كان أولو الشأن يستخدمون أسرى الحرب والأفراد الذين كانوا يجلبون إلى البلاد بصفة جزية لإنجاز هذه الأعمال . ولقد كان من الضروري لحفظ كيان الحكومة المصرية فضلا عن سياسة الحروب والفتح في الأقاليم المجاورة أن تستورد منتجات البلاد الأجنبية ، وبخاصة أخشاب بلاد « لبنان » اللازمة للبناء وصنع السفن المقدسة والأسطول ، ومصنوعات بلاد « سوريا » ومحاصيل مناجم بلاد « النوبة » « وشبه جزيرة سينا » . أما أهم هذه المحاصيل وأعظمها لتسيير أمور الدولة فكان ما تخرجه مناجم جبال بلاد النوبة من الذهب جزية سنوية تدفع إلى مصر ، إذ الواقع أن استيلاء الفرعون على هذا المعدن الثمين قد جعل له المتزلة الأولى التي لا تجارى بين كل ممالك العالم المتحدين وقتئذ ، وبخاصة في العلاقات السياسية إذ كان يعدّ أمضى سلاح يهزم به أقوى أمة من البلاد المجاورة له كما كان وسيلة حسنة لجمع القلوب حوله في مصر ذاتها . فقد كان الفرعون يبذل العطايا من الذهب على الدوام في هيئة حلقات وقلائد للشجعان من ضباطه وموظفيه المرة بعد المرة ولا أدل على ذلك من أمير البحر « أحبس بن أبانا » فقد نال ذهب الشجاعة سبع مرات . وكان الفرعون يكثر القناطير المقنطرة من هذا المعدن في خزائنه ، وكانت محاصيل جبال بلاد النوبة لا ينضب معينها في هذه الفترة من الزمن كما ذكرنا عند الكلام على غزوات ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وما كان يدفع لهم من جزية من الذهب والفضة .

ولا نزاع في أن من نظر نظرة سطحية إلى نظام الحكم تحت سلطان ملوك طيبة يجد أنه لا يختلف عنه في عهد الأسرة الرابعة أى أن الفرعون كان يسيطر على البلاد سيطرة مطلقة بوصفه إلهًا، وأن جيش الموظفين الذين كانوا يديرون دفة البلاد لا يختلفون عن نظرائهم في عهد الأسرة الرابعة، غير أن من فحص الأمور في عهد الأسرة الثامنة عشرة بعين ثاقبة يجد هناك فرقا أساسيا بينها وبين الأسرة الرابعة ، وذلك لأن الثقافة والحالة العالمية وطرق المعيشة قد تطورت تطورا عظيما ، إذ الواقع أن الدولة القديمة بالنسبة للدولة الحديثة كالدولة القديمة استبداديا مطلقا ودولة محكومة حكما استبداديا مستنيرا حتمته نظرية الرقي والنشوء التي استلزمها مرور ما لا يقل عن ألف وخمسمائة سنة من الزمن في بلاد كانت تسير مع الزمن في تقلباته ، فنجد أن الحالة الاقتصادية التي انتهت بالدولة القديمة إلى جعل البلاد مقسمة إقطاعات لا نجدها في عهد الدولة الحديثة ، وعلى ذلك كانت السبل مهيئة للدولة لا يعوقها أى عائق في تنفيذ أغراضها في الداخل والخارج على السواء . ومن ثم جاءت فكرة الدولة والسيطرة العالمية (أى الامبراطورية) ، ولقد كانت الفرصة سانحة لأن المصريين عند ما قهروا المكسوس وطردوهم إلى « آسيا » فتحت أمامهم الطريق لتأسيس امبراطورية عظيمة فيها . وقد وجدنا هذه الفكرة مختصرة في رأس « أحسن الأول » عندما نطق بتصريحه عن سلطة الملكية ومدى نفوذها إنه إله وابن الإله ، وليس في مقدور أحد أن يقاومه ، وكل الشعوب رعاياه ، وإنه يضع حدوده في نهاية العالم ، على أننا نرى في الوثائق التي تركها لنا أخلافه أنهم كانوا يبالغون أكثر منه في التعبير عن مدى اتساع ملكهم وسلطانهم ، وعندما احتلت مصر هذه المكانة أصبحت خلال مدة المائة سنة التي تلت تأسيس الأسرة الثامنة عشرة ، الدولة العظمى التي تقود ثقافة العالم ، هذا إلى أنها في داخلها قد خرجت بذلك من نطاق التقاليد القديمة التي كانت تحيط بوادى النيل ، ومن ثم نضجت ثقافتها وآتت أكلها في كل النواحي ، ومع ذلك بقيت في عظمتها وعزالتها في أحوالها الداخلية مثلا لم يسمع به عن أى دولة أخرى في العالم .

سلطان الإله آمون : وعلى الرغم من ذلك كانت توجد قوة أخرى لها من الحقوق ما للفرعون ، بل كان لها السيطرة عليه وهذه هي قوة الآلهة الذين كانوا يسيطرون عليه ويهبونه النصر ، وكلما كانت انتصارات أولئك الفراعنة عظيمة كان لزاما عليهم أن يزيدوا من الهدايا وإقامة الأعياد لأولئك الآلهة الذين حبوهم الفوز على الأعداء ، وبهذه الوسيلة كانوا يضمنون معوتهم في الأوقات الحرجة .

وقد كان على رأس أولئك الآلهة بطبيعة الحال الإله « آمون » رب « طيبة » وهو الذى أصبح الآن إله الدولة الأول ، وقد كان الاعتقاد فيه أنه يجمع القوة كلها فى شخصه ، وأنه موحد مع الإله « رع » المسيطر على العالم ، وقد كانت هذه الفكرة متغلغلة فى نفوس الملوك ، حتى أنهم كانوا يعتقدون أنهم متصلون به اتصالا روحيا مباشرا ، وأنه هو الذى أنجبهم بطريقة خفية لا يعلم سرها إلا هو : وقد كان المعبد الذى بنى لهذا الإله فى عهد الدولة الوسطى فى « الكرنك » بسيطا ، غير أنه أخذ يعظم ويتسع حجمه فى عهد « تحتمس الأول » الذى أقام له معبدا عظيما ، وقد زاد فى هذا المعبد كل الفراعنة الذين خلفوه ، وأمدوه بالمئون والذخائر ، وجملوا أرجاءه حتى أصبح بهجة العالم القديم والحديث ؛ غير أن هذه المباني لا تمثل إلا جزءا صغيرا مما كان يتدفق على الإله من الخيرات التى لا ينقطع معينها ، ففى عهد « أحس الأول » نرى لدينا قائمة هائلة بالأواني الفاخرة والقلائد والأكاليل وطرائف الحلى وأدوات العبادة التى صيغت كلها من الذهب النضار والفضة والأحجار الكريمة وخشب الأرز من بلاد « لبنان » ، وكل هذه مما أهدها الفرعون لوالده « آمون رع » ، يضاف إلى ذلك الأوقاف والعربات والعبيد ، وأسرى الحرب مما أفاء به الإله عليه . وبذلك تكونت فى البلاد ملكية خاصة بالإله ذات نظام يشبه نظام الحكومة ، فكان لها خزائنها ومخازنها ومصانعها ، وموظفوها وإداراتها وعبيدها ، وكانت منفصلة عن أملاك بيت الفرعون حتى جاء عهد « تحتمس الثالث » فوكل أمر الإشراف عليها لوزيره « رخ مى رع » الذى

كان رئيس وزادة الوجهة القبلى (راجع الجزء الرابع صفحة ٥٩٦ الح) ، وكان للآلهة الآخرين بطبيعة الحال أملاك خاصة مثل الإله « آتوم » صاحب « هليوبوليس » والإله « بتاح » رب « منف » والإله « تحوت » رب « الأشمونين » والإله أوزير « صاحب العرابة المدفونة » ، وقد كان لكل منهم أملاك فى الدائرة التى يحيط به^(١) ، كما كان يقدم له الفرعون الهدايا مما يستولى عليه من فتوحه .

والواقع أن الاهتمام بالإثكار من المعابد الجديدة وإقامة الشعائر الدينية كان يسير على حسب ما فى البلاد من ثراء ورخاء . وقد كان ازدياد المباني الدينية وانتشارها يدعو إلى ازدياد عدد الكهنة ، وكانوا يحتلون بطبيعة الحال مكانة ممتازة ويعيشون من دخل أملاك المعبد الخاصة ، والمبات التى كان يقدفها الفرعون عليه . وقد كان أولاد عليه القوم — ولم تكن بعد قد تكونت طائفة كهانة وراثية — يجدون فى البحث للانخراط فى سلك كهنة المعبد ، وقد كان أثر ذلك أن فصلت كل ممتلكات المعابد عن أملاك الدولة ، وأصبحت لا تدفع أية ضرائب ، وكانت مع ذلك توضع تحت المراقبة الملكية كما ذكرنا آنفاً ، كما كانت الترقيات بين رجال الكهانة من أدنى درجة — والد الإله ثم المطهر — حتى أعلى رتبة وهى « رئيس كهنة آمون » يقوم الفرعون بالتعيين فيها ، فمثلها فى ذلك مثل الوظائف الأخرى فى مصالح الدولة . ولكن حقيقة الأمر أن نظام الكهانة هذا قد أوجد حكومة داخل الحكومة المصرية كانت تسير على أسس متينة وكان رجالها يعدون المنفذين لأوامر الإله مما جعلها تمتاز عن حكومة البلاد الدنيوية بما يحيطها من السرية والرهبة التى لا يمكن انتهاك حرمتها . ولقد كان من جراء ذلك أن أوجد فراعنة الدولة الحديثة قوة عظيمة نمت وترعرعت فوق رؤوسهم وهم فى غفلة لا يدرون أنهم بذلك قد وضعوا بذورا لإنبات قوة عظيمة فى البلاد انتهت بما جمعت من سلطان وقوة إلى القبض على زمام الحكم فى البلاد بقيام دولة الكهنة كما سنرى بعد .

(١) وما أشبه ملكيات هذه الآلهة واستقلالهم فى إدارتها بالحكم الإقطاعى فى عهد الدولة الوسطى .

إدارة السودان

لقد كان لإعادة فتح بلاد النوبة ثانية في عهد « أحسن الأول » في بداية الأسرة الثامنة عشرة أثر كبير في بناء الإمبراطورية الجديدة، وذلك لما كان يرد على مصر منها من أموال طائلة ساعدت مساعدة عظيمة في بناء مجدها في « آسيا » وفي إقامة المباني الضخمة الدينية في داخل البلاد التي خربها « الهكسوس » ؛ وكان من أول الواجبات على الفراعنة بعد إعادة فتح بلاد « السودان » أن يضعوا أسسا قوية تسير عليها الدولة حتى يكون نفعا عظيما ، ولذلك رأى الفرعون أن يجعل علاقته ببلاد السودان علاقة خاصة لما بين البلدين من روابط قديمة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ كما أسلفنا ، ولذلك عين لها حاكما أطلق عليه لقب « ابن الملك » حاكم بلاد « النوبة » فكان بحكم موضعه « نائب الفرعون » .

والظاهر أن هذه الوظيفة قد أنشئت في عهد « أمنحتب الأول » وبقيت حتى عهد الأسرة الحادية والعشرين ، وقد كان آخر من لقب بهذا اللقب هو « بي عنخي » بن الفرعون « حريحور » ؛ (Petrie "History" Vol. III, P. 203) & M. M. A. II, P, 57 غير أننا سنرى فيما بعد أن إدارة مصر لبلاد النوبة قد استمرت بعد عهد « حريحور » مدة طويلة، وقد جدد لقب « نائب الملك » ثانية في عهد الأسرة الثالثة والعشرين وذلك عندما تقلده موظف يدعى « أوسركون عنخ » (راجع Gauthier, B. I. F. A. O. XII P. 138) .

ولكن يلاحظ في هذه الحالة أن الوظيفة كانت مجرد لقب شرف قديم بعث من رقدته ومنحه « أوسركون عنخ » ، أو أنه كان قد انتحله لنفسه على لوحته الجنائزية التي تركها لنا، ولا أدل على أن هذا اللقب كان مجرد لقب فخري من أنه قد تقلده الملكة « نسي خنسو » زوج الفرعون « بنوزم الثاني » (Petrie, Ibid P. 218) ؛ وقد كان اللقب الأصلي الذي يحمله نائب الفرعون هو « ابن الملك » ؛ وكان أول من حمله على ما نعلم هو « توري » (Urk. IV P. 78) ؛ وهذا الرجل كان يحمل

كذلك لقب قائد « بوهن » في عهد « أحسن الأول » ، والظاهر أنه كان لقباً حربياً ، ولكن في السنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » نجد أنه يلقب « نائب بلاد النوبة » ونعت « بابن الملك » للإقليم الجنوبي ، وذلك على حسب نقوش وجدت في « سمنه » . (راجع Breasted, "American Journal of Semetic Languages & Literature (1908) P. 108. وفي السنة التالية أى في السنة الثامنة ترك لنا هذا الموظف الكبير نقشاً في جزيرة « أوروئارتى » عُد فيه ألقابه وهي : الأمير الوريثي ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد ، ومحبوب الفرعون في الأراضي الجنوبية ، وابن الملك . وفي السنة الأولى من حكم « تحتمس الأول » نجد أن « توري » كان لا يزال يلقب « ابن الملك » والمشرف على الأراضي الجنوبية ، (Urk IV. P. 79 — 81) ، كما تحدثنا بذلك لوحة التتويج التي شرع عليها في « بوهن » وعلى صورة منها في بلدة « وادي حلفا » ، وكذلك كان لا يزال في السنة الثالثة يقوم بأعمال وظيفته لهذا الفرعون أيضاً (Ibid P. 89 — 90) . وفي عهد حتشبسوت ، (؟) نراه ممثلاً في المقبرة الوهمية التي أقامها الوزير « وسر » في غربي « سلسلة » وقد لقب عليها ابن الملك والمشرف على الأراضي الجنوبية . (P. S. B. A. Vol. XII P. 104) ويظهر الأستاذ « ريزنر » أنه كان في هذا الوقت قد اعتزل العمل ، ولكنه مع ذلك كان ما يزال يحتفظ بألقابه بوصفها ألقاب شرف . (J. E. A. Vol. VI, P. 29) وقبل أن نستمر في الكلام عن تاريخ هؤلاء الحكام يجب أن نثبت هنا أن لقب « ابن الملك » لم يكن من الضروري أن يحمل معناه الأصلي ، أى أنه قد يكون لقب شرف وحسب . والدليل على ذلك ما نشاهده في « تتى كي » الذي عاش في عهد « أحسن الأول » وكان يحمل هذا اللقب ، غير أنه لم يكن ابن ملك حقيقي ، إذ نجده قد مثل مع والديه في قبره ، فكان اسم والده « رع حنب » الذي كان يشغل وظيفة مدير حديقة النزهة ، أما والدته فكانت تسمى « سن سنب » وتحمل اللقب العادي للسيدات المصريات وهو « ربة البيت » . (راجع J. E. A. Vol. XI, P. 15) وعلى الرغم

من أن « تنى كى » هذا كان يحمل لقب « ابن الملك » فإنه لم يكن « نائب الملك » فى السودان . ولقب « ابن الملك » كما قلنا كان يطلق على « نائب الملك » فى السودان منذ عهد « أمنحتب الأول » وحسب ، والظاهر أن هذا الفرعون هو الذى خلق هذه الوظيفة . والواقع أن كل نواب الفرعون فى حكومة بلاد السودان حتى الأسرة الواحدة والعشرين لم يكونوا أولاد ملوك حقيقين إلا « بنى عنخى » بن « حريحور » فقد كان ابن ملك حقيقى ، وهو آخر من حمل هذا اللقب بصفة فعلية .

« سنى » : وقد خلف « تورى » فى هذه الوظيفة « سنى » وتاريخ حياة خدمته على جانب عظيم من الأهمية ، ففى نقش مهشم فى معبد « سمته » نعرف أنه كان المشرف على إدارة ما قد عى اسمها فى عهد « أحسن الأول » ؛ (Urk. IV P. 39 — 41) أما فى عهد « أمنحتب الأول » فانه كان يشغل وظيفة مدير مخازن غلال « آمون » ومدير الأعمال فى معبد الكرنك . وفى السنة الثالثة من عهد « تحتمس الأول » نجد « سنى » هذا قد عين « نائب الملك » فى « بلاد النوبة » بلقب « ابن الملك » والمشرف على الأراضى الجنوبية . وفى عهد « تحتمس الثانى » كان يلقب « رئيس المازوى » (الشرطة) كما كان يحمل الألقاب التالية : « حاكم المدينة الجنوبية » (طيبة) ، والمشرف على مخازن غلال « آمون » و « ابن الملك » ، والمشرف على البلاد الجنوبية ، (Ibid P. 142) ومن ذلك نعلم أن « سنى » كان يشغل وظائف إدارية حقيقية فى عهد ملكين قبل أن يعين « نائب الفرعون » فى عهد « تحتمس الأول » .

« نعى » : ومنذ السنة الثانية من حكم « تحتمس الثالث » ويحتل فى عهد « حتشبسوت » أيضا ، كان يشغل منصب « ابن الملك » موظف يدعى « نعى » ويحمل الألقاب التالية « ابن الملك » والمشرف على البلاد الجنوبية ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والأمير الوراثى ، والحاكم الذى يملأ قلب الملك (Ibid P. 194) وحاجب الملك ؛ وحاجب الفرعون الأول (Ibid. P. 985 — 6.)

ومحبوب الفرعون في «تاسى (النوبة)» ومدير الإدارة (قاعة المحاكاة؟) (Randell)
• (Maciver, "Buhen", PP. 42 - 3.

وقد كانت الأصقاع التي تحت إدارته تمتد من «نخب» (الكاب الحالية)
حتى «كاراي» الواقعة عند الحدود الجنوبية للإمبراطورية بالقرب من «نباتا»
عند الشلال الرابع (Urk. IV. P. 987.) •

«وسرسات» : (Wesernatet) كان يشغل وظيفة «نائب الملك» في عهد
الفرعون «أمنحتب الثاني» «وسرسات» وكان يحمل الألقاب التالية : الأمير
الوراثي والحاكم، وحامل خاتم الفرعون في الوجه البحري، والسمير الوحيد، وابن
الملك والمشرف على الأراضي الجنوبية (L. D. IV, Text, 1: 123.) •

«أمنحتب» : وقد كان «نائب الملك» في عهد «أمنحتب الثالث» على حسب
ما جاء في «لبسيوس» (Ibid. Text, P. 125.) يسمى «أمنحتب»، ولكن من المحتمل
أنه كان يشغل هذه الوظيفة في عهد «تحتس الرابع» (١٤٢٠ - ١٤١١ ق م)
والقابه كالآتي : المشرف على ماشية بيت «آمون» والمشرف على الأعمال في الجنوب
والشمال، ورئيس اصطبل جلالتة، وكاتب الفرعون، «وابن الملك» صاحب
«كوش» والمشرف على الأراضي الجنوبية (L. D. Text, Vol. IV, P. 195)
ويلاحظ هنا إضافة كلمة «كوش» لوظيفة «ابن الملك». ومن ثم أصبح لقب
«ابن الملك» صاحب «كوش» هو الاسم المعتاد الذي يطلق على «نائب الملك»
في «بلاد النوبة» •

وسبب ظهور هذا اللقب الجديد أن «أمنحتب» هذا قد عين على ما يظهر
في عهد «تحتس الرابع» في وظيفة «ابن الملك» صاحب «كوش» ليميز من ولى العهد
ابن الملك «أمنحتب» الذي أصبح فيما بعد فرعوناً على عرش البلاد، فأضيف
إلى لقب «نائب الملك» في السودان صاحب «كوش» ليميز من ابن الملك الحقيقي
الذي كان يسمى «أمنحتب» أيضاً • (J. E. A. Vol. VI, P. 33 راجع)

أما ألقاب « أمنحتب » هذا الأخرى فهي « فارس الفرعون » والممدوح من الإله الطيب (L. D. Text. Vol. IV, P. 125) .

« مرمس » : ومنذ السنة الخامسة من عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » كان « نائب الملك » في « كوش » هو « مرمس » وكان يحمل فضلا عن لقبه الأصلي لقب « حامل المروحة على يمين الفرعون » ، (Ibid Vol. IV, P. 244) وهذا لقب جديد قد بدأ يحمله نائب « كوش » وبقى يحمله « ابن الملك » حتى النهاية . والواقع أن هذا اللقب كان في الأصل حقيقيا وأول من حمله هو « ماي حربى » في عهد « تحتمس الثالث » (راجع Legrain, "Repertoire", No. 108) .

غير أنه أصبح فيما بعد لقباً فخرياً يمنحه كبار رجال الدولة ، وإن كان صاحبه قد يحمل المروحة المصنوعة من الريش في بعض الحفلات الرسمية ميزة خاصة له . ولما كان حامل هذا اللقب له علاقة شخصية وثيقة بالفرعون نفسه فإنه كان يعد من الميزات العظيمة لمن يحمله ، ولذلك كان لا يعطاه إلا عظماء الموظفين من حاشية الفرعون « أمنحتب الثاني » ، وكما ذكرنا أصبح من التقاليد أن يعطى هذا اللقب لنائب بلاد « كوش » غير أنه لم يكن قاصراً عليه . على أننا نشاهد بنات الفرعون « إخناتون » يحملن المروحة التقليدية المصنوعة من الريش غير أنهن لم يحملن اللقب (راجع Davies, "El Amarna", Vol. III, Pl. XVIII) وقد كان يحمل هذا اللقب كاهن « آتون » الأعظم في عهد « إخناتون » (راجع Ibid Vol. I, Pls. XXXV, XXXVIII, XLI) .

ونجد في عهد الأسرة التاسعة عشرة أن هذا اللقب كان يخلع عادة على أمراء البيت المالِك ، وكذلك على نائب بلاد « النوبة » ، (Gauthier, L. R. Tome III, P. 30 & L. D. Text. Vol. III, P. 245) ومن الألقاب الجديدة التي كان يحملها « مرمس » لقب المشرف على أرض الذهب للإله « آمون » ، غير أن بعض المؤرخين يعتقدون أنه وصف خيالي للقب الأصلي يقصد منه التفاخر ، أو بعبارة

أخرى هو تعبير شعري للقب «المشرف على الأراضى الجنوبية» وذلك لأن الأقاليم التى كانت تنتج الذهب تمتد جنوباً من «إسنا» حتى بلاد «الحبشة»، فيحتمل أن كل بلاد «أثيوبيا» (نب) كانت «بلاد الذهب». على أن التعبير «أراضى ذهب «آمون»» قد ظهر للمرة الأولى على ما نعلم فى مقبرة «سننفر» فى عهد «تحتمس الثالث» (J. E. A. Vol. VI, P. 80) فمن الجائز جداً أن «تحتمس الثالث» قد خصص محصول بعض مناجم الذهب لخدمة «آمون» وبذلك أصبحت ضمن أملاك الإله الخاصة وهى التى تعد منفصلة عن أملاك الدولة، وقد فعل مثل ذلك «سيتى الأول» عند ما خصص محصول مناجم «وادي عباد» لمعبد العرابة^(١).

ومن الألقاب الأخرى التى كان يحملها «مرس» المشرف على أراضى «كوش» حتى آخرها، والساهر على سيده، كما كان يلقب «كاتب الملك» ومحبوب الإله الطيب. «تحتمس»: وفى عهد «إختاتون» كان نائب الفرعون فى بلاد النوبة يدعى «تحتمس» وكان يلقب «ابن الملك» وابن الملك صاحب «كوش»، والمشرف على أراضى الذهب الخاصة «بآمون». والمشرف على البنائين (؟) والأمير الوراثى والحاكم، والمشرف على أرض الحدود لجلالته، وحامل المروحة على يمين الفرعون (J. E. A. Ibid. P. 86).

«حوى (أمنحتب)»: أما فى عهد «توت عنخ آمون» فكان نائب الملك يدعى «حوى» أو (أمنحتب) وقبره معروف فى «جرنة مرعى» بما يحتويه من المناظر المشهورة، وبخاصة مناظر الجزية التى أحضرت من بلاد النوبة كما سلتكم عنه بعد، ويحمل الألقاب التالية: ابن الملك صاحب «كوش»، والمشرف على الأراضى الجنوبية، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والأمير الوراثى، والحاكم، والوالد الأهل محبوب الإله^(٢) (لقب كهانة)، ورسول الفرعون لكل أرض، وكاتب الفرعون، والسمير الوحيد.

(١) راجع: J. E. A. Vol. IV, P. 241 ff.

(٢) راجع: Davies, "The Tomb of Huy". P. 4, Pl. XXIX.

(راجع L. D. Vol. III, Pls. 115-118) والظاهر أن لقب «رسول الفرعون» كان يحمله «حوى» قبل أن يعين نائب الملك في «كوش»، وذلك لأن مثل هذا الموظف كان يعدّ عاملاً له علاقة مباشرة بالملك، وكان مسئولاً أمام موظف ملكي في العاصمة، لا أمام السلطات المحلية المصرية في «كوش»، هذا فضلاً عن أن هذه السلطات كانت ملزمة بأن تساعد وتعضد «رسول الفرعون».

«باسر»: وقد كان آخر من حمل لقب «نائب الملك» في «بلاد النوبة» في عهد الأسرة الثامنة عشرة هو «باسر»، وكان يشغل هذه الوظيفة في عهد الفرعون «آي» ويحتل كذلك في عهد «حورحوب» وألقابه كالآتي: ابن الملك صاحب «كوش» والمشرف على الأراضى الجنوبية، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والكاتب الملكى (Champollion, "Notices", PP. 38-40) والمشرف على أراضى «آمون» في «تاسى» (النوبة)، والمشرف على أراضى الذهب (L. D. III, Pl. 114 G.)، والأمير الوراثى والحاكم، والأمير حاكم المدنيين (راجع L. D. IV, Text, P. 126, No. 20). ومما هو جدير بالإشارة هنا أن «باسر» هو نائب «بلاد النوبة» الوحيد المعروف لنا حتى ذلك الوقت قد خلفه ابنه في وظيفته.

«أممأبت» (١٣١٥-١٢٩٠ ق.م): وابنه هذا يدعى «أممأبت» وكان يشغل هذه الوظيفة في عهد «سيتى الأول» ثم في عهد «رعمسيس الثانى» مدة اشتراكه مع والده فى الحكم وألقابه هى: ابن الملك صاحب «كوش» وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمشرف على الأراضى الجنوبية، وسائق عربة جلالته. (راجع Vol. I, P. 28. De Morgan, "Cat. Mon.") ولا نزاع فى أن وظيفة «سائق عربة الفرعون» تشعر بأن حاملها كان له ارتباط شخصى وثيق بالفرعون.

«يونى»: ومن الغريب المدهش أنه كان يوجد نائب ملك آخر يسمى «يونى» يظهر أنه كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد «سيتى الأول» أيضاً، وفى عهد «رعمسيس الثانى» ومما لا شك فيه أن «أممأبت» كان يشغل فعلاً وظيفة «نائب الملك»

ولا أدل على ذلك من النقش الذى وجد له فى معبد «بيت الوالى» . والظاهر أنه هو الذى كان يشرف على بنائه بوصفه « نائب الفرعون » ويعتقد الأستاذ « ريزنر » أن المعبد قد أقيم فى عهد « رعسيس الثانى » مدة اشتراكه فى الملك مع والده « سبتى الأول » (J. E. A. Vol. VI, P. 40) ولكن يحتمل أنه قد رقى من وظيفة رئيس اصطبل « سبتى الأول » وسائق عربية جلالة إلى وظيفة « نائب الفرعون » فى « كوش » فى خلال حياة « سبتى » كما يستدل على ذلك من صلواته للملك « سبتى الأول » فى « معبد وادى عباد » (L. D. III: Pl. 138 n.) ، وكذلك نجده قد قام بصلاة لسيد الجديده حيث نجده قد أطلق عليه ابن الملك صاحب « كوش » ورجل إهناسية (راجع Weigall, "Report on the Antiquities of Lower Nubia", P. 137 & Breasted. A. J. S. L., (1906) P. 29.) ولما لم يكن لدينا تاريخ بعد أو قبل هذا التاريخ نجد فيه اثنين قد شغلا وظيفة « نائب الملك » فى « كوش » فى وقت واحد ، فلا بد أن نعتبر أن « يونى » خلف « أمنمات » بعد إتمام معبد « بيت الوالى » ولكن كان ذلك فى مدة اشتراك « رعسيس » مع « سبتى الأول » فى الملك . وقد كان « يونى » يحمل كذلك لقب « رئيس المازوى » (الشرطة) ، ولا عجب إذا حدثتنا الآثار أن هذه الوظيفة قد تقلب فيها عدة أفراد فى عهد « رعسيس » الطويل ، خلافا لما ذكرنا ، وهام أولاء على حسب ترتيبهم التاريخى .

« حقا نخت » : كان يحمل الألقاب التالية : ابن الملك صاحب « كوش » وابن الملك والمشرف على الأراضى الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورسول الفرعون فى الأرض كلها ، والأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى .

(٢) « باسر الثانى » بن « منمس » : وكان يحمل الألقاب التالية ، ابن الملك صاحب « كوش » والمشرف على الأراضى الجنوبية ، كاتب الملك ، « باسر » بن « منمس » ابن الملك (L. D. III, Pl. 196.) .

(٣) « سثاو » : عثر له على نقش مؤرخ بالسنة الثامنة والثلاثين من حكم الفرعون « رعمسيس الثانى » فى « أبو سمبل » ذكر طيه أن « سثاو » وكان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، والحاكم ... ابن الملك صاحب « كوش » ، والمشرف على الأراضى الجنوبية ، ومدير بيت « آمون » وكاتب الملك (A. S. Vol. XI, pp. 84) وابن الملك (Breasted, A. J. S. L. (1906) P. 26.) كما كان كذلك يحمل الألقاب الأخرى التالية حاكم المدينة (Randell Maciver) (Ibid I, P. 47.) ، ومدير أراضى الذهب الخاصة برب الأرضين (Ibid P. 114) ، ومدير أراضى الذهب الخاصة « بآمون » ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، والمشرف على الخزانة ، ومدير عبيد « آمون » ، والمشرف على أراضى الذهب (A. S. Vol. XI, PP. 77 - 81) ورئيس كهنة ... ومدير القصر (راجع L. D. Text. Vol. V, P. 165) . وآخر نقش مؤرخ لولاية هذا النائب كان فى السنة الثالثة والستين من حكم « رعمسيس الثانى » .

« مسس سوى » : وفى عهد « مرنبتاح » كان « مسس - سوى » يشغل وظيفة « نائب الملك » فى « كوش » وكذلك فى عهد كل من الملك « أممسس » (١٢١٥ ق م) و « سبتى الثانى » (١٢٠٩ - ١٢٠٥ ق م) . وكان يحمل الألقاب التالية : ابن الملك صاحب « كوش » ، والمشرف على الأراضى الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، وكاتب الفرعون ، والواحد المختار صاحب الأرض الجنوبية (L. D. III, P. 176 G.) .

« سبتى » : وفى عهد الفرعون « مرنبتاح - سبتاح » (١٢١٥ - ١٢٠٩ ق م) ؟ ، كان يشغل هذا المنصب موظف يدعى « سبتى » وقد كان يحمل فضلا عن الألقاب العادية التى يحملها فى العادة « ابن الملك » الألقاب التالية : « الكاتب الملكى لخطابات الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) ، ومدير الاصطبل ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، والكاهن الأعظم لإله القمر « تجوت » ورئيس

الخزانة ، والمشرف على كتاب رسائل بلاط قصر « رعمسيس مري (؟) آمون »
في البلاط (راجع A. S. Tom. X, P. 132) ، والمدير العظيم لبيت الفرعون . وآخر
أثر له أترخ بالسنة الثالثة من حكم « سبتاح » (De Morgan, "Cat. Mon." Vol. I, P. 86, No. 29.) .

« حورى الأول » ابن « كاما » (؟) : وكذلك تولى هذه الوظيفة في حكم
« سبتاح » نفسه ، نائب ملك يدعى « حورى » فقد وجد له نقش مؤرخ بالسنة
الثالثة من حكم هذا الفرعون ، ويحمل الألقاب التالية : « السائق الأول لعربة
جلالته ، ورسول الفرعون لكل أرض ، والذي يضع الرؤساء في أماكنهم ، والذي
يرضى جلالته ، « حورى » بن « كاما » المرحوم ، الموظف باصطبل « سبتى الأول »
الخاص بالبلاط (Randell Maciver ibid I, 38) وآخر نقش مؤرخ لهذا الحاكم كان
في السنة السادسة وهو النقش الذى يشير اليه بوصفه ابن الملك صاحب « كوش »
(Ibid P. 36 Pl. 12.) .

« حورى الثانى » : وخلف « حورى الأول » « حورى الثانى » والظاهر
أنه كان يعمل في حكم « رعمسيس الثالث » ولكن من المؤكد أنه كان يشغل
وظيفة « نائب الملك » في عهد « رعمسيس الرابع » (١١٦٧ — ١١٦١ ق م)
ومن المحتمل كذلك أنه كان لا يزال في عمله نائبا للملك في بلاد « كوش » في عهد
« رعمسيس الخامس » (١١٦١ — ١١٥٧) (راجع De Morgan, Ibid. I, P. 84.)
والمشرف على أرض الذهب الخاصة بالإله « آمون رع » ملك الآلهة J. E. A
(Vol. VI, P. 50) .

« ونتاوات » : والظاهر أن النائب الذى خلف « حورى الثانى » وهو
« ونتاوات » كان ابنه ، ويمكن الحكم بذلك من نقش وجد في « سمنه » ، وكان
يشغل وظيفته في عهد « رعمسيس السادس » والسابع ، والثامن ،
(١١٥٧ — ١١٤٢ ق م) وألقابه هي : ابن الملك صاحب « كوش » والمشرف

على أراضى ذهب « آمون رع » ملك الآلهة ، والكاهن الأول للإله « آمون » صاحب « خنوم واست » وحارس الباب ، ومدير بيت « آمون » فى « خنوم واست » (Legrain, "Statues", Vol. II, P. 25-26.) والكاهن الأكبر « لآمون رع مسيس » (Maspero, "Momies Royales", P. 767.) ورئيس اصطبل البلاط ، والأول (عند) جلالتة (Randell MacIver Ibid. P. 79) « رع مسيس نخت » : والظاهر أن « رع مسيس نخت » كان يشغل وظيفة نائب الفرعون فى عهد « رع مسيس التاسع » (١١٤٢-١١٢٣ ق م) وكان يحمل ألقاب هذه الوظيفة العادية "ابن الملك صاحب « كوش » ، والمشرف على الأراضى (٩) وحامل المروحة على يمين الفرعون ، وكاتب الملك " (راجع Randell Maciver Ibid. P. 44.)

« بانحسى » : (أى العبد) . والظاهر أن الفرعون كان يعين بعض حكام السودان من بين أبناء البلاد أنفسهم ، وكان الواحد منهم يفتخر بلونه ، ولدينا « بانحسى » ومعناه : « العبد » ، كان يتولى مهام أمور هذه الوظيفة فى عهد « رع مسيس الحادى عشر » فقد وجد له نقش مؤرخ بالسنة الثانية عشرة ، ويحمل الألقاب التالية (راجع Turin Papyrus: Pleyte & Rossi, "Papyri de Turin", P. 87, Pl. LXVI.) حامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك، وقائد الجيش، ومدير مخازن القلال "ابن الملك صاحب « كوش » والمشرف على الأراضى الجنوبية والقائد، ورئيس الأكبر للخزانة" (Lieblein, Rec. Trav. Vol. I, P. 141.) وكذلك كان يلقب الأمير الوراثى ، والحاكم ، ومدير بيت « آمون رع » . وآخر تاريخ له معروف حتى الآن هو "السنة السابعة عشرة من عهد الفرعون « رع مسيس الحادى عشر » وقد ذكر فيه بلقبه ابن الملك صاحب « كوش » (Pleyte & Rossi, Ibid. P. 89. Pl. LXVI.)

حرى حور : خلف « بانحسى » فى نيابة « كوش » « حرى حور » الذى تمكن فيما بعد من اغتصاب العرش من آخر الرعامسة الضعفاء، وكان يحمل الألقاب

التالية قبل توليه العرش ، رئيس كهنة « آمون رع » وابن الملك صاحب « كوش » والمشرف على مخازن الدولة ، والرئيس الأعلى للجيش ، ومدير كل أعمال آثار جلالته ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، (راجع Gauthier, L. R. III, P. 233) ويلحظ هنا مما سبق في النقوش ، أن هذه الوظيفة كانت تمنح في بادئ نشئها أى في أوائل الأسرة الثامنة عشرة إلى رجال ذوى تجارب حربية كما نلاحظ ذلك في نهايتها ، فقد كان القائمون بها رجالا ممن يحملون ألقابا حربية ، على أنه في نهاية « الأسرة الثامنة عشرة » وفي « الأسرة التاسعة عشرة » ، والجزء الأول من « الأسرة العشرين » كان يشغلها رجال إداريون ، لهم بعض التجارب الحربية ، فقد كان تحت تصرف الحاكم بعض فرق من الجنود كافية لقمع أى عصيان أو ثورة تقوم في هذه البلاد الهادئة الشاسعة ، ولكن في خاتمة الأسرة العشرين يظهر أن بلاد السودان كانت تريد أن تضعف من النفوذ الفرعوني في أصقاعهم ، ولذلك كان لزاما على الفرعون أن يعين جندي ميدان نائبا عنه في حكم هذه البلاد ليقبض على زمام الأمور ويقضى على الثورات في مهدها قبل أن يستفحل خطرها .

باى عنخى : وقد خلف « حرى حور » في حكومة السودان ابنه « بى عنخى » (١٠٩٠ — ١٠٨٥ ق م) عندما استولى والده على عرش ملك الفراعنة وكان « بى عنخى » يحمل الألقاب التالية : حامل المروحة على يمين الفرعون وكاتب الملك وقائد الجيش ، وابن الملك صاحب « كوش » ، وحاكم البلاد الجنوبية ، والكاهن الأكبر للإله « آمون رع » ، والمشرف على مخازن غلال الفرعون (راجع Gauthier, Ibid. P. 238) على أن « بى عنخى » نفسه لم يعتل قط عرش الملك ، ولكن الذى خلف « حرى حور » في حكم البلاد هو « بينوزم الأول » .

مكانة نائب كوش وحدود وظيفته : وبعد « بى عنخى » أسى هذا اللقب في زوايا النسيان ولم يستعمل بعد إلا في حالتين كان يمنح فيهما بوصفه لقب شرف كما سلف ذكره ، غير أن ذلك كان لايعنى أن أعمال « نائب الملك » في بلاد

النوبة ، قد بطلت إذ الواقع أن دائرة الأقطار السودانية كانت منذ تلك اللحظة وما بعدها في أيدي أمراء كانوا قانونا أولاد ملوك شرعيين ، ومن ثم لم يكن هناك داع لبقاء لقب « ابن الملك » ضمن الألقاب التي كان يحملها حاكم السودان . ونستطيع مما لدينا من الوثائق المنقوشة على الآثار أن نقرر أن الأقطار السودانية قد تمصرت تمصيرا تاما في خلال الخمسين والأربعمئة سنة التي تولى نواب الملك فيها إدارة السودان الذي قد أصبح جزءا لا يتجزأ من مصر ، وقد زاد تمصير هذه الأقطار أكثر في الفترة التي تقع بين عامي (٧٢٠ — ٥٠٠ ق م) كما يدل على ذلك آثار ملوك السودان في تلك الفترة . وقد رأينا أن الألقاب الرئيسة التي كان يحملها الحاكم المصري للأقطار السودانية كانت أولا « ابن الملك » ثم بعد عهد « أمنحتب الثالث » أو يحتمل في عهد والده « تحتمس الرابع » لقب هذا الحاكم « ابن الملك صاحب كوش » ، وكان يضاف إلى هذا اللقب أحيانا « المشرف على الأراضى الجنوبية أو ما يقابله » . ومنذ عهد « أمنحتب الثالث » كذلك نجد أن نائب الفرعون في السودان كان يحمل لقب « حامل المروحة » على يمين الفرعون ، غير أن هذا اللقب لم يكن وقفا عليه ، بل كان يحمله موظفون من عظماء الدولة . وكذلك من الألقاب التي كان يحملها نائب الفرعون ولم تكن وقفا عليه : الأمير الوراثي ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد . حقا كانت هذه الألقاب تحمل معناها الحقيقي في عهد الدولة القديمة . وبقيت كذلك حتى عهد الدولة الوسطى ، ولكنها في عهد الدولة الحديثة قد استعملت بمثابة ألقاب شرف كالألقاب والأوسمة في العهد الحاضر . ومما له أهمية عظمى ، الألقاب التي كان يشغلها هؤلاء النواب قبل توليهم حكومة السودان رسميا . وذلك لأن هذه الألقاب تعطينا فكرة عن حياة أولئك النواب الحكومية ، قبل توليهم حكومة بلاد السودان ، والواقع أننا إذا فحصنا هذه الوظائف اتضح أن عددا عظيما من حاملها كانوا في خدمة الفرعون الشخصية ، وكان خمسة منهم يشغلون أولا وظيفة « كاتب الملك » وهي وظيفة ثقة كانت على جانب عظيم من

الأهمية في عهد الدولة الحديثة ، ويلاحظ كذلك أنه منذ تولى « تورى » وظيفة « ابن الملك » في « السودان » لم نجد واحدا ممن تولى هذه الوظيفة كان له سلطة حربية في هذه الأقاليم بل كانت السلطة الحربية موكلة إلى رئيس رماة « كوش » الذى كان تحت إدارة نائب الملك مباشرة، وكان مسئولاً عن حفظ النظام في السودان ومن ذلك نفهم أن الفرعون حينما كان يعين نائبا له في « بلاد السودان » كان أهم مايرى إليه في اختياره أن يكون رجلا إداريا حازما يمكنه أن يجمع له الضرائب والمحاصيل، ولذلك كان ينتخبه من أقرب المقربين إليه ممن اشتهروا بحسن الإدارة والذكاء والإخلاص في العمل لشخصه، فلا يقوم بأية دسائس ضده أو يحاول أن يمتص دماء الأهلين بفرض الضرائب الفادحة عليهم لمنفعتهم الشخصية، وكان من الطبعي إذا عندما كان الفرعون يبحث عن شخص تجتمع فيه كل هذه الصفات الحسنة أن ينتخبه من أولئك الأفراد الذين في خدمته الخاصة ممن عرف مقدرتهم وأخلاقهم عن كثب، وعلى ذلك كان كل نائب للملك في السودان يعينه الفرعون بنفسه، لهذا لم يجعل الوظيفة وراثية، والظاهر أن بقاء هذا النائب وعزله كان على حسب رغبة الفرعون، ولكنه كان في العادة يبقى مدة حياته فيها أو حتى يتولى ملك جديد عرش البلاد، قد يفضل تعيين نائب آخر غير الذى نصبه سلفه. ومع ذلك فقد رأينا كثيرا من الملوك، أبقوا النواب الذين عينهم سلفهم . والظاهر أن بعض النواب في عهد « رمسيس الثانى » وكذلك النائب « سىتى » في عهد « مرنبتاح - سبتاح » قد أغضبوا الفرعون فعزلهم (راجع J. E. A. Vol, VI, P. 84) ومن المدهش أنه لرغبة الفراعنة الظاهرة في تعيين أفراد في هذه الوظيفة ممن لهم علاقة شخصية بالملك قد بقيت هذه الوظيفة حتى عهد « حرى حور » لا يعين فيها ابن ملك حقيقى، والسبب في خروج « حرى حور » على هذا التقليد يمكن معرفته من الألقاب الأخرى التى كان يحملها ابنه وهى « كاهن آمون » الأكبر، وقائد الجيش الأعلى ، ومن ذلك نعلم أن السلطات الروحية والحربية والمالية قد تجمعت كلها

تحت رقابة الملك وابنه مباشرة ، وتلك خطة حكيمة سليمة وسياسة دقيقة جرت عليها البلاد المصرية في تلك الفترة من تاريخها بالنسبة لأملاتها في الخارج، ولكن ضعف الإدارة في الداخل بسبب الانغماس في اللذات ووهن عزائم ملوكها أدى إلى اغتصاب رئيس الكهنة الملك . وقد كان بدوره يريد ألا يقع فيما وقع فيه أسلافه فعمل على جمع السلطة كلها في يده هو وأسرته .

الامبراطورية المصرية فى آسيا

تحدثنا في الفصل السابق عن نفوذ مصر في إقليمى بلاد النوبة والسودان (كوش) وكانا يؤلفان جزءا من وادى النيل الذى تسيطر عليه مصر وقتئذ ولا بد لنا الآن من إلقاء نظرة خاطفة على ما كان لمصر من سلطان ونفوذ في الأقاليم الآسيوية المتاخمة لها، وهى الأقاليم التى فتحها فراعنة مصر في «الأسرة الثامنة عشرة» . وإذا رجعنا إلى الوراء قليلا علمنا أن فراعنة مصر كانوا يعملون منذ الدولة الوسطى على تأسيس امبراطورية مصرية في الأصقاع الآسيوية المجاورة للكنانة . وقبل أن نبين مدى التوسع المصرى ونفوذه اللذين أحرزهما فراعنة «الأسرة الثامنة عشرة» في آسيا يجب أن نفهم المقصود من كلمة امبراطورية في تلك الأزمان القديمة بالنسبة لمعناها الحديث حتى يتسنى للقارئ أن يفهم موقف مصر في هذه الأقاليم الشاسعة ويعرف كيف بسطت سلطانها على تلك الأصقاع وسنستنبط ذلك مما فصلنا القول فيه من قبل .

ولا نزاع في أن أول عاهل أسس ببيان هذه الامبراطورية على قواعد ثابتة هو الفرعون . «تحتمس الثالث» إذ كانت رقعة فتوحه تنبسط من أعلى نهر دجلة والفرات شمالا وتمتد جنوبا حتى الشلال الرابع .

درجات الحكم الامبراطورى : وكلمة امبراطورية في معناها العام تعنى : درجة ما من السلطان والنفوذ يعترف بهما سكان البلاد الأجنبية المقهورة على أمرها للأمة الغالبة صاحبة القوة . ولكن السؤال الذى يهمنا هنا هو : ما مقدار هذا النفوذ

وما حدوده؟ والبحوث الحديثة تدل على وجود ثلاث درجات من النفوذ الاستعماري يطلق على كل منها نفوذ إمبراطوري . فالحكم الإمبراطوري في أدق معانيه وأعلى درجاته كما يفهمه العالم الحديث وبخاصة فرنسا وإنجلترا يعنى التسلط على إقليم أو عدة أقاليم بوساطة قوات من الجنود تقيم فيها في جهات مختلفة ، هذا إلى إدارة شئونها الداخلية المباشرة بموظفين وعمال تنصبهم الدولة المسيطرة؛ وهذا الصنف من النظام الإمبراطوري يبلغ الكمال عندما يصبح سكان هذه الأقاليم خاضعين للتجنيد الحربي كما يصير نظامهم المدني وفق نظام الدولة صاحبة السيادة فيجربى على سنته أهل هذه الأقاليم الخاضعة . غير أننا إذا رجعنا إلى العهود القديمة من التاريخ نجد أن هذا النظام الإمبراطوري الذي حددنا معانيه لم يكن معمولاً به في عهد أية دولة من الدول القديمة التي سبقت عهد الاسكندر الأكبر، بل في الواقع لم يتحقق إلا جزئياً في عهد الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث .

والدرجة الثانية من درجات الحكم الإمبراطوري أقل تنسيقاً من السابقة ، إذ كانت تتمثل في ارتباط دائم بين الدولة صاحبة السيادة وبين الأقاليم التي تنشر سلطانها عليها بوصفها تابعة لها . وهذه التبعية أو التسلط كان لا يأتي عن طريق الاحتلال الشامل بجنود الدولة المسيطرة أو بإدارة شئونها المباشرة، بل كان يأتي عن سبيل الفرع والخوف من التسلط عليها بالغزو من جهة ، ومن جهة أخرى بالحمايات التي توضع في مختلف المدن الكبيرة يشد أزرها ممثلون من قبل الإمبراطور يشرفون عن كثب على نظم البلاد الداخلية ومن يحكمونها من الأمراء المواطنين .

أما الدرجة الثالثة من درجات الحكم الإمبراطوري فكانت تنحصر في استئثار الدولة القوية بمدة دائرة نفوذها المنفرد على الأقطار الخاضعة لإرادتها ، وكان كل ما تبغى الدولة المسيطرة من أهلها هي الضرائب وكانت لا تبغى بحمايات أو ممثلين ، وكانت عرضة للانقطاع من وقت لآخر، وعندئذ كانت تحصل بالغزو أو بجوّد التهديد والخوف في كثير من الأحيان .

وإذا أردنا الآن أن نحدد مكانة الامبراطورية المصرية في آسيا بالنسبة لهذه الدرجات الثلاث من نظام الحكم الامبراطورى فإننا بلا نزاع نخرجها من الصنف الأول كلية، وذلك عندما تفحص ممتلكاتها في آسيا ومقدار نفوذها فيها . ويختصر كلامنا هنا على الامبراطورية المصرية إلى ما قبل عهد البطالمة . وقد يكون من المسلم به أن احتلال جنوبى سوريا نهائيا وأعنى بذلك فلسطين الأصلية حتى «عكا» وهو الجزء الذى فتحه «تحتمس الثالث» ثم فقد في عهد «إخناتون» وأعيد لمصر ثانية في عهد «سيتى الأول» بعد احتلالا إقليميا بالمعنى الذى نفهمه الآن، غير أنه على الرغم من أن عددا قليلا من الحكام المحليين الذين ذكروا في رسائل «تل العمارنة» في عهدى الفرعونين «أمنحتب الثالث» و «إخناتون» كانوا يحملون أسماء مصرية وأن بعض الأراضى في «فلسطين» قد أصبحت ضمن أملاك الفرعون نفسه أو في يد الكهنة فإن إدارة هذه الأصقاع في مجموعها كانت قد بقيت في يد حكام من الأهالى الأصليين بطريقة غير مباشرة، ومع ذلك كانت توجد حاميات مصرية وممثلون لكبح جماح أى عصيان . وكان رجال هذه الحاميات على ما يظهر من الجنود المرتزقة بوجه عام أو مجرّد مجندين ممن جندهم الأمراء المحليون، ومن ذلك نستخلص أنه حتى في «فلسطين» لم تكن الامبراطورية المصرية في عهد «الأسرة الثامنة عشرة» قد وصلت إلى المرتبة الثانية من مراتب التسيطر الامبراطورى كما نفهمه الآن . والواقع إذن أنه — على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا — لم تكن الدرجة الأولى من الحكم الامبراطورى معروفة كما أنها لم تصل إلى الحالة التى يكون فيها الأهليون مشتركين في الحكم بمثابة مواطنين في غربى آسيا حتى عهد الدولة الآشورية الأخيرة . فالدول التى قامت في «مسوبوتاميا» قديما وهى السوميرية والبابلية ، والآشورية لم تصل واحدة منها في استعمارها إلى أكثر من الدرجة الثانية أو بتعبير أدق لم يتعد سلطان واحدة منها أكثر من نفوذها المنفرد فقط على الإقليم الخاضع لها . ولذلك يعد نظام الدرجة الثانية من الحكم الامبراطورى من ميزات

عهد « الأسرة الثامنة عشرة » في ترقى فكرة الحكم الامبراطورى وإن كان هذا الرقى لم يحد بهم إلى تأسيس فكرة امبراطورية كما نفهمها الآن .

الواقع أن الامبراطورية المصرية في آسيا كانت نتيجة مباشرة لطرد الهكسوس الغزاة من وادى النيل ، أو أنها قامت بتأثير طرد أولئك الأجانب الغاصبين . ولا نزاع فى أن مصر منذ عهد الدولة الوسطى كانت قد بدأت فى مد سلطانها وتأليف امبراطورية من نوع النفوذ الامبراطورى الثالث فى عهد أوانخرفراعنة « الأسرة الثانية عشرة » كما فصلنا القول فى ذلك (راجع الجزء الثالث ٤٢٤ أـ)؛ غير أن هذا التقدم فى سبيل تمكين هذه الامبراطورية قد عاقه ما حل بالبلاد من انحلال من جراء غزو الهكسوس وضعف ملوك « الأسرة الثالثة عشرة » على الرغم من وجود نفوذ لهم فى فلسطين ، ولذلك أصبح موضوع تأسيس امبراطورية مصرية وقتئذ فى آسيا أمرا مستحيلا ، ولكن عند ما هدأت ثائرة الغارات التى شنها هؤلاء الهكسوس وهب المصريون فى وجوههم وطردوهم من أرض الكنانة فتحت الطريق أمام المصريين ثانية لتأسيس امبراطورية جديدة فى آسيا . وعلى الرغم من أن الغارات التى قام بها ملوك « الأسرة الثامنة عشرة » فى أول الأمر مخترقين بها جبال الكرمل حوالى عام ١٥٨٢ ق م قد لا يكون الدافع لها فى الأصل إلا الانتقام من الهكسوس ، فإنه مما لا شك فيه أن دافع القيام بها كان لحد ما تلاشى مد الهكسوس الذى انعكس فصار آخذا فى الجزر بصورة بارزة وأعنى بذلك وقوف موجات غزو الهكسوس التى لم تكن فى الواقع إلا جزءا من المد العظيم الذى كان يفد من الشرق وحمل معه الكنعانيين إلى سوريا . وعلى أية حال فإن المصريين كانوا بطبيعة الحال قد تعلموا من محاربة الهكسوس لهم ما كان ينتظرهم فى سوريا وكيف يمكنهم الاستيلاء عليها . وقد كان ظهور المصريين فى الجنوب الغربى لآسيا فى عهد الفرعونين « أحس الأول » و « تحتمس الأول » مقدمة لتمكين ملكهم هناك إذ لم ينشأ فى عهدهما ملك وطيد الأركان يمكن أن يطلق عليه اسم امبراطورية حتى من الدرجة الثالثة

التي وصفناها . إذ الواقع أن الحملات التي قاما بها كانت غزوات ضعيفة كما كانت العادة المتبعة في آسيا منذ الأزمان العتيقة ؛ فلم نسمع بالاستيلاء على أماكن حصينة مثل « غزوة » و « عسقلان » أو « مجدو » ، وهي المدن التي كانت تقع في طريق الجيوش الغازية ، بل كل ما وصلت إليه معلوماتنا هو الإغارة على قبائل « شاسو » (البدو) الذين كانوا يسكنون الصحراء وقتئذ أو على أهالي « رتنو » في جبال الجليل ، وكذلك نسمع بفرض ضريبة على البلاد الفينيقية حتى مدينة « إرواد » ، وعلى القبائل التي كانت تقطن في الداخل في شمالي بلاد « نهرينا » ومقاطعة « حلب » . ومما هو جدير بالذكر هنا أن كثيرا من الجزية كانت على ما يظهر ترسل من تلك البلاد النائية لمجرد الخوف من إغارة الفرعون عليها ولم يكن هذا بدوره يقوم بها إلا عند شبوب ثورات أو إعلان عصيان .

وقد ظلت الحال كذلك إلى أن انفرد « تحتمس الثالث » بالحكم ، وعندئذ أخذ في تأسيس امبراطوريته في أقاليم آسيا بصورة ثابتة وسياسة مرسومة . وبالاستيلاء على « غزوة » و « مجدو » والأماكن الحصينة الأخرى في فلسطين تم لهذا الفرعون ضم الجزء الجنوبي الأقصى من سوريا ، ويشمل معظم « فينيقية » ، وذلك في السنة الثلاثين من حكمه ، إذ نسمع وقتئذ بتنصيب حكام جدد لحكم الأصقاع ؛ وليس لدينا ما يجعلنا على الاعتقاد بأن هؤلاء الحكام كانوا من أصل مصري ، كما أنه لا يمكننا أن نقدر على وجه التحقيق مبلغ النفوذ العسكري الذي كان لمصر في هذه الجهات . وبعد انقضاء قرن من الزمان على عهد « تحتمس الثالث » نعلم من خطابات « تل العمارنة » التي كانت ترد على الفرعون من فلسطين أن الأمراء هناك كانوا يشكون من سحب الجنود الذين كانوا معسكرين في الحاميات القائمة هناك ؛ ولذلك لا نكون حائدين عن جادة الصواب إذا قررنا هنا أن هذه الحاميات كانت تحتل تلك المعازل منذ أن استولى عليها الفاتح العظيم « تحتمس الثالث » بعد حروب طاحنة وحصار مرير كما أسلفنا ؛ وذلك يجعلنا نحكم بأن امبراطوريته كانت من الدرجة الثانية من درجات الحكم

الامبراطورى ، وأعنى بذلك أنها كانت أقاليم يدير شئونها حكام من أهل البلاد نفسها نصبهم الفرعون برضا منه لولايتهم له ، وقد قوى هذا الولاء وجود بعض الحاميات والعمال المباشرين الذين عينهم الفرعون من قبله هناك . وإذا أردنا أن نرسم خطا فاصلا بمثابة حد شمالى لهذه الأقاليم الامبراطورية ، فإنه على ما يظهر كان يبتدىء من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالى « إرواد » ثم ينحني إلى الجنوب عند الفصاىل نهر « العاصى » عن نهر « الأردن » ثم يأخذ فى التلاشى فى الصحراء الشرقية على مسافة قليلة من جنوبى « دمشق » .

والواقع أن « تحتمس الثالث » عند ختام حكمه كان قد أسس إقليما امبراطوريا آخر فوق الأقاليم السالفة الذكر ، غير أنه على ما يظهر كان من الدرجة الثالثة ، أى أنه كان إقليما يدخل فى دائرة النفوذ المصرى المحض وحسب ، أى أنه إذا دخله أى جيش آخر غير الجيش المصرى يكون عرضة للتأديب والعقاب الصارم ، فى حين أن الجيش المصرى كان له الحق فى أن يسير فى هذا الإقليم حرا ويضرب الضرائب على القرى والمدن التابعة له . وقد كان لزاما على الممالك العظمى الأخرى المتاخمة له أن تحترم حقوقه المطلقة مثل مملكة « بابل » الكاسية (كاردونياش) ، ودولة « متنى » ، وقد كانتا أصحاب سيادة إلى أن استقلت بلاد « آشور » الواقعة شمالى « مسوبوتاميا » . وكذلك كانت بلاد « خيتا » آخذة فى أسباب النمو حتى امتدت إلى ما وراء جبال « توروس » ولكنها كانت منحصرة فى « كابودشيا » بآسيا الصغرى ، على الرغم من قيامها ببعض غارات فى الجنوب . وكان الجيش المصرى يقوم بحملات تأديبية فى جهات مختلفة من هذه الأقاليم السورية الشمالية ، ولم يقتصر ذلك على شمالى « فينيقية » والجزء الأسفل من نهر العاصى بل امتدت هذه الحملات إلى بلاد « نهريين » حتى وصلت إلى بلدة « تونب » التى جاء ذكرها فى النقوش المصرية . وليس فى استطاعتنا تعيين حدود لهذا الإقليم المبهم الذى يحتمل أنه كان يشمل « كليكا » أيضا . وإذا كان « تحتمس الثالث » قد جد فى فتوحه فعلا حتى الشمال الشرقى

إلى أن وصل إلى «قرقيش»، فلا يحتمل أنه تخطاها بل قد ترك إقليم «عتاب» و «ماراش» دون أن يقتحمهما، فكان يسيطر عليهما رؤساء مواطنون من «خيتا» الذين أظهروا ولاءهم للفرعون بما كانوا يرسلونه له من الهدايا كما ذكرنا آنفا .
غير أن الجزء الواقع شمالي «قادش»، وهو الذى على ما يظهر لم يتدخل «تحتمس الثالث» فى شئونه قبل السنة الثانية والأربعين من حكمه، ثم كان نفوذه عليه بعد ذلك لا يتعدى ضرب الضرائب، كان يعد بالنسبة للحكم الامبراطورى فى الدرجة الثالثة، إذ لم تكن تحتله حاميات ثابتة كما لم يكن ممثلو الفرعون هناك من الموظفين الذين لهم دخل مباشر فى حكومة الإقليم . والواقع أن سيادة مصر على وسط سوريا الشمالى وشماليها وقتئذ كانت تشبه سيادة الامبراطورية الانجليزية على الافغانستان قبل الحرب العالمية الأولى .

وقد بقيت هذه الامبراطورية المصرية المبهمة الحدود المفككة النسج على ما هى عليه سليمة مدة حكم الفراعنة الثلاثة الذين خلفوا «تحتمس الثالث» مرتكة على ما أحرزه لها هذا الفرعون من سمعة وقوة . وتدل شواهد الأحوال على أن سوريا كانت فى سلام من أقصاها إلى أقصاها فى عهد «أمنحتب الثالث»، وكذلك دلت النقوش على أنه قد وضعت فى عهده أسس علاقات سليمة متصلة بين وادى النيل «ومسوبوتاميا» وبخاصة ما كان يبذله هذا الفرعون ومن قبله «تحتمس الثالث» لتحصير السوريين بتعليم أبناء أمرائهم فى مصر . وهذه المحاولات الثقافية قد اقتفت أثرها فيما بعد الدول العظمى حديثا وقديما، فقد قامت «روم» بعمل هذه التجربة، وكذلك حاولت الدولة العثمانية نفس الطريقة، وقفها فرنسا، وأخيرا اتجهت إنجلترا وروسيا هذا الاتجاه نفسه غير أن كل هذه التجارب عامة قد باءت بالفشل، إذ الواقع أن الدب الصغير كان عندما يعود إلى مأواه الذى نشأ فيه يذكر الحيل التى علمه إياها صياده، ولكنه كان لا يذكرها بأى نوع من الشكر بل بالحقد والبغضاء فتكون النتيجة عكسية .

ولا نزاع في أن هذه التجربة لم يحن ثمارها « أمنتخب الثالث » أيضا . وقد بدأ منذ الستين الأولى من حكم « إخناتون » تدهور الامبراطورية المصرية في آسيا ويرجع الفضل في كشف النقاب عن ذلك إلى خطابات « تل العمارنة » ، إذ سهلت علينا تتبع سياسة مصر الخارجية في هذا العهد عن كثب أكثر من أى عهد آخر في التاريخ المصري ، وسنفصل القول في ذلك فيما بعد ، وبخاصة قصة المدن التي كانت تسقط الواحدة تلو الأخرى من أملاك مصر في ذلك العهد بسبب تقصير « أمنتخب الرابع » في إمداد حامياتها أو إرسال الحملات من وقت لآخر إلى تلك الأصقاع ، وانفضاض حكام الإمارات المواطنين من حوله والانضمام إلى العدو بعد أن طلبوا إلى الفرعون النجدة مرارا وتكرارا ، هذا بالإضافة إلى قيام دول جديدة قوية الشوكة في آسيا لا تجد من يقف في وجهها أو يكبح جماحها في الشمال والوسط . ومن المحتمل جدا أن سبب هذا التدهور يقع على عاتق « إخناتون » نفسه ، وإن كان بعض اللوم قد يقع على عاتق من سبقه . والأمر الذي يدعو إلى الدهشة والعجب أن امبراطورية عظيمة مثل هذه قامت على نظم ساذجة كل ارتكازها على سنان حراب جنود مرتزقة وغير مرتزقة وعلى حكام ليس لهم ن الأمر شيء يذكر في إدارة تلك الأصقاع قد بقيت قائمة طيلة عهد أربعة ملوك ثم هوت في عهد خامس ملك تولى عرشها .

وتفسير ذلك أن مصر قد كسبت ممتلكاتها الآسيوية وقبضت على زمامها في فترة كانت قد انحلت فيها دول آسيوية عظيمة قديمة ثم أخذت تقوم على أنقاضها دول أخرى فتية ناشئة ولذلك لما سار « تحتمس الثالث » بجيوشه في قلب سوريا لم تكن هناك دولة قوية تقف في وجه فتوحه إلا الدولة « الكاسية » المهيضة الجناح المنحلة القوى ثم دولة « متني » (نهرينا) التي كان لا يقام لها وزن وقتئذ أما مملكة « خيتا » التي قضت على أسرة بابل العريقة في القدم فقد انزوت في إقليم « كابودوشيا » وقتئذ ولم تكن على استعداد لتظهر ثانية في ميدان السياسة

أوفى ساحة الحرب . هذا إلى أن « آشور » كانت آخذة في أسباب النحوق ، غير أنها لم تكن قد بلغت أشدها بعد ، وكذلك كانت موجة هجرة الأراميين من العرب الساميين وقتئذ لا تزال في بدايتها نحو الشمال والغرب ، يضاف إلى ذلك ما كان « تحتمس الثالث » من تأثير في نفوس هذه البلاد . وبعد انقضاء قرن من الزمان على عهد « تحتمس الثالث » أسس ملوك « خيتا » أسرة مهيبه الجانب قاد ملوكها جيوشهم إلى الجنوب ثانية ثم أصبحت « آشور » دولة عظيمة الشأن على استعداد لمناهضتهم في غرب آسيا ، وقد قامت بمحاولة جبارة في عهد ملكها « سالمنزر الأول » ١٢٨٠ ق م لقطع طريقهم نحو الجنوب . أما الأراميون فقد تجمعوا وألفوا حكومة ثابتة حوالى دمشق ، ومن ذلك نرى أن كلا من هذه الدول قد رسخت أقدامها وثبتت ملكها في آسيا أكثر من مصر في أى عهد من عهود سلطانها هناك . وقد كانت النتيجة المحتومة لذلك أن تراجعت مصر بسرعة خاطفة إلى أفريقية . وعندما تولى « حور محب » عرش الفراعنة كانت أملاك مصر السابقة في آسيا قد أصبحت في يد ملوك أسيويين . على أن هذه الممتلكات لم تكن قد ضاعت على مصر نهائيا لأن الفراعنة الذين أتوا بعده أعادوا لمصر تلك الامبراطورية التي كانت تسيطر عليها سيطرة امبراطورية من الدرجة الثانية وأعنى بذلك « فلسطين » وجنوب فينيقية ، وكذلك أخذ الفراعنة في استعادة سلطان مصر في الجنوب على الإمارات الشمالية ، غير أن هذا السلطان لم يكن ثابت الأركان بل كان وقتيا .

وإذا أردنا أن نعرف معنى الامبراطورية المصرية ومبلغ أثرها على الأقطار التي كانت تحكمها فإن ذلك لا ينطبق إلا على الإمبراطورية التي أسسها « تحتمس الثالث » في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وهى تلك الامبراطورية التي يجب أن نتجه إليها إذن ونفحصها من الوجهة الثقافية في مختلف صورها في على ضوء ما فصلنا فيه القول من قبل .

امبراطورية تحتمس الثالث والثقافة العالمية : والمعلوم لدى علماء الآثار المصرية أن أعظم انقلاب في الثقافة قد حدث في العهد الأخير من حكم « تحتمس

الثالث» إذ نشاهد أن المصانع والصور والزينات التي كانت آخذة في النمو والارتقاء باتزان وثبات مستقرين منذ عهد الدولة القديمة قد طرأ عليها أثر جديد مفاجئ مما نهض ببعضها وسار به قدما بخطى واسعة في سبيل الرقي ، كما نجد من جهة أخرى أن بعضها قد انحط وتلاشت معالمه . ولا أدل على ذلك من ظهور منتجات جديدة في تلك الفترة إلى جانب فيض عميم من المنتجات الأجنبية التي يعزى بعضها على وجه التأكيد والبعض الآخر على وجه الاحتمال إلى أصل سوري ، في حين كان غيرها تنسب إلى أصل جزائري ، أي أنه جلب من جزر بحر «إيجه» المجاورة لمصر، أو قد تأثر بعضها بالثقافة الإيجية كما فصلنا القول في ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٥٧٢) . وفي هذه الفترة ظهر كذلك على الآثار أسماء غير مصرية الأصل ؛ يضاف إلى ذلك أن بعض الآراء والأفكار الأجنبية أخذت تتسرب وتنمو في التربة المصرية وكذلك نما العناد الاجتماعي بسرعة وراجت سوق الترف بدرجة لم يسبق لها مثيل ، في حين أننا في نفس الوقت نلاحظ تقدما اجتماعيا يسير في غالب الأحيان جنبا لجنب مع ازدياد في الرزق وسعة في العيش ، وقد تبع مظاهر هذا الثراء المطرد كثرة استخدام الجنود الأجنبية المرتقة بسرعة لحماية مصالح الوطن مع التراخي في استخدام الجنود المصريين . ولا نزاع في أن هذه التغيرات وأثرها العظيم في حياة القوم يرجع في أصله إلى التوسع الإمبراطوري الذي جاء نتيجة لفتوح «تحتمس الثالث» في آسيا . والواقع أن ما تعلمه المصريون وشاهدوه في آسيا ، وما جلبته جيوشهم من غنائم إلى مصر وما تدفق على الكثانة من خيرات الجزية التي كانت تفرض على أمراء الولايات الآسيوية الخاضعة لها ، وكذلك ما تدفق على مصر من أقاصى آسيا وبحر إيجه من أموال عن طريق التجارة بوساطة طرق كانت مغلقة منذ أزمان غابرة . كل هذه الأشياء المستحدثة مجتمعة قد تركت أثرها العميق بسرعة مدهشة على الثقافة المصرية مما تكلمنا عنه فيما سبق وما سنتعرض له فيما يأتي بعد .

تأثير الفتح المصري في سوريا : أما التأثير الذي أنتجته الفتح المصري في سوريا فإنه على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا من الكشف الأثري التي عملت

حتى الآن في الأماكن الهامة من عهد الأسرة الثامنة عشرة لم يكن تأثيرا متبادلا في تلك الفترة ؛ إذ أن الأماكن الأثرية التي كشف عنها في فلسطين وفي سوريا يرى فيها أثر محس للثقافة المصرية بصورة بارزة وبخاصة في جيزر ، فنجد عددا عظيما من الأشياء قد صنعت في مصر أو صنعت في سوريا وصبغت بالطابع المصري ، ولكن جزءا ضئيلا جدا منها كان ينسب إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة أو الأسرة التاسعة عشرة أما الجزء الأعظم فيعزى إلى التأثير الذي تركته مصر في هذه الجهات منذ القرن العاشر حتى القرن السابع قبل الميلاد .

والآن يتساءل المرء كيف يمكن تفسير كون تأثير الثقافة في عهد الأسرة الثامنة عشرة كان من ناحية واحدة ؟ وحقيقة الأمر هي أن الثقافة المصرية في إبان عهدها الأول الامبراطوري كانت أكثر نمواً وأعظم شأنًا من الثقافة السورية ، وقد كان من المنتظر أن يكون أثرها بينا واسع النطاق بعيد الغور على السوريين أكثر من أي تأثير سوري على مصر . وعلى الرغم من ذلك نجد الأمر معكوسا فقد كان أثرها في سوريا ضئيلا وسطوحيا . والتفسير الذي يمكن أن تعزى إليه هذه الظاهرة هو أن أعوان نشر الثقافة من المصريين في سوريا كانوا قلائل ولم يبدوا في الواقع أي نشاط في هذه الناحية بخلاف أعوان نشر الثقافة السورية في مصر ، والمقصود من ذلك أنه في الحين الذي كان يفد فيه على مصر جماعات كثيرة ليتخذوها موطنًا لهم ولنشر تجارتهم في عهد الأسرة الثامنة عشرة كان لا يقيم في سوريا من المصريين إلا التزر اليسير الذين لم يكونوا من طائفة التجار . ولا بد أن نستنبط من ذلك أن المصريين بعد فتحهم الأول قد قنعوا بما أصابوا من غنائم في بادئ الأمر ، وابتعدوا عن هذا الملك الحديد الذي لم يغرمهم أو يحفزهم إلى الهجرة والضرب في أرجائه الشاسعة المفعمة بالخير الوفير والرزق الواسع ؛ ولا غرابة في ذلك فإن المصري كان معروفا عنه أنه لا يحب مغادرة مسقط رأسه ، ولا يميل للغامرات والسير في الأرض للتجارة واكتساب العيش .

ومما هو جدير بالملاحظة أن تأثير ثقافة الإمبراطورية في عهد الأسرة الثامنة عشرة يفسر لنا بوجه خاص حقيقة تاريخية عامة وهى أن الثقافة المصرية في كل عصورها قد بقيت داخلية دون أن تحدث الأثر الذى كان يرجى منها فى التقدم العالمى ، اللهم إلا ما تسرب منها عن طريق أعوان من الخارج كانوا يقدون إليها لينهلوا علومها ويستقوا من موارد حضارتها الأصلية ، ثم يقومون بنشر ما تعلموه فى بلادهم ، ولم يحاول المصري من جانبه نشر ثقافة بلاده فى الخارج إلا أفراد قلائل ، لأنه لم يكن ممن يميلون إلى المخاطرات وركوب الصعاب طلبا للتجارة فى الأقطار النائية ، وقد يعزى ذلك إلى كرهه التسلط الإمبراطورى .

أما العهود التاريخية التى نجد فيها أثر الثقافة المصرية ظاهرا منتشرا فى العالم المتمدين بصورة بارزة فأربعة يفصل بعضها عن بعض بفترات قد تكون طويلة أو قصيرة كانت البلاد فى خلالها قابضة فى عقر دارها منكشة بين حدودها فى وادى النيل . وهذه العهود الأربعة هى : (١) العصر المنوى الحديث (أى فى خلال القرنين السادس عشر والخامس عشر) ق.م (٢) العصر الأشورى المتأخر (من القرن العاشر إلى القرن السابع) ق.م (٣ ، ٤) العصران البطليموسى والرومانى (وهما معا من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن السادس بعد الميلاد) . وعلى وجه عام كانت مصر فى عصرين من هذه العصور أو جزء منهما تابعة لنفسود أجنبي ، وفى أحد هذه العهود كانت تسيطر عليها أسرة أجنبية لها علاقة وثيقة بالبحر الأبيض المتوسط ، أما فى رابع هذه العصور وهو أقدمها (أى العهد المنوانى الحديث فلانا لا نعرف الأحوال السياسية وقتئذ) ، ولكن على الرغم من أن مصر كان لها فى هذا العهد دولة أسيوية على وجه التحقيق فإنه لم يكن لها أى سلطان على « كريت » كما لم يكن لها جنود أو عمال فى قبرص ، ومع ذلك فإن هاتين الجزيرتين قد أنتجتا أشياء عدة تنسب إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية أكثر

مما كانت تنتجه سوريا بأجمعها كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على وفود أمراء البلاد الأجنبية في عهد « رخ مى رع » . وقد كان رأى السائد منذ الكشف عن مصنوعات مصرية أو مصنوعات متأثرة بالفن المصرى فى طبقات الحفر الذى عمل فى المنطقة الإيجية سواء أكان ذلك فى الجزر أم فى أرض بلاد اليونان نفسها يميل إلى ضد الرأى المتفق عليه وهو القائل بأن المصريين كانوا قوما منكمشين فى عقردارهم منعزلين عن العالم . وقد عزز هذا الرأى ما ورد فى القصص عن السياح المصريين الذين كانوا يحبون البلاد الأجنبية ، هذا فضلا عن المراسلات السياسية التى كانت تتبادل بين مصر والأقاليم الأسبوية والتى اتخذت دليلا لتعزيز هذا الرأى ، ولكن الواقع يدل على أن الزعم القديم لا يزال قائما ، وما وجد من دلائل فى إقليم بحر إيجة ، يعزز هذا القول ولا يضحده ، وذلك لأن المراسلات السياسية لا تدل كما قلنا على استيطان مصريين فعلا فى الخارج ، وأما ما قيل عن القصص^(١) التى كان يقصها بعض أصحاب المخاطر فلا تدل إلا على أن السياحة إلى الخارج كانت نادرة جدا وأنها لم تكن مهنة محبة للمصريين ، أما فيما يخص المصنوعات المصرية التى وجدت فى المواقع الأجنبية فكانت بلا نزاع قد جلبت إليها لا بالمصريين أنفسهم بل على يد تجار أجانب من الذين كان لهم مستعمرات أجنبية أقيمت فى شمال مصر ومن ذلك نعلم أن الحضارة المصرية عندما كانت تتخطى وادى النيل كان الذين يحضرونها هم قوم من الأجانب لا من المصريين إذ قد كان لزاما على التجار المخاطرين وعلى الفاتحين الأجانب أن يأتوا إلى الكهانه نفسها ويوقدون مشاعلهم من نور مدينتها المتعددة النواحي الساطعة الإشراف وهى تلك المدينة التى كان المصرى يحافظ منذ بداية تاريخه حتى نهايته على إخفائها فى جوفه وفى داخل بلاده .

وقد كان إخفاق الأسرة الثامنة عشرة فى المحافظة على سلطانها الإمبراطورى فى غرب آسيا أمرا لا مفر منه إذ كان لزاما على مصر أن تخضع لمشيئة أية دولة قوية

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٤٤٧ ، ١٠٠ ، ١٦١

لأثر ظهورها على مسرح السياسة فنزل لها عن مكاتها . على أن هذا القول في ظاهره قد يبدو غريباً ، ولكننا نؤكد من صحتة إذا لم نحصر أفق نظرنا في عهد الأسرة الثامنة عشرة وحسب وألقينا نظرة شاملة على كل من تاريخ الإمبراطورية المصرية في آسيا وتاريخ الإمبراطورية الآشورية في مصر .

فقد دلت الأحوال على أن هناك ظاهرة ثابتة في التاريخ المصري وإن شئت فقل قاعدة دلت على صحتها التجارب وتتلخص في أن مصر لم يكن في استطاعتها أن تحتفظ بأى شيء في آسيا أو أن أية مملكة أجنبية استطاعت أن تملك مصر اللهم إلا إذا كانت هذه أو تلك تملك في قبضتها إقليم شرق البحر الأبيض المتوسط . وما نجده قد شذ عن ذلك يعد برهاناً على صحة هذه القاعدة . فقد كانت أول إمبراطورية ثابتة الأركان سيطرت على بلاد أجنبية بمصر هي دولة البطالمة الأولى الذين كان أسطولهم يسيطر على شرق البحر الأبيض المتوسط حتى جزر « سيكليدز » شمالاً وغرباً حتى مدخل البحر الأدرياتي . وقد ظلت إمبراطوريتهم صاحبة نفوذ ما بقيت سلطتهم البحرية عزيزة الجانب ، ولما ازدادت قوة أسطول جزيرة « رودس » اختفت قوة البطالمة البحرية في آسيا الصغرى ، وعندما ظهر الأسطول الروماني في عالم الوجود تلاشت قوة البطالمة البحرية في سوريا وأصبحت أثراً بعد عين أيضاً . على أننا من جهة أخرى نعلم أن أول إمبراطورية ثابتة أجنبية قامت في مصر على يد أجانب هي الإمبراطورية الرومانية ، غير أن هذه الدولة لم تؤسس إلا بعد أن أصبحت روما صاحبة السيادة على إقليم شرق البحر الأبيض المتوسط ولم يتسن لها ذلك إلا بعد القضاء على قرصان « كريت » و « كليكا » ولم تفقد « روما » ولا خليفاتها « يزنطة » هذه الإمبراطورية إلا بعد أن فقدت سيطرتها على البحر .

وأحسن الأمثلة التي تبرهن على صحة القاعدة من الوجهة الأخرى نجدها في تاريخ الإمبراطورية الآشورية التي استولت على مصر فنرى أن قوة دولة آشور الجبارة

لم يكن في مقدورها المحافظة على ما فتحته من الأقاليم في إفريقية أكثر من جيل واحد من الزمان، ويرجع السبب في ذلك إلى أنها قد احتلت مصر قبل أن تخضع «صيدا» تماما، وعندما أخضعت «صيدا» سيدة تجارة إقليم شرق البحر الأبيض المتوسط لسلطان «آشور بانينال»^(١) نلاحظ أن دولة «آشور» على ما يظهر لم تحاول استخدام أسطولها أو أساطيل فينيقية في أغراضها الخاصة. وقد نتج عن ذلك أن أصبح الفرعون «بسمتيك» والحزب الوطني في مصر الذي يعارض الاستعمار أحرارا في القيام بعمل مفاوضات مع أعداء «آشور» في البحر. وقد أفلح المصريون بمساعدة «جيجس» ملك «لديا» في إحضار سفن محملة بالرجال المحاربين من آسيا الصغرى ساعدوهم على طرد الآشوريين من وادي النيل بعد أن كانوا قد احتلوه بضع سنين.

ولم يكن في استطاعة دولة «بابل» الجديدة أن تثبت أقدامها في مصر قط. أما ملوك الفرس الذين خلفوا بابل فانهم على إثر ظهورهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط عقدوا التحالفات مع بلاد فينيقية واستغلوا أسطولها، وبذلك أفلحوا في الاستيلاء على مملكة الفراعنة من أول محاولة قاموا بها لهذا الغرض وقد مكثوا يحتلونها دون كبير عناء حوالى نصف قرن من الزمان إلى أن ناهضوا الدولة الأفريقية الفتية في السلطة البحرية التي كانت في يد الفينيقيين مما دعا لقيام الثورات في مصر على الفرس، وبذلك نجد أن تاريخ «بسمتيك الأول» يعيد نفسه إذ يقوم الحزب الوطني في مصر بطرد الآسيويين من البلاد بعد أن بلحوا إلى طلب المساعدة من الاغريق المترة تلو المترة، وأخيرا بعد تطاحن نصف قرن من الزمان أفلحوا في طرد أسياهم الآسيويين مرة أخرى. والواقع أن الفرس لم يستطيعوا تثبيت أقدامهم ثانية في مصر على الرغم من المحاولات العدة التي حاولوها فيما بعد إذ أنهم منذ عهد عاهلهم «ارتكسر سيس منمون»^(٢) قد استخدموا جنودا من الاغريق لمحاربة الاغريق

(١) راجع : P. 200. Precis de l'Histoire d'Egypte.

(٢) راجع : L'Egypte. Les Peuples de l'Orient. Mediterranee II.,

الذين استخدمهم المصريون لنفس الغرض ، ولكن بدون جدوى . وقد ظلت الحال على هذا المنوال إلى أن أضعفت قوة « فليب » المقدوني الغاشمة — وقد كانت آخذة في الازدياد والنفوذ — الولايات الاغريقية وأجبرتها على الانزواء في عقر ديارها ، وفي الوقت نفسه أصبح الذهب الفارسي عاملا قاهرا في السياسة الاغريقية مما أدى إلى بسط النفوذ الآسيوي كرة أخرى على مصر ، وقد استمرت هذه السيادة حتى غزو الاسكندر للبلاد بعد عشرين عاما من دخول الفرس مصر للمرة الثانية .

ومن ذلك نرى أن سقوط امبراطورية الأسرة الثامنة عشرة أمام أول دولة آسيوية قوية تريد السيطرة عليها كان أمرا لا مفر منه ؛ والدولة القوية التي عملت فعلا على زوال الامبراطورية المصرية في آسيا هي بطبيعة الحال دولة « خيتا » ، إذ أخذت مصر على إثر ظهورها وتوطيد أقدامها في آسيا تنسحب أمامها من هذا المسرح . وتدل شواهد الأحوال على أن « تحتمس الثالث » قد استخدم البحر في فتوحه ومواصلاته كما شرحنا ذلك في موضعه ، غير أنه لم يقلده في هذا المضمار ممن خلفوه إلا القليل . والواقع أنه قد ظهر في خدمة مصر بعض رجال « صور » ، ومن المحتمل إذن أن سفنهم وكذلك سفن الفينيقيين في الشمال كانت لزمن ما في خدمة مصر . ولكن هذه المدن قد سقطت في عهد « إخناتون » الواحدة تلو الأخرى وانضمت لخيتا أو الآرميين . وعلى الرغم من أن الفراعنة الأول الذين حكموا خلال الأسرة التاسعة عشرة قد استردوا هذه البلاد لمدة ما ، فإنه لم يكن في استطاعتهم أن يحافظوا عليها في وجه قوة مملكة « خيتا » القوية السلطان . فنجد مثلا أن مدينة « ارواد » كانت تساعد صدو « رعمسيس الثاني » في موقعة « قادش » . ومهما كانت النتائج عاجلة لهذه الموقعة فإنه من الجلي أن انسحاب « رعمسيس » العاجل بعد المعركة وما يفهم من المعاهدة التي أبرمها مع خيتا في السنة الواحدة العشرين من حكمه يدل على انسحاب مصر والتخلي عن سبابتها على أي جزء في سوريا اللهم إلا جنوبي « فاسطين » ؛ وحتى هذا الإقليم الأخير قد فقد بعد عهد « رعمسيس الثالث » . وعلى الرغم من أننا نرى فيما بعد

أن الفرعون « نينخاو » كان في مقدوره أن يمتز في سوريا حتى « قرقيش » ينجوشه ويحترها مدة بضع سنين ، فإن ذلك الاستيلاء المؤقت لا يعدّ تسيطرا امبراطوريا ، بل يعدّ غزوا طارئا في آسيا إلى أن جاء « الاسكندر » وفتح مصر ثم أسس أخلافه البطالمة دولتهم الضخمة التي كان مقرها أرض الكنانة .

تنظيم أملاك الدولة العالمية

كان أمر تنظيم الأقاليم المقهورة التي استولى عليها الفراعنة في حروبهم المظفرة يسير جنبا لجنب مع فتوحهم ، وقد أظهر « تحتمس الثالث » مقدرته في هذه الناحية فبنى له فيها مجدا ثابت الدعائم بجانب مجده الحربي المنقطع النظير في ميدان القتال ، ولا أدل على ذلك من أن هذه الأقطار التي نظمها قد بقيت مدة تربي على نصف قرن من الزمان بعد وفاته هادئة مطمئنة يسودها السلام ، وتحمي عليها السكينة ، اللهم إلا بعض ثورات قليلة أخضعها أسلافه دون كبير عناء كما ذكرنا ، ولذلك ليس من المبالغة أن يقول عنه وزيره الأمين « رخ مى رع » إن جلالته يعرف كل شيء يحدث ولا يوجد شيء لا يعرفه وأنه مثل الإله « تحوت » نفسه إله الحكمة في كل شيء ، وأنه لم يقم بأى عمل إلا نفذه . (راجع الجزء الرابع ص ٥١١ و Urk. IV. P. 1074) ولا غرابة في ذلك فإن تقاسيم وجهه تنبئ عن نشاط وثاب ، ودراية بالنفس عظيمة ، وقد حاول أن يربط أمراء الولايات التي فتحها برباط المحبة والألفة والمهادنة ، ولذلك كان أول من أخذ أولادهم ليربيهم في البلاط المصرى « بطيبة » التي كانت تعدّ وقتئذ مهد الثقافة العالمية ، والظاهر أن البلاد كلها قد أصبحت من أقصاها إلى أقصاها كأنها ضيعة الفرعون كما نوه بذلك مرات عدة في رسائل « تل العمارنة » ، فقد كتب « عيد خيبا » من « أورشليم » يقول : تأمل ! لم يضرعنى والدى ووالدتى في هذا المكان بل لقد أقامنى في هذا الببت ملك والدى (أى نصبنى في الامارة) ^(١) ساعد الملك ، وبعد الاستيلاء على

(١) راجع : Mercet, "The Tell El-Amarna Tablets", No. 286, 9 fl.

« مجدو » مباشرة وفتح أقاليم بلاد « لبنان » أمر « تحتمس الثالث » مساحي بيت الملك بوضع حدود للحقول ليستولى على محاصيلها . وقد كان الفرعون يستولى على جزية معلومة من الحبوب والزيت والخمر والبخور مما تنتجه « فلسطين » أو « رتنو » و « بلاد فينيقيا » (زاهى) سنويا ولم يستثن من ذلك إلا البلاد التي كانت قد أعطاه الفرعون هبة للإله « آمون » في « فلسطين » كما ذكرنا آنفا . وخلافا لذلك كان أمراء الولايات في « رتنو » يقدمون الجزية السنوية من كل محاصيل بلادهم ، وبخاصة البعيد والإماء الأحداث ، هذا إلى خيول وثيران وماشية وبخور ، ونمر وزيت وأخشاب ثمينة وذهب وفضة ونحاس وقصدير في صور قوالب وحلقات ، وكذلك سن فيل وریش نعام ، كما كانوا يقدمون منتجات مصانعهم من العربات المغشاة بالذهب والفضة ، والأباريق والأطباق ، وكذلك أواني الزينة المصوغة والمحلة بالأزهار على جوانبها (راجع جزء ٤ رخ مى رع) . وقد كانت بنات الأمراء يرسلن إلى القصر الفرعونى أيضا . وهذه الجزية كثيرا ما نشاهدها ممثلة على جدران مقابر عظماء القوم في هذا العهد ، فعلى جدران مقبرة الوزير « رخ مى رع » نشاهد عظماء « رتنو » في الأراضي الشمالية كلها من حدود الأرض ، ونرى غير الضرائب المفروضة أواني الزينة وعربة حرب وجواد حرب ، ودبة وفيلة صغيرة وقردة وغير ذلك ، وبعد ذلك يأتى باقى إعداد الجيش وتموينه فى كل المحاط التى يعسكر فيها ، وتجهز الثغور بكل ما تحتاج من مؤن وذخائر بالسفن الداخلة فيها والخارجة منها ، وقد أقيمت الحصون العدة لتأمين السيادة المصرية فى « فلسطين » وبخاصة « بيت شان » (بيسان) الذى يقف حائلا عند سهل « جزيل » فى شرق الأردن ، وفى هذه البقعة نجد بقايا معبد من عهد « تحتمس الثالث ^(١) » و « أمنحتب الثالث » كما نجد حصونا فى « بلاد لبنان » وبخاصة عند مدخل « نهر الكلب » فى جنوبى « عرقه » الواقعة شمالى ميناء « سميرا » لحماية الطريق الرئيسية المتجهة نحو نهر « الأرنط » ونحو الشمال . والطريق الكبيرة المؤدية إلى « سوريا » التى تسير

(١) راجع : Ed. Meyer, "Gesch". II, 1. P. 136.

في سهل ساحل فلسطين ثم جبال «الكرمل» نحو «مجدو» ومن ثم إلى «عكا» على طريق الساحل محترقة بلاد «فينيقيا» حتى «نهر الكلب» ؛ وبعد ذلك ينحدر الوادي إما إلى «قادش» أو يسير إلى الشمال مباشرة إلى «حماة» أو «سنجار» ثم إلى «حلب» فإلى «نهر الفرات» . وميناء «سميرا» كانت في الوقت نفسه مقر الحاكم، كما كانت المكان المختار الذي تجمع فيه الحبوب لكل هذا الإقليم، ومن ثم كانت ترسل إلى مصر. (راجع Mercer, Ibid. No. 60, 22) وكان يقيم هنا كذلك قائد حصن البحر العظيم «ست آمون» وهو الذي كان ماهرا في معاملة أهل بلاد «الفنخو» المتوحشين، ولذلك كان قادرا على جمع الضرائب من أولئك المشاغبين العصاة، وهو الذي قد أرسله جلالة الفرعون قائدا على حصون الأراضي الأجنبية الشمالية. (راجع Speleers, "Recueil des Inscript. Egypt. Musées Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", P. 35.) غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن النقش المصري القديم لم يحدد لنا المواقع الجغرافية التي كان قائدا عليها كما هي العادة، ومثل هؤلاء القواد الذين كانوا يرسلون لحفظ الأمن في الأقاليم الأسبوية كان يطلق عليهم في خطابات «تل العمارنة» لقب «ريبصو»^(١) وكانوا تحت سيطرة أمراء المدن، وكان كل واحد منهم ينادى أولئك بلقب «أخ أو والد»^(٢) ويجانب هذا القائد نجد موظفين يحملون رتبا عالية كان عليهم أن يقوموا بالإشراف العام على الأقاليم الخاضعة لمصر في تلك الجهات .

وقد كان المشاة والخيالة الذين يأترون بإمرة هؤلاء القواد معظمهم من أهالي «كوش» المرتزقة، ومن أهالي «شردانا» من سكان جزر البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد لنا ذلك ما جاء في خطابات «تل العمارنة» إذ يروى لنا «ريبادي»

(١) راجع تسمية أخرى في الخطابات ٧ سطر ٧٧ و ٢٥٦ سطر ٩ ؛ ١٣١ سطر ٢١ ، ٢٣ .
(٢) فقد أرسل مثلا «ريبادي» إلى «أمنابا» الخطاب رقم ٧٣ مخاطبا إياه فيه «والدي» ورسالة من «أزيري» إلى «دودو» يخاطبه فيها قائلا : إلى «دودو» سيدي ووالدي (الخطاب رقم ١٥٨) ومن «أزيري» إلى «خاي» (خطاب رقم ١٦٦) يخاطبه فيه قائلا : إلى «خاي» أني .

صاحب «جيل» (بلوص) أنه عندما كان يرجو إرسال جنود لنجدته من النوبيين (راجع Mercer Ibid. 131, 13) يطالب بإرسال ثلثائة محارب وثلاثين عربية ومعهم مائة من «ماتاتي كاشي» أي من «المازوي» من أهالي «كوش» ؛ يضاف إلى هؤلاء الجنود الذين كان يرسلهم الفرعون ، والجنود الذين كان ينتخبهم أمراء المدن من القبائل السامية وبخاصة «الرماة» . على أن عدد أولئك الجنود المحاربين لم يكن عظيما كما تشعرنا بذلك حروب «تحتس الثالث» وتحدثنا به خطابات «تل العمارنة» .

وكانت طرق المواصلات لا تقتصر على الطريق البرية التي كانت تخترق صحراء «سينا» ، بل كانت هناك طريق بحرية ينقل بها الجنود في معظم الأحيان . وقد رأينا أن سفن الفينيقيين كانت تستعمل للتموين ، وكذلك لنقل أسلاب الحرب والجزية التي كانت ترسل إلى مصر ، وتحدثنا نقوش رئيس الخزانة «سن نفر» كيف أن الفرعون قد أرسله يجنود عن طريق البحر إلى «بلوص» لقطع أخشاب الأرز من «بلاد لبنان»^(١) (Sethe, Ber. Berl. Ak. (1906). P. 35 ff. & Urk. IV, P.532.) وكانت هذه الأخشاب لازمة لعمل عمد شامخة الطول لترفع عليها أعلام الإله «آمون» ؛ وقد كانت مثل هذه البعث ترسل من وقت لآخر بدون انقطاع . ولا نزاع في أن تجارة بلاد «فينيقيا» البحرية ، وصناعاتها قد نمت وترعرعت في ظل الحكم الفرعوني في خلال تلك الفترة التي بلغت فيها الدولة المصرية شأوا عظيما من السيطرة على تلك الجهات . ولدينا من المناظر التي بقيت على جدران مقابر طيبة القوم ما يشير إلى ذلك . إذ نشاهد على جدران مقبرة «نب آمون» عمدة طيبة منظر أسطول فينيقي تجاري قد وصل إلى مصر وأُنزلت منه البضائع وقد تسلمها الموظفون المصريون وفحصوها ، وتدل وجوه أولئك التجار وملابسهم على أنهم كانوا من الفينيقيين إذ كانوا ذوي شعور ولحي طويلة ، كما كانوا يلبسون فوق دثارهم عباءة مائنة كان يرتديها عظماء «سوريا» .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٥٤٦ .

أما البحارة فكانت شعورهم قصيرة ولا يرتدون إلا لباسا يغطي وسطهم (راجع الصورة رقم ١٠ وكذلك J. E. A. Vol. 33. P. 40-46) والبضائع التي كانوا يحملونها إلى مصر من البلاد الفينيقية وبخاصة من « جبيل » و « صور » كانت تحتوى على غلال ؛ وفي زمن الشدة مثل فترات الاضطرابات التي حدثت في السنين الأخيرة جدا من عهد « أمنحتب الثالث » كان يفرض على الأمراء والعظماء أن يقدموا أولادهم وبناتهم ثمنا لخروجهم على الفرعون وعصيانهم ، وقد ذكرنا من قبل أن جزيرة « قبرص »^(١) التي كانت تعد مملكة مستقلة كانت تقدم العطايا والهدايا « لتحتمس الثالث » . ويفهم من رسائل تل العمارنة أن هذه الجزيرة كانت مملكة ذات سيادة مستقلة ليست خاضعة لمصر بحال فقد كان ملكها يكتب ملك مصر على قدم المساواة فيخطبه بمثابة أخ له ، وإذا أرسل إليه مقدارا عظيما من النحاس الذي كان يعد من أعظم حاصلات بلاده انتظر في مقابل ذلك أن يرسل إليه ملك مصر الفضة والزيت ونلاحظ في هذه المكاتبات التي كانت تدور بين الملكين أن ملك « قبرص » كان يعترف ببعض السيادة لفرعون مصر ، وذلك لأنه لم يقرن اسمه باسم الفرعون في هذه الرسائل (راجع Ibid. II. P. 872) وكذلك لم تكن العلاقة بين مصر وأمير « كفتيو » صاحب « كريت » علاقة سيد ومسود كما توحى بذلك كتابات الفرعون ونقوشه ، إذ يقول لنا في قصيدته المشهورة :
« لقد حضرت لأجعلك تتمكن من أن تظا الأرض الغربية ، « فكفتيو » و « آسى » تحت سلطانك » ، وكذلك يقول : « لقد حضرت (أى الإله) « آمون » لأمكنك من أن تظا أولئك الذين في الجزر » . وكذلك نجد تفسيرات مماثلة لما ذكرنا جاءت في نقوش القائد « تحوتى »^(٢) حيث يقول : « إن رغبة الفرعون قد نفذت في الأرض

(١) أصبح من المعروف الآن أن « آلاشيا » (بالمصرية = أرسا) هى جزيرة قبرص كما يثبت ذلك ما جاء في قصصه ونأمون ووثائق بوغازكوى ، وكانت هذه الجزيرة منذ عهد تحتمس الثالث تحت سلطان مصر غير أنه في عهد إخناتون شعرت بنصيب وافر من الاستقلال حتى كان يخاطب ملكها الفرعون بلفظة « أنخى » (راجع Mercer, Ibid. Vol. II, P. 82, 7)

(٢) راجع ما دوناه عن هذا القائد في كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١١٠

الأجنبية كلها، وفي جزر البحر العظيم^(١)؛ (راجع Urk. IV. P. 999) بل إن الواقع يدل على أنها كانت علاقة مودة ومبادلة الهدايا بين الحكومات كما كانت الحال بين مصر وقبرص، و«متنى»، و«بابل» و«آشور» وخيتا، ونشاهد بعوث هذه الممالك مصورة على جدران مقابر عظماء القوم مرات عدة في ذلك العهد، وهم يقدمون خضوعهم مقبلين الأرض كأنهم من رعايا الفرعون فعلا. كما تشهد ذلك في نقوش مقبرة «سمنوت» ومقبرة الوزير «وسر» و«رخ مى رع» وغيرهم. ونقوش «تحتمس الثالث» تكرر لنا الحديث عن انتصاراته على بلاد الجنوب وتقدم لنا قوائم مطولة عن البلاد التي أخضعها من أهالي الجنوب وأهل الكوش وهم الذين أوقع بهم في مذبحه عظيمة لا يستطيع حصر عدد قتلها، كما ساق رعاياها أسرى إلى «طيبة» وملاً بهم بيت أعمال الإله «آمون» والده، وعلى رأس هذه الأقوام المقهورة نجد أهل «كوش» ثم يأتي بعد ذلك أسماء مقاطعات عدة سردت على غير نظام، نعرف من بينها «واوات» و«المازوى» و«بلاد بنت» و«قبيلة» إرم» التي ذكرت في حملة «حتشبسوت» إلى بلاد «بنت» وهي التي جىء منها بابن أميرها مع الجزية في العام الرابع والثلاثين من حروب «تحتمس»، كما كان يؤتى بأولاد أمراء «سوريا». وليس في مقدورنا على حسب ما وصلنا عن هذه الأقطار السودانية أن نحدد بالضبط موقع هذه الأقاليم التي ذكرها لنا «تحتمس الثالث» في قوائمه، والتي ذكرها الفراعنة الذين جاءوا من بعده. على أن الرسوم التي نجدها على جدران مقابر الأمراء تظهر لنا أن أهالي هذه البلاد ينتمون إلى سلالتين مختلفتين تمام الاختلاف، وهما سلالة من السود بدون لحية وذوى شعر قصير ملبد محلى بريشة كما كانوا يتحلون بالأقراط؛ أما السلالة الثانية فهي من الجنس الحامى الأسمر اللون الطويل واللحية المدببة. وهم لا يميلون إلى شن الحروب الطويلة^(٢).

(١) وقد ذكر «آمون» سكان بلاد بنت باسم «خابستيو» أرض الإله ويحتمل أن هذا الاسم هو اسمهم المشتق من بلادهم وذلك على الرغم من اختلافه عن اسم «حبش» الذي أطلق فيما بعد على الأراضي المرتفعة من بلاد الحبشة (راجع Urk. IV. P. 345. L. 14). وقد تكلم الأستاذ ليمان عن أصل هذه التسمية (راجع Aksum Expedition IV, 7) وقال إن هؤلاء القوم كانوا في الأصل في بلاد العرب.

والواقع أنهم كانوا يعيشون على السلب والنهب في هضاب الصحراء التي تمتد على طول البحر الأحمر ، وهى تلك البقاع الغنية بمناجم الذهب العظيمة ، والعامرة بقوافل التجارة التى كانت تخرقها ، فكانوا يقومون بالهجوم كلما دعا الأمر للمحاربة دفاعا عن حريتهم أو طلبا للغنائم والأسلاب . وقد كانت هذه الغارات المتتالية سببا فى إرسال الفرعون الحملات التأديبية لهؤلاء البدو العصاة وأسر الجنود منهم والعبيد، على أن الفرعون «تحتمس الثالث» نفسه لم يكد يشترك على ما نعلم فى هذا الحروب اللهم إلا فى العام الخمسين من حكمه ، وذلك عند ما نسمع أنه أمر بتطهير القناة التى عند الشلال الأول ، وهى التى كان قد حفرها جده «تحتمس الأول» عند غزوه لبلاد النوبة و «كوش» ، وقد عاد أسطوله فيها بعد انتهاء حروبه كما فصلنا القول فى ذلك من قبل . ويتقسم وادى النيل نفسه حتى «نباتا» و «الشلال الرابع» منطقتين وهما منطقة «واوات» التى يطلق عليها بلاد النوبة السفلية وتنتهى عند الشلال الثانى ، والمنطقة الثانية هى بلاد «كوش» وتشمل وادى «دنقلة» حتى «نباتا» وكانت كلتاهما فى قبضة الدولة المصرية يسيطر عليهما ابن الملك صاحب «كوش» وقد كان محصول الجزية منظما كما فى «سوريا» ، فمنها ترد على الدولة المحاصيل التى نراها ممثلة على جدران مقابر عظماء القوم ، ونخص بالذكر منها مقبرة «حوى» التى فصلنا القول فيها عند الكلام على صاحبها فى عهد الفرعون «نوت عنخ آمون» ؛ فقد كان يرد من هذه الأقاليم العبيد والثيران ذات القرون القوية التى كانت تستعمل مقابض لآلات مثبتة فى خشب ، وكذلك الذهب فى هيئة حلقات وقضب ، وخشب الأبنوس وسن الفيل وجلود الفهود ، وبيض النعام وريش النعام ، هذا الى فهود حية وزراف وقردة ، وكلاب صيد ، فضلا عن منتجاتهم المحلية ، كالتى ترد الى مصر حتى الآن ، وهى صناعة قد نالت شيئا من الرقى مثل الدروع والسلات المجدولة والعصى المطعمة بالذهب ، والمزينة بصور أزهار شجيرات . ونشاهد نساء وأطفالا يصحبون البعوث وكذلك الأطفال الصغار

يحملن أمهاتهن الزنوجيات على ظهورهن في سلات ، وكذلك نشاهد معهم عربات
نخمة تجرها ثيران ويرى بينهم رئيسهم وهو قاتح اللون يسير مستظلا من حرارة
الشمس بمظلة . ولدينا نقش على صخور « ابريم » في بلاد النوبة السفلية يقص
علينا كيف أن هذه الجزية كان يحملها إلى بلاد مصر ما لا يقل عن ألفين وستمائة
وسبعة وستين رجلا . (راجع A. J. Breasted, "The Temples of Lower Nubia". S. L. XXIII. (1906) P. 38 ff.)
ويجانب ذلك نجد أن استعمار بلاد النوبة كان يسير
بخطى واسعة ، وكان هذا مشفوعا في كل ناحية ببناء المعابد التي كانت تقام بجانبها
مدن يديرشونها حكام أو قواد معاقل ، وقد رأينا أن «تحتمس الثالث» في باكورة
حكمه عندما كانت «حتشبسوت» وصية عليه قد أقام معبد الإله المحلي في «سمنه» ،
وهو الذي كان قد أقامه «سنوسرت الثالث» ، وكذلك أقام معبد الإله «خنوم»
في «قمة» وفي «بوهن» (وادي حلفا) أقام معبدا للإله «حور» ، وفيما بعد أقام
في العام الواحد والخمسين من حكمه مقصورة في صخور «الليثريا» بالقرب من
«أبريم» وكذلك المعبد الذي أقامه في «أمدا» للإله «حور اختي» وأتمه ابنه
«أمنحتب الثاني» وفي إقليم الإثني عشر ميلا الواقع جنوبى الشلال الأول أقام
«أمنحتب الثاني» معبدا في «كلبشه» أما في بلاد النوبة العليا فكانت المباني
قليلة ، ففي جزيرة «ساي» الواقعة في نقطة الوسط بين الشلال الثاني والشلال
الثالث أقام ابن الملك صاحب «كوش» وهو الذي كان يدير بوجه خاص مباني
الفرعون «تحتمس الثالث» حصنا ومعبدا ، وجنوب ذلك أقام الفرعون في جبل
«دوش» بالقرب من «صولب» مقصورة في الصخر . وبعد ذلك أقام «أمنحتب
الثالث» معبدا نفما في «صولب» نفسها ، وكان يعبد فيه بوصفه إله الجهة ، كما
كانت تعبد زوجه «تي» في معبد «سدنجا» الواقع شمالى «صولب» ولكن أهم
مقر للصريين في بلاد السودان هو «نباتا» التي تعد الحدود الجنوبية للدولة حيث
أقيم معبد عظيم للإله «آمون» في الجبل المقدس «بركل» وهي في الواقع تعد

« طيبة » الثانية ، ولم يبق من المباني التي أقامها المصريون شيئاً ، ويرجع السبب في ذلك إلى التغيرات التي حدثت في المدينة ، والمباني الحديثة التي أنشأها « الأثيوبيون » .

أما عن بلاد « لوبيا » فليس لدينا ما يستحق للذكر ، إذ لم يرد ذكر الجزية التي تأتي من بلاد « تحنو » (لوبيا) إلا في نقوش عثر عليها في « وادي حلفا » يرجع تاريخها إلى السنة الثالثة والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » ، (راجع Urk. IV, P. 809.) كما ذكر خضوعها للدولة المصرية في قصيدة « تحتمس الثالث » الشهيرة حيث ذكرت بلاد « تحنو » ، وكذلك جاء ذكر « التحنو » في قائمة أقوام الجنوب رقم ٨٨ ، أما الواحات فكان يحكمها حاكم (حاتى عا) (راجع. Urk. IV, P. 57, 963.) وأما حراجها فقد جاء ذكره في نقوش « بوام رع » (Holscher, "Libyer und Aegypter", P. 59 ; Sethe, Urk. IV, P. 523.) .

ويحدثنا الأستاذ « أحمد فخري » عن الواحات في كتابه ("Bahria Oasis", P.14.) فيقول : « يرجع أول نظام قام في الواحات إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كانت مقسمة مجموعتين ، وكان لها حاكم أو حاكمان أحياناً تحت إدارة حاكم العراة . ولكنها منذ الأسرة التاسعة عشرة قد أصبح لها حاكم خاص بها . وفي مقبرة « بوام رع » يوجد منظر هام نشاهد فيه الممالك المختلفة آتية بجزيتها ، ويمكن الإنسان أن يمر على الجدار الذي رسم عليه المنظر السوريين والبدو القاطنين في وادي « طليات » وفي الصف الثالث نشاهد سكان الواحات ، وقد مثلهم اثنان في زى المصريين ، وهما يشاهدان راكعين على الأرض أمام الكاتب الذي يسجل الجزية ، وقد نقش فوقهما : « رؤساء سكان الواحات الجنوبية والشمالية وكتب أمامها » إحصاء جزية الواحات » ، وقد رسم ثلاثة من السكان جاءوا مع هذين الرئيسين ، وقد وصفهما المستر « ديفز » كما يأتي : « إن السكان الأصليين قد مثلوا في هيئة فلاحين بشعر مجعد وبدون لحية ومحياهم مصرى ، ويرتدون قصبانا قصاراً ، ويحملون

إناء نحر معلقا في قضيب وكيسين أو لفتين من النسيج ، وسلات على شكل خلية النحل ، وهى ولا تزال من مميزات صناعات القوم حتى الآن“ وفي مقبرة «رخ مى رع» يوجد منظر آخر للجزية من الواحات نشاهد فيه بعض الأهالى بشعرهم المجعد ، يحضرون أوانى من الخمر ذات حجم عظيم محمولة فى شبكة معلقة فى قضيب . وكذلك يحضرون حصيرا ملونا وجلد حيوان صغير (ثعلب ؟) ؛ ويمكن تمييز قميصين قصيرين أحدهما مخطط وليس بمصرى فى أسلوبه ، ولكن الآخر يشبه القميص القصير الذى يلبسه كثير من مصريى هذا العهد . وكان حاكم العرابة هو المشرف على الواحات (راجع Gayet, Stele No.c, 26. Pl. XIX; Brugsch “Thesaurus” P. 1479, 856.) وقد نالت الواحات عناية عظيمة من جانب « تحتمس الثالث » كما يفهم مما سبق . وخلافا لمناظر سكان الواحات وحاكمها فإننا نقرأ كذلك عن حكام هذه الصحراء أى الصحراء الواقعة فى غرب المدينة (« طيبة ») . (راجع مقبرة ددى Ddy Thebes No. 200. XVII, Dyn.) . ويعتقد « جوتييه » (راجع Gauthier, “Dict. Geog.” IV, P. 163) أن المقصود هنا هى صحراء « لوبيا » وواحاتها (راجع كذلك Urk. IV, P. 616.) فى عهد « تحتمس الثالث » حيث يذكر لنا أرض اليمين .

وبلاد « بنت » وطرائف حاصلاتها ذكر منها البخور والمر والذهب والأبنوس وسن الفيل وجلود الفهود ، وبيض النعام وحيوانات نادرة من كل نوع . ومع ذلك فإن هذه البلاد لم تكن إقليما تابعا للدولة المصرية ، بل كانت مثل « قبرص » تربطها بمصر روابط التجارة وحدها ، فقد ذكرت لنا توارينخ « تحتمس الثالث » مع الجزية التى كانت ترد بنظام من « سوريا » و « واوات » وبلاد « كوش » حملات كانت تقوم يجلب غلات بلاد « بنت » ولم يأت ذكر هذه الحملات إلا فى سنتى ثلاث وثلاثين وثمان وثلاثين . وقد أرسل أهل « جنبتو » أى جنوب بلاد العرب وهى فى جهات بلاد « بنت » إلى بلاط الفرعون « تحتمس الثالث » هدية من البخور فى السنة الواحدة والثلاثين من حكمه (راجع Urk IV P. 695) .

ويلاحظ أن بلاد « بنت » لم تذكر بعد في حكم الفراعنة الذين جاءوا بعدهم اللهم إلا بمناسبة بعوث كانت تأتي منها مجملات بالعطايا . وهذه وجدت مصورة على مقابر عظماء القوم ، وكانت أرض الإله هذه (بنت) عند المصريين محاطة بسياج من الأسرار والرغبة والغموض لبعدها ولما قص عنها من أساطير وخرافات . وغنى عن البيان أن مناجم شبه جزيرة « سينا » قد استؤنف العمل فيها على قدم وساق كما ذكرنا من قبل . وفي شرق مصر بالقرب من « سيلة (تل أبو صيفه الحالى) » كان يوجد في هذا العهد غالباً واحة مزرعة تنمو فيها الأشجار البانعة ، وتزرع فيها الحدائق الغناء والكروم وهى « طريق حور » التى كان يتسلم جزيتها « بوام رع » من رئيس البستان بمثابة دخل للإله « آمون » (راجع Urk. IV. P. 523) وقد كان والد « سن نفر » موظفاً فيها (راجع Ibid. P. 523) ، ويحمل لقب « المشرف » على البيت .

ولا نزاع فى أن الدولة التى وهبها الإله « آمون » ابنه « تحتمس الثالث » وأخلافه من بعده تعد بحق أول امبراطورية عالمية يستحق أن يطلق عليها هذا الاسم إذ قد استمرت على الرغم مما مر عليها من تقلبات عدة ما يربى على قرنين ونصف من الزمان ثابتة مشتملة على أقاليم عدة مختلفة ، وقد هضمت فى جوفها ثقافات عدة ، ومن ثم نجد أن هذه الثقافات قد أثر بعضها حقيقة فى بعضها ، وقد كانت تختلف كثيراً عن ثقافة الدولتين المصرية والبابلية فى عهديهما القديم ، وهما اللتان يتصف كل منهما بصفات مماثلة من حيث امتداد نفوذها وشدة التمسك بالمبادئ الأصلية والنظم القويمة مما هيا لها البقاء مدة طويلة كما يحدثنا عن ذلك تاريخ كل منهما ، وعلى العكس نجد أن كلا من هاتين الأمتين بما هيين لها من خلق ثقافة حديثة كانت تسيطر على بيئات عظيمة ، وبذلك أمكنها أن تصل إمبراطوريتها إلى أعلى قمة المجد . وكذلك نجد من الوجهة الطبيعية أن الامبراطورية المصرية كانت فريدة فى تأليفها مما لم يوجد له مثيل فى تاريخ العالم كله فقد كانت تمتد حتى ما فوق خط

عرض ثمانية عشر من « نباتا » في المنطقة الاستوائية الى ما فوق شمالي « سوريا » غير أن هذا الامتداد كاد يكون قاصرا على الجنوب والشمال ، وذلك لأن الأقطار الصحراوية التي تقع على كلا جانبي النيل إذا استثنينا مناجم الذهب الواقعة في بلاد النوبة ليس لها أية فائدة تذكر بالنسبة لجمعها ، وحتى في أرض الدلتا الخصبية وبلاد « سوريا » نجد أن الأراضي المزروعة لا تربي على عشرة أو اثني عشر ميلا في الاتساع في أية بقعة من بقاعهما . وكذلك يلاحظ أن اتساع رقعة الأرض المزروعة على ضفتي الوادي في القطر المصري لا يزيد متوسطها عن ميلين ، هذا فضلا عن أنها تنقص جنوبي « طيبة » حتى يصبح الشريط الضيق الصالح للزراعة في بلاد النوبة ضئيلا جدا . وتقع مدينة « طيبة » عاصمة الامبراطورية وهي التي كانت تخرج منها الرسائل إلى أنحاء الدولة على وجه التقريب في نقطة وسط في هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ، أما الطريق الحربي الذي يتبدى أولا في القطر المصري من « طيبة » حتى « منف » ثم منها حتى نقطة الحدود في « سيلة » أي من « تل أبو صيفه » الحالية الواقعة بين بحيرتي المتزلة والبلح مخترقة صحراء شبه جزيرة « سينا » إلى « غزة » ثم تسير بمحاذاة الشاطئ ثم تخترق وادي « نهر الكلب » إلى شمالي « سوريا » فيبلغ طولها من « طيبة » حتى بلدة « نى » أو حتى نهر الفرات حوالي ستمائة وألف من الكيلومترات ^(١) ، ويجب أن يبرز الإنسان هذه المسافات حتى يمكنه أن يفهم بحق مقدار ما أبداه الفراعنة من النشاط ، ومقدار ما وضعوا من نظم لجعل هذه الامبراطورية متماسكة الأطراف بتأمين طرق مواصلات جنودها ووضع قواعد وأنظمة لتسهيل وصول جزيئها وبعوثها ، ولسير أساليب الحكم والإدارة فيها ،

(١) ومن « طيبة » حتى القاهرة بالسكة الحديدية ٧٦٤ كيلومترا ومن القاهرة حتى القنطرة نحو ١٨٠ كيلومترا ، ومن القنطرة حتى غزة ٢٤٠ كيلومترا ، ومنها حتى حلب ٧٠٠ كيلومترا ومن « طيبة » حتى « أسوان » ٢١٣ كيلومترا ومن « أسوان » حتى « ممته » ٤٢٠ كيلومترا ومن « ممته » حتى « نباتا » على النيل بالقرب من الشلال الثالث ٨٠٠ كيلومتر .

ومراقبتها مراقبة دقيقة عن كذب . ولدينا صورة ناطقة تحدثنا عن تجمع السلطة الادارية في البلاد رسمت على جدران مقبرة مدير مخازن الغلال المسمى « خع ام حات » الذى عاش في عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » وقد تحدثنا عنه فيما سبق . إذ في مناسبة العيد « سد » أى العيد الثلاثينى وهو الذى أقيم في السنة الثلاثين من عهد هذا الفرعون ، وصل إلى الفرعون الحساب الختامى عن محصول الدخل لوادى النيل في هذا العام ، على يد مدير مخازن الفرعون ، وموظفى الجنوب والشمال من بلاد « كوش » حتى حدود « نهرين » وقد كوفئ الموظفون لأنهم قد زادوا في المحاصيل (أى الجزية) في حين أنه هو نفسه أنعم عليه بالذهب ، وقد بلغ مقدار المجموع الكلى لحصاد هذا العام ٣٠٠ و ٣٣٣ و ٣٣ بوشل من الحبوب (راجع L. D. III, Pls. 76, 77; Loret, "Mem. Miss. Franc" I. P. 120.) .

وكان يحيط بهذه الدولة العظيمة في أفريقيا قبائل البدو الذين يعيشون في السهول والصحارى من اللويين والسود وغيرهم من القبائل الحامية هذا إلى بدو شبه جزيرة « سينا » و سهول بلاد العرب و « سوريا » . وهؤلاء يربطهم بالفرعون خيط رفيع واهن من الصداقة ، إذ كان من الصعب كبح جماحهم ومع ذلك نجد أنهم كانوا يقدمون إليه العبيد والإماء بكثرة ، وكذلك كانوا يستخدمون في الجيش المصرى جنودا مرتزقة .

وكان البحر هو الرابط بين مصر والعالم الإيحي وثقافته ، أما في « آسيا » فكانت الدولة المصرية على اتصال مباشر بثقافات البلاد المحيطة بها وهى « بابل » و آشور و بلاد « متنى » و مملكة « خيتا » ، ولأن هذه الدول كانت تشعر بأن قيام السيادة المصرية في « سوريا » يعدّ جرحا داميا لا يتحمل وكسرا لا يجبر بالنسبة لضياح نفوذ بلادهم وقوة سلطان مصر فيها . وعندما كان أمير بلاد « متنى » يعمل مع الأمم التى كانت تقاوم مصر كان في مقدور ملوك الكاسيين أصحاب « كاردونياش » أن يظهروا نشاطهم في هذه البقعة ، إذ كانوا يدعون إرث السيادة على بلاد « سوريا » ،

على أنه لو اتحدت كل هذه الدول المجاورة يدا واحدة على مصر فربما كان من الممكن وقف تقدم الفرعون في هذه الأصقاع ، غير أن مثل هذا الاتحاد كان بعيد المنال لما بين هذه الدول من المنافسات ، ولذلك فإن تفرقهم قد جعل مقاومة أى واحدة منها على انفراد قصير الأمد لقلة ما لديها من الرجال والعتاد .

ثروة مصر وتأثيرها في الممالك المجاورة : وفي الحق لم تكن سيادة مصر ترتكز على نظامها الحربى وحسب ، بل كان سندها الأكبر يعتمد على مواردها المسادية التى كانت تحت تصرف مليكها ، وبخاصة ما نشأ فيها من مصانع ، وما قام فيها من أعمال فنية ، وصناعات دقيقة ، وأكثر من كل هذا ما كان يجلب للبلاذ من المعادن الثمينة التى كان لا ينضب معينها وبخاصة من الذهب الذى كان يجلب إليها من مناجم الذهب فى بلاد « النوبة » بمثابة جزية سنوية ، كما كان يتدفق عليها من بلاد « بنت » ، ولم يكن فى مقدور أية مملكة من الممالك البعيدة المجاورة لامبراطوريتها أن تجاريها فى هذا المضمار ، وبذلك استعملت مصر هذا المعدن البراق وسيلة لإخضاع كل الأمم التى تحيط بها لشدة حاجتهم إليه ، وعدم وجوده عندهم بهذه الكثرة المنقطعة النظير ، وعلى أية حال فقد أرسل ملوك « بابل » و « آشور » و « قبرص » ومملكة « خيتا » العظيمة ومملكة « اراپاچا » (Arrapacha) المرة تلو المرة هدايا ثمينة للفرعون « تحتمس » وقد عدها هذا الفرعون من جانبه بمثابة جزية مفروضة على تلك الأمم ، غير أنه مما لا شك فيه أن الفرعون كان يرسل فى مقابلها هدايا أخرى كما نعلم ذلك من خطابات « تل العمارنة » وبخاصة الذهب . وكانت العلاقات السياسية المنظمة التى نشأت بين مصر وهذه البلاد الآسيوية تسير على ما يرام كما ذكرنا ، وإن كانت أحيانا تنقطع لمدة قصيرة فى أحوال نادرة ، وكانت تدون باللغة البابلية والخط البابلى حتى مع آسيا ولم نجد إلا حالات فردية كتب فيها كل من ملك « متنى » وملك « خيتا » بلغته الأصلية . وكذلك كان على الفرعون أن يستعمل هذه اللغات الأجنبية فى مكاتباته ، ولذلك أوجد له كتابا بلغة غير اللغة المصرية ، وبذلك أصبح الاتصال بينه وبين الثقافة الشرقية القديمة وثيق العرى متين الأساس (راجع J. E. A. Vol. XXIII, P. 190 ff.) .

الحياة الدينية

الثقافة والدين : لقد ظلت التقاليد المصرية القديمة في البلاد سائرة في طريقها مدة تربي على ألف ونصف ألف من السنين كانت في خلالها تخطو نحو الكمال ؛ وهذه التقاليد كانت تسيطر على الحياة المصرية كلها ، ووجهت نظر المصرى إلى الحياة والأوضاع التى يفكر على هداها ، وغرست فيه الأحاسيس التى يتدفع متأثرا بها ، كما كان للبناء الحديد الذى بنيت على أسسه الدولة الحديثة أثره فى قلب نظام الحكومة ، فقد كان كل ما يسعى إليه هو إقامة أنظمة سياسية وحربية تغاير النظم القديمة ، وكان القصد منها إعادة ما كان لمصر من مجد تليد فى الأزمان السالفة مع السير مع الحضارة فى نموها وتقدمها ، وذلك بتنفيذ أوامر الآلهة الذين امتدت بقوتهم أملاك الدولة . وقد بقيت مكانة الفرعون وألقابه لم يصبها أى تغيير كما حافظت الحكومة على ألقاب الموظفين القديمة بقدر ما سمحت به الأحوال ، وقد بقى كذلك تقسيم البلاد الاسمى قسمين : الوجه القبلى والوجه البحرى ، وإن أصبح لا يتفق مع الواقع ، وقد صار الإله « آمون » إله العاصمة الجديدة ، ورأس جماعة الآلهة فى العالم المصرى وبذلك أخذ مكانة الإله « رع » الذى كان يعد حاكم العالم ، وحامى الدولة ، ووالد الملك الذى أنجبه من صلبه ، مما زاد فى سلطانه وعظمته ورفعته عن الآلهة الآخرين . على أن كل ذلك ليس إلا نتيجة للتقدم الدينى الذى بدأ منذ الدولة الوسطى فى اللاهوت المصرى ، وما أحاط به من أسرار وغموض على يد الكهنة مما جعلهم يصلون إلى مكانة يحسدون عليها فى البلاد كلها .

وقد وقع على عاتق أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة القيام بإنجاز أعمال كثيرة وإعادة النظام إلى ربوعه بعد الخراب الذى حاق بالبلاد فى عهد الهكسوس ، فكان عليهم أن يعيدوا إقامة المعابد والشعائر الدينية الخاصة بها ، وما يتطلبه تجديد لها من أموال طائلة ، فما بقى لنا من قطع فنية من نحت هذا العصر وهو قليل — كانت تشبه القطع المنحوتة فى الدولة الوسطى ، وكذلك الكتابات التى وصلت

إلينا كانت متمسكة أشد التمسك بالأسلوب الكلاسيكى الذى ساد عهد الدولة الوسطى ؛ ولكن ما لبثت الأحوال أن تغيرت رويدا رويدا وظهرت أفكار جديدة وأشكال مبتكرة فى عالم الوجود . وقد كان أول من خرج على التقاليد القديمة فى بناء قبره هو « أمنحتب الأول » ثم « تحتمس الأول » الذى يعد قبره وما اتخذ له من عدة خروج صريحا على عادات أجداده الفراعنة فى الدفن . فقد أقام قبره كما ذكرنا فى واجهة صخرة فى الوادى الصحراوى المعروف الآن بوادى الملوك ، وبذلك حتم عليه أن يفصل معبد الجنازى عن القبر الذى يشوى فيه جسمه .

المقابر الملكية وتطورها : وقد كان لهذا التجديد فى إقامة المدفن الملكى أثر بالغ فى فن البناء المصرى فقد بطلت إقامة هرم من اللبن أمام قبر الملك أو قبور عظماء القوم كما كانت الحال فى البلاد حتى عهد « أمنحتب الأول » ؛ ويدل على ذلك أن أقدم قبر كشف عنه حتى الآن فى « طيبة » لكبير من علية القوم يرجع تاريخه الى عهد « تحتمس الأول » والظاهر أن نحت قبور الفراعنة ونحت قبور الموظفين فى الصخر قد ظهرا فى وقت واحد . والواقع أن المصرى عندما يكون فكرة وينفذها كان من الصعب عليه جدًا أن يتخلى عنها ، وإن تقادم عليها العهد حقيقة وأصبحت فكرة بالية فإنه كان لا يزال يتعلق بأهدائها بصورة ما . ولذلك نجد أن القوم قد اتخذوا بدلا من الهرم الذى كان يقام من اللبن أمام المقبرة فى عهد الأسرة السابعة عشرة هرما صغيرا من الحجر يرسمون على واجهاته الأربع المتوفى وهو يتعبد لإله الشمس عند شروقها وعند الغروب .

وعندما أخذ أمراء الإقطاع يستقلون بالحكم فى مقاطعاتهم فى أواخر الأسرة الخامسة بدأ استعمال المقابر المنحوتة فى الصخر ، فكان العظماء ينحتون قبورا يحتوى كل منها على ردهة أمامية ومدخل عمودى طويل يؤدى إلى حجرة الدفن ، وقد كان يضاف إلى ذلك حجرات أخرى . أما فى قبور الملوك فكان هذا التصميم نفسه يتقدم ويتسع من عهد إلى عهد بدرجة عظيمة فتضاف إليه قاعات عذة وحجرات

جانبية ، وقد كان يؤدى إلى حجرة الدفن وما يتبعها من الحجرات الأخرى سلم يمتد في أعماق الصخر إلى مسافات بعيدة ، وقد كان يوضع كل التصميم بجميع تفاصيله ، ويدل موقع المقبرة وطريقة تنفيذ بنائها على كيفية السيطرة الفنية التي نشاهدها في مقبرة « تحتمس الأول » حتى مقبرتي « أمنحتب الثانى » والثالث ، كما نشاهد التقدم الدائم في تحسينها وتفخيمها ، بفردان المقبرة وجدران التابوت الضخم الذى كان يصنع وقتئذ من حجر بلاد النوبة الرملى ، ثم استبدل به في عهد الأسرة التاسعة عشرة جرانيت « أسوان » — مزينة بالكتابات والصور ، وبمناظر أخرى عدة من حياة الفرعون في مملكة « أوزير » ومملكة « رع » ويتبع ذلك تعاويز لسياحة إله الشمس في سفينتي الليل والنهار ، وما يتبعهما من عقبات وصعاب ، ومحاربة الثعبان « أبو فيس » .

تطور مقابر الأشراف : ولا نرى شيئا من هذه المناظر في مقابر عليّة القوم بل كانت رسوم جدرانها خاصة بمناظر الحياة الدنيا ، وما كان يتمتع به المتوفى مدة مكثه على الأرض ، فنشاهده يقيم الولائم لأسرته وأقاربه ، ويشرف على حقوله ومحصولاتها كما نراه يذهب للصيد والقنص في عربته أو مع أفراد أسرته في البطاح والبرك ، ويجلس في حديقته ، ويتمتع بأزهارها الفيحاء وينعم بهوائها العليل ، وكذلك نشاهده يقوم أحيانا بفحص الجزية الواردة للفرعون من البلاد الأجنبية ، وبخاصة من سوريا وبلاد الكوش ، ثم غيرها من البلدان التي كانت تحت سلطان الفرعون أو مصادقة له ، هذا وقد رسم بعض أصحاب هذه القبور ما كان يشرف عليه من الحرف والصناعات وغير ذلك مما له علاقة بعمله والحياة الاجتماعية ، ولذلك نجد في رسوم هذه المقابر سجلا لحياة الشعب كما فصلنا القول في ذلك . وهذه المناظر على ما يظهر كان معظمها تقليدا فقد نقل بعضها عن مقابر الدولة القديمة ، وبعضها عن مقابر الدولة الوسطى مع ظهور بعض تجديد في عهد الدولة الحديثة ، وبخاصة مناظر تجنيد الجيوش واستقبال وفود البلاد الأجنبية ، وإرسال البعث إلى الأقطار

النائية والعودة منها ، وكيفية إقامة المباني الضخمة والاحتفال بتنصيب كبار الموظفين ، وظهور صور الملوك وما يلقونه من تعليمات على كبار موظفيهم ، وغير ذلك من مظاهر الحياة الجديدة التي كانت تستلزمها العلاقات الدولية الحديثة . وهذه المناظر التي ذكرناها ليس لها مكان في قبور الملوك ، ومكانها في الواقع المعابد الجنائزية التي أقامها هؤلاء الفراعنة لأنفسهم عند سفح الجبل بالقرب من شاطئ النهر ، ومع ذلك فإن هذه المعابد قد تغيرت صورها الأصلية عما كانت عليه ، فقد أصبحت عبادة « آمون » والإلهة « حتحور » حامية الجبانة متصلة بالشعائر الفرعونية ، وكذلك ظل الفرعون الذي رفع بعد الموت واتحد مع قرص الشمس (كما تقول الصيغ الرسمية) عائشا هنا وعلى اتصال وثيق بالآلهة التي أوجدته وأرضعته بلبانها . ومما يؤسف له جد الأسف أن كل معابد الأسرة الثامنة عشرة قد اختفت من الوجود تقريبا اللهم إلا معبد « حتشبسوت » ويرجع السبب في بقائه إلى بعده عن الأراضي الزراعية وقربه من سفح الجبل ، ومع ذلك فإنه بدوره قد تهدم ودفن مؤقتا ، وكان قد اتخذ الأقباط ديرا لهم وعشوا كثيرا بنقوشه ، ولكن أساسه ظل حافظا لكيانه مما سهل إعادة بنائه من جديد في الأزمان الحديثة . وهذا المعبد هو الذي ابتدع تصميمه مهندس البناء « سموت » كما فصلنا القول في ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٣٢٠ الخ) .

المعابد في عهد الأسرة الثامنة عشرة : لقد كانت إقامة معابد الآلهة في الأسرة الثامنة عشرة من أهم الأمور التي شغلت بال الفراعنة فانهم وجهوا إليها عنايتهم التامة وبخاصة معبد الإله « آمون » الذي كان يعد الإله الأعظم للدولة في طول البلاد وعرضها . والواقع أن اهتمام الفراعنة ببناء المعابد لهذا الإله والزيادة فيها مثل معبد الكرنك والاقصر و « طيبة » الغربية كان شغلهم الشاغل . فقد كان الفرعون أحيانا يفضل إقامة معبد للإله « آمون » أو غيره من الآلهة على إقامة معبد جنائزي لنفسه ، حقا نجد الفراعنة كانوا يقيمون المحارب للآلهة ،

ويجهزونها بكل المعدات في كل زمان ومكان ، غير أن بناء المعابد الضخمة التي تمثل لنا الفكرة الدينية المستحوذة على أفكار الملوك والشعب وقتئذ لم نشاهدها قط في كل عصور التاريخ المصرى القديم ، الذى سبق عهد الأسرة الثامنة عشرة إلا مرة واحدة في معبد الشمس الذى أقيم في عهد الأسرة الخامسة في بوسير ولا نجد غير ذلك معبدا للإله شيد بجوار المعابد الجنائزية التى أقيمت للأهرام . أما في عهد الدولة الوسطى فتدل النقوش وما كشف عنه حديثا من الآثار على أنه كانت توجد معابد للإله في « عين شمس » و « الفيوم » و « الكرنك » و « الأقصر » (راجع ج ٣ ص ٤٤٠) ؛ وهذه لم يبق منها قائما في مكانه إلا معبد الآلهة « رنوت » في « كوم ماضى » بالفيوم ، أما سائرهما فقد عفت عليه الأيام وأقيمت مكانها معابد أخرى . ومنذ الأزمان القديمة أخذت أشكال هذه المعابد والاحتفال بالأعياد الدينية فيها تتخذ صورة جديدة نامية راقية لتساير ما نال البلاد من تقدم وعمران ، كما أن التصميم الهندسى لهذه المعابد اتخذ صورة جديدة . ولكن إقامة المباني الضخمة لعبادة الآلهة في مدة تبلغ نحو نصف ألف سنة ، وهو عهد الدولة القديمة لم يحدث إلا مرة واحدة ، وذلك في عهد الأسرة الخامسة عندما كانت عبادة إله الشمس قد بلغت قمتها وسادت البلاد . على أن ذلك العهد لم يمكث إلا مدة لا تزيد على مائة سنة ، وبعدها أخذت البلاد تسقط في مهاوى الفوضى والضلالة ، فذهبت معها تلك الفكرة الدينية العظيمة وتمزق شمل استقلال البلاد . ولما عادت للبلاد وحدتها واستردت عظمتها في عهد الأسرة الثانية عشرة أقامت معابد للآلهة في طول البلاد وعرضها وبخاصة معبد الإله « آمون » الذى أقيم في « الكرنك » وكذلك المعبد الذى أقامه « سنوسرت الأول » للإله نفسه هناك ، غير أن هذه المعابد كانت متواضعة في مساحتها بل لا تزيد عن أربعين مترا مربعا ، وكذلك كانت الحال في المعابد التى أقيمت للإله « بتاح » في « منف » ومعبد الإله « ست » الذى أقامه « الهكسوس » في « أواريس » (تانيس) فقد كانت كلها معابد صغيرة الحجم إذا ما قيست بما أقيم من معابد في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

ولا نزاع في أننا نجد في عهد الأسرة الثامنة عشرة أن الفكرة الدينية التي كانت قد ظهرت في عهد الأسرة الخامسة قد أخذت تنمو وترقى بدرجة عظيمة ، وقد زاد في نموها وظهورها الانتصارات التي كان يحرزها الفرعون بمعاونة الإله الأكبر ، ولذلك كان حقا عليه أن يقوم لهذا الإله الذي كفّل له النصر على أعدائه بجزء عظيم مما أفاء به عليه الآلهة .

ولقد نال نصيب الأسد من هذه الغنائم التي استولى عليها الفرعون إله الدولة الأعظم « آمون » رب « طيبة » فشيّد له المباني الضخمة لإقامة شعائره وتمجيده . وقد شاهدنا أن كلا من « أحسن الأول » و « أمنحتب » قد أخذ في إقامة المباني للآلهة في مختلف جهات القطر وبخاصة في معبد « الكرنك » . غير أن الاتجاه العظيم والمجهود الضخم الذي بذله الفرعون لم يقم إلا منذ عهد « تحتمس الأول » . فقد أقام أمام المعبد القديم للإله « آمون » في « الكرنك » (الذي كان قد أزيل تماما بما أقيم مكانه من المباني الجديدة) بوابتين ضخمتين إحداهما خلف الأخرى كما نصب أمامهما مسلتين عظيمتين أقامت أعظم منهما الملكة « حتشبسوت » ابنته ، وقد بنى الفرعون « تحتمس الثالث » حول مسلتى « حتشبسوت » جدارا ليحجز ما عليهما من نقوش عن الأنظار انتقاما منها ، وأقام هو في « الكرنك » بدوره مسلتين وكذلك غير شكل الحجرات الداخلية تغييرا عظيما بإقامة بناء حجرة داخلية نقش على جدرانها تاريخ حروبه منذ الحملة الأولى حتى العام الثاني والأربعين من حكمه كما فصلنا القول في ذلك في الجزء الرابع .

وكذلك أقام « تحتمس الثالث » خلف المعبد الكبير معبدا للإله « آمون » وقد فصلنا فيه القول (راجع الجزء الرابع ص ٤١٧) .

والواقع أن المعبد كان يقام تخليدا لذكى كل من الملك والإله العظيم ، والآلهة الأخرى الذين كانوا أتباعه . وفضلا عن ذلك كان المفروض أن يعدّ الفرعون والإله وحدة لا انفصام لها في معبد الإله أو في المعبد الجناسى الذي كان يقيمه .

الفرعون على الضفة اليمنى للنيل بالقرب من مثواه المنحوت في التلال المجاورة . وكذلك كان الإله الحى والفرعون الذى يصعد إلى السماء متصلين بعضهما ببعض اتصالا وثيقا لدرجة أن الأعمال العظيمة التى كان يقوم بها الفرعون كانت تعد آتية عن طريق الإله لأنه هو الذى انتخبه ونصبه على العرش ؛ ولذلك كان الفرعون من جانبه يعلن عظم قوته وسلطانه الذى لا حد له ، ومن أجل ذلك نجد «تحتمس الثالث» وغيره من الفراعنة قد نقشوا على جدران معابدهم قوائم مطولة بأسماء الأقوام الذين قهرهم ، والبلاد التى فتحها . وقد دَوَّن لنا هذا الفرعون على جدران معبد « الكرنك » كما فعلت « حتشبسوت » من قبله على معبد « الدير البحرى » بصورة خيالية كيفية اعتلائه العرش بوساطة الإله الذى نادى بها ملكا في قاعة المعبد (راجع الجزء ٤ ص ٣١٦) . وكذلك عدد لنا المباني والهدايا التى قدمها للإله « آمون » من حروبه المظفرة ورسم لنا النباتات التى أحضرها من « سوريا » وغرسها في حديقة المعبد كما دَوَّنت لنا « حتشبسوت » حملتها إلى بلاد « بنت » التى أرسلتها لإحضار أمتجار البخور لتزرع في حديقة معبدها (راجع الجزء الرابع) .

ومما يسترعى النظر أننا لم نجد حتى الآن صورة تمثل لنا الحروب والمواقع الحربية في تلك الفترة من تاريخ مصر . حقا يمكن الإنسان أن يرى مفتن هذا العصر قد صور لنا صور الأجانب بدقة ومهارة ، ورسم لنا صور حيوانات البحر في خلال الحملة التى أرسلتها « حتشبسوت » إلى بلاد « بنت » والنباتات التى أحضرها « تحتمس الثالث » في أثناء غزواته لبلاد « آسيا » كما أن نقوش « الدير البحرى » ونقوش المقابر الخاصة وما على جدرانها من مناظر قد مثل فيها تفاصيل الرحلات البحرية التى قام بها الأسطول المصرى إلى بلاد « بنت » ، وكذلك المحاصيل والخزيرة التى أحضرها سفراء البلاد الأجنبية ، وسير الجنود وحركاتها الخ ؛ غير أن ذلك كله لم يخرج عن دائرة المناظر العادية التى نشاهدها منذ القدم على جدران المقابر مثل مناظر العمل في الحقول وفي مصانع العمال ، وكذلك ما نجده

متجمعا من طوائف الناس الذين حشروا جنبا لجنب مرتبين في صفوف على الجدران بعضهم فوق بعض كما نشاهد في المناظر القليلة التي بقيت لنا من عهد الدولتين القديمة والوسطى عند مهاجمتهم قلعة من القلاع أو حصنا من الحصون . أما منظر موقعة حربية بالمعنى الحقيقي نجد فيها الجيشين المتحاربين قد تلاحت جنودهما ، واشتركت عرباتهما في المعركة معا ، فلم يكن المفتن المصرى قد تجاسر بعد في عهد « تحتمس الثالث » أن يصوره لنا على جدران المقابر أو في الآثار التي وجدت من عهده حتى الآن . وقد كان أول تصوير وصل إلينا من موقعة حربية اشتركت فيها العربات والمشاة هو المنظر الذى نشاهده على جسم عربية « تحتمس الرابع » . ومن العجيب أن هذا المنظر بعينه قد أصبح فيما بعد النموذج للموقعة الحربية في العهود التي تلت ، وهو ما نشاهده في الموقعة التي صورت على صندوق « توت عنخ آمون » في عهد تلك الأسرة كما سنرى بعد . والواقع أن هذا المنظر لا يمثل أمامنا مجرى الحرب في ساحة القتال بل يمثل لنا الفرعون المنتصر الذى لا يمكن لعدو أن يقهره ، إذ نشاهد فيه الفرعون واقفا وسط المعركة في عربية يحترها جوادان من أصائل الخيل ، وقد رسم بحجم عظيم جدًا تتضاءل بجانبه العربات الأخرى التي في ساحة القتال ، وهو يهاجم عربات العدو مفرقا إليها سهامه فتفت من أمامه مهزومة مدحورة ، والقتلى مضرجين بدمائهم على الأرض ، والسهام عالقة بأجسام العدو وحسب .

ومثل هذا الرسم الرمزي المحض الذى يعبر عن الواقعة الحربية لا نجد له نظيرا في المناظر الحربية في الفن الكريتى ، إذ كانوا في هذه الناحية لا يعبرون إلا عن الحقائق المحضة ، ومع ذلك فإن من المقطوع به أن المناظر الحربية المصرية قد تأثرت بنظائرها في الفن الكريتى تأثرا عظيما ، وبخاصة المناظر التي كان قد ابتدعها المفتنون في البلاط الميكاني في عهد أمراء القرن السادس عشر ، وهذا هو التفسير الوحيد الذى يمكن أن يفكر فيه الإنسان للتدليل على رسم منظر الموقعة الحربية

المصرية فى كتلة واحدة ، ليست مقسمة صفوفًا فيها الأشكال واقفة مزدحمة ، وكثيرًا ما نشاهد فيها الأشكال متصلة فى صفوف ، ويظهر التأثير الأجنبي بوضوح فى هذا المنظر حيث نجد الجياد تركض وهى تختلف عن كل رسوم الحيوانات المصرية وهى تجرى ، إذ نشاهد الأخيرة بأرجلها على الأرض ، أما فى رسم الموقعة فنشاهد الجياد فيها وهى تقفز بسرعة خاطفة فلا ترى أرجلها على الأرض . وقد بينا فيما سبق أن أحد أسلحة الملك « أحس الأول » قد ظهرت عليه صورة كريتية لأسد يقفز قد قلده المفتن المصرى عن أصل كريتى (راجع الجزء ص ٨٨) ؛ وإذا سلمنا أن الفخار الكريتى كانت له سوق رائجة وأنه كثير الاستعمال فى مصر حتى أن المصريين كانوا يقلدون صناعته ، أدركنا بصفة قاطعة تأثير الثقافة الخارجية المحس ، ولا أدل على ذلك من إدخال السلع السورية ، والميل الشديد للتزايد إلى قبول كثير من الكلمات والتعابير الكنعانية فى اللغة المصرية القديمة ، وبخاصة عند أفراد الطبقة المثقفة الذين يريدون إظهار ثقافتهم العالية ، وإطلاعهم الواسع بمحشر تلك الألفاظ فى كتاباتهم^(١) . والواقع أن موقف الفن المصرى فى ذلك العهد بالنسبة للفن الإغريق يشبه موقف الفن الأوروبى لفن شرقى « آسيا » منذ القرن الثامن عشر ، إذ نشاهد أنه كان يسير دائمًا بجانب الاتصالات الخارجية فى هدوء وتؤدة . ولذلك نرى الآن أن تلوين الأوانى الفخارية الذى كان قد اختفى منذ أوائل الدولة القديمة ، وبخاصة التريين بالأوراق والأزهار قد ظهر ثانية ، وأن رقعة الآنية قد قسمت بخطوط متوازية ، وملئت بإشارات وألوان مختلفة ، قد جاءت من تأثيرات أجنبية لا يمكن معرفة كنهها . ولدينا بوجه عام مقدار عظيم من صناعات الثقافات المختلفة ، وبخاصة الأوانى المصنوعة من الحجر ، ومن الفخار والمعادن التى زينها الصياغ بالحليّات الفاخرة . ومما يلفت النظر من بين هذه الأوانى الأطباق الضخمة المغشاة بالذهب والمحلاة حوافها بالأزهار والطيور ، وكذلك الكباش المصنوعة من

(١) راجع ورقة أنستاسى الأولى (الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٣٧٨) .

الحجر والصفادع والأسود، هذا إلى صورة الفرعون وهو جالس في عريته (راجع الجزء الرابع ص ٥٧٥ من كتاب مصر القديمة) . ولا نزاع في أن التصميم مصرى خالص ، غير أن الذين قدموا هذه التحف أجنب قد أحضروا الجزية للفرعون من « سوريا » و « كريت » وبلاد النوبة . وحقيقة الأمر أن الصياغ الأجنب قد أخذوا هذه الأشكال التي عملت في مصر وألقوا منها سلعا وأواني كانت تروق في أعين المصريين وبخاصة الفرعون وعلية القوم ، ثم حملوها للفرعون وبلاطه بمثابة جزية . وقد بقي تأثير ذلك لمدة طويلة في بلاد « اليونان » و « آتوريا » وقد وجدت في هذه الجهات أطباق كانت تصنع على هذا النمط في أزمان متأخرة جدا .

موازنة بين فن العمارة المصرى والإغريقى : على أن التناقض الصارخ بين الثقافتين يظهر جليا في فن العمارة ، إذ نشهد أن الطموح نحو إقامة المباني الضخمة الأثرية قد انعدم تماما في القصور الكريتية ، في حين نرى أن المصرى منذ بداية التاريخ كان جل همه ومعقد آماله أن يقيم المعابد الضخمة والأضرحة الصلبة ، وكان يرمى من وراء ذلك إلى مغالبة الدهر وهزيمة الموت ، ولذلك أراد أن يقيم لروحه بدلا من مأواه الزائل الذى بناه على الأرض مسكنا خالدا يهزم الزمن ويقهر الموت معا . وقد أفلح المصرى فلاحا مبينا في عهد الدولة الحديثة في محاولته هذه عندما أقام تلك المعابد العظيمة ، والواقع أنها في أسسها وفي مبانيها منقطعة القرنين من حيث الضخامة وسعة الحجم ومتانة المادة وروعة المنظر وبهاء الطلعة ، والتأثير في النفس . هذا فضلا عن أن مداخل هذه المعابد قد أحكمت أجزاؤها وناسب تنسيقها ضخامة البناء مما ألف وحدة جميلة ترتاح إليها النفس وتجذب إليها النظر فنرى قاعاتها الفسيحة الأرجاء المقامة على عمد ضخمة كانت قد ابتدعت منذ الدولة القديمة على هيئة سيقان النخل الباسقة وسيقان البردى اليانعة ، غير أنها قد أقيمت بصورة ضخمة في عهد الدولة الحديثة في ساحة المعبد وقاعاته فكانت بهجة للناظرين ، وقد زاد في جمالها ما حليت به جدرانها من نقوش وصور خلاصة الألوان

متناسبة يرتاح إليها النظر بما أقيم أمامه وداخله من تماثيل ضخمة للاله الذي أقيمت من أجله وللفرعون الذي أعلى بناءها .

المعبد المصرى - فكرته وصورته

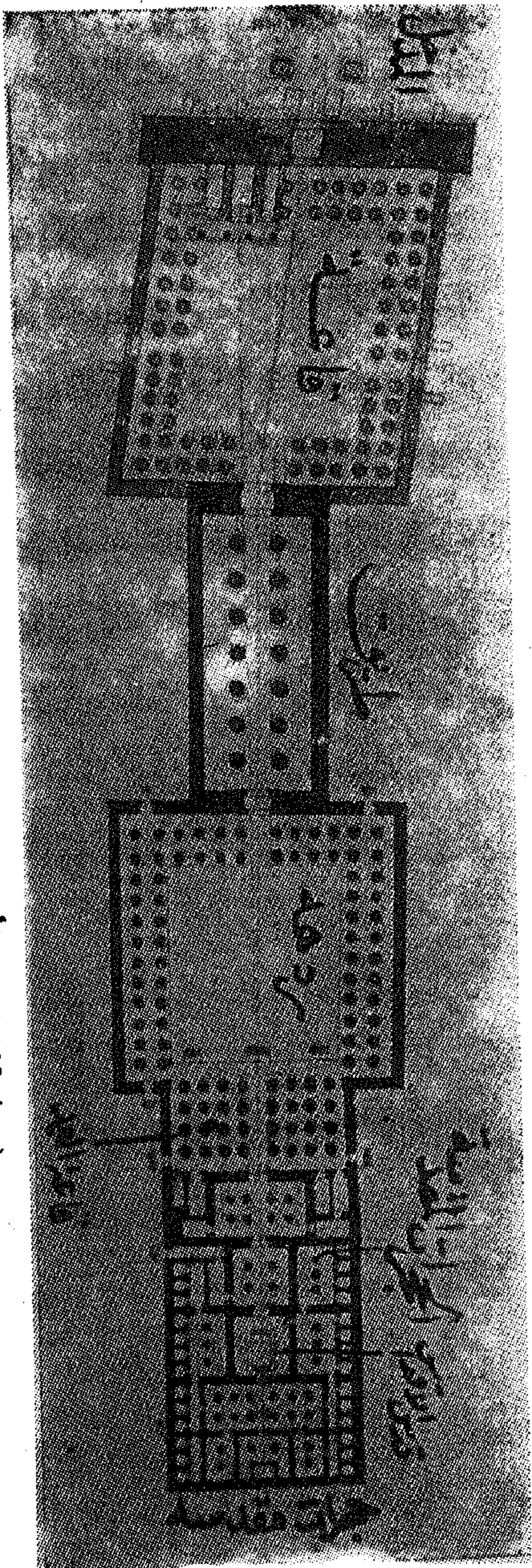
لا نزاع فى أن فكرة بناء معابد تستخدم لإقامة الأعياد الإلهية وما يتبعها من مواكب وحفلات يعد أعظم تجديد حدث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . حقا كانت هذه المعابد موجودة فى مصر منذ القدم غير أنها كانت تظهر بمظهر مغاير لما أصبحت عليه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، إذ كانت فى الواقع فى عهد الدولة القديمة محاريب وحسب يسكنها الإله ، ويحفظ بجانبه فيها أدوات العبادة الخاصة به ، وكل ما كان يملك من ذخائر ثمينة ، وكذلك كان معبد « الكرنك » فى عهد الدولة الوسطى مبنى صغيرا مربع الشكل لا يزيد ضلعه عن أربعين مترا^(١) . أما توسيعه وجعله مبنى عظيم الحجم وإقامة بوابات أمامه فلم يبتدىء إلا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى حكم الفرعون « تحتمس الأول » هذا إذا استثنينا بعض قطع ضخمة من الجرانيت فى معبد « تل بسطة » نقش عليها اسم الفرعون « خوفو » ولكننا فى الواقع لا نعلم شيئا البتة عن أصل تصميم البناء الذى كانت فيه هذه الأتجار . وقد أوضحنا فى الجزء الثالث أن مبنى « اللبرنت » التى أقامها « أمنمحات الثالث » لا تمت بصلة لمعبد الإله قط بل كانت فى الواقع المعبد الجنائزى للملك « أمنمحات الثالث » نفسه (راجع ج ٣ ص ٣٣٠) يضاف إلى ذلك أن كلمة بؤابة أو « برج » فى اللغة المصرية القديمة هى « بنخت » وهى مؤنث كلمة « بنخن » أى « برج » أو « قصر » وقد استعيرت لباب المعبد ، وهذه الكلمة نجدها فى اللغة العبرية والعربية ، وعلى ذلك فهى كلمة أجنبية نقلت إلى المصرية ، وكلتا الكلمتين لا وجود لهما فى اللغة المصرية فى العصور الأولى ، وهذا دليل على أن هذا كان تجديدا بدأ فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤٤٠

وإذا وازنا المعبد المصرى بالمعبد الإغريقى وجدنا بينهما وجه قرابة ، وبخاصة الأهمية الكبيرة التى كانت للأعمدة فى كل من البلدين ، هذا فضلا عن أننا نجد أن كلا المعبدين يتقابلان فى نقطة واحدة ، وهى أن مبانى المعبد الإغريقى فى مدة القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ، وكذلك المعبد المصرى فى عهد الدولة الحديثة ، والكتردائية فى عهد القرون الوسطى لم يكن كل منها إلا عنوانا لعصر بعينه قد تمثل فيه حب التدين المتزايد المشفوع بالطموح لجعل هذا البناء المقدس على جانب عظيم من الفخامة والبهجة ، وذلك بفضل مساعدة الإله وقوة بطشه وعظيم سلطانه . غير أن المعبد المصرى فى داخله كان يختلف اختلافا بينا عن المعبد الإغريقى .

موازنة بين المعبد المصرى والمعبد الإغريقى : فالمعابد الإغريقية التى نشأت على غرار بناء القصور — وهى التى كانت عندما تسمح الأحوال تقام على ربوة — كانت مأوى الإله الرسمى ، الذى كان يشرف منه على ماحوله من مناظر طبيعية ، فهذا المعبد تنجذب إليه الأنظار من بعيد ، ويترك فى النفس أثرا عظيما لتناسق أجزائه وجمال وضعه ، وبخاصة بما تضيفه عليه مجموعة العمود التى تحيط به وتظهره كأنه وحدة من المبانى منفردة ، غير أنه لا يترك فى النفس أثر السرية الدينية ورهبة التقى الإلهى ، أما المعبد المصرى فإنه على العكس قد أقيم ليعتصم فى النفس ذلك الجلال الدينى والغموض الخفى الذى توحى به القوة الإلهية . ففى الخارج نجده محاطا بسور مغلق . وفى واجهته الضيقة بوابة هائلة يعلوها برجان وعلى كلا جانبيها نصب عمودان يرفرف فى أعلاهما علمان ينطحان السماء علوا ورفعة ، وبذلك تكون المدينة التى يسكن فيها الإله منفصلة تمام الانفصال عن عامة الشعب الخارجين عن هيئة رجال الدين ، ولذلك كان كل داخل من هذا الباب الضيق يعد نفسه قد بعد عن سلطان عالم الدنيا ، واقترب من عالم الإله ، وقد كان المحراب الذى يوجد فيه الصندوق المغطى بفاخر الكتان والمزين بالرموز وهو الذى كان يحفظ فيه تمثال الإله ، موضوعا فى الحجرة النهائية من المعبد ينحيم عليها الظلام الدامس

وتكتنفها الرهبة . وقد كان منصوبا في السفينة المقدسة التي تحمل على أكتاف الكهنة وتظهر للعيان أمام الشعب في قاعة المعبد العظيمة إذا تطلبت الأحوال ظهوره ليوحى إليهم بمهام الأمور التي يتوقف عليها كيان الدولة وسيرها ، وذلك في حضرة الفرعون ، وكان عند الاحتفال بأعياد خاصة يخرج هذا الإله لزيارة الآلهة الآخرين في معابدهم وهم يسعون لزيارته ، هذا فضلا عن أنه كان يظهر في يوم انتخاب الفرعون الذي سيحكم البلاد بعد رفع الفرعون الحاكم إلى السماء . أما طريق الاحتفال الذي كان يخترقه الملك ليذهب إلى الإله أو الإله إلى الفرعون والناس فكان يملأ جو المعبد كله ويسبح عليه وحدة داخلية . والواقع أن وحدة المعبد وانفصاله عن باقي المباني التي تحيط به تدرك حتى في خارجه ، إذ أنه قد أقيم على بعد شاسع ، وحف جانبا به بتمائيل « بو الهول » ويصل السائر فيه إلى أعماق المعبد حيث « قدس الأقداس » أى أن محور باب قاعة العمدة كان يقع على خط مستقيم مع الطريق الخارجية . وأهم معبد مصرى بلغ مبلغا عظيما من الجمال والروعة وتحققت فيه الفكرة المثالية المعبدة عن المعبد المصرى في عهد الأسرة الثامنة عشرة هو المعبد الذى أقامه « أمنحتب الثالث » فى « الأقصر » للإله « آمون » (انظر الصورة رقم ١١) إذ نشاهد أمام بوابته قاعة مستطيلة يخترق فيها الزائر طريقا محاطا بصفيين من العمدة الضخمة كل منهما يشمل سبعة أعمدة ويرى اتجاه المحور فى هذا البناء الضخم المؤدى إلى حجرة « قدس الأقداس » قد انحرف انحرافا ظاهرا عن المبنى كله . وبعد ذلك يدخل الإنسان فى ردهة عظيمة محاطة بالأعمدة الضخمة من كل الجوانب ، وهى التى يجتمع فيها الأتقياء من القوم ليشهدوا إقامة الشعائر ثم يأتى على أثر ذلك بهو ذو عمد عظيمة ينفذ إليها النور من منافذ صغيرة بأعلى الجدران . أما العمدة التى مثل كل منها فى صورة حزمة من البردى فلا تزال باقية فى مكانها مزدحمة فى أرجاء ذلك البهو فلا يرى الإنسان من خلالها منظرا خارجيا إلا بصعوبة ، وخلف هذا البهو يدخل الإنسان فى الحجرات المقدسة العدة التى لفت



(١١) تخطيط مبدئياً للأقصر (الجزء الذي بناه «أم حبيب الثالث»)

في ظلام حالك ، وهى التى كان يحفظ فيها كل الأدوات الخاصة بالعبادة وما يتبعها من البخور والملابس الثينة التى كانت مخصصة لهذا الإله العظيم .
ومما هو جدير بالذكر هنا أن التصميم الأصيل كان يوضع دائماً بطريقة تجعل البناء قابلاً لإقامة إضافات جديدة عليه دون أن يمس جوهر المعبد الأصيل أو يشوه صورته ووحدته المتناسقة ، وقد كانت هذه الفكرة السائدة في بناء المعبد هو أن يبقى على مر الأيام وكر الدهور ، كما كانت الفكرة في بناء القبر ، وذلك على عكس فكرة بناء القصر الملكى الذى لم يكن الغرض منه إلا عرض الحياة الدنيا . ولذلك كان يبنى المعبد سواء أكان للملك أو للإله لتسكن إليه روح المتوفى وليمثل ما كان عليه من قوة وعظمة ، وليبقى هو أبدياً ما بقى أثره ، ومن أجل ذلك نجد الفرعون يقيم قاعات عمد ضخمة كأنها الغابات ذات الأشجار الباسقة والقاعات الشاسعة الأرجاء والتماثيل الضخمة التى تمثل الملك والإله أيضاً ، والمسلات التى تناطح السماء فى علوها وبهائها التى كان ينصبها عند مدخل معبده العظيم . ولكن بالموازنة نجد أن كل هذه الأشياء لا تقع تحت حس الإغريق ، ولذلك نجد المعابد اليونانية خالية منها . ومن جهة أخرى نرى أن المعبد المصرى أقيم بفكرة تمثل الشعور الدينى الذى نجده فى الكنائس الرومانية والقوطية ، ولذلك نجد أن الروح الذى نشاهده سائداً فى الشعائر المصرية بصورة غاية فى الاعتناء والدقة ، وهى التى يطلق فيها البخور فى ساحات المعبد ، يوجد نظائرها فى الكنائس الرومانية والقوطية ، كما نشاهد كذلك أن فى كليهما قد فصل « قدس الأقداس » وما يتبعه من أدوات عبادة عن أعين غير رجال الدين فى حجرات خاصة لا يسمح بدخولها ورؤية محتوياتها إلا لأولئك الذين يعرفون الأسرار الدينية من الكهنة .

وكذلك تتشابه الشعائر المصرية بالشعائر المسيحية فى أن حرق القرابين كان غريباً عن كل منهما ، وهذا يخالف ما نعرفه عن كثير من الديانات الأخرى التى كان من شعائرها حرق القرابين ، فالقرايين المصرية التى كانت تشمل الخبز واللحم

والفاكهة والشراب والأزهار كانت تكس على مائدة قربان . وتقدم للإله والمتوفى ليأخذ نصيبه منها بتأملها بعد قراءة صيغة الشعيرة الخاصة بها . وبعد ذلك كانت تؤخذ وتقسم بين كهنة المعبد والقائمين بخدمته . والواقع أننا نشاهد أحيانا قربانا يقدم للمتوفى يحرق على موقد خاص (راجع A. Z., 48 P. 69) .

بيت الولادة : غير أن شيوع هذه العادة لم يعم إلا في العهود المتأخرة من التاريخ المصرى ، والظاهر أن ذلك قد جاء عن طريق تأثير أسيوى . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة نجد بجوار المعابد الكبيرة محاريب صغيرة أقيمت على ما يظهر بفكرة أخرى مختلفة وهذه المحاريب هى التى كانت تسمى في عهد الإغريق « بيوت الولادة » . وكانت تقام على قاعدة مرتفعة يصل إليها الإنسان بسلم يؤدي إلى داخل المحراب بواسطة بوابة محمولة على عمودين ، ويؤدي إلى الجحر الداخلية ممشى في وسط عمد تحمل السقف يستطيع الإنسان من خلالها أن يرى ما هو خارج المحراب . وهذه المحاريب تشبه كثيرا المعابد الإغريقية في مساحتها ، غير أنها لا تشمل إلا الحجرات الصغيرة التى يسكن فيها إله أو آلهة لبعضهم علاقة ببعض ، غير أن كل واحد منهم كان له شعائره الخاصة التى تختلف عن شعائر الآلهة الآخرين اختلافا بينا . ومن الجائز أن يرى الإنسان في هذه المعابد الصغيرة صور المعابد المتواضعة التى أقيمت في عهد الدولتين القديمة والوسطى ، ولسبب خاص أطلق عليها في العهد الإغريق « بيوت الولادة » وكانت في العادة تقام أمام المعابد الكبيرة بمثابة جزء تابع لها ، وحتى في عهد الدولة الحديثة نجد أن هذه المحاريب التى كان يسكن فيها الآلهة تختلف اختلافا بينا عن المعابد العظيمة التى كانت تقام فيها الشعائر .

هذه نظرة عاجلة عن المعابد المصرية من حيث بنائها وخصائصها ومحتوياتها والشعائر التى كانت تقام فيها ، والآن نعود إلى الكلام عن النمو الفكرى في العقائد الدينية في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وبخاصة الحساب والعقاب في عالم الآخرة ، وتأثير السحر على أفكار القوم ، وانتشار التعاويذ الواقية من نار الآخرة وعذابها وجمعها في كتاب واحد وهو الذى أطلق عليه خطأ « كتاب الموتى » .

الحساب فى الآخرة

لقد تتبعنا ذلك التطور الطويل الذى مرّ فيه الاعتقاد بالمسئولية الخلقية فى الحياة الآخرة، (أنظر الجزء الثالث ص ٥٧ الخ) وهو اعتقاد كما نذكر كان حاضرا فى أذهان بناء الأهرام، غير أنه كان منحصرا فى ذلك الوقت فى مطالبة المتوفى بالمثل أمام إله الشمس بصفة كونه قاضيا للإجابة عن ذنب قد يكون اقترفه ضد إنسان آخر لا يحاسب حسابا شاملا . وقد كان الاعتقاد القائم إذ ذاك أنه إذا لم يطلب الإنسان بتلك الطريقة، كان من المحتمل ألا يتعرض فى الآخرة لأى حساب آخر. ولكن بعد عصر الأهرام ببضعة قرون — أى إلى وقت ظهور النصائح الموجهة إلى الملك «مريكارع» نجد أن ذلك الاعتقاد قد أخذ يحدّد ويعين بحالة أوضح مما كان عليه من قبل .

فإن ذلك الملك المسنّ الذى ألقى بتلك الكلمات الحكيمة إلى ابنه «مريكارع» كان متأثرا تأثرا عميقا بالحقيقة القائلة إنه يجب حتى على الملك نفسه أن يحاسب خلقيا فى عالم الآخرة عن حياته فى هذه الدنيا ؛ فنعيد إلى ذاكرتنا هنا نصيحته الهامة التى يقول فيها : ”إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المخطئ ليسوا متسامحين فى ذلك اليوم الذى يحاسبون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم ... ولا تركزن إلى طول الأيام ، لأنهم ينظرون (يعنى القضاة) إلى مدى حياة الإنسان كأنها ساعة واحدة ، والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تكوم بجانبه ، لأن الحياة الأخرى باقية ، ولا يهمل أمرها إلا الغبي . أما من يصل إليها دون أن يرتكب إثما فإنه سيبقى هناك إلها يسير بخطى واسعة مثل أرباب الخلود (يعنى الأموات البررة) “ .

وإذا كان الإنسان يعدّ لنفسه قبرا فى الجبانة من جهة ، فإن «مريكارع» كان يذكره والده من جهة أخرى بأن يقيم قبرا لنفسه « بصفته إنسانا مستقيما الحال وبصفته إنسانا أقام العدل (يعنى ماعت) لأن ذلك هو الذى يركن القلب إليه “ .

(١) وفى القرآن الكريم « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف

سنة مما تعدون » . راجع كذلك كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ١٩٤ .

« والفلاح الفصيح^(١) » الذى لا صديق له كان يقول « لمدير البيت العظيم »
عند مدافعته مطالبا إياه باستعمال العدالة : « احذر إن الأبدية تقترب » .

وقد رأينا فيما تقدم أن « أمينى » أمير مقاطعة « بنى حسن » العظيم نقش على
باب قبره سجل أعماله الصادرة عن العدالة الإجتماعية فيما يختص بمعاملته لرعيته
إذ كان الغرض من نقش ذلك السجل أن يكون له خير زاد يتروّد به للذهاب
فى سفره إلى عالم الآخرة . وقد ملئت محاجر المرمر بجهة « حتنوب » (بيت
الذهب) الواقعة فى الصحراء الشرقية خلف تل العمارنة بالنقوش التى دوّنت فيها
حياة أمراء ذلك العهد الإقطاعى الذين جاؤوا تلك البقعة حيث ذكروا ما كانوا
عليه من صفات الخير والعدالة التى لا تحصى ؛ فنجد كثيرا أن أولئك الرجال الذين
عاشوا فى ذلك العهد الإقطاعى كانوا يذكرون فوق مقابرهم ما كانوا عليه من الأخلاق
العادلة بزعمهم فيقول موظف من موظفى ذلك العصر اسمه « سسنب » إنه أقام
العدالة ولا يمقت إلا الباطل الذى لم يره .

على أن متون التوابيت تبين لنا بجلاء أن الشعور بنفع المسؤولية الخلقية فى عالم
الآخرة قد تعمق تعمقا عظيما فى نفوس القوم منذ عصر الأهرام إلى ذلك الزمن .

فنجد أن موازين العدالة التى كثيرا ما كان يذكرها ذلك « الفلاح الفصيح »
عند استشهاده على « مدير البيت العظيم » قد صارت إذ ذاك تحتل مكانة عظيمة
ممثلة فى مسرحية حساب الآخرة حيث يقول أحد الأنام للتوفى : « إن أبواب
السماء مفتوحة لجمالك . وإنك تصعد وذنبتك مغفورة ، وظلمك قد عفى
بأيدي أولئك الذين يزنون بالموازين فى يوم الحساب » .

وكما كان ذلك « الفلاح الفصيح » يُسمى « مدير البيت العظيم » فى كثير من
الأحيان « موازين العدل » ، كذلك كان فى مقدور المتوفى أن يكون متحليا بالأخلاق

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٥٤ — ٦٩

الفاضلة الحققة التي تشبه في استقامتها كفتى الميزان اللتين لا تحيدان . ومن ثم نجد « متون التوابيت » تقول : ” تأمل إن فلانا هذا (إشارة إلى المتوفى) هو موازين « رع » التي يوزن بها الصدق“ (يعنى الحق) . وهنا يتضح لنا لمن كانت موازين الصدق هذه ، ومن هو ذلك القاضى الذى يشرف عليها ، حيث نجده — كما كانت الحال قديما — أنه « إله الشمس » الذى كان قد حوكم أمامه نفس الإله « أوزير » ؛ ونجد في مناسبة أخرى خاصة بمحاكمة المتوفى أمام « الإله رع » أن هذه المحاكمة كانت تعقد بحجرة « سفينة الشمس » “ .

وقد صار الزاد الخلقى للإله العظيم — وقتئذ — من الأمور الطبيعية ، ولذلك يقول المتوفى : ” إنه كان يحب الحق ، ويكره الباطل ، وهو الذى تسير الآلهة في سبل عدالته المحبوبة “ .

وعندما دخل المتوفى في تلك السبل الإلهية الحققة . كان المعنى المقصود من ذلك أنه ترك وراءه الرذائل الخلقية ، ولذلك يقول المتوفى أيضا : ” إن خطيئتي قد أقصيت عني ، ومحي إثمى ، ولقد نظفت نفسي في تينك البحيرتين العظيمتين اللتين في « أهناس » “ .

وتلك الحمامات التطهيرية الرسمية التي كثيرا ما نصادفها مذكورة في « متون الأهرام » قد صارت الآن تدل بوضوح على معنى خلقى حيث يقول المتوفى محدثا عن نفسه : ” إني أسير فوق الطريق التي أغسل فيها رأسي في بحيرة الحق “ . وكثيرا ما نجد المتوفى يدعى أن حياته كانت نقية إذ يقول :

” إني إنسان أحب الحق وما كرهته هو الباطل “ .

” إني أقعد بريئا وأقوم بريئا “ .

” لقد أقمت العدل ومحوت الباطل “ .

(١) راجع : Sethe “Pyramiden Texte”, I, 710 c – 713 a. Sethe Ibid, II, 1164 b – 1165 a; 1530 a – d; 1987 a – c.

ولقد ذكرنا أن القاضى الذى تقف أمامه الأرواح كلها كان فى الأصل «رع» ؛ ولكن «أوزير» كذلك قد أظهر نفسه من زمن مبكر فى موقف ذلك القاضى ؛ حيث تقرأ فى «متون التوابيت» عن المجلس العظيم (أو محكمة العدل) للإله «أوزير» ، وكان ذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى الأسرة التاسعة أو العاشرة (من القرن الرابع والعشرين إلى الثانى والعشرين قبل الميلاد) فى أيام حكم الملك «مريكارع» ؛ ولا شك أن انتشار عبادة «أوزير» التى كانت آخذة فى الازدياد كان لها علاقة عظيمة بانتشار الاقتناع — الذى صار الآن عاما — بأن كل روح لا بد أن يعمل لذلك الحساب الخلقى العسير الذى ينتظرها فى الآخرة كما تكلمنا عن ذلك فى الجزء الثالث ، وقد صار من المعروف عادة منذ بداية الدولة الوسطى أن يضاف إلى اسم كل متوفى نعت «المبرأ» . وهذا النعت هو الذى ناله «أوزير» فيما مضى بصفته الخصم الظافر على أعدائه المبرأ أمام محكمة «إله الشمس» . وقد كان ذلك النعت — كما نعلمه من «متون الأهرام» — لا يضاف إلا إلى اسم الفرعون فقط . غير أنه صار بالتدريج امتيازاً تمنحه كل روح . أو على الأقل صار من حق كل روح متسمة بالأخلاق الفاضلة .

وكذلك نجد أنه عندما نال «المذهب الأوزيرى» القبول عند البلاط الملكى كان الملك يوحده مع «أوزير المبرأ» ، ولهذا صار «الكهنة» — فيما بعد — يضعون كلمة «أوزير» قبل اسم كل متوفى كما نجد ذلك مذكوراً فى «متون الأهرام» حيث نجد أن الملك «ببى» كان يسمى «أوزير ببى» . والملك «تيتى» كان يسمى «أوزير تيتى» .

وقد كان من فوائد انتشار عبادة «أوزير» الآخذة فى الازدياد أن المنهج الذى كان يرمى إلى صبغ الحياة الأنحروية الملكية الفاخرة بالصبغة «الديمقراطية» قد صار حينئذ يوحده كل متوفى ذكراً كان أو أنثى بالإله «أوزير» .

وعلى ذلك لم يقتصر المتوفى على دخول « مملكة أوزير » — كما كانت الحال قد يما — ليتمتع بحمايته وعطفه، بل صار المتوفى نفسه — ذكرا كان أو أنثى — « أوزير » وعد ملكا .

ولذلك نجد — حتى في مدافن الفقراء — أن المومية كانت تصور في شكل مومية « أوزير » موضوعة فوق ظهرها . وكانت التعاويذ التي تمثل شارات الملك الفرعوني تلون على داخل جوانب التابوت . أو كانت توضع بهيئة تماثيل بجانب جثمان المتوفى ، وقد ظهرت قوة عبادة « أوزير » بحالة تستلفت النظر في العادة الجديدة . وهي إضافة اسم « أوزير » قبل اسم المتوفى .

ومع أنه كان من الجائز للمتوفى أن يوحد مع إله الشمس — كما كان يحدث ذلك كثيرا — فإنه على الرغم من كل ذلك كان ينعت باسم « أوزير » ، في حين أن اسم إله الشمس « رع » لم يفعل به هكذا فلم يضاف قط قبل اسم المتوفى .

وبظهور الدولة المصرية الحديثة بعد سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد نجد أن الأدلة التي تكشف لنا عن ذلك التطور الخلقى الطويل الأمد — الذى تقتفى أثره الآن — قد ازدادت في كيتها وفي أهمية قيمتها ، وبخاصة حينما تبين لنا شعور المصرى القديم المتزايد بمسئوليته الشخصية عن نوع أخلاقه ، لأن مرحلة التفكير في ذلك الانتشار الخلقى قد تقدمت تقدما محسا وذلك لأن المصرى القديم في ذلك الوقت كان قد تبصر تبصرا عميقا في طبيعة نفسه البشرية . وكان من فوائد ذلك التبصر أن صار المفكرون من المصريين — آنئذ — يقدرون قيمة المسئولية الخلقية لكل إنسان على حسب حالة عقله نفسه .

وبمناسبة ما جاء ذكره هنا في تلك الفكرة عن « العقل » نقول : ” إنه ليس « للعقل » اسم في اللغة المصرية القديمة غير كلمة « قلب » القديمة . وفي عصر الأهرام وجدنا أن « بتاح حتب » ذلك الوزير الحكيم المسن قد لمح عن « القلب » بأنه مركز المسئولية والإرشاد إذ قال فيما ذكرناه له سابقا : إن المستمع (يعنى

إلى النصيحة الطيبة) هو المرء الذى يحبه الإله . أما الذى لا يصنى فهو الذى ييغضه الإله . والقلب هو الذى يجعل صاحبه مصغيا أو غير مصغى ، وحظ الإنسان الحسن هو قلبه “ .

كما نجد فى نصائح « بتاح حتب » أيضا أن قلب الرجل قد صار دليله — بل فى الواقع قد صار « ضميره » .

فالقلب الإنسانى كان فى عهد تلك الدولة الحديثة — على أية حال — يعبر عنه بأكثر من مستمع مجيب إلى النصيحة الطيبة بل صار يعبر عنه بأكثر من مرشد إلى حسن الحظ .

ومن المؤكد أن آراء « بتاح حتب » عن القلب ونعته له بالمرشد الحكيم قد استمرت ، إذ فى خلال القرن الخامس عشر ذكر لنا أحد حجاب بلاط الفاتح العظيم « تَحْتَمَسُ الثَّالِثُ » المسمى « أُنْتَف » خدماته التى أدّاها للملك حيث قال : “ وقلبي هو الذى حدا بى أن أفعلها ، بإرشاده لى وقد كان هو مرشدى المتنازفلم أنخط مقاله ، وكنت أخشى أن أتعدى إرشاده ، وقد أفلحت بسببه كثيرا ، وقد كنت ممتازا بما جعلنى أقوم به ، وكنت ماهرا بهديه وإنه وحي من الإله الذى فى جوف كل إنسان ، وإنه ناصح قد أرشد إلى الطريق الطيبة للفلاح ، تأمل ! هكذا كنت “ . (راجع الجزء الرابع ص ٥٤١) .

ونجد أن أقارب « باحرى »^(١) وهو أمير من أمراء « الكاب » قد خاطبوه بعد موته داعين له بقولهم : “ لبتك تمضى حياتك إلى الأبد سعيدا فى حظوة الإله الذى يحل فىك “ كما نجد ميتا آخر يعلن عن نفسه بقوله : “ إن قلب الإنسان هو إلهه ، وكان قلبى مستريحا لأعمالى “ .

فكل ذلك يدل على أن المصرى القديم قد صار حينئذ فى حالة من الحساسية والشعور لم يصل إليهما من قبل ، وذلك بفضل ما كان يوحى به إليه ذلك الوازع

(١) راجع الجزء الرابع ص ٢٧٨ .

الباطنى المنبعث من قلبه وهو الذى سُمى — ببعد نظر مدهش — « إله المرء » .
وذلك لأن القلب قد صار الآن ذا شعور أكثر اتزاناً وأكثر سيطرة وسلطاناً على
الإنسان مما كان عليه فى عهد ذلك الوزير الحكيم « بتاح حتب » فإنه كان —
إذ ذاك — يعلن استعصانه لما يكون عليه المرء من السلوك الحسن أو استيائه
لما يكون عليه من السلوك السيئ فقط .

ولما صار المصرى القديم يشعر بسلطان ذلك الوازع القلبي شعوراً كاملاً، فإنه
أخذ — إذ ذاك — يلبس كلمة « القلب » معنى أدق وأوفى حتى صارت أوسع
بكثير مما كانت عليه فى عصر الأهرام — حتى أنها بذلك صارت تزن — بحالة
وافية — كلمتنا « الضمير » فنحن إذا قد صرنا الآن فى مركز يجعلنا نفهم تماماً
أهمية التحديد والدقة اللذين صوّر بهما لنا ذلك المصرى فكرته النامية الخاصة
بحساب الآخرة فى الزمن الذى انبثق فيه فجر تلك الدولة الحديثة . وتلك الآراء —
التي نجد فيها تفصيلاً أوسع مما كان لدينا عن الحساب فى يوم الميعاد — قد وصلتنا
عن طريق « كتاب الموتى » .

وقد اجتمعت عندنا ثلاث روايات مختلفة عن الحساب فى الآخرة وقد مر
عليها فى أتم وأحسن اللفائف البردية التي وصلت إلينا الآن .

وكانت هذه الروايات فى الأصل مستقلة بعضها عن البعض الآخر من غير
شك . وعنوان الرواية الأولى منها هكذا .

” فصل^(١) فى دخول قاعة الصديق ” (الحق) ، وهى تحتوى على ما يقوله المتوفى
عند الوصول إلى قاعة الصديق عندما يطهر فلان (يعنى المتوفى) من كل الذنوب
التي اقترفها ثم يوجه نظره إلى وجه الإله ويقول : سلام عليك أيها الإله العظيم
رب الصديق لقد أتيت إليك يا إلهى ولقد جئ بى إلى هنا حتى أرى جمالك . إني

(١) راجع : Papyrus Nu. British Museum No. 10477. Sheet 22 - 24.

Budge, “Book of Dead”, Text, Vol. II, P. 125 ff.

أعرف اسمك وأعرف أسماء الاثنين والأربعين إلهما الذين معك في قاعة الصديق
هذه وهم الذين يقضون على الخاطئين ويلتهمون دماءهم في ذلك اليوم الذي تمتحن
الأخلاق فيه أمام « وننفو » (أوزير) انظر : ... لقد أتيت إليك .

وإني^(١) أحضر العدالة إليك ، وأقضي الخطيئة عنك .

إني لم أرتكب ضدّ الناس أية خطيئة

إني — في مكان الصديق (هذا) لم آت ذنباً .

وإني لم أعرف أية خطيئة .

إني لم أرتكب أى شيء خيئ

وإني لم أفعل ما يمقتة الإله .

وإني لم أبلغ ضدّ خادم شرا إلى سيده .

إني لم أنرك أحدا يتضور جوعاً .

ولم أتسبب في إبكاء أى إنسان .

إني لم أرتكب القتل .

وإني لم آمر بالقتل .

إني لم أسبب تعسا لأى إنسان .

إني لم أنقص طعاماً في المعاد .

ولم أنقص قربان الآلهة .

إني لم أغتصب طعاماً من قربان الموتى .

إني لم أرتكب الزنا .

إني لم أرتكب خطيئة تدنس نفسى في داخل حدود بلدة الإله الطاهرة .

إني لم أخسر مكيال الحبوب .

(١) راجع : Maystre, "Les Declarations d'Innocence" Cairo.
(1937); Papyrus Ani, Sheet 31 & 32. Budge, "Book of the Dead", Text
Vol. II, P. 127 ff.

- إني لم أنقص المقياس .
- إني لم أنقص مكيال الأرض .
- إني لم أثقل وزن الموازين .
- إني لم أحول لسان كفتي الميزان .
- إني لم أغتصب لبنا من فم طفل .
- إني لم أطرد الماشية من مرعاه .
- إني لم أنصب الشباك لطيور الآلهة .
- إني لم أتصيد السمك من بحيراتهم (أى الآلهة) .
- إني لم أمنع المياه عن أوقاتها .
- إني لم أضع سدا للمياه الجارية^(١) .
- إني لم أطفى النار في وقتها (أى عند وقت نفعها) .
- إني لم أستول على قطعان هبات المعبد .
- إني لم أتدخل مع الإله في دخله .

والآن نتقل إلى منظر آخر يمثل الحساب أيضا حيث نجد القاضي (أوزير) يساعد الاثنين والأربعين إلها الذين يجلسون معه لمحاسبة المتوفى والذين هم شياطين غيضة يحمل كل منهم اسما بشعا مزعجا ويدعى المتوفى أنه يعرف أسماءهم ولذلك يخاطبهم واحدا واحدا باسمه وأسماءهم هكذا :

- خطوة واسعة — خرجت من «عين شمس» .
- ومحتضن اللهيب الذي خرج من «طرة» .
- وآكل الظل الذي خرج من الكهف .
- وعينان من لهيب خرجتا من (لتوبوليس) بلدة أوسيم الحالية .

(١) راجع : Papyrus Nebseni, British Museum No. 9900. Sheet 30.
Budge, Ibid. 104 ff. & Papyrus Nu. Budge, Ibid. 125, & Papyrus
Iuau, Budge, Ibid. 106 ff. & Ani, Budge, Ibid. 172 ff.

وكاسر العظام الذى خرج من «أهناس» .

وآكل الدم الذى خرج من مكان الإعدام .

فكان المتوفى يذهب إلى تلك الأسماء وأمثالها من أسماء المخلوقات التى اخترعها خيال رجال الكهانة المصريين ويوجه لكل منها — بدوره — اعترافا ببراءته من خطيئة معينة .

وظاهر طبعاً أن أولئك الاثنتين والأربعين قاضيا ليسوا إلا أسماء مخترعة وهم يمثلون كما تقدم ذكره سابقا الاثنتين والأربعين مقاطعة أو المراکز الإدارية التى تتألف منها البلاد المصرية^(١) .

ولا شك فى أن الكهنة ألفوا تلك المحكمة من اثنتين وأربعين قاضيا قصد الإشراف على أخلاق المتوفى فى كل أنحاء البلاد . حيث يجد المتوفى أن نفسه تواجه على الأقل قاضيا من بين أولئك القضاة قد جاء من البلدة التى كانت موطناً له ويكون ذلك القاضى على علم بسيرة ذلك المتوفى المحلية وشهرته فى أقصى وأدنى الشارع الرئيسى فى بلده ، وبذلك لم يكن فى إمكانه أن يخاتله ويفشه . وتشتمل هذه الاعترافات الاثنتان والأربعون على كثير من نفس موضوع الإعلانات التى ذكرناها فى الخطاب السالف فقد وجد الكهنة الذين قاموا بنشر تلك الإعلانات بعض الصعوبة فى إيجاد الخطايا الكافية لملء قائمة مؤلفة من اثنتين وأربعين خطيئة . ولذلك نجد من بينها كلاماً كثيراً معاداً ، هذا عدا التكرار الذى ذكر مع تغيير طفيف فى بعض الألفاظ والجرائم التى كان يمكن عدّها من الجنايات وأعمال العنف التى يتبرأ منها بقوله :

إنى لم أقتل رجلاً .

إنى لم أسرق .

(١) راجع تفصيل الكلام عن هذه المقاطعات فى كتاب "أقسام مصر الجغرافية" لؤلف .

- إني لم أتلصص .
- إني لم أسرق امرأ ينتحب على متاعه .
- ولم تعظم ثروتي إلا من ملكي الخاص .
- إني لم أغتصب طعاما .
- إني لم أبعث الخوف .
- إني لم أذك الشجار .
- هذا ونجد المتوفى كذلك ينكر الغش وغيره من الصفات المذمومة او يقول :
- إني لم أنطق كذبا .
- إني لم أضع الكذب مكان الصدق .
- ولم أكن أتصام عن كلمات الصدق .
- إني لم أخسر ميكال الحبوب .
- ولم أكن طماعا .
- وقلبي لم يلتهم (يعني لم يطمع) .
- ولم يكن قلبي متسرعا .
- إني لم أضعاف الكلمات عند التحدث .
- ولم يكن صوتي عاليا فوق ما يجب .
- ولساني لم يتذبذب .
- ولم تأخذني حدة الغضب (في طبعي) .
- إني لم أسب .
- ولم أكن متسما .
- ولم أكن متكبرا (منفوخا) .
- كما كان المتوفى أيضا بعيدا عن ارتكاب الرذائل الجنسية إذ يقول :
- إني لم أرتكب زنا مع امرأة .

إني لم أرتكب ما يندس عرضي .
وكذلك ينكر المتوفى، أيضا مجاوزته للحدود الرسمية إذ يقول :
إني لم أعب في الذات الملكية .
إني لم أسب الإله .
إني لم أذبح الثور المقدس .
إني لم أسرق هبات المعبد .
إني لم أنقص طعام المعبد .
إني لم أرتكب شيئا تكرهه الآلهة .

وإنكار هذه النقائص وغيرها مما لم يمكننا فهمه هو الذى يتألف منه ذلك الإعلان بالبراءة . ويسمى هذا الجزء المذكور من « كتاب الموتى » فى العادة باسم « الاعتراف » . ومن الصعب على الإنسان فى الواقع أن يتدع اسما مخالفا لطبيعة بيان المتوفى الحقيقى أكثر من تلك التسمية . إذ هى إعلان واضح عن براءة المتوفى فتكون — بطبيعة الحال — عكس ما يفهم من كلمة « اعتراف » هذه . ولهذا السبب قد صار فساد تلك التسمية من الأمور الظاهرة لدرجة أنه وصل الأمر ببعض الناشرين لذلك الفصل أن أضافوا بعد كلمة « اعتراف » كلمة « إنكارى » وصاروا يسمونه « اعترافا إنكاريا » مع أن تلك التسمية ليس لها معنى لأن المصرى القديم لم يعترف بشئ فى وقت تلك المحاكمة . وهذه الحقيقة فى غاية الأهمية فى تطور المصرى الدينى القديم كما سيتضح فيما نذكره بعد .

والواقع أن إساءة فهم ذلك الجزء من « كتاب الموتى » بتسميته « اعترافا » معناه إساءة الفهم التام لذلك التطور الذى كان يسير بالمصرى القديم — إذ ذاك — على مهل نحو اعترافه التام بخطاياهم وإظهاره المتواضع لها . وهو أمر لا يوجد أبدا فى أية ناحية من نواحي « كتاب الموتى » .

ثم بعد أن يذكر المتوفى براءة نفسه أمام هيئة المحكمة العظمى كلها يوجه خطابه إليهم بوثوق فيقول :

سلام عليكم يا أيها الآلهة .
إني أعرفكم وأعرف أسماءكم .
وإني لن أسقط أمام أسلحتكم .
لا تبلغوا عني شرا لذلك الإله الذي تتبعونه .
إن قضيتي لم تأت أمامكم .
قولوا عني الصديق أمام (الرب المهيمن) .
لأنني أقت الصديق (يعني العدل) في أرض مصر .
وإني لم أسب الإله .
وإن قضيتي لم تأت أمام الملك الحاكم وقتئذ .
سلام عليكم أيها الآلهة الذين في قاعة الصديق (هذه) .
والذين خلت أجسادهم من الخطيئة والكذب .
والذين يعيشون على الصديق في « عين شمس...أمام حور » الساكن في قرص
(١) « شمس » .

انظروا إني آت إليكم بدون خطيئة وبدون شر وبدون ذنب .
إني أعيش على الحق .
وأكل من عدالة قلبي .
ولقد فعلت ما تقوله الناس وما يرضى الآلهة .
ولقد أَرْضِيت الإله بما يرغب فيه .
فأعطيت الجائع خبزا .
والصاды ماء .
والعريان لباسا .
ومن لا قارب له رمثا .

(١) يجب أن نلاحظ هنا أن ذلك برهان آخر على أن المحكمة أصلها شمس .

وصنعت قربانا مقدّسا للاله ، وقربانا من الطعام للوتى .
فنجونى أتم ، وأحمونى أتم .
ولا تقدّموا ضدّى شكاية للإله العظيم .
لأنّى إنسان طاهر الفم وطاهر اليدين .
ولمّنى من قال له كل من رآه : مرحبا ، مرحبا .

وبتلك الكلمات تتحوّل ادعاءات المتوفى الدالة على خلقه العظيم إلى تأكيدات تدل على أنه قد راعى كل مستلزمات المذهب الأوزيرى الرسمية . وتلك يتألف منها أكثر من نصف ذلك الخطاب الختامى الموجه إلى آلهة المحكمة .

وأما الرواية الثالثة عن المحاكمة فهى — من غير شك — الرواية التى أثرت أعمق تأثير على نفس المصرى . فهى أشبه بتمثيلية « أوزير » فى « العرابة المدفونة » فى ظهورها أمامنا بصورة بارزة ، إذ ترسم لنا المحاسبة الأخروية — كما حدثت — بالموازين ، فنشاهد الإله « أوزير » فى بردية « آنى » الفاخرة المحلاة بالصور — جالسا فوق عرشه فى نهاية قاعة المحاكمة ، وخلفه كل من الإلهتين « إزيس » و « نفتيس » وقد اصطف على طول أحد جوانب القاعة الآلهة التسعة وهم المعروفون « بتاسوع عين شمس » برأسهم « إله الشمس » وهم الذين ينطقون فيما بعد بالحكم ويدلون بذلك . على أن ذلك المنظر الثالث من المحاكمة كان فى بدايته شمسى الأصل ، وهو الذى احتل فيه « أوزير » الآن المكان الأول . فيشاهد فى وسط المنظر موازين « رع » وهى التى يزن بها الصدق ، مطابقا لما سبق ذكره بتسميتها بذلك الاسم فى العهد الإقطاعى . ولكن المحاكمة التى ظهرت فيها تلك الموازين — وقتئذ — صارت « أوزيرية » الصيغة حيث كانت الموازين فى يد الإله الجنازى « أنوبيس » الممثل برأس ابن آوى ويقف خلفه « تحوت » كاتب الآلهة ليشرّف على الميزان ، وفى يده القلم والقرطاس حتى يسجل النتيجة ، وخلف « تحوت » يقع حيوان بشع الهيئة يسمى « الملتهم » له رأس التمساح

وصدر الأسد ، ومؤخرة (فرس البحر) ، ويكون متحفزا لالتهام الروح إذا وجدت ظالمة — وقد صور بجوار الميزان — بفكرة تدل على الدهاء — صورة القرد تتبعه الآلهتان « رنوت » و « مسخت » وهما آلهتا الولادة ، إذ يكونان على أهبة التأمل والتدبر للنظر في مصير تلك الروح التي أشرفنا عليها حينما جاءت إلى هذا العالم قبل ذلك . وكان يجلس خلف الآلهة الذين كانوا متربعين فوق عروشهم إلهما « الأمر والعقل » .

على أننا كثيرا ما نجد — في لفائف بردية أخرى في ذلك الموضوع أن إله العدل « بنت رع » قائمة عند مدخل قاعة المحاكمة ، ثم تدخل قاعة المحاسبة الروح التي جاءت حديثا .

وفي ورقة « آنى » يدخل « آنى » وزوجه القاعة التي يقرّر فيها مصيرهما ورأساهما منحنيان بهيئة تدل على الخضوع وينادى « أنوبيس » في الحال قلب « آنى » والإشارة الهيروغليفية التي تدل على القلب — وهى التي تمثل هنا قلب « آنى » — تشبه شها كبيرا إناء صغيرا .

وقد ظهرت — هذه الإشارة القلبية المثلثة بالإناء الصغير — موضوعة في إحدى كفتى الميزان ، كما ظهرت في الكفة الأخرى ريشة — وهى الرمز الهيروغلفى الدال على — الصدق — أو العدالة . أو الحق (يعنى ماعت) ويخاطب « آنى » قلبه في اللحظة الحرجة إذ يقول :

” ياقلبي الذى أتيت من أمى !

ياقلبي الخالص بكيانى !

لا تقفن شاهدا على

ولا تعارضنى فى المجلس (يعنى محكمة العدل)

ولا تكونن حربا على أمام رب الموازين

ولا تدعن اسمى يصير منتن الرائحة فى المحكمة

ولا تقولن على زورا فى حضرة الإله “

وقد ظهر أن لهذا الاستعطاف أثره لأن « تحوت » رسول التاسوع العظيم الذى وجد أفراده فى حضرة الإله « أوزير » يقول على الفور :

« اسمع أنت هذه الكلمة بالحق :

إنى قد حاسبت قلب « أوزير »^(١) « آنى »

وإن روحه تقف شاهدة عليه

وأخلاقه قد وجدت مستقيمة على حسب الميزان العظيم

ولم يوجد له أى ذنب »

ثم يجيب الآلهة التسعة على الفور :

« ما أحسن ذلك الذى يخرج من فيك العادل »

ثم يشهد « أوزير آنى » المبرأ من الذنوب : « إنه ليس له ذنب

وإنه لم يقترب شراً

ولن يكون (للتهمة) سلطان عليه .

وليؤمن بإعطائه الخبز الذى يوضع أمام (أوزير) والضيعة التى فى حقل

القربان كما عمل لاتباع « حور » .

وبعد أن يحكم له بحكم مرض بتلك الكيفية يقود « حور » ابن « أريس »

« آنى » المحفوظ ، ويقدمه إلى « أوزير » حيث يقول له فى الوقت نفسه :

إنى آت إليك يا « وننفر » [أوزير] وإنى أحضرك « أوزير آنى »

إن قلبه المحق يخرج من الميزان ، وليست له خطيئة فى نظر أى إله أو إلهة

ولقد حاسبه « تحوت » بالكتابة .

وقد شهدت له الآلهة التسعة شهادة عادلة جدا .

فليؤمن بإعطائه الخبز والجنة اللتين توضعان أمام « أوزير وننفر » مثل أتباع

« حور » .

(١) ترك الكاتب ذكر اسم « آنى » بعد « أوزير » سهوا

وبعد ذلك يضع « آنى » يده فى يد « حور » ويخاطب « أوزير » فيقول :

« تأمل لى أمامك يارب الغرب .

إن جسمى خال من الذنوب .

لنى لم أنطق كذبا على علم منى :

وإذا كان ذلك قد فرط منى فلانى لم أكره ثانية .

دعنى أكن مثل أصحاب الخطوة من أتباعك » .

وعندئذ يركع أمام الإله العظيم ، وفى أثناء تقديمه مائدة القربان يصير مقبولا

إذ يدخل فى مملكة « أوزير »

فتلك البيانات الثلاثة عن الحساب فى الآخرة على الرغم مما فيها من الحواشى

والملاحظات التى زخرفها بها الكهنة — ذات أثر فعال فى النفوس حتى فى نظر الباحث

الحديث حينما ينعم النظر فى تلك اللقائف البردية التى مضى عليها ٣٥٠٠ سنة

تقريبا ، ويعلم أن تلك المناظر ليست إلا تصويرا محسا لنفس الشعور بالمسئولية

الخلقية ، ولنفس إيماء الوازع الباطنى الذى لا تزال — نحن للآن — نطالب

به أنفسنا . إذ نجد أن « آنى » يتضرع لقلبه — الذى هو الكلمة المعبرة عنده

عن « الضمير » ألا ينم عليه إذ نجد أن صدى صيحته تتردد فى كل الآباد والدمور

حيث قال :

فى كلمات مثل تلك التى قالها ريشارد^(١)

« إن ضميرى له ألف لسان مختلف

وكل لسان يأتى معه بقصة مختلفة

وكل قصة تقضى على بآنى شرير »

وقد أصغى المصرى إلى نفس ذلك الإيماء وخافه وحاول إخفاءه ، وإسكاته

كما اجتهد فى إسكات وحى القلب ، مع أنه إلى ذلك الوقت لم يعترف بذنوبه

(١) هو « رتشارد الثانى » ملك انجليزى ١٣٧٧ — ١٣٩٩ وهذا الاقتباس من رواية للشاعر

بل تشبث في إلحاح يبرأته . ولقد كانت الخطوة الثانية في ذلك التدرج السامى
هى إظهاره — فى خضوع — شعوره بنخطيئته إلى ربه . وقد وصل إلى تلك
الخطوة فيما بعد ولكن حدث — إذ ذاك — أن تدخل عامل آخر فعاقه إعاقة
شديدة عن تحرير « ضميره » تحريرا تاما . وليس هناك من شك فى أن هذه المحاكمة
الأوزيرية التى صورت لنا بذلك الوضع مضافا إليها ذلك التقدير العام لعبادة
« أوزير » فى عهد الدولة الحديثة كان لها أثر عظيم فى نشر الاعتقاد بالمسئولية
الخلقية فيما بعد الموت ، كما كان لها الأثر أيضا فى تعميم تداول تلك الآراء الخاصة
بالقيم السامية للأخلاق الطاهرة النقية ، وذلك ما شاهدناه منتشرا بين علماء
الأخلاق والفلاسفة الاجتماعيين الذين نشئوا فى البلاط الفرعونى منذ عدة قرون
خلت فى العهد الإقطاعى . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٥٩)
وبتلك الكيفية صار مذهب « أوزير » قوة عظيمة فى انتشار العدالة بين الناس ،
وكان بابه مفتوحا على مصراعيه ليدخله جميع الناس ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه
كان من واجب الجميع أن يبرهنوا على أهليتهم لذلك الاعتقاد عند الإله « أوزير »
من الناحية الخلقية .

تأثير السحر فى الأمور الدينية

على أن الكهنة لو تركوا الأمر على تلك الحال لكان حسنا مقبولا ، ولكن
— لسوء الحظ — كان انتشار الاعتقاد فى نفع قوة السحر وتأثيرها فى الحياة
الأخروية لا يزال مستمرا . إذ كان المعتقد أن كل النعم المادية يمكن الحصول عليها
— من غير نزاع — باستعمال الرقية الملائمة للحصول على ذلك الأمر المرغوب فيه .
كما كان فى الإمكان كذلك أن يعاد إلى الإنسان بتأثير تلك العوامل السحرية كل شئ
حتى العناد العقلى ألا وهو « القلب » الذى معناه — فى اللغة المصرية القديمة —
« الفهم » أو « العقل » (راجع الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ١٠ الخ) .

فقد رأينا — فيما سبق ذكره — كيف أن نفس تلك الرقية التي تمكنت بها تلك الأم الملوعة من منع طفلها أن يأخذ ذلك الشيطان^(١) الرجيم — كان في الإمكان — كذلك استعمالها لمنع أخذ قلب الإنسان منه (يعنى سلب عقله منه) . وقد وضعت الكهنة^(٢) في « متون التواييت » في عصر العهد الإقطاعي — رقية لذلك الغرض عنوانها :

« فصل في عدم السماح بأخذ قلب الرجل منه في العالم السفلي » وقد أضيفت — الآن — هذه الرقية الى « كتاب الموتى » .

وفي هذا الكتاب نجد أن السحر قد أدخل إلى عالم جديد آنحرو هو عالم « الضمير » والصفات الشخصية والأخلاقية .

وقد سؤغت للكهنة أبواب الكسب والارتزاق — التي كانت لا تقف حيلتهم فيها عند حد — أن يتخذوا لهم في ذلك الزمن خطة خطيرة للاحتيال على الكسب ، ألا وهي السماح لمثل تلك العوامل المنحطة أن تتدخل بتلك الكيفية في القيم الخلقية ، إذ كان في مقدور السحر أن يضير عاملا للوصول إلى الغايات الخلقية ، وسنذكر فيما يأتي أن « كتاب الموتى » هو — بوجه خاص — كتاب للرقى والتمايم السحرية وإنه حتى الجزء الخاص منه بحساب الآخرة لم يستمر طويلا خاليا من ذلك ، حيث نجد أن تلك الكلمات المؤثرة التي وجهها « آنى » إلى قلبه عند ما كان يوزن بالموازين الأخروية وهى قوله له : « يا قلبي لا تقم شاهدا على » — كانت تدون — إذ ذاك — على صورة « جعل مقدس » مصنوع من الحجر (وهو الجعران) ثم توضع فوق قلب الميت حتى تكون بمثابة أمر له نفوذ سحرى فعال يمنع القلب إفشاء أخلاق المتوفى (الذمية) .

(١) راجع مصر القديمة جزء ٣ ص ٥٢١

(٢) راجع : Papyrus of Nu, Sheet 5. Budge, "Book of the Dead"

Text Vol. I, P. 128 - 129.

وقد صارت ألفاظ تلك الرقية الجعلية (الجعرانية) فصلا مستقلا من فصول « كتاب الموتى » عنوانه :

« فصل لمنع قلب الرجل من معارضته له في العالم السفلى » .^(١)

وكانت مناظر المحاكمة في الآخرة ومتن إعلان البراءة تكتب مرارا على صفحات البردى إذ يقوم بتدوينها الكهنة ثم تباع لكل الناس ، ولا يكتب اسم الميت في هذه النسخ وإنما كان يترك لكتابته مكان يملؤه المشتري بعد حصوله على تلك الوثيقة .

وكانت كلمات الحكم التي تعلن أن المتوفى قد فاز في المحاكمة ، وبريء من كل شرنسب إليه — تدون في كل صحيفة من تلك الصحف . وعلى ذلك كان في إمكان كل إنسان — مهما كانت أخلاقه ذميمة في الحياة الدنيا — أن يستولى من « كتاب الموتى » — على شهادة يعلن فيها أن صاحب هذا الاسم — الذي ترك مكانه أبيض — كان رجلا عادلا (يعني أن هذا كان يفعل من قبل أن يعرف من سيكون صاحب هذا « البياض ») .

وقد كان في مقدور ذلك الميت أن يحصل على صيغة سحرية شديدة القوة والتأثير لدرجة تجعل « إله الشمس » الذي يعتبر القوة الحقيقية الكامنة وراء تلك المحاكمة يسقط من سماواته في « النيل » إذا لم يخرج ذلك الميت برىء الساحة — تماما — من محاكمته .

وبتلك الكيفية نجد أن أقدم انتشار للأخلاق الفاضلة كان يمكننا تتبعه في حياة الإنسان القديم ، قد توقف فجأة أو على الأقل قد صدم صدمة عنيفة بتلك الحيل الممقوتة التي كان يستعملها أولئك الكهنة الفاسقون جريا وراء الكسب . ولسنا في حاجة إلى بيان ما أدى إليه تدخل السحر في ذلك الشأن الخطير من الاعتقادات الدينية وما آلت إليه الحال من الارتباك في الفوارق التي انطوت على ذلك التطبيق

(١) راجع الفصل الثلاثين من كتاب الموتى .

الأخير للسحر . وذلك الارتباك كان ناتجا من خيبة الإنسان قديما في فهم الفرق بين « ما يدخل في نفس الإنسان » وبين « ما يخرج منها » .

فتلك البراءة التي تطبق على الإنسان تطبيقا آليا بالعوامل الخارجية لتنجيه من العقوبات التي مصدرها من الخارج ، لا يمكن — بطبيعة الحال — أن تزيل الأضرار التي حدثت في باطن الإنسان ، فالإيماء الباطني الذي كان يحسه المصريون الأقدمون أكثر من أية أمة أخرى في الشرق القديم ، وهو الإيماء الذي كانت تركز عليه أيضا كل فكرة عن الحساب الخلقى العسير في عالم الآخرة — لا يمكن أبدا أن يكتفى بمثل تلك الطرق الخارجية التي ابتدعها لهم السحر ، ولا بد أن الاعتقاد العام الذي جرت به العادة في الاعتماد على مثل تلك الحيل الدنيئة للفرار من المسؤولية الخلقية عن حياة مرذولة — كان قد سم حياة الشعب الفطرية .

ففي الوقت الذي يكشف فيه لنا « كتاب الموتى » صيغة المحاكاة الخلقية في عالم الآخرة وكيفيتها — وعن الحقيقة التي ألبسها لتصوير المسؤولية الخلقية بصورة تامة أكثر من أى زمن آخر سابق في تاريخ المصريين القدماء — فإنه كذلك يعتبر كشفا عن مدى الانحطاط الخلقى في ذلك الوقت . إذ بقدر ما صار « كتاب الموتى » سلاحا لضمان البراءة الخلقية في عالم الآخرة بدون مراعاة لقيمة أخلاق ذلك الشخص صار قوة إيجابية لجلب الشر أيضا .

ونتاج الكهانة هذا (أى كتاب الموتى) كان — فضلا عما سبق ذكره عنه — يعد عاملا ضارا . لأنه كان ينتظم طائفة من الرقى والتعاويذ السحرية التي يعتقد فيها القوم القدرة على جلب ما يرضى الميت من الحاجات المادية والجنانية في عالم الآخرة . وقد زاد عدد تلك الرقى في عهد الدولة الحديثة ، وكان لكل واحدة منها عنوانها الدال على ما تؤذيه لليت من الأعمال . ولذلك فإن الرقى السالفة الذكر مضافا إليها بعض الأناشيد الدينية في مديح « رع » و « أوزير » وهى التي كان بعضها ينشد أمام الجنائز ، ويحتوى عادة على بعض البيانات عن الحساب في الآخرة

كانت — إذ ذاك — تدون بصفحتها متونا جنازية على صحف من البردى توضع مع الميت في قبره. وهذه الأوراق البردية هي التي صارت تعرف — عندنا عادة — باسم « كتاب الموتى » .

كتاب الموتى

والواقع أنه لم يكن موجودا — في عهد الدولة الحديثة — كتاب كهذا يعرف بذلك الاسم — بل كانت كل لفافة بردى تحتوى على مجموعة — أيا كان نوعها من تلك المتون الجنازية على حسب ما يقع تحت يد الكاتب . أو مجموعة من تلك المتون التي كانت سوقها رائجة وقتئذ — أى تلك المتون التي كانت تلاقى من الناس أعظم إقبال ، حيث كانت توجد لفائف نفخة ذات بهاء يبلغ طول الواحدة منها من ٦٠ إلى ٨٠ قدما ، وتشتمل على فصول أو رقى يتراوح عددها من ٧٥ لغاية ١٢٥ أو ١٣٠ ، ولكن كان الكهنة من جهة أخرى يسحبون لفائف صغيرة متواضعة لا يزيد طول الواحد منها عن بضعة أقدام ، ولا تحوى إلا على منتخب صغير من تلك الفصول التي تعد أكثر أهمية من غيرها . والواقع أنه لم يعثر على أكثر من لفافتين تحتوى كل منهما على نفس مجموعة التعاويذ التي تشتمل عليها الأخرى .

وقد بقيت الحال كذلك إلى عهد البطالمة (أى بعد القرن الرابع قبل الميلاد بقليل) حينما جمع منتخب من تلك الفصول وأدخل استعماله تدريجيا . ثم صار تقريبا فى حكم المتفق على صحة اتباعه . ومن ذلك يتضح — كما ذكرناه فيما سبق — أنه لم يكن هناك كتاب يعرف باسم « كتاب الموتى » بصحيح العبارة فى عهد الدولة الحديثة بل كانت توجد مجاميع متنوعة من الفصول الجنازية فقط تملأ الأوراق البردية الجنازية التي وجدت فى ذلك العصر .

وقد بلغ مجموع تلك الفصول أو التعاويذ التي كانت تؤلف منها تلك اللفائف ما يربى على مائتين ، وأكبر لفافة منها كانت لا تحتوى على تلك الفصول وقد كان استقلال كل فصل — أو بعبارة أخرى — تمييز كل فصل عن غيره من باقى الفصول

واضحاً في ذلك العهد. وذلك بفضل اتباع العادة التي جرت بوضع عنوان لكل فصل قبله. وقد كانت تلك العادة متبعة في كثير من فصول «متون التواييت» وتوجد هناك مجاميع من الفصول التي تتألف منها أكبر نواة متداولة لكتاب الموتى وتسمى تلك الفصول غالباً : «فصول للصعود في النهار» وهي تسمية وجدناها مستعملة في «متون التواييت» أيضاً .

وعلى الرغم من كل ذلك لم يكن هناك عنوان شائع عن لفافة كاملة للكتاب «الموتى» باعتباره وحدة شاملة .

وعلى الرغم من أن بعض القطع الضئيلة من «متون الأهرام» قد استمرت طويلاً مستعملة في «كتاب الموتى» فإنه يمكننا أن نقول إن تلك المتون قد اختفت على وجه عام تقريباً .

وأما «متون التواييت» فقد ظهرت ثانية بمقدار عظيم جداً وأسهمت إسهاماً كبيراً في تكوين المجاميع المتنوعة التي يتألف منها الآن «كتاب الموتى» .

وقد حدث تجديد في هذه المتون — في ذلك الزمن — لم نر منه إلا إشارات فقط في «متون التواييت» ، وكان ذلك التجديد هو إضافة صور فائقة^(١) في لفائف الموتى التي عثر عليها في مخلفات الدولة الحديثة، وكان الغرض منها تصوير مدة حياة المتوفى في عالم الآخرة . وقد كانت القوم يعتقدون في تأثير مفعولها اعتقاداً عظيماً وبخاصة — كما شوهد ذلك موضحاً — فيما سبق ذكره عن منظر المحاكمة في الآخرة الذي صار — إذ ذاك — مصوراً بهيئة متقنة .

ويمكن القول عن تلك الإيضاحات التي جاءت في «كتاب الموتى» بأنها ما كانت إلا مثلاً أخرى لأحكام تلك الطرق السحرية التي كان يقصد منها تحسين

(١) راجع مثلاً ورقة «آنى» السالفة الذكر فإنها تعد من أحسن البرديات التي عثر عليها حتى الآن

زينت بالألوان الجميلة المختلفة .

أحوال الحياة الأخروية . والواقع أن « كتاب الموتى » — نفسه — على وجه عام ، ليس إلا صورة تفسيرية معقدة بعيدة المرمى لإظهار مدى اعتماد القوم المترايد على السحر في الحياة الآخرة .

وكانت الفوائد المادية التي اجتذبت بتلك الطريقة لا حد لها ، ومن الواضح أن ذكاء أولئك الكهنة المرتزقة قد لعب دورا عظيما في التدرج الذي جاء بعد ذلك . إذ قد صارت رؤية الآخرة في نظر أشرف الدولة المترفين كما كان يراها الفلاح المصرى القديم ، ليست بالمستقبل الجذاب ، وهى التى كان يمكن المتوفى أن يحرث فيها كما كان يمكنه أن يزرع ويحصد الثمار من حقله . وكما كانت الحبوب أيضا هى الأخرى تنمو إلى ارتفاع سبعة أذرع (حوالى ١٢ قدما) . فلم يكن يروق في نظر أولئك العظماء المنعمين في عصر يزخر بالثراء والترف — أن يكلفوا القيام بعمل ما ، أو أن يجبروا على الذهاب حتى إلى « حقول المنعمين » ليكدوا وينصبوا هناك . ولذلك كانت توجد منذ الدولة الوسطى دمي مصنوعة من الخشب تمثل خدم الميت في الحياة الآخرة حيث كانت توضع معه في القبر لتقوم بدلا منه بأداء ما يلزمه القيام به من العمل بعد الموت ، كما كان يقوم له بذلك خدمه في الحياة الدنيا .

وقد تدرجت تلك الفكرة — إذ ذاك — بعض الشيء في سبيل الرقى والتقدم حيث كانت تصنع تماثيل صغيرة للمتوفى تحمل كل منها حقيبة وفأسا ويطلق عليها التماثيل المحيية ، وكان يدون على صدور مثل تلك التماثيل رقية خادعة وهى :

« يأتينا^(١) الدمى المتخذة لفلان (هنا يكتب اسم المتوفى) إذا نوديت أو إذا طلبت اليوم للقيام بأى عمل في العالم السفلى فإنك تعدين نفسك لى في كل الأزمان لتزرعى الحقول ، وتروى الشواطئ ، وتنتقل الرمل من الشرق إلى الغرب ، ولتقولى : إبنى ههنا^(٢) » .

(١) كتاب الموتى الفصل السادس (راجع Budge, "Book of the Dead", Text. I, (P. 29 f.) .

(٢) إن الكلمة التى تعبر عن هذه الدمى تكتب عادة « يوشابتي » أو « شوابتي » .

وهذه الرقية كانت ضمن الرقى التي كانت مدونة في بردى المتوفى تحت عنوان :
« فصل في جعل الدمية تقوم بعمل المرء في العالم السفلى » ؛ وهذه الطريقة الخاذقة
قد أتقنت إتقاناً كثيراً حتى أنه قد خصص لكل يوم من أيام السنة دمية من تلك
الدمى الصغيرة الخاصة بالميت التي توضع معه في قبره .

وقد عثر على تلك الدمى بمقادير عظيمة في الجبانات المصرية القديمة حتى أن
المتاحف (والمجاميع الخاصة) في كل العالم قد صارت الآن أهلة بها .

ولا غرابة إذن إذا كان كهنة ذلك العصر وكتبته قد انتهزوا تلك الفرصة
السانحة لا يتراز أموال الناس بالباطل حبا في الكسب الذي كان يأتي إليهم بتلك
الطريقة السهلة . ولذلك تضاعفت أخطار الآخرة وأهوالها إذ ذاك تضاعفا عظيما ،
إلا أن الكهنة كان في مقدورهم إنقاذ المتوفى لدى كل موقف حرج بالتعاويز الفعالة
التي تنجيه من الخطر حتما . هذا بخلاف تعاويز عديدة تساعد المتوفى على الوصول
إلى عالم الآخرة ، كما كانت توجد أيضا تعاويز تمنع فقدان المتوفى فمه ورأسه وقلبه .
وأخرى لتساعده على استذكار اسمه ، وكما كان منها ما يساعد على التنفس والأكل
والشرب . ومنها ما يمنعه أكله لبرازه ، ومنها ما يمنع الماء الذي يشربه أن يتحول
إلى لهيب . ومنها ما يحول الظلام نورا .

كما كان من التعاويز ما يحجب عن الميت كل الشعابين والوحوش المؤذية ،
وكما كانت توجد أصناف كثيرة أخرى غير تلك من التعاويز ، فكذلك ازداد الآن —
موضع التقمصات التي كان يرغب الميت في أن يتقمصها روحه ، وقد وضع فصل
صغير لكل حالة يرغبها الميت ليساعده على أن يتقمص في صورة « صقر من الذهب »
أو « صقر إلهي » أو زنبقة أو مالك الحزين (فنكس) أو بجعة أو الثعبان المسمى
ابن الأرض أو تمساح أو إله .

والأدهى من كل ذلك هو اختراع فصل قوى المفعول يمكن الإنسان باستعماله
له من أن يتخذ لنفسه أى شكل يريد .

ويتألف من مثل ذلك الانتاج الذى تقدم ذكره الجزء الأعظم من مجموعة المتون التى نسميها الآن « كتاب الموتى » . فإذا سميناها إذا بعد ذلك « إنجيل المصريين » كما قد أسأنا فهم وظيفة هذه اللقائف ومحتوياتها .

وذلك الاتجاه الذى نتجت عنه تلك المجموعة من التعاويذ أو الرقى ، وهى التى يطلق عليها عادة اسم : « فصول » — نجده ظاهرا بشكل مميز كذلك فى كتابين آخرين ، يكون كل منهما وحدة متماسكة متصلة . وأولها « كتاب الطريقين »^(١) ويرجع عهده — كما تقدم ذكره — إلى عصر الدولة الوسطى وقد أسهم ذلك الكتاب من قبل إسهاما عظيما فى تأليف « كتاب الموتى » فيما يختص بالبوابات النارية التى كان يمر بها المتوفى حتى يصل إلى عالم الآخرة ، وإلى الطريقين اللذين كان يسير فيهما فى سياحته .

وعلى أساس تلك التصورات أنتج خيال الكهنة أيضا كتاب « الذين فى العالم السفلى أو ما فى العالم السفلى » . وهذا الكتاب يصف لنا السياحة التى تقوم بها الشمس السفلية خلال الليل حينما تخترق المرات ذات الكهوف الإثني عشر التى فى أسفل الأرض وكل منها تمثل مسيرة ساعة . والإثنا عشر كهفا تنتهى الشمس منها فى آخر مطافها إلى النقطة التى تطلع منها إلى الشرق صباحا . (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص ٥٨٨) ؛ (Budge. Ibid. Vol. II) وأما الكتاب الثانى فيسمى عادة باسم « كتاب البوابات » وهو يمثل كلا من الإثني عشر كهفا على حسب الدخول إلى كل كهف من بوابته وهو خاص باجتياز تلك البوابات ، ومع أن تلك التصانيف لم تنتشر الانتشار الذى حظى به « كتاب الموتى » فإنها كانت تعد — مع ذلك — كتب إرشاد سحرية ألفها الكهنة أيضا للكسب منها ، مثل معظم الفصول التى يتألف منها « كتاب الموتى » .

(١) راجع : Gustave "Le Livre de ce Qu' il y a dans l'Hadés", Jequier (1894) & Budge, "The Egyptian Heaven and Hell", Vol. I.

(٢) راجع الجزء الثالث ص ٥١٩ عن هذه الكتب .

والأمر الذى خلص « كتاب الموتى » من وصمة أنه كتاب سحرى يستعمل خاصة فى عالم الآخرة وكفى — هو إحكامه للآراء القديمة الخاصة بالمحاكمة الخلقية فى عالم الآخرة ، وتقديره الظاهرى لمسئولية « الضمير » ، إذ قد ذكرنا فيما تقدم أن علاقة الإنسان بالإله كانت قد صارت شيئاً آخر أكثر من إقامته للشعائر الدينية الظاهرة ، وكان يرجع ذلك إلى ما قبل مجئ العهد الاقطاعى فى الحكومات المصرية القديمة — حيث صارت — آتخذ — علاقة الإنسان بالإله — علاوة على ما ذكر — أمراً يتعلق بالقلب والأخلاق .

ولقد كان الشعور الخلقى عند المصرى قويا جداً لدرجة أنه لم يجعل قيمة الحياة الفاضلة قاصرة على قبوله عند « أوزير » فى عالم الآخرة . ومن ذلك يتضح لنا تحديد الأخلاق الأوزيرية التى تأمر الإنسان بالتفكير فى العواقب الخلقية فقط فى عالم الآخرة . ومع كل فإن « أوزير » كان إله الموتى كما ذكرنا ذلك كثيراً فيما تقدم ، وقد نادى فلاسفة الاجتماع الأقدمون — فى العهد الاقطاعى — بـ « رع » إله الشمس ، وطالبوا بإرجاع العدالة الاجتماعية إلى ذلك العالم كما طالب « رع » بإرجاعها .

ولم يعدم أولئك الفلاسفة — أخلاقاً لهم فى عهد الدولة الحديثة — وهؤلاء الأخلاف رجال رأوا أن عليهم فى المذهب الشمسى واجباً يحتم أن يحبوا حياة حقبة فى تلك الدنيا ، كما أدركوا أنهم يناهضون الثواب الدنيوى إذا عاشوا عيشة طيبة بتلك الكيفية . فإله الشمس لم يكن — بوجه خاص إله الموتى ، بل كان الإله الذى يحكم فى شئون البشر الدنيوية — وقد شعر الناس بالمسئولية الخلقية التى فرضها عليهم « رع » فى كل ساعة خلال حياتهم الدنيوية . فحوالى سنة ١٤٠٠ ق . م . وجه أحد مهندسى الملك « أمنحتب الثالث » أنشودة مدح فيها إله الشمس حيث قال :
”لقد كنت قائداً مغواراً بين آثارك ، مقبلاً العدل لقلبك ، وإنى أعلم أنك مستريح للعدالة ، وإنيك تجعل من يقيمها على الأرض عظيماً ، ولقد أقمته ، ولذلك جعلتني عظيماً“ .

وكذلك حينما كان الفرعون يعقد يمينا فإنه كان يحلف بحب « رع » لى ،
وبمقدار عطف والدى « آمون » على (وقد وحده « آمون » مع « رع » منذ
زمن بعيد) .

وكان الفاتح العظيم « تحتمس الثالث » عندما كان يقسم بذلك القسم توكيدا
لما يقوله وتعظيما لاحترامه للصدق عند الإله يشير عند حلفه إلى وجود إله
الشمس هكذا :

« لأنه يعرف السماء ويعرف الأرض ويرى جميع العالم فى كل ساعة » .

ومع أنه صار من الأمور المسلم بها أن عالم الآخرة السفلى فى المذهب الأوزيرى
كان يصور لنا إله الشمس وهو ينتقل من كهف إلى كهف تحت الأرض ما را
فى عالم « أوزير » السفلى وجالبا معه النور والفرح إلى الساكتين هناك — فإن تلك
الفكرة لم تكن معروفة فى « اللاهوت الشمسى » كما هو مذكور فى « متون الأهرام » .

والواقع أن إله الشمس — كما ظهر فى عهد تلك الدولة الحديثة — كان يعتبر
قبل كل شىء إله عالم الأحياء من البشر الذين كان حاضرا معهم نشطا فى شئونهم
الدنيوية على الدوام . ولذا كان الناس يشعرون بمسئوليتهم أمامه فى كل وقت .
وكانت سيطرته تلك قد تعمقت ، واتسع أمامها المجال باتساع أفق ذلك العهد
الامبراطورى إلى أن انبثق لأول مرة فى تاريخ العالم الدينى لأعين سكان وادى النيل
القدامى فجر رؤية إله عالمى واحد فرد صمد . وستفصل القول فيه فى حينه .

مبادئ انحلال الامبراطورية وعهد أخناتون

مقدمة : في ختام القرن الخامس عشر قبل الميلاد وصلت مصر إلى قمة المجد، فاتسعت رقعتها، وامتد نفوذها من أعالي دجلة والفرات شمالا إلى « نباتا » عند الشلال الرابع جنوبا، وصارت مهيبة الجانب نافذة الكلمة، يذعن لقوتها وبطشها أرباب التيجان وأصحاب الدول، ويسعى كل عاهل في الشرق إلى أن يخطب ودها ويفوز برضاها، وكان أهلها في رغد من العيش، ينعمون بحياة ناعمة، ويتمتعون بنخيل كثير جاءهم من تلك الممتلكات المترامية الأطراف، التي تتبع بلادهم، وتفيض من خيرها عليهم .

من أجل ذلك انصرف حملة الأقلام إلى الإنتاج من الأدب الرفيع، وافتن الصناع ومهروا بفضل ما أمدتهم به مستعمرات مصر من خير ورجال، وانكب عليه القوم على مناهل اللذة يكرعون من وردها ما شاء لهم الفراغ وطيب العيش .

فليس من الغريب إذا أن نرى ملك البلاد في هذه الفترة « أمنحتب الثالث » الذي تسنم عرشها حوالي سنة ١٤٠٠ ق . م يغترف من فيض اللذة والنعيم ما سمح له به الثراء الواسع والجاه العريض، ولم يشأ هذا العاهل العظيم أن يترسم خطأ آباءه وأجداده أباطرة مصر الذين دؤخوا العالم، ورأوا مجدهم في الغزو وامتشاق الحسام، بل آثر حياة الدعة والمتعة، يقضى يومه في الصيد ويله بين الغواني، فما أشبه بامرئ القيس الملك الضليل في الفترة الأولى من حياته .

رمى « أمنحتب » بنفسه بين أحضان النساء في غير قصد أو اعتدال، وكما ازداد انغماسا في تيارهن اشتد وله بهن، وازدادت لهفته عليهن، وإذا زهد في الزوجة طلب الخليفة، وإذا أشبع رغبته من المصريات وجد بغيته بين أحضان الأجنبية .

فلقد حدثتنا الكشوف الأثرية أن هذا العاهل الجبار قد تزوج بأخت ملك « متي » في شمال « سوريا » المسماة « جلوخيا » ثم ثنى بأخته الأخرى « تاتوخيا » واستقدم مع الأولى ثلثمائة وسبع عشرة غادة من حسان « نهرينا » الأمايد، وكان هذا حدثا

سعيدا في تاريخ حياته ، خلده « أمنحتب » بنقش جعل تذكاري رصده في عدة نسخ زهوا ومباهاة ، وتحدثنا بنعمة الله .

وجاء في خطاب كشف حديثا في « تل العمارنة » أرسله هذا الملك مع رسوله « خانيا » إلى أمير « جيزر » « ميلكيلى^(١) » يطلب إليه أن يرسل إلى مصر أربعين من العذارى يتخيرهن من حسان قومه وأجملهن قواما ، وأن يكن صبيحات الوجوه ، وليس في إحداهن ما يشين جمالها ، أو يزرى بمجاسنها ، وجاء في هذا الخطاب ما يدل على شدة شغف الفرعون بالجمال وولعه بالنساء ، إذ قال لهذا الأمير : ” وسأخذ من هذه الهدية مقياسا لحسن ذوقك وخبرتك “ وحسبك بهذه الكلمة تصدر من عاهل عظيم لأمر تابع له حتى يذرع أقطار بلاده جاهدا منتقبا عن رغبة مولاه ، لأنه بذلك يرتفع قدره لديه ، ويصير أثرا عنده مقربا إليه .

ولم يقصر « أمنحتب » ” هذا في طلب النساء من آفاق امبراطوريته الواسعة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فقد طلب من أحد أمراء « سوريا » المسمى « شوياندو »^(٢) عشرين عذراء كما طلب من أمير « أورشليم » « عبدى خيبا » أن يرسل إليه إحدى^(٣) وعشرين فتاة من أبكار بلاده ، يتمتع بهن في قصره الفرعوني ، وأن يسلم هذه الهدية النفيسة إلى عامله الأمين « شوتا » حتى تصل إليه كما برأها خالقها لم يمسهما بشر . وجاء في خطاب آخر من وثائق « تل العمارنة » أن هذا الفرعون بعينه قد طلب من حاكم إحدى الولايات الأسبوية أن يرسل إليه ابنته لأنه معجب بها ، كما تدلنا وثائق أخرى وصلتنا عن هذا العصر أن هذا الملك كان يحتفظ في قصره بأميرة بابلية يحبها .

(١) وقد أرسل له الفرعون في مقابل ذلك ذبا وفضة وملابس وجرد الدم وكل أنواع الأجار الكريمة المختلفة وكراسي من الأبنوس وكل شيء طريف (راجع Mercer, “The Tell el Amarna Tablets”, Vol. I, (No. 31 a) P. 187.

(٢) راجع : Mercer, “The Tell el Amarna Tablets”, Vol. II, (No. 301), 15 ff.

(٣) راجع : Ibid, (No. 288) 1. 20.

فليت شعري أى شره هذا !! وليس بالكثير على رجل هذه متعه المحببة أن تقاس أقدار الرجال عنده بما يقدمون إليه من غواني تملأ العين والقلب فهذا « توشرتا » ملك « متنى » يهدى إليه ثلاثين حظية من البيض الرعايب ^(١) ، كما أن علامة رضاه على العلية والأشراف من رعاياه ، أن يهبهم مما أفاء الله عليه من سبايا الحرب ما يستهوى القلب من ذوات الدل والخفر . فأصبح الهوى مسيطرا على قلوب الرجال ، وتمتعت الغواني بمنزلة فريدة ، وتطلع القوم إلى المثل العليا في الجمال لا لعبادته وشمه ، لكن لقطفه وضمه ، والناس في ذلك معذورون ؛ لأنهم على دين ملوكهم يسرون .

إخناتون

نظرة عامة في حياته : لقد صدق من قال : إن الولد سر أبيه ؛ فهذا « أخناتون » ^(٢) بن « أمنحتب الثالث » قد ورث عن أبيه حبه للنساء وولعه بالأجنبيات

(١) والواقع أن « أمنحتب الثالث » قد أرسل على أقل تقدير خمس مرات في طلب غايات ليكن في قصره ومجموع ما عرفناه حتى الآن لا يقل عن ٤٢٨ غانية . وهاتيك المئات من السوة الأجنبيات اللاتي أرسلن إلى البلاط الفرعوني قد أثمنن ووضعن أولادا وناهيك ما كان لاختلاط الدم المصرى بالدم الأجنبي من أثر ، وبخاصة إذا علمنا أن هذا الاختلاط قد بدأ منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة (راجع A.Z. LXXIII; P. 92.) كما أشرنا إلى ذلك من قبل . راجع أيضا :

“Revue d'Assyriologie” Year 31, Vol. No. III,
Dossin, “Une Nouvelle Lettre d'el Amarna”.

(٢) كان « أخناتون » في بادى أمره يسمى « أمنحتب الرابع » . وقد تسمى « إخناتون » في السنة السادسة من حكمه غير أنه غير ألقابه بوصفه إخناتون فيما بعد وهاك ألقابه الأولى والثانية كما أوردها « جن » في مقال له عن هذه الألقاب . (J. E. A., Vol. XI, P. 168 - 176) :

(أ) ليت الإله الطيب يعيش ، وهو الذى يفرح بالصدق ، وسيد كل ما يحيط به « آتون » رب السماء ورب الأرض « آتون » الحى ، العظيم ، الذى يصى . الأرضين ، ليت الوالد (المقدس والإلهى) يعيش : رع يعيش ، وهو « حوراختى » الذى يفرح على الأفق باسمه : الحرارة التى فى « آتون » والمعطى الحياة أبدا الآبدى ، آتون العائش ، العظيم الذى فى عيد ثلاثينى ، والذى يسكن فى معبد « آتون » فى « إخناتون » .
(ب) رع يعيش حاكم الأفق ، الذى يفرح على الأفق باسمه رع الأب الذى عاد فى صورة « آتون » .
والعبارة الأخيرة تشير إلى عودة إله الشمس « رع » إلى حكم العالم بعد أن رفع نفسه إلى السماء كما فصلنا ذلك فى كتاب الأدب عند الكلام على قصة هلاك الإنسانية (راجع الأدب المصرى القديم ح ١ ص ٧١ - ٧٤)

منهنّ اللأى دلفن إليه من المستعمرات المصرية ، وقد أفرد لهنّ جناحا خاصا في قصره يزوره كلما برّح به الشوق أو دفعه الهوى ، وإنك لتجد في قصره الذى تركه في « أخناتون » (أفق آتون) منظرا يجذب الأبصار إليه لجماله وغرابتة ، يمثل حورا عينا كأمثال اللؤلؤ المكنون في مقصورات خاصة بهنّ في القصر الملكى قد توفرن على التزين والتجمل أفرادا وجماعات ، فن تزجيج وتكحيل ، إلى تطرية وترجيل ، وبعضهنّ يتمايلن راقصات ، وأخرياتواثبن عازفات ، وإذا أنعمت النظر في لباسهنّ وزينتهنّ ، وطرق تصفيف شعورهنّ ، وفي آلاتهنّ الموسيقية عرفت أن جمهرتهنّ أجنبيات وردن إلى قصر الأمير من « سوريا » وغيرها



الصورة رقم (١٢) لخناتون في شبابه

من البلدان التي تدين لمصر بالولاء والسلطان (راجع Davies, "El Amarna", VI, Pl. XXVIII, P. 36 ff.) ولقد أصبح التعترف بالأجنبيات والتودد إليهن ، والاتصال بهن عن طريق الزواج أو التسرى نزعة محبة إلى النفوس، وموجة جارفة طغت على مصر في ذلك العهد، وشملت الأمراء وغير الأمراء، وما كان المصريون يحيدون عن تقاليد البلاد الموروثة لولا أنهم تأسوا بفراغة البلاد سادتهم وأهتهم ، وموضع الرجاء والتقديس فيهم ، وذلك أن لملوك الأسرة الثامنة عشرة منذ أن تولوا أريكة الملك دأبوا على تحطيم التقاليد التي جرى عليها القوم، فتزوجوا أولا من بنات الشعب ، ثم انتقلوا من ذلك إلى التزوج بالأجنبيات ، وقد كان فارس حليتهم في هذا المضمار « أممنتب الثالث » كما قدمنا ، فكانت زوجته « تي » التي تزوجها من عامة الشعب ، وتتسب لأبوين من دهماء القوم أحب زوجاته عنده، وأقربهن إليه ، وكان الرأي ما تراه ، والحكم ما ترضاه ، حتى سيطرت على أمور الدولة^(١) ، ووجهت سياسة الامبراطورية المصرية ، وكان زوجها « أممنتب » لحبه العميق لها ، وسلطانها العظيم عليه نفورا بها ، ويحتفل دائما بذكرى زواجه السعيد منها ، وقد خلده بنقشه على جُعل عملت منه عدة صور ، وذكر فيه صراحة أن التي يحبها وتسيطر على قلبه ليست بذات جاه ولا غنى ، ولكنها من أبوين فقيرين معلنا بذلك نفرة ونخروجه على التقاليد البالية الموروثة .

من هذه الزوجة المحبوبة ولد « أممنتب الرابع » (أخناتون) وتزعزع في كنف والده مدلا محبوبا ، ولم يلبث والده أن أنهكته الشهوات التي غرق

(١) كانت الملكة « تي » على علم تام بالأحوال السياسية كما يدل على ذلك خطابات تل العمارنة (راجع Metzer, "Tell el Amarna Tablets", 26, 7 - 18; 24, 42 ff; 29, 8, 9, 143, 45 ff) وقد تراسلت مع « توشرتا » من أجل ابنها أممنتب الرابع (Ibid, 26, 20 ff) وقد كان لها نفوذ في سياسة كل من زوجها وابنها (Ibid. 29, 66 ff.) وقد أرسل لها ملك « مني » هدايا خاصة (Ibid, 27, 112) كما أرسل إليها تحيات في مناسبات عدة (Ibid, 27, 4, 28, 7; 29, 3).

في بحارها فخطمت قواه ، وألزمته الفراش ، ولم تجده الرقى والتمايم ، ولم يشفه طب الطبيب ، ولا سحر الساحر ، ولم تستطع الإلهة « عشتارت »^(١) التي أرسلها إليه صهره ملك « متنى » من « نينوى » أن تبعث البرء والصحة في جسم حطمته الخلاصة وتجزع اللذة في نهم وإسراف ، فأشرك معه ابنه « أخناتون » في حكم البلاد عجزا منه عن القيام بأعبائه ، ورغبة في أن يتفرغ لإرضاء شهواته وميوله التي لم يقلل من إقباله عليها علته التي ألحت عليه .

مكث « أخناتون » يدير الملك مع والده أكثر من تسع سنوات بل يقال اثنتى عشرة سنة ، ثم ما لبث والده أن دفع صحته وشبابه ثمنا لملاذه وأهوائه فمات ولم يتجاوز الخمسين ربعا من عمره ، ولا نستبعد أن يكون قد عرف قبل مماته ذلك الانقلاب الدينى الذى يعد ابنه « أخناتون » العدة لإحداثه ، فقد عثر على صورة في مقبرة « حوى » أحد رجال بلاط « أخناتون » ظهر في جهة منها « أمنحتب الثالث » على عرش الملك ، ومعه الملكة « تى » وفي الجهة المقابلة لهما ظهر « اخناتون ونفرتيتى » وعليهما تاج الملك أيضا ، ووجد قرص الشمس (آتون) مرسوما فوق كل من الملكين ، ومرسلا أشعته التي تتدلى منها أياد ترمز إلى الخيرات التي يمنعانها من هذا المعبود . ويرجع تاريخ هذا المنظر إلى السنة الثانية عشرة من حكم « اخناتون » وإن كان من المحتمل أنه رسم تذكارا لزيارة والدته « تى » له في « اخناتون » . وتخليدا لذكرى والده وإظهار الرضائه عن مذهبه الجديد ، غير أنه توجد شواهد أخرى تعزز أنه عاش حتى هذا التاريخ وانفرد « أمنحتب الرابع » (اخناتون) بالملك بعد موت والده ، وكان قد تزوج من « نفرتيتى » أخته بنت « تى » على أصدق الأقوال .

(١) جاء في الرسالة رقم ٢٣ أن الإلهة « عشتارت » رغبت في الذهاب إلى مصر والعودة ثانية في السنة السادسة والثلاثين من حكم أمنحتب الثالث (راجع Ibid, I, 23) وقد نصح الفرعون أن يستقبلها ويكرم وفادتها وقد كان مقرها بلدة « بنوة » .

ولدينا من الحقائق التاريخية ما يجعلنا نعتقد أن الانقلاب الديني الذي أحدثه لم يتم بغتة ، وأن مقدماته قد ظهرت منذ عهد « تحتمس الرابع » جد « اخناتون » ؛ فقد عثرنا على لوحة بجوار معبد « بواهلول » ظهر فيها « تحتمس » يعبد قرص الشمس « آتون » وقد تدلى من هذا القرص شعاع ينبعث من الشمس حاملا إليه الخيرات وهذه الصورة تنطبق إلى حد كبير على الصورة الرمزية لديانة « اخناتون » فقد كان يتعبد إلى قرص الشمس الذي ينبعث منه شعاعات تنتهي بأياد إنسانية . يضاف إلى ذلك أن « تحتمس الرابع » كان أول فرعون ثار على سلطان كهنة « آمون » وانتزع من يدهم وظيفة رئيس كهنة القطرين ، وقلدها أحد قواده الذين يركن إليهم ويثق فيهم ، وفي عهد « أمنحتب الثالث » خطا الميل إلى عبادة قرص الشمس خطوة ثانية ، إذ نشاهد هذا العاهل يطلق على القارب الذي كان يتنزه فيه في بحيرته الصناعية بمدينة « هابو » اسم آتون يضيء (تحن آتن) .

فلما تولى « اخناتون » عرش البلاد وجد الأمور مهيئة بعض الشيء لعبادة إله الشمس وحده ، ورمز له بقرصها الذي سماه « آتون » ، وقال عن معبوده : "إنه القوة الكامنة وراء هذا القرص ، وأنه واحد لا شريك له" ، وبني له في بادئ الأمر معبدا في « طيبة » عاصمة الملك ، فلم يغضب ذلك كهنة « آمون رع » لأن معبودهم « آمون رع » يمثل إله الشمس أيضا ، ولكن الذي أحفظهم إصرار « اخناتون » على عبادة إلهه وحده ، وتحريم عبادة « آمون » وغيره من الآلهة الأخرى . ولقد أفلح في نشر مذهبه في طول البلاد وعرضها ، وفي القضاء على المذاهب الأخرى بدون كبير عناء مما يدل على أن الأذهان كانت مستعدة لقبوله ، وعلى أن الفرعون قداسة ، وعلى أن قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه معصوم من الخطأ ، والقول ما قال ، وهذه بلا شك أفكار كان يخضع لها الشعب لأنهم كانوا يعتقدون أن الملك إله وابن إله . ومن الغريب أن هذا الملك الذي بدا لنا سديد الرأي صائب النظر فيما اتخذه من إصلاح ديني يتمثل في توحيد الإله ، وتمجيد ذاته مما يدل

على عقل راجح ، ونفس صافية ، وتفكير عميق ، من الغريب أن صاحب هذه المثل العليا في الإصلاح كان شاذا في خلقه ، وكما يقال شاذا في عقله ، منحذرا إلى الحضيض في بعض تصرفاته .

أما شذوذه الجسمي فلا دخل له فيه ، ولا ذنب له في أنه خلق على تلك الهيئة التي لا تناسب بين أعضائها ولا انسجام ، وتماثيله تدل على تركيب غريب شاهد بقدرة الله ، وأما شذوذه العقلي فلمخالفته لأهل عصره في عدم تشييعه لآلهة « طيبة » ومقتته الشديد للإله « آمون » وأما شذوذه الخلقى فهذا موضع الغرابة وقد وصل فيه إلى مرتبة يتتزه عنها الحيوان الأعجم إذا صح ما قيل ، فإننا لنرى شك مريب في تلك العلاقة بينه وبين أخيه « سمنكارع » إذ كان حبه له وتعلقه به خارجا عن نطاق العقل والمألوف .

وإن انحطاطه الخلقى ليتجلى كذلك في زواجه من ابنته الثالثة « عنخس ان با آتون » التي أصبحت زوجة « لتوت عنخ آمون » فيما بعد ، كما تلمس خشونته في تحوله عن حبه لزوجته الجميلة (نفرتيتي) وسوء معاملته لها على حسب ما توحى به الآثار المكشوفة . مما سنفصل فيه القول .

كان « اخناتون » يمقت الإله « آمون » مقتا شديدا فأغلق معابده حيثما وجدت ومحا اسمه أينما رآه ، بل محا اسم والده لأن في تركيبه اسم « آمون » (أمنحتب) ثم ولى وجهه شطر الآلهة الأخرى فأنزل بها ما فعل « بآمون » وزاد بأن محا لفظة الآلهة بصيغة الجمع في كل المعابد حتى لا ينصرف الذهن إلا إلى إله واحد ، والطاهر أن « اخناتون » قد وجه اهتماما كبيرا لمذهبه الجديد عند ما كان شريكا لوأله في إدارة الملك ، ولم يستعمل القوة في نشره احتراماً لعقيدة والده الذي كان يتعبد للإله « آمون رع » والذي أعاد لكهنة هذا الإله وظيفة رئاسة معابد القطرين بعد أن انتزعها منهم « تحتمس » الرابع كما قدمنا .

وكان والده « أمنحتب الثالث » من جهة أخرى لا يعارض ابنه في عبادته « لآتون » والعمل على نشرها بدليل أنه تركه يبنى لهذا الإله معبدا في « الكرنك »

وليس من البعيد أن يكون والده « أمنحتب » ووالدته « تى » قد خشيا عليه تحمسه لمذهبه الجديد ، فأسديا له النصيح بالهجرة من « طيبة » والاستقرار في بلدة يتخذها مركزا لنشر مذهبه الجديد ، وإن كان « اخناتون » ينكر ذلك ، ويدعى في نقش له على إحدى لوحات مدينة « اخناتون » التي هاجر إليها ، أنه ترك « طيبة » من تلقاء نفسه ، ويقسم أغلظ الأيمان على أنه هو الذى أراد ذلك ، ولم يوجهه أحد إليه ، ولقد كان تعلقه شديدا بعاصمته الجديدة ، فأوصى بأن يكون مرقده الأخير فيها إن مات هو أو أحد أفراد أسرته ، وإن شاءت الأقدار أن يموت خارجها فلتحمل جثته إليها حتى يهدأ بالا ، ويرتاح في حياته الثانية .

بنى « اخناتون » عاصمته الجديدة « اخناتون » في سرعة ، وكانت البيوت الأولى لعظماء الدولة ورجال البلاط على طراز صحى فاجر ، وقد استوفى وسائل الراحة والترف ، وقد عمد كل موظف إلى نقش اسمه وألقابه على واجهة بيته بجانب أدعية للإله « آتون » ، وبعد أن استقر المقام بعلية القوم توافد الصناع تدريجا على العاصمة الجديدة فاتخذوا مساكنهم في الفضاء المتخلف بين منازل كبار الموظفين ، ومن هنا ترى في هذه المدينة القصر المنيف يسكنه الوزير بجانب الكوخ الحقير يأوى إليه الصانع الصغير ، ولقد سمي الكاشفون الأحداث شوارعها باسم أعظم بيت فيها ، فسموا شارع الوزير ، وشارع رئيس الكهنة وهكذا .

ولما هاجر « اخناتون » إلى مدينته تبعه جم غفير من الأشراف وكبار رجال الدولة اقتناعا بدينه الجديد ، أو جريا وراء مغام ينتظرونها ، فكثير من الناس يقتفون أثر النجم الساطع ، ويولون ظهورهم للكوكب الآفل ، أو هاجروا إليها فرارا من أذى أتباع « آمون » إن بقوا في « طيبة » على مذهبهم الجديد متعبدين لإلهه الواحد . ظل « اخناتون » يحكم في عاصمته بتل العمارنة مدة طويلة بانيا لإلهه معابد مختلفة منتشرة في مختلف جهات القطر بالكرنك ، والأشمونين^(١) وأسيوط ،

(١) راجع : A. Z. Vol. "Ein Neue Amarna-Prinzessin", Brunner, LXXIV, PP. 104 - 108.

ومنف ، وفي نوبيا العليا عند الشلال الثالث ، وفي سوريا . ومع هذا الإخلاص العظيم للدين الحديد لم يتوزع « اخناتون » عن الاستجابة لداعى الشهوة إذا دعاه .
فها هو ذا لا يزال متورطا مع أخيه « سمنكارع » فى أقبح عادة عرفها الناس ، ثم هو لا ينجل من أن يطلق على أخيه لقباً نسوياً من ألقاب الملكة « نفرتيتى » وهو «الجمال الفائق لآتون» (نفر نفرو آتون) ، ولا ينجل من أن يطلق عليه لقب « محبوبه » ولا ينجل من أن يمثل على لوحة محفوظة الآن فى متحف « برلين » تدل على منتهى الاستهتار بالأخلاق والآداب يبدو فيها « اخناتون » ملاصقا لأخيه « سمنكارع » مطوقا خصره بإحدى يديه ، ويداعب بالأنحرى ذقنه فى حب وتدليل ، وكل منهما يلبس تاج الملك ، ولا شك فى أن هذه الصورة تبعث فى نفس من يراها معانى كثيرة عن العلاقة الجنسية الشاذة بين الأخوين ، وتعيد إلى الأذهان



الصورة رقم (١٣) أخناتون وسمنخكارع (٩)

تلك العلاقات الجنسية الشاذة التي كانت تربط الامبراطور « هدر يان » بفلامه « أنطونيوس » (راجع Newberry, J. E. A, Vol. XIV, pp. 3 ff.) . لم تطلق « نفرتيتي » زوجها الجميلة صبرا على ذلك ، فقام نزاع بينها وبين الفرعون فهجرت قصرها طوعا أو كرها إلى حي آخر في المدينة يسمى « ظل رع » وانتحلت مع « توت عنخ آمون » هذا المكان الجديد ، وتركت قصرها الأول « لاختاتون » وأخيه المحبوب « سمنكارع » وزوجته ، وهي الابنة الثانية له المسماة « مريت آتون » . ومن هنا وجدنا الملك قد أمر بمحو اسم « نفرتيتي » من كل مكان يتحلى به في القصر ، ونقش بدله اسم « مريت آتون وسمنكارع » ولأمر ما أثبت « اختاتون » اسم « مريت آتون » على قصر والدتها « نفرتيتي » مع ذكر نسبتها إليه دون أمها مخالفا بذلك التقاليد الملكية التي كانت متبعة . على أن هناك أمرا ذا بال ربما كان سببا في ازدياد النفور بين « نفرتيتي » و « اختاتون » ذلك أن « اختاتون » لم يقتصر في ضلاله على الحسد الذي ذكرنا ، بل إنه تمادى وتزوج من ابنته الثالثة « عنخس^(١) إن با آتون » ووضعت منه أنثى سميت بهذا الاسم ، فأى صلاح يرجى منه بعد ، ولم يكن زواج الملوك من بناتهم شائعا حتى ذلك الوقت ولا نعرف منه إلا ثلاث حوادث من هذا النوع في تاريخ الفراعنة ، منها واحدة مشكوك فيها .

وهذه الحوادث الشاذة هي زواج « أمنحتب الثالث » من ابنته « ست آمون » ويقول بعض المؤرخين إنها أخته بنت « تحتمس الرابع » وليست ابنته ، والحادثة الثانية هي التي نحن بصدددها الآن ، أما الثالثة فإننا نعرف أن « رعمسيس الثاني » قد تزوج بائنتين من بناته على أقل تقدير (راجع (Ibid, P. 108)) .

(١) يعتقد الأستاذ "ولف" أن ما يدعيه أوريختمه بعض المؤرخين عن العلاقة بين « اختاتون » وبين أخيه « سمنح كارع » مجرد خيال . (راجع A. Z. Vol. LXV, P. 100) ولا يبعد أن يكون هذا الرأي صحيحا لأن « اختاتون » كما يقول الدكتور غليونجي قد طفا على جسمه التحنث في آخر أيامه ، حتى تحول ، وقد تكلمنا عن ذلك فيما بعد .

نرجع مرة أخرى « لسمنكارع » حبيب « إخناتون » وأخيه معا فنقول : إن هذا الخليع إذا صح ما يقال عنه بعد أن تم له الاشتراك مع أخيه في الملك أثر الذهاب إلى « طيبة » رغبة منه في أن يستل سخائم كهنة « آمون »^(١) ويعيد أواصر الودة والصفاء بينهم وبين أخيه بعد أن رأى أخوه انفضاض الناس من حوله ، وتأمرهم على قتله حتى اتخذ حرسه من رجال « المازوى »^(٢) (الشرطة) ومع هذه الحيلة فقد تمت المؤامرة عليه ، واشترك فيها هؤلاء الأجانب ، ولولا يقظة رئيس الشرطة (ماحو) لنجحت المؤامرة ، ولقضى على « إخناتون » وقتها على أبشع صورة ، ولقد وجدنا رسما مفصلا لتلك المؤامرة في مقبرة رئيس الشرطة المذكور ، فرأيناه يستدفئ ذات يوم قتر ، وأحد خدمه يعبث بالنار ليزيدها اشتعالا ، فسمع صياحا فامتطى عربته ، وأخذ في ركابه أربعة من رجاله الأقوياء فباغت المتأمرين في وكرهم ، وكنهم بالأغلال ، وساقهم إلى قاعة الوزير للمحاكمة ، ثم نرى الوزير يحف به الكبراء والأشراف في حضرة الفرعون يقدم إليه المجرمين ، وهم مصري أصلع الرأس ، وأجنيبان قد استرسل شعرهما ، وقصرت لحيتهما ، وعندئذ نزل « ماحو » من عربته وصاح قائلا : ” أيها الأمراء حاكموا بأنفسكم هؤلاء الأجانب المقبوض عليهم “ وهنا توجه الوزير بالشكر « لآتون » الذي وفقهم لكشف هذه المؤامرة قبل تنفيذها .

والواقع أن هذا الانقلاب الديني الذي أحدثه « إخناتون » جاء سابقا لأوانه ، ولو أنه يدل على تفكير راجح لفرعون مصر ، ولقد تقبله الناس مرضاة لراعيهم وسيدهم ، ولكنهم لم يكونوا مخلصين له مرتاحين إليه ، اللهم إلا في « إخناتون »

(١) راجع A. S. Vol. XL, P. 138 ff.

(٢) يعتقد الأستاذ « جاردنر » أن المازوى كانوا في هذا العهد من المصريين لا من أهالي بلاد

النوبة. كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

(٣) راجع Davies, “El Amarna”, Vol. IV, Pl. XXVI.

نفسها حيث الملك يقيم ، وحيث ذوو الزلقى والأطماع يحرقون البخور بين يديه ، ولقد خشيت والدته مغبة نفور الناس من بدعته التي استحدثها ، فذهبت إليه زائرة في « إختاتون » تقدم إليه النصيحة ، وقد لمست تخرج الأحوال في داخل البلاد وخارجها ، فأكرم وفادتها وفاء عليها من ولائمه وقصوره وخدمه ، ولكنه لم يستمع لرجائها على ما يبدو فإننا رأيناه يزور معها معبد « آتون » ويتعبدان لإلهه . لم تستطع تلك المبادئ الدينية السامية ، وهذه الآراء الفلسفية العالية التي أتى بها « إختاتون » ونادى بها الأنبياء المرسلون فيما بعد أن تحفظ امبراطورية سليمة من بواعث الوهن والتصدع ، فقد رزق بطانة سيئة مرتشية ضربت حجابا كثيفا بينه وبين الحقائق المؤلمة التي كانت تتورط امبراطوريته العظيمة فيها ، فما كانت تقفه إلا على الزيف من الأخبار الساخرة ، أما المآسى والثورات وغضب الشعب ومخاوفه فما كانت تصل للملك من بطانته ، فكان بينه وبين الحقيقة هوة كبيرة ، وليس من إخلاصك للعرش أن تقدم لصاحبه ما يسره ويرضيه ، وإن كان كاذبا زائفا ، وأن تبعد عنه ما يقضه وإن كان حقيقة لا مرء فيها ، بل الإخلاص أن تبسط إليه الحال كما وقع ، وتشير بالرأى إذا هدى ولع ، حتى يملك ناصية الأمر ، ويتخذ للموضوع أهبتة ، ويثب على المارق في الوقت المناسب وثبته ، عندئذ تكون قد أدت الرسالة ، ومكنت مولاك من أن يصيب المحز فيما يفعل وفيما يذر . لم يجد « إختاتون » هذه البطانة المخلصة فتزلزلت أركان امبراطوريته وهو لا يدري عن ذلك شيئا ، بل إن سخرية القدر تجعله يرسل إلى مختلف بقاع مملكته الواسعة غير عالم بما فيها يقول لرماياه :

”اعلموا أن الملك يتمتع بكل عافية مثل الشمس في السماء ، وأن جنوده وعرباته الحزبية تجوس خلال الديار الجنوبية والشمالية ، وتطوى كل مكان تشرق عليه الشمس وتغرب في أمن وسلام“ (راجع الخطاب ١٦٢ Mercer, “Tell el Amarna Tablets”, P. 525.) ولودرى ما تحت قدمه مما حجب عنه

لأرسل جزءا من هذه القوة المحاربة إلى بلاد آسيا لتحمل جزءا من امبراطوريته
التي كادت تذوب وتفتى .

وبعد فقد قضى هذا الرجل نجمه بعد أن حكم ثمانية عشر ربيعا إلا قليلا،
ولا ندرى إن كان قد مات حتف الأنف على فراشه أو اغتاله المتآمرون بعد أن
غفلت عنه عين العناية التي كانت تحرسه ، وكل ما قرأناه في الكشوف الأثرية
أنه قد مات في وقت لمع فيه نجم مملكة « إختيا » وازدادت قوة وشوكة ، فأخذت
تطرق أبواب سيدتها مصر وتهاجم حدودها آملة أن تسودها .

مات « إخناتون » بعد أن وضع سياسة دينية قديمة ، وبعد أن خطا بالعقيدة
خطوات موفقة نحو الغاية الصحيحة ، التي أرسل من أجلها الأنبياء ،

عرش مصر بين « سمنخكارع » و « نفرتيتى »



الصورة رقم (١٤) الملك « سمنخكارع » (٩)

قام بأعباء الملك بعد « إخناتون » أخوه ذلكم الشاب « سمنخكارع » الذى اتخذ منه « إخناتون » شريكا فى الملك أثناء حياته .

تولى « سمنخكارع » واستقر هو وزوجته « مريت آتون » بنت « إخناتون » فى « طيبة » وأراد رجال البلاط وعلى رأسهم الكاهن « آى » الذى كان أكبر مشجع « لإخناتون » على نشر مذهبه الجديد أن تستقر الأمور ، ولكن « نفرتيتى » كانت لهم بالمرصاد ، دفعها الحقد على سمنخكارع ، والحسرة على الهناءة التى سلبتها فى كنف زوجها الراحل أن تنتقم فلم تباع « سمنخكارع » بالعرش ، ولم تعترف له بأى حق فيه ، واستمالت نصيره الأول « آى » ، ثم استنجدت بملك « خيتا »^(١) وطلبت منه أحد أبنائه ليكون زوجها ووارثا لعرش مصر ، وهكذا كادت « لسمنخكارع » وسببت له متاعب كثيرة ، ولما تأكد « شيليليوما » ملك « الخيتا » من صدق رغبة « نفرتيتى » أرسل أحد أنجاله إلى مصر ، ولكن الأمور كانت تجري سريعة فى « تل العمارنة » وفى « طيبة » فقد مات الملك « سمنخكارع » وهنا وثب الثوار على ابن ملك « خيتا » وقتلوه فى الطريق غيلة فتعقد الموقف ثم انفرج باعتلاء « توت عنخ آمون » بن « أمنحتب الثالث » عرش البلاد ، ومعه زوجته « عنخس إن با آتون » بنت « إخناتون » و « نفرتيتى » .

عصر إخناتون وما حدث فيه من تجديد

أعطينا القارئ فيما سبق لمحة خاطفة عن « إخناتون » وما تم فى عصره ، والآن سنعطيه صورة مفصلة موضحة لهذا الإجمال ، مبتدئين بذكر فصل عن التدرج فى عبادة « آتون » وتأسيسه مدينة « إخناتون » عاصمة ملكه الجديدة ، ثم نشفعه بفصل آخر عن التوحيد والمدى الذى أحدثه من التطور العالمى ، وبخاصة فى الفن المصرى القديم ، ثم نختم ذلك بفصل عن الإمبراطورية المصرية وانساقها

(١) راجع : Ed. Meyer, "Gesch. des Altertums", II, I. P. 400.

إلى التدهور والانحلال نتيجة انشغال « إخناتون » بدينه الجديد ، وتركه شئون الملك ومهامه .

التدرج فى إعلان عباده « آتون »

(أفق آتون) : تدل كل أعمال « إخناتون » على أنه لم يقم دفعة واحدة بالانقلاب الدينى الذى كان يخلج فى صدره ، وهو ذلك الانقلاب الذى كانت قد ظهرت بوادر الاستعداد للقيام به منذ عهد أسلافه من قبله^(١) ، وبخاصة أنهم كانوا يوجهون عناية تامة لعبادة إله للشمس « رع » على الرغم من تعظيمهم « آمون » ويعتبرونه الإله

(١) فقد عثر على جعران من عهد الملك « تحتمس الرابع » عليه نقوش غاية فى الأهمية من الوجهة التاريخية وذلك أن علماء الآثار قد ظنوا بحق أن الانقلاب الدينى والفنى الذى قام به « إخناتون » ، يضرب بأعراقه إلى عهد « تحتمس الرابع » ، وهذه النظرية ترتكز على عدة براهين معظمها لا يمكن الارتكان عليها بصفة قاطعة وهى :

تدل شواهد الأمور على أن إحدى لوحات حدود مدينة (إخناتون) تشير إلى أن « تحتمس » الرابع قد قام بحاربة كهنة « آمون » غير أن الفقرة التى جاء فيها ذكر هذا الحادث مهشمة تماما .
عثر فى حفائر الجامعة المصرية على لوحة « لتحتمس الثالث (٩) » يتعبد لقرص الشمس وتبدل منه الأيدى التى يمتاز بها « آتون » معبود « إخناتون » .

يدل فن عصر « تحتمس الرابع » على أنه قد اتخذ صورة جديدة تحوى تمثيل الحقيقة والطبيعة .
عثر على قطعة حجر فى « تل المارة » يظهر عليها الملك إخناتون يقرب إلى « آتون » القربان وقد وصف هذا الإله بأنه ساكن فى بيت الملك « تحتمس الرابع » فى بيت آتون فى « إخناتون » .
عثر على تماثيل مجاوين لللك « تحتمس الرابع » تشبه تماثيل « إخناتون » لأنها لم يكتب عليها إلا اسم الملك وليس عليها أى صيغة تسمية .

عثر على أشياء مكتوب عليها اسم « تحتمس الرابع » فى المارة (انظر تحتمس الرابع ص ٩) .
ولكن أهم برهان قد وجدناه على هذا الجعران إذ هو برهان قاطع إذ لم نجد فيه أن آتون كان قد اعتبر إلها متفصلا فى عهده عن إله الشمس بل كان يعبد بوصفه إله الممارك الذى أعطى النصر للفرعون ، وأمن تفوقه وتسارعه على كل العالم ، وجعل كل الإنسانية رعايا لقرص الشمس ، والظاهر أن هذا الجعران قد نقش ليخلد ذكرى حملة فى سوريا وفلسطين ، ومن المحتمل أن تكون الحملة التى قام بها فى حكمه أو زيارة قام بها أمراء آسيا يحملون إليه الجزية (راجع J. E. A., XXII, P. 23) .

الأعظم لكل الدولة . والظاهر أن هذه الفكرة لم تخرج لحيز العمل في خلال حكم من سبق « أمنحتب الثالث » لأنهم كانوا في شغل شاغل لتوطيد سلطان الملك وتمد نفوذهم في الأفطار المجاورة ، ولا نزاع في أن « أمنحتب الرابع » الذي ولد في فترة السلام قد سار على نهج أسلافه في تعظيم شأن « رع » بل من المحتمل أنه في صباه كان يقوم على تربيته الدينية كهنة من « عين شمس » نفسها فلتثوا فكره بعقيدة التوحيد الشمسية ، ولقد رأى بثاقب فكره التناقض الغريب بين تعاليم كهنة « عين شمس » وتعاليم كهنة « آمون » والآلهة الآخرين . فقد كان في وسع الإنسان أن يسمى إله الشمس باسم « رع » وباسم « حور أختي » (حور الأفق) وحتى باسم « آتوم » ، وكان على النقيض من ذلك يرى أن من الخجل وخطل الرأي والكذب الصراح ، أن يعبد آلهة آخرين في صورة حيوانات ، وبخاصة عبادة « آمون » الذي كان يصور في صورة كبش ، هذا فضلا عن كهنته ، لما رأوا ما في ذلك من خطل الرأي أضافوا لاسمه اسم إله الشمس « رع » ليجعل له مكانة مثل مكانة الإله « رع » الذي يسيطر على العالم كله بضوئه وأشعته منذ فجر التاريخ المصري .

وبعد أن احتفل « أمنحتب » بتوليته على العرش في مدينة « أرمنت » كما كانت العادة المتبعة بدأ يعمل لنشر عقيدته الجديدة بين أفراد الشعب المصري وقد كان أول عمل قام به هو بناء معبد لإله الشمس في « الكرنك »^(١) وهي المدينة المقدسة للإله « آمون » وقد سمي إله هذا المعبد « رع حور أختي » (أي رع هو حور الأفق) ثم ميزه بأنه الذي ينعم في الأفق بوصفه الضوء اللامع الذي يوجد في أشعة الشمس ، وهذه الجملة الطويلة في الواقع يعبر عنها باختصار بلفظة « آتون » أي قرص الشمس . بعد ذلك بنى « أخناتون » لنفسه قصرا وأطلق عليه اسم

(١) راجع Weigall, "The Life and Times of Akhenaton", P. 35 ff;

Porter and Moss., "Bibliography", II, P. 89.

(الفرح في الأفق) وهذا نعت لإلهه . ولا أدل على سرعة « أمنحتب » في الاتجاه نحو تنفيذ فكرته من النقش الذي وجدناه على محاجر السلسلة^(١) الذي يعلن فيه كل عمال قطع الأحجار في كل جهات القطر من « الفنتين » حتى « الدلتا » وكذلك موظفيه بالذهاب إلى هذه الجهة لقطع مسلة من الحجر الرملي لإلهه ، وقد كانت المسلة منذ القدم رمزا لإله الشمس ، ولقد هدم معبده الذي أقامه في « الكرنك » بعد وفاته ، وبقيت منه أحجار عدة استعملها « حورمحب » في بناء بوابته المعروفة في الكرنك . ونجد على واجهة إحدى هذه الأحجار على اليمين الصورة المعتادة « لأمنحتب الثالث » وفوقه صورة الشمس « لحورمحدث » ويدل وجود هذا الحجر هنا على أن هذا الملك كان قد بدأ بناء معبده في هذا المكان ، وهو الذي حوِّله ابنه « أمنحتب الرابع » إلى معبد للشمس ، ولكننا من جهة أخرى نشاهد في الصورة التي على الجهة اليسرى أن « أمنحتب الرابع » قد محى اسم والده ووضع بدلا منه اسمه هو ، وكذلك وضع اسم إلهه الجديد الذي كان يمثل في صورة صقر باسم « حوراختي » وفوق رأسه قرص الشمس ، وقد كان هذا الإله فيما قبل لا يزال يمثل إله الشمس ولم تكن عبادة الآلهة الأخرى وقتئذ تتعارض مع عبادة « آتون » في نظر « أمنحتب الرابع » فقد وجدنا صورة في « السلسلة » يرى فيها متعبدا كالمعتاد للإله « آمون » وفوقه قرص الشمس المجنح .

وقد كانت المسلات تقام كالمعتاد بمناسبة عيد « سد » أي العيد الثلاثيني وكانت تقام فيه كل المراسم القديمة المتبعة التي كان يسير على نهجها من سبقه من الملوك ولم يكن الاحتفال بها بعد ثلاثين عاما من تولية العرش كما يدل اسمها على ذلك بل كانت تقام على أثر تولية الفرعون العرش ، وقد اتخذ « أمنحتب الرابع » فرصة هذا الاحتفال ليقْدَس فيها معبده الجديد ، ويشيد باسم إلهه الجديد « آتون » ويعلنه لكل الشعب ، ثم رأى أنه لا بد من اتخاذ خطوات أخرى لتحديد عبادة

(١) راجع : A. S., Vol: III, P. 263.

إلهه ، والصورة التي لا بد أن يظهر فيها نهائيا ، إذ كان اسم إلهه « آتون » لا يزال يرادفه كلمة « رع » و « حور اختي » وكان ذلك في نظره مقبولا بعض الشيء ، ولكن الشيء الذي لم يستسغه هو أن يرى إلهه يصور في صورة إنسان أو بجسم إنسان ، ورأس حيوان ، ولذلك عقد النية على أن يصوره كما هو ظاهر للعيان أى على هيئة قرص الشمس الذي يرسل أشعته من السماء على الأرض فيعيش بها الناس . ولقد كانت الأهمية الأساسية للاحتفال بالعيد الثلاثيني (عيد سد) في نظر « أمنحتب » محصورة في تقديم الديانة الحقبة للشعب ، ووصف الإله بأنه هو « آتون » الحى العظيم الذى يضىء الأرضين في العيد الثلاثيني ، ومسيد السماء والأرض .

ومن ثم أخذ الملك يقيم المعابد لإلهه في كل أنحاء القطر وبخاصة في « هرموبوليس » (الأشمونين) و « منف » و « عين شمس » وقد كان الإله « آتوم رع » الذى يعبد في هذه البلاد موحدا مع الإله « آتون » الحديد ، ولقد كان « أمنحتب » فى بادئ الأمر يظن أن عبادة إله الشمس فى صورة « آتون » التى تعبر عن صورته الحقبة وهو قرص الشمس ستقضى على الديانة القديمة بإعطائها للقوم تعبيرا صحيحا عن مرامها ، وأنه سيكون فى استطاعته أن يفض الطرف ولو مؤقتا عن الآلهة المصرية الآخرين ، ولكنه لم يطق صبرا على هذه الحال ، إذ لم يجد غير بضعة أتباع له بين الكهنة يعضدون عقيدته ، فى حين أن الجح الغفير منهم كانوا متمسكين بالديانة القديمة بل زاد تمسكهم بآلهتهم ، وبخاصة كهنة الإله « آمون » فى « طيبة » الذين كان فى يدهم كل السلطة ، وقد كان عامة الشعب فى جانبهم .

ولقد كانت الأزمة على أشدها فى العام السادس من حكمه عندما أراد أن يقيم لنفسه مدينة خاصة لعبادة إلهه « آتون » عندئذ قلب للإله « آمون » ظهر المجن فقد عامله بوصفه مغتصبا لمكانة إلهه « آتون » فهشم تماثيله ، ومحا اسمه أينما وجد

حتى في سجل خطابات تل العمارنة المكتوبة بالخط المسماري لأنه كان يقصد القضاء على كيانه في عالم الوجود وذلك زعما منه أن محو صورة الإنسان، يعنى القضاء عليه، وهذا ينطبق كذلك على الإله، وذلك لأن روحه كان يسكن التمثال أو اسمه، وهذا نفس ما قصده «تحتمس الثالث» حينما هشم تماثيل «حتشيسوت» وأتباعها، ومحا اسمهم من الآثار، وقد أمتد تخريب آثار «آمون» ومحو اسمه إلى كل جهات القطر، وكذلك إلى بلاد النوبة. ويمكن للإنسان أن يتصور مقدار التخريب الذى كان يحدثه هؤلاء الجنود الذين أطلق الفرعون لهم العنان، فخرّبوا المعابد، ومحو اسم الإله آمون أينما وجد في المقابر النائية، وكيف أنهم كانوا يقضون على كل من يقف في طريقهم في أثناء تنفيذهم أوامر الملك، حتى أنهم تركوا المعابد التى كان يقدس فيها هذا الإله خاوية على عروشها على أن الآلهة الأخرى لم تكن بأحسن حالا بل كذلك سارع هؤلاء الجنود لمحو أسمائهم، اللهم إلا أسماء الآلهة الشمسية مثل «آتوم» و «حور»، وذلك لأن وجودهم مع الإله الواحد الأحد إله الشمس كان لا يمكن الصبر عليه، هذا فضلا عن أن الكلمة التى تدل على اسم الآلهة بالجمع قد محيت من عالم الوجود من كل الآثار أيضا، وذلك لأنها تتنافى مع الوحدانية.

وبعد ذلك رأى أنه من العار والتناقض أن يكون اسمه يحوى اسم الإله «آمون» فمنذ السنة السادسة غير اسمه فأصبح يسمى «اخناتون» (أى آتون مسرور) وكذلك محى من اسم والده لفظة «آمون» وأصبح لا يسميه هو وأجداده إلا باللقب الذى كان يطلق على كل منهم عند توليته العرش وبذلك انفصل هذا الملك عن التقاليد الدينية القديمة تمام الانفصال، وبخاصة عندما انتقل إلى عاصمته الجديدة التى كان قد شرع في بنائها، هذا فضلا عن أنه قبل مغادرته «طيبة» قد سماها مدينة ضوء «آتون»^(١) العظيم.

(١) راجع : Weigall, Ibid. P. 56,

مدينة « تل العمارنة »

لم تكن فكرة نقل عاصمة الملك إلى « إخناتون » ناشئة عن غضب أو ضغينة في صدر « إخناتون » على كهنة « آمون » وسكان « طيبة » وحسب — وإن كان للغضب وحب المحافظة على النفس نصيب كبير في هذه الحركة ولكن الدافع الحقيقي لهذه الحركة كان جزءاً من فكرة ميته الغرض منها أن يفسح لمذهب « آتون » مأواى أميناً ، ومعقلاً حصيناً في كل جزء من أجزاء الإمبراطورية لنشر دعوته في هدوء وسلام ، ذلك لأن إله الدولة لم يكن في نظره إله مصر وحدها ، بل كان إلهاً يشمل سلطانه كل العالم^(١) ، ولذلك كان من الحكمة أن تقام له مراکز مقدسة لا في مصر وحدها بل في آسيا وبلاد النوبة^(٢) ، فنعلم أن مدينة خاصة بعبادته كانت له في سوريا^(٣) ، غير أننا لا نعلم موقعها بالضبط . أما في « النوبة » فكان مركزها بالقرب من الشلال الثالث وكانت تسمى « جم آتون » (راجع Baedeker's Egypt P. 447 (1929)) كذلك كان الغرض من بناء عاصمته الجديدة في مصر أن تكون مركز الحكومة والبلاط ، وكان « إخناتون » يريد من هذا أن يكون بمعزل هو وحاشيته عن الوسط الخطر الذي كان يحيط به في « طيبة » وبذلك يضمن لنفسه مكاناً آمناً خصباً ليذرف فيه بذور عقيدته الجديدة حتى يتسنى له أن يجنى ثمرتها ، ويعاقب الجامحين من رجال « طيبة » والناصحين لهم من كهنتها في نفس الوقت . ولا شك في أن انتقال رجال البلاط كان له أثر سيء جداً في نفوس القوم وبخاصة عندما عرفوا أن إلههم « آمون » « الطيب » وملكهم الرحيم الذي يعدّ في نظرهم المظهر البارز لصورة إلههم قد حجب عنهم ضوء وجهه الوضاح ، وهو غاضب عليهم وناقر منهم .

(١) راجع : Gunn, "Notes on the Aton and His Names", J. E. A., Vol. IX, P. 169.

(٢) راجع : Gauthier, "Dict. Geog", Vol. II. P. 42.

(٣) راجع : Hall, "The Ancient History of the Near East", P. 300.

موقع مدينة اخناتون : تقع البقعة التي أقام فيها « إخناتون » مدينته الجديدة « إخناتون » (أفق آتون) على مقربة من مدينة « ملوى »^(١) وهي جون في هضبة الصحراء العربية يبلغ طولها نحو ستة أميال ، وأقصى عرضها نحو ثلاثة أميال ، ولم تكن العاصمة الجديدة تشغل كل هذه المساحة في عز ازدهارها ، لأن أنقاض المدينة القديمة تمتد من نقطة على مسافة تقرب من ميل ، شمال قرية « التل » (وهي التي اشتق منها اسم تل العمارنة الذي يستعمل الآن في الكتب العلمية للدلالة على « اخناتون » القديمة) ، إلى قرية « الحواطة » حيث نشاهد تنائف الجبل تحيط بهذه البقعة ، حتى تكاد تتلاقى مع شاطئ النيل ، وبذلك تمتد نيفا وخمسة أميال في اتجاه شمالي فقبلي . ولكننا حين نشاهد أن طول المدينة يشمل كل المساحة التي على امتداد شاطئ النهر فإننا نجد من جهة أخرى أن عرضها يشمل أكثر من ثلث هذه المساحة ، إذ يمتد نحواً من كيلومتر أو أكثر بقليل ، وعلى ذلك يمكننا أن نتصور عاصمة « إخناتون » في صورة بلد تشغل شريطاً ضيقاً من الأرض تبلغ مساحته نحو خمسة أميال طولاً في نحو كيلومتر عرضاً ، وتقع بين منطقة ضيقة من الأرض الحصبة على شاطئ النهر ، والصحراء الرملية خلفها فتتدحى حتى سفح التلال . ويرجع السبب الذي من أجله جاء تصميم طول المدينة غير متناسب مع عرضها إلى أمرين : فمن جهة كانت الأراضي الحصبة التي على شاطئ النهر لا بد من الاحتفاظ بها للزراعة ، ومن جهة أخرى كان من المستحيل أن تقام مباني في داخل الأراضي القاحلة في الصحراء لانعدام المياه فيها . من أجل ذلك كان « إخناتون » مضطراً أن يضع تصميم عاصمته الجديدة على حسب مقتضيات طبيعة الأرض لا على حسب ما يريد .

ولقد كان من الجلي الواضح أن فكرة التزوج من العاصمة القديمة قد دبرت من قبل بزمان ، وذلك أنه على الرغم من أن كل ما كان يحتاج إليه لإقامة هذه المدينة

(١) راجع : Peet and Woolly, "The City of Akhenaton, I, P. I ff.

هو اللبن والأيدى العاملة الوفيرة حتى يتمكن الفرعون من أن يبني المدينة بسرعة تفوق الوصف، فإنه كان لابد من إنفاذ هذا العمل الضخم في مدة لا تقل عن سنتين على أقل تقدير ليتسنى له أن يجهز على وجه السرعة المساكن اللازمة لكل بلاطه وكل مصالح الحكومة . وقد اشترك الملك وزوجه « نفرتيتي » في وضع تخطيط المدينة . وقد احتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما، وسجل الفرعون ذلك على لوحات الحدود التي أقامها في حرم مدينته المقدسة، وما أبقت الأيام عليه من هذه اللوحات أربع عشرة لوحة سجل على واحدة منها ما يأتي :

” السنة السادسة ^(١) ، الشهر الرابع من الفصل الثاني ، اليوم الثالث عشر (!) (يلى ذلك مديح الملك وألقابه وألقاب الملكة) ” في هذا اليوم كان الملك في سرادق من نسيج أمر جلالة بصنعه : (له الحياة والصحة والعافية) ، في « إخناتون » واسمها « أقي آتون » . وقد زار جلالة في عربته العظيمة المصنوعة من الذهب مثل « آتون » عندما يشرق في الأفق ، وملأ الأرضين بجماله ، وذلك لما بدأ السير في طريقه إلى « إخناتون » عندما قام جلالة بأول جولة فيها (له الحياة والصحة والعافية) ليؤسسها أثرا لآتون ، وذلك على حسب أمر والده « آتون » معطى الحياة إلى أبد الأبدين ، ولأقوم له بعمل أثر في وسطها . ولقد أمر الواحد (الملك) أن تقدم قربات عظيمة من الخبز والجمعة والثيران ، والمجول ، والماشية والطيور ، والخمر ، والذهب والبخور وكل الأزهار الجميلة ، وفي هذا اليوم أسست « إخناتون » لآتون الحي حتى يمنح الملك « إخناتون » الخطوة والحب “ . (راجع Davies, Ibid. Vol. V, P. 32. ويوجد قبالة « إخناتون » على الضفة الغربية للنيل جون أنخريقع بين النيل وسلسلة جبال صحراء « لوبيا » يحتوى على مساحة عظيمة من الأرض الزراعية يشقها الآن « بحريوسف » ولقد أضافها « إخناتون » إلى حرم مدينته المقدسة إذ بدونها يستحيل على المدينة أن تحافظ على مكانها ، وبذلك أصبح طول المدينة نحو ثمانية أميال شمالا وجنوبا ، وعرضها يتراوح بين اثني عشر

(١) راجع ما قاله ويجول عن هذا التاريخ في كتاب Weigall, “Life and Times of Akhenaton”, P. 82; Schafer, “Die Anfänge der Reformation Amenophis des IV”, in Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften, XXVI, (1919) P. 477. ff.

ونخسة عشر ميلا شرقا وغربا ، وقد أقام الفرعون سلسلة من اللوحات العظيمة نحت فيها صورة لللك والملكة وأسرتهم وهم يتعبدون جميعا للإله « آتون » ، كما نقش عليها كذلك تفاصيل عن هذا الإقليم المقدس ، وقد أقيمت هذه اللوحات في الشمال والجنوب والشرق والغرب عند المواقع الهامة حتى لا يجهل إنسان حدود الأراضي المقدسة للإله الجديد . وهاك النقش :

”إنه يمين الصدق الذى أحلف به [وهو اليمين الذى لن أقول عنه إنه كاذب إلى أبد الآبدين] إنها لوحة بلدة « إختاتون » وهى التى اتخذت عندها محطا ولن أخطأها من جهة الجنوب أبد الآبدين ، وأقت اللوحة الجنوبية الغربية مقابلة لها تماما على الجبل الغربى لإختاتون .

أما اللوحة الوسطى التى عليها جبل « إختاتون » . الشرق فانها لوحة (إختاتون) وقد أقيم عندها محط ، ولن أخطأها شرقا أبد الآبدين . وأقت اللوحة التى فى الوسط على الجبل الغربى « لإختاتون » مقابلة لها بالضبط .

أما اللوحة الشمالية الشرقية « لإختاتون » التى جعلت منها محطا فهى اللوحة الشمالية لإختاتون فلن أتعدها منحدرًا فى النهر أبد الآبدين ، ولقد أقت اللوحة الشمالية الغربية التى تجمع على جبل إختاتون الغربى مقابلة لها بالضبط .

أما مدينة « إختاتون » فإنها تمتد من اللوحة الجنوبية حتى اللوحة الشمالية ، ويبلغ طول ما بين اللوحين على جبل « إختاتون » الشرق ستة آترو نصف^(١) ، وربع خت وأربعة أذرع . وكذلك من لوحة إختاتون الجنوبية الغربية حتى اللوحة الشمالية الغربية فى الجبل الغربى لإختاتون تبلغ ستة آترو نصف ربع حكي وأربعة أذرع بالضبط أيضا . والمساحة التى تقع بين هذه اللوحات الأربع من الجبل الشرق إلى الجبل الغربى هى « إختاتون » نفسها وهى ملك الأب « حورآتون » بما فيها من جبال وصحارى ومراع ، وجزر وأرض عالية ومنخفضة وماء وقرى ورجال وحيوان وأحراش وكل الأشياء التى سيأتى بها والذى « آتون » إلى الحياة إلى أبد الآبدين ، ولن أهمل هذا اليمين الذى أخذه على نفسه لوالذى « آتون » أبد الآبدين ، بل سيوضع على لوحة من الحجر تكون بمثابة حدود جنوبية شرقية ، وكذلك بمثابة حدود شمالية شرقية لإختاتون ، كما سيوضع على لوحة من الحجر بمثابة حدود جنوبية غربية وكذلك بمثابة حدود شمالية غربية « لإختاتون » . ولن تحيى ، ولن تزال ولن تزاح ، ولن ترحم بالحجارة ، ولن يقضى

(١) خت = ١٠٠ ذراع (راجع Gardiner, "Egyptian Grammar", P. 199.

عليها وإذا حدث أنها فقدت أو أنزلت ، أرسطت اللوحة التي كانت عليها فاني سأجدها ثانية في المكان الذي كانت فيه “ (Ibid. P. 33.) مما سبق يتضح أن العاصمة الجديدة كانت مركزا مقدسا « لعبادة آتون » حرّم دخول أى شيء دنيوى فيه فكان لها من القداسة ما « للملكة » و « بيت القدس » ؛ ويلحظ في الفقرات التي اقتبست من لوحات الحدود أنه قد ذكر يمين جاء ذكره في اللوحات التي عملت في العهد الأول من حكم هذا الملك : ” لن أتجاوز حدود لوحة « إختاتون » من الجهة الجنوبية ، كذلك لن أتجاوز لوحة « إختاتون » من الجهة الشمالية “ .

وقد رأى البعض في هذه العبارة أن الملك قد أخذ على نفسه الموائيق بأن لا يبرح حدود هذه البلدة طيلة حياته ، ولا شك في أن الألفاظ قد تحمل هذا المعنى ، وقد تعنى أنه لن يتعدى حدود هذا البلد لأنها ملكه الخاص ، والأخذ بهذا المعنى يبرره ما جاء في المتن المطول الذي جاء بعد : ” لن أتجاوز لوحة « إختاتون الشمالية نحو الشمال لأقيم فيه « إختاتون » “ . أى أن ملك « آتون » يبقى فيها وحسب ، ولن يزداد فيها ظلما في أى جهة من جهاتها ، والواقع أن هذا المعنى أنسب من المعنى القائل : إن « إختاتون » أراد أن يحبس نفسه بين جدران مدينته المقدسة طول حياته ، ويترك مملكته ترعى نفسها بنفسها . حقا كان « إختاتون » متعصبا ولكنه لم يكن مافونا كما يعتقد بعض نقاده ، ولا نزاع في أنه أهل أمر إمبراطوريته في الخارج كما سئى بعد ولكن السبب في ذلك أنه كان يعلم أنه لن يتسنى له ذلك إلا بالحرب التي كان يكرهها من أعماق قلبه . على أن عدم قيام ثورات في داخل مصر نفسها لا كبر دليل على أنه لم يتهاون في واجباته التي يفرضها عليه الملك كما يعتقد بعض المؤرخين .

ولقد كان اختيار موقع « إختاتون » من عمل الملك نفسه كما أن فرحه بتأسيس مدينته المقدسة كان عظيما جدًا وقد أوضح لنا ذلك في لوحات الحدود الأولى : ” لقد وقف جلالته أمام الأب « حورآتون » وأضاء عليه آتون بالحياة وطول العمر ومقويا جسمه كل يوم “ . وقال جلالته : ” آتونى بأصحاب الملك الوجهاء العظماء وضباط الجنود ... في كل البلاد “

ولقد أتى بهم إليه في الحال فسجدوا على بطونهم أمام جلالته وقبلوا الأرض خضوعاً لإرادته وقال لهم جلالته : ” انظروا « اختاتون » التي يريد « آتون » أن يجعلها له أثراً باسم جلالتي أبدياً ، وإن « آتون » والذى أتى بي إلى « اختاتون » فلم يقدنى إليها شريف قائلاً إنه يجدر بجلاله أن يقيم « أفق آتون » (اختاتون) في هذه البقعة ، لا بل إنه « آتون » والذى الذى أرشدنى إليها لأجعلها له « أفق آتون » وعليه سأقيم « اختاتون » لآتون والذى في هذه البقعة ولن أتخذ له « اختاتون » جنوبياً ولا شمالياً ولا غربياً ولا شرقياً : ولن أتجاوز حدود لوحة « اختاتون » الجنوبية نحو الجنوب ولن أتجاوز حدود لوحة « اختاتون » الشمالية نحو الشمال لأقيم له فيها « اختاتون » وكذلك لن أقيمها له في الجهة الغربية « لاختاتون » بل ولكن سأقيم « اختاتون » لآتون والذى في الجهة الشرقية وهو المكان الذى أحاطه لنفسه بالصخر وسأقيم له معبداً في وسطها حتى يتسنى لى أن أقدم له فيه قرباناً . هذه هى (١) « اختاتون » ولن تقول لى الملكة : انظر . يوجد مكان آخر لاختاتون في جهة أخرى واستمع لما تقول ولن يقول لى أى شريف من القوم الذين في الأرض : انظر إنه يوجد مكان طيب « لاختاتون » في جهة أخرى واسمع لهم سواء أكان ذلك المكان في الشمال أم في الجنوب أم شرقاً أم غرباً ، ولن أقول سأهجر « اختاتون » أو سارع عنها وأقيم « اختاتون » في ذلك المكان الآخر الطيب أبدياً الآبدى . بل ولكنى قد أسست « اختاتون » هذه للإله « آتون » وهى التى رغب فيها بنفسه والتى فرح بها أبدياً . وبعد أن يعدد الملك المعابد المختلفة والمقاصير التى عقد النية على إقامتها « لآتون » في مدينته الجديدة يصرح الملك بتصريح له رنة أسى في النفس متقطعة النظير حينما يذكر الإنسان كيف أن النهاية التى كانت يتنبا لنفسه بها قد جاءت على عكس تنبئه « وسينحت لى ضريح فى الجبل الشرقى ويحتفل بدقى فى الأفراح العديدة التى أمر بها والذى « آتون » وكذلك سيحتفل بدفن الملكة زوج الملك الشرعية « قرتى » فى تلك السنين العدة ... كذلك سيحتفل بنت الملك « مريت آتون » فيها بعد سنين عدة ، فسيؤتى بي وأدفن فى « اختاتون » وإذا ماتت كذلك الملكة « قرتى » فى أية بلدة فى الشمال أو الجنوب أو الغرب أو الشرق بعد سنين يخطوها العدة فإنه سيؤتى بها وتدفن فى « اختاتون » وإذا ماتت بنت الملك « مريت آتون » فى أية بلدة فى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب فإنه سيؤتى بها وتدفن فى « اختاتون » . ولا يسع المرء هنا إلا أن يقرن بين النهاية المرجوة والنهاية التى لاقاها بعد موته فبدلاً من أن يدفن بإقامة الأفراح

(١) راجع : Sandman. Text From the Time of Akhenaton P. 106,

and Davies, Ibid, P. 29.

والاحتفالات الضخمة التي تليق بمقامه وهي التي تنبأ لنفسه بها في « اخناتون »
مدينته المقدسة التي أحبها بكل قلبه نجد أنه قد قذف به في قبر دنس من مقابر
وادي الملوك في « طيبة » تلك المدينة التي كان يمجتها من أعماق قلبه . ولعمري فإن
ذلك لمثل من الأمثلة القليلة التي سخر فيها القدر ولعب فيها دوره المعكوس
بين الحقيقة والنبوءة .

وليس لدينا من النقوش ما يدل على الشجار الذي قام بين « اخناتون » وكهنة
« آمون » إلا جملة في لوحة من لوحات الحدود الأولى . وهي تظهر لنا بجلاء
روح البغضاء المريرة التي كان يشعر بها هذا الفرعون حتى وهو في وسط السرور
الذي كان ينعم به من عمله الجديد فيذكر لنا المقابلة السيئة التي قوبلت بها تعاليمه
على يد من يعلمون الناس الصدق . كذلك يشير إلى الصراع الذي قام بين هؤلاء
الكهنة وبين جده « تحتمس الرابع » : إني أقسم بحياة والدي « حور آتون » ...
الكهنة ، كانوا أشد إثمًا من الأشياء التي سمعتها حتى العام الرابع ، وأشد ضررا
من الأشياء التي سمعتها في عام ... أشد ضررا من الأشياء التي سمعتها « منخبورع »
تحتمس الرابع ... في فم العبيد ، وفي فم أي قوم ... والأشياء الفظيعة التي سمعتها
« تحتمس الرابع » وقد سبق الكلام عنها لأنه كما ذكرنا من قبل قد حارب كهنة
« آمون » وأخضعهم على يد « حور محب » .

أسرة إخناتون : ويلحظ هنا أن أسرة « اخناتون » كانت تتألف قبل بناء
هذه المدينة من الملك و « نفرتيتي » ثم الأميرة « مريت آتون » وفي خلال المدة الواقعة
بين تخطيط « اخناتون » والانتقال إليها ولد له بنتان أخريان ، وهما « مکت آتون »
و « عنخس إن با آتون » .

وتدل كذلك الآثار على أنه رزق ابنة رابعة اسمها « نفرفرو آتون تاشيري »
ونحن نعلم أن الأولى قد تزوجت من « سمنخكارع » خليفة « اخناتون » غير أننا
لم نسمع عنها شيئا قط بعد وفاة زوجها الذي لم يحكم أكثر من ثلاثة أعوام ، أما الثانية

« مکت آتون » فقد ماتت قبل والدها وقبرها معروف في « تل العمارنة » ؛ والثالثة وهي « عنخس إن با آتون » كما نعلم قد تزوجها « توت عنخ آمون » الذي ولى العرش بعد « سمنخكارع » وبعد وفاته تزوجها « آي » ليتمكن من الجلوس على العرش ، إذ كانت بطبيعة الحال الابنة الباقية لإخناتون ، ولكن الكشف الحديثة قد أماطت لنا اللثام عن حادث غريب في حياة هذه الأميرة ووالدها « إخناتون » فقد دلت الآثار على ما يحملنا على الظن بأنها كانت قد تزوجت من والدها قبل أن تزوج من « توت عنخ آمون » وأنها كذلك قد رزقت منه ابنة سميتها باسمها وميزتها عنها بلقب « الصغيرة » .

فقد عثر على قاعدة تمثال منقوش عليها (... سيدة كل الأرض ، الزوجة الشرعية للفرعون ، التي يحبها ، وسيدة الأرضين ، (الجمال الفائق) لآتون (نفرتيتي) ... بنت الملك من صلبه التي يحبها « عنخس [با] آتون » والتي ولدها زوجة الملك (الجمال الفائق) لآتون . هنا نجد أن طغراء الملك قد عي في كلتا الحالين ، والظاهر أنه كانت توجد على هذه القاعدة مجموعة مؤلفة من الملك والملكة وأولادها أو على الأقل الملكة وبناتها « عنخس إن - با - آتون » وكان هذا التمثال بالقرب من القصر الملكي الرئيسي . وهذا المحوله أهمية عظمى فقد عي اسم الملكة حبا في بناتها « مريت آتون » في قصر « مارو آتون » وكذلك على التمثال الذي نشره « شارف » . أما قاعدة التمثال هذه فهي الأولى من نوعها وفيها اسم « عنخس إن - با - آتون » وفيها عي اسم أمها ويظن « جرفت » أن كلا من « مريت آتون » و « عنخس إن - با - آتون » قد أصبحت ملكة على البلاد بعد طرد والدتها أو موتها لتكون هي الملكة الوحيدة ، ولكننا من جهة أخرى نعلم أن « مريت آتون » قد تزوجت من « سمنكارع » وكذلك كانت تسمى أكبر بنات الملك ، وليست تحمل لقب ملكة ، ويظن مستر « ديفز » أن الملكة قد انضمت إلى صفوف الأعداء في « طيبة » وتسمت باسم « نفرنفرو » [آمون] ، ولكن أليست هذه هي

« نفر نفرو آتون تاشرى » البنت الرابعة « لإخناتون » ، وقد ادّعت لنفسها الصفة الملكية فى أزمة من الأزمات . ولكن الغريب فى قاعدة هذا التمثال أن « عنخس إن با آتون » قد محت اسم والدتها وصلتها بها . ومن ذلك نعلم أن من الجائز جدا بل من المحقق أنها تزوجت من والدها كما جاء فى نقوش الأشمونين ، فقد عثر على أجزاء من معبد « الأشمونين » الذى بناه « إخناتون » فى هذه الجهة وفيها أن الأميرة الملكية « عنخس إن با آتون » قد رزقت بنتا اسمها « عنخس إن با آتون » (عنخس إن با آتون . تاشرى) وذلك مما يثبت رأى القائل إن « إخناتون » لم يتول الملك وهو لم يبلغ الحلم بعد ، من أجل ذلك لا بد أن ابنته الثالثة « عنخس إن با آتون » قد ولدت فى السنة الرابعة أو الخامسة من حكمه وأقدم صورة لهذه الأميرة وجدت على لوحة من لوحات الحدود فى السنة السادسة ، ومن جهة أخرى نعلم أن « إخناتون » قد حكم على الأقل ١٨ سنة ، وأن البنات كن يصلحن للزواج فى سن مبكرة ويحملن ، ولذلك فإنه من الممكن أن هذه الأميرة قد تزوجت فى سن مبكرة ، ورزقت ابنة اسمتها باسمها ، وتدل كل الأحوال على أن « إخناتون » هو والد الأميرة الصغيرة (A. Z. Vol. LXXIV, P. 104 – 108). أما ابنته الصغيرة « نفر نفرو آتون تاشرى » فلا نعلم عنها شيئا ، وكل ما نعلمه أن أحد خطابات « بورا بور باش » ملك بابل أرسل خطابا للفرعون « إخناتون » نفهم منه أن إحدى بنات الفرعون كانت زوجة لأحد أولاد هذا الملك ، ولكنها كانت تسكن فى قصر والدها ، ولا بد أن هذا الزواج كان بالوكالة ، ولم يكن بين بنات الفرعون وقتئذ ابنة فى سن الزواج إلا كبراهن ، ونحن نعلم أنها تزوجت « شمنخكارع » ، فمن المحتمل أن هذا الأمير البابلى قد تزوج من إحدى صغيرات بنات الفرعون ولكنه فى الوقت نفسه أبقاها عند والدها ، وقد أرسل بهذه المناسبة ملك « بابل » للأميرة زوج ابنه^(١) عقدا من الأحجار الثمينة يبلغ عدد

(١) راجع : Baikie, "The Amarna Age", P. 277; Weigall, Ibid,

P. 195, غير أنه الخطاب المشار إليه (رقم ١٠) لا يذكر لنا شيئا عن هذا الزواج .



الصورة رقم (١٥) أسرة « إخناتون »

حياته ١٠٤٨ حبة وقد حرص هذا العاهل أن يعدّ حبات هذا العقد حتى لا يسرق منه شيء في أثناء الطريق ، ومن المحتمل جدا أن هذه الأميرة هي « نفر تفر و آتون » (Mercer, "Tell el Amarna Tablets", No. 10, 41 ff.) هذا وتدل الآثار على أن « اخناتون » كان له بنتان أخريان وهما « نفر نفرورع » و « ستب إن رع » (L. D. III, Pl. 99.)

وهنا نلاحظ أن « اخناتون » لم يتمسك في أخريات حياته بإضافة اسم « آتون » إلى تركيب أسماء بناته ، كما فعل من قبل . وذلك يدل على أنه لم يكن متعصبا للفظ « آتون » في آخر حياته كما كان يحرص عليها عندما نقل الحكم إلى « إخناتون » مباشرة ، فهل يفهم من ذلك أنه رأى تعصبه لإلهه قد جر عليه المتاعب ، وأثار الفتن فارتد إلى التسمية القديمة « رع » وهي التسمية التي ألفها الشعب منذ فجر التاريخ ، وبذلك أرضى نفسه ، وأرضى شعبه ؟ إنها لسياسة رشيدة ومحكمة جدا ، وبخاصة إذا علمنا أن « سمنخارع » بعد أن اشترك مع « إخناتون » في الحكم عاد إلى « طيبة » وأخذ في تهدئة الحال مع كهنة « آمون » . وقد وجدنا له قصيدة في مدح « رع » بين آثار « توت عنخ آمون » التي اغتصبها الأخير منه .

وصف مدينة إخناتون : وفي السنة الثامنة من حكم « إخناتون » وجدنا أن نقل البلاط قد نفذ تماما وأصبحت « إخناتون » العاصمة للملك . وهذه الحقيقة قد قررت بعبارة خاصة ظهرت في كثير من لوحات « تل العمارنة » وهي كما يأتي : " وهذا اليمين (الخاص بالحدود) قد كرر في السنة الثامنة في الشهر الأول من الفصل

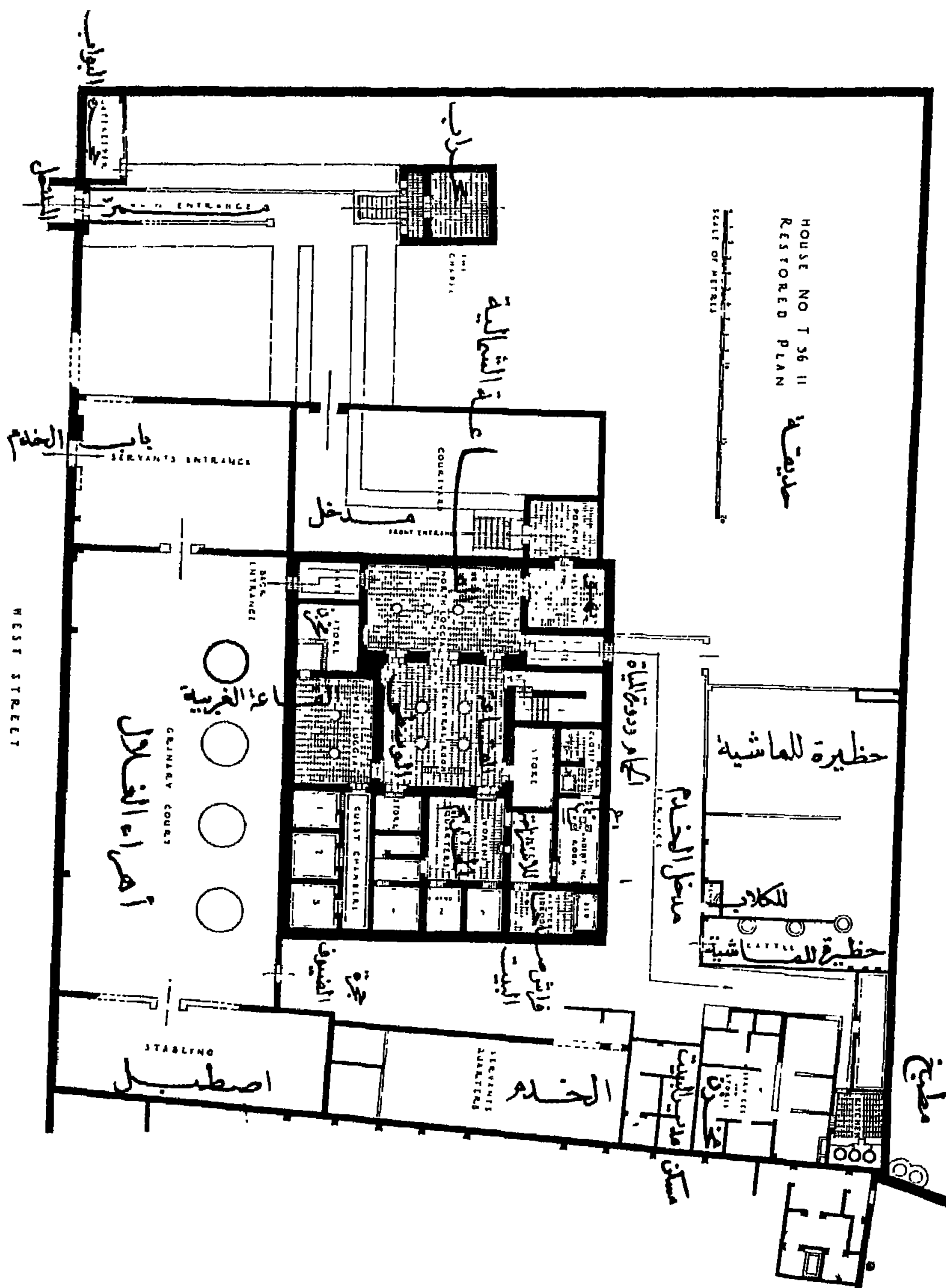
اليوم الثامن فقد كان عرش الملك في « إخناتون » والفرعون [له الحياة والصحة والعافية] قد وقف ممطيا عربته العظيمة المصنوعة من السام يفحص لوحات الإله « آتون » التي أقيمت على الجبل بمثابة الحد الجنوبي الشرق للمدينة « إخناتون » ويعد تجديد هذا اليمين بمثابة الخطوة الرسمية النهائية لنقل مقر الملك . وعلى ذلك يكون العمل في تأسيس العاصمة قد بدئ في العام السادس ، وانتهى في العام الثامن .

ويرجع الفضل في كشف النقاب عن تخطيط البلد القديم إلى البعثات الألمانية والإنجليزية التي حفرت هذه البقعة حفرا علميا منظما .

تكلّمنا فيما سبق عن مميزات مدينة « إختاتون » من حيث الطول والعرض ، وعن السبب الذى دعا إلى تخطيطها على هذا النحو . فهذه البلدة العظيمة الطول الضيقة العرض قد وضع تصميمها بشكل منسجم لا بأس به وكانت تخترقها من الشمال إلى الجنوب ثلاثة شوارع رئيسية تقاطعها فى زوايا قائمة شوارع أخرى تخترقها من الشرق إلى الغرب وخلافا لهذا النظام المستطيل الشكل لم يحاول المهندس واضع التصميم إيجاد انسجام فى وضع المنازل التى كانت تختلف اختلافا عظيما من حيث التخطيط ، والظاهر أن فكرة تخطيط مدينة على طراز ممتاز لم يدر بخلد مهندسى « مدينة الأفق » وذلك على الرغم من أنه كانت أمامهم قطعة أرض أخرى بكم يمكن تخطيطها على طريقة هندسية دقيقة . وربما يرجع السبب فى ذلك إلى السرعة التى كان يتطلبها إنجاز المدينة وإعدادها ، وكذلك حال هذا بين تقسيم رقعة المدينة إلى حى مساكن عمال ، وآخر لمساكن عليّة القوم والموظفين ، فالتصميم الذى لدينا يدل على أن المساكن قد خططت دون مراعاة توزيعها إلى مجاميع منسجمة ، فبينما نرى مترا شريف بفخامته وسعة أرجائه نجد مترا حقيقيا لعامل أو صانع قد لاصقه حتى ليخيل للإنسان فى أيامنا أنها خططت لتكون بلدة ديمقراطية ، فالكهنة الأعظم يقيم فى محاذة صانع الجلود ، والوزير بجوار صانع الزجاج ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن عظماء القوم عندما حلوا بالمدينة استولى كل منهم على قطعة عظيمة من الأرض ليقم فيها قصره ، ولكنه بعد أن أخذ ما يكفيه لبناء بيته تخلف بعد ذلك فضاء اتخذه العمال والصناع الذين وفدوا إلى المدينة لبناء منازلهم الصغيرة ، ولم يكن لهم الخيار فى أن يتخذوا أما كن أخرى لإقامة منازلهم لئلا يتعدوا عن المياه فيصبح نقلها عسيرا عليهم .

ومن المحتمل أن مدينة « إختاتون »^(١) المقدسة لم تكن رائعة فى منظرها لعدم انسجام مجاميع البيوت التى تتألف منها إذا قيست بالمدن الحديثة ، غير أن عدم

(١) راجع من هذا الفصل ، JPeet and Woolley, "The City of Akhetaton".



التكافؤ هذا في المباني كان يعطيها بهجة خاصة وهي بهجة التناقض وبضدّها تميز الأشياء فإذا تصوّر الإنسان قصر الرجل العظيم بما فيه من أهبة ونخامة ، وما يحيط به من عظمة وبهاء ثم يرى في الوقت نفسه كوخا حقيرا لعامل وراء جدران هذه الحديقة ، بدا الكوخ كأنه عش طائر صغير في أصل شجرة باسقة وارفة . والواقع أن قصور العظماء كانت منازل فسيحة الأرجاء بما فيها من ردهات زينت جدرانها وأرجاؤها بما ينم عن ذوق سليم ، هذا إلى حجرات عدّة للسكن والنوم جهزت بمحامات عظيمة ودورات مياه وقد كان حجم البيت المتوسط من الطراز الأنيق في تلك المدينة المقدسة يتراوح بين ٦٥ إلى ٧٠ قدما مربعا .

وقد عثر أخيرا على بعض منازل أمكن لأحد المهندسين أن يكون منها فكرة صحيحة عن البيت في عهد إخناتون وستفصل القول هنا بعض الشيء في وصف هذا البيت ومحتوياته ليأخذ القارئ فكرة عن البيت في عهد الأسرة الثامنة عشرة على وجه عام .

البيت المصري في عهد إخناتون

تدل شواهد الأحوال على أن البيت المصري في عهد الفرعون « إخناتون » كان غاية في الأناقة وحسن الذوق والتنسيق الصحي البديع . وقد استطاع أحد المهندسين أن يضع أمامنا صورة حية لبيت من البيوت التي كشف عن بقاياها في مدينة إخناتون المعروفة الآن بتل العمارنة .

والبيت الذي سنصفه هنا يقع في الضاحية الشمالية من المدينة المذكورة ويعدّ من أجمل البيوت وأنعمها . وتدل الآثار على أنه كان مؤلفا من طابقين .

فهذا البيت وما يتبعه من حديقة وملحقات قد سور بجدار عال يكتنفه من جانبيين شارعان ومن الجانبين الآخرين ضياع رب المنزل ، ويقع المدخل العمومي لهذا البيت على شارع وقد أقيمت في أوله حجرة حارس البيت وتحتوى على مقعد وموقد مسطح . أما المدخل نفسه فيتألف من برجين أنيقين يكتنفانه ويعلوها (كرنيش) محلى برسوم على هيئة جريد النخل ، وقد لَوّن مصراعا بابيه باللون القرمزى .

وبعد اجتياز الإنسان هذا المدخل بقليل يستقبل طريقا زينت جانبا به بصفين من الأشجار الصغيرة غرست في أحواض مملوءة بغرين النيل الخصب، وفي نهاية هذه الطريق يحصد الزائر أمامه محرابا صغيرا على هيئة معبد قد أقيم على رقعة من الأرض مرتفعة بعض الشيء يرقى إليه الإنسان بسلم ذى درج . والجزء الأوسط من هذا المحراب عارٍ من السقف وذلك تمشيا مع شعيرة عبادة الاله « آتون » الذى يمثل فى قرص الشمس المشرق . أما قاعة عمد هذا المحراب فيزينها سقف جميل . وعند الفراغ من تقديم فروض العبادة فى المحراب يتجه الزائر نحو ردهة داخلية يصل إليها بطريق تقع على محور زاوية قائمة مع المحراب نفسه . وهذه الردهة تؤدى إلى البيت بوساطة مدخل له خارجة بارزة وبابه ملون بالألوان الزاهية ، وكتب اسم صاحب البيت وألقابه بالخط الهيروغلى على عارضتى الباب المصنوعتين من الحجر، وكذلك يوجد للبيت باب آخر خاص بالتجار وأصحاب الحاجات، ويقع على الطريق العامة . ويؤدى إلى ساحة عامة نصبت فيها مخازن الغلال المفعمة بالحبوب المكسدة فى صوامع مخروطية الشكل وتشبه من كل الوجوه الصوامع التى يخزن فيها الفلاحون غلالهم إلى يومنا هذا فى ريف مصر وصعيداها .

وقد خصص القسمان الجنوبي والشرقي من هذا المبنى العظيم لاصطبلات الخيل ومساكن الخدم والمطبخ وحظائر الماشية وغير ذلك .

الإصطبل : يتألف الإصطبل من رقعة مرصوفة من الأرض تسع ثمانية جياذ لكل منها مذود ومربط مصنوع من الحجر ومثبت فى أصل الطوار وخلف هذه المذاود ممتزليوضع فيه علف الخيل ، ويصل إليه الإنسان من الخارج ولا شك أن إنشاء الإصطبلات بهذه الصورة يعد حديثا . ويلحق بهذا الإصطبل حجرة طويلة خصصت لصيانة سرج الخيل ولجمها الخ؛ هذا مع وجود مكان صغير لتحفظ فيه عربة صغيرة من الخشب وآخر لتحفظ فيه فضلات الخيل .

قسم الخدم : ويشتمل القسم الخاص بالخدم على حجرة كبيرة ذات خارجة صغيرة مثبتة في مدخلها ويرتكز سقفها على عمد مربعة من اللبن .

المطبخ : ويتألف من مسكن رئيس الطهاة أو مدير البيت . وهو مبني على نمط حجر البيت الرئيسية ولكن بحجم مصغر . أما المطبخ نفسه فيتألف من صف أفران تماثل بالضبط أفران الخبز التي نشاهدها في قرى الريف الآن ، ويتصل بهذا المطبخ حجرة أخرى بنى فيها رف لما يخزن ولتقديد الخبز . هذا إلى حجرة أخرى ثبتت فيها لوحة مبطنة بالأسمنت كانت تستعمل لخلط العجين وتجهيزه . وأقيمت خلف البيت كذلك حظائر الماشية وفناء متوسط الحجم فيه وجران للكلاب . ويجوار المدخل المعد للخدام البيت بئر قريبة الغور يوصل إليها بدرج حلزوني للسقاية أما الركن الشمالى الشرقى من هذه الضيعة فقد هيئ ليكون حديقة منظمة ل يتمتع بها صاحب البيت وأسرته .

البيت : أما البيت نفسه فكان يتألف من قاعة رئيسية مرتفعة عن باقى حجرات تحتل وسط البيت مضاعة بنوافذ ، وحجرات أخرى خارجية مضاعة من الجوانب . والواقع أن حياة الأسرة تتركز في هذه القاعة ذات العمد القرمزية اللون والأبواب الملونة ، لأنها متصلة بالحجرات الخاصة الأخرى ، وكذلك تتصل بقسم الخدم الواقع في الجهة الجنوبية وبالسلم الذى يؤدى للدور العلوى في الجهة الشرقية ، هذا فضلا عن أنها تؤدى إلى القاعتين الشمالية والغربية . وهكذا عندما يتخطى الزائر الباب تواجهه القاعة الشمالية وهى حجرة كانت تستعملها الأسرة عادة عندما تكون حرارة الشمس لافحة في فصل الصيف ، لها منفذ يوصلها بالمطابخ كما أن لها باب خدم من جهة مخزن الغلال ، والسقف في هذه الحجرات الواسعة يتألف كل منها من عرق رئيسى فوق الأعمدة ملون بلون زاهٍ وزخرفة ، هذا إلى عروق صغيرة ملونة باللون القرنفل ، وبين هذه العروق ألواح ملونة بالأبيض . وتوجد في جدران الحجرة منافذ صغيرة للإضاءة ، وتضم جدران هذه القاعة الشمالية ثلاثة أبواب

تؤدى كلها إلى القاعة الوسطى العظمى . وأوسط هذه الأبواب يعلوه عتب نقش عليه ثانية اسم صاحب البيت وألقابه . وعندما يخترق الإنسان هذا الباب يسير بين العمدة الأربعة العالية ثم يصل إلى طوار مرتفع بعض الشيء مصنوع من اللبن . وقد فرش بالجلود والطنف حيث كان يجلس صاحب البيت ليدير شؤونه أو يستقبل الضيفان . وهذه الحجرة تضاء بنوافذ فتحت بالقرب من السقف ، وصورت في الجدار المقابل نوافذ كاذبة لتكون المقابلة تامة بين الجدارين . وفي أحد جوانب هذه القاعة وضع حجر للغسيل واسع ومعه إناء يغتسل منه الزائر عند وصوله ، وبالقرب من الطوار وضع موقد على هيئة طبق يوقد فيه الفحم .

أما القاعة القريبة وسلسلة الحجرات الخاصة بالضيفان التي تفتح عليها ، وكذلك حجرات الخزن المختلفة وجميعها تكمل الجزء العام من البيت فإنها صورة مصغرة من القسم الشمالى من هذا البيت ، وفي الغالب كانت تستعمل في أثناء فصل الشتاء عندما يكون القسم الآخر من البيت باردا لا تصله الشمس كثيرا .

قسم النساء : والآن لم يبق أمامنا إلا الجزء الخاص من البيت ويشمل قسم النساء وحجرة نوم رب البيت وكلها مجتمعة حول حجرة صغيرة مربعة داخلية كانت مستعملة للجلوس .

ويلاحظ أن النساء والأطفال كانوا يسكنون على ما يظهر في ثلاث حجرات صغيرة ، أما رب البيت فكان يحتل حجرة فسيحة بملحقاتها الفخمة التي لا تقل في نظامها وحسن ترتيبها عما نجده في فندق حديث . إذ نشاهد حجرة نومه التي كان يصل إليها من باب قاعة الجلوس قد صنعت فيها كوة مرتفعة بعض الشيء عن سطح الحجرة لتحتوى سريره . ويلاحظ أن السرير كان مرفوعا فوق أربع قطع من الحجر ، وكذلك نشاهد بابا آخر في حجرة الاستقبال مؤديا إلى حجرة التعطير والزينة وقد عثر فيها على قطعة من الأثاث مؤلفة من ثلاث أوانٍ مقطوعة في حجر واحد . ولا تزال واحدة منها تحمل بقايا بلورات تشبه أملاح الحمام ، ومقعد من الحجر كان

يجلس عليه رب البيت في أثناء تعطيره . وخلف هذه الحجرة نجد حماما لرش الجسم (دش) مبنا من الحجر الجيري كان يقف فيه رب البيت في حين يصب عليه الماء عبد من خلف جدار حاجز مبنا . وبلى هذا الحمام كنيف يرى فيه المقعد الحجري المثقوب الذى كان يجلس عليه لقضاء الحاجة ويكتنفه حوضان مملوءان بالرمل ، وكان لا يزال في واحد منهما إناء من الفخار . وكانت حجرة التعطير والحمام والكنيف ملونة باللون الأبيض .

ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع أبواب هذا البيت كانت مصنوعة من الخشب وأسكفاتها من الحجر ، أما درجات السلم فكانت من اللبن تحميها من التفكك قطع خشب .

ولا شك في أن الدور العلوى من البيت كان قد أقيم على نظام خاص غير أن معلوماتنا عنه ضئيلة ولا يمكن وصفه بصورة قاطعة ؛ ولا نزاع في أن هذا النظام الذى وجدناه فيما تبقى لدينا من بيوت مدينة إختاتون كان شائعا في عهد الدولة الحديثة بل ربما كان في العصور التى سبقتة غير أن عوادى الدهر قد قضت عليها جملة .

أما قصر الوزير « نخت » فهو من أجمل أنواع المعمار في المدينة ، إذ يبلغ حجمه نحو ٩٥ قدما في ٨٥ قدما . وأما بيوت العمال فقد كانت نسبة حجمها إلى أحجام بيوت علية القوم ضئيلة جدا ، فالبيت لا يحتوى على أكثر من قاعة أمامية ، وحجرة استقبال وحجرة نوم ومكان للطهى . وقد كانت جميع بيوت المدينة سواء كانت لعلية القوم أم لصغار العمال مبنية باللبن ولم يشذ حتى الجزء الأعظم من قصر الفرعون نفسه من ذلك ، وهذا النوع من البناء كان يتفق مع رأى المصرى وفلسفته ، فيرى أن كل إنسان يجب أن يقيم مبناه لمدة حياته هو ، وفق ميوله الشخصية ، وعلى حسب ذوقه الخاص فلا يصح إذا أن يفرض على خلفه منزلا مقاما من الحجر الصلب ربما لا يروق في نظره ، هذا فضلا عن أن البناء باللبن يخفف من وطأة حرارة الشمس وبخاصة في فصل الصيف .

وقد أقام « إخناتون » لنفسه قصرا في حي المدينة الشمالى على مسافة قليلة جنوبى المعبد الكبير وعلى مقربة من شاطئ النيل . على أن يد الدهر لم تبقى لنا شيئا كثيرا من مبانيه حتى أصبح من المتعذر علينا أن نميز حال العمدة التى وجدناها فى القاعة العظمى أكانت تتألف حقيقة من عمدة أم كانت حوامل أقيمت عليها رقعة ججرة أخرى فوق الطبقات السفلية من القصر . على أنه أهم ما يلفت النظر فى هيئة هذا المبنى الضخم الغريب هو حجرة العمدة التى يبلغ عرضها ٤٢٨ قدما وطولها ٢٣٤ قدما مما يجعل قاعات القصور الملكية أو غيرها تتضاءل بجانبها ، هذا إذا ما قرناها بمساحة القصر كله الذى كان يبلغ ١٤٠٠ قدم طولاً ٤٠٠ أو ٥٠٠ عرضاً ، وهذه القاعة تنتظم ٥٤٢ عموداً ، فإذا كانت الأعمدة التى وجدت فيها حقا أعمدتها كانت تلك القاعة فى بنائها تمثل غابة مزدهجة بالأشجار الباسقة . وعلى الرغم من حقارة المادة التى صنعت منها جدران هذا القصر فإن النقوش التى كانت عليها غاية فى الفخامة والروعة . ومما يؤسف له جد الأسف أن رقعة حجرات هذا القصر المزينة بالألوان التى قد أسبغ عليها صانعها قوة طبيعية بما وضع فيها من الرسوم الناطقة المنسجمة . وكذلك الزينات التقليدية المدهشة التى كانت تحمل بها تيجان العمدة وهى التى أحكم صنعها بزجاج مطلى براق زادها بهجة ورواء — لم يبق منها إلا نتف صغيرة يمكننا أن نستخلص منها ما كان يحدث فى نفس الزائر عند التمتع برؤيتها ، ولا غرابة إذن فى أن يتخيل الإنسان أن قصر « إخناتون » كان جنة الله على الأرض ينعم فيها فى هدوء بعيدا عن متاعب طيبة وقتنها وأحاييل كهنتها . وكانت « إخناتون » حافلة بالمعابد المختلفة الأنواع والأحجام ولم يكن الفرعون وحيه لإلهه لينسيه احترام ذكرى أجداده العظام على الرغم من أنه قطع حبل الصلة بينه وبينهم من جهة العقائد الدينية . فقد وجدنا فى المدينة بقايا عدة معابد كانت قد أهديت للملك الماضى العظام مثل « أمنتب الثانى » و « تحتمس الرابع » ، وبجانب هذه كانت توجد معابد صغيرة مثل معبد « بليت

راحة آتون» وكانت الملكة «تى» والدة إخناتون تقوم بتأدية الشعائر فيه ، هذا إلى معبد للأميرة «باك آتون» أخت «أخناتون» الصغيرة ، وآخر للأميرة «مريت آتون» أسن بنات الفرعون ويسمى بيت الفرح للاله آتون في جزيرة آتون الممتاز في أعياده ، ثم معبد النهر والجوسق المقدس التابع لرحبة البركة الجنوبية ومعبد «مرو آتون» أى رحبة آتون ، أما معبد الدولة العظيم فكان يغطى على كل ما سواه حجما ونفامة وأبهة . وفي أقصى جنوب سهل «تل العمارنة» وبالقرب من قرية الحوطة يوجد على حسب الكشف الحديثة حتى من أهم أحياء مدينة «إخناتون» وهذا الحى يسمى «مروآتون» أى (رحبة آتون) وهو اسم لا بد قد أطلق على جزء كبير مسور كانت تنعم فيه الملكة كأنه جنة على الأرض فهي تتمتع بالهواء الطلق في ظلال الحدائق الوارفة التي كان يحبها كل مصرى . هذا إلى قاعة استقبال أنيقة ومعبد صغير ، والواقع أن حب الطبيعة يتجلى في كل تعاليم «إخناتون» الدينية ، والظاهر أنه قد ابتدع وسائل المتعة بجمال الطبيعة في «مروآتون» وهو ذلك الجمال الذى وهبه إياه إله «آتون» فقد أوجد بيئة محفوفة بمتع الحياة ، ومزينة بمناظر الطبيعة التي أوجدها «آتون» ، ليكنه أن ينتقل في أرجائها في أقل من لمح البصر لعبادة خالق كل هذا ، إذ كانت مناظر الطبيعة وملاذ الحياة توجد جنبا لجنب مع المعبد ، وقد كانت «مروآتون» هذه مؤلفة من مبنيين محاطين بسور يفصل بعضهما عن بعض جدار ، وتبلغ مساحة المبنى الشمالى وهو أكبرهما ٢٠٠ × ١٠٠ متر، أما الثانى فتبلغ مساحته ١٦٠ × ٨٠ متر، ويمتاز المبنى الأصغر بقاعة استقبال ذات عمد وبحيرة من صنع الإنسان ، أما باقى مساحته فالمرجح أنها كانت مزروعة بالأزهار المنسقة والأعشاب النظرة . وقد كان الجزء الأعظم من القسم الأكبر من هذه الجنة يشغله بحيرة مستطيلة أو حوض يبلغ مساحته ١٢٠ × ٦٠ مترا وعمقها نحو متر وفي نهاية تلك البحيرة من الجهة الغربية أقيم طوار داخل في الماء ليكون بمثابة سلم مريح لمن أراد التتره في سفينته في ذلك الخضم المترامى الأطراف ، وقد زينت شواطئ

تلك البحيرة بمبان مختلفة أشكالها ، وكانت مجموعة المباني التي في الركن الشمالى الشرقى من البحيرة أهم ما يسترعى النظر والاهتمام ، فعلى الرغم من أنها كانت بمثابة قاعة استقبال في الجهة الشمالية من البحيرة فإن كهوفها لا بد كانت يوما مكتظة بزجاجات الخمر . ويدل على ذلك أختامها المصنوعة من الطين ؛ وهذا لعمري يبرهن على أن تمتع « اخناتون » بجمال الطبيعة ومفاتها لم يجعله ينسى نصيبه من ملاذ الحياة الدنيا ومتاعها ، أما أقصى الركن الشمالى الشرقى لنا ، الجنة فكان يشغله مبنى مزخرف مما جعله بهجة للناظرين ، والظاهر أنه كان نوعا من الأحواض التي تنمو فيها النباتات المائية على مختلف أنواعها وألوانها ، وجنوب هذا الحوض المائى ذى النباتات الفيحاء تقع عين الناظر على طائفة من أسرة الزهر الياض ، وجنوب هذه يجرى جدول مائى يلتف حولها من الجوانب الأربعة مكونا جزيرة صغيرة كان يصل إليها الزائر من الجنوب بوساطة دهليز معبد مقام على عمد ، وله بوابتان ، وينتهى بجسر صغير ممر فوق خندق إلى الجزيرة ، وعند مدخل الجزيرة من هذه الناحية يواجه الفرعون جوسقين هما توأمان في الصورة والتصميم ، وأمام كل منهما أقيمت واجهة ذات عمد غير مستقوفة ، وفي نهاية المطاف يصل الفرعون وضيوفه من أصحاب الخطوة عنده إلى سلم معبد صغير أقيم في منتصف رقعة مائدة وخلفها باب يؤدي إلى جسر آخر يتصل بحديقة النباتات المائية السالفة الذكر .

هذه لمحة عن مفاتن مدينة « اخناتون » الخلابية ، وعلى الإنسان أن يرنى تخياله العنان فيتصور الفرعون وهو عائد مثقل بأعباء مهام الدولة فيطرحها عن نفسه بما سيجده من متاع بين أصدقائه وسماره ، وقد ملاّ البشر والفرح قلوبهم ، ثم يأخذ بنصيب من مسرات الحياة ومفاتها قبل أن يأتى اليوم الذى يقسم فيه الأسى والحزن قلبه وتكسر الهموم من حدة روحه الفتية الوثابة . ولا غرابة فإن كل ما وصفناه هنا من مناظر ومتاع دنيوى هو من مميزات الطبيعة المصرية ، وبخاصة بعد أن سما بها « اخناتون » في عهد « تل العمارنة » إلى أعلى عليين ،

وهذا الحب للطبيعة جزء لا يتجزأ من ديانة « آتون » بل كان في الواقع ولما لا تحبوا ناره في نفسه إلى أن صعدت روحه إلى عالم السماء ، مع خالقه « آتون » المشرق في ربوعه . (راجع Baiki The Amarua Age P. 277) .

وسط المدينة (اختاتون) : أما وسط المدينة فيقع جنوبي المعبد الكبير ، وهو يحتوي على المخازن التي بين ضياع الفرعون وبين صفوف بيوت الكهنة الواقعة جنوبيها . وجنوب الضياع الملكية كانت تقوم مصلحة السجلات ، وهي تقع في الجزء الغربي للمدينة وتسمى مكان مراسلات الفرعون له الحياة والصحة والعافية — والظاهر أن مكان هذه الإدارة كان قد أمد لكاتب العمال ، وقد هدم فيما بعد ، وحلت محله إدارة السجلات^(١) ، وقد أقيمت الجامعة في المكان الشرقي لهذه الإدارة ، وقد عثر على لبنات تدل على ذلك ، كما عثر هناك على عدة « استراكا » كتب عليها قوائم بأسماء الكتاب الملكيين ، ويحتمل أنهم كانوا المحاضرين في الجامعة . وفي شمالي السجلات كانت توجد مجموعة إدارات وقد وجد بعض أبواب هذه المباني مغلقة باللبنات ، وذلك يدل على أن الشك كان يحتاج نفوس الموظفين فيما إذا كان الانتقال إلى « طيبة » سيستمر أم لا ، ونحن نعلم أن طبقة الفنيين لم يكونوا متأكدين من ذلك ، لأنهم تركوا منازلهم قابلة للسكنى . وجدير بالملاحظة هنا أن معظم الفخار الإيجي^(٢) كان من هذا الجزء من المدينة ، إذ وجد هنا بكثرة ، وكانت المنازل الخاصة يحتلها الفقراء الذين لم يمكنهم الذهاب إلى « طيبة » .

وفي جنوبي هذه البقعة صفوف من بيوت الكتاب ، وفي الشرق عدة مخازن ، كذلك وجد في هذا المكان التكتات العسكرية ، وكان فيها جنود المازوي (القرطة) وكذلك اصطبلات الخيل .

(١) راجع : J. E. A. Vol. XXI, P. 136. حيث نجد بحثا عن أسماء مباني «اختاتون» في وسط المدينة وكاتبه يعتقد أن الجزيرة تحتوي كل مباني القصر والمعبد أو بعبارة أخرى تعد مرادفا لوسط المدينة . (٢) راجع : Pendlebury, J. E. A., Vol. XVI, P. 87 & note 15.

« التوحيد »

أقدم عقيدة للتوحيد العالمى .

مقدمة : لقد أثرت السلطة الاجتماعية التى سادت مصر فى العهد الإقطاعى تأثيرا كبيرا فى دينها وأخلاقها كما تركت الحكومة المصرية فى عهد الأهرام مثل ذلك الأثر فى التشريع السياسى . وكلا الأثرين كان ينحصر فى دائرة القطر المصرى وحده .

والواقع أن عصر الأهرام لم يحن إلا فكرة مبهمة عن أملاك إله الشمس الواسعة ، وقد خوطب ذلك الإله مرة فى متون الأهرام باللقب الطنان « غير المحدود » ، وإن كان قد ظهر فى هذا العصر ما يبشر بنمو اجتماعى عند بعض الكتاب النابهين أمثال « بتاح حتب » الذين آمنوا بوجود قيم خلقية عالمية تسيطر على الملك ، وتخضع لإله الشمس ، وهذا يدلنا على أن المصريين كانوا قد بدءوا يسرون بالفعل فى الطريق المؤدى إلى التوحيد .

وقد كان فى مقدور المصريين وقتئذ أن يتقدموا نحو الوصول إلى المعرفة النامة « بالوحدانية » بما تصوره من النظام الإدارى الخلقى العظيم . وقد وصل فعلا إلى ذلك رجال الفلسفة واللاهوت الذين أتوا بعد ذلك العصر — لكن على الرغم من ذلك قد بقى هذا النظام الخلقى فكرة قومية لم يمتد سلطانها حتى ينتظم العالم كله ، فبقى إله الشمس يحكم مصر وحدها ، فزاه فى أنشودة متون الأهرام العظيمة يقف حارسا على الحدود المصرية فيقيم هناك الأبواب التى تمنع الأجانب دخول مملكته ، ومن قبل كانت قد بدأت عملية إدماج ملوك مصر الآخرين بإله الشمس فعصار يحمل فى كل شيء ، واستحالت الآلهة جميعها من حيث أشكالها ووظائفها إلى وحدة

(١) راجع : Sethe, "Die Altägyptischen Pyramidentexte", lines.

1587-1595c; Breasted, "The Development of Religion and Thought",

PP. 13 - 14.

واحدة، ولكنها مقصورة على مصر، ولم تنفذ بعد من أقطارها حتى تصير لها عالميا واحدا، ولكن اتساع مجال الفتوحات الأجنبية العظيمة على يد « تحتمس الثالث » في « آسيا » جعل السيادة المصرية تظل رقعة من العالم واسعة تمتد من أول الجزر الإغريقية فسواحل آسيا الصغرى، ومرتفعات أعالي نهر الفرات شمالا حتى الشلال الرابع لنهر النيل جنوبا .

ولما كان اللاهوت الشمسي سريع الاندماج بأحوال العالم فقد انسابت حاسيته زاحفة نحو الأفق الواسع الذي أصبح تابعا لمصر فامتد إجلال الإله وتقديسه حتى ظلل هذه الميادين الجديدة التي دانت لمصر بالسلطان . فآثرت الامبراطورية المصرية الواسعة على الفكرة الددنة القديمة وقد صاحب ذلك تيقظ عقلي من التقاليد المصرية القديمة من أساسها . وكان « تحتمس الثالث » الفاتح يعد أول شخصية تتسم بسمة البطولة العالمية فتأثر بذلك لاهوت الدولة وأرغمت مصر على الخروج من عزلتها القديمة إلى الاشتراك في العلاقات العالمية التي كان لإله الشمس صلة وثيقة بها .

على أن العلاقات التجارية التي كانت قائمة من قديم الزمان لم تكف لأن تجعل العالم الخارجي الواسع يخضع خضوعا محسا للتفكير المصري فإن نشاط التجارة كان محصورا من قبل في تخوم وادي النيل قبل أن يآلف المصري، العالم الخارجي، ولم يكن في مقدور المعاملات التجارية وحدها مع عالم أوسع من مصر أن يزحزح تقاليد البلاد عما كانت عليه، فكم من تاجر في « بابل » النائية وفي « طيبة » المصرية قد رأى حجرا يسقط من حائق إلى الأرض ولكنه لم يدرك تلك القوة الطبيعية قوة الجاذبية تلك القوة التي اهتدى إلى سرها ذلكم الصبي الراقد تحت شجرة التفاح بعد تلك العهود بأمد طويل (نيوتن)؛ وكم من تاجر قد رأى الشمس تبرز خلف معابد بابل وبين مسلات « طيبة » ولكنه لم يصل إلى كهنها الحقيقي، وإذا كان « تحتمس » قد قال عن إله الشمس (إنه يرى جميع العالم في كل ساعة) فإنه

يقصد بذلك تلك السلطة الامبراطورية التي تناولت أولا خيال رجال الامبراطورية
المفكرين وكشفت لهم المجال العالمى لملكيات إله الشمس في صورة مجسمة؛ فالتوحيد
إذن لم يكن إلا السلطان الامبراطورى فى التدين ، ففى عهد « أمنحتب الثالث »
الذى كان من أعظم أباطرة مصر نرى توأمين من رجال العمارة هما « سوتى »
و « حور » كانا يعملان فى طيبة لحسابه وقد ترك لنا أنشودة للشمس فوق لوحة
موجودة الآن بالمتحف البريطانى توضح لنا مدى ميل ذلك العصر كما توضح لنا
المجال الآخذ فى الاتساع الذى كان رجال الامبراطورية يحملون به مدركين أن
مملكة إله الشمس لا حد لها فى امتدادها واتساع رفعها .

وهذه الأنشودة الشمسية تحتوى على أسطر خطيرة المعنى وهى :^(١)

إنك صانع مصبور لأعضائك بنفسك .

ومصبور دون أن تصبور .

منقطع القرين فى صفاته مخترق الأبدية .

مرشد (الملايين) إلى السبل .

وعندما تقلع فى عرض السماء يشاهدك كل البشر .

على الرغم من أن سيرك خفى عن أنظارهم .

إنك تجتاز سياحة مقدارها فراسخ .

بل مئات الآلاف وملايين المرات .

وكل يوم تحتك (تحت سلطانك) .

وحينما يأتى وقت غروبك .

تصنى إليك أيضا ساعات الليل .

ولا يكون اجتيازها نهاية كدك .

كل الناس تنظر بوساطتك .

(١) راجع : Budge, "Guide to Sculpture" P. 134. No. 475. P. XX.

- وأنت خالق الكل ومانحهم قوتهم .
- وأنت أم نافعة للالهة والبشر .
- وأنت صانع مجرب
- وراع شجاع يسوق ماشيته .
- وأنت ملجؤها ومانحها قوتها ...
- وهو الذى يرى ما خلق ...
- والسيد الأحد الذى يأخذ جميع من فى الأراضى أسرى كل يوم .
- بصفته واحدا يشاهد من يمشون فيها
- ومضىء فى السماء كائن كالشمس .
- وهو يخلق الفصول والشهور .
- والحرارة عندما يريد .
- والبرد عندما يشاء .
- فكل البلاد فى فرح .
- عند بزوجه كل يوم لأجل أن تسبح له

ولم تصل إلينا وثيقة تضم تعبيرات صريحة عن التفكير المصرى أقدم من هذه
إذ جاء فيها : ” السيد الأحد الذى يأخذ جميع من فى الأرض أسرى كل يوم
بصفته واحدا يشاهد السائرين عليها “ . ومن الأمور المهمة أن ندرك أن ذلك
الاتجاه كانت له علاقة مباشرة بالحركة الاجتماعية فى العصر الإقطاعى المصرى ،
إذ أن النعوت التى كان ينعت بها إله الشمس مثل قوله : ” الراعى الشجاع الذى
يسوق ماشيته ، وهو ملجؤها ومانح قوتها “ تشبه تلك التى وجدت قديما فى عهد
النصائح التى وجهت إلى « مريكارع » ، فقد سمي الناس فى هذه : « قطعان الإله »
وكذلك تشبه أفكار « ابور » حيث يقول : ” إنه راع لجميع الناس “ . ويلفت
نظرنا كذلك نعت آخر هو « أم نافعة للإله والبشر » لأنه يحمل فى ثناياه فكرة

تشعر بالاهتمام ببنى البشر . على أن النواحي الإنسانية في سلطان إله الشمس التي اشترك في إيجادها بصفة خاصة المفكرون في العهد الإقطاعي لم تحتف بين العوامل السياسية القوية التي ظهرت في ذلك الميدان العالمى الجديد .

ولقد تقدم لنا بيان ما قام من النزاع الشديد بشأن العرش حوالى سنة ١٣٧٥ ق . م . عندما خلف « أمنحتب الرابع » والده « أمنحتب الثالث » ، وميل الملك الشاب إلى إله الشمس القديم وإعراضه عن مذهب « آمون » الذى أطلق عليه أتباعه « آمون رع » قاصدين بذلك أنه اتحد مع إله الشمس « رع » ، وبيننا كذلك أن « أمنحتب الرابع » ناصر فى باكورة حكمه فكرة جديدة للمذهب الشمسى ربما كان غرضه منها التوفيق بين المذهبين .

وقد حدث فى الوقت الذى كان فيه موقف البلاد المصرية السياسى فى « آسيا » فى غاية الحرج أن كان الملك منهمكا بكل حماسة فى تعزيد التسلط العالمى لإله الشمس الذى أدركنا كنهه فى أيام والده فأعطى هذا الملك إله الشمس اسما جديدا خلص به المذهب الجديد من التقليد المحفوف بخطر الشرك فى « اللاهوت الشمسى القديم » فصار إله الشمس يسمى وقتئذ « آتون » وهو اسم قديم يطلق على الشمس المجسمة .

ومن المحتمل أن هذه التسمية كانت لا تدل إلا على قرص الشمس فحسب . وهذا الاسم الجديد ذكر مرتين فى أنشودة رجال عمارة « أمنحتب الثالث » التى اقتبسنا منها جزءا فيما تقدم . وكأن هذا الاسم قد لاقى بعض الإقبال فى عهد ذلك الملك الذى سمي به أحد قواربه الملكية : « آتون يسطع » كما أسلفنا .

ولم يقتصر الحال على إعطاء إله الشمس اسما جديدا بل منحه ذلك الملك الشاب رمزا جديدا . فقد ذكرنا فيما مر سابقا أن أقدم رمز لإله الشمس كان هو الشكل الهرمى — كما كان يرمز له كذلك بالصقر لأن صورة ذلك الطائر كانت تدل عليه . وعلى أية حال فإن هذين الرمزين كانا مفهومين بين سكان وادى النيل فحسب ،

ولكن « أمنحتب » الرابع كان في غيخته وقتئذ مسرح أوسع وأوسع من القطر المصرى . إذ أن الرمز الجديد قد مثل لنا الشمس بقرص تخرج منه أشعة متفرقة تنتشر فوق الأرض كما كان كل شعاع من أشعته ينتهى طرفه بهيئة يد بشرية .

وقد كان ذلك الرمز يدل على السيطرة القوية الخارجة من منبعها السماوى ، وهى تضع أيديها تلك فوق العالم وعلى شئون البشر الأرضية ، مع أن أشعة إله الشمس منذ عصر « متون الأهرام » قد شُبهت بذراعين له . وظن الناس إذ ذاك أنها ناثبة عنه فى الأرض .

« إن ذراعى أشعة الشمس قد رفعت مع الملك (وناس) صاعدة به إلى السموات » . وقد كان ذلك الرمز سهل الفهم لكل البشر الذين يسيطر عليهم الفرعون كما كان معناه واضحاً كل الوضوح ؛ حتى أنه كان فى استطاعة سكان نهر الفرات ، أو رجال بلاد النوبة على النيل السودانى أن يدركوا معناه على الفور . على أن ذلك الرمز لم يقتصر دلالاته على السيطرة العالمية فحسب . بل صار خليفاً بأن يكون رمزاً عالمياً إلى أقصى حد . وكذلك قد بذلت بعض الجهود لتعريف تلك القوة الشمسية التى رمز لها بتلك الصورة فقد كان اسم إله الشمس الكامل : « حورأختى (حور الأفق) فرحا فى الأفق باسمه الحرارة التى فى « آتون » . وكان ذلك الاسم يوضع فى طفرأين ملكيتين مثل اسم الفرعون المزدوج (يعنى اسمه ولقبه) . وهذا الوضع مأخوذ من مشابهة سلطان « آتون » لسلطان الفرعون . وذلك برهانس آنريدل بوضوح على التأثير الذى أوجدته الإمبراطورية المصرية بصفتها الحكومية فى مذهب اللاهوت الشمسى . ولكن الاسم الموضوع فى الطفرأين حدد لنا بوجه عام مقدار القوة الجثمانية الحقيقية للشمس فى العالم المحس ، ولم يكن فى الوقت نفسه يمثل شخصية سياسية ما^(٢) .

(١) راجع : A. S. Vol. III, P. 262.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. IX, P. 168 ff.

والكلمة المصرية القديمة التي ترجمتها في اسم ذلك الملك : « حرارة » قد يكون معناها أحيانا « نورا » أيضا .

ومن الواضح أن ما كان الملك يعبده هو القوة الدالة على وجود الشمس فوق الأرض . وكل الأدلة الكثيرة التي نجدها في أناشيد « آتون » منسجمة مع تلك النتيجة كما هي منسجمة في الأناشيد الآتية بعد هذا ، وهي التي نرى فيها « آتون » نشطا باسطا أشعته على كل مكان فوق وجه الأرض .

ومع أنه كان من الواضح أن ذلك المذهب الجديد قد استقى وحيه من مدينة « هليوبوليس » حتى أن الملك الذي كان يحمل لقب الكاهن العظيم للإله « آتون » سمي نفسه « الرأى العظيم » وهو نفس كاهن « هليوبوليس » العظيم فإنه على الرغم من كل ذلك كان قد أزال معظم سقط المتاع القديم من الشعائر التي كانت تتألف منها ظواهر اللاهوت التقليدية ، ولذلك ترانا نبحت عبثا في ذلك اللاهوت الجديد عن السفن الشمسية ، كما ترانا نبحت عبثا عن باقى الإضافات التي أدخلت فيما بعد على المذهب الشمسى في مثل السياحة في كهوف الأموات السفلية وغير ذلك ، إذ قد محيت منه جملة .

فإذا كان الغرض الذى رمت إليه حركة مذهب « آتون » هو التوفيق بينها وبين كهنة « آمون » فإنها قد فشلت وقام بينهما ألد الخصام الذى اشتد وبلغ الذروة عند ما صمم الملك أن يتخذ من « آتون » إلها واحدا للإمبراطورية المصرية ، ويقضى على عبادة « آمون » . وقد نتج عن ذلك المجهود الذى بذل لمحو كل الآثار الدالة على وجود « آمون » ، أن اتخذت جميع الاجراءات الممكنة المؤدية إلى ذلك الغرض . إذ نجد أن الملك قد غير اسمه من « أمنحتب » يعنى « آمون راض » إلى « إخناتون » يعنى « آتون راض » ، وذلك الاسم الجديد الذى اتخذته الملك لنفسه هو ترجمة للاسم القديم للملك بفكرة مماثلة لما كانت عليه ، غير أنه حوّل إلى مذهب « آتون » هذا من جهة ، وكان اسم « آمون » من الجهة الأخرى يعنى

أينما وجد فوق آثار « طيبة » العظيمة، ولم يحترم الملك تنفيذا لفكرته هذه أى نقش وإن كان المنقوش اسم والده الملك « أمنحتب الثالث » . لم يكن الأمر قاصرا على نحو اسم « آمون » فحسب بل تعداه إلى كلمة الآلهة جمعا فإنه كان يأمر بنحوها أيضا أينما وجدت كأنه رأى أن الجمع مظنة لتعدد الآلهة فمعاه كذلك عوملت أسماء سائر أفراد الآلهة الآخرين معاملة « آمون » بالهو .

وقد هجر الملك « اخناتون » طيبة على الرغم مما كان لها من السيادة والأبهة عندما وجد ارتباكها بالتقاليد اللاهوتية القديمة التى كانت أكثر مما يلزم — وأقام لنفسه حاضرة جديدة فى منتصف الطريق بين « طيبة » والبحر تقريرا فى بقعة تعرف فى وقتنا هذا باسم « تل العمارنة » وسماها « إخناتون » (أفق آتون) كما شرحنا ذلك ، كما أسس فى بلاد النوبة مدينة « لآتون » مشابهة لها . ومن المحتمل جدا أنه أقام مدينة أخرى لذلك الإله فى « آسيا » ، وبذلك صار لكل من ثلاثة الأجزاء العظيمة التى تتألف منها الدولة وهى « مصر » والنوبة و« سوريا » مقرر لمذهب « آتون » . وقد شيدت كذلك معابد أخرى لآتون فى أماكن مختلفة من مصر غير المعابد المبنية فى تلك الحواضر، ولم يتم ذلك طبعاً دون تأليف حزب قوى من رجال البلاط الملكى يمكن للملك به أن يناهض أولئك الكهنة المنبوذين، وبخاصة كهنة « آمون » . وقد أثرت تلك الفتنة التى تعجت عن ذلك الانقلاب بلا شك تأثيراً خطيراً فى قوة البيت المالك ، إذ كان حزب ذلك البلاط الذى نما إذ ذاك فى ظل « اخناتون » يعمل معه جاهداً على نشر ذلك المذهب الدينى الحديد الذى يصح أن يعد أهم دور وأبهجه فى تاريخ ذلك الشرق القديم ، يدلنا على ذلك ما بقى من نقوش فوق جدران تلك المقابر التى نحتها الملك فى الصخر لأشراف رجاله قبالة الجبال المنخفضة التى تقع فى الهضبة الشرقية القائمة خلف تلك المدينة الجديدة .

والواقع أننا مدينون لمقابر أتباع ذلك الملك بمعلوماتنا هذه التي تتضمن تلك التعاليم الهامة التي كانت تنشر في تلك الفترة وهي تحتوي على سلسلة أناشيد في مدح إله الشمس كما تحتوي على مديح إله الشمس والملك بالتبادل . تلك التعاليم تمدنا على الأقل بلمحة من عالم الفكر الذي نشاهد فيه ذلك الملك الشاب وأتباعه رافعين أعينهم نحو السماء محاولين بذلك إدراك مجال الذات الإلهية في بهائها الأبدى الذي لا حد له ولا نهاية ، وهي الإلهية التي لم ينحصر سلطانها بعد في وادى النيل ، بل امتد بين جميع البشر في العالم كله .

ولا يمكننا الآن أن نأتى بشيء عند هذه السانحة أفصح من تلك الأناشيد التي تقص علينا بنفسها شيئاً عن تلك التعاليم ، وأطول أنشودة^(١) بينها وأهمها هي الآتية بعد .

راجع : Davies, "El Amarna", Vol. VI, Pl. XXVII, XLI; & Sandman Text From The Time of Akhenaton P. 93 ff.).

« بهاء آتون » وقوته العالمية

أنت تبرز بجمالك في أفق السماء .
أنت يا « آتون » الحى الذى كنت في أزلية الحياة .
فحينما كنت تشرق في الأفق الشرق .
كنت تملأ كل البلاد بجمالك .
أنت جميل ومتلألئ ومشرق فوق كل أرض .
أشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية جميع مخلوقاتك .
أنت « رع » ، وأنت تحترق حتى نهايتها القصوى (يعنى الأرضين) .

(١) راجع : Selim Hassan, "Hymnes Religieuses du Moyen Empire", P. 192-193. حيث تجد بعض أفكار « إخناتون » كانت قد دوت قبل عهده وأنه ليس أول مبتدع لهذه الأفكار الدالة على التوحيد .

- وأنت توثقهم (يعنى البشر) لابتك المحبوب (يعنى الفرعون) .
- وعلى الرغم من أنك قصى جدًا فإن أشعتك فوق الأرض .
- وعلى الرغم من أنك نجاة البشر فإن خطواتك خفية (عنهم) .

الليل والإنسان موازنة

الأنشودة

^(١) حينما تغيب في أفق السماء الغربى فإن الأرض تظلم كالموت ، فينامون في هجراتهم ورءوسهم ملفوفة . ومعاطسهم مسدودة ولا يرى إنسان الآخر في حين أن أمتعتهم تسرق وهى تحت رءوسهم وهم لا يشعرون بذلك .

المزامير

تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يد كل حيوان الوعر [المزمور ١٠٤ — ٢٠]
ونظمها بعض النصارى فقال :

تجعل ظلمة فذا لك الليل أسدلا
والحيوان عند ذا يدب في الفلا

نظم المزامير [١٠٤ — ٢٠]

الليل والحيوان موازنة

الأنشودة

وكل أسد يخرج من عرينه (ليفترس) ، وكل الثعابين تنساب لتلدغ والظلام ينجم ، والعالم يكون في صمت في حين أن الذى خلقهم باق في أفقه .

المزامير

الأشبال تزجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها . [المزمور ١٠٤ — ٢١]
وقد نظمها بعض النصارى فقال :

(١) ستورد هنا موازنة بين هذه الأنشودة والمزامير من الكتاب المقدس (التوراة) .

تزيجر الأشبال كي تخطف ما تراه
كذا لكى تلمس ال طعام من الله
[مزمور ١٠٤ - ٢١] .

النهار والإنسان موازنة الأنشودة

والأرض زاهية حينما تشرق فى الأفق عندما تضىء بالنهار مثل « آتون » فإنك
تقصى الظلمة إلى بعيد . حينما ترسل أشعتك تصير الأراضى فى عيد . والناس
يستيقظون ويقفون على أقدامهم عند إيقاظك لهم ، وبعد غسلهم لأجسامهم
يلبسون ثيابهم ثم يرفعون أذرعهم تعبدا لطلعتك ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم
فى كل العالم .

المزامير

تشرق الشمس فنجتمع ، وفى مأوىها تريض ، الإنسان يخرج لعمله وإلى
شغله إلى المساء . [المزمور ١٠٤ - ٢٢ - ٢٣]
ونظمها بعض النصارى فقال :

إذ تشرق الشمس ترا ها اجتمعت للحين
ثم انزوت رابضة فى وسط العرين
فيخرج الإنسان لا مدخول فى الأعمال
ويبقى إلى المساء فى دوائر الأشغال

[نظم المزامير ١٠٤ - ٢١ - ٢٣]

النهار والحيوان والنبات

وجميع الماشية ترتع فى مراعيها ، والأشجار والنبات تينع ، والطيور فى مستنقعاتها
ترفرف ، وأجنحتها منتشرة إليك تعبدا ، وجميع الغزلان ترقص على أقدامها ،
وجميع المخلوقات التى تطير أو تحط تحيا عندما تشرق عليها .

النهار والمساءة موازنة

الأنشودة

والسفن تقلع فى النهر صاعدة أو منحدره فيه على السواء . كل فج مفتوح
لشروقك، والسماك يسبح فى النهر أمامك، وأشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر
العظيم .

المزامير

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف ، هناك دبابات بلا عدد صفار حيوان
مع كبار، هناك تجرى السفن لويثان، هذا خلقته ليلعب فيه .

[المزمور ١٠٤ — ٢٥ — ٢٦] .

وتنظمها بعض النصارى فقال :

| | |
|-------------------|----------------|
| فالأرض ممتلئة | من خيرك الغزير |
| وبحرها المتسع الـ | أطراف والكبير |
| ليس لدباباته | عد ولا انحصار |
| فالحوانات به الـ | كبار والصغار |
| هناك تجرى سفن | تأق وتذهب |
| لويثان فيه قد | خلقت يلعب |

خلق الإنسان

أنت خالق الجرثومة فى المرأة ، والذي يذرا من البذرة أناسا ، وجاعل الولد
يعيش فى بطن أمه مهدئا إياه حتى لا يبكى ، مرضعا إياه حتى فى الرحم ، وأنت
معطى النفس حتى تحفظ حياة كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم
ولادته ، وأنت تفتح فمه تماما وتمنحه ضروريات الحياة .

خلق الحيوان

وحينا يصير الفرخ فى لحاء البيضة تعطيه النفس ليحفظه حيا فى وسطها .
وقد قدرت له ميقاتا فى البيضة ليخرج منها ، وهو يخرج من البيضة فى ميقاته
(الذى قدرته له) فيمشى على رجليه حينما يخرج منها .

الخلق العالمى

الأنشودة

ما أكثر تعدد أعمالك وهى على الناس خافية ، يا أيها الإله الأحد الذى
لا يوجد بجانبه شأن لأحد ، لقد خلقت الأرض على حسب رغبتك ، وحينما
كنت وحيدا (لا شئ غيرك) خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان وجميع
ما على الأرض مما يمشى على رجليه وما فى عليين مما يطير بأجنحته ، وفى الأقطار
العالية «سوريا» و «كوش» وأرض مصر، وإنك تضع كل إنسان فى موضعه
وتمدهم بمحاجاتهم وكل إنسان لديه قوته . وأيامه معدودات ، والألسنة فى الكلام
مختلفة ، كذلك تختلف أشكالهم وجلودهم وإنك تخلق الأجانب مختلفين .

المزامير

ما أعظم أعمالك يا رب ، كلها بحكمة صنعت ، الأرض ملأى بفنائك .

ونظمها بعض النصارى فقال :

| | |
|-------------------|----------------|
| يا رب ما أعظم أء | مالك يا منان |
| جميعها صنعت بالحق | حكمة والإتقان |
| فالأرض ممتلئة | من خيرك الغزير |
| وبحرها المتسع ال | أطراف والكبير |

[نظم المزامير ١٠٤ — ٢٤ — ٢٥] .

رى الأراضى فى مصر وفى خارجها

- أنت تخلق النيل فى العالم السفلى .
- وأنت تاتى به كما تشاء .
- ليحفظ أهل مصر أحياء (كلمة أهل استعملت هنا فقط لأهل مصر) .
- لأنك خلقتهم لنفسك .
- وأنت سيدهم جميعا .
- وأنت الذى تنهك^(١) نفسك من أجلهم .
- وأنت شمس النهار عظيم الافتخار .
- وجميع الأقطار العالمية القاصية .
- تخلق حياتها أيضا .
- لقد وضعت نيلا فى السماء .
- حينما ينزل لهم يصنع أمواجا فوق الجبال .
- مثل البحر الأخضر العظيم .
- فيروى حقولهم فى مدنهم .
- ما أكرم مقاصدك يا رب الأبدية .
- ويوجد نيل فى السماء للأجانب .
- لأجل غزلان كل المضارب التى تتجول على أقدامها .
- أما النيل فإنه ياتى من العالم السفلى لمصر .

(١) وفى القرآن الكريم : « ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من

لغوب » سورة ق ٥٠ آية ٣٨

فصول السنة

- أشعتك تغذى كل بستان (كلمة تغذية هنا تعنى تغذية الأم لطفلها) .
- وعندما تبرزغ فإنها تحيا .
- فهي تنمو بك .
- أنت تخلق الفصول .
- لأجل أن ينمو كل ما صنعت .
- فالشتاء يأتى إليهم بالنسيم العليل .
- والحرارة لأجل أن تستطعمهم (أى يكون لها طعم لذيذ فى فمك) .

السيطرة العالمية

- أنت خلقت السموات العلى لتشرق فيها .
- ولتشاهد كل ما صنعت حينما كنت لا تزال وحيدا (لا شئ غيرك) .
- مضبثا فى صورتك مثل « آتون » الحى .
- وبازغا وساطعا وذاها بعبدا وآيبا (فى الغدق والآصال) .
- وأنت تخلق آلاف الآلاف من الصور منفردا بنفسك .
- والمدن والقرى والحقول والطرق العامة والأنهار .
- وجميع العيون تراك تجاهها .
- لأنك « آتون » (شمس) النهار فوق الأرض ،
- وحينما تغييب .
- وجميع الناس الذين سويت وجوههم ،
- لأجل ألا ترى نفسك بعيدا وحيدا ،
- يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما قد خلقته ،
- ومع ذلك فإنك لا تزال فى قلبى .

وحى الملك

”ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنتك « اخناتون » “ .
”لقد جعلته عليا بمقاصدك وبقوتك “ .

الوقاية العالمية

- العالم يعيش بصنيع يدك .
- فيحيا حينما تشرق .
- ويموت حينما تغيب .
- لأن حياتك طول مدى نفسك .
- والناس يعيشون بوساطتك .
- وأعين الناس لا ترى إلا جمالك حتى تغيب .
- وكل نصب يطرح جانبا .
- وحينما تغيب في الغرب وحينما تشرق ثانية ،
- فإنك تجعل كل كف يندى لأجل الملك .
- والخير في إثر كل قدم .
- منذ أن خلقت العالم ،
- وأوجدتهم لابنك ،
- الذى ولد من لحمك .
- ملك الوجه القبلى والوجه البحرى .
- العائش فى الصدق رب الأرضين .
- « نفر » — « خبرو » — « رع » — « رع ن رع » (اخناتون) .
- ابن « رع » العائش فى الصدق رب التيجان .
- « اخناتون » ذوالحياة الطويلة .
- « ولأجل » كبرى الزوجات الملكية محبوبته .

سيدة الأرضين « نفر » — « نفرو » — « آتون » — « نفرتيتي » .
عاشت وازدهرت أبد الآبدين .

ويحتمل ألا تمثل هذه الأنشودة الملكية إلا قطعة منتخبة أو سلسلة منتخبة من شعائر « آتون » كما كان يحتفل بها من يوم لآخر في معبد « آتون » بتل العمارنة .
ومما يؤسف له أن هذه الأنشودة لم تدون إلا في مقبرة واحدة فقط من تلك الجبانة . وقد فقد منها نحو ثلثها من جراء تعدى المخربين من الأهالي الحاليين ،
ولذلك لم يصلنا من الجزء المفقود إلا نسخة نقلت بغير اعتناء وعلى عجل منذ خمسين سنة (أى سنة ١٨٨٣ م) .

وأما المقابر الأخرى فقد كتبت نقوشها الدينية بالنقل عن الفقرات التي كانت شائعة الاستعمال وقتئذ وعن الجمل التي كان علمها مفروضا ، وهي التي عرفنا منها مذهب « آتون » كما فهمه الكتاب والرسامون الذين قاموا بزخرفة تلك المقابر .

ويجب علينا ألا ننسى أن المنتخبات التي بقيت لنا في جبانة « تل العمارنة » من مذهب « آتون » وهي مصدرنا الرئيسي قد وصلت بشكل آلى إلى فئة قليلة من الكتبة المهملين غير المدققين ذوى العقول الخاوية الفاترة . وهؤلاء كانوا لا يعدون إلا أذنابا لحركة عقلية دينية عظيمة .

وغير هذه الأنشودة الملكية نجد أن أولئك الرسامين كانوا قانعين في كل مكان بالقطع والتف التي نقلت في بعض الأحوال من تلك الأنشودة الملكية نفسها أو بقطع أخرى مرقعة وضعت بهيئة أنشودة قصيرة حيث ينقشونها كلها أو بعضها منها على هذا القبر أو ذاك وهم في ذلك ليسوا إلا مسخرين فيما يعملون . ولما كانت المواد التي في متناولنا عن ذلك المذهب ضئيلة إلى هذا الحد مع أهمية الحركة التي أماطت لنا عنها اللثام ، فإن تلك المعلومات الجديدة القليلة — التي تمدنا بها تلك الأنشودة القصيرة — صارت لها قيمة عظيمة .

وقد عزيت تلك الأنشودة في أربع حالات إلى الملك نفسه — أى أن الملك
يشاهد وهو ينشدها أمام « آتون » .

وهالك نصها كما جاءت :^(١)

- أنت تشرق بجمالك يا « آتون » الحى يارب الأبدية .
- إنك ساطع وقوى وجميل .
- وحبك عظيم وكبير .
- أشعتك تمتد بالبصر كل واحد من مخلوقاتك .
- ولونك الملهب يجلب إلى قلوب البشر الحياة .
- عندما تملأ بحبك الأرضين .
- إيه أيها الإله الذى سوى نفسه بنفسه .
- وخالق كل أرض .
- وبارى كل من عليها .
- والناس ، وكل قطعان الماشية والغزلان .
- وكل الأشجار التى تنمو فوق التربة ،
- فإنها تحيا عندما تشرق عليهم .
- وأنت الأب والأم لكل من خلقته .
- وعندما تشرق فإن عيونهم ترى .
- بوساطتك .
- وتنضى أشعتك كل العالم .

(١) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. IV, Pl. XLIII, Tomb of Apy;
Ibid, Vol. I, Pl. XXXVII, Tomb of Meryra,
Ibid, Vol. IV, Pls. XVI, XXIII, XXIX, XL,
Ibid, Vol. VI, Pl. XV, Tutw,
Ibid, Vol. IV, Pls. XXXII, XXXIII, Ani. and, Sandman. Ibid, PP. 10 ff.

وينشرح بسبب رؤيتك كل قلب .
عندما تشرق بصفتك سيدهم .

+ +

وعندما تغيب في أفق السماء الغربي ،
ينامون كأنهم أموات ،
وتدور رؤوسهم ،
وتقف معاطسهم ،

حتى يعود شروقك في الصباح ،
في أفق السماء الشرقي .

وعندئذ يرفعون أذرعتهم إليك تعبدا .
وتجعل قلوب البشر تحيا بجمالك .
لأن الناس تحيا عند ما ترسل أشعتك .
ويكون جميع الكون في عيد .

فالفناء والموسيقى وتهليل الفرح .
تكون في قاعة بيت (بنين)^(١) .

وفي معبدك في « اختاتون » ومكان الصدق (ماعت) .
حيث تكون فيه مسرورا .
ويقدم لك فيه الطعام والمثونة .
ويؤذى لك ابنك الطاهر احتفالاتك السائرة .

(١) كان ال « بنين » حجرا هرمي الشكل مثل الهرم الصغير الذي يتوج المسلة . وقد كان هذا الحجر يعتبر غاية في القداسة ، وكان في الأصل يحتل مكانة ممتازة في المعبد أو في بيت معبد الشمس الذي في « هليوبوليس » وهذه الفقرة تدل على أن « اختاتون » قد أدخل في معبد « تل المارنه » « بنين » مماثلا للذي كان في « هليوبوليس » .

يا « آتون » الحى فى مواكبه البهجة .
كل ما خلقتة يطرب أمامك .
ويفرح ابنك الجليل وقلبه فى حبور .
آه يا « آتون » الحى المولود كل يوم فى السماء .
لأنه يلد ابنه الجليل وع - ن - « رع اخناتون » .
مثل نفسه دائما .
ابن الشمس اللابس جماله « نفرخبرو - رع - وع - ن - رع (اخناتون) » .
وحتى أنا ابنك الذى تسريه .
والذى يحمل اسمك .
قوتك وبطشك يسكان فى قلبي ،
وحتى أنت يا آتون العائش الأبدى ،
لقد خلقت السماء العليا لتشرق فيها ،
لأجل أن تشاهد كل ما صنعته .
عندما كنت لا تزال وحيدا (لا شئ غيرك) .
وعشرات آلاف الأنفس موجودة فيك لتحفظها حية .
لأن مشاهدة^(١) أشعتك هو نفس الحياة فى المعاطس .
وجميع الأزهار تحيا وكل ما تنبت الأرض يحيا .
ويصير ناميا لأنك تشرق .
فهى نشوى أمامك .
وجميع الماشية تطفر على أقدامها .
والطيور تطير فى المستنقع من الفرح .
وأجنحتها التى كانت مطوية تنتشر .

(١) وفى رواية أخرى « أن النفس يدخل فى المعاطس عندما تظهر قسك لهم » .

مرفوعة لآتون الحى تعبدا .
أنت يا خالق^(١)

ففى هذا الأناشيد توجد قوة عالمية ملهمة لم توجد من قبل ، لافى الفكر
المصرى القديم ، ولا فى فكرة مملكة أخرى ، فهى تشمل فى مداها العالم كله ،
كما يدعى الملك أن الاعتراف بسيادة إله الشمس العالمية كان كذلك شاملا ،
وأن جميع البشر يعترفون بسلطانه ، وكذلك قال الملك عنهم فى لوحة الحدود
العظيمة :

إن آتون خلقهم (لنفسه هو) .
بجميع الأراضى وأهل بحرايحه يحملون ،
ضرائبهم وجزيتهم فوق ظهورهم إلى الذى ،
أوجد حياتهم والذى بأشعته يحيا البشر ،
وينشق الهواء .

ومن الواضح أن « إختاتون » كان يبرز بذلك دينا عالميا يحاول أن يحل محل
القومية المصرية التى سبقتها وسارت عليها البلاد خلال عشرين قرنا مضت .
وبجانب تلك القوة العالمية نجد كذلك أن « إختاتون » كان يتأثر تأثرا عميقا بأولية
إلهه . وكان الملك نفسه يتقبل — بسكينة واطمئنان — فناء نفسه . فنراه
فى باكورة حكمه فى « تل العمارنه » يعلن التعليقات الدقيقة الخاصة بدفنه فيما بعد
الموت ، ويسجلها باستمرار فوق اللوحات التى أقامها على الحدود المصرية ، ولكنه
مع ذلك كان يعتمد على علاقته الوثيقة « بآتون » حتى يضمن له شيئا من خلوده
إله الشمس ، ومن أجل ذلك كان يحتوى لقبه الرسمى دائما بعد ذكر اسمه على
النعت الآتى « الذى مدة حياته طويلة » .

(١) بقية هذا السطر قد فقدت . ولم يسمنر من خمسة المتون لهذه الأنشودة إلا متن واحد ونجده

كذلك قد قطع عند هذه النقطة (راجع Sandman Ibid. P. 15) .

ولكن في بداية كل شيء برأ « آتون » نفسه من الوحدة الأزلية — أى أنه الخالق لكيثونة نفسه، إذ نجد في إحدى لوحات « تل العمارنه » العظيمة أن الملك يسميه هكذا :

” سورى المكون من « مليون » زراع

ومذ كرى بالأبدية ،

وحجتي لأشياء الأبدية ،

وهو الذى سوى نفسه بنفسه بيده هو ،

والذى لا يعرفه صانع “ .

ونجد أن الأناشيد تميل بانسجام مع هذه الفكرة إلى أن تردّد تلك الحقيقة القائلة : ” إن خلق العالم الذى يلى ذلك قد حدث حينما كان الإله لا يزال وحيدا “ (لا شيء غيره) ، وتكاد الكلمات « حينما كنت لا تزال وحيدا لا شيء غيرك » تكون نداء يردّد في تلك الأناشيد . وهو الخالق العالمى الذى ذرأ كل أجناس البشر ، وميز بعضهم عن بعض^(١) في اللغة واللون والجلد ، ولا تزال قوته المنشئة مستمرة تأمر بالخروج من العدم إلى الحياة حتى البيضة الجامدة .

ولم يظهر عجب الملك بشكل بارز في أى مكان آخر أكثر مما نجده مذكورا بسذاجة في تعبيره عن قوة إله الشمس المانحة الحياة في تلك المعجزة التى تتمثل في أنه داخل لحاء البيضة التى يسميها الملك « حجر البيضه » أى في هذا الحجر الذى لا حياة فيه — تجيب أصوات الحياة نداء أمر « آتون » فيخرج مخلوق حى بعد أن أنعشه النفس الذى يمنحه إياه (ذلك الإله) . وتلك القوة المانحة الحياة هى مصدر الحياة الدائمة الزاد ، والوساطة المباشرة لها هى أشعة الشمس التى تجلب النور والحرارة إلى الناس .

(١) هذه العبارة قد وجدت في الأناشيد الدينية منذ الأسرة السابعة عشرة (راجع Selim Hassan

• “Hymmes Religieux du Moyen Empire”, P. 192.

وذلك الاعتراف المدهش بنشاط الشمس بصفقتها منبع الحياة فوق الأرض
يردّد باستمرار دائم .

فالإناشيد تميل إلى الإمعان في ذكر أنها قوّة عتيقة على الدوام ، وهالك بعض
الأمثلة :

« أنت في السماء ولكن أشعتك فوق الأرض .

أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر العظيم .

أشعتك فوق ابنك المحبوب .

ذلك الذي يجعل بأشعته الأعين سليمة .

إن مشاهدة أشعتك هي نفس الحياة في المعاطر .

والطفل (يعنى الملك) الذى ولد من أشعتك .

وقد سويته (يعنى الملك) من أشعة نفسك .

أشعتك تحمل ألف الألف من الأفراح الملكية .

وحينما ترسل أشعتك فإن الأرضين « تكونان في فرح » .

« أشعتك تشمل الأرضين وحتى كل ما صنعه » .

وسواء أكان في السماء أم في الأرض فإن كل الأعين تشاهده دائماً وهو يملأ

(كل الكون) بأشعته ويجعل كل البشر يعيشون .

واعتماد مصر في حياتها على « النيل » جعل من المستحيل تجاهل ذلك المنبع

الحيوى في عقيدة الملك « إخناتون » . إذ الواقع أنه لا شيء يكشف لنا بوضوح

عقيدة « إخناتون » وقوّة عقله أكثر من أنه محا طائفة الأساطير التي كانت محترمة

والتقاليد التي جعلت « النيل » الإله « أوزير » عتة أزمان ، ثم نسب الفيضان

في الحال إلى قوى طبيعية يسيطر عليها ذلك الإله . وهو الذى خلق — بمثل ذلك

الاهتمام — للبلاد الأخرى نيلا آخر في السماء .

وقد تجوّهل كلية الإله « أوزير » فلم يذكّر قط في كل الوثائق الإخناتونية ،

ولا في أى قبر آخر من قبور « تل العمارنة » .

ثم ينتقل عند هذه النقطة تفكير « إخناتون » إلى ما وراء الاعتراف المسمى المحض عن نشاط الشمس فوق الأرض ، إذ يدرك اهتمام « آتون » الأبوى بجميع المخلوقات .

وذلك التفكير هو الذى رفع من شأن الحركة التى قام بها « إخناتون » إلى حد بعيد فوق ما كانت قد وصلت إليه ديانة قدماء المصريين أوديانا الشرق بأجمعه قبل ذلك الوقت ، حيث كان إله الشمس فى نظر « إبور »^(١) « راعيا شفيقا » كما تقدم ذكره فيما سبق ، كما كان الناس فى نظر « مريكارع » كذلك كما سبق أيضا « (قطعانه) التى من أجلها صنع الهواء والماء والطعام » .

ولكننا نجد أن « إخناتون » يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول لإله الشمس : « أنت أب وأم لكل ما صنعت » .

وذلك التعليم هو الذى ينبئ عن كثير من التطور المقبل فى « دين القوم » حتى إلى عصرنا الحالى ؛ فكان جميع العالم الحى فى نظر تلك الروح الحساسة التى كانت تدب فى نفس ذلك الخيال المصرى يملؤه شعور قوى بوجود « آتون » وبالاعتراف بشقيقته الأبوية ، فستنقعات السوس تينع أزهارها بأشعاع « آتون » الأخاذ الذى تنشر الطيور أجنحتها فيه « تعبدا لآتون الحى » وفيه تطفر الماشية فرحة فى ضوء الشمس ، ويثب السمك فى النهر مرحبا بالنور العالمى الذى ينفذ أشعته حتى فى وسط البحر الأخضر العظيم .

كل تلك الأشياء تكشف لنا عن مدى إدراك ذلك الوجود العالمى لإله الطبيعة وعن اقتناع باطنى معترف بذلك الوجود عند كل المخلوقات .

ويوجد هنا تقدير لروح الإله فى العالم الحى كما سنجد فى بعد ذلك العهد بنحو ٧٠٠ أو ٨٠٠ سنة مذكورا فى المزامير العبرية وكذلك فيما جاء على لسان شعراء الطبيعة بيننا منذ عصر « ورد زورت »^(١) .

(١) « ورد زورت » شاعر انجليزى (١٧٧٠ - ١٨٥٠ ميلادية) وهو مشهور بأشعاره فى وصف الطبيعة

وظاهر أن أعمق المصادر قوة في تلك الثورة العظيمة — على الرغم من أصلها السياسي — يوجد في ذلك الالتجاء إلى عالم الطبيعة :

« تأمل سوسن الحقول » . « فاخنا تون » كان رجلا مأخوذا بالإله قد انتقاد عقله بحساسية وإدراك مدهشين إلى البراهين المحسنة الدالة على الإله الذي حوله . وقد كان مأخوذا بجمال النور الأبدى العالمى ولذلك ترى أشعته تغمره في كل أثر صور عليه من آثاره التي بقيت لنا .

وقد كانت تلك الحال قاصرة عليه وعلى الملكة وأولاده، لأنه كان يدعى لنفسه علاقة لا يشاركه فيها أحد مع إلهه فهو الذي يدعو بقوله :

” ليت عيني تنشرحان بمشاهدته يوميا

حينما يشرق في بيت « آتون » هذا ويملؤه

نفسه بأشعته هذه — ذلك الجميل في حبه —

ويرسلها على في حياة راضية أبد الآبدن “ .

ويمرح الملك وحتى يسكر في ذلك النور الذي وحده أكثر من مرة مع الحب كما ذكرناه هنا ، أو كذلك يوحدته مع الجمال بمثابة أنه البرهان الظاهر الدال على وجود الإله وذلك بنشوة قل أن يكون لها نظير ، وفرح يبلغ حد الوله مثل الفرح الذي تشعر به روح كروح « رسكن^(١) » عندما شاهد النور بتدبر فقد وصفه « رسكن » كما رآه في إحدى حالاته :

النور المتنفس الحى المبتهج .

الذى يشعر ويتسلم ويعمل .

وينتخب شيئا وينبذ آخر .

ويبحث ويمجد ويفقد ثانية .

(١) هو « جون رسكن » الكاتب الانجليزى الشهير (١٨١٩ — ١٩٠٠) ويمتاز بنقده وطول بابه

في الكتابة عن الفن .

نافذا من صخرة إلى صخرة .
من ورقة إلى ورقة .
ومن موجة إلى موجة .
متوجها أو بارقا أو متلألئا .
على حسب ما يصيب أو يكون ممتصا وغامرا ،
لكل شيء وملتفا حوله في كمال سكونه العميق .
وعندئذ نراه يفقد ثانية في دهشة وشك وظلمة .
أو يحى ويختفى وتراه واقعا في حبال الضباب الجارف ،
أو يذوب في الهواء مكتئبا ولكنه مع ذلك لا يزال متأججا .
أو منحرفا أو لامعا أو ثابتا .
فهو النور الحى الذى يتنفس في أعماق سكونه ،
وأشدّه خلاية ؛
وهو النور الذى ينام ولكنه لا يموت أبدا .

ف نجد في هذا الوصف الاقتتان الحديث بهجة النور وهو الإنجيل الحقيقى
لجمال النور . وأقدم تلميذ له عبر عنه هو ذلك الخيالى الوحيد « إخناتون » الذى
عاش خلال القرن الرابع عشر .م ، وقد كان من الجائز كذلك في نظر « إخناتون »
أن النور ينام حينما كان .

” يذهب خالق الأرض ليستريح في أفقه “ غير أنه كان في نظره كما كان
في نظر « راسكن » ” أنه ينام ولكن لا يموت أبدا “ .

وقد نجح الأستاذ « زيته » في ترجمة فقرة مهشمة في الأثسودة الكبرى تدل
على أنه على الرغم من أن الظلمة قد خيمت ، والناس نامت فإن « إخناتون » يمكنه
أن يشعر به حيث يقول ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبى .

فتلك الناحية من حركة « إخناتون » تدل إذا على أنها إنجيل الجمال والرافة للنظام الطبيعي ، كما هو اعتراف برسالة وحي الطبيعة إلى روح الإنسان مما جعلها تعدّ من أقدم النهضة التي نسميها "الرجوع إلى الطبيعة التي ظهرت في أقوال أمثال الفنانين «ملت» و «بيرنز» الشاعر الإيقوسي ومدرسته ، و «وردزورث» وأخلافه ، فالرسامون في ذلك الوقت كانوا يصوّرون حياة مستنقعات البرية بروح جديد يختلف عن روح السرور الهادئ الذي صوّره رسامو «مصاطب الأهرام» قصور هؤلاء الهادئة التي نتمثل فيها نزعات الأشراف في حقول البردى تحلى جدران مزارات قبورهم بالجبانة «المنفية» بسقارة» .

وأما الصور التي رسمت فوق الجص وهي التي تزين رقعة قاعة قصر «إخناتون» ذات الأعمدة «بتل العمارنة» فملوءة بمناظر سارة للحياة جديدة تشعرنا عند رؤيتها بشيء من العاطفة القوية التي أثارت يد المفتن حينما رأى بعيني ذهنه الثور الوحشي يقفز في أدغال البردى ضاربا برأسه نحو الطيور الملوطة المشققة فوق يراع المستنقع كأنها تؤنب ذلك الطفيل الفظ الذي ينزل الضرر بأوكارها .

ولكن مما يؤسفنا أن تلك النقوش الفانحة التي رسمت فيها الحياة والحركة يتألقان والتي طالما تمتعت بهما أعين الناظرين في عصرنا الحالى «بتل العمارنة» قد خربت إلى الأبد بأيدي أولئك المخزيين الأحداث من أهالى تلك القرى المجاورة لبلدة «تل العمارنة» .

وهذا الروح الجديد في عصر «إخناتون» الذي استمد إلهامه من جمال الطبيعة وفضها كان كذلك ذا حساسية من جهة حياة الإنسانية والعلاقات البشرية ، فلم يزنجه مزيج من التقاليد إذ مثل بدون تكلف ولا تعمل علاقات «إخناتون» بأسرته باللون الطبيعي البهيج ، وقد ظهر ذلك حتى فوق الآثار العامة . فقد عثر على تمثال صغير غير تام الصنع في مصنع أحد المثالين الملكيين بتل العمارنة ، لم يقتصر فيه صانعه على تمثيل الملك جالسا فحسب مع ابنته الصغيرة فوق حجره ،

وهو يضمها كما يضم الأب الملكى أميرة صغيرة ، بل مثل الفرعون وهو يقبل ابنته الصغيرة كما يفعل ذلك أى والد عادى بابنته ، وليس من الصعب على الإنسان أن يتصور الحنق والهلل اللذين تبعثهما مثل تلك الصورة الملكية فى شعور طائفة المحافظين على التقاليد فى عصر « اخناتون » وهم أولئك الأشراف رجال التقاليد فى البلاط الملكى الذين يرون وجوب تصوير الفرعون كما كان يصور منذ ألفى سنة فى هيئة حضرة سامية جالسة فى جلال جامد أى صورة جامدة كأنها مقدسة ، لا تشوبها أية خصلة أو إشارة من المشاعر البشرية أو جهات الضعف الإنسانية ، وقد بقى لنا الآن ذلك الكرسي الجميل الذى جىء به من قصر « تل العمارنة » فى مقبرة « توت عنخ آمون » وهو مزين بمنظر يظهر فيه الملك الشاب جالسا بجبال تدل على البساطة وعدم التكلف ، إذ نشاهد إحدى ذراعيه وهو يلقيها باستهتار فوق ظهر كرسيه فى حين أن الملكة الشابة الجميلة ممثلة واقفة أمامه وفى يدها إناء صغير من العطور تصب منه برشاقة أنيقة بضع قط من الطيب فوق ملابس زوجها الملك . ونجد هنا لأول مرة فى تاريخ الفن منظرا موضوعه علاقة الإنسان بالإنسان .

علاقة الإنسان بالإنسان : نجد هنا أن الفن المترجم يتخذ الحياة الإنسانية موضعا لبحثه ، وهذان مثالان فقط من بين الأمثلة العدة التى يمكننا ذكرها للاستدلال بها على شخصية « اخناتون » القوية ، واستعداده الذى لا يأبى لاطراح قيود التقاليد بجرأة وبغير أدنى تردد حينما حاول تأسيس عالم من الأشياء على حقيقته الفطرية السليمة . ولذلك نرى من المهم أن نلاحظ هنا أن « اخناتون » كان رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الإنسانية فكان مثله فى ذلك كمثل « عيسى » حيث استقى دروسه من سوسن الحقل ، وطيور الهواء ، وسحب السماء من جهة ، ومن المجتمع الإنسانى

(١) هذه الصورة قد ترجمت بمعنى آخر إذ يرى البعض أنها تمثل اخناتون يقبل أخاه « سمنخكارع » .

(راجع الصورة رقم ١٣ وما كتب عنها وهو رأى الأستاذ « نيوبرى » عن سمنخكارع .

الذى يحيط به من جهة أخرى كما يفهم ذلك من مثل قصة الابن المبذر^(١) والطبيب السامري^(٢) أو المرأة^(٣) التى أضاعت قطعة نقودها، وعلى ذلك النمط قد استقى ذلك الرسول المصرى المجدد القديم تعاليمه من التدبر فى مشاهد عالمى الطبيعة والحياة الإنسانية معا .

ومع أن الفن المعبر عن تلك الحركة الثورية التى كان زمامها فى يد « اخناتون » قد وجد رضى جديدا فى الحياة الإنسانية، فإنه كان هناك شىء كثير لم يكن فى مقدور « اخناتون » أن يتجاهله من التجارب المصرية الشائعة بالوراثة فى المجتمع البشرى، فقد قبل تماما « اخناتون » بالوراثة المذهب الشمسى الذى ينطوى على نظام خلق عظيم ؛ وإذا كنا قد خصصنا فى كتابنا هذا للأخلاق عند قدماء المصريين جزءا لا بأس به عن عقيدة « التوحيد » الثورية التى قام بها « اخناتون » فإن ذلك يرجع إلى أن تلك الحركة التوحيدية ليست إلا ذروة للاعتراف القديم بالنظام الخلقى الذى نودى به على لسان المفكرين المصريين القدماء الذين عاشوا فى عهد الأهرام وهم الذين أسسوا مملكة عظيمة من القيم الخلقية العالمية التى كانت تمثلها تلك الكلمة الشاملة الجامعة « ماعت » (العدالة) التى أوجدها إذ ذاك إله الشمس فى « هليو بوليس » ؛ وقد انتشر ذلك التوحيد بوساطة أسس ثلاثة أولها، وهو كما رأينا كان سياسيا حتى أن اسم إله الشمس الحديد كان يوضع فى طغراء باعتباره شعارا ملكيا مزدوجا . والثانى فى ملاحظة أن سلطان إله الشمس وسيطرته العالمية بصفته قوة مجسمة حاضرة فى كل مكان تظهر فيه حرارة الشمس ونورها فقط . والثالث كان فى الانتشار المنطقى لمذهب « هليو بوليس » الخاص بالنظام الخلقى الذى كان أقدم من عهد « اخناتون » بنحو ألفى سنة ، وواجبنا الآن أن نفحص

(١) راجع إنجيل لوقه الاصحاح ١٥ — ٢٢

(٢) راجع إنجيل لوقه (اصحاح ١٠ ، ٣٠ — ٣٥) .

(٣) راجع إنجيل لوقه (١٥ — ٨ — ٩) .

آخر هذه الأسس الأصلية التي قام بها التوحيد عند «اخناتون»، على أننا عند هذه النقطة نشعر بقلّة المصادر المدوّنة وضآلتها . على أن المصادر النادرة التي بقيت لنا عن ذلك العصر تكشف عن مدى التقدّم في تفكير ذلك الملك الشاب خلال نصف الجيل الذي حكمه ، ولا يمكن الباحث أن يفكر أن حركة نامية ذات تقدّم مثل الحركة التي قام بها «اخناتون» لم تكن أنتجت أبحاثاً مدوّنة فيها تعاليمه .

وفضلاً عن ذلك فإنه لا يزال لدينا برهان محسّ للدلالة على وجود مثل تلك الأبحاث، ففي مقابر «تل العمانية» التي كان يرغب أشراف رجال البلاط الاخناتوني في أن يرسموا فوق جدرانها ما كانت عليه علاقاتهم مع مليكهم ، نجد أنهم كانوا يشيرون باستمرار دائم إلى ذلك المذهب الجديد ، ولم يكن لديهم للتعبير عن ذلك إلا كلمة واحدة وهي كلمة «التعليم» . وهذا التعليم لم يكن ينسب إلا للملك فقط : وليس في مقدورنا أن نشك في أن ذلك التعليم لم يكن إلا الاسم العام للبيان الرسمي لمذهب «اخناتون» الذي كتب طبعا في مقال من نوع ما على بردى .

على أنه بعد سقوط «اخناتون» لم يترك أعداؤه حجراً واحداً لم يقلبوه لإزالة كل أثر باق يدل على مدّة حكمه المحقوت عندهم . وقد أتلّفوا بطبيعة الحال مخطوطات الملك هذه المدوّنة على البردى ، وأما معلوماتنا عن تلك الحركة من ناحية العقائد الدينية فكانت مستقاة بأجمعها من نتف وقطع متخبة وقعت لنا عرضاً ، وبخاصة تلك الأناشيد التي زين بها أشراف رجاله جدران مقابرهم ، وحينما نقرأ أنشودة (آتون) العظيمة لأوّل مرة يظهر لنا جلياً أنها تعبر عن وحي ديني لا يشتمل إلا على إشارات قليلة عن الأخلاق والسلوك الإنساني وهو الذي كان قد احتل مكانة بارزة — كما نعلم — في تفكير الديانة الشمسية الهليوبولتية وهي التي تضرب إليها حركة «اخناتون» الدينية بوشائجها القوية .

ويرجع السبب في قلة ذكر شيء عن الأخلاق والسلوك إلى أن تلك القوّة الرئيسية التي حرّكت روح «اخناتون» كانت العاطفة . والواقع أن ثورة «اخناتون»

كانت في روحها أوقلا عاطفية بدرجة قوية . وهذه الحقيقة ظاهرة تماما في الأناشيد كما نجدها كذلك بارزة في الفن ؛ فعندما يرسم لنا أحد مفتني « تل العمارنة » صورة « إخناتون » وهو يتعبد ، أو يصور لنا صورة أحد من رعاياه رافعا ذراعيه تضرعا إلى إله الشمس ، فإن الصفة العاطفية التي تمثل تينك الذراعين المرفوعتين تبلغ في شدة جاذبيتها ذراعي « الونزادوز »^(١) المستعطفين حينما تبسطهما لاستقبال محبوبها « أرمندو » ، غير أن الذي كان يعبد « إخناتون » إذ ذاك جمال إله الشمس وفيضها ، وتلك العاطفة التي نقلتها إلينا أناشيد « تل العمارنة » لا تحتوى على لاهوت أو خلفيات اجتماعية ؛ وعلى الرغم من ذلك فإنه من الواضح تماما أن « إخناتون » قد قبل قبولا شاملا اعتناق الخلفيات الهليوبوليتية التي كانت إذ ذاك ذائعة ذيوعا ساميا . وقد نتج عن ذلك في الواقع أن صار النظام الخلقى للتعالم الشمسية القديمة بارزا أكثر مما كان عليه في أى وقت كان قبل حكم « إخناتون » . على أن علاقة حركة « إخناتون » هذه الوثيقة باللاهوت الهليوبوليتي ظاهرة في كل نواحيها ، فقد كان توحيد السلالة الملكية بسلالة إله الشمس على يد كهنة « هليوبوليس » في « متون الأهرام » بفعل لذلك كل فرعون ابنا لإله الشمس كما ذكرنا من قبل ، فنقل إلى الإله « رع » الصفات البشرية للملك كريمة تشيع بروحه فراعنة ذلك العهد الإقطاعي . وفي ذلك الحين كان قد صار الفرعون « الراعى الطيب » أو « راعى الماشية الطيب » .

فهذه الصورة التي تعبر عن عطف ملكي أبوى حام لرعاياه قد نقلت إلى « رع » . وبذلك اكتسب « رع » لنفسه بشكل مدهش صفات إنسانية . وعطفا أبويا ، وما كان ذلك إلا نتيجة لذلك التطور الذى حدث في تصور الملكية في العهد

(١) « الونزادوز » ممثلة ذائعة الصيت في الروايات المحزنة وهى فرنسية الأصل عاشت في أواخر القرن التاسع عشر . وقد كانت مشهورة بعمق عاطفتها ، والإبداع الذى كانت تمثل به أدوارها العاطفية ، أما « أرمندو » فهو بطل فى إحدى الروايات التى جعلت « الونزادوز » ذات شهرة عالمية .

الإقطاعى ، وبذلك كانت تلك القوى الاجتماعية التى أوجدت هذا المثل الأعلى للملكية هى المؤثرات النهائية التى زادت بمعونة الملكية ، وهذبت التصور السياسى لسلطان « رع » ، وهو ذلك التصور الذى كان قبل ذلك لا يخرج عن كونه فكرة آلية مهمة ، فالمعونة الإنسانية التى كان يتطلبها وقتئذ الملك « اخناتون » كانت على ذلك قربية من التى كان ينشدها « أوزير » نفسه ، وكانت التعاليم الإخناتونية منجذبة بكليتها نحو ذلك الميل الذى ينعطف إليه المذهب الشمسى . إذ فى عهد والد « اخناتون » عثرنا على أنشودة للشمس سمي فيها إله الشمس : « الراعى الشجاع الذى يرعى قطعانه » . وهذه إشارة تربط بوضوح مذهب آتون بالحركة الاجتماعية الخلقية التى ظهرت فى العهد الإقطاعى .

وحينما نعيد إلى ذا كرتنا الآن كما سبق بيانه الأصل « الهليوبوليتى » « لماعت » (الحق ، الصدق ، العدالة) التى صارت تمثل إلهة وهى بنت إله الشمس ، نلاحظ أنه جاء فى « كتاب الموتى^(١) » أن جماعة الآلهة يجلسون فى قاعة « ماعت » حيث لا يوجد بأجسامهم إثم ولا بهتان ، وهم يعيشون على الصدق (« ماعت ») حيث يؤكد الميت لأولئك الآلهة نقاءه بقوله :

« إبنى أعيش على الصدق وأتزود من صدق (أو عدالة) قلبى » .

ونجد وقتئذ أن هذا المذهب الشمسى الذى يشد أزره أولئك الآلهة فى « هليوبوليس » قد اعتنقه « اخناتون » تماما ، حتى كان على الدوام يذيل اسمه الملكى فى كل آثار الدولة العظيمة بهذه الكلمات : « العائش على الصدق « ماعت » » . وهذا النعت الهام الذى ألحق باسم « اخناتون » قد صيره المثل الرسمى والمعاضد للنظام الخلقى القومى العظيم ، وهو نفس ذلك النظام الذى تصوره كهنة المذهب الشمسى قديما فى « هليوبوليس » فى عهد يرجع تاريخه إلى عصر الأهرام . وقد

(١) فصل ١٢٥ من كتاب الموتى .

ألبسه المفكرون الاجتماعيون ، ورسل العهد الإقطاعي المصري أهمية خلقية أكثر مما كانت له في أى زمن من قبل ، ولكن حينما نعيد إلى ذاكرتنا عدم كفاية « اخناتون » للتسلط على سائر العالم ، فإنه يظهر لنا أنه ما كان يرمى من وراء إضافته تلك الكلمات إلى اسمه الملكى إلا إظهار رغبته في امتداد سلطان النظام القومى الخلقى القديم حتى يصير مسيطرا على سائر العالم الدولى العظيم ، الذى كان هو سيده إذ ذاك . وبذلك امتدت سيطرة مملكة إله الشمس للقيم الخلقية قديما إلى حدودها العالمية المنطقية ، وقد فسر بذلك « التوحيد » الذى كان منظويا في أسرار تعاليم كهنة « هليوبوليس » تفسيرا لا إبهام ولا خفاء فيه ، على يد « اخناتون » .

وقد سمي « اخناتون » عاصمة ملكه الجديدة في « تل العمارنة » مقر الصدق (ماعت) في الأنشودة القصيرة متمشيا مع تلك الحقيقة . وقد كان أتباعه على علم تام بالاعتقاد الشديد في « ماعت » ، ولذلك كان رجال البلاط الملكى يعظمون « الصدق » كثيرا إذ يقول أحد أعلام معاضدى الملك وهو « آي » الذى تولى الملك بعد « توت عنخ آمون » :

” إنه (يعنى الملك) أحل الصدق في جسمه .

والذى يمقته هو الكذب “ .

وإني أعلم أن « وع — ن — رع » (يعنى إخناتون) يمرح فيه (الصدق) ؛ ثم يؤكد نفس هذا الرجل أن إله الشمس :

« واحد قلبه مستريح للصدق ، والذى يلعنه هو الكذب » .

كما يذكر لنا موظف آخر فوق جدران قبره في « تل العمارنة » .

” سأتكلم بجلالته (لأنى) أعلم أنه يسكن فيه ...

وإني لا أفعل ما يكرهه جلالته لأن الذى يمقته .

هو حلول الكذب في جسمى ...

لقد قترت بجلالته الصدق لأنى أعرف أنه يسكن فيه .

إنك « رع » والد الصدق

وإني لم آخذ رشوة الكذب .

كما أنى لم أقص الصدق لأجل الرجل العسيف “ .

ويجب أن نذكر هنا مرة ثانية — بمثابة دليل هام على إخلاص « إخناتون »

للصدق — أنه لم يقصر فضيلة الصدق على السلوك الشخصى فحسب بل أدخله كذلك فى ميدان الفن حيث صارت له فيه نتائج ذات آثار باقية فى التاريخ .

وعلى ذلك كان لا يزال « رع » المنشئ المعضد للصدق أو الحق « ماعت »

فى ذلك الانقلاب الذى قام به « إخناتون » ، يعنى النظام الخلقى والإدارى كما كان

ذلك النظام قائما منذ أكثر من ألفى سنة مضت . وإذا لم نسمع عن حساب الآخرة

فى مقابر « تل العمارنة » فمن الواضح أن ذلك يرجع سببه إلى نبذ الآلهة ، وأنصاف

الآلهة وعلى رأسهم « أوزير » ، وهم الذين كانت تشملهم المحاكمة فى حساب الآخرة ،

كما نجد ذلك مذكورا فى « كتاب الموتى » حيث سبق بيانه فيما تقدم . فأولئك الآلهة

قد نفوا وقتئذ ، والظاهر أن منظر المحاكمة التمثيل قد اختفى باختفائهم . ومع ذلك

فإنه كان من الواضح أن المستلزمات الخلقية فى المذهب الشمسى — وهو المذهب

الذى نشأت منه فكرة المحاكمة فى الآخرة ، وانتشرت — لم تنته المطالبة بها فى التعاليم

الإخناتونية ولم تفت . وكذلك فإن الحملة التى قام بها الكهنة على عالم الأخلاق

بالعوامل السحرية الآلية لضمان براءة الميت فيما بعد الموت قد أقصاها « إخناتون »

بداهة عن تعاليمه التوحيدية فصارت « الجعل » القلبية (الجعارين) التى كانت

مألوفة من قبل لا ينقش فوقها التعاويذ السحرية لإنجاد وحى الضمير عند المتهم ،

بل صارت وقتها ينقش فوقها صلاة بسيطة موجهة إلى « آتون » طلبا لحياة طويلة

سعيدة وعطف وطعام .

وما ذكرناه عن « الجعل » (الجعارين) ينطبق تماما على تماثيل المجاوبين التى

هى تماثيل صغيرة كانت تقوم بالأعمال بدلا من الميت إذا طلب منه ذلك فيما بعد

الموت فى الحياة الأنحروية .

وإذا فكرنا مليا فيما ذكر نجد أن أمثال تلك التغيرات الأساسية تبسط أمامنا عظم المد الجارف من الفكر الموروث عن الأقدمين مع العادات والتقاليد ، ذلك المد الذى تحوّل عن مجراه على يد ذلك الملك الشاب الذى كان يقود ذلك الانقلاب . على أننا نبدأ فى تقدير قوة شخصية « إخناتون » العظيمة فحسب ، عندما ندرك هذه الناحية من حركته التوحيدية إدراكا واضحا ، فقد كانت الوثائق الدينية قبل عهده تنسب عادة إلى الملوك القدامى والحكام الأولين . وكانت قوة العقيدة لا تتركز بوجه خاص إلا على ادعاء أقدميتها الساحقة ، وعلى قدسية العادة العريقة فى القدم . وقد كان تاريخ العالم حتى عهد « إخناتون » لا يتركز إلا على مجرّد سطوة التقليد الذى كان سلطانه لا يعارض . وليس لدينا استثناء بارز فى هذا المضمار إلا ذلك الطبيب النطاسى ، والمهندس العظيم « أمحوتب » الذى أدخل على فن العمارة البناء بالأحجار جملة ، وأقام أول مبنى من الحجر وهو ذلك القبر الهرمى الشكل الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد .

وغير هذه الشخصية من المصريين الأقدمين لم يكن الناس يعدّون بعدها إلا نقطا من الماء بجانب ذلك التيار الجارف العظيم .

فإذا استثنينا « أمحوتب » هذا ، كان « إخناتون » أول شخصية بارزة ظهرت فى التاريخ المصرى القديم . فإنه قد أحرز مكانة سامية بنفاد بصيرته ، وحسن تديره وتفكيره العقلى ، ثم نهض بنفسه علانية ، وقام فى وجه كل التقاليد ونبذها ظهريا ولم يلجأ فى توطيد مذهبه الجديد إلى أية وسيلة من وسائل الأساطير أو الروايات العتيقة مما كان معترفا به لسلطان أولئك الآلهة اعترافا واسعا ، بل لجأ إلى استعمال البراهين العتيدة الظاهرة الدالة بنفسها على سلطان إلهه ، وهى أدلة بسطت أمام الجميع .

وأما من جهة التقليد فإنه اجتهد فى القضاء عليه أينما وجد فى أى مظهر مادى للآلهة الأخرى فى السجلات التى يمكن الوصول إليها ، على أن سياسته التى قوامها

التخريب إلى هذا الحد كان لا بد لها من أن تصادف معارضة قوية فتاكة .
وستكلم عنها في حينها .

الفن في عهد اخناتون والعهد السابق له

لم يكن الانقلاب الذي أحدثه « اخناتون » قاصرا على إحياء عقيدة التوحيد باسم « آتون » ، بل قد تخطت حركته إلى انقلاب عظيم في الفن المصرى — لأنه كان جزءا من مناهجه — ، وخروج المفتين على تقاليد القوم الموروثة منذ أزمان سحيقة في القدم ، غير أننا نكون مغالين بعض الشيء إذا قلنا إن مذهب « آتون » هو العامل الوحيد الذى أوجد هذا الانقلاب في الفن المصرى وطرائقه ، لأننا إذا رجعنا البصر كرة إلى عهد الملكة العظيمة « حتشبسوت » وخلفها « تحتمس الثالث » وجدنا هناك روحا جديدا قد أخذ يتغلغل في نفس المفتن المصرى ، فالقوة الهائلة والوقار ، والحشونة ، وقوة التأثير التى كانت تمتاز بها أحسن القطع الفنية في عهد الدولة الوسطى بما تنطوى عليه من قوة غاشمة قد أخذت تتسم بسمعة النعومة ، وتحول تدريجا روحا جديدا ينم عن رشاقة وجاذبية ، ويظهر هذا الروح حتى في نحت التماثيل ، ففي الآثار الضخمة العظيمة كالتماثيل الهائلة التى كانت في الواقع تصنع لا لتمثل صورة حقيقية بل لتمثل عناصر فنية عظيمة ، نجد فيها على الرغم من ذلك قوة تعبير كما يلمس ذلك في تمثال « تحتمس الثالث » الموجود الآن في المتحف المصرى إذ تم تقاطيعه عن القوة الغاشمة ، ولا شك في أن مثل هذه القطعة الفنية يسيطر على كل شيء حوله كما كان « تحتمس الثالث » نفسه يسيطر على العالم القديم الذى كان يعيش فيه ، ومع ذلك نجد في نقش الأسرة التى عاش فيها « تحتمس » أن التغيير قد أخذ يدب ديبه ، فترى بجانب تمثال « تحتمس » في نفس القاعة المعروض فيها بالمتحف البريطانى رأسا « لأمنحتب الثالث » متقن الصنع يشف عن عظمة وجلال ومع ذلك أخذ عامل النعومة والليونة يدب في تقاسيمه ، هذا إلى أن المفتن قد حاول أن ينفث فيه روح شخصية

مميزة ، ولكنا نلاحظ التغير الذى يرمى إلى محاكاة الطبيعة فى قطع الحفر الصغيرة من التماثيل ، فما أعظم الفرق بين التمثال الفانر « لسنوسرت الثالث » المصنوع من الجرانيت الأزرق الذى عثر عليه فى الدير البحرى والموجود الآن بالمتحف البريطانى ، وبين تمثال « تحتمس الثالث » المصنوع من الشيست الدقيق المحفوظ « بالمتحف المصرى » فكلا التمثالين ينم فى ملامحه عن شخصية وثابة ، ولكن مفتن الدولة الوسطى كان خشنا إلى درجة ما فى تمثيل ملاح « سنوسرت الأول » التى تدل على خلق مهيم . فكل نقطة يمكن أن تظهر عبوسه وتقطيب شخصيته الصعبة المراس المرة قد مثلت فى تقاطيع وجهه تمثيلا بارزا ، والواقع أننا نقرأ فى تقاطيع وجه « سنوسرت » الجامدة الشعور بالقوة ، بل نلمس كذلك متاعبها الأليمة المرة ، على أن « تحتمس الثالث » لا يقل قوة عنه بما أوتى من أنف محدب ، ولكن هذا الجندى العظيم يرى مبتسما طلقا مما خفف من احديداب أنفه ، وأسبغ على ملاح وجهه جاذبية ناطقة ، ولا يفوت القارئ أن المادة التى صنع منها التمثال الأول ، وهو الأقدم هى مادة الجرانيت ، أما الثانى فقد نحت من الشيست ، وهما يئنان بوضوح عن التغير فى الطراز الذى انتهجه كل من المفتنين كما يدلان على عصريهما ، ومن ذلك يتضح أن فن التصوير قد بدأ منذ باكورة الأسرة الثامنة عشرة يفقد شيئا من خشونته ، وفى آن واحد أخذ يكتسب مرونة ورقة كانتا بعيدتين عنه من قبل ومع ذلك فإنه لم يفقد بصورة ظاهرة شيئا من الصدق فى التعبير أو القوة فى التأثير ، فالفن المصرى لا يحتوى إلا على قطع قليلة أكثر صدقا فى التعبير عن الحقيقة ، أو أعظم تأثيرا فى النفس كتمثال الجرانيت « لأمنحتب بن حابو » ذلك الرجل الحكيم الذى عاش فى عهد « أمنحتب الثالث » وهذا التمثال موجود الآن فى « متحف القاهرة » ، فلم يكن « أمنحتب » هذا جميل الحيا ، ولم يحاول مصوره أن يحسن شيئا من تقاسيم هذا الرجل العظيم التى ظهر فيها القبح والكفاية معا ، ولكنك لن تجد بسهولة صورة تمثل الحياة بعينها لرجل ذكى الفؤاد أريب عركته الدنيا مثل « أمنحتب » هذا على الرغم مما هو عليه من قبح بين .

فالمثال المصرى إذا كان قبل حلول عهد « اخناتون » ينحت تماثيله جاعلا نصب عينه الرقة والليونة فى إخراج قطعه الفنية ، وهو فى الوقت نفسه لم يجعلها تكاد تفقد شيئا فى قوة تأثيرها أو ترجحتها للطبيعة ، ويرجع هذا التغير فى تقاسيم مجيا التماثيل فى هذا العهد إلى أن شكل الوجه قد بدأ يتغير وبخاصة فى علىة القوم ؛ وذلك بإدخال عنصر دم جديد غريب عن البلاد ، ويرجع السبب فى ذلك إلى التزوج بأجنبيات فى عصر الفتوحات العظيم .

وهذا الاتجاه فى التصوير يلاحظ فى الرسوم البارزة على الجدران ، وأحسن مثال لدينا من أعمال الامبراطورية من الطراز القديم هى الرسوم التى على معبد « حتشبسوت » بالدير البحرى ؛ ومع ذلك فإننا نجد فيها ما يشعر بسيطرة الروح الحديد ، ولكن عندما نصل الى عهد « أمنحتب الثالث » نجد فى الرسوم البارزة فى أمثال مقبرة « خع امحات » و « وسرحات » فى « طيبة » وحتى فى بعض الرسوم البارزة فى معبد الأقصر: ظرفا وتقاسة ورقة يعجز عن إظهارها مثالو العهد القديم ، غير أن الإنسان فى ذلك لا يمكنه أن يفضل مثال العصر الحديث عن مثال العصر الذى سبقه ، لأننا نجد فى القديم قطعا تمتاز عن مثيلاتها فى الحديث ، ولكنا نجد أن المثال الحديث قد أخذ يتعزف أكثر على مادته الجديدة ، وبذلك أصبح فى قدرته أن يتصرف فيها كيف شاء ، وبخاصة عندما تخلص من القيود القديمة وشعر بحرية فى إبراز عمله ، وقد كان من نتائج تلك الحرية فى العمل أن أصبح المثال على استعداد أن يأخذ على عاتقه تنظيم صور أكثر تعقيدا عند وضع تصميم منظر صور بارزة .

على أن الاتجاه نحو الزيادة فى الحرية ، والحصول على جرأة واندفاع فى تمثيل المناظر مضافا إلى ذلك ميل أكثر إلى محاكاة الطبيعة يلاحظ بصراحة فى الصور الملونة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولذلك يعدّ من الخطئ فى رأى أن يقول الإنسان عن مناظر رقعة قصر « اخناتون » الملون وهو الذى عثر عليه فى مدينة

« اخناتون » إنها كانت أول محاولات من جانب المصور المصرى لمحاكاة الطبيعة فى حياة الهواء الطلق وما فيه من حركة ، ولا أدل على ذلك مما نشاهده مصورا فى سقف قصر « أمنحتب الثالث » من طيور تحلق ، وفراش يرفرف ، وبط يسبح فى رقعتها مما يدل على أن المثال فى عهد والد « إخناتون » كان فى مقدوره أن يحاكي الطبيعة ، ولكنه لم يكن عنده المران فى تأليف الصور المركبة وتنسيقها مثل خلفه ، على أن هذا الميل إلى محاكاة الطبيعة يمكن أن يرجع إلى زمن أقدم من ذلك ، فالطيور التى تطير من المستنقعات فى مقبرة « أمنمحات » الكاتب فى عهد « تحتمس الثالث » ليست إلا خلفا لتى وجدت فى قصر « أمنحتب الثالث » ، وفى قصر « إخناتون » هذا إلى المناظر التى نشاهدها فى قبرى « نخت^(١) » و « من^(٢) » والمناظر الموجودة الآن بالمتحف البريطانى المأخوذة من قبر « سبك حتب^(٣) » كل هذه تبرهن على النمو السريع لروح الحرية فى تمثيل الصور الطبيعية . فمن بين المناظر الموجودة فى المتحف البريطانى صورة نجد فيها امرأتين تلتفتان بوجهيهما^(٤) تماما إلى الناظر إليهما ، وهذه الحركة لا نراها إلا نادرا فى التصوير المصرى . هذا إلى أنه يصعب أن توجد صورة تفوق فى براعتها صورة القطه التخطيطية الفائقة الحد فى التعبير التى نشاهدها فى إحدى مناظر قبر « نخن » بطيبة ، فإنها تكاد لفرط هزالها وجوعها تلتهم سمكة .

وهذه الصورة التى يحتمل أن يرجع عهدها إلى عصر « تحتمس الرابع » تبين لنا أن المفتن المصرى كان سريع الخطأ فى سيره للوصول إلى تصوير طبعى أعظم شأننا وأكثر دقة قبل أربعين سنة من عهد « اخناتون » .

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Nakht at Thebes".

(٢) راجع : Colin Campbell, "Two Theban Princes".

(٣) راجع : Budge, "Wall Decorations of Egyptian Tombs, Illustrated from Examples in the British Museum", P. 15. fig. 9, P. 14, fig. 7.

(٤) راجع : Budge, Ibid, Pl. IV.

ومن ذلك نرى أنه لا يوجد ما يبرر الاعتقاد بأنه لا علاقة بين فن عهد
العمارة ، والفن القديم التقليدى ، إذ الواقع أن عملية التغير لم تأت بجأة بل سارت
تدریجاً ، وكانت قد أخذت فى سیرها بوضوح منذ قرن قبل اعتلاء « اخناتون »
العرش على أقل تقدير كما أوضحنا ، كما أن مذهب « آتون » لم يكن وليد ليلة بل
كان يضرب بأعراقه إلى أقدم عهود العقائد المصرية ، كذلك كان الفن الذى سار
مع « آتون » جنباً لجنب يضرب بأعراقه فى الماضى ، ولم تكن ظاهرة طبيعية
بل شجرة نمت وترعرعت ، وعلى أية حال فإن النمو يمكن إدخاله فى تدرج العقل
الإنسانى كما يمكن إدخاله فى الطبيعة ، فالعقيدة الآتونية ، وبخاصة رجال الفن فيها
كانوا يعبرون باستمرار عن وجهة نظر الفرعون ، وهى التى دفعت العنصر العامل
فى فن العصر إلى الأمام ، فنجد أن من بين الألقاب التى كان يتمسك بها « اخناتون »
نفسه لقب « عنخ إن ماعت » (يعنى العائش فى الصدق) وقد أخذ المعنى الصريح
لهذه العبارة وجعلها مبدأه فى الحياة . فقد كان المقصود منها لديه أن يتقبل حقائق
الحياة اليومية ببساطة ، ومن غير كلفة ، فكان يعتقد أن ما مضى كان حقاً ،
وأن صلاحه كان ظاهراً من نفس وجوده ، ولا شك فى أن تأثير مثل هذا القانون
على الفن كان عظيماً ، ولذلك فإن التقدم الذى كان سائراً بالفعل فى الفن المصرى
قد شجعه هذا المبدأ ، وأسرع فى خطاه إلى حد بعيد فيصف لنا « بك » نفسه
وهو كبير رجال الهندسة ، الملك ومثاله الأول على لوحة فى « أسوان » بأنه هو المساعد
الذى علمه جلالته ليكون رئيس المثالين لآثار الملك الضخمة العظيمة ، على أنه
لا يتحتم أن يفهم من هذه العبارة أن « اخناتون » كان متطفلاً على الفن وأنه
كان يسلى نفسه ، أو أنه كان يضايق رجال الفن برسم أشياء يفرض عليهم تنفيذها
كما كان يفعل « تحتمس الثالث » ولكن الواقع أنه كان يبين لمثاليه أن « الحياة
فى الصدق » كانت جزءاً من تعاليمه الدينية ، وأن من واجبهم أن يأخذوها مرشداً
لهم ، ثم يتركهم يعملون بمقتضاها .

وقد كانت نتائج هذا التوجيه إخراج قطع فنية من الطراز الفائق الحد في طبيعته فقد وجد كل من المثال « بك »^(١) وصاحبه « أوتو »^(٢) وهما مثالا للملكة « تي » ، وكذلك غيرهما من مثالي عصر « العمارنة » أنهم أصبحوا لأول مرة في تاريخ الفن المصري طليق الأيدي تماما يرسمون الشيء كما يرونه فلم يتقيدوا بالتقاليد القديمة التي كانت حجر عثرة أمام تقدم الفن المصري في الماضي . ولذلك اختفى الوضع الكهنوتي المرسوم للثالين إلى حد بعيد ، ومن ثم مثل الملك والملكة والأميرات ورجال البلاط لا كما يجب أن يكونوا في الاحتفالات العظيمة مزملين في ملابس العظمة التقليدية بل مثلوا كما يعيشون بطبيعتهم مما جعلنا نراهم في مواقف ليس فيها من جلال الملك شيء ، فيشاهد ذلك مثلا في منظر « إخناتون »^(٣) وهو يلتهم الأكل على مائدة الطعام ، أو وهو يطوق بساعده أخاه « سمنخكارع » ويداعبه — وإن كان في هذه الصورة شك — أو ظهور الأسرة الملكية في الشرفة وهم عرايا الأجسام ؛ على أن أكبر مظهر للتحويل في التصوير هو ما نشاهده في تمثيل الأجسام البشرية ، فيرى الإنسان في تصويرها على حسب ما يترأى له تقدما أو انحطاطا . أما في المجالات الأخرى غير الصور الإنسانية فإن التحول أو التغير على الرغم من أنه معلم ظاهر تماما فإنه لم يبلغ أقصى مداه كما يظن البعض أحيانا ، فالحياة في الحقل مثلا لم تكن في حياة الفن المصري خاضعة يوما لقيود التقاليد التي غلت يده في تصوير الجسم الإنساني ، إذا الواقع أن الرسامين والمثاليين المصريين كانوا منذ أقدم العهود ينقلون ما في الطبيعة عند ما يصورون المستنقعات والنهر والصحراء بما فيها من حياة وحشية ، ونباتات ، ولقد خطا فنانو عصر « إخناتون » بهذه الرسوم خطوة

(١) راجع : De Morgan, "Cat. Mon.", I, P. 40, No. 174.

(٢) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. III, Pl. XVIII.

(٣) راجع : Davies, Ibid. Vol. III, Pl. IV.

(٤) راجع : Davies, Ibid. Vol. VI, P. 22, Pl. XXIX.

أخرى إلى الأمام يمكن أن يقال عنها إنها ناتجة عن تعاليم «أخناتون» ؛ وقد وصف الأستاذ «برستد» هذا الفن بأنه فن بسيط جميل ينم عن الحقيقة، ويرى ببصيرة ثاقبة ما لم يره أى فن آخر من قبل ، غير أن فى هذا بعض المبالغة لأن المفتين القدامى فى مصر لم يكونوا محجوبى النظر عن حقائق الطبيعة وأسرارها، أكثر من المفتين «بك» و «أوتو» ؛ ولو لم يخلف عهد «أخناتون» لنا من نماذج أعماله الفنية إلا صور الحياة البرية بما فيها من نبات وحيوان، فانه يصبح من الصعب علينا جدًا أن ندرك منها حدوث أى فاصل أو تحول فى تقاليد القوم الفنية ، بل على التقيض كما نرى فى هذا الازدهار الفنى الجديد تقدما مشروعا لخطط مألوفة ليس فيها تحول عن الطرق القديمة التى اتبناها المفتون القدامى .

وعلى أية حال فإن الأمر يختلف اختلافا تاما فى تصوير الجسم الإنسانى فى عصر العمارنة، وهذا فى الحقيقة أهم الأشياء التى خلفها لنا عصر «أخناتون» من الوجهة الفنية . وفى هذه الحالة يمكن الإنسان أن يتحدث عن فن عصر «تل العمارنة» وهو يشعر أنه يناقش وحده مميزة لها حياتها وشخصيتها الخاصة بها، فالرجل والمرأة يصورهما المفتن على طبيعتهما أى كما يراها أمامه بالعين المجردة ، وهو يخرج صورته بمعناها الحقيقى حرة من كل قيد متوخيا فى ذلك إبراز التفاصيل بصدق مما كان غريبا عن الفن القديم الذى كان معتادا فى البلاد . فمنذ عهد «أخناتون» لا يرى الإنسان الصور الآدمية مرسومة فى وضع خاص فى مجموعة قليلة فى تنوعها، وتتناول موضوعا واحدا وهو ما سمحت به العادة ، إذ كان يصور الإنسان بساقه اليسرى إلى الأمام وذراعه مدلاة بجانبه وراحته مقبوضتان ألخ . أما فى صور «تل العمارنة» فنرى أناسا جالسين وواقفين ومتحركين ومضطجعين بكل وضع طبعى يمكن للإنسان تصوّره، وأحيانا يصور فى أوضاع لا يمكن قبولها أو تصوّرها، كما أنها غير طبيعية فى الوقت نفسه .

وأجمل نموذج كشف حتى الآن لهذه الحرية الجديدة في الرسوم البارزة الصورة الملونة الصغيرة الرائعة الموجودة الآن بمتحف «برلين»^(١) وهي التي رسم فيها «أخناتون» و«نفرتي» معا كما هي العادة؛ فنشاهد فيها الملك واقفا أو بعبارة أدق متراخيا في وقفته في وضع رشيق لا تكلف فيه ومتكئا على عصا تحت إبطه الأيمن، ويرى طرفا حزامه الطويلان وأهداب شعره المستعار يداعبها الهواء، وتقف أمامه الملكة «نفرتي» في هيئة لا توصف إلا بالقحة وفي يدها اليسرى طاقة من أزهار البشنين المفتحة الأكام وفي يدها اليمنى طاقة أخرى من أزهار الأزهار مقدمة إياها لزوجها ليشم رائحتها، وترتدى ثوبا من الكتان شفيفا يداعبه النسيم، ولولا أن «أخناتون» كان يحلى بجينته بالصل الملكي، والملكة ترتدى الصل المزدوج الذي كان يميز الملكة في هذا العصر، ما كان أحد يظن قط أنه في حضرة فرعون مصر أعظم ملوك العالم وقتئذ، والذي يتقمصه الإله العالمى، فالصورة في مجموعها تعد من حيث بساطتها وسحرها من أندر ما أخرجته الفن القديم عامة، ولكنها في الوقت نفسه تناقض الصور العادية للفرعون، إذ أنها قد فقدت كل مهابة الملك وجلاله.

وأعجب الثمرات التي أنتجها لنا فن «أخناتون» الرؤوس التي تمثل الصور الآدمية، والتماثيل الصغيرة لهذا العصر، وقد كشفت البعثة الألمانية عددا عظيما منها؛ والواقع أن المثال المصرى كان قد أخذ في اعتلاء مكانته الحقيقية شيئا فشيئا حتى أصبح يحتل مكانة وضعته بين قادة الفن في العالم، وهي مكانة كان ينكرها عليه منذ سنوات قليلة مفتنو عصرنا بنوع من السخرية. ولقد جاء الكشف الألمانى لهذه الرؤوس المنحوتة نحتا دقيقا مكذبا لتلك الادعاءات. وهذه الرؤوس معظمها للأسرة المالكة، منها عدد عظيم «لأخناتون» نفسه، ومعظمها مصنوع

(١) راجع : Schafer, "Von Aegyptischer Kunst besonders der Zeichenkunst. Ein Einführung in die Betrachtung Agyptischer Kunstwerke", P. 23.

من الحجر الجيري الأبيض؛ ثم تماثيل صغيرة للملكة « نفرتيتي » تصور الحقيقة بدرجة فائقة الحد، وكذلك رؤوس صغيرة للأميرات لها سحر عجيب، وصور لبعض رجال البلاط، من بينها رأسان ربما كانا للكهنة « آي » الذي ولى الحكم فيما بعد ولزوجه « تي » . على أن أعجب درتين في كل هذه المجموعة هما الرأسان اللذان يمثلان الملكة « نفرتيتي » ، إحداهما من الحجر الجيري الملون، ولها شهرة واسعة، ويعترف الجميع بأنها من أروع الأمثلة في النحت في العالم، وإنها لجديرة حقاً بتلك الشهرة التي نالتها ، ولا بد أن « نفرتيتي » نفسها كانت تفوق نساء عصرها في جمالها



الصورة رقم ١٧ الملكة نفرتيتي

ورشاقتها، وسواء أكان المثال «بك» أو غيره قد نحتها فانه قد ارتفع الى القمة في الفرصة التي سنحت له ؛ إذ الواقع أن هذا التمثال النصفى للملكة «نفر تيتي» لا تضارعه قطعة أخرى في دقة تصويره، ورشاقة ملامحه التي تدل على التفكير، ولذلك يحق للمثال المصري أن يسابق بشهرته وهو مطمئن البال في هذا المضمار على هذه القطعة الفنية الخلابه؛ وأما القطعة الثانية فإنها أقل شهرة، ويرجع السبب في ذلك إلى المادة المصنوعة منها، وكذلك إلى الحالة التي وجدت عليها، فالناظر إليها لأول وهلة لا تستهوي مشاعره. وهي للملكة «نفر تيتي» أيضا، وقد صنعت من الحجر الرملي الأسمر ولكنها في الواقع لا تقل جمالا عن سالفها في عين المفتن الناقد، فالقطعتان معالا نظير لهما، ويدرك الإنسان عند تأملهما سر مالهما من شهرة تاريخية للجمال واسعة النطاق.

ومن القطع التي تتميز بها مدرسة الفن في «تل العمارنة» وإن كان لم يعثر عليها في «إخناتون» رأس الملكة «تي» المصنوع من الأبنوس والذهب، وهي في دقة صنعها آية من آيات الفن، وقد عثر عليها في «القيوم»، وهي الآن في متحف «برلين»، والواقع أنه لم يعثر على قطعة مذهشة مثلها في الفن القديم أو الحديث يقرأ الإنسان في تقاسيمها أخلاق صاحبها، وليست لفظة الجمال بالتعبير الصادق الذي يستعمله الإنسان عند وصفها، ولكن هو التأثير المدهش الذي تتركه بما توحيه من شخصية مسيطرة، وربما كان مآصوره المثال في تقاسيمها من معاناتها الألم هو سر جمالها، وهذا الرأس الفذ الصغير الحجم لا يزيد ارتفاعه عن بعض سنتيمترات، ولكنه قطعة فنية أعظم تعبيرا، وأقوى تأثيرا من معظم التماثيل الضخمة. (انظر صفحة ٦٢).

وترتكز عبقرية الفن المصري وقوته في عصر «إخناتون» إذاً على الموضوعات التي تتعلق بالإنسان. ولا نزاع في ذلك لأن هذه الشهرة تستند على حقائق يؤيدها

(١) راجع : "Chronique d'Egypte", No. 31 (Jan. 1941), P. 46;
Davies, Ibid, Vol. VI, Pl. XXXVIII.
(٢) راجع : Fechheimer, "Die Plastik der Agypter", P. 88, 89.

الواقع تأييدا واسع النطاق، ولكن مما يؤسف له أن صفات هذا الفن السامية بحق قد طمست معالمها إلى حد ما، وأن ما أخرجته هذه المدرسة قد أُذِيَ بخاصية مستهجنة، وليس في استطاعتنا أن نحكم فيما إذا كانت هذه الهجنة ترجع إلى مبالغة « إخناتون » في تمسكه بفضيلة الصدق التي نجدها في تفكيره، وفي فنه، وفي تشبثه بأن ينتهج فنه هذه السبيل المعوجة، فنعلم أن الملك كان شاذ الخلق كما يتضح ذلك من تماثيله، وصوره الملونة بل إن أهم من كل ذلك غطاء الوجه الذي كان عليه بعد وفاته، فقد كان شدوده يمثل بوضوح في ضخامة حجمته بشكل خارج عن المعتاد، وكذلك نمو الجزء الأسفل من جسمه ونخذه نمو غير مألوف، وقد دلت البحوث الطبية على أن الأسرة كان فيها هذا الشذوذ أو على الأقل في إخناتون نفسه .

ولما كان « إخناتون » يحب الحقيقة والصدق إلى أقصى حد، فإنه صمم أن يرسم بما فيه من شذوذ جسمي مطابق للحقيقة بدون ملق أو محاباة، في تمثيل كل ما فيه من قبح وشذوذ، وكما يحدث عادة في مثل هذه الحالة مثلت الأجزاء المراد إبرازها بشيء من المبالغة ازدادت بمر الأيام، ولذلك نجد أن هذه الطريقة المنكودة قد ظهر أثرها المبالغ فيه في كل صور أفراد الأسرة المالكة في هذا العهد، وليس من المعقول بتاتا أن الملكة « نفر تيتي » والأميرات كن مصابات بهذا الشذوذ الجسمي كالفرعون؛ ولا أدل على ذلك من جذع تمثال الأميرة الصغير المصنوع من الحجر الجيري والموجود الآن بجامعة « لندن^(١) » فإنه خال من كل هذا الشذوذ، ولكن العادة القبيحة في التشبث بإظهار خاصيات الملك الجسمية قد أدى إلى خلق خاصيات من هذا الطراز لا وجود لها، ولذلك فانا نجد الملكة والأميرات يمثلن في كثير من الأحوال بدون مبرر بشذوذ جسمي قبيح لا ينطبق على الواقع قط، وهن منه بريئات قطعاً .

(١) راجع : Gha- & P. 94. "Die Plastik der Agypter", Fechheimer, lioungui, "A Medical Study of Akhenaton", A. S., Vol. XLVII, PP. 29 ff.

ولقد انتقلت هذه البدعة القبيحة إلى رجال البلاط كما كان المنتظر، والناس على دين ملوكهم؛ حتى أن الأمر قد وصل إلى درجة من المجون فمثل الرجل قبيحا بقدر المستطاع تقليدا لصورة جلالته، وهذا أمر كان لا يمكن تلافيه . ولقد كانت نتيجة هذا العبث أن أصبح جزء عظيم من فن « تل العمارنة » بكل ما فيه من محاسن يقرب من الصور المسوخة الهزلية .

ولقد كانت الكارثة في كل هذا مزدوجة ، فإن هذا الفن الذى كان رفيعا في ذاته حقا ، بل لا نغالى إذا قلنا إنه أحسن زهرة تفتحت عن العبقرية المصرية ، قد مسخت محاسنه بهذه المبالغات التى انتابتها ، على أنه لما غلب مذهب « آتون » على أمره بدا في نفوس القوم اشتزاز من ذلك الشذوذ الذى طمس محاسن فن « تل العمارنة » الرائعة حتى قضى على عبقرية الفن المصرى بدرجة عظيمة^٤ . ولقد انتزع المصريون من نتائج انزلاقهم في صدق التعبير في رسومهم ومحاكاة الطبيعة ، ولذلك فإنهم أخذوا يتشبثون حتى آخر أيام تاريخهم القومى في حياتهم الفنية بأهداب طراز فنهـم الثابت الذى كان متبعا في غابر الزمن ، وكأن خلاصهم الوحيد كان متوقفا عليه . حقا إنه كان لا يزال في عهد الأسرة التاسعة عشرة أعمال فنية جميلة تحمل في طياتها بوضوح أثر فن العمارنة غير أنها كانت ضئيلة .

أما في العهد الساوى فقد قامت نهضة عجيبة ظهر فيها بعض الأعمال الفنية الرفيعة على غرار الأساليب القديمة يصحبها صدق التعبير مما جعلها جديدة بأن تضاهى بأعمال مفتنى عصر « إخناتون » ، غير أنه لم يعد يوجد قط ذلك التعبير الأول الجميل الذى ينطوى على فرط الفرح المستهتر الذى كنا نراه أيام « إخناتون » ، حينما كان يلقن أتباعه بأن ينظروا إلى الحياة والأشياء بأعينهم هم فحسب ، لا بواسطة التقاليد القديمة التى طبع على بصرها غشاوة .

الصناعات الأخرى فى عهد إخناتون

على الرغم من أن مدينة « إخناتون » قد أقيمت فى الأصل لتكون مدينة دينية وحصنا حصينا للذهب الحديد والبلاط الفرعونى، فإنه كان ولا بد أن يستند أهلها — وبخاصة الطبقات الدنيا منهم — على إنشاء صناعات خاصة بهم، وقد بينت لنا أنواع هذه الصناعات بدرجة عظيمة الأحوال التى أسست فيها هذه المدينة. والواقع أن مدينة « إخناتون » كانت تشبه فى حياتها النار التى أوقدت فى هشم فارتفع لهيبها إلى عنان السماء ساعة ثم خبت وصارت ترابا هامدا، لذلك كان مقدرا لهذه المدينة التى أنشئت ما بين غمضة عين وانتباهتها، أن تجد مكانا فى محيطها لإقامة مقابر عدّة، ومقاصير وقصر ضخم للفرعون، ومساكن جميلة لكل الأشراف ورجال البلاط، وكذلك مقابر ومقاصير لهم. وقد كان المصرى يعنى بها أكثر مما يعنى بمسكنه، فكل هذه المنشآت كانت تتطلب بطبيعة الحال مقدارا ضخما من صناعة الزخرفة والزينة. أما نوع هذه الصناعة فقد كان القول الفصل فيه للذوق السائد فى هذا العصر، وقد كان الذوق العام فى زخرفة المباني مندفعاً نحو الرسوم البارزة وتزيينها بالألوان الزاهية، وهذا الذوق كان من خصائص الفن المصرى فى كل عصوره، ولكنه أخذ يتجه فى عهد « إخناتون » إلى استعمال الخزف المطفى، والزجاج الملون فى أعمال الزخرفة. ولقد كان أبسط وأسهل وأيسر على القائمين بالأمر أن ينفثوا معامل الخزف المطفى والزجاج الملون فى المدينة نفسها من أن يجلبوه من أماكن نائية كانت فى معظم الأحيان معادية للمدينة، ولذلك كان من مميزات « إخناتون » ما أقيم فيها من مصانع لعمل الخزف المطفى والزجاج الملون، وتدل بقايا ما وجد من هذه الصناعات على أنها ازدهرت وتقدمت تقدما عظيما فى « إخناتون »، وقد بلغت هذه الصناعة من التنوع والبهاء حدّا لم تصل إليه من قبل ولا من بعد، وكان هذا العصر أعظم عصر بلغت فيه صناعة الخزف منتهى تقدمها كما وصلت إلى أعظم غاية فى تنوع استعمالها.

وقد كشفت أعمال الحفر عن موقع مصنعين عظيمين لصناعة الخزف المطلق، وكذلك عن عدة مصانع لعمل الزجاج على أن حجرات العمل في هذه المصانع قد اختفت نهائيا، غير أن بقايا هذه الصناعات لا تزال كائنة تظهر لنا في القطع المتخلفة طريقة العمل في إنتاج هذه الصناعة في حين أن مئات من قطع أواني الزجاج وأشياء أخرى تضع أمامنا شكل القطع التي تم صنعها .

ولما كانت الأذواق تختلف باختلاف العصور، فإن بعض القطع التي كانت تصنع من الزجاج الملون قد يمجها ذوقنا ، فقد صنعت مثلا تماثيل كاملة من الخزف المطلق، وهي لا تكاد تعد قطعاً فنية كما نفهم الفن الآن ، ففي أشياء أخرى كان الذوق الفني في عهد « إخناتون » ناقصاً على الأقل في نظرنا ، ولكن لسنا في شك من القيمة الزخرفية للألوان الفنية التي كانت تستعمل في صورة خزف مطلق لتزين منازل الأشراف ، والقصور الملكية والمعابد . وقد وصل إلينا بعض قطع من أجمل نماذج صناعة الزجاج الموجود في العالم من هذا العصر مثل الابريق الأزرق الفيروزي المزين بخطوط بيضاء وزرقاء قاتمة ، وكذلك الآنية ذات أربعة المقابض بلونها الأزرق اللازوردي ، والمزينة بخطوط متموجة صفراء وبيضاء وزرقاء خفيفة وهما في مجموعة اللورد « كارنفون » ، هذا إلى قدح الشراب ذي اللون الفيروزي الأزرق الخالص ، وهو الآن بمتحف متروبوليتان بمدينة^(١) « نيويورك » .

أما من جهة البهاء والفخامة فإن الدقائق الزخرفية والتفاصيل التي توجد على جدران قصر « إخناتون » التي استعمل فيها الزجاج الملون والذهب الوفير لتزين تيجان أعمدتها التي على شكل جريد النخل لدليل ناطق على مقدار ذوقهم ، ويقول الأستاذ « فلنדרز بترى » إن تاج العمود في هذا القصر كان صورة من عمل الميناء التي يحذقها الصائغ المصري ، وهو عبارة عن رقعة مقسمة أقساماً دقيقة وضع في كل منها حجر ثمين في إطار

(١) راجع : Steindorff, "Die Kunst der Agypter", P. 276.

من الذهب ليخرج من المجموع رسم رائع يظهر فيه كل لون براق ، مفصول عن المجاور له بنحيط من الذهب ، وقد استعمل المقتن تلك الصورة على نطاق أوسع في فن العمارية ، ولذلك كانت تظهر تيجان الأعمدة وهي لامعة بهذا الذهب ، وبهذا الخرز المطلق الذي يشبه الجواهر . ولا شك في أن التأثير الذي يحدثه صف من هذه الأعمدة المزينة بتلك الزينة لها يأخذ بالأنظار لروعة ونخامته ، وبخاصة عندما تسطع عليها أشعة شمس مصر اللامعة . ولعمري فإن مثل هذا المنظر في عين السفير الأسبوي كان يزيده اعتقادا في أن الذهب كان بمصر يفوق التراب . على أن الفرعون لم يكن مبذرا دائما في بذل الذهب في مثل هذه الأحوال ، ولا أدل على ذلك من أنه استعمل في قاعة المدخل في جنة « مرو آتون » تقليدا رخيصا لتزيين عمارتها ، فقد استعمل بدل الخزف المطلق عجينة مطلية ، وبذل الذهب طلاء أصفر يحاكيه .

أما المهارة في الصناعة في هذا العصر فبدل عليها نماذج الأثاث الجميلة التي عثر عليها في مقبرة « آي » وفي مقبرة « توت عنخ آمون » . فالصناعة المصرية في هذا العهد كانت لا عيب فيها من حيث الرسم والفكرة ، وصوغها بديع ، ولكنها كانت لا تروق في عين عصرنا هذا لما فيها من الفخامة والبذخ المتناهي ، فحشب المقاعد وغيرها من أدوات الأثاث كثيرا ما كان يغطي كله بأوراق من الذهب مما يخفى بهجة القطعة من حيث الفن ، كما كان يغطي في معظم الأحيان بطبقة من الحص المرسوم رسما بارزا ، وكانت الصناديق تزين بأحجار شبه كريمة ، وخزف ملون بسخاء ، وعلى الرغم من أن مثل تلك الزخرفة عندما تقع عليها عين الناقد الحديث تبدو أحيانا غير متقنة لا تصلح لتأدية الغرض الذي من أجله صنعت ، فليس من شك أن بعض قطع الأثاث مثل عرش « توت عنخ آمون » المشهور ، وبعض الصناديق من نفس المقبرة ، ومن مقبرة « آي »^(١) تعد أمثلة منقطعة القرين في جمال

(١) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. VI, Pls. XXXIX, XL. etc.

رسومها كما أنها نماذج بديعة للصناعة المصرية نفسها ، على أن الانحراف عن الذوق السليم يحدث في كل عصور الفن ، وعصر « تل العمارنة » لم يكن خاليا من إبراز قطع تنبو عنها الأعين ؛ وأى شيء أشد قبحا من تلك الأسيرة المذهبة التي عثر عليها في مقبرة « توت عنخ آمون » ، وكذلك بعض تلك الأواني المصنوعة من قطعة واحدة من المرمر ومزينة برسوم طبيعية من النباتات النيلية ^(١) ، وقد رصعت بقطع مستديرة من حجر الأبسديان ، فإن العين حين تقع عليها لا تلبث أن تتحول عنها لما في صورتها من انعدام الذوق . وعلى أية حال فإن ذوق عصر « تل العمارنة » على وجه عام قد احتفظ بخصوبة بالغة في الجمال ، وصلاحيه لا تضارعه فيها عصور أخرى .

فن الصناعات التي تلفت إليها الأنظار لما فيها من رشاقة وجمال فن صناعة الأدوات الصغيرة التي كان يستعملها الإنسان ، وبخاصة أدوات الزينة كملعق العطور والأواني ، والمرايا وجعبها ، والأمشاط وغيرها من الأدوات الصغيرة التي كانت تصنع من أخشاب أجنبية ، أو من العاج أو من الشبه أو المرمر ، أو حجرا ستايتيت فكلها كانت قطعاً فنية للاستعمال العادى ، ومن المحتمل أن توجد أشياء قليلة تأخذ العين والعقل لبساطتها وقوتها معاً . حقيقة أن مصري القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانوا في مستوى أية أمة متحضرة في الثقافة العالمية ، يشهد بذلك هذه الأشياء الصغيرة بما يتجلى فيها من براهين تدل على تمتع القوم ، وسرورهم بكل ما هو جميل ، والحقيقة أن الأشياء الصغيرة الخاصة بحضارة القوم هي في أغلب الأحيان عنوان هذه الحضارة ؛ والمطلع على تاريخ البلاد يعرف تأثير الأفكار الآسيوية التي بدأت تتسرب إلى مصر في بداية الفتوحات المصرية في باكورة هذه الأسرة ، غير أنه على ما يظهر لم يكن للنماذج الفنية التي أتت بها من سوريا ، وكذلك أصحاب الصناعات الذين نزحوا إلى مصر في عهد « تحتمس الثالث » ومن بعده من الفراعنة تأثير مستمر . وعلى أية حال فإن تأثير « سوريا » الفني لم يكن ذا أهمية

(١) راجع : Carter, "The Tomb of Tutankhamon", Vol. II, Pl. XLVIII

في فن « تل العمارنة » على الرغم من أننا وجدنا أن الفخار السورى كان يوجد بمصر بدرجة لا بأس بها في ذلك الوقت ، ولكن أهم من ذلك هو ما يجب معرفته عن مقدار تأثير النماذج المنوانية (كريت) في الصناعات المصرية ، لما بين البلدين من علاقات تجارية ، هذا فضلا عن أن أساليب الفن المنوانى كانت تنطوى على حيوية وجاذبية في أشكالها وتصميم صنعها كما تكلمنا على ذلك من قبل .

ولا نزاع في أن فخارا من العصر المنوانى الثالث قد جلب إلى مصر في عهد العمارنة ، وقد وجد منه قطع في مدينة « إختاتون »^(١) ، والظاهر أنه جلب إلى مصر من « كريت » و « رودس » وغيرها من جزائر بحر إيجه ، أو من بلاد الإغريق نفسها .

وقد كانت الأوانى المنوانية التى على شكل ركاب السرج ومصفاة الخمر منتشرة في مصر في ذلك العهد ، وكان الصانع المصرى يقلدها في الخزف المطلق والمرمر والمعدن . ومن الجائز أن المصرى عندما عاد إلى حب الطبيعة وتقليدها وهو ما يتميز به فن عصر « العمارنة » ثم أخذ المفتن يطلق ليد العنان بما وهب من حرية وسهولة في تصويره الأشياء ، قد تأثر بعض الشيء بروح الفن المنوانى ، ذلك الفن الذى لم يقيد بتقاليد قط بل كان قانون نفسه ، ونستطيع أن نقول إن هذا التأثير لم يكن إلا عنصرا ضمن عناصر عدة كان بمثابة روح تنفخ في شخصية كانت في عالم الوجود فعلا شاعرة بقوتها ، وبميلها الشخصى ، ولم تكن قط ظلا لذوق أجنبى يفرض على عقول قبلها بسهولة ، لأنها خاوية بيضاء الصحيفة ، إذ الواقع أن الحضارة المصرية كانت شيئا ضخما جدا ، وعريقة في قدمها جدا وأصيله في شعبها أكثر مما يجب مما جعل تكييفها تكييفا جديدا بمؤثرات خارجية أمرا مستحيلا ، فالمصرى كان يعرف الشيء الحسن عندما كان يراه ، ولم يكن لديه أى مانع من انتحاله لنفسه ، ولكنه كان في ذات الوقت عنده قوة العبقرية الحقة التى تجعل ما ينتحله لنفسه — إذا اتفق أنه انتحل شيئا — ملكه وقطعة منه .

(١) راجع : Frankfort and Pendelbury, "The City of Akhenaton",
II, P. 110

وخلاصة القول أن الرقي الذي حدث في عهد « تل العمارنة » متبعه وصدق تعبيره عن الطبيعة من روح مصرية ، ومع ذلك لا يمكننا أن ننكر احتمال وجود تأثير منوانى إغريق رائده الحرية وعدم التقيد بالتقاليد الموروثة .

تدهور سلطان مصر في سوريا — زحف البدو و « خيتا »
المصادر وترتيب تاريخ الحوادث : لقد كان النزاع بين الأمراء الخاضعين للسيادة المصرية في « سوريا » لا ينقطع حبله ولا ينضب معينه ، إذ كان كل أمير يرغب في توسيع رقعة إمارته ، ومد نفوذه على حساب جاره ، وبخاصة الضعيف ، وتلك سنة الطبيعة ، وقد كان موقف الفرعون وقواده في مثل هذه المنازعات هو المحافظة على الدولة وبقاء مكانها ، ولذلك كانوا يقفون بجانب الوالى المخلص ، وينصرونه على الوالى المقتصب الثائر على العرش ، كما أنهم كانوا في الوقت نفسه لا يألون جهدا في صد غارات أقوام البدو الهمج ، الذين يغرون على البقاع المتحضرة ويسلبون متاعها . .

ولقد بقي النشاط المصرى على هذا المنوال من اليقظة والشدة حتى تولى الملك « أمنحتب الثالث » ، وكان متساهلا في أمر دولته فشل نشاط الجيش ، وانحلت قواه . والواقع أن هذا الفرعون قد أراد أن يترك الأمور في مختلف بقاع دولته تجري كما شاء القدر ، فكان لا يعير أذنا صاغية لأى توسل أو رجاء يأتيه من مختلف بقاع امبراطوريته ، ولم يحركه أى إنذار ينبئه بدتو الخطر المحدق بممتلكاته في « سوريا » فبعد حملة يقضى على الفتنة في مهدها ، بل كان منغمسا في ملاحيه بعاصمة ملكه « طيبة » . ومما زاد الطين بلة أنه لم يهتم بإصدار أوامر مشددة إلى هذه الأصقاع إلا بعد لأى وجهد ، يضاف إلى ذلك أن المناقسة ، والشره ، وجمع المال كانت مستحكمة بين عماله ، ولعبت دورها في تقويض بنيان الامبراطورية التى

(١) راجع المقال المتع الذى كتبه الأثرى « بندلبرى » عن علاقة مصر مع « كريت » وجزر بحر « إيجه » في عهد الأسرة الثامنة عشرة (J. E. A. Vol. XVI, P. 75 ff.) .

بناها جده العظيم « تحتس الثالث » في « سوريا » وبذلك تخلخل الحكم في هذه الولايات ، وانتشرت الفوضى في أرجائها .

✧ ويرجع الفضل في كشف النقاب عن هذه الحالة إلى وثائق « تل العمارنة » . وقبل أن نتكلم عن أهمية هذه الوثائق نضع أمام القارئ كيف عثر عليها .

لقد كانت بقعة « تل العمارنة »^(١) وهي « إختاتون » عاصمة « إختاتون » الجديدة معروفة منذ زمن بعيد للباحثين عن الكنوز القديمة ، كما كانت معلومة لرجال الآثار الذين كانوا يبحثون وراء العلم والدرس أمثال « لبسيوس » و«ولكنسون» وغيرهما ممن وقفوا حياتهم على التعمق في درس تاريخ مصر وآثارها ، غير أن الأنظار قد اتجهت إلى هذه البقعة بصفة خاصة منذ عام سنة ١٨٨٧ م ، حتى ذاع اسمها ، وعلا ذكرها لدرجة تفوق المعتاد ، وذلك على أثر عثور امرأة فلاحه من القرى المجاورة لهذا التل الأثرى في أثناء بحثها عن السماد في خرائبها ، على حجرة صغيرة كانت فيما مضى مستعملة مخزناً ، وكان هذا المكان هو الذي تحفظ فيه سجلات الفرعون ، وقد عرفنا ذلك من أختام على لبنات تدل على ذلك .

ولقد وجدت تلك المرأة المحظوظة عددا عظيما من اللوحات المصنوعة من الآجر المحروق مكتوبة بالخط المسماري البابلي ، فنقلت غنيمتها على ظهر حمارها ، وباعتها لحارها بمبلغ عظيم في نظرها وهو عشرة قروش ، ولقد ظنت في بادئ الأمر أنها قد غنبت المشتري في هذه الصفقة ، إذ وجد الأخير صعوبة في بيعها ، ولا غرابة في ذلك فإن هذه اللوحات لم يكن في شكلها أو صنعها ما يغري جامعي الآثار .

عرضت هذه اللوحات على تجار الآثار فقاموا بدورهم بإرسالها إلى الدكتور «أوبرت» في «باريس» ولم يمض طویل زمن حتى جاءهم الجواب بأنها من صنع يد حديثة ، ثم أرسل بعضها إلى المسيو « جريبو » مدير مصلحة الآثار المصرية

(١) هذا المكان كان يسمى في الأصل « التل » ، وهو قرية صغيرة ، غير أن علماء الآثار أطلقوا عليه « تل العمارنة » نسبة للقبيلة التي تسكن في هذه القرية . بنى عمران .

وقتئذ، فصمت عن إبداء رأيه كما كانت حالته . ولما شاع الخبر في نهاية الأمر بأن هذه اللوحات قليلة القيمة حملت في غرائر إلى «أنحيم» ومدينة الأقصر حيث كان ينادى على بيعها . ومما يؤسف له جد الأسف أن معظمها قد حطم في أثناء نقلها، وما بقي منها مما لم تنله يد التخطيم لا يعد إلا جزءا ضئيلا مما كانت تتألف منه هذه المجموعة في الأصل ، على أنه لو أتيح لها في هذه الفترة عالم يقدر قيمتها، واستولى عليها في الحال لكان لها شأن آخر أعظم مما هي عليه الآن . ولقد بدأت قيمة هذه اللوحات تعرف بعد أن تناولت يد التدمير معظم ما كان محفوظا في هذا المخزن الثمين ، فاشترى معظم ما بقي منها كل من متحفى «بريطانيا» و «برلين» ، ثم استولى متحف «سنت بيترز برج» ، ومتحف «باريس» على جزء صغير منها ، هذا فضلا عما تسرب للجمعيات الخاصة ، أما المتحف المصرى فلم ينل منها إلا نصيبا ضئيلا^(١) بالنسبة لما كان يجب أن تستولى عليه .

(١) ونجد الآن أن لوحات تل العمارنة موزعة على متاحف العالم كالاتى :

| | | |
|-----|------|---|
| ١٩٤ | لوحة | في متحف «برلين» . |
| ٨٢ | » | في المتحف «البريطانى» . |
| ٥٠ | » | في متحف «القاهرة» . |
| ٢٣ | » | في متحف «اشموليان» اثنان منها صحيحة فقط . |
| ٧ | » | في متحف «الوفر» . |
| ١ | » | في متحف «القسطنطينية» من «تل الحسى» في فلسطين . |
| ٤ | » | في حيازة «روستوفيتز» . |
| | » | في متحف «لينجراد» . |
| ١ | » | عند «أوبرت» . |
| ٢ | » | في متحف «متروبوليتان» . |
| ١ | » | في متحف «بركسل» . |
| ٨ | » | قطع ملك جمعية الحفر الانجليزية . |

وأوقع المصادر التى يعتمد عليها الآن لدرس هذه اللوحات اثنان وهما :

(1) Knudtzon, "Die el Amarna Tafeln" (1907 - 1715).

(2) Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", (1939).

ويلاحظ أن كتاب الأستاذ «مرمر» قد ألف على ضوء كل التراجم الحديثة والاضافات التى

عملت بعد سنة ١٩١٥ ، وسنعمد عليه في دراستنا هذه عند الإشارة إلى الخطابات .

هذه هي القصة المحزنة لهذا الكثر العظيم الذي بددته يد الجهل ، والذي يعد بحق أهم كشف حدث في المدة الأخيرة في مصر ، بل في كل بلدان الشرق القديم ، ولا غرو فإن هذه اللوحات التي وصلتنا من هذه الذخيرة التي لا يتجاوز عددها الثلاثمائة والستين ، والتي قد أخطأت يد الجهل تدميرها قد أسفر حل رموزها عن أنها كانت المراسلات السياسية للشئون المصرية الخارجية خلال عهد الملك «أمنحتب الثالث» ثم «أمنحتب الرابع»^(١) وتعد مدة حكمهما من أعظم عصور التاريخ المصري القديم . وقد أسفرت المعلومات التي تخضت عنها تلك الرسائل عن قبس من نور أضاء لنا الطرق المظلمة ، والمسالك المعماة ، لا في تاريخ مصر في هذا الوقت وحسب بل في كل تاريخ العالم القديم المتحضر في تلك الفترة . فقد كشفت لنا حقائق عن « بابل » وبلاد آمور ، ومملكة الآشوريين ، وبلاد متنى ، و « قبرص » و « كليكا » وكذلك كشف لنا عن بداية حركة اليهود ونزوحهم لأول مرة في الأرض الموعودة وإن كان هناك ما يدل على وجودهم قبل هذا العهد في عهد «أمنحتب الثاني» وما قبله كما ذكرنا من قبل . ولم تقتصر نقاسة هذه اللوحات على الناحية التاريخية فحسب ، بل لقد رسمت أمامنا صورة عن الحياة الاجتماعية في مختلف البلاد التي تناولتها . هذا غير ما بينته لنا من حياة هذه الأمم العقلية ، وما وصل إليه ملوكها وأمراؤها وحكامها من ميزان عقل ، حتى أن القارئ ليخيل إليه أحيانا ، وهو يقرأ حركاتهم وتقلباتهم الخلقية والسياسية أنه يعيش معهم أكثر مما لو كانوا أناسا يعاشروهم ويخالطهم الآن .

(١) كتب الأستاذ « البريت » مقالا عن الخطاب رقم ١٥٥ في هذه الرسائل ، وهو الخطاب الذي أرسله « أبميليكي » أمير « صيدا » إلى ملك مصر وقد ظن الكاتب أن الملك المقصود هنا هو « سمنخكارع » وأن اسم « مايا - آتي » هو « مريت آتون » زوجه — غير أن هذا الرأي لا يزال يحتاج إلى إثبات ونحيط J. E. A., XXIII, P. 190; Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", No. 155.

ولأنه لطريف حقا أن يقرن المؤرخ هذه الرسائل التي أحيت لنا عصرا غامضا في تاريخ العالم بعد أن كان عظاما نخرة بالكشف الحديث الذي أميط عنه اللثام عام ١٩٢٢ ذلك الكشف الذي هن أركان العالم وجعل الكل يتحول بضخامته وانقطاع نظيره ، تلکم هي مقبرة « توت عنخ آمون » وما عثر فيها من نفائس أثرية . على أن هذا المظهر من الاهتمام البالغ قد أنكره العالم على وثائق « تل العمارنة » ، ولا غرابة في ذلك فإن كشف « توت عنخ آمون » أسفر عن ذهب وأحجار كريمة ، وتمائيل فنية نفحة ، أما لوحات « تل العمارنة » فهي قطع من الآجر تزور عنها العين ، ويمجها الذوق السليم ، وقد كتبت بأحرف ليس فيها ما يلفت النظر . ولكن شتان بين ما أسداه كل منهما للعلم والتاريخ . حقا قد أهدى « توت عنخ آمون » إلى العالم ذهبا وتحفا فنية جميلة وحسب ، وأما الألواح فكشفت لنا حياة العالم في زمن قد انقطعت صلتنا به وكنا في جهالة عمياء بالنسبة لتاريخه ، ومع كل هذا فقد بيعت الألواح بأبخس الأثمان ، (عشرة قروش) ، وتقدر تحف « توت عنخ آمون » بالقناطير المقنطرة من الذهب . والظاهر أن هذه الألواح كان مقر جزء منها في « طيبة » فلما انتقل « أمنحتب الرابع » إلى مقره الجديد في « أختاتون » في السنة السادسة من حكمه نقل المراسلات التي كانت تجري بين والده وبين الملوك والأمراء ، ثم زاد عددها في أيام حكمه هو ؛ ولكن مما يؤسف له أن هذه الرسائل لم تكن تؤرخ بتاريخ محدودة تدل على وقت كتابتها ، وقد كانت تتبادل كما ذكرنا بين مصر وبابل و « متني » و « آشور » ومملكة « خيتا » ، وكان يذكر في كل رسالة اسم المرسل واسم المرسل إليه ، وباستقراءها وجدنا أن ما يقرب من نصفها قد كتب في عهد « أمنحتب الثالث » ، وأن نصفها قد أرسله الولاة الذين كانوا تحت حكم الفرعون في « سوريا » و « فلسطين » .

ويلاحظ أن رسائل الولاة لم يذكر فيها اسم المرسل إلا في أربعة خطابات أرسلها « أكيزي » (Akizzi) أمير « قطنا » وكلها كتبت في عهد « أمنحتب الثالث » ،

ونستخلص من رسائل «أكيزي» هذا أن الثورة التي قام بها «أيتاكاما» (Aitakama) ملك «قادش»، والزحف الذي قام به «أزيرو» حاكم أراضى «الأموريين»، وأول هجوم قامت به «خيتا» في عهد ملكهم «شوبيليو ليوما» على شمالى «سوريا»، وهو ما جاء ذكره في وثائق «بوغاز كوى» كل هذا قد حدث في عهد «أمنحتب الثالث»، بيد أننا نشاهد في الوقت نفسه أن ملك «خيتا» قد أرسل خطابا وديا «لأمنحتب الرابع» يهتته فيه بعرش الملك (الخطاب رقم ٤١)، وكذلك نجد بين الرسائل المؤرخة الأخرى خطابا من ملك «نوخاشي» (٥١) وآخر من ملك «توب» (رقم ٥٩)، وبعض خطابات «ريأدى» أمير «بلوص» (جبل) وقد كان يطلب فيها النجدة على «أزيرو» (راجع الخطاب ١٠٢ الخ).

ولم ينقطع تيار إرسال هذه الرسائل في عهد «أمنحتب الرابع»، وهذه يمكن معرفتها على وجه التأكيد إذ أنها تذكر حوادث وقعت في عهد والد المرسل إليه (راجع الخطابات ١٠٨ سطر ٢٨ الخ؛ ١١٦ سطر ٢١ الخ؛ ١٣١ سطر ٣٢ الخ؛ ١٣٢ سطر ١٠ الخ).

أما في الخطابات التي كانت ترد من «فلسطين» فقد وجدنا فيها مستندا لتحديد تاريخها، فنجد في خطاب «لا بايا» (٢٥٤) مكتوبا بالمداد بالخط الهيراطيقى ومؤرخا بالسنة الثانية عشرة من حكم «أمنحتب الرابع»، ومن ثم نعلم أن الخطاب الذى ذكر فيه موت «لا بايا» قد وصل إلى مصر بعد هذا التاريخ. أما أحدث خطاب وجد في وثائق «تل العمارنة» (١٧٠) فيذكر لنا هجوم «خيتا»، ويرجع تاريخه على حسب وثائق «بوغاز كوى» إلى ما قبل موت «أمنحتب الرابع» بزمان قصير جدًا.

ولدينا عن المدة التي قبل ذلك خطابات عن العصيان الذى قام به «عبدى أشرتا» والد «أزيرو»، وقد خصص لها «ريأدى» نصف الخطابات التي أرسلها إلى الفرعون (٦٨ — ٩٥)، وكذلك الخطابات التي كان قد أرسلها «عبدى أشرتا» نفسه (٦٠ الخ). كل هذه قد أرسلت في غضون حكم «أمنحتب الثالث».

ولدينا مصدر آخر هام لتحديد تواريخ هذا العهد، وهو سجلات «بوغاز كوى»^(١) (خاتوس) عاصمة مملكة «خيتا»، وبخاصة ما نعرفه منها عن المقدمات التاريخية التي كانت تفتح بها المعاهدات التي أبرمها ملك «خيتا» «شوبيليو ليوما» مع الأمراء الذين انتصر عليهم، ولكنا تنقصنا التواريخ في هذه أيضا، بيد أننا عندما نربط المعلومات التي نجدها في كلا المصدرين «الخيتي» و«المصري» فإنه يصبح من السهل علينا الوصول إلى تحديد الزمن أو التاريخ الذي وقعت فيه الحادثة على وجه التقريب .

ولدينا تاريخ محدد ذكره «مورسيل» الثاني ملك «خيتا» وهو أنه في أثناء ما كان والده «شوبيليو ليوما» يحاصر «كر كيش» أرسل القائدان «لوباكي» و«تشوب سلمان» ليفتحا إقليم «عمق» (وهو الوادي الذي بين جبلي لبنان)، وكانت النتيجة أن دحر المصريون، وولوا هاريين، هذا إلى أن ملكهم «ينخوريا» قد مات (أي أمنتخب الرابع)، وأرسلت أرملته إلى ملك «خيتا» ترحوه أن يرسل ابنه ليكون زوجها لها^(٢)، لأنه ليس لها ولد يتولى عرش الملك، وقد قتل هذا الأمير

(١) كان أول من عثر على سجلات «بوغاز كوى» في بلدة «بوغاز كوى» ونشرها في عام ١٩٠٧ هو «هوجوفنكلر» (Hugo Winckler)، وهذه السجلات تبحث في تاريخ «خيتا» في ألف السنة الثانية قبل الميلاد . وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة أخذ العلماء في الاهتمام بهذه السجلات والبحث في محتوياتها، ونخص بالذكر منهم «هرزني» (Hrozny)، و«فيدنر» (Wiedner)، و«سومر» (Sommer) وفي ١٩١١ جمع «مشرمت» سجلات ملال لكل متون «خيتا»، ولكن منذ ذلك الوقت نشرت وثائق كثيرة، وبخاصة «فيدنر» فإنه قام بعمل طبعة شاملة في عام ١٩٢٣ (راجع Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 829; Meyer, "Gesch.", II, 1, P. 336. note 2. ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الكثير من متون سجلات «بوغاز كوى»، وكذلك من خطابات «تل العمارنة» لا يزال غامضا، غير أن ما حل منها تماما قد كشف النقاب عن علاقة مصر ببلاد «خيتا» وغيرها من البلدان المتاخمة التي كانت لها صلة بالدولة الأخيرة أو بمصر في تلك الفترة .

(٢) راجع : Meyer, "Gesch. II, 1. P. 337, note 2.

في مصر كما أشرنا الى ذلك من قبل ، وعلى أثر ذلك قام ملك « خيتا » ينتقم لأبنيه بإعلان الحرب على مصر ، وقد ذكر الغزو الذي قام به « لوباكي » في « عمق » في الخطاب الذي أرسل للفرعون (١٧٠) بين خطابات « تل المارنة » ، وعلى ذلك فقد صار من المستحيل أن نجد بعد موت « أمنتب الرابع » الذي تلاه نقل العاصمة إلى « طيبة » خطابات قد وضعت في سجلات « تل المارنة » ، وعلى ذلك فلا شك أن « يخوريا » هو لقب العرش الذي كان يحمله « أمنتب الرابع » ، وهو بالمصرية « نقر خبرع » ، وأن الخطاب الذي أرسل إلى ملك « خيتا » قد أرسل في آخر سنة من سني حكمه ، ولدينا مستند آخر لتحديد هذا الحادث وهو ما جاء في قول الملك « مواتلا » بأن جده « شوبيليو ليوما » قد ظل يحارب « الخاري » (متنى) في « سوريا » ستة أعوام ، وفي خلالها امتد سلطانه على « قادش » وبلاد « آمور » ، وبأنه انتصر على المصريين ونصب ولديه ملكين على « حلب » و « كركيش »^(١) ، وفي خلال هذه المدة مات « أمنتب الرابع » ، ويرجح أنه مات في نهايتها . وأكبر مدة يظن أن « أمنتب » قد حكمها ثمانى عشرة سنة ، وهو التاريخ الذي وجدناه على إناء من الحجر^(٢) ، ولا يظن أنه قد حكم أكثر من هذه المدة . وعلى ذلك فالخطابات التي تنسب إليه من « تل المارنة » تنحصر في مدة لا تتجاوز ثمانى عشرة سنة ، وفضلا عن ذلك نعلم من صور مقابر « تل المارنة » أنه قد قدم لهذا الفرعون الجزية والأسرى في السنة الثانية عشرة من حكمه من بلاد « سوريا » ومن بلاد « النوبة »^(٣) ، وفي نفس هذه السنة أرسل العاصي « لابايا » خطابه الذي

(١) راجع : Forrer, "Forschung" II, 10.

(٢) راجع : Gauthier, "L. R., II, P. 343.

(٣) راجع : Davies, "El Amarna" II, P. 40 ff, Pls. XXXVII – XL,

Meryra II; Vol. III, P. 9 ff. Pls. XIII – XV.

يفيض بالولاء^(١) (٢٥٤) . وكان قبل ذلك قد أرسل جيش مصر إلى « سوريا »
لتهدئة الثورة ويحتمل أنه أرسل في السنة الحادية عشرة من حكم « أمنحتب الرابع » ،
وقد انتصر انتصارا عظيما بعد جهد جهيد ، ومن الجائز أن هذا الجيش لم يشتبك
في حروب مع ملك « خيتا » نفسه بل كان يحارب العصاة الذين كان يحرضهم
هذا العاهل .

• وقد وضع لنا الأستاذ « فورر » تاريخا مؤكدا عن هذا العهد، وصل إليه عن
كسوف للشمس حدث في السنة التاسعة من حكم ملك « خيتا »^(٢) « مورسيل »
الثاني وذلك على حسب ما جاء في سجل تاريخ حياته ، وقد كان يحارب في بلاد
« أزي » وقد استمرت هذه الحروب مدة عشرة سنوات ، وقد دلت البحوث
الفلكية على أن هذا الكسوف حدث في مارس عام ١٣٣٥ ق . م . وعلى ذلك
يكون « مورسيل » قد بدأ حكمه سنة ١٣٤٤ ، وعلى أية حال فإن أقصى تاريخ بدأ
فيه « شوبيليو ليوما » حكمه هو عام ١٣٤٦ ق . م . إذ قد حكم بينه وبين
« مورسيل » الثاني ، « أرنواندا » الثالث مدة قصيرة ، يضاف إلى ذلك ما ذكره

(١) وفيه يقول : ” إلى الملك سيدى وشمسى . هكذا يقول « لا بايا » خادمك ، والتراب الذى تدوس
عليه ، وإني أركع عند قدمى الملك سيدى وشمسى سبع مرات ، ولقد سمعت الكلمات التى كتب بها إلى الملك .
ومن أنا الذى ينبغي لللك أن يفقد أرضه من أجل ؟ تأمل إني خادم الملك الأمين ، ولم أرتكب جريمة ولم
أقترف ذنبا ، ولم أرفض دفع جزيتي ، ولم أعص طلب تائبى ، تأمل ! لقد هجيت وأسيتت معاملتى ، غير أن
الملك سيدى لم يعلق بجريمى ، يضاف إلى ذلك أن جريمى هو أنى دخلت « جازرى » وقلت : لقد استولى
الفرعون على كل مناعى جميعا ، ولكن أين كل ما يملكه « ميلكيلو » ؟ أنى أعرف عمل ميلكيلو ضدى “ .
يضاف إلى ذلك : أن الفرعون قد كتب عن أمر « دوميا » (يجوز أنه ابن « لا بايا » نفسه) وأنى لا أعلم إذا
كان « دوميا » قد ذهب مع أهل « ساجاز » (البرانيون) ، غير أنى قد وضعت أمانة فى يد « أدايا » ،
يضاف إلى ذلك أنه فى حالة ما إذا كتب إلى الفرعون أن أرسل إليه زوجى فهل أرفض ذلك ؟ وإذا كتب
إلى الفرعون أن أطمع صدرى بنخجر من البرنز وأموت فهلا أتخذ أمر الملك ؟ (راجع Mercer,
“The Tell el Amarna Tablets”, II, No 254.)

(٢) راجع : Forrer, ibid. P. 2 ff.

«شوبيلوليوما» من أن «مورسيل» قد أقام عيداً في السنة الخامسة عشرة من حكمه (١٣٣٠ ق م) في نهر «مالا» شكراً للإله الذي منع الطاعون الذي كان قد تفشى في بلاده خلال الحملة التي قام بها والده على المصريين لقتلهم أحد أولاده، ويذكر أن هذا الطاعون قد استمر يفتك بالبلاد عشرين حولاً كاملاً، ومن ذلك نستنبط أن هذه الحرب قد شبت نارها عام ١٣٥٠ ق م. أي قبل موت طاهل «خيتا» «شوبيلوليوما» بخمسة أعوام، ونحن من جهتنا نعلم أن «أمنتب الرابع» قد توفي حوالي عام ١٣٥١ ق م.

غزو قبائل البدو السامية البلاد المتحضرة

الآراميون والإسرائيليون :

لقد كانت قبائل البدو العنصر الذي نزع إلى كل أنحاء «سوريا» منذ بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد جاء ذكر هذه القبائل في خطابات «تل العمارنة» والواقع أنهم غمروا هذه البلاد وهددوا مدنها، واتخذهم الأمراء في خدمتهم، ليزيدوا من قوتهم، ومد سلطانهم في حروب بعضهم مع بعض، ثم تركوا لهم البلاد المغلوبة على أمرها ليتخذوها مقراً لهم ومسرحاً لنهبهم، وقد كان يطلق على هذه القبائل المغيرة اسم «خيري»^(١) وكذلك كانوا يسمون «ساجاز» أو «جاز»

(١) جاء اسم هؤلاء القوم بلفظة «عبرو» في اللوحة التي كشف عنها الدكتور «أحمد بدوي» في «منف» وهم خيرو الذين ذكروا في خطابات تل العمارنة (راجع الجزء الرابع ص ٦٦٦ Meyer, "Gesch." II, 1. P. 342.) ويقول أولبريت في كتابه (Albright, "From the Stone Age to Christianity", P. 182.) إن البراهين تراكم تباعاً بما يشعر أن العبرانيين القدامى كان لهم صلة بالعبرو (خيرو) الذين قاموا بدور هام في الوثائق المسارية التي يرجع عهدها إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر، وكذلك في الوثائق النوزية، والخيتية، وخطابات تل العمارنة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر. ففي «مسوبوتاميا» وسوريا ظهروا بأنهم جنود لا وطن لهم، إذ كانوا ناهبين وأسرى وعبيداً من أجناس مختلفة، وقد ذكروا كثيراً في فلسطين في الرسائل الكنعانية من القرن الرابع عشر بوصفهم مغيرين وعصاة على السلطة المصرية، وقد كان ينضم إليهم أحياناً الكنعانيون.

وحسب . وهذه التسمية وجدت في البابلية أيضا ، ووردت كثيرا في المتون « الخيتية » ، وعلى الأخص في أسماء مجموعة آلهة في وثيقة معاهدة في نهاية قائمة طويلة بأسماء آلهة خيتية ، غير أنها ذكرت قبل آلهة العالم السفلي ، وقبل كل مجموعة الآلهة الذكور والإناث لبلاد « خيتا » وميزت بأنها آلهة « لولاشي » وآلهة « خييري » ، ومما لا شك فيه أنها لا تدل على اسم جنس بل تميز اسم جماعة معينة من السكان . أما عن « لولاشي » فلا نعرف شيئا أكثر من هذا ، ولكن « خييري » هم قبائل رحل من البدو كما ذكر في خطابات « تل العمارنة » ، وقد استوطنوا آسيا الصغرى مع سكانها الأصليين ، وكان من الصعب على « خييري » وعلى الساميين أن يستوطنوا ، في سهول « سوريا » وما بين النهرين ، والصحارى السورية العربية . وقد جاء ذكر قبائل « سوتى » (البدو) مع « خييري » في وثائق « تل العمارنة » وقد كانوا يعملون جنودا مرتزقة أو يجتمعون جماعات للسلب والنهب . وهؤلاء الساميون الذين أغاروا على البقاع المتمدينة في « سوريا » وأرض « نهرين » ، قد ذكروا لأول مرة في الوثائق الآشورية في عهد الملك « أريكديلو » ، وقد حاربهم بوصفهم قبائل « أخلامى » وقبائل « سوتى » (البدو) . وفي المتون التي جاءت بعد كانت قبائل « إخلامى » تسمى كثيرا الآراميين ، يضاف إلى ذلك أنه قد وصل إلينا متن مهشم جدا من خطابات « تل العمارنة » يتكلم عن هؤلاء القبائل بمناسبة الكلام عن « كاردونياش » (راجع خطاب ٢٠٠) ، وكذلك نعرف أن الملك « سلما نصر الأول » ملك « آشور » (١٢٨٠ ق م .) كان متحالفا مع مملكة « متنى » و « خيتا » وقوم « الإخلاميين » ، يضاف إلى ذلك أن « خاتوسيل

= أما لفظة « خييرو » فقد جاءت في الخطابات التي كان يرسلها « عدى خيا » للفرعون (راجع الخطاب ٢٨٦ سطر ١٩ ، ٥٦) . أما عن توحيد لفظة خييري بلفظة « ساجاز » فقد فحص الأستاذ « بول » Böhl. (راجع P. 87. "Kanaanäer und Hebraier") ، وأثبت في النهاية أنها كلمتان مترادفتان وحسب ، وإن كانت كلمة « ساجاز » تدل على معنى أوسع (راجع Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 844 .

الثالث « (١٢٨١ ق.م.) ملك «خيتا» يقص في إحدى كتاباته إلى ملك « بابل » غارة « الإخلايين »^(١) على رجال سفارته في أثناء سيرهم في هذه الأصقاع ثم بعد ذلك الوقت نشاهد أن كل شمالي بلاد « نهرين » و « حران » و « نصيين » و « شمالي سوريا » إلى ما وراء دمشق ثم إلى منبع نهر « الأردن » قد احتلها « الآراميون » وأحلوا لغتهم محل اللغات القديمة التي كانت سائدة في هذه الجهات ، وكذلك أخذ سلطانهم يمتدّ بدون انقطاع في بلاد « بابل » . وقد تحدثت إلينا خطابات « تل العمارنة » عن بداية طغيان هؤلاء القوم من الساميين الرحل على البلاد المتحضرة عندما هجروا وطنهم المقفر، وتدل ظواهر الأحوال على أن الإسرائيليين كانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا العرى مع الآراميين في تقاليدهم القومية، فنجد أن أجداد هؤلاء يرجع أصل تكوين أساطيرهم وعاداتهم الدينية إلى أقصى بقاع جنوبي فلسطين وشرق نهر الأردن (نهر العاصي)، وهم في ذلك يتصلون في سلسلة النسب إلى الآراميين، وهم على العكس من الكنعانيين الذين لا تربطهم بهم أية رابطة . فالإسرائيليون^(٢) ليسوا فلاحين متوطنين مثل الكنعانيين، بل هم قوم رعاة رحل، فقد نزع إبراهيم عليه السلام بعد ولادته إلى حوران ومن ثم إلى « حبرون » وقد جاء في كتاب التشبه صحاح ٢٦ سطره فصل القربان، أن جد هؤلاء القوم آرامي (ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك آراميا تائها كان أبي) . والواقع أننا نعرف

(١) راجع : Keilschrifttexte aus Boghaz Koi. I, 10. Zl. 37, Winckler,

“Mitteilungen der Deutschen Orient gesellschaft”, 35, 22-

(٢) وتدل البحوث على أنه من الجائز جدا أنه كانت توجد روابط بين العبرانيين و « خيرى »

وهذه الروابط لغوية وتاريخية . غير أننا مع ما لدينا من معلومات في هذا الصدد لا يمكننا أن نجزم في هذه الصلة بصفة قاطعة ، ومن المحتمل أن أحسن نخرج من هذا المأزق أن نوكد بوجود علاقة بين

العبرانيين (خيرى) والإسرائيليين ، وفي الوقت نفسه نميز بينهما بأن كل الإسرائيليين كانوا من العبرانيين

(خيرى) ولكن ليس كل العبرانيين إسرائيليين (راجع : Selin, “Gesch. des Israelitisch-

Judischen Volkers”, I, P. 16-23.

أن الإسرائيليين قد تدفقوا على الأراضي الجبلية في فلسطين (افرايم) في القرن الرابع عشر إذ تدل الآثار على أنهم في عهد «مرنبتاح» بن «رعسيس الثاني» كانوا قد استوطنوا هذه البقاع فعلا، ومن أجل ذلك لا يمكن أن نرجع غزوهم فلسطين إلى عهد «سيتي الأول» أو عهد «رعسيس الثاني» بل لا بد أنهم قد قاموا بغزوهم هذا في عهد قبل «أمنحتب الثاني»، والظاهر أنهم قبل ذلك الوقت كانوا يسكنون الشمال الغربي لبلاد العرب أي في أرض «مدين»، فكانوا يضربون خيامهم في منطقة سيناء البركانية، ومن ثمّ اعتنقوا عبادة التوحيد في بيت الإله «يهوه» إله النار، وقد كان عرشه على صورة صندوق وهو تابوت «يهوه»، وكانوا يحملونه معهم أينما ساروا ويسكن بينهم أينما حلوا .

وبعد استيطان بني إسرائيل في فلسطين وتوسع الآراميين في احتلالهم بلاد سوريا وبلاد النهرين نتيجة لهجرة متتابعة لهؤلاء الناس ، وقد حفظت لنا وثائق تل العمارنة لمحة عند بدايتها «نهرين» ولا يبعد إذن أن الإسرائيليين كانوا فيما سبق في الوقت نفسه يتكلمون لهجة آرامية أيضا ، وأن اللغة العبرية قد انتقلت إلى الكنعانيين لأنهم كانوا يقيمون معهم .

وبنذ ذلك العهد كان الأجانب الذين على اتصال بالإسرائيليين يطلقون عليهم اسم «عبرين» أي العبرانيين ومن ثمّ سميت لغتهم العبرية، وهذه التسمية ليست اسما لقوم من الناس بل نعتا لهم ومعناه قوم من العبر المقابل لنهر الأردن (وكلمة عبر في العربية معناه شاطئ النهر أو البحر) . ومما يدل على أن العبرانيين كان لهم على ما يظهر في الأصل أهمية واسعة النطاق أن قبائل الألواح «يهوا» التي أنزلت على «موسى» قد أطلقوا كلمة «عابر» الجذ الأول لجنسهم على كثير من القبائل العربية، وعلى الجذ الأول «سام» (سفر التكوين الاصحاح العاشر سطر ٢٣ الخ) : (وسام أبو كل بنى عابر) . وبنو «سام» هم قوم لهم اسم يتسمى به أشراف البدو الذين لهم سلسلة نسب، كما أن «بنى إسرائيل» لهم كذلك سلسلة نسب، وذلك خلافا

لسكان المدن الذين ضاعت أنسابهم على الرغم من أنهم من أصل عريق . ومما سبق نجد أن كلمة « عبرى » لها علاقة وثيقة بكلمة « خيرى » من جهة النطق ومن جهة المعنى ، لا يمكن التغاضي عنها هنا ، ذلك أن هناك وجه شبه بين كلمة « عبرى » وكلمة « خيرى » فى النطق ، يضاف إلى ذلك أن الكلمة تدل على عنصر من الناس فى آسيا الصغرى الخيتية . ولكنا لا يمكننا أن نتكلم هنا بنفس المعنى المعتاد الذى نطلقه على العبرانيين ، فمن الجائز أن هذه التسمية التى كانت فى الأصل تطلق على قبائل البدو الجائلة فى فلسطين ، قد حُرِفَ القوم اشتقاقها وجعلوها مشتقة من كلمة عبرى أى الذين من العبر المقابل لنهر الأردن .

وعلى أية حال فإنه ليس هناك مجال للشك فى توحيد كلمة عبرانيين أو إسرائيليين بقوم خيرى الذين جاء ذكرهم فى خطابات تل العمارنة^(١) .

الثورات فى عهد أمنحتب الثالث

إن أول تعدي قامت به مملكتنا « خيتا » و « متى » على الأملاك المصرية كانت باكورة الأخبار التى وصلت إلينا عن زحف خيرى (العبرانيين فيما بعد) وقد جاءتنا عن طريق خطابات تل العمارنة التى أرسلها أمير « جبيل » « بيلوص » « ريبادى » (رب هداد) إلى الفرعون ، إذ كانت رسائله التى لا ينقطع معيها مفعمة بالشكوى عما كانت تحدثه عصابات اللصوص من الأضرار الجسيمة مما جعل بلده فى مأزق حرج حتى أن أميرها اضطر فى آخر الأمر أن يطلب المعونة من المؤن من دلتا النيل ، وقد توه فى هذه الخطابات إلى أن الحال إذا استمرت على هذا المنوال فإن كل إمارته قد تصبح على وشك الإفلات من سيطرة الفرعون . وقد كتب للفرعون « أمنحتب الثالث » (الخطاب ٨٥ سطر ٦٩) يقول : ” منذ ذلك اليوم الذى غادر فيه

(١) راجع ما كتب عن « خيرى » و « ساجاز » فى خطابات تل العمارنة فى كتاب : Mercer,

“The Tell el Amarna Tablets”, II, P. 838 ff.

والدكم « صيدا » وأظهر فيه عطفه على بلاد « خبيري » لم يعد في استطاعتي أن أحصل على شيء ، وهذه العبارة تدل على ظاهرة وهي أن الاضطرابات في هذه الأصقاع كانت قد شملت كل مدة حكم « أمنتب الثالث » ، ولقد قام مرة « باخامناتا » (Pachamnata) قائد « سميرا » وحاكها (ريص) من قبل الفرعون بتخليص « ببلوص » (جبل) ، ولكن لم يمض زمن طويل حتى أصبحت « سميرا » نفسها مهددة^(١) ، وقد كان المهاجم هنا « عبدى^(٢) أشرتأ » أمير بلاد « الأموريين » ولكنه أرسل خطابا إلى « باخامناتا » « سيده » يبرر فيه هجومه بقوله إنه في أثناء غيابه هاجم قائد بلدة « شخلال » « سميرا » ولذلك طار بجيشه من « عرقا » (إرقاات irqaat) وخلص المدينة والقصر من يد الغاصب ، ثم هو يرجوه الآن أن يرسل إليه نجدة من الجنود . وكذلك أوضح للفرعون في خطابه هذا أنه يحافظ على سلطان الفرعون في كل بلاد الأموريين و « أولآزا » Ullasa و « سميرا » (راجع الخطابات ٦٢ ، ٦٠ ، ٦٤) ، والواقع أن هذا الولاء لم يكن إلا رياء ومداينة ، إذ أنه قد صار بجيشه وهو لا يزال يعترف بسلطان الفرعون ، واستولى على كل بلاد الساحل ، ثم اتضح أنه كان على اتصال وثيق بعصابات المغيرين من « خبيري » ، هذا إلى أنه كان يحرض سكان الولايات المصرية بالثورات على الحكم الفرعوني . ولقد كان لهذه التحريضات أثرها الفعال في كثير من الإمارات فقد قتل أمير « أمي » وأمير « عرقا » (Arqa) بسبب هذه الدسائس والفتن ، وكذلك أفلت « ريبادى » من أحبولة مؤامرة حيكت لقتله ، غير أنه جرح جرحا بليغا ، هذا إلى أن الأحوال قد تحرجت في إمارة « ريبادى » إذ انتزعت منه بلادها الواحدة تلو الأخرى وانتهى الأمر بضياح (باترون Batrun) الواقعة شمالي « جبل »^(٣) . ولما رأى الفرعون أن الثورات

(١) راجع خطاب ٦٨ (٢) راجع كذلك الخطاب رقم ١٣١ سطر ٣٢ الخ ، حيث نجد

« ريبادى » يقص علينا أن أمنتب الثالث أرسل « باخامناتا » بجيش صغير .

(٣) . وهذه الحقائق نستخلصها من الخطابات ٧١ — ٩٣ .

لا ينقطع حبها بل تجدد كل يوم أرسل عامله «أمانابا» (أمنوبي) الذي كان مقبلاً في البلاط وقتئذ ، وكان قبل ذلك نائباً للملك على هذه الإمارات ، وجهزه بجيش صغير ، وتدل ظواهر الأمور على أنه وصل فعلاً بجيشه إلى «سميرا»^(١) ، لكنه لم يعجز عن السيطرة على الموقف وحسب ، بل كان مجيئه نكبة على «بلوص» (جيل) التي كانت أكبر معقل للسيادة المصرية في هذه الممتلكات (راجع الخطاب رقم ٧٩) ؛ يضاف إلى ذلك أن «زيمريدا» أمير «صيدا» قد انحاز إلى جانب «عبدى أشرتا» ، على أنه لم يعق هذا الحائن أن يرسل للفرعون «أمنحتب الثالث» وإلى عماله خطابات ولاء ويطلب إلى الفرعون المعونة على «الخيري» ويرجوه إرسال جيش ، ومن جهة أخرى نعلم أن أمير «صور» قد قتل ومعه أخت «ريبادى» وأولادها الذين احتموا في هذه المدينة ، ومن ذلك يرى المرء كيف أن الضرورات قد أخرجت مراکز الأمراء في تلك الجهات إلى درجة جعلتهم يعقدون معاهدات مع أى الفريقين المتناهضين على السلطة إبقاء على حفظ مكانهم ، وبقيت «بلوص» معلقة في يد القدر يحفظها الخطر^(٢) الداهم مدة ثلاث سنوات ، وبخاصة أن المؤنة لم تكن تصل إليها من الدلتا إلا ببطء وتراخ ، وقد شكى «ريبادى» من هذا الحال مرة الشكوى حتى صرح بأنه سيضطر أنحر الأمر إلى تسليم سكان بلاده ، وكذلك أولاده حتى يمكنه أن يدفع ثمن ما يقتات به ، ثم يقول : «إن حقلى قد أصبح كالمرأة التى لا زوج لها لأنه يعوزه الزرع» . وفى نهاية الأمر هدد بأنه إذا لم يصله جواب ، أو يرسل جيش لنجدته فى خلال شهرين فإنه سيضطر لعقد مهادنة مع «عبدى أشرتا» ، أو أنه يقتل نفسه وأهله ، وبذلك يتخلص من الحياة وأعبائها ، (راجع الخطابين ٨٢ ، ٨٣) ، ولقد كان لهذا الخطاب أثره إذ وصف لنا «ريبادى»

(١) راجع الخطاب ٨٥ ، سطر ١٩ الخ ، حيث يطلب «ريبادى» ٤٠٠ رجلاً و ٣٠ زوجاً من الخيل كما كان قد أعطى «سوارتا» صاحب «عكة» لمساعدته . (أقرن الخطابات ٨٨ ، ٤٦ ، ٨٩ ، ٢٩ ، ٢٣٢) .

(٢) راجع الخطابات ٨٥ ، ٨٦ الخ ، و ٣٨ ، ٨٦

المخرج من المأزق فيما بعد بقوله : " عندما استولى « عبدى أشرتاً » على « سميرا » وكانت المدينة تحميها ثلة صغيرة من الجنود ، وفي تلك الأثناء لم يكن معى جنود حامية كتبت آنثذ للفرعون سيدى ، فأمدنى بجيش استولى على « سميرا »^(١) ، وكان قائده « ينخام » موضع ثقة الفرعون فى الأراضى السورية ، والظاهر أن « عبدى أشرتاً » انضم إلى القائد ، وأصبح فى سلم مع مصر مما اضطره إلى إعادة « سميرا » وقصر حكمه على بلاد « أمور » .

وفى خلال تلك الاضطرابات أخذت الأمم المجاورة تتدخل فى الممتلكات المصرية ، وبخاصة مملكة « متنى » ، وبلاد « خيتا » غير أن الخطابات التى تشير إلى ذلك كانت مختصرة ولم يفهم كنهها ، فقد كتب « ريادى » بعد أن كان فى ضائقة شديدة أن ملك « خيتا » قد تم له النصر ، (راجع خطاب ٧٥ سطر ٣٦ الخ) ؛ وكذلك كتب للفرعون أمير مجهول الاسم أن ملك « متنى » قد خرج عليه بخياله ورجله ، وكذلك نعرف عن طريق « ريادى » أن ملك « متنى » قد وصل فى زحفه حتى « سميرا » ، وأنه كان مواصلاً زحفه نحو « جيل » (بيلوص) ، ولم يجبره على النكوص على عقبه إلا قلة الماء ، وفضلاً عن ذلك كان يريد نهب أراضى الآموريين (الخطاب ٥٨) .

ولا ننسى أن نذكر هنا أن « دوشرتا » ملك « متنى » بعد أن استولى على عرش بلاده ، وأبعد قاتل أخيه جدد العلاقات الودية التى كانت بين والده وبين « أمنحتب الثالث » ، وقد كتب له أن « خيتا » هاجمت بلاده ولكنه انتصر عليهم ، ولذلك فهو يرسل إليه هدية من الغنائم التى استولى عليها وتتألف من عربتين يجيادهما وغلाम وفتاة^(٢) ، ونلاحظ أن ملك « خيتا »

(١) راجع الخطاب رقم ١٣٨ سطر ٢٨ الخ .

(٢) الخطاب رقم ١٧ سطر ٣٨ الخ ، وفى هذا الخطاب نقرأ أنه قد أرسل هدايا لأخته « جيلوخيا » تشمل عقوداً وأقراطاً وآنية مملوءة بالزيت الطيب وقد أرسل رسوله « جليا » وآخر معه ، ورجا ملك مصر أن يسرع فى عودتهما حتى يسمع بهانيه له بهذا النصر ، وأن أوامر المصادقة قائمة بينهما .

« شو بيلوليوما » قد ذكر في مقدمة المعاهدة التي أبرمها فيما بعد مع ابن «دوشرتا» النصر المؤقت الذي أحرزه هذا الأخير. ولقد كان من البدهى أن يستغل «دوشرتا» تدخله في الحرب التي أعلنتها « خيتا » على شمال «سوريا» بحجة أنه حليف مصر، ولكن غرضه الثاني هو توسيع نفوذه بزحفه في الجنوب، ولكن من جهة أخرى قام يعارضه «عبدى أشرتا» وتحالف مع « خيتا »^(١).

على أن تدخل الجيش المصرى بإمرة «يانخام» لم يأت بنتيجة حاسمة في إعادة الأمن إلى نصابه، إذ نفهم إجمالاً من خطاب غامض المعنى أن «عبدى أشرتا» قد قتله نفر من الجند، اجتاحوا بلاد الآموريين، وأن حصن جزيرة «إروادا» (ارواد) (التي لا نعلم قط أنها كانت تحت النفوذ المصرى) قد تدخلت في هذه المعركة واستولت بسفنها على الأماكن الساحلية^(٢)، وقد طلب «ريبادى» إلى ملك مصر أن يحجز سفن هذه المدينة (أرواد) في مصر، غير أن طلبه لم يلق أذناً صاغية ورجعت السفن إلى مينائها دون أية معارضة من جانب المصريين، هذا فضلاً عن أن ممتلكات «عبدى أشرتا» قد آلت إلى ابنه «أزيرو» وإخوته، وكذلك كان في مقدورهم أن يعيدوا الاستيلاء على «أولوذا» و«أرداتا» و«أمبيا» و«شيجاتا» وغيرها، ثم أخضعوا «عرقا» و«سميرا» (خطاب ١٠٥). وقد كان أمير كل مدينة لا يخضع لرعوية «أزيرو» يعذب عذاباً أليماً^(٣) وقد أصبح كل الإقليم الواقع بين «ببلوص» حتى «أوجاريت» (رأس الشمرة) موحدًا في عدائه «لأزيرو» في حين أن «ينخام» الحاكم المصرى كان لا يبدى حراكاً أمام ما يرى، وقد كانت كل توسلات «ريبادى» وإنذاراته بالخطر

(١) ولذلك نجد ملك الآشيا (قبرص) في خطاب أرسله إليه (٣٥ ، ٤٩) بالاً يعقد معاهدة مع ملك «خيتا» ولا ملك «سنجار». أما من جهتي فإن أية هدايا قد أرسلها لى أننى فقد أرسلت لك ضعفها وقد آتى إلى رسولك في ميعاده ورسولى سياتى إليك في ميعاده.

(٢) راجع الخطاب ١٠١ (٣) راجع الخطابات ١٢٥ ، ٣٥ ، ١٣٠ ، ٣٢.

المحقق الذي كان يديه الحاكم « ينغام » ليحفزه على إرسال طلب نجدة على جناح السرعة من مصر لحماية « جيبيل » قد ذهبت أدراج الرياح (خطاب رقم ٩٨) ولما أعيت « رييادي » الحيل ، واستولى اليأس عليه انسحب من المدينة ، وقد حاول « ينغام » في خلال تلك المدة أن يأتي بنجدة من « سميرا » ولكن بدون جدوى ، وقد كان يحاصر المدينة أولاد « عبدى أشرتا » برا وسفن « أرواد » بجرا حتى أصبحت حبيسة كأنها طائر في قفص^(١) .

يضاف إلى ذلك أن « زيمريدي » أمير « صيدا » تحالف مع أولاد « عبدى أشرتا » و « إرواد » وحاصر معقل جزيرة « صور » وقطع المياه عن المدينة وبعض المؤن كما قبض على رسول « أيميلكي » ملكها ، وبذلك قطع كل مواصلة بين « أزيرو » ومصر .^(٢)

وفي نهاية تلك الحروب التي مكثت مستمرة مدة عام وصل « أزيرو » على رأس إخوته إلى القوة والسلطان اللذين كان يتمتع بهما والده ، غير أن الحوادث كانت تجري سراعا ، إذ كان « أزيرو » قد أوثق عروة التحالف مع « إيتا كاما » ملك مدينة « قادش » العظيم ، الواقعة على نهر « الأرنط » (نهر العاصي) وراء بلاد الأموريين ، ومنها سار يبيشه نحو « عمق » وهضبة البقاع الواقعة بين جيلي « لبنان » ثم أرض « أوبي » وسهل « دمشق » ليخضعها جميعا ، وفي إقليم « أوبي » نجد أن « أرزاويا » أمير « روخيزي » و « تواتي » أمير « لابانا » قد تحالفا معه ، وكذلك هذا حذوهما « داشا » في « عمق » . أما الأمراء اللذين

(١) ولذلك نجد أن « رييادي » يطر القرمون وابلا من الرسائل (راجع ١٠٤ ؛ ١٠٥ ؛ ١٠٧ ؛

١٠٦ ؛ ١٠٣ . وكذلك راجع الخطابات التي تبودلت بين « يباخ أدى » أو « ينغام » (٩٨ ؛ ١٠٢) .

(٢) لا نزاع في أن خطابات أيميلكي صاحب « صيدا » (١٤٦ ؛ ١٤٧ ؛ ١٥١) قد كتبت

في هذا العهد ، ولا أدل على ذلك من أنه يقص هنا في الخطاب ١٥١ سطر ٥٩ الخ أن « إيتا كاما »

صاحب « قادش » وأزيرو قد هاجما « تامياوزا » .

بقوا على ولائهم لمصر ، فقد حرقوا بلادهم على مرأى منهم ، وقد استجاروا بملك مصر ليرسل إليهم النجدة ، فلم يجدوا أذنا صاغية . هذا فضلا عن أن أمير « نيا وازا » المجاور لهذه الإمارات قد رأى بعينه بلاده تخرب وأصبحت في خطر ، وأغلقت بلدة « يا نو عام » أبوابها في وجهه . وقد انضم ضد صفوف العدو كثير من الأمراء الآخرين مثل أمير « بوصرونا » (يحتمل أنها البصرة في حوران) وكان يسعى لحماية إقليم « تاخاس » ودمشق « وقلعة » كوميدى « عند مدخل » البقاع الجنوبي ، ولكن على ما يظهر سقطت « دمشق » في يد « أزيرو » أيضا .

وقد سهل النصر لكل من « إيتا كاما » و « أزيرو » تحالفهما مع خيتا ، وقد بدأ « شوبيليو ليوما » ملك « خيتا » يوطد بهذا التحالف أولا قوة بلاده التي كانت قد ضاعت هيبتها في آسيا الصغرى ، ثم وجه عزمه وقوته بعد ذلك إلى « دوشرتا » ملك « متنى » لينتزع منه ثمرة انتصاراتها في « سوريا » الشمالية ، وبعد ذلك أخذ يصطدم مع الثائرين عليه . فبينما كان يخرب « سوريا » الشمالية ، كان « أيتا كاما » يسير بجيشه لمقابله ، فقبض على « أكيزى » ملك « قطنا » وقد حاول عبثا أن يضمه إلى جانب ملك « خيتا » وقد وصل ملوك « نوخاشى » و « نى » و « سترار » و « تونانات » و بلدة « تونب » (بعلبك) إلى نفس الموقف اليأس ، ثم طلب بإلحاح النجدة من فرعون مصر « هداد نيرارى » أمير « نوخاشى » و « أكيزى » ملك « قطنا » ، وأخيرا طلبت مدينة « تونب » أن ترسل إليها ولى عهدا ابن « اkitشوب » بعد عشرين عاما ، ولكن بدون جدوى ، وفضلا عن ذلك فإن « أزيرو » كان يتقدم في زحفه كذلك نحو الشمال فاستولى على « نى » و « تونب » بسرعة ، وبعد ذلك قدم ملك « نوخاشى » ، و « إيتا كاما » ملك « قادش » و « أزيرو » فروض الطاعة للملك « خيتا » « شوبيليو ليوما » ، وقد كان يحق له الآن

(١) « قطنا » كانت مكان بلدة « مشرفة » الحالية غربى حصص .

أن يفخر بمده سلطانه حتى «لبنان»^(١) ، وعلى الرغم من كل هذا فإنه قد بقي على اتصال ودي مع مصر ، وتبادل مع « أمنحتب الثالث » الرسائل والهدايا ، وكان يرى أن هجومه على « سوريا » الشمالية أمر طبعى ، لأنه كان يعدها بدون سيد ، ولأنه كان صاحب الحق فى الاستيلاء عليها ، لأن جدّه قد انتصر على « حلب » . وليس لدينا ما يشعر أن « دوشرتا » قد حاول مقاومة ملك « خيتا » ، إذ الواقع أن مركزه وقتئذ كان حرجا ، لأن عرى الصداقة بين ملك مصر ، وملك « خيتا » كانت موطدة ، ولما طلب إليه « أمنحتب الثالث » التزوج من ابنته « تدوخيا » أرسلها إليه فى الحال وزودها بهدايا ثمينة ، وقد كان ينتظر بطبيعة الحال أن يهديه الفرعون ذهبا كثيرا مما كانت مصر غنية به .^(٢)

تولى أمنحتب الرابع عرش الملك

وانتشار الفوضى فى سوريا

اتهى حكم « أمنحتب الثالث » بمفرده فى السنة السادسة والثلاثين ، كما أسلفنا والظاهر أنه كان عيلا ، ولذلك أرسل إليه « دوشرتا » الإلهة « عشتارت »^(٣) إلهة « نينوى » وربة الأرض لتشفيه من سقامه ، وقد أعلنت بنفسها أنها تريد أن تذهب الى مصر تلك الأرض التى تحبها . ولما أرسلها ملك « متنى » قال :

(١) ومعلوماتنا عن هذه الحوادث مستقاة من خطابات « أكيزى » للفرعون أمنحتب الثالث (٥٢ — ٥٧) وخطاب أمير « توب » رقم ٩٥ وخطاب « هداد نيرارى » أمير نوخشى رقم ٥١ هذا فضلا عن الخطابات الخاصة بمدن عمق (١٧٤ — ١٧٦) .

(٢) راجع الخطابات التى تبودلت بين « دوشرتا » و« أمنحتب الثالث » وبخاصة من ١٧ — ٢٤ حيث نجد تفصيلا شاملا عن العلاقات بين البلدين فى هذه الفترة والهدايا التى تبودلت بين ملكيهما ، وكذلك نجد فى الخطاب رقم ٢٥٥ شيئا خاصا بالمبادلات التجارية .

(٣) وهالك نص الخطاب (رقم ٢٣) : « إلى نوموريا ملك مصر ، أنى ومهرى الذى أحبه والذى يحبني أقول : هكذا يتحدث « دوشرتا » ملك « متنى » الذى يحبك ومهرك : « إن حالتى حسنة . وأرجو أن تكون حالتك حسنة ! وكذلك حالة بيتك » تدوخيا « ابنتى وزوجك التى تحبها أرجو أن تكون ناعمة البال ! وكذلك أرجو أن تكون حالة أزواجك وأبنائك وعظماة رجالك وعرباتك وخيلك وجنودك وبلادك ، وكل ممتلكاتك حسنة بعدا . وإن عشتارت ربة « نينوى » وسيدة كل الأراضى تقول : إني سأذهب الى مصر =

” ليت « عشتارت » ربة السماء تحمى أخى وتحمى وتمنحنى وإياه حياة مداها مائة ألف سنة ، وتهبى السرور العظيم “ . على أن « عشتارت » لم يكن فى مقدورها أن تحقق ما وعدت به ؛ وعلى أثر تولى « أمنحتب الرابع » العرش ، كتب له « شوبيليو ليوما » ، ملك « خيتا » وكذلك « دوشرتا » يطلبان استمرار أواصر الصداقة والمهادنة بينهما ، وأن يرسل الهدايا التى وعد بها والده من قبل . وفى الحق كان يرى ملك « متنى » أن كان بلاده يتوقف على بقاء العلاقات الودية بينه وبين مصر . ولذلك أكد للفرعون من جديد اعتماد بلاده على مصر ، وحبه له إذ قال : ” إن « خانيجالبات » (متنى) ومصر بلد واحد “ . ثم ثنى باستعطاف الملكة « تى » والدة « أمنحتب » ، وكانت على علم أكيد بالعلاقات التى كانت بين البلدين ، هذا فضلا عما كان لها من نفوذ على ابنها ، غير أن « أمنحتب الرابع » كان على شئ من الشدة^(١) مع والدته ، على الرغم مما يحفظه لها من احترام ، إذ نشاهدها فى رسم مقبرة « خيروف » فى « طيبة » فى أول حكم ابنها ، وهى واقفة خلفه لتعبد للاله « آثوم » والإلهة « حتحور » . ولا شك فى أن « أخاتون » حافظ

= الأرض التى أحبا وسأعود منها ، وفى الحق لقد أرسلتها الآن وقد سارت فى طريقها . والواقع أنه فى عهد والدى ... ، ذهبت السيدة الى تلك الأرض وقد كانت مبعلة طول مكثها هناك ، ولذلك أرجو يا أخى أن تبجلها عشر مرات أكثر من قبل . وأرجو أخى أن يبجلها ويعيدها فى فرح ، وإنى أرجو أن تعود ، وليت « عشتار » إلهة السماء تحمى أخى وتحمى ، وليت سيدتنا تمنح كل منا مائة ألف سنة وسرورا عظيما وبذلك سنعمل الخير . إن « عشتار » هى إلهتى . أليست إلهة أخى — السنة الخامسة والثلاثون الشهر الرابع من الشتاء كانوا فى الجبال الجنوبية ... “ .

ومن هذا الخطاب نعلم كيف كان الملوك يراسلون فيما بينهم كما نعلم أن هذه الإلهة كانت تحمل نفس اللقب الذى كانت تحمله إلهة مصرية ، وإن لم يكن هناك فارق حقيقى بين أولئك الآلهة القدامى إلا فى الاسم والصورة أما الألقاب فكانت واحدة على أن من أهم ما يسترعى النظر فى هذا الخطاب وثيره الخضوع الذى كان يظهره الملوك الآخرون عند مخاطبة فرعون مصر .

على دوام الودّ بينه وبين ملك « متنى » إذ تزوج من « تدوخيا » التى كانت زوجا لوالدة أمنتب الثالث من قبل ، ولكنه من جهة أخرى لم يرسل إليه الذهب الوفير الذى كان يأمل فيه . فبدلا من تمثال الذهب المرصع باللازورد الذى وعد به والده من قبل ، أرسل تمثالا من الخشب المذهب^(١) وحسب ، وقد كان الرسول الذى بعثه ملك « متنى » لهذا الغرض مكث زمنا طويلا فى بلاد الفرعون فى انتظار الهدية الموعودة .

على أن الروح الحربى الذى ملاء فى أجداد « أمنتب الرابع » كان قد انطفأ سراجة تماما فى والده ، واتجهت ميوله ، وأغراضه إلى أمور أخرى ، فكان الولد هنا سر أبيه ، فلم يعبا بالشئون الحربية قط ، ولذلك لم يقم وزنا للحوادث والثورات التى كانت تنشب أظفارها فى « آسيا » ، بل ترك الأمور تجري فى أعنتها كما فعل والده من قبل مما أسفر عن الدمار والحرب فى تلك الأصقاع النائية ، ولقد كانت شكاوى أمراء « سوريا » وأناتهم تصل إلى آذانه بلا انقطاع ، وبخاصة الإنذارات الخطيرة التى كان يبعث بها « ريبأدى » مفسرا فيها الحالة المضطربة التى كانت تقض مضجعه وتهز كان بلاده ، والظاهر أن رأى السائد وقتئذ عند رجال البلاط الفرعونى أن هذه المشاحات القائمة بين أمراء الولايات المصرية ، ليست إلا أمورا عادية ، وأن كل واحد منهم يسعى فى الواقع وراء أغراضه الشخصية ، وأن مخاصمة بعضهم بعضا لا ضرر فيها على سلطان مصر ، بل على العكس يثبت أقدامها اتباعا للذهب القائل : « فرق تسد » . على أن الأمراء المتهمين بالخيانة والفدر لمصر لم يعلنوا فى صراحة شق عصا الطاعة على الفرعون ، بل على العكس كانوا يكتبون له ولموظفيه معربين عن ولائهم راجين ألا يسمع

(١) راجع خطاب رقم ٢٧ وكذلك راجع الخطاب رقم ٤١ ، ٤٤ ، ١٤ الخ حيث نقرأ أن رسول ملك

متنى قد عبق فى البلاط الفرعونى .

(٢) راجع الخطابات : ١٠٦ ، ١٣ الخ ، ١١٧ ، ٧ الخ ، ١٢٤ ، ٣٥ الخ

ما يقال من وشايات بهم من جانب أعدائهم العصاة . فقد أكد «ايتا كاما» أمير « قادش » أن « نامياوزا^(١) » أحد الأمراء قد بدأ القتال وأحرق بلاده ، ولذلك كان رده على ذلك أن انتزع منه إقليعى (تاخاش Tachas) و (أوبى Ubi) ، وردّهما ثانية إلى حماية الفرعون . والواقع أن كلام هذين الأميرين كان يستعين بعصابات البدو لخدمته ، فكان الواحد منهما يهاجم خصمه ويقتصب منه أما كن يسلمها «للتجيرة» ، ثم يقوم الآخر بدوره ويقصيهما عنها ثانية^(٢) .

ولقد ظهرت هذه الحالة فيما بعد بين « زمريدا » و « أزيرو » إذ سار الأخير بجيشه نحو « سميرا » لحمايتها ، غير أن الأهليين لم يسمحوا له بدخولها^(٣) ، وطلبوا إلى ملك « خيتا » يد المساعدة على صدّ الخطر الذى كان يتهدّد بلده ، على يد مملكة خيتا ، وعلى ذلك برر استيلاءه على تونب^(٤) .

وفى الحق لم يكن يقصد أى أمير من هؤلاء أن يغير السلطة المصرية ليكون تحت نير دولة أخرى بآية حال من الأحوال ، بل كان كل منهم يرغب فى الاستفادة من الموقف السياسى ليمتد سلطان إمارته على حساب خصمه المجاور له مستعملا فى الوصول إلى ذلك الجنود البدو الذين كانوا فى خدمته ، هذا على أن يبقى طريق المفاوضات بينه وبين كل من مصر ومملكة « خيتا » مفتوحا .

(١) « نامياوزا » أحد الأمراء ، ويحتمل أنه ينسب إلى أسرة ملوك « منى » (Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 577.) .

(٢) راجع خطاب « ايتا كاما » رقم ١٨٩ وخطاب « نامياوازا » (رقم ١٩٧) ، وهو الذى أرسله للفرعون يعرب فيه عن ولائه وإخلاصه . إذ يقول : " تأمل إني أخرج بجندى وعرباقي وإخوتى وقوم «ساجاز» (العبرانيون) التابعين لى ، وكذلك قوم «سوق» (البدو) أمام الرماة إلى أى مكان يأمر سيدى (بالذهاب إليه) " .

(٣) راجع الخطاب رقم ١٤٤ الخ . (٤) راجع الخطاب ١٥٧ سطر ١١ .

(٥) وقد كتب للفرعون الخطابات ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦١ من مقره فى «تونب» دون أى مبرر ، يضاف إلى ذلك أن الفرعون لم يوجه له أى لوم فى الخطاب الذى أرسله إليه (رقم ١٦٢) .

على أن مصر لم تصبر على هذه الحال طويلا، إذ تحركت بفحاة وتدخلت في قمع تلك الثورات، ووقف تلك الحالة المحزنة عند حد .

وتدل ظواهر الأمور على أن هذا النشاط قد حدث عند اعتلاء « أمنحتب الرابع » العرش^(١) . وكان القائد « ينخام » الذي في يده القيادة العليا في بلاد آسيا موجودا وقتئذ في البلاط الفرعوني، وكان « رييادی » يطلب على الدوام بإلحاح إلى الفرعون أن يرسله على رأس جيش لكسر شوكة الثوار . وتدل الوثائق على أن هذا القائد ظل في بادئ الأمر مقبلا في مصر، ولكنه أرسل على ما يظهر إلى « سوريا » جيشا بإمرة قائد يسمى « باخور » (بوخورو)، وقد نشر على أثر ذلك أمرا لكل الأمراء التابعين للحكم المصري بأن يعتدوا لهذا الجيش العدة من الجنود والمؤن، والذخائر، فأظهر كل الأمراء صغيرهم وعظيمهم الطاعة^(٢)، ولم يستثن من ذلك « أيتا كاما »^(٣) أمير « قادش » و « أرزاويا » أمير « روخيزي » ؛ غير أن هذه الحركة من جانب المصريين لم تأت بنتيجة حاسمة بل على العكس وجدنا أن « سميرا » استسلمت « لأزيرو » وكذلك قتل القائد المصري « باوارو » على الرغم من تحذير « رييادی » أمير « جبيل » له، وكان موته نكبة عليه، إذ أصبح في نفس الموقف الحرج الذي كان فيه أيام محاربة « عبدى أشرتا » له، يضاف إلى ذلك أن « أيميلكي » أمير « صور » لم يتحسس الموقف الذي كان فيه . حقا قد صدت هجمة عن القلعة نفسها قام بها « زيمريدي » أمير « صيدا » بمعاوضة « أزيرو » و « أرواد »، ولكن « زيمريدي » استولى على « أوزو » الواقعة في اليابسة وبذلك منع المياه وورود الخشب عن

(١) راجع الخطاب ١١٧ سطر ٢٢ عن تاريخ هذا الحادث .

(٢) راجع الخطابين ١٩٣ ؛ ١٩٥ الأول من أمير يدعى « دياتي » والثاني من « ناميوزا » .

(٣) إذ يقول « أيتا كاما » في الخطاب رقم ١٨٩ لللك : أخدمك بهذه الحالة ومعى كل إخوتي وعند

ما تكون حرب معلنة على الملك سيدى فإني أذهب إليها بعباتي وكل إخوتي الخ ؛ وفي الخطاب رقم ١٩١

تحدث إلينا « أرزاويا » ملك « روخيزي » بنفس النغمة أيضا .

قلعة الجزيرة، بفعل بذلك دفن القتلى مستحيلاً^(١) (في جيبيل) ، وعلى الرغم من موقف « ريبادى » الحرج فإنه لم يعرأذنا صاغية لإلحاح أسرته عليه في طلب مهادنة « أزيرو » ومخالفته ، وذلك وثوقاً منه في وصول نجدة مصرية تحمل بلدته من عقابها ، بيد أن شعبه لما رأى ألا أمل في النجدة المصرية المزعومة شقوا عليه عصا الطاعة ، ولكنه أحمد الفتنة في مهدها بعد أن أراق دماء غزيرة . ولما اشتدت به الحال عما كانت عليه ، ولم يجد له أى مخرج ، ولى وجهه شطر « خامونير » ملك « بيروت » وطلب النجدة منه ، ولكنه لما عاد وجد أن أخاه قد أغلق باب « جيبيل » في وجهه ، وانضم إلى « أزيرو » ، "وقد وقع ما لم يحدث منذ الأبدية إذ أخرجت آلهتنا من بلدنا " .

وقد أرسل « أزيرو » الطاعن في السن بعد أن رأى أسرته في يد أعدائه الرسالة تلو الرسالة للفرعون يتوسل إليه أن يرسل النجدة ، مظهراً له أهمية « جيبيل » ومكاتها بالنسبة لأملاك مصر في « آسيا » ؛ ولما استحوذ عليه القنوط أرسل ابنه إلى البلاط الفرعونى رجاء أن يصل إلى حل ، ولكنه مكث أربعة أشهر في العاصمة دون أن يرى وجه الفرعون^(٢) ، وفي خلال ذلك لم ينفك « ريبادى » عن طلب المعونة ، والنجدة من « أبميليكي » أمير « صور » ، ولقد جاءتته البشرى في نهاية الأمر هو و « أمونير » أمير « بيروت » بأن جيشاً مصرياً في طريقه لنجدته ؛ ومما يؤسف له أننا لا نعلم شيئاً بعد ذلك عن أمر هذا الجيش^(٣) . ولكنا نعلم من رسالة بعث بها الفرعون فيما بعد إلى « أزيرو » — أن « ريبادى » حين يئس من معونة

(١) وقد كتب « أبميليكي » للفرعون خطاباً شرح له فيه هذا الموقف وطلب إليه المدد (راجع الخطاب

رقم ١٤٩

(٢) يصف لنا « ريبادى » في عدة رسائل بعث بها إلى الفرعون (١٣٤ — ١٣٨) موقفه من

عدوه « أزيرو » والحالة اليائسة التى وصل اليها بعد طرده من « جيبيل » .

(٣) الخطابات من ١٤١ — ١٤٣ التى تبودلت بين « أمونير » أمير « بيروت » وبين الفرعون ،

وكذلك الخطابان ١٥٣ و ١٥٤ وقد تبودلا بين « أبميليكي » أمير « صور » والفرعون في هذا الصدد .

الفرعون ولى وجهه شطر «صيدا»، وقد حاول هناك أن يصل إلى اتفاق مع عدوه حتى يسمح له بالعودة إلى «جبيل» وطنه، ولكن ملك «صيدا» على ما يظهر سلمه لعدوه فقتله^(١).

ولا شك أن هذه الحوادث المحزنة قد امتد أجلها عدة سنوات، غير أننا لا نعرف على وجه التحقيق مقدار تدخل «متنى» في هذه الاضطرابات، ولا إلى أى مدى كان تدخل «خيتا». ولكن مما جاء في أخبار «شوبيلوليوما» ملك «خيتا» نعلم أن «دوشرتا» ملك «متنى» قد نقض ميثاق السلام بينهما بإرساله حملة إلى «سوريا» الشمالية، وكان أهل «خيتا» يدعون حق التسلط عليها، وقد كان من نتائج هذه الحرب أن طرد «ساروبايا» ملك «نوخاشي» من بلاده فلم يرض عن هذا العمل على ما يظهر وأرسل بعض الجنود لمحاربته^(٢)، وخلافاً لذلك لم نسمع بأى تدخل من جانبه. وفي خلال السنين التالية لذلك نعرف أن طائفة كبيرة من الملوك العاديين كانوا يحكمون في تلك البقاع، وكانوا على صفاء وود مع السفراء المصريين أيضاً، فترى من بينهم «إيتاكاما» ملك «قادش»، وكذلك «أزيرو» ملك الآموريين قد عادوا إلى الاعتراف بسلطان مصر^(٣) أما عن تدخل «متنى» في هذا الوقت، فلم نجد له ذكراً في خطابات «تل العمارنة». وعلى أية حال فلا بد من الاعتراف هنا بأن رابطة الصداقة التي كانت بين مصر، «ودوشرتا» ملك «متنى» قد أثرت تأثيراً فعالاً في سير الحوادث بالنسبة لمصر في تلك الفترة المليئة بالحوادث الجسام.

(١) والخطاب الذي أرسله الفرعون إلى «أزيرو» (رقم ١٦٢) أظهر فيه تأله وعدم رضاه عن خيانه وأثره، ثم يعد فيه بالمساعدة إذا هو أصبح موالياً مخلصاً للفرعون، أما إذا جنح إلى الخيانة والتمرد واستمر على ما هو عليه من القلب والنفاق فإن الموت يكون مآله.

(٢) راجع : Meyer, "Gesch". II, 1. P. 362, note 1.

(٣) فتلا نجد أن «أزيرو» قد كتب إلى الفرعون خطاباً (رقم ١٦٠) يعد فيه بأنه سيقوم بتحقيق كل رغبات الفرعون، وأنه قد عيق في بناء «سيميرا»، وسيقوم ببنائها في سنة واحدة. وقد رجا الفرعون ألا يصنى إلى ذم أعدائه فيه. راجع كذلك في هذا الموضوع الخطابين ١٦١ سطر ٣٦؛ ١٦٩.

الحالة في فلسطين

لم تكن الحالة في فلسطين تدعو قط إلى الارتياح والطمأنينة ، بل كان الاضطراب ضاربا أطنابه في نواحيها ، كما كانت الحالة في إقليم نهر « الأرنت » وفي بلاد « فيتقيا » تدعو كذلك إلى القلق لانتشار الثورات فيها ، ومن أجل ذلك كانت الشكاوى تنهال على الفرعون مفعمة بالأنين من عسف بعض الأمراء ، وقيام الثورات في بعض الأماكن ، هذا فضلا عن زحف قبائل « خيبرى » في الولايات ، ونهبهم بلادهم ، وسلب متاعهم ، وقد كان الخطر منهم على الممتلكات المصرية عظيما ، ولذلك كان طلبهم المعونة من الفرعون لوقاية المدن لا ينفك عن الإلحاح في إرسال حملة وإمداد المدن بحاميات نتقى بها شر المغيرين ، يضاف إلى ذلك أن الشؤون الخارجية الخاصة بإرسال الجزية وبخاصة العبيد والقيان ، وبحمية القوافل التي كانت تسافر إلى « خانيجالبات » (بلاد متنى) وإلى بلاد « بابل » كان لابد لتأمين طرقها والمحافظة على سلامتها ، وتأمين حياة الموظفين القائمين على حراستها من قوة حربية لصدة غارات اللصوص وقطاع الطرق . ولا أدل على سوء الحال من هذه الناحية من الشكاوى التي أرسلها « بورنابور ياش » ملك « بابل » إلى « أمنحتب الرابع » يذكر فيها ماحاق بقافلتين من قوافل التجارة من السلب والنهب على أيدي أمراء المدن خير ما أنزله أمير « ساناتنا » أمير « عكا » وأحد الأمراء المجاورين له في مكان يدعى « خيناتون » في إقليم « الجليل » وتجار بلاد « بابل » من النهب والسلب والتقتيل^(١) . وليس ثمة شك في أن هؤلاء الأمراء أنفسهم كانوا يبعثون الرسائل المفعمة بالولاء والطاعة لسيدهم الفرعون . أما في شمالي « فلسطين » حيث

(١) راجع الخطاب رقم ٧ سطر ٧٣ الخ . إذ يقول : "أما من جهة « سالو » رسول الذى أرسلته إليك فان قافلته قد نهب مرتين ؛ فنهب قافلة « برياماز » والقافلة الأخرى (نهبا) « باماخو » حاكم بلادك التابعة ، فالمرجو من أخى أن يفصل في هذا الشجار أو عند ما يأتى رسولى إلى حضرة أخى فليأمر بإحضار « سالو » أمام أخى ؛ واجعلهم يردون إليه فديته ويعملون على رد ما خسرته " .

كان « نامياوزا » يمثل مصالح الفرعون^(١) كان مرجل البلاد يغلى ، والثورات تكشر عن أنيابها في كل مكان ، فقد حاول أمير « خاسور » وهى معقل جبلى أن يتحد مع قبائل « خبيرى » ليمد رقعة إقليمه ، ونذكر هنا من بين الأماكن المأهولة التى استولى عليها ثلاثة بلدان من إقليم « إياب » وكان حاكمها يسيطر على بلدة (بلا Pella) الواقعة على مسافة بعيدة فى الجنوب على الضفة الأخرى لنهر الأردن ، ويظهر أنه استولى على « إياب » ذاتها بنفس الطريقة ؛ أما « لا بابا » فى الجهة الجنوبية فكان أشد وطأة وأعظم خطرا إذ أخذ يزحف بجيشه يعاضده « ميلكيل » و « تاجى » وهو والد زوجة الأخير فاستولى على ولايات « سهل يزريعيل » الواحدة تلو الأخرى مثل (شونم Sunem) و (بورقانا Burquna) و (جتريمون Gitrimmon) وغيرها . أما ، (شكيم Sickim) وأقليمها فقد أعطى لقبائل « خبيرو » ، وكذلك حاصر الأمير « يريديا » ، وفى الجنوب استولى على « غزه » الواقعة فى سهل الشاطئ^(٣) .

(١) فى الخطاب رقم ١٢٩ سطر ٨٢ والخطاب ٢٥٠ سطر ٢٤ الخ نجد أن الأول من « ريادى » للملك والثانى من « أدور ساج » لللك أيضا . وما جاء فى الخطابين تفهم أنه هو الذى كان يقوم على مصالح الفرعون فى هذه الأصقاع .

(٢) إذ فى الخطاب رقم ١٤٨ سطر ٤١ الخ نقرأ أن ملك « خازورا » قد ترك بلده واتحد مع قوم « ساجاز » ، ويعرف الملك أنهم معادون للشاة ، وأن بلاد الفرعون قد أصبحت فى قبضة قوم « ساجاز » (العبرانيون) الخ .

(٣) فى الخطاب رقم ٢٣٧ نجد أن كتابه للفرعون « بيادى » (Bajadi) يشكو أن مدن الفرعون قد اغتصبت ومغتصبها هو « لا بابا » وفى الخطاب رقم ٢٤٤ يكتب « يريديا » أمير « مجدو » إلى الفرعون طالبا النجدة ليخلص « مجدو » من عدوان « لا بابا » . وفى الخطاب ٢٤٩ نشاهد أن « أدور — أورساج » يكتب للفرعون يشكو من « ميلكيل » و « تاجى » وتخريبهما السكان على العصابات أما الخطاب ٢٥٠ فقد كتبه كذلك « أدور — أورساج » للفرعون وفيه يقول : ” أن ابني « لا بابا » قد مزما على تخريب أرض الفرعون وأن « ميلكيل » مشترك معها ويطلب المعونة من الفرعون ويظهر ولأول مرة له . (راجع كذلك ٢٨٩ ، سطر ٢٢ و ٢٥٣ ؛ ٢٥٤) .

ولما تفاقم الأمر إلى هذا الحد هم الفرعون بالتدخل في الأمر يجد ليضع الأمور في نصابها . ويرجح أن هذا التدخل من جانب الفرعون كان في السنة الحادية عشرة من حكم « أمنحتب الرابع » ، وكان القائد المصري في هذه الأصقاع آنئذ ، هو « يانخام » أما في « سوريا » فقد أرسل الفرعون « حاني »^(١) بن « مري رع » ، وكان يحمل لقب « ابن الملك » (نائب الملك) في أرض « كنعان » ، وأمره بأن يأتي بروس أعداء الفرعون . وعلى إثر وصوله لم يجد أي أمير مقاومة ما أو عنادا بعد إعلان أوامر سيده التي كانت تشد من أزرها جيوشه^(٢) ، بل لقد كان كل أمير يتسابق لإظهار سروره ، وتقديم فروض الطاعة ، ويعلن انضمامه للفرعون ، ولم يستثن من ذلك ملك « خاسور » ولا الأمراء « لا بايا » و « تاجي » و « ميلكيل » فقد أتوا إليه طائعين وقبل الفرعون خضوع « ميلكيل » و « تاجي » . أما « لا بايا » فلم يغفر له خطيئته ، ولم يقبل له شفاعاة على الرغم من تضرعاته وتوسلاته للفرعون ، وأخذ الموائيق على نفسه أن يكون عبدا خاضعا لسيده ، وأنه مستعد لتقديم زوجه أو طعن نفسه بمنجبر^(٣) ، إن أمره الفرعون بذلك ، غير أن كل هذه التضحيات لم تحرك نفس الفرعون ، بل ظل حانقا عليه يتوق فؤاده أن يساق إليه هذا الغادر إلى مصر ، وقد وكل هذه المهمة إلى أمير « عكا » ، غير أن الرشوة لعبت دورها فأخلى سبيله خلسة وولى الأدبار ، ولكنه اغتيل في أثناء هربه ، وكذلك هرب « اياب » أمير « بلا »^(٤) من قائد الملك . هذا واستولى « ييريديا » أمير « مجدو » على إقليم « سونم » وكان مشتركا في مطاردة

(١) راجع الخطاب رقم ٣٠١ حيث يقول « شوباندر » في خطابه للفرعون : « إن الملك سيدي الشمس في السماء قد أرسل « حاني » إلى » ، وتأمل لقد أصغيت إلى كلمة الملك سيدي باتنياه ، وتأمل لقد قدمت . . . نور و ٢٠ جارية » الخ .

(٢) وقد ظهر من بين أسماء القواد الذين أرسلوا في هذه الفترة « مايا » (راجع الخطابات ٢١٦ — ٢١٨ ، ٢٩٢ ، ٣٣٣ ، ٣٠٠ سطر ٢٦ .

(٣) راجع الخطابات رقم ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، سطر ٢٧ ، ٢٨٠ سطر ٣٠ ، وكذلك ٢٥٢ — ٢٥٤

(٤) راجع الخطاب رقم ٢٥٦ .

« لا بايا » بغيرة وحية ، وكذلك استولى على مدن أمراء آحرين ، وهؤلاء كانوا يفخرون بأنهم كانوا يستعبدون فلاحي البلاد المجاورة في أعمال السخرة ^(١) .

وقد عادت الحملة المصرية ، التي أحرزت هذه الانتصارات لمصر في يناير من السنة الثانية عشرة ^(٢) من حكم « أمنتخب الرابع » ، وأحضر قائدها معه الأسرى من الساميين ، وليس بينهم أسير واحد من « خيتا » ، وكذلك جاء في ركابه سفراء من « سوريا » يحملون الجزية التي قدموها إلى الفرعون ، وتدل الرسوم التي عثر عليها في تل العمارنة على أن الغنائم لم تكن عظيمة بالنسبة لغنائم الملوك السابقين ، هذا فضلا عن أن هذه الحملة التأديبية لم يدم أثرها زمنا طويلا ، إذ ما كادت تنتهي حتى أخذ البريد يطر الفرعون وابلا من الشكاوى أكثر من ذي قبل ؛ فكان ولدا « لا بايا » يتميزان غيظا لقتل والدهما ويحفزان للأخذ به بالثار ، ومن أجل ذلك أخذا يحرضان القبائل التي كانت تدين لوالدهما بالطاعة ، وساعدهما في ذلك « ميلكيل » و « تاجي » على الرغم مما كانا يبعثان به للفرعون من الرسائل معربين فيها عن ولائهما ، وخضوعهما له ^(٣) ، وذلك في حين كانت قبائل « خيري » يتوغلون في البلاد بقضهم وقضيضهم ناهبين الأماكن المأهولة ، وفارضين الضرائب الفادحة على مدن الساحل أمثال « غزة » و « إيالون » و « صرعا » و « لأكش » وحتى « عسقلان » ^(٤) لم تفلت من أيديهم ففرضوا عليها الجزية ، وكان الحاكم المصري في هذه البقاع عاجزا عن تقديم مساعدة تذكر حتى أنه اضطر أن يسحب جنود

(١) راجع : "Revue d'Assyriologie", XIX, P. 97.

(٢) راجع : Meyer, "Gesch" II, 1. P. 339.

(٣) راجع الخطابات ٢٥٥ الخ ؛ ٢٥٠ سطر ٣٢ ؛ ٢٨٧ سطر ٢٩ ؛ ٢٨٩ سطر ٥ الخ و ٢٥٠ .

(٤) راجع الخطابات ٢٨٧ سطر ١٤ الخ ؛ ٢٧٣ ، سطر ٢٠ ، (أما عن حالة « غزة » المحزنة)

راجع كذلك ٢٩٢ سطر ٤٢ الخ . (أقرن كذلك ٢٩٤ ، سطر ١٦ الخ) ؛ ٢٩٧ ، سطر ١٦ ؛

٢٩٨ سطر ٢٠ الخ ، ٢٩٩ سطر ١٤

بعض المعازل لحماية « غزة »^(١) الواقعة عند الحدود المصرية . وهكذا ترك المدن وولاتها يدافعون عن مكانهم ، ففي « أورشليم » جاهد « عبدى خيا » أن يصد هجوم قبائل « الخبيري » و « ميلكيل » وأولاد « لا بايا » على الإقليم الساحلى التابع « لشواردانا » أمير « كلنا » « قعلا » غرب « أورشليم » وكان يؤازره فى ذلك « سوراتا » أمير « عكا » و « انداروتا » أمير « أكشاب » ، وقد سار المتحالفون^(٢) فى بادئ الأمر بروح الوثام ولكن عندما ثارت بلدة « قعلا » على أميرها أسرع « عبدى خيا » ومعه « شواردانا » ليخلص المدينة من الوقوع فى يد « ميلكيل »^(٣) ، غير أنه سرعان ما دب بينهما ديب الطمع والأثرة ، وبدأ كل منهما يعمل لحسابه ، فلما تمكن « شواردانا » من الاستيلاء على المدينة أراد أن يستخلصها لنفسه على كره من « عبدى خيا » ، ولذلك أعلن الأخير أنه « لا بايا » ثان ، انضم فى الحال إلى « ميلكيل » ولكن النصر حالف « شواردانا » إذ أخذت المدن تخضع لسلطانة الواحدة تلو الأخرى حتى بلغ ما استولى عليه ثلاثين مكانا ، وكان « ميلكيل » فى الوقت نفسه يحترض قبائل « خبيري » عليه مما اضطره إلى طلب النجدة من الفرعون ، وانهى الأمر أن ساءت حالة « عبدى خيا » فأصبح محصورا فى « أورشليم » ، ولذلك كتب إلى الفرعون يرجوه إذا لم يكن فى استطاعته إرسال جيش لإنقاذه أن يرسل فى طلبه هو وأسرته حتى يموت بجوار سيده الفرعون^(٤) .

وقد عملت يد القتل فى الأمراء بدرجة عظيمة حتى صارت مدن الولايات الفرعونية لا ولاية لها . يضاف إلى هذا أن إقليم الجنوب الأقصى من فلسطين قد

(١) راجع الخطابات رقم ٢٨٧ سطر ٤ الخ ، ٢٨٩ سطر ٣٠ الخ . أقرن كذلك ٢٨٦ سطر ٢

(٢) راجع : "Revue d'Assyriologie", XIX, P. 98.

(٣) راجع ٢٨٠ ، ٢٨٩ سطر ٢٥ الخ ؛ ٢٩٩ سطر ١٠

(٤) راجع الخطابات ٢٧١ سطر ٩ و ٢٨١ — ٢٨٣ .

(٥) راجع الخطاب ٢٨٨ سطر ٥٧ الخ .

(٦) راجع الخطابات ٢٨٨ سطر ٤٠ الخ (= ٣٣٥) .

اكتظ بقبائل « خيري »^(١) وأصبحت كل مدن الداخل معادية للحكم المصري أمثال «أودومو» (دوما) (راجع يوشع ١٥ سطر ٥٢) ، و «ارارو» . و «خنيانابي» (يوشع ١١ ، ٢١ و ١٥ ، ٥٠) «مجدالم» وغيرها ، وبذلك أصبحت كل المدن التي على منحدرات جبال يهودا جنوبي «حبرون» معادية لمصر^(٢) ، ولذلك كان «عبدى خيا» يكرر في رسائله للفرعون قوله : ” إذا توانى الفرعون فى إرسال نجدة ، فإن كل ممتلكاته ستقع فريسة فى يد قبائل خيري “^(٣) .

وقد كان نتيجة هذا التهديد المتكرر أن أرسل الفرعون القائد «ينخام»^(٤) الذى كان يثق به القوم إلى فلسطين . غير أنه عجز عن القيام بعمل حاسم فى هذا الحق المضطرب . هذا فضلا عن أنه فى السنين الختامية لحكم «إخناتون» كانت السيادة المصرية قد تفككت عراها وانحلت أواصرها فى خارج البلاد وداخلها .

سيطرة « خيتا » على سوريا

سقوط دولة «متنى» وظهور الآشوريين : بعد أن تدخل الجيش المصرى فى قمع الثورات فى فلسطين أرسل الفرعون القائد «خانى» إلى الأقاليم الشمالية لإعادة النظام والأمن فيها بعد أن اختل ميزانها . وفى الحق كان القائمون بالأمور فى هذه البقاع أصحاب حزم وعزم^(٥) يقبضون على مقاليد الأمور بيد قوية أكثر

-
- (١) راجع الخطابات : ٣٠٥ سطر ٢٠ ؛ ٣٠٧ ؛ ٣١٣ ؛ ٣١٨ . وقد ذكر مع الحيرى كذلك قبائل البدو (سوتى) (٢٩٧ سطر ١٦ و ٣١٨ سطر ١٣) .
- (٢) راجع ٢٥٦ سطر ٢٢ الخ ، ولم يكن محيا إلا قلعتى «غزة» و «يافا» (راجع ٢٩٦ سطر ٣٢ ؛ اقرن كذلك ٢٩٤ سطر ٢٠ .
- (٣) راجع ٢٧٢ ؛ ٢٧٣ ؛ ٢٧٤ ؛ ٢٨٦ ؛ سطر ٤٩ الخ ؛ ٢٨٧ سطر ٢٠ الخ .
- (٤) راجع الخطاب ٢٧٠ سطر ١١ حيث نجد «ينخام» يطلب من «ميليلى» ٢٠٠٠ شكلا من الفضة ، وكذلك طلب إليه أن يعطيه زوجه وأولاده أو يقتله .
- (٥) كان القائد هناك يدعى «خاى» وكان «أزير» يخاطبه بلفظة أنخى (راجع ١٦٦ ؛ ١٦٧) .

من أولئك الذين كانوا في فلسطين ، ولذلك لم تكن مهمة «خانى» شق حرب ، بل كان عمله ينفذ بالطرق السامية ، ومن أجل هذا لم يكن في هذه الجهات إلا قوة صغيرة من الجند وكان أكبر مشاغب هناك «أزيرو» أمير بلاد «آمور» وإن لم تصلنا معلومات وثيقة عن سلوكه وتصرفاته في هذه الآونة بعينها ، ولكننا نجد أن الفرعون أرسل إليه أمره بإعادة بناء «سميرا» ، وكان عليه كذلك أن يقدم نفسه في الحال للبلاط الفرعونى ليبرر موقفه المشين في الحوادث الأخيرة . ولما أحس «أزيرو» حضور رسول الفرعون ذهب في الحال إلى «توب» وآوى إليها حذرا من مقابلته . وقد مكث «خانى» مدة طويلة في انتظار «أزيرو» ، ولما سمى الانتظار ، عاد إلى مصر . ولا نعرف إلى أى مدى تدخل في الأمور هناك . ومن المدهش أن «أزيرو» لم يرد أن يحفل برسول الفرعون كما حفل بمبعوث ملك «خيتا» ، ولكنه مع ذلك قدم اعتذاره للفرعون عن عمله هذا بحجة أنه لم يكن يعلم بوصول «خانى» رسول الفرعون إلا متأخرا ، وأنه لم يستطع الوصول لمقابلته قبل مغادرته بلاده ، ومع ذلك فقد احتفل به أخوه وأكرم وفادته وأغدق له العطايا والهدايا الثمينة ، ثم أخذ على نفسه بأنه سيراعى ذلك في المستقبل ، أما عن إعادة بناء «سميرا» المخربة فقد طلب إرجاء ذلك ، إذ كان مضطرا لأن ملك «نوخاشى» قد شق عليه حربا عوانا ولا بد له من الدفاع عن مكانه . وأما عن استيلائه على بيلوص (جبل) فقد أوضح للفرعون في خطاب آخر أن ذلك لا يضر الفرعون فى شئ وليس فيه خسارة تلحق بالسيادة المصرية إذ يقول : "إنى خادمك مثل كل الأمراء الذين كانوا قبلى فى المدينة (يقصد ريبادى) ، وإنى على استعداد أن أقدم للفرعون ما كان يقدمه هذا (أى ريبادى)" . ولقد كانت الأحوال تضطر «أزيرو» ألا يعلن العصيان وقتئذ فى وجه الفرعون ، إذ كان فى حاجة ماسة لمساعدة الجيش المصرى إذا ما هاجمه ملك «خيتا» الذى كان يظهر له الغدر ، وقدم «أزيرو» الأمر الذى أصدره ملك «نوخاشى» إلى وكيله «خاتب» ليفصل فيه . وفيه يأمره ملك «نوخاشى»

أنه إذا لم ينضم إليه فإن بلاده ستنتزع منه ويغتصب منه معظم كنوزه المعدنية وتبقى في حيازته^(١) . وقد رجا « أزيرو » « خاني » أن يزوره مرة ثانية وحينذاك سيكون على استعداد لتسليمه كل أعداء الملك .

أما الفرعون « إخناتون » فقد أجاب على خطاب « أزيرو » برسالة حفظت لنا في وثائق « تل العمارنة » وهي الرسالة الوحيدة التي يمكن للتأريخ أن يرى بين سطورها بصيصا ضئيلا عن أخلاق هذا الفرعون وقد بسط فيها سلوك « أزيرو » المشين ضد « ريبادي » ، فقد تحالف مع « أيتا كاما » أمير « قادش » (كتزا) الذي كان يحقد عليه الفرعون ويغضه . هذا إلى أن اعتذاراته التي بعث بها إليه محض كذب وافتراء ، وكل ما قاله بعيد عن الحقيقة كل البعد ، وكذلك حذره بأنه إذا أصر على عناده ، فإنه سيقضى عليه وعلى جنسه بحد السيف ، أما إذا رجع عن غيه فإنه سيكتب له الحياة ثم قال إنك تعلم أن الملك لما أظهر حيال كل بلاد كنعان الحق والبر والبغضاء قسا في معاملتها قسوة شديدة وعلى ذلك يجب عليك أن تحضر في الحال إلى البلاط أو ترسل ابنك ، وحينئذ ستشاهد الملك الذي تعيش كل الأراضى بنظرة منه . هذا إلى أن الملك قد أرسل مع « خاني » قائمة بأسماء المنشقين الذين يجب عليه أن يأتي بهم مكبلين في السلاسل والأغلال ، ولم يسع « أزيرو » إلا الخضوع لكل طلبات الفرعون ، وفي خلال تلك الفترة كان موقف « أزيرو » قد تخرج أكثر مما كان عليه من قبل لأن « شوبيلويلوما » كان قد توغل بجيشه في « نوحاشي » ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه حزم رأيه على الذهاب إلى مصر مع « خاتب » ثقة منه بالضمانات التي فاه بها الفرعون ، وسيده ووالده « دودو » الذي كان سنده العظيم بين رجال البلاط^(٢) ، وقد انهال ملك

(١) راجع الخطابات ١٥٧ ؛ ١٦٠ ؛ ١٦١ ؛ ١٦٢ سطر ٧ الخ .

(٢) راجع الخطابات التي أرسلها « أزيرو » إلى « دودو » (١٦٤ ، ١٦٥) وكذلك التي أرسلها

« أزيرو » إلى « خاي » ١٦٦ ؛ ١٦٧ وإلى الملك ١٦٨ .

«نوخاشي» باللوم على ابن «أزيرو» قائلا إنه قد باع والده بالذهب في مصر وأنه لن يعود قط وأن البدو (سوتي) قد انقضوا على بلاده ، وأنه قد أصبح آلة^(١) في يد مصر ، غير أن هذه المخاوف لم يتحقق منها شيء إذ استقبل «أزيرو» في مصر استقبالا حسنا ، وعاد إلى بلاد الآمورين معافي صحيحا وهو ممتلئ أملا بقدرته على صد زحف «خيتا» عن بلاده .

وقد كانت المصائب والويلات تحيق ببلاد «متني» وتزلزل كيان عرشها . والواقع أنه منذ زمن بعيد كان سقوط دولة «متني» على يد أمراء آشور يلوح في الجوّ حتى أصبح أمرا منتظرا فمنذ عام ١٣٩٠ ق م أي في نفس الوقت الذي اعتلى فيه «دوشرتا» العرش جدد «أشورناديناشي» ملك «آشور» علاقته الودية بمصر فأهداه «أمنحتب الثالث» ثلاثين «تالنت» من الذهب (التالنت يقدر بـ ٢١٣ — ٢٥٣ جنيها) وكذلك أعطى مثلها ملك «متني» . وقد كتب خلفه الثاني وهو «أشورو باليت»^(٢) إلى «إخناتون» يطلب إليه بطبيعة الحال مقدارا عظيما من الذهب ، وقد خاطبه على قدم المساواة بلفظة «أخ» ، ولكن ملك «كردونياش» (عاهل بابل) لم يرق في نظره أن يخاطبه أحد الأمراء التابعين له كأنه نذ ، ولذلك كتب «بورنابور ياش» (١٣٩٠ ق م) إلى «أمنحتب الرابع» منوها له بالمسلك الودي الذي اتخذه والده «كوريمازو» حياله عندما طلب الكنعانيون يد المساعد لمناهضة المصريين ، ثم استمر قائلا : ” إن هذا الآشوري من ريعتي لم أرسله إليك فلماذا ذهب إليك وإلى أرضك من تلقاء نفسه ؟ فإذا كنت تحرص على مودتي فلا تتعامل قط معه بل دعه يعد فارغ الأيدي^(٣) “ . ولم يكن ملك «بابل» في حالة تمكنه من مهاجمة الآشوريين في تلك الفترة ، ولكن على أثر زواجه^(٤) هو أو زواج أخيه من إحدى بنات «أشورو باليت» — وقد كان لهذا الزواج أثره

(١) راجع الخطاب ١٦٩ (٢) راجع الخطابين ١٥ و ١٦ (٣) راجع الخطاب رقم ٩

(٤) راجع Meyer, "Gesch". II, 1, P. 154, note 3.

فما بعد في الفصل في مصير دولة « بابل » — قد سنحت له الفرصة عندئذ لمهاجمة بلاد « متنى » .

اتهمز « شوبيليو ليوما » مهاجمة « دوشرتا » لبلاد « نوخاشى » ، وانقض على الأراضى الجبلية الواقعة على ضفتى نهر الفرات فى شمال « متنى » ، وليس لدينا معلومات صريحة عن نتائج هذه الحرب ، ولكن هذه التقارير التى كان يضعها ملك « خيتا » عن حروبه وجدناها فى مقدمة المعاهدات التى كان يبرمها بينه وبين بلاد « متنى » و « نوخاشى » و « كروتنا » ، وكانت كلها مكتوبة بصورة واحدة ، وكانت طريقة إنشائها مشوهة ، وقد كتبها هو أو مستشاره باللغة الأكادية ، والظاهر أنه كان لا يجيدها ، وقد كان يكتب فى كل مرة جزءا من الحوادث ، أما الجزء الآخر فكان لا يذكر قط أو يذكر باختصار . ولكن على الرغم من ذلك أمكننا أن نصل إلى صورة عامة عن سير الحروب بربط الحوادث المنفردة بعضها ببعض .

ولقد كان أول ما اهتم به « شوبيليو ليوما » انهماكه فى تثبيت سلطان « خيتا » فى شرق « آسيا » الصغرى ، وفى الأراضى الجبلية الواقعة على نهر « الفرات » وفى « أسوا » وفى المقاطعات التى ضمها لملكه ثانية . وهذا يفسر لنا السبب الذى من أجله لم يكن لهجومه فى « سوريا » الشمالية أثرا باقيا ، فتوغل فى « إسوا » وطرد العناصر الأجنبية من بلاده ، وضم إلى جانبه « سونا سورا » ملك « كروتنا » . وقد ذكر لنا هذا الملك الأخير أنه قد أصبح سعيدا إذ لم يعد بعد الآن خادما « متنى » بل صار ملكا حرا طليقا ، ويلاحظ أن المعاهدة تحتوى على مواد شديدة بالنسبة لأهل « متنى » وربطت بلاد « كروتنا » وحاكمها بروابط وثيقة ثابتة مع مملكة « خيتا » ، ونجد مظاهر هذه الروابط الدائمة بين البلدين فى المعاهدات التى كانت تبرم بين « خيتا » وأية أمة أخرى ، فقد كان يذكر دائما فى ذيل المعاهدة أسماء آلهة « خيتا » وآلهة « كروتنا » جنبا لجنب بوصفهم شهودا .

أما في بلاد « متنى » نفسها فقد أبرم « شوبيليو ليوما » معاهدة مع المطالب بعرش هذه البلاد، ويدعى « أرتاتاما » اعترف فيها بأنه ملك بلاد « متنى » الشرعى، وقام في نفس الوقت « اشورو بالليت » ملك « آشور » بهجوم على « متنى » . هذا إلى أن « شوبيليو ليوما » بعد أن هزم « إساو » هزيمة منكرة في حملة ثانية أصبح ما تبقى أمامه في ميدان القتال لعبة سهلة، وقد انضم إليه أمير « ألسى Alzi » الذى كان يسيطر على أعالي نهر دجلة ، وبذلك صار من السهل عليه الاستيلاء على « واسو — جانى » عاصمة مملكة « متنى » ونهب كنوزها ، ولم يكن فى مقدور « دوشرتا » وقتئذ أن يدافع عن بلاده بأية حال من الأحوال .

بعد ذلك ولى ملك « خيتا » وجهه شطر نهر الفرات متجها نحو الجنوب فاستولى على « حلب » وكذلك « تاكوا Takuwa » ملك « فى Ni » وقد حاول أخوه « إكيتشوب Akitesub » الذى كان يرأس جنود « الماريانى » أن يقاوم ملك « خيتا » بمناصرة « اكيّا Akià » أمير « اراختى (إرخ) » وساق الثوار أسرى فى الأغلل ، وكذلك ساءت الحال فى « قطنا » ، فقد تحققت المخاوف التى كان يعطيها على الملأ أميرها منذ سنين مضت . بعد ذلك سار « شوبيليو ليوما » يبحشه نحو « نوخاشى » واستولى على أسرة ملكها (ساروبسا Sarrupsa) وأخذهم أسرى^(١) ، وكان قد وعد فيما مضى أن يحمى هذا الملك ، والظاهر أنه قد قتله تخلصا منه ، وولى مكانه « تيتا » ملكا على « نوخاشى » وكانت هذه الحوادث تجرى فى الوقت الذى كان قد أرسل فيه « أزيرو » من « تونب » إلى الفرعون يطلب إليه العون ثم ذهب بنفسه الى البلاط كما ذكرنا آنفا .

ولقد كان مثل المصريين فى عدم القيام بأية مقاومة فى هذه الحروب كمثل « دوشرتا » « ملك متنى » ، إذ أن الحاميات المصرية التى بقيت فى يد المصريين فى بعض الأماكن مثل « تونب » كانت ضعيفة خائرة القوى ، ولذلك نزعته منه من

(١) راجع : Meyer, "Gesch", II, 1, P. 375. note 1.

غير مقاومة تذكر ، ومن الغريب أن « شوبيلويوما » ملك « خيتا » قد تجاهل في تقاريره الحربية ما استولى عليه من الأماكن التي كانت تدين لمصر بالطاعة والسلطان ، ويرجع سبب ذلك إلى أنه كان يعدّ السلام مازال قائماً بين البلدين بصفة رسمية .

أما « أزيرو » فإنه أخذ يتخذ العدة لنفسه ويتيحاً للوقوف الحديد الذي حتمته الأحوال ، فعلى أثر عودته من مصر قدم لملك « خيتا » فروض الطاعة ووضع نفسه تحت سلطانه ، وبقى على هذه الحالة حتى وافاه الأجل المحتوم . وفي خلال ذلك الوقت كان « شوبيلويوما » قد سيطر على كل أراضي « الأموريين » وفرض عليهم جزية يؤدونها تقدر بمبلغ ثلثمائة شكل من خالص للذهب^(١) .

غير أن « ايتاكاما » ملك « قادش » قد قام من جهة أخرى يسعى للمحافظة على استقلاله ، ولكنه غلب على أمره وأسرت أسرته وجنوده من قبائل « الماريانا » وكذلك استولى على إقليم إمارة « أبينا » وإقليم « آبي » أو « أوبا » (الذي جاء ذكره في خطابات « تل العمارنة ») ، وعلى سهول « دمشق » التابعة له ؛ وقد رأى ملك « خيتا » أنه من الحكمة وحصافة الرأي أن يعفو عن « ايتاكاما » ويعيده على عرش ملكه ، ولكنه قام فيما بعد بثورة على « مورسيل » ملك « خيتا » وانتصر عليه الأخير في السنة التاسعة من حكمه^(٢) .

ومما سبق نعلم أن « شوبيلويوما » قد استولى من جديد في مدة عام على كل أراضي نهر الفرات حتى « لبنان » . هذا في ميدان الحرب . أما في ميدان السياسة وبعد النظر في المحافظة على هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ، فإنه قيد

(١) وقد جاء ذكر ذلك في المعاهدة التي عقدت بين « خاتوسول » الثالث وبين (Bentesina) أمير الأموريين . أما المعاهدة التي عقدت بين « شوبيلويوما » و « أزيرو » فقد ضاعت بدايتها (راجع Meyer, Ibid. P. 375, note 2) .

(٢) راجع : Forrer, "Boghaz Koi-Texte in Umschrift", P. 43.

كل هذه الإمارات الصغيرة في تلك الجهات بمعاهدات عقدها مع « نوخاشي » ،
وببلاد أمور ، ثم مع « تونب » فكان من واجب حكامها أن يهبوا في وجه أية ثورة
أو قيام أى عدو يناهض مملكة « خيتا » داخل البلاد ، أما ملك « خيتا » فكان
عليه أن يمد يده لمساعدة هؤلاء الأمراء إذا أعلنت الحرب على واحد منهم .
هذا الى أنه ولى ابنه « تليبينوس » ملكا على « حلب » وابنه « بياسيل » ملكا
على « كركيش » ، غير أنه لم يتمكن من إخضاع « كركيش » إلا بعد كفاح دام
مدة طويلة .

وفي خلال تلك المدة انقض « ارتاتاما » الذى اعترف به « شوبيلوليوما »
ملكاً على بلاد « متنى » على بلاد نهرين ، ومعه ابنه ، « سوتارنا » ، واستولى عليها
ونهب عاصمتها ، بمساعدة ملكى « آشور » و « ألأشيا » (قبرص) . وتدل الشواهد
على أن « سوتارنا » هو الذى قبض على مقاليد الحكم فى « متنى » فكان مما قام به
هدم قصر « دوشرتا » فى « وسوجانى » عاصمة الملك ، ثم أعاد الباب المصنوع
من الذهب الى ملك « آشور » ، وكان قد اغتصبه « سوساتار » ملك « متنى » من
بلاد « آشور » ثم اعترف باستقلال مملكة « آشور » ، وكذلك أهدى الى بلاد
« ألأشيا » (قبرص) بعض الطرف من بلاده . وهكذا دفع « دوشرتا » ثمن بغيه
وحنثه بالأيمان : « لقد ذهبت « متنى » الى الدمار التام » ، فقد وقعت مذبة
عظيمة بين سكان بلادها وهدمت بيوتهم ، وشتت بلدانهم ، أما أشرافهم فقد
سيقوا الى « آشور » و « ألأشيا » ليدوقوا أفطع ألوان العذاب . وأما « ماتيوزا »
ابن « دوشرتا » فقد حاول بادئ الأمر الحرب الى « بابل » : وقد رغب ملك هذه
البلاد فى أن يحى ذماره ، وينقذ حياته فىبقى هناك آمناً مطمئناً الى أن فر ، ولكن ليطأه
« شوبيلوليوما » بقدمه . غير أننا نرى من جهة أخرى أن تصرف « سوتارنا »
فى بلاد « متنى » لم يرق فى عين عاهل « خيتا » ، وبخاصة عندما رأى أنه نزل عن
الأراضى الواقعة على الضفة الثانية لنهر الفرات لملك « آشور » ، وكان جوابه على

ذلك أنه رغب عن طيب خاطر في إعادة « ماتيوازا » إلى عرش بلاد « متنى »
فزوجه أولا من ابنته، ثم أمر ابنه (بياسيل Byassil) أن يعود من « كركيش »
وزوده هو و « ماتيوازا » بجيش عظيم انقضا به على جحافل جيش « سوتارنا »
غربى بلاد « نهرين » وانتصرا انتصارا حاسما فسقطت بلدة « حران » ونكص
« الآشوريون » على أعقابهم ، واستسلمت « وسوجاتى » العاصمة . وعقد
« شوبيلوليوما » مع « ماتيوازا » معاهدة أقسم فيها الأخير ورعاياه يمين الإخلاص
أن يكونوا على أهبة الاستعداد للمساعدة . وقد سمح لملك « متنى » « ماتيوازا »
أن يتخذ لنفسه زوجات أخر، على أن تكون الأميرة الخيتية هى الملكة الشرعية على
عرش البلاد . أما الحدود التى كانت تفصل بين البلدين، فكان نهر الفرات الحد
الفاصل لها، وعلى ذلك اعترفت بلاد « متنى » بالتخلى عن « سوريا » . أما الأراضى
الواقعة على الضفة نهر الفرات حتى جنوبى مصب نهر « الحابور » إلى ما وراء
(تيرقا Tirqa) فيستولى^(١) عليه « بياسيل » ملك « كركيش^(٢) » ، هذا إلى أن يكون
« ماتيوازا » موطدا أو اصر الصداقة والود معه ، وأن تكون « متنى » منفصلة
عن « سوريا » تمام الانفصال .

وفى خلال تلك المدة لا نعلم إلى أى مدى مدت مصر سلطانها ثانية فى بلاد
ساحل « فينقىا » ؛ فقد ظلت « سميرا » و « بيلوص » فى قبضة « أزيرو » ، ولقد
عنفه الفرعون على زحفه ، غير أنه لم يسع إلى رده على أعقابيه ، ولا نعلم كذلك
إذا كان قد أخضع « صيدا » ثانية إذ فى ذلك شك عظيم . أما « صور »
فإنه أراد المحافظة عليها ، ومن المحتمل كذلك « بيروت » أيضا . وخلافا لذلك
كانت الأراضى الواقعة بين سلسلتى جبال « لبنان » (عمق) تدين لسلطان

(١) راجع : Forrer, "Forechung", II, P. 41 ff.

(٢) راجع : Forrer, "Boghaz Koi-Texte in Umschrift", No. 41,

col. 2, § 10.

« أزيرو » ، وقد حاول بعد ذلك أن يضم إلى جانبه « قادش » في أثناء محاصرة « شوبيليو ليوما » لبلدة « كركيش » . ولما أحس ذلك « شوبيليو ليوما » أرسل قائده « لوباكو » ومعه قائد آخر على جناح السرعة للقضاء على « أزيرو » نفرت بلاد « عمق » بعد حمتين . وبذلك انقضت عرى الصداقة التي كان ملك « خيتا » يحافظ على دوامها بينه وبين مصر فأصبح البلدان في حالة حرب علنية .

وتعد الرسالة التي وصلت إلى مصر معلنة خبر الغزو الذي قام به جيش ملك « خيتا » بإمرة « لوباكو » في « عمق » على المصريين آخر خطاب وصل إلى « تل العمارنة » . وقد لخص لنا « توت عنخ آمون » خلف « إخناتون » نتائج حكم أخيه في « آسيا » في المنشور الذي أصدره عندما تولى عرش مصر في الكلمات التالية :

وعندما أرسلت الجنود إلى بلاد فيتيا لأجل مد حدود البلاد المصرية لم يكن في استطاعتهم الوصول إلى النتيجة .

وعلى أية حال فإنه على أثر مهاجمة « خيتا » للآمالك المصرية تخرجت الأحوال في مصر مما قلب سياستها في الداخل والخارج رأسا على عقب .

آثار إخناتون الباقية

أقام « أمنحتب الرابع » آثارا عدة في طول البلاد وعرضها غير مدينة « إخناتون » التي شيدها عاصمة للملكة ، وهي المعروفة الآن « بتل العمارنة » على مقربة من بلدة « ملوى » الحالية وقد فصلنا القول فيها فيما سبق .

منف : في مدينة « منف » القديمة عثر له على بعض قطع من الحجر من معبد له بالقرب من مدخل معبد الإله « بتاح » أعظم آلهة هذه المنطقة . وقد وجدت هذه القطع مستعملة ثانية في رقعة هذا المعبد ، وإحدى هذه القطع محفوظة

الآن بمتحف « جامعة سدنى » باستراليا • (راجع Necholson. "On the Disk Worshipper of Memphis". Transactions of the Royal Society of Literature 2. Sec. IX, (1870) Pl. I, P. 197.)

وله قطعة أخرى عليها جزء من منظر مثل فيه ملكان أحدهما أصغر من الآخر ويقال انهما «إخناتون» «وسمنخكارع» (راجع J. E. A, XIV, P. 8. Fig 3.) وقطعة ثالثة عليها طغراءات الفرعون (Necholson, Ibid. Pl. I, No. 4. P. 8.) وقد نشر «مريت» قطعة أخرى عليها متن خاص «بإخناتون» (راجع Mariette, Mon Divers. Pl. 27 (e).

وعثر في «كوم القلعة» على قطع من الحجر نقوشها من عصر «إخناتون» كما وجدت صورة رأس هذا الملك في نفس المكان وكانت كلها مستعملة ثانية في مبان أقامها الفرعون «مرنبتاح» (راجع The Eckley Mariette, Ibid Pl. 24 (e) 1-3; & B. Coxe, Tr. Egyptian Expedition in Pennsylvania University Museum (Journal, VIII (1917) P.P. 225-228 Fig. 88.

وقد وجدت بعض قطع استعملت ثانية في مبان بالقاهرة بالقرب من جامع «الحاكم» ومن «بوابة النصر» ، ويحتمل أنها جلبت من «منف» أو من «هليوبوليس» (راجع Petrie, "History", II, P. 221, A. Z. XIX, P. 116.) وفي «سقارة» وجدت لوحة لشخص يدعى «حوى» لقب عليها برئيس تجار معبد «آتون» (راجع Petrie, Ibid, P. 221) حيث يقول: إن وجود هذه اللوحة هنا قد اتخذت دليلا على وجود معبد في «منف» ، ولكن من الجائز أن هذا الموظف كان مقروظيفته «هليوبوليس» (راجع 2. P. 56. Mariette, Mon. Div.) «هليوبوليس»: وجدت في «تل الحصن» قطع نقش عليها اسم «إخناتون» ، وهي محفوظة الآن بمتحف «جلاسجيو» بأسكتلنده (Petrie, "Heliopolis", Pl. VIII) ومن آثار هذا الفرعون التي وجدت في «هليوبوليس» كذلك لوحة مثل عليها هو وأسرته يتعبدون لقرص الشمس (آتون) . فتشاهد أعضاء الأسرة المالكة راكعين

أمام مائدة قربان أرسلت عليها أشعة «أتون» التي ينتهى كل واحد منها بيد بشرية وهذا الوضع (الركوع) ليس بالعادى، إذ فى الغالب ترى الأسرة المالكة يتعبدون لقرص الشمس وهم واقفون أمام مائدة القربان . وهذه اللوحة قد اغتصبها لنفسه كاهن معبد «رع» الأكبر المسمى «بارع محب» وقد عاصر الفرعون «حور محب»، فنجدته قد استعمل ظهر اللوحة الخالى من النقوش ودون عليه رسومه ونقوشه، فعلى الجزء الأعلى الفرعون «حور محب» يعبد كلا من الإله «آتوم» والإلهة «حتحور» وعلى الجزء الأسفل نشاهد «بارع محب» ممثلا مرتين وكذلك نشاهد صورتين للإله آتوم . (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", Pl. LXV.)

وقد وجدت كذلك فى هذه الجهة قطعة من الجرانيت الأحمر عليها اسم «مرىة أتون» بنت «إخناتون»، وكذلك أشير عليها إلى مبان للإله «رع» فى «إيون» أى «هليو بوليس» (راجع A. Z. XIX P. 116; Rec. Trav. VI, P. 53.)

ويقول «ويجول» إن «إخناتون» قد أقام معبدا فى «عين شمس» يسمى «سرور رع فى هليو بوليس»، وكذلك أقام لنفسه قصرا هناك Weigall, "Life & Times of Akhenaton", P. 166.

«كوم مدينة غراب»: تدل الآثار على أن «إخناتون» وأسرتة قد أقاموا بعض المباني الأثرية فى جهة «كوم غراب». والواقع أننا نجد فضلا عن بعض الآثار للملك «أمنحتب الثالث» وزوجه «تى» آثارا أخرى للفرعون «توت عنخ آمون» وزوجه «عنخس إن آمون». أما الفرعون «إخناتون» فقد وجدت له قطع من الحجر عليها اسمه وتدل على أنه قد أقام أثرا فى هذه البقعة، وكذلك شوه معبد جده «تحتمس الثالث» وهو الذى محاه فيما بعد «رعسيس الثانى» (راجع Porter & Moss, Bibliography IV, P. 122.) ولدينا ورقة من «غراب» وهى عبارة عن خطاب مرسل للفرعون «أمنحتب الرابع» يخبره فيه أن كل شىء فى معبد «بتاح» فى «منف» على ما يرام، وقد أرخ هذا الخطاب بالسنة الخامسة من حكمه

(راجع. Griffith "Kahun Papyri", (Text) P. 91)، وهذا دليل على أنه لم يكن معتقفا بعد ديانة « آتون » في السنة الخامسة من حكمه .

« إهناسية المدينة » : وجدت قطعة من الجرانيت الأحمر عليها اسم « إخناتون » في نرائب إحدى البيوت التي تنسب إلى العهد الروماني، ويقع هذا البيت في الجهة الغربية من المعبد الذي أقيم في هذه الجهة (راجع. Petrie, "Ehnasya" P. 20, 21. Pl. XVI. [Top]. والنقوش التي عليها ممحوة جدا ويعتقد « بترى » أن هذه القطعة وكذلك القطع التي عثر عليها في بلدة « غراب » كانت في الأصل في مدينة « إخناتون » ثم نقلت هناك عن قصد عند ما قام أعداء مذهب إخناتون بهدم آثاره وتشتيتها في كل مكان .

« الأشمونين » : تدل الكشوف الحديثة على أن « إخناتون » أقام معبدا للإله « آتون » في بلدة « الأشمونين » . فقد عثر على بعض قطع من الجرانيت نقش عليها مناظر وكتابات لهذا الفرعون وقد استعملت فيما بعد في إقامة معبد الإله « تحوت »، ويرجع المعبد إلى عهد متأخر، فنشاهد على إحدى هذه القطع الملكة « نفرتيتي » والأميرة « مريت آتون » يتعبدان « لآتون » ويقدمان القرابين التي كانت تتألف من طاقة صغيرة من زهر اللوتس وضعت على قاعدتين نحيلتين ، ويلاحظ هنا أن وجوه الأسرة المالكة قد هشمت تماما، ولكن كل الطغراءات وقرص الشمس (آتون) والأشعة المرسلة منه قد بقيت سليمة. (راجع Roeder, "Vorläufiger" Bericht über die Deutsche Hermopolis Expedition 1931—1932. PP. 34—37. Abb. 16, 17. Pl. IV.) .

وكذلك وجدت في هذه الجهة مائدة قربان من الجرانيت وقد وجدها « بريس دثن » Prisse d'Avennes, "Lettre à M. Champollion Figiac". Rev. Archeol (1847) P.730.

وكذلك وجدت بعض القطع المنقوشة من معبد الملك « إخناتون » في هذه الجهة مستعملة ثانية في بعض مقابر الدولة الحديثة وهي الآن « بالمتحف المصري » (راجع Weill, "Monuments Piot", Vol. XXV P. 420) .

ومن بين القطع الهامة التي عثر عليها في «الأشمونين» مستعملة ثانية في مبان متأخرة قطعة منقوش عليها اسم أميرة بقيت مجهولة حتى الآن وتدعى «عنخس — ن — باأتون الصغيرة» وأمها هي الأميرة «عنخس — ن — باأتون» بنت «إختاتون» وزوج «توت عنخ آمون» فيما بعد (راجع Hellmut Bunner, "Eine Neue Amarna Princessin" in A. Z. LXXIV, P. 104 ff)، وقد استنبطت كاتبة المقال عن هذه القطعة كما وضحنا فيما سبق أن هذه الأميرة قد تزوجت والدها ووضعت منه ابنة صغيرة سميتها باسمها وميزتها عنها بلفظة «الصغيرة» .

وفي «تونه الجبل» لا تزال إحدى لوحات الحدود لمدينة «إختاتون» التي نحتها هذا الفرعون في وجه الصخر . وقد أرخت بالسنة السادسة من حكمه كما ذكرنا من قبل .

الشيخ عبادة : (أنطوى) وجدت في هذه الجهة قطع من محراب «لأختاتون» في الناحية الشمالية من معبد «رعمسيس الثانى» ، وقد نقش عليها خراطيش الفرعون وبعض نقوش مهشمة الآن (راجع Gayet, "Compte Rendu des Fouilles. Annales du Musee Guimet XXVI, 3^{me} Partie P.55) .

«تل العمارنة» : عثر في «تل العمارنة» على بعض قطع من المرمر في مقبرة «إختاتون» في أثناء الحفائر التي قامت بها الجمعية الإنجليزية في هذه الجهة بين عامى ١٩٣١ — ١٩٣٢ وهى الآن بالمتحف المصرى ، وبعد فحصها وجد أنها كانت تؤلف جزءا من صندوق من المرمر الجميل الذى كانت توضع فيه أواني الأحشاء ، وإذا قرنا هذا الصندوق بصناديق الملوك الآخرين نجد أنه فريد في بابه من بعض الوجوه . ويدل الفحص على أنه لم يستعمل فعلا ، كما أننا لا نعلم شيئا قط عن مصير تابوت هذا الفرعون ، كما أن مصير جثته لا يزال الى الآن سرا غامضا (راجع A. S. XL, P. 537 ff) .

ويلاحظ في نقوش هذا الصندوق أن «إختاتون» كان متمتعا ببعض الشعائر الدينية القديمة على الرغم من اعتناقه لمذهب «آتون» (٩) (٩) .

«أسيوط»: أقام «إخناتون» معبداً في مدينة «أسيوط» وقد اغتصبه فيما بعد «رعمسيس الثاني». • والمناظر الأصلية والنقوش التي كانت على جدرانها قد أصابها عطب كبير، غير أن ما تبقى من النقوش يدل على فن رفيع من طراز العمارنة الخاص. وقد وجد على قطعة جزء من منظر هام يشاهد فيه بعض الأشخاص في حضرة الفرعون يرتدون على رؤوسهم مخاريط العطور مما يدل على أنهم كانوا في وليمة. ونرى وجه امرأة ترفع يد الفرعون بخضوع وتجلة إلى شفيتها وتقبلها، وقد مثلت هذه الحركة بمهارة وإتقان. والواقع أنها على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا تعد الأولى من نوعها حتى الآن في الفن المصري، إذ الحقيقة أننا لم نعثر على صورة تمثل تقبيل اليد عند المصريين إلى الآن في غير هذا المنظر. Gabra, "Un Temple d'Ameno-phes IV à Assiut" (Chronique d'Egypte, July 1931 P. 237, fig. 5.) وقد عثر على هذا المعبد تحت مباني أحد بيوت الأهالي في شارع فاروق «بأسيوط»، وقد كان صاحب البيت الذي أرشد إلى هذا الكثر ينتظر وجود قناطير من الذهب النضار، ولكن الأثريين والمؤرخين عثروا فيه على كثير من الحقائق التاريخية والفنية. «المطمار» (بالقرب من البداري): عثر «برنتون» في أثناء الحفائر التي قام بها لحساب المتحف البريطاني عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ على بقايا قرية من عهد الأسرة التاسعة عشرة بالقرب من قرية «المطمار» ومن بين الآثار التي وجدها معبد للإله «ست» أقامه «رعمسيس الثاني» وقد وجد من بين أحجار هذا المعبد المخرب بعض قطع من معبد للإله «آتون» أقامه «إخناتون»، وقد استخدم «رعمسيس» أحجاره في بناء معبد الإله «ست» السالف الذكر (راجع Chronique d'Egypte, July 1936 P. 224.) •

«قفط»: يوجد في متحف «ليون» الآن قطع من لوحة صنعت من الجرانيت الرمادي عليها بقايا طغراءات للفرعون «إخناتون»، وقد عثر عليها في «قفط» (راجع Reinach Catalogue P.P. 41 - 42 (3 a, 3 b) •

وتدل ظواهر الأحوال على أن « إخناتون » قد استغل محاجر « وادي الحمامات » ، إذ توجد بعض اللوحات المقطوعة في الصخر منقوش عليها اسمه ونحس بالذكر منها لوحة مقدمة إلى موظف يدعى « أمنحتب » (راجع Golenischeff, "Hammamat", I, 6. وكذلك نقش على الصخر دونه شخصا يدعى « أمنس » (Gouyat & Montet, "Hammamat", P. 116, 251) ، ولا بد أن هذه النقوش قد عملت في بداية حكم هذا الفرعون ، ويشاهد أن « ستي » الأول قد عا منظرًا ظهرت فيه عبادة الإله « آتون » ونقش مكانه منظرًا له وهو يتعبد للإله « آمون رع » ، وقد ترك « ستي » قرص الشمس الذي كان في المنظر الأصلي دون أن يمس به بسوء وأضاف إليه فقط صلين متدلين منه (راجع Ibid. No. 94. Pl. XXIII.) .

« قوص » : وفي « قوص » وجدت قطع من الحجر الرمل منقوش عليها طغراءات

« إخناتون » وزوجه « نفرتيتي » (راجع Wilkinson, "Modern Egypt and Thebes" II, P. 132. & Porter & Moss, Bibliography, V, P. 135.) .

« الكرنك » : كان أول عمل قام به « إخناتون » بعد توليه العرش بناء معبد للشمس في « الكرنك » وهو المكان المختار لعبادة الإله « آمون » . وقد أطلق على إله الشمس في هذا المعبد اسم « رع حور أختي » ومعناه (رع هو حور في الأفق ، وأضاف إليه اللقب التالي : « الذي يفرح في الأفق باسمه شعاع النور الذي في قرص الشمس » . وقد أراد بذلك أن يصف هذا الإله بأنه هو الشمس نفسها لا أحد مظاهرها ، وقد عبر عن هذا الاسم بكلمة « آتون » فيما بعد . وقد عبر عن نفسه في اسمه الملكي بالكاهن الأكبر لهذا الإله الجديد ، وكذلك فإن القصر الذي أقامه في « طيبة » قد أطلق عليه « الفرح في الأفق » ليكون منسجما مع لقب إلهه الجديد ، وقد اتخذ الأبهة لإقامة هذا المعبد بسرعة مذهشة ، ولا أدل على ذلك مما جاء في النقش الذي عثر عليه في محاجر جبل السلسلة إذ أمر بحشد كل عمال قطع الأحجار من « الفتين » في أقصى حدوده الجنوبية حتى « تل البلمون »

في أقصى حدوده الشمالية، وإرسالهم إلى هناك لقطع مسلة من الحجر الرملى لإلهه .
غير أن هذا المعبد الذى اهتم بإقامته في « الكرنك » قد أزاله أعداء «أتون» بعد
سقوطه، ولكن بقيت منه قطع عدة قد استعملها «حور محب» في إقامة البوابتين
التاسعة والعاشر في «الكرنك» منها واحدة عليها صورة «إخناتون» في هيئة «بولهول»
(راجع 2. Prisse Mon. Egypt. X.) الذى كان يمثل إله الشمس، وقد وجد على
إحدى هذه القطع كذلك صورة «أمنحتب الثالث» مثل عليها صورة شمس «حور
أدفو» مما يدل على أن هذا الفرعون قد أخذ في بناء معبد هنا، غير أن ابنه قد استعمل
أحجاره في بناء معبده الجديد، وذلك لأن الصورة التى وجدت على يسار صورة
«أمنحتب الثالث» كانت لابنه «أمنحتب الرابع». ويلحظ أن الأخير قد محا صورة
والده واسمه، ووضع مكانهما اسمه واسم إلهه الجديد الذى صوره في صورة إنسان
برأس صقرو وجعل أشعة الشمس ترسل فوق رأسه (راجع Schafer in "Der Aml" Berichten aus den preuss. Kunst-sammlungen. XLI (1920, 158 ff.)).

وقد عثر على قطع أخرى من أنقاض هذا المعبد (راجع Breasted A. R. II, 932; & Schafer A. Z; 55, 28, 2, and Aml Ber, XL, 1919, 225; & Pilliet, A. S. XXII P. 250 fig. 4. & ibid Pl. IV).

وفي عام ١٩٢٥ قام المهندس «شفرية» بحفر مصرف كبير حول معبد «الكرنك»
من ثلاثة جوانب لمنع تسرب المياه . وفي أثناء القيام بهذه العملية عثر على تماثيل
ضخمين للفرعون «إخناتون» محفوظين بالمتحف المصرى (A. S. XXVI P. 121 ff.)
وقد أدت أعمال البحث في مكانهما الى الكشف عن بقايا أحد عشر تمثالا ضخما
مثل التماثيل السابقين، وقد دل الفحص على أنها كانت مقامة بظهورها مستندة على
عمد مستطيلة من الحجر الرملى على غرار العمود الخارجية العادية التى تقام في المعابد،
وكانت تكتنف ردهة واسعة لمبنى يحتمل أن «إخناتون» أقامه، وهذه التماثيل قد
نحتت نحتا دقيقا، غير أنها تمثل صورة إنسان قبيح المنظر شاذ الخلق لدرجة
عظيمة . وعند الكشف عنها وجدت مهشمة قطعا وملقاة بوجوهها على الأديم،

وكان كل واحد ملق أمام العمود الذى كان يحليه . وهذه التماثيل تصور لنا « إخناتون » واقفا وذراعا على صدره وفي إحدى يديه صوبلحان وفي الأخرى زحمة وذلك على غرار وتمثال الإله « أوزير » ، غير أن « إخناتون » هنا لم يمثل مزملا فى ملبسه مثل « أوزير » فى صورة مومية ، بل مثل فى هيئة ملك حى لا بسا القميص الملكى القصير ومرتديا على رأسه الكوفية (نمس) والصل وعليهما التاج المزدوج أو لباس رأس آخر غريب فى بابه مؤلف من أربع ريشات وضعت عمودية وتظهر عند ما تشاهد من وضع جانبي مثل تاج الإلهة « ماعت » ، ويظهر لنا أحد هذه التماثيل على وجه خاص غريب فى شكله ، إذ يمثل هذا الفرعون وهو عارى الجسم تماما وهنا نشاهد أن جسمه قد صور فى هيئة جسم امرأة . ويلاحظ فى وضع كل هذه التماثيل أن الكتفين ضيقتان وأن والوسط نحيل وأن الحوض واسع والفخذين منحنتان مما يشعر بصورة أنثى لا صورة ذكر . أما الوجه فطويل وضيق وخداه بارزتان . وعيناه ضيقتان ذواتا جفنين ضيقتين ، وفمه ذو شفتين غليظتين يطبع عليهما الشهوة البهيمية ويدل انحنائهما على الرضا بهذا النقص الخلقى والخلقى . ويلاحظ على الوجه تجميدة عميقة بتدئى عند انحناء المنخرين حتى زاويتي الفم مما يزيد بدرجة عظيمة فى دمامة الوجه عامة . ولا نزاع فى أن هذه التماثيل تقدم لنا صورة صادقة لرجل شهوة خليع منحط التركيب والخلق . والواقع أن مظهر هذه التماثيل الشاذ وغيرها من تماثيل « إخناتون » وصورة كانت موضوع فحص طبي قام به الدكتور « غلينجى » (راجع A. S. XLVII, "A Medical Study of Akhenaton", P. 29 ff.) وقد فسر التحول الذى حدث فى الصور الجميلة (انظر الصورة رقم ١٢ . الصفحة ٢٥٤) التى كانت لهذا الفرعون فى صغره على الرغم مما فيها من بعض مظاهر التخث فى صغرسنه حتى أصبحت فيما بعد صورا غاية فى القبح وسوء الخلق ، بأن ذلك يرجع إلى تغير حقيقى فى صورة هذا الفرعون ؛ وأن ذلك لا يعزى كما يدعى البعض إلى نزعة جديدة فى الزى الفنى ، واستدل على صحة قوله بأن صورة الملكة « نفرتيتى » لم يحدث فيها شئ من هذا الشذوذ قط . ويظن الدكتور « غلينجى »

أن المرض الذى أصاب «إخناتون» كان سببه انحطاطا فى وظيفة الغدد الجنسية جاء تدريجا مما أدى فى النهاية إلى تحول جسمى محس وميل إلى التخلق بالأخلاق النسوية جسديا، وعقليا، ومن ثم يمكن تفسير كثير من أعماله المعروفة لنا فى أخلاقه وصفاته.

الأقصر: عثر الدكتور «كبل» على قطع من الحجر فى ساحة معبد «الأقصر» فى عام ١٩٠٥، وعلى إحدى هذه القطع نقشت صورة جميلة لإخناتون وخلفه أشعة



الصورة رقم (١٨) تمثال إخناتون

«آتون» تعطى الحياة والسعادة . ويظن الدكتور « كبل » أن هذه القطع كانت في الأصل من قبر «رع موسى» رقم ٥٥ «بطيبة الغربية» (راجع P. S. B. A. XXVIII P. 156. (1906)) .

«المدمود» : تدل الآثار التي عثر عليها في منطقة «المدمود» على أن «إخناتون» قد أقام فيها معبدا على ما يظهر إذ عثر على قطعة حجر رسم عليها صورة « إخناتون » يتعبد للاله «آتون» كما عثر على قطع أخرى قد استعملت في إقامة مبنى روماني في «المدمود» أيضا (راجع Porter & Moss Bibliography V, P.144.) . وكذلك عثر على حجر جيري منقوش مستعمل في بناء منزل في قرية قبطية، والمنظر الذي على هذا الحجر يمثل ملكين يلبسان ملابس العيد الثلاثيني وفوقهما قرص الشمس مرسل أشعته التي تنتهى بأيد إنسانية (راجع Rappo rt sur Les Fouilles de Madmoud (1932) P. 5, 6.) .

«أرمنت» : تدل النقوش الخاصة بمعبد «إخناتون» على أن هذا الفرعون قد أقام معبدا في «أرمنت» في الوقت الذي أقام فيه معبد «آتون» في «الكرك» أى قبل أن ينقل عاصمة ملكه إلى «إخناتون» ، إذ عثر على هرم صغير بالقرب من «الكرك» تشير النقوش التي عليه إلى معبد يسمى «أفق آتون في أرمنت» (راجع Rec. Trav. XXIII, P. 62.) وكذلك عثر على قطعة حجر في معبد العجول عليها اسمه ، هذا إلى قطع منقوشة أخرى مهشمة ذكرها « نافيل » تدل على وجود معبد للاله « آتون » في «أرمنت» (راجع Mond & Meyers, "The Temple of Arman" I, P. 3, 4.) . وتوجد قطع أخرى عليها اسم «إخناتون» كانت مستعملة مباني في بيوت «أرمنت» الحديثة (راجع Ibid.) .

«زرنىخ» : بالقرب من «إسنا» عثر «لجران» على لوحتين مقطوعتين في الصخر ونقشتا نقشا جميلا باسم «أمنحتب الرابع» ويظهر في الجزء الأعلى من اللوحة الأولى يقدم الهدايا للالهة «نخت» . أما المتن الذي فوق الملك والإلهة فتهم تهشما مريعا

ولا تميز منه إلا كلمة «نخب» سيدة السماء، أما الجزء الأسفل من اللوحة فنشاهد فيه مقدم اللوحة راكعا يتعبد، وكذلك يشمل نقشا مهشما، غير أننا على الرغم من تهشمه نعلم منه أن موظفا يدعى «أبي» ابن «حور مأخت» قد جاء إلى هذا المكان في سنة ما من عهد «أمنتب الرابع» قبل أن يغير اسمه للقيام بالأعمال التي تخص «معبد الشمس» المسمى «حور اختي» يفرح في الأفق باسمه النور الذي في «آتون»^١، وقد رسم تذكارا لهذه الرحلة الفرعون وهو يقدم قربا للإلهة «نخب» كما ظهر هو نفسه وهو يتعبد.

وغنى عن البيان أن هذه اللوحة قد أقيمت في عهد هذا الفرعون قبل أن تختمر تماما في نفسه فكرة التوحيد وإطلاق اسم «آتون» على معبوده الواحد. أما اللوحة الثانية فأكثر حفظا من الأولى ولم يهشم إلا الثلث من سطحها الأيسر. وتقع بالقرب من اللوحة الأولى. ونشاهد في المنظر الذي على اليمين فيها الإله «آمون» جالسا على عرش وأمامه طاقة من الأزهار وخلفه ثلاث موائد قربان محملة بالقرب وفوق «آمون» تقرا: «آمون رع» ملك الإلهة ورب السماء، وفوق طاقة الأزهار تقرا متنا يعدد القربان، وقد تبقى من المتن الذي نقش على هذه اللوحة سبعة أسطر لا يخرج معناها عن معنى المتون الأخرى التي تكتب على لوحات الموظفين الذين يقومون بمثل هذه البعوث، وقد كان يصحب «أمي» أو «آي» كما يقول «برستد» موظف يدعى «نفرنبت». وعلى أية حال فإن هذه اللوحة لا بد أنها قد نسيت عند ما أمر «إخناتون» بمحو اسم «آمون» أينما وجد، ومن جهة أخرى نعلم كما ذكرنا أن «أمنتب» لا بد أنه كان في أول عهد حكمه عند ما أرسل «أبي» و«نفرنبت» إلى «زرنخ»، إذ كان لا يزال يحافظ على عبادة الإلهة «نخب» والإله «آمون» كما يدل على ذلك نقوش هاتين اللوحتين (راجع 62-259 A. S. III P.).

«الكوم الأحمر»: (هيراكنيوبوليس) وجد الأثرى «كوبيل» في الحفائر التي قام بها في «الكوم» الأحمر مائدة قربان باسم «إخناتون» في داخل سور المعبد

المقام في هذه الجهة ، بين بقايا الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة (راجع
• (Quibell and Green, "Hierakonpolis" P.P. 11 – 15.)

«جبل السلسلة» : (على الشاطئ الشرقى) توجد في جبل «السلسلة» لوحة
مقطوعة في الصخر من عهد «أمنحتب الرابع» وتقع في شمالى المحاجر على مقربة من
«الجبانة العتيقة» ، وعلى الجزء الأعلى منها نشاهد قرص الشمس تاشرا جناحيه على
منظر يرى فيه الملك يقدم قربانا للاله «آمون» ، كما شاهدنا مثل ذلك على لوحة «زرنينخ»
وقد كتب عليها اسمه الأصلي «أمنحتب الرابع» غير أنه عندما غير اسمه إلى «إخناتون»
أمر بمحو اسمه «أمنحتب» وكذلك اسم «آمون» . والمتن المنقوش على الوجه هو ما يأتى :
يعيش حور الثور القوى صاحب الريشتين الساميتين محبوب الآلهتين ، عظيم الملك في «الكرك» ، حور
الذهبي لابس التيجان في «هليوبوليس» الجنوبية ، ملك الوجهين القبلى والبحرى ، الكاهن الأعظم في المعبد
المسمى «حور اختي الفرع في الأقق باسمه الصور التى في آتون» «تقر خبر رع رع ن رع» بن رع «أمنحتب»
الحاكم المقدس لطيبه العظيم في خلوده والمأش أبديا «آمون» رع رب السماء وحاكم الأبدية .

المرّة الأولى لجلالته في إعطاء الأمر... لجمع كل العمال من «الفتين» حتى «سمامحديت» (تل البلمون) وقواد
الجيش لأجل أن يقوموا بعمل منجم كبير لقطع حجر رملى لأجل قطع بنين (قطعة هرمية الشكل) كبير خاص
بالإله «حور اختي» باسمه الضوء الذى في آتون في الكرك . تأمل ! إن الموظفين والسمار ، ورؤساء حاملى المراوح
كانوا هم المشرفين على العمل في المناجم لنقل الأحجار . (راجع A. S. Vol. III, P. 262.)

«صولب» : وفي صولب عثر على نقوش للفرعون «أمنحتب الرابع» على
بوابة المعبد وفي هذا المنظر نشاهد هذا الفرعون يتعبد لوالده «أمنحتب الثالث»
الذى أسس هذا المعبد . ويلاحظ أن وجوه الأشكال قد أتلقت (راجع Pl. 110.
• (L. D. III, K. VI, Baedeker, "Egypt" (1929) P. 447.)

«سسي» : يعتقد أن معبد «سسي» (عند الشلال الثالث) الذى أقامه
«إخناتون» هو نفس معبد «جم آتون» في بلاد النوبة وهذا المعبد يقع في الركن
الشمالى الغربى من قلعة «جم آتون» ، وهو المعبد الوحيد الذى بقى للاله «آتون»
في بلاد النوبة وقد سما «سيتى الأول» كل النقوش الأصلية الخاصة «بإخناتون»
ونقش مكانها أخرى باسمه وهو يتعبد للاله «آمون رع» (راجع Baedeker, bid.
• (P. 447; L. D. III, Pl. 141 n.)

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد اخناتون

انتقل مع « إخناتون » فى مقره الجديد « إخناتون » نفر من رجال الدولة العظام غير أنه رفع من شأن عدد عظيم من عامة الشعب . وقد كانوا يفتخرون فى نقوشهم بأصلهم الوضع . وأبرز الرجال الذين خدموا هذا الفرعون هم :
نحت — با آتون : كان « نحت — با آتون » الوزير الذى خلف « رعموسى » على كرسى رئاسة الوزارة فى عهد « إخناتون » ، وكان يحمل الألقاب التالية :
الأمير الورائى ، والحاكم وحامل الخاتم والوزير . وقبره فى « تل العمارنة » (رقم ١٢)^(١)
وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يتم بناءؤه نهائيا . وكل ما أنجز من عمله فيه هو مدخله وواجهته ، أما فى داخله فلا ترى إلا جزءا صغيرا من رقعته ، والأجزاء العلوية من ثلاثة عمد قد فصلت من الصخرة التى حفر فيها هذا القبر . وعلى الرغم من أن نحت لم يتم فإن صاحبه قد دفن فيه . وقد كتب بالمداد متنين أو ثلاثة على عارضتى الباب الخارجيتين بدلا من نحت النقوش اللازمة على جدرانها . ولا يسعد أن « نحت — با آتون » على الرغم من مكانته فى الدولة وتوليته أعلى وظيفة فيها قد أراد أن يضرب المثل لغيره باتخاذ مقبرة ساذجة لنفسه كي يظهر للبلاد مقدار تواضعه وخضوعه . ويظن الأثرى « ديثز » أنه كان فى بادئ أمره رجلا مغمورا الذكر ثم تسنم مرتبة الشرف عند سقوط الموظف العظيم « معى » فاتخذ من حياة الأخير درسا لنفسه وتجنب المظاهر الكاذبة كما فعل من قبله « أبى » و « رعموسى » ، وإذا كان « نحت » هذا هو نفس حاكم المدينة والوزير « نحت » كان يملك قصرا فاخرا غاية فى الأناقة فى « إخناتون » ، وبذلك يكون قد تقضى القاعدة التى كانت متبعة عند قدماء المصريين . وهى أن المصرى كان يقيم لقبره وزنا ويهتم بتنسيقه أكثر من اهتمامه ببيته الدنيوى .^(٢)

(١) راجع : Davies, "The Rock Tombs of El Amarna", Vol. V.

(٢) راجع : Peet and Woolley. "The City of Akhetaton", P. 41. Pl. VII, 4, 6. PP. 12, 13.

« معى » المشرف على الجنود : يدل ما قصه « معى » عن نفسه — إذا صدفنا ما جاء فيه نقوشه — على أنه كان رجلا فى بادئ الأمر مغمورا الذكر ، وضع النسب ، فقير الحال ، بل كان يتكفف لينال ما يسد به رمقه من خبز ، ولم يلبث أن بلغ من المراتب أملاها ، غير أنه قد انطبق عليه المثل القائل « ضع متكففا على صهوة جواد فلن يلبث بعد ذلك أن يمتطى ظهر الشيطان » . والواقع أن « معى » قد أساء كثيرا استعمال حظوته لدى الفرعون ، فلا غرابة فى أن كان سقوطه من طليائه مفاجئا ومثيرا للعجب والدهشة ، وبخاصة إذا علمنا أن شهرته كانت قد بلغت عنان السماء ، وأن ثروته وقوته كانتا مضرب الأمثال .

وقد كان أيام ابتسام الدهر له وعز سلطانه يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وكاتب الملك ، والمشرف على جنود رب الأرضين ، ومدير بيت « بختب — آتون » ، ومدير بيت « وع — ن — رع » (أى إخناتون) فى « عين شمس » ، والمشرف على ثيران معبد « رع » فى « عين شمس » ، والمشرف على كل أعمال الملك ، وكاتب المجندين ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، وأذن « حور » الحقيقتين ، والمرافق للفرعون فى « قارب الصقر » . (راجع Davies Ibid, Pls. II, IV, PP. 4, 5) . وتدل الحالة التى وجد عليها قبر « معى » فى « تل العمارنة » (رقم ١٤) على أنه لم يتم بناؤه نهائيا ، إذ لا بد أن صاحبه قد غضب عليه الفرعون قبل أن يتم زخرفته . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن قبور عظماء عهد « إخناتون » كان يخصص جزء كبير من مناظرها لأعمال الأسرة المالكة ، فنشاهد هنا فى قبر « معى » منظرا صور فيه « إخناتون » والملكة « نفرтитى » يتبعهما ثلاث من بناتهما ، وهما يقدمان القربان للإله « آتون » ، كما نشاهد « موت بنت » أخت الملكة يتبعها قزماها « بارع » و « رع نبح » وهما ذكر وأنثى . وأسفل هذا المنظر كان يوجد فى الأصل رسم « معى » وهو يتعبد ، غير أنه محى تماما ، وغطى مكانه بطبقة من الجص (Davies. Ibid. Pl. III.)

ولكن الصلوات التي كان مفروضا أن يتلوها قد بقيت . ولا غرابة في ذلك لأنها كانت تمجيدا للإله «آتون» والملك (Davies ibid Pls. II, XIX, P. 16). ونشاهد منظرا آخر ، كان المقصود منه إظهار « معى » وهو يتسلم الهبات الملكية من الفرعون ، وهو مطلق من شرفة قصره ، غير أنه قد خط بالمداد وحسب (راجع Ibid Pl. V.) ، ويشاهد في الجزء الأمامي من المنظر القاربان الملكيَّان وقد رسوا في الميناء .

وأهم ما يلفت النظر في هذه المقبرة ترجمة « معى » لنفسه وهى : التبع للإله « حوراختى » [آتون الذى يمنح الحياة] ، وملك الجنوب والشمال العائش فى الصدق ، رب الأرضين ، « نفرخبروع » ، وع — ن — رع « ابن الشمس العائش فى الصدق ، رب النيجان » « إخناتون » العظيم فى بقائه ، وللوارثه العظيمة فى القصر جميلة الوجه ، الفرحة بالريشتين ، محبوبة « آتون » الزوجة الملكية الأولى التى يحبها ، سيدة الأراضى « نفر تيتى » العائشة مخلدة . حامل المروحة على يمين الفرعون... ومن عظمه ملك الجنوب ... على الرغم من حلول الشيخوخة ، ومن جسمه سليم على الرغم من مرور الزمن ، والعظيم فى حظوته ، والسعيد فى ... ومن يسير فى ركاب سيده ، ومن كان رفيق قدميه طول الحياة ، ومن حبه دائم ، كاتب الملك ، وكاتب المجندين ، ومدير بيت « سحتب اب رع » ، ومدير بيت « وع — ن — رع » فى « عين شمس » ، والمشرف على أعمال الملك كلها ، والمشرف على جنود رب الأرضين ، « معى » يقول :

” استمعوا أتم لما أقول ، أتم يأيها الرجال كبارا وصغارا لأنى سأقص عليكم النعم التى أفاءها الخاكم على . ولا ريب فى أنكم ستقولون عندئذ حقا ! ما كان أعظم الأشياء التى عملت لهذا الرجل المغفور الذكر ! وعلى ذلك ستطلبون حقا له (أى لللك) أبدية من أعياد « سد » مدة لا نهاية لها بوصفه رب الأرضين ، وعندئذ سيعمل لكم حقا مثل ما عمل لى الإله الذى يتصرف فى الحياة !

كنت رجلا وضع الأصل أبا وأما ، ولكن الأمير وطد مكانتى ، فقد جعلنى أعظم ... بفيضه ، عند ما كنت رجلا لا أملك شيئا ، وقد جعل عدد عشيرتى ينمو من أجلى ، وكثر عدد أخواتى ، وجعل كل أهلى يعملون لى ، ولما أصبحت سيد مدينة جعلنى أصحاب الأمراء والسما ، على الرغم من أنى كنت فيما مضى أشغل المكان الأخير ، ومنحى المثونة والجراية يوما ، وإنى أنا ذلك الشخص الذى كان يسأل قوته ، وقد جعلنى ... “ .

وعلى الرغم من كل ذلك المدح والإطراء الذى كاله للفرعون فان صوره قد محيت محو تاما من قبره . وقد غطى هذا النقش بوجه خاص بطبقة من الجص . وقد يكون السبب الداعى إلى ذلك هو أن الفرعون ربما رأى أن بقاءه يكون هجاء أبديا لحظوة الفرعون له . ولا نعلم — فى الواقع — السبب فى سقوط « معى » والغضب عليه ، غير أن التاريخ قد قلب ظهر المجن لأخناتون « فكان الجزء من جنس العمل ، فقد حى اسمه من آثاره كلها ، فى حين أن الحفائر الحديثة قد أعادت لذلك العصامى « معى » ما كان يرغب فيه — وهو تخليد اسمه — وأن يعرف الناس أن الأصل ليس هو كل شئ ولكن العمل والجد والمثابرة تغطى على كل شئ وترفع صاحبها إلى قمة المجد .

« مرى رع » الكاهن الأعظم : ولا نزاع فى أن « مرى رع » كان من أعظم رجال « إخناتون » شهرة لأنه كان يحمل لقب الكاهن الأعظم للإله « آتون » وألقابه هى : أعظم الرائيين للإله « آتون » فى معبد آتون « إخناتون » ، وحامل المروحة على عيني الملك والأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وقريب الفرعون (راجع Davies Ibid. Vol. I, P. 42) ، والظاهر أن « مرى رع » هو الكاهن الأكبر الوحيد المعروف لدينا للإله « آتون » . وقد يكون السبب راجعا إلى أنه عند بداية حركة الانقلاب الدينى كان الفرعون نفسه هو الذى يشغل هذه الوظيفة . على أن تركيب اللقب نفسه له أهمية فقد كان — كما هو المتظر — مكتوبا على غرار لقب الكاهن الأكبر للإله « رع » فى « عين شمس » وهو « أعظم الرائيين » لا « الكاهن الأول » كما كان يطلق على رئيس كهنة « آمون » وغيره من الآلهة . أما عن التاريخ الذى عين فيه « مرى رع » كاهنا أعظم للإله « آتون » فليس لدينا شئ معين إلا بعض شواهد يمكن أن نعرف منها على وجه التقريب تاريخ تنصيبه ، وذلك هو عدد بنات « إخناتون » اللاتى رُسمن معه ، ومع زوجة « نفر تيتى » ، وهما فى هذه الحالة كن أربعاً ، وكانت صفراهن

لا تزال في المهد ، ومن ذلك نعلم أن تزيين القبر كان على قدم وساق في الستين التاسعة والعاشرة من حكم هذا الفرعون ، بالنسبة لسن أصغرهن . وقد عثر على اسم هذا الكاهن مكتوبا على زجاجة نحر مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من حكم الفرعون ، مما يدل على أنه كان لا يزال يقوم بأعباء وظيفته في هذا التاريخ .

ويحتمل أنه قد بقي يشغلها حتى وفاة « اخناتون » ، ولا نعرف عنه شيئا بعد ذلك الحادث على وجه التأكيد . وتدل حجرة دفنه التي لم يتم نحتها قط على أنه لم يدفن في هذا القبر . ومن أهم ما يسترعى الأنظار في قبره منظر تنصيبه كاهنا أول للإله « آتون » ، فنشاهد الملك والملكة تتبعهما الأميرة « مريت آتون » وهم متكئون على جدار الشرفة ومطلون منها ، وقد طلب « مري رع » ليمثل أمامهم ، فنراه يصل وبصحبته أهل بيته ، فيركع أمام الفرعون الذي يقف له تلك الوظيفة السامية ويغدق عليه ما يشغل كاهله من حل الذهب بين هتاف المتفرجين (Davies Ibid. Pls. VI, VIII) . وقد ألقى الفرعون خطابا لتنصيبه في هذه الوظيفة ، وقد كان ذلك الخطاب قصيرا مفيدا وفي صلب الموضوع وهو على عكس معظم الخطابات الرسمية فاستمع إليه : (Ibid P.P. 21, 22) « إن الملك الذي يعيش على الصديق رب الأرضين ، « نقر - خبزو ، رع - رع - ن - رع » يقول للكاهن الأكبر لآتون « مري رع » تأمل ! إني قد نصبتك كاهنا أعظم « لآتون » في معبد « آتون » في « اخناتون » ، وقد عملت ذلك حبا فيك قائلا : « يا خادمي ، يا من يسمع لتعاليمي ، إن قلبي راض عن كل عمل تقوم به » ، وإني أمنحك الوظيفة قائلا : سنأكل من ثروة الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) سيدك في معبد « آتون » . »

وفي أسفل المنظر الرئيسي نشاهد عربة « مري رع » في انتظاره لتحمله إلى منزله . أما الهدايا التي منحها إياه الفرعون فقد تسلمها الخدم ليحملوها له . وقد جرى بطائفة من المغنيات والراقصات المأجورات للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة أمام هذا الحفل العظيم ، وقد حملت قائدتهن طاقة أزهار في يدها ، وغنت أغنية مدح وثناء مطلعها : « إن الهبات التي يمنحها « رع - ن - رع » مزدوجة » (Ibid P. 23, Pls. VI, IX) ولدينا منظر آخر يمثل زيارة ملكية لمعبد « آتون » ،

غير أننا لا نعرف مناسبتها على وجه التأكيد، ويحتمل أن الفرعون كان قد ذهب في عريته إلى المعبد ليقدم الكاهن الأول لكهنة المعبد المجتمعين هناك. ومن جهة أخرى يجوز أن هذا يمثل «مرى رع» في وظيفة «كاهن أكبر لآتون» وهو يتقبل الملك والملكة في المعبد للصلاة ويقوم بعمله الديني هناك أمامهما (راجع Ibid, Pls. X-XXII). وهذا الحادث قد مثل من أول خروج الموكب الملكي من القصر إلى حيث يرى الفرعون يساعده «مرى رع» وهو يضحى للاله «آتون». وما هو جدير بالملاحظة هنا أننا لا نشاهد الفرعون وحده عند ذهابه إلى المعبد يسوق عريته بل كذلك نشاهد الملكة «نفرتي» والأميرات الكيرات يسقن عرباتهن أيضا.

وإذا نظرنا إلى المعبد من أعلى نشاهد فيه تفاصيل عديدة. والواقع أنه ليس كالمعابد القديمة التي أقيمت في «طيبة» وغيرها في العهود السابقة، إذ نجد فيه قدس الأقداس يصل إليه الإنسان بدرج سلم، وقد أقيم في ردهة غير مسقوفة في العراء، وهذا أمر طبعى بالنسبة لإله يمثل الشمس.

وقد كانت الموسيقى تلعب دورها في مثل هذه المناسبة إذ نشاهد طائفة المغنيات والضاربات على الآلات الموسيقية، قد حلت محلهن طائفة من الضارين على العود من الذين كف بصرهم. كما نشاهد الموظفين يسوقون ثيران الضحية المسمنة والمزخرفة بالأطواق حول أعناقها، وعلى رؤوسها عصابات مزينة بالريش صفت بين قرونها، وهناك حقيقة تستحق الملاحظة، وذلك أن الفرعون «إخناتون» على الرغم من أنه في عاصمة ملكه الجديدة كان محاطا بأشخاص قد وضع فيهم ثقته، واختارهم بنفسه ورغبته لخدمته، فإننا نجده مع ذلك وهو سائر في طرق المدينة— في مثل هذه المناسبة التي نحن بصدددها — كان يحيط به حرس عظيم— فهل يا ترى كان ذلك الحرس مجرد مظهر من مظاهر الأبهة، أو كان يخاف شر أعوان «آمون» الذين تغلب عليهم منذ زمن؟ والواقع أنه كان يخاف شر الاغتيال

والمؤامرة، وقد برهن سلوك «مرى رع» على أنه جدير بالثقة التي وضعها الفرعون فيه ، عند ما خصه بأكبر وظائف الدولة الدينية، والآن قد حل الوقت الذي يكافأ فيه هذا الكاهن المخلص أمام الشعب من مليكه العارف الجميله (Ibid, XXXV - XXX) . وقد كان من واجبات «مرى رع» بوصفه كاهنا أكبر الإشراف على مخازن الغلال التي كانت تصرف منها القربان، وقد ظهرت مواهبه في هذه الإدارة . ولهذا نجد أن معظم هذا المنظر يمثل حظائر الماشية وسفن الشحن التي كانت تحضر نجاج « آمون » من أقاصى البلاد ، وكذلك صور المخازن الشاسعة التابعة للعبد (راجع Ibid Pl. XXV) . وهنا نشاهد الملك وفي ركابه الملكة وبناتها يستقبلون « مرى رع » فى الردهة الخارجية للمخزن العظيم . وكانت هذه هى اللحظة التي توج فيها بأعظم المنح ، إذ نشاهد المشرف على كنوز الأطواق الذهبية رافعا يديه تحية وإذنانا لأمر سيده ومطوقا جيد «مرى رع» ، بهذه الإنعامات الملكية . إذ طوقه بستة عقود يشمل كل منها صفيين من حبات الذهب ، وكان لا يزال يغدق عليه هدايا أخرى ، وقد قال الفرعون ، وأريحية الكرم تهز عطفه "دع المشرف على خزائن حلقاات الذهب يأخذ «مرى رع» ، ويضع ذهباً حول رقبته حتى قتله ، وكذلك على قدميه ، وذلك لإطاعته تعاليم الفرعون الدينية (له الحياة والسعادة والصحة) ، ولأنه يفعل كل ما قبل خاصا بهذه الأماكن الفاخرة التي أقامها فى بيت « بنين » فى معبد « آتون » لأن « آتون » فى « إختاتون » قد ملأها بكل الأشياء الطيبة ، وبالشعير والقمح الكثير ، مائدة قربان « آتون » « لآتون » (راجع Ibid, P. 36) .

وقد كان جواب « مرى رع » قصيرا : الصحة « لوع - ن - رع » للابن الجميل « لآتون » ! فليتفضل بأن يتم مثل خلودك (؟) امنحها إياه أبد الأبدى (أى الحياة الأبدية) (راجع Ibid. P. 36) .

ومن المحتمل أن « مرى رع » قد تغلب عليه العطف الملكى حتى عجز أن يزيد كلمة عما قال ، كما يحتمل أن التقاليد الرسمية كانت تمنع الموظف أن يرنخى للسانه العنان ليقول ما فى صدره !

«بأنحسى» الكاهن الثانى : يحتمل أن «بأنحسى» هذا كان يشغل المرتبة الثانية بعد «مرى رع» فى معبد «آتون»، إذ كان يحمل الألقاب التالية : (Ibid Vol. II, P. 29) الخادم الرئيسى للإله «آتون» فى معبد «آتون» فى «إختاتون»، والكاهن الثانى لرب الأرضين «نفر خبرو رع — وع — ن — رع» فى معبد «آتون»، والمشرف على مخازن غلال «آتون»، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، وقريب الفرعون، وخادم سيد الأرضين «نفر خبرو — رع وع — ن — رع» فى معبد «آتون»، ومدير ماشية «آتون» .

وقد كان «بأنحسى» مثله كمثل «مرى رع» نشأ من أسرة وضيعة، ووصل إلى مكاتته العالية بعطف الملك عليه، وتدل ظواهر الأحوال واسمه على أنه كان من أصل نوبى أو سودانى، وأنه كان بعيدا عن المشاحات الدينية التى كانت قائمة فى هذا العهد، وقد جذبه الملك إلى جانبه لأنه لم يكن له ماض دينى يمنعه اعتناق المذهب الجديد، وقد تحدث إلينا «بأنحسى» فى نقش تركه لنا فى مقبرته يجمع بين الدين وبين حياته الشخصية إذ يقول (راجع Ibid. P. 29, 30) . " صلاة للإله «حوراختى» : الذى يمنح الحياة إلى أبد الآبدين، عند إشراقه على الأفق الشرقى، واستعطافا له عند غروبه فى الأفق الغربى . الحمد لك ! إنك تشرق فى السماء وتشرق فى الصباح فى الأفق آتيا فى سلام ياسيد السلام . وكل بنى الإنسان يحيون عند رؤيتك، وكل الأرض تجتمع عند طلوعك، وأيديهم تحيى بزوغك . ما قاله الخادم الأول للإله «آتون» فى «إختاتون» «بأنحسى» المرحوم : « الحمد لك يا إلهى يا من ذراخى وفعلت الخير لى، ومن شجعتى ومنحنى طعاما وأمدنى بالمون من روحه، وإنيك الحاكم الذى أوجدنى بين الخليقة وجعلنى ضمن أصحاب الخطوة عنده، وجعل كل عين تعرفنى، ولقد جعلنى فى المقدمة بعد أن كنت فى المؤخرة، وصيرنى قويا بعد أن كنت مغفورا الذكر، وكل جيرانى (فرحوا) لأنى أصبحت محظوظا عند من فعل ذلك لى، وقد آتت ؟ إلى مدينتى، وكنت أرتجى، وبذلك أصبحت عظيما بأمر من رب الصدق الخ " .

وقبر «بأنحسى» فى «تل العمارنة» كان فى الأصل قبرا جميلا، غير أنه قد أصابه عطب كبير على يد شيعة «آمون» أولا، وعلى يد من سكنه من الأقباط فيما بعد الذين لم يكتفوا بتغيير معالم القبر بل محو النقوش بوضع طبقة من الجص

عليها . وعلى أية حال فإن مناظر هذا القبر لم يكن من بينها ما يسترعى النظر بوجه خاص ، وذلك لأنه على الرغم من إتقان صنعها ، فإن موضوعاتها كانت عادية ، فنشاهد في إحدى المناظر « بانحسى » يظهر أمام الفرعون يتسلم مكافآت الذهب مقابل الخدمات التي قام بها للملكه . وقد كان من بين أولئك الذين حضروا هذا الحفل اثنان من العبيد واثنان من الأسويين ملتحيين ، ويحتمل أنهم سفراء أورهاثن ؛ (راجع : Ibid Pl. X.) ومما يلفت النظر الحركة الرشيقة التي قامت بها الملكة « نفر تيقي » عند تلفتها لكبرى بناتها « مريت آتون » كأنها تريد أن تقودها إلى الأمام لتتمكن من رؤية ما يدور في الحفل في أسفل النافذة التي كانوا يطلون منها . وبعد الفراغ من الحفل يركب « بانحسى » عربته ويعود إلى بيته حيث يشاهد الشعب المتحمس يرحب به ، ومن بينهم أصدقاؤه وأفراد أسرته (راجع : Ibid Pl. XI.) وكذلك نشاهد الأسرة المالكة قد صوّرت في منظر في معبد « بانحسى » وهم يسوقون عرباتهم كما شاهدنا في مقبرة « مري رع » ؛ ولكن لما كان هذا المنظر قد ترك ناقصا ولم يكتب معه متون ، فإننا لا نعرف الغرض من هذه الجولة الملكية ، ويشاهد في هذا المنظر أن الحرس الفرعون كان يحتوي سوريين ولوبيين بالإضافة إلى الجنود المصريين . ومما يلفت النظر في هذا المنظر ما نشاهده في الصف الثاني ، وهو أن موظفا قد ضرب بكرامته عرض الحائط فقد ثنى نفسه وهو يقبض بيديه بهيئة جنونية على قضيب العربة منتظرا من لحظة لأخرى أن يصرع الأرض على أترقفزة مباغثة (راجع : Ibid Pl. XVII.) .

« حويا » : تدل شواهد الأحوال على أن « حويا » كان قبل كل شيء موظفا لدى الملكة « تي » وألقابه هي : المشرف على الحريم الملكي ، والمشرف على الخزانة (بيتا الذهب والفضة) ، ومدير بيت زوج الملك العظيمة « تي » . وهذه هي ألقابه الحكومية ، ولكنه فضلا عن ذلك كان ينعت الممدوح من « وع — ن — رع » ؛ (Ibid Vol. III, P. 19. & Pl. III, XV) وقد حاول البعض توحيد اسم

« حويا » مع « خعويا » الذى جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » وهو الذى ذكره « بورا بورياش » ملك « كاردونياش » (بابل) فى خطاب للفرعون « إخناتون » بوصفه رسول « خايا » ، غير أن هذا الزعم لم يقبل على وجه عام (راجع : Ibid P. 19.) .

ويعتد قبر « حويا » من الوجهة الفنية ، وكذلك من الوجهة التاريخية من أهم المقابر التى عثر عليها فى « تل العمارنة » ، وتدل الظواهر كلها على أن صاحبه قد دفن فيه ويوجد فيه منظران كبيران يدلان على أن الملكة « تى » قد وفدت بصحبة ابنتها الصغرى « بكت آتون » إلى مدينة « إخناتون » لزيارة « إخناتون » و « نفرتيتى » ، ولا نعلم إذا كانت هذه زيارة وقتية أو أنها قد اتخذت « إخناتون » مقراً لإقامتها ، غير أنه مما يلفت النظر أن خادمها الأمين صاحب السلطان العظيم كان له قبر فى هذه البلدة ، ويرجح أنه دفن فيه . هذا بالإضافة إلى أنه كان يوجد معبد فى « إخناتون » يعرف باسم « ظل رع الخاص بالأم الملكية » والملكة العظيمة « تى » الحية (Ibid P. 8.) . وفى أحد المنظرين الكبيرين اللذين أشرنا إليهما الآن نشاهد الأم الملكية وابنتها الصغيرة على مائدة الطعام مع « إخناتون » و « نفرتيتى » واثنين من بناتهما ، وهما « مريت آتون » ، أما اسم الأميرة الثانية فقد عثر على (Ibid Pls. IV, V.) وقد كانت موائد القربان مزدحة بأنواع الطعام ، ويلاحظ أن الأميرات الصغيرات كنّ يتسلمن نصيبهنّ بوساطة والديهنّ . ومما يلفت النظر هنا أن آداب المائدة التى كانت مرعية دائماً فى الرسوم المصرية القديمة قد أُلقيت ظهرياً هنا ، إذ كان الملك والملكة يأكلان بنهم فنشاهد « إخناتون » ينهش عظمة يبلغ طولها ذراعاً ، فى حين ترى « نفرتيتى » قابضة بيدها على بطة يأكلها وتأكل منها ، ولم تحاول قط أن تقطعها أقساماً مناسبة كما تقتضيه آداب الطعام . أما الملكة « تى » فلا نعلم كيفية تناولها الطعام لأن اللقمة التى كانت تتناولها قد فقدت بسبب كسر فى الرسم ، غير أنه على ما يظهر كانت

أكثر أناقة في تناول طعامها . ولكنا لا نعرف ماذا قد صنعت بالبطة التي كان يقدمها رئيس أتباعها « حويا » بوساطة أحد الخدم ! وتدل الصورة على أن هذه الوجبة كانت تؤخذ في خلال النهار ، إذ نرى قرص الشمس فوق رؤوس الحفل الملكي ، يفيض بنوره عليهم وعلى طعامهم .

ويشاهد أسفل المنظر الرئيسي الخدم وهم يحضرون الطعام في حين أن طائفة من المغنين والمغنيات يضيفون على الحفل بهجة ويزيدونه سرورا وأنسا بغنائهم . وبجانب ذلك نشاهد منظرا مكلا صورا فيه الملكة « تي » وإخناتون و « نفرتيتي » وهم يعاقرون بنت الحان ، وقد كانت بناتهن حاضرات ؛ ولكنهن كنّ يأكلن فاكهة فقط . ويلاحظ أن « مكت آتون » قد استولى عليها الشره إذ كانت تقبض في يدها على تينة كبيرة وتبحث في طبق الفاكهة عن أخرى . وهنا يشاهد « حويا » وبيده عصاه (؟) يدير بها الخدم ، وقد وقع هذا المنظر في خلال الليل كما تدل على ذلك المصابيح المضاءة الموضوعة فوق قواعد خفيفة ، كما يشاهد زجاجات قد صفت ثما يدل على أن شهوتهم إلى الشراب لم تكن بأقل منها إلى الطعام . وقد زاد المجلس سرورا وغبطة طائفة المغنين المصريين والمغنيات الأجنبية . ومن أهم ما يلفت النظر في قبر هذا الموظف عن الملكة « تي » أننا نراها تزور معبدا (أو جزءا من معبد) أطلق عليه اسم « ظل رع للملكة تي »^(١) ورسم هذا المنظر في القبر قد قسم ثلاثة أقسام نشاهد الملك « إخناتون » في أعلاها وأكبرها وهو يقود والدته بيده نحو الباب العظيم الذي يرى من داخله مائدة القربان العظيمة التي يصعد إليها بدرج ، وكان في صحبتهما الأميرة الصغيرة « بقت آتون » التي كان يرعاها مرضعتان . أما باقي الخدم رجالا ونساء فكُن في المؤخرة . وكان « حويا » منحنيا أمام الملك مباشرة ومعه طائفة من الموظفين . وكذلك يشاهد منظر صام للعبد بما فيه التماثيل الملكية وموائد القربان . وفي أسفله قد انتظرت العربات الملكية لتحمل الملك وحاشيته إلى القصر الملكي .

(١) راجع : (Ibid Pls. VIII - XIII)

أما الصف الثاني فقد خصص لإظهار عظمة « حويا » غير أنه لسوء الحظ قد محى معظمه ، والظاهر أنه كان يمثل « حويا » وهو يقود ثمانى طبقات من الموظفين الصغار الهنود الذين تحت مراقبته قد كلفهم بالنداء بالثناء على الفرعون ووالدته . ومن النقوش المفسرة نعلم أن بعض هؤلاء الموظفين كانوا سائسين وحمالين « لحويا » المشرف على (الحريم) الملكى .

أما الصف الثالث وهو الأسفل فى المنظر فيظهر أنه لا علاقة له بالحوادث السالفة وهو عبارة عن شريط ضيق مهشم ويظهر فيه مناظر الريف وشاطئ النهر ، وقد لونت كلها بالألوان الطبيعية الحالية من التقليد .

ولدينا منظر فى هذه المقبرة منقطع القرين فى كل الجبانة لأنه على ما يظهر يمثل لنا حادثة ربما كانت — حاسمة — فى تحديد جزء من تاريخ « اخناتون » ووالده « أمنحتب الثالث » والمنظر يمثل تسلم الجزية الآتية من البلاد الأجنبية (Ibid Pls XIII, XIV, XV, XVII.) وقد كتب معه هذا المتن تفسيراً له :

السنة الثانية عشرة الشهر الثانى ، من فصل الشتاء ، اليوم الثامن الحياة للوالد ، الحاكم المزدوج ، « رع اتون » الذى يمنح الحياة أبد الأبدى ، إن ملك الجنوب والشمال « نفر خبرو رع » والملكة « نفر تيتى » ، العائشين إلى الأبد مخلدين ، قد ظهرا للبيان على المحفة العظمى المصنوعة من ذهب لأجل أن يسلمها جزية « سوريا » وبلاد السودان « كوش » ، وكذلك جزية الغرب والشرق وكل الممالك مجتمعة فى وقت واحد ، وكذلك الجزر التى فى قلب البحر تحضر جزية للملك عندما كان على عرش « اخناتون » العظيم ، لأجل تسلم جزية كل قطر مانحاً أهلها نفس الحياة . وبداية هذا المنظر يظهر فيها أن الموكب كانت طلعت من القصر .

وقد كان الملك والملكة جالسين فى محفة فاخرة محمولة على أعناق رجال الحاشية ، وقد كان « إخناتون » يجلس الجلسة التقليدية الجامدة . أما « نفر تيتى » فكانت تطوق وسطه بذراعها فى حنان وحب ، وهذا الوضع كان شائعاً منذ الدولة القديمة وتشاهد الأميرات يمشين خلف المحفة يتبعهنّ وصيفاتهنّ . ولم يكن حاضراً منهنّ إلا اثنتان ، وكان يسير فى ركاب الموكب ثلة من الجنود الذين على ما يظهر قد

جندوا من قبائل البدو ، لأنهم كانوا مسلحين بالعصى الخاصة المعقوفة التي تحملها تلك القبائل ، كما كان كل واحد منهم يحلى شعره بريشتين ، ويرى « حويا » بين هذه الثلة من جنود الحرس ، ولكنه كان يلبس ملابس عادية ، وشاهد كاهنا يحرق البخور أمام المحفة الملكية في حين نجد على رأس الموكب طائفة من الغلمان والرجال يرقصون بحركات عنيفة ، وهؤلاء قد يكونون هتافين كما هي الحال في كل زمان أو متفرجين يعبرون عن شعورهم بالفرح لهذه المناسبة ؛ وقد كانت تتبع الموكب الملكي عربات ملكية يحرسها سأسون . والظاهر أن الحفل كان مجرد استعراض أو تمثيل عودة الموكب الملكي .

أما الجزية التي أحضرتها الأمم الخاضعة ، فكانت محمولة أمام الموكب يحرسها الشرطة ، وجزية الشمال تحوى عربتين وأربع ركائز من النحاس وعددا عظيما من الأواني المنمقة وأواني أخرى عليها أغطيتها في صورة رموس حيوانات قد وضعت على قواعد لأجل أن يفحصها الفرعون . أما جزية الجنوب فخاصة بمدينة هذه الأصقاع ، وتحتوى على عبيد وضعوا في الأغلال ، وقد ساروا فرادى وأزواجا ، وأولادهم ونسائهم خلفهم . كما تحتوى على جلود فهود ، وحلقات من الذهب ، وحليات مزينة بالأزهار والنباتات أيضا . هذا إلى حقائب ملأى بالتبر والعاج وسن الفيل والقردة الحية والغزلان وفهد .

وقد كان عدد العبيد من السوريين يفوق عددهم من السودانيين ، إذ نجدهم قد مثلوا في تسعة صفوف يختلف عدد كل صف من أربعة إلى ستة ، وكلهم ينتظرون مقدم الفرعون ، وقد كانت كل طائفة في حراسة ضابط مصرى وحارس . ولما لم تكن هناك أعمال حربية فلا بد أنهم كانوا عبيدا أورعائين لضمان الجزية المفروضة على بلادهم . ومعظم هؤلاء المساجين كانوا عبيدا مصفدين بالأغلال . وقد لاحظنا حتى الآن أن معظم المناظر التي وصفناها كانت خاصة بالأسرة المالكة واستعراضاتها ، غير أن « حويا » لم ينس من يظهر نفسه في أهم لحظة من لحظات

حياته الحكومية ، فقد صور لنا منظر تنصيبه في وظيفة « المشرف على الحرم الملكى » والمشرف على الخزانة ، ومدير بيت الأم الملكية « تى » .

وقد كان من الطبيعى أن تحتل صورة « اخناتون » المكانة الأولى في هذا المشهد وبصحبه « نفر تيتى » ، وكأنا يطلان من النافذة لمنح العطايا الذهبية المعتادة في مثل هذه المناسبة . والظاهر أن الهدية لم تكن سخية ، وذلك لأن « حويا » لم يكن موظف الملك نفسه ، بل كان موظفا في خدمة والدته يدير بيتها وأملاكها ، وقد أراد الفرعون في هذه الحالة أن يوافق على هذا التعيين وحسب . وعلى أية حال فإن مكافأة « حويا » لم تكن بعيدة المنال ، إذ نشاهده في مناسبة أخرى يتسلم هدية ملكية عظيمة من الفرعون نفسه ، فقد خلع عليه لقب « الممدوح من سيد الأرضين » (Ibid Pl. XVII) فنشاهد جيده قد أحيط بقلائد ضخمة من الذهب في حين أن معصميه قد حليا بأساور من الذهب أيضا .

وفي أسفل هذا المنظر نشاهد « حويا » يفحص المصانع المختلفة للفرعون ، وذلك بوصفه المشرف على الخزانة ، غير أن معظم المنظر قد هشم ، ولكن لحسن الحظ قد بقى منه تحفة تحدثنا عن براعة النحات المصرى في ذلك العهد وحسن ذوقه ، فقد أجاد في إنحراجها حتى ليخيل للإنسان أنه كان يعمل عشقا في الفن ورغبة فيه . ولا يبعد أن « أوتا » المثال الذى يصور هنا كان هو المفتن المكلف تزيين القبر وزخرفته ، فلم يأل جهدا في تخليد ذكراه بهذه الكيفية . فنشاهد « أوتا » رئيس المفتنين لزوج الملكة العظيمة « تى » جالسا على كرسى يقوم بعمل الزخرفة النهائية لتمثال للأميرة « بكت آتون » ، والواقع أن التمثال كان قد تم نحته وكان « أوتا » يلونه ويعطيه الصيغة النهائية ، ويلاحظ أن أحد تلاميذه كان في أثناء ذلك ينظر بدقة إلى حركات يد معلمه وطريقة عمله ، وكذلك يلاحظ أنه كان بجانبه مفتنون آخرون مجدون في عملهم ، فكان واحد منهم يعمل بقدمه ليكمل قائمة كرسى على هيئة أسد في حين كان الآخر يعمل في إنحراج رأس تمثال الخ . على أن المنظر الذى

يعد غاية في الأهمية من الوجهة التاريخية في مقبرة «حويا» هو ذلك الذى نشاهده على كلا عارضتى الباب المؤدى إلى الحجرات الداخلية ، وهو يمثل صورة « حويا » والصلاة التى كان مفروضا أن يقرأها ، وعلى العارضة اليمنى شاهد كلا من « اخناتون » و « نفر تيتى » يعلوهما قرص الشمس بأشعته ، وعلى العارضة اليسرى « اخناتون » و « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » وقد ذكر هنا « أمنحتب الثالث » بلقبه « نب ماعت رع » غير أنه لم ينعت بالمرحوم ، مما يدل على أنه كان لا يزال على قيد الحياة ، (Ibid P. 15) وكذلك يشاهد على عتب هذا الباب الملك « اخناتون » والملكة « نفر تيتى » على اليسار جالسين جنبا لجنب ، وعلى الجهة اليمنى شاهد « أمنحتب الثالث » ، وزوجه « نفر تيتى » والأميرة « بكت آتون » وهذا المنظر يوحى بأن « أمنحتب الثالث » كان لا يزال حيا فى السنة الثانية عشرة من عهد حكم « اخناتون » ، وقد تناولنا بحث هذا الموضوع فى مكانه .

والغريب الذى يسترعى النظر فى رسوم مقبرة « حويا » أنه لم يتحدث عن الشعائر التقليدية التى كانت متبعة فى الدفن منذ أقدم العهود لدرجة أنه رسم موميته على صورة « أوزير » ، غير أنه عند الدعاء بطلب القربان من كل نوع وجه دعاءه للإله « آتون » ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى تمسكه بالقديم وعدم تأثره بمذهب « آتون » من كل وجه ، وبخاصة إذا علمنا أن سيده « تى » كانت من اتباع الديانة القديمة على وجه عام (راجع Ibid P. 16) .

« أحمس » كاتب الفرعون الحقيقى : كان « أحمس » هذا من خدام الفرعون المقربين وكان متصلا به اتصالا شخصيا ، وألقابه الحكومية هى : كاتب الفرعون الحقيقى ، ومحبوبه ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، والمشرف على قاعة المحكمة ، ومدير بيت « اخناتون » . وقد كان يحمل غير هذه الألقاب بعض ألقاب شرف وهى : « حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الذى على رأس السمار ، والحارس لخطوات رب الأرضين » . وعلى أية حال نلاحظ أن معظم موظفى « اخناتون » كانوا

لا يحملون إلا ألقاباً حقيقية . أما ألقاب الشرف الجوفاء فقد اختصرت ، وأصبح عددها قليلاً بالنسبة للعهود السابقة ، وهذا ليس بغريب عندما نعلم أن نظام هذا الملك في الحكم كان على أسس جديدة ، ولذلك كان كل الرجال الذين في خدمته يحملون ألقاباً حقيقية .

وقبر « أحس » يعد إحدى المقابر التي لم يتم نحتها ونقشها ، ومما يؤسف له أن الجزء الذي لم يتم نقشه هو الذي كان قد خصص لنقوشه الشخصية وحياته الحكومية . ففي إحدى المناظر التي تم نقشها نشاهد الملك والملكة ومعهما إحدى بناتهما في عربة ذاهبة إلى المعبد دون أى حفل أو موكب في صورة غاية في البساطة ، ومما يلحظ في هذه الصورة أن الملكة قد مالت على الملك كأنها تريد أن يقبلها في وسط الشوارع العامة . (١) (Ibid. P. 28. Pls. XXXI, XXXII a)

وفي منظر آخر نرى أعضاء الأسرة المالكة قد ساروا يصحبهم حرس ظهر فيهم جنود من السوريين واللوبيين والسودان (Ibid. Pl. XXXI) كما نشاهد الأسرة المالكة ثانية في حفل أسرى ، (Ibid. Pls. XXXII - XXXIV) فالملك والملكة جلس كل منهما على كرسي في قاعة الطعام ، يقدم لهما الخدم المأكولات من موائد وضعت بالقرب منهما ، وكانا يلتهمان الطعام بشراهة ، فقد أمسك الملك بطة فنهشها نهشاً ، في حين أن « نفرتيتي » قد قبضت بيدها على ضلع لحم وتأكل منه برغبة وشهية ! وقد جلست أميرتان بجانب والتهما على مائدة خاصة بهما في حين أن أميرة صغيرة تالفة كانت تجلس على حجر والتهما ، وكان الخادم يقدم « لنفرتيتي » قلساً من الخمر (؟) ، وخلف كرسي الملكة كانت تقف مربية القصر وطائفة المغنيات ، وفي الخلف نشاهد جزءاً من القصر بما في ذلك حجرة المأكولات وحجرة (الحريم) حيث كانت النسوة يمتعن أنفسهن بالموسيقا والنوم على الفراش الوثير .

(١) راجع : Ibid. P. 33.

وهنا يشاهد الإنسان سريرا كدس بالفراش الوثير حتى كان من الضروري لمن يصعد إليه أن يتسلق درج سلم ، هذا فضلا عن أن من يقضى ليلته في هذه الحجرة لن يشكوجوعا أو عطشا ، إذ قد وضع بجانب رأس النائم مائدة مكدسة بالخبز الذى وضع فوقه أوزة مشوية وخسة ، وكذلك كان يوجد بجانبه إبريقان من الشراب (راجع Ibid Pl. XXXIII) .

والأماكن التى يظهر فيها «أحمس» هذا هى واجهة القبر وعارضنا الباب حيث نشاهده يتعبد للإله «آتون» (راجع Ibid. P. 31 & 32. Pls. XXVII — XXIX) .

«آنى» قريب الفرعون : كان «آنى» من المقربين كذلك إلى الفرعون كما يدل على ذلك ألقابه وهى : قريب الفرعون^(١) الذى يحبه ، وكاتب الفرعون الحقيقى ، وكاتب مائدة قربان رب الأرضين ، وكاتب مائدة قربان «آتون» لأجل «آتون» الذى فى معبد «آتون» فى «إختاتون» ، ومدير بيت «أمنحتب الثانى» . وقد أهدى لذكرى هذا الرجل مالا يقل عن ست لوحات صغيرة ، ويحتمل أن الذين أهدوها إليه هم أشخاص من الذين كانوا فى خدمته إلا لوحة واحدة أهداها أخوه «بتاح معى» .

على أن هذه الظاهرة لم نجد لها حتى الآن فى أية مقبرة من مقابر هذه الجبانة ، ومن ذلك نفهم أن «آنى» هذا كان رجلا رقيق العواطف حلوا الشائل مما جذب إليه قلوب من كانوا فى خدمته وأصدقائه . والواقع أن ما جاء من العبارات على هذه اللوحات يشعر بعطف وحنان وحب صادق ، ومما يلفت النظر كذلك أن تقاطيع وجه «آنى» قد مثلت تمثيلا صادقا على هذه اللوحات ، ومنها نفهم أن «آنى» كان مرتفع السن عند وفاته ، وأنه اعتنق مذهب «آتون» فى أواخر أيامه . وهذا يتفق مع اللقب الذى كان يحمله فى عهد «أمنحتب الثانى» وهو مدير بيت «أمنحتب

(١) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. V. P. 7

الثاني» ؛ وذلك أنه إذا كان فعلا يشغل هذه الوظيفة في عهد «أمنحتب» ، فلا بد أنه كان موظفا مدة لا تقل عن خمسين سنة وعاصر أربعة ملوك .

وقد دفن «آنى» في قبره «بتل العمارنة» قبل أن يتم تزيينه ، اللهم إلا بعض أجزاء قليلة منه تم تزيينها ، (راجع Ibid. P. 7) فنجد على العتب منظرا للفرعون والملكة وثلاث من بناتهما يقدمن القربان للإله «آتون» ونشاهد «آنى» في منظرين يتقبل القربان (راجع Ibid. Pls. IX, X) وفي ثالث نشاهده كأنه يدخل قبره (Ibid. Pl. XX) ؛ وكل هذه المناظر قد صورت بالألوان فقط ، ويظهر فيها رسمه الجانبي رسما متقنا يلفت النظر .

أما اللوحات التي أهديت إلى «آنى» فتستحق الذكر وهناك وصفها :

الأولى : لوحة قدمها «باخا» مدير الأعمال ويشاهد عليها وهو يقدم طاقة من الأزهار إلى «آنى» ويقول : إلى روحك طاقة من «آتون» لينسحك النسيم ، وليضم أعضاءك معاً ، ولينك ترى «رع» عندما يشرق وتعبده ، وليته يسمع ما تقول . (راجع Ibid. P. 10. & Pl. XXI).

واللوحة الثانية : أهداها كاتب يدعى «نب وعوى» ، (Ibid. P. 10. Pl. XXI) ويرى في أعلى اللوحة واقفا أمام «آنى» قائلاً : تأمل الثور الذى قيل عنه «إحضره» ، وفى أسفل يشاهد «نب وعوى» يقود الثور إلى الأمام ويقول ، لقد رأينا الأشياء الطيبة التى فعلها الحاكم الطيب ، وكاتب موائد قربانه ، لقد أمر له بدفن حسن فى «إختاتون» .

واللوحة الثالثة : أهداها خادم كاتب الفرعون «آنى» الذى يسمى «آنى من» ويشاهد وهو يقدم إناء ضخماً من الخمر إلى «آنى» قائلاً دع الخمر تصب لك (راجع Ibid. P. 10, Pl. XXII) .

اللوحة الرابعة : يحتمل أنها كانت مهداة من سائق عربية «آنى» المسمى «ثاى» وإن كانت النقوش لا تذكر ذلك ، وقد مثل فيها «آنى» راكباً فى عربته وبجانبه «ثاى» يقود الجوادين (راجع Ibid.) .

اللوحة الخامسة : قد أهداها «بتاح معى» وهو أخو «آنى» ، ويشاهد الأخوان معا على اللوحة ، ويوجد بينهما وجه شبه كبير (راجع Ibid. P. II, Pl. XXIII).
اللوحة السادسة : وقد أهداها الخادم «آى» ، ويرى مقدما طاقة لسيده «آنى» وهو يقول : لروحك (أو لحضرتك) طاقة من «آتون» الذى يحبوك ويحبك (راجع Ibid.).

« با آتون — محب » : كان « با آتون — محب » يحمل الألقاب التالية : مدير أعمال « إخناتون » ، ومدير بيت رب الأرضين ، والمشرف على جنود رب الأرضين (راجع : Davies Ibid, Vol. V, P. 15) وقبر هذا الرجل لا يشمل إلا على مدخل إذ قد ترك العمل فيه بعد ذلك ، وقد قيل إن « با آتون — أم — حب » كان الاسم المؤقت الذى اتخذه « حور محب » فى عهد « إخناتون » وهو الذى أصبح فيما بعد الفرعون المشهور الذى خلص مصر من الفوضى وأعاد لها بعض مجدها القديم .

« إبنى » : إن تاريخ هذا الموظف يحيطه شيء من الغموض ، وقد عثر على عقد باب من الحجر الجيرى فى أحد بيوت مدينة « إخناتون » وعليه ألقاب موظف يسمى « إبنى » وهى كاتب الملك ومدير بيت « منف » ومدير... .. له الحياة والسعادة والصحة فى « إخناتون » ومدير البيت (راجع Roeder, "Aegypt. Insch. Mus. Berlin" Vol. II, P. 399).

وكذلك عثر على قبر لم يتم بناؤه بعد ، ولم يدفن فيه أحد فى جبانة « تل العمارنة » باسم فرد يدعى « إبنى » وكان يلقب : كاتب الملك ومدير البيت أيضا (راجع Davies, "El Amarna", Vol. IV, P. 101, Pl. XXXI).

وتدل شواهد الأحوال على أن هذين الأثرين هما لرجل واحد ، ولا نزاع فى أنهما « إبنى » ابن مدير البيت العظيم « أمنحتب » الشهير الذى تكلمنا عنه فيما سبق ، وذلك لأن « إبنى » يحمل على اللوحة التى أهداها لوالده فى قبره « بمنف » الألقاب التالية :

كاتب الملك، والمدير العظيم لبيت «منف»، (راجع Schiaparelli, Cat. Mus. Florence No. 1617.) وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمدير العظيم للبيت (راجع Lieblein Dic. Noms, II, P. 791, No. 2053.) .

ومع كل فالظاهر أن «إبى» لابد قد أقام قبره في «منف» بالقرب من قبر والده «أمنحتب»، وقد وجدت أواني أحشاء مصنوعة من المرمر كتب عليها اسمه وألقابه (راجع Hayes, J. E. A. Vol. XXIV P. 24.) ومن المحتمل أن «إبى» كان من رجال «منف» الذين لم يكن لهم ميل خاص لعبادة «آمون» فاعتنق ديانة «آتون» وهاجر مع الفرعون إلى «إخناتون» حيث سكن بعض الوقت وقام بنحت قبر لنفسه هناك، ولكن عندما حدث انقلاب على عبادة «آتون» رجع إلى «منف». حيث دفن هناك على ما يظن في عهد «توت عنخ آمون» أو «آي» أو «حورمحب». وفي القبر الذى نحتته في «تل العمارنة» نجد أحسن المناظر المحفوظة التى تمثل أعضاء الأسرة المالكة، وهم يتعبدون «لآتون»، ويحتمل أن هذا القبر كانت قد طغت عليه الرمال فأخفته عن الأعين فى عهد الانقلاب، ولذلك بقى لنا هذا المنظر الطريف محفوظا، وكان قد نحت بأحسن طراز ممثل لهذا العصر، ونشاهد فيه (Davies, Ibid. Pls. XXXI, XLIV.) «إخناتون» و«نفرتي» وثلاثا من الأميرات وهن «مريت آتون» و«مكت آتون» و«عنخس با آتون» والجميع يقدمون قربا للإله «آتون» الذى كان يرسل أشعته فى صورة أيد بشرية على الفرعون وزوجه .

والواقع أن المنظر نفسه تقليدى، ولكن ما يلفت النظر هو القربان الذى يقدمه الملك وزوجه، فالذى يقدمه «إخناتون» هو قطعة مزخرفة نشاهد فيها طغراءى «آتون» يكتنفهما ويسندهما تماثلان صغيران يمثلان أميرتين. أما القربان الذى تقدمه «نفرتي» فهو من هذا الطراز نفسه، اللهم إلا أن الطغراءين يستندان على صورة واحدة صغيرة تمثل الملكة نفسها . والظاهر أن الفرعون لم يكن وحده هو الذى يقدس اسم «آتون» بل كانت كذلك أسرته، كما يوحى بذلك هذا المنظر.

وقد ذكر اسم «إبى» على جعران في متحف «تورين»، ولكنه يحمل لقب المشرف على أعمال بيت الذهب (التحنيط) ومن المحتمل جدا أنه ليس هو نفس «إبى» المدير العظيم للبيت وكاتب الفرعون (راجع A. S. Vol. X, P. 108) .

«بنثو» الطبيب الأول : كان «بنثو» يحمل الألقاب التالية : «كاتب الملك» والمدير الفرعونى، والخادم الأول للإله «آتون» فى معبد «آتون» فى «إختاتون»، والطبيب الأول والتشريفاتى، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، والسمير الوحيد، ومقتنى قدمى رب الأرضين، والذي يقترب من شخص الفرعون وعظيم العظماء، والممدوح من الإله الطيب، والسمير رئيس السمار . ومن هذه الألقاب نعلم أن هذا الموظف كان من الشخصيات البارزة فى هذا العهد، ومن المقربين عند الفرعون، وبخاصة لأنه كان طبيبا ماهرا، ومما يؤسف له أن رسوم جدران مقبرة هذا العظيم وجدت فى حالة سيئة جدا، إذ قد تساقط معظمها، وكذلك لأن القبر كان قد اتخذ مسكنا لبعض الأفراد الذين أرادوا أن يدخلوا بعض التحسينات فى داخله ليجعلوه صالحا لسكنائهم، والصور التى على الجدران كلها صور تقليدية من جهة الموضوع والفن، فنشاهد منظر ذهاب الفرعون لزيارة المعبد، وكذلك مكافأة المخلصين له فى عملهم من الموظفين، ومنظر الأسرة المسالكة على المائدة . ومن المدهش أن هذه المناظر التى كانت وقفا فى الأزمان السالفة على رجال من طلبة القوم مثل «بنثو»، غير أنها أصبحت ترسم فى بعض مقابر الموظفين فى عهد «إختاتون» .

نقر خبرو حرسنجر : كان «نقر خبرو حرسنجر» عمدة «إختاتون»، كما كان يحمل لقب رئيس الأشراف، وقبره من الوجهة الهندسية يعد من أجمل المقابر فى هذه الجبانة (راجع Davies Ibid. P. 23) ، غير أنه ترك ولم يتم نحته ونقشه إذ نجد أن بعض العمدة لم تفصل بعد من أصل الصخر، وكذلك الزخرفة لم ترسم، وكل ما وجدناه تذكارا لهذا العظيم، هو بعض نقوش خطت بالمداد على

جانبى المدخل ، ويدل عدم كتابة لقب الفرعون على الجانب الايمن على أن العمل فى هذا القبر قد أوقف فجاءة .

«ماع نختوف » : لم يعثر حتى الآن على قبر هذا الموظف ، وكل ما نعلمه عنه مستقى من نقش عتب بابه الذى كشف عنه فى مدينة « اختاتون » (راجع Roeder, "Aegypt. Insch. Mus. Berlin". P. 127 - 129.) .

وتدل ألقابه على أنه كان رجلا مشغولا طوال مدة خدمته الحكومية ، إذ كان يحمل لقب المشرف على البنائين الذين كانوا يعملون فى « إختاتون » ، والواقع أننا عند ما نفكر فى عدد المباني الحديدية التى كان عليه أن ينجزها للفرعون ، ورجال حكومته فى أقصر زمن ممكن ، أدركنا أن أولئك الذين كلفوا هذا العمل لم يعد لديهم من الفراغ شىء وألقابه هى : مدير البنائين ، ومدير بنائى آثار جلالته ، ومدير بنائى رب الأرضين ، ومدير البنائين فى « اختاتون » ورجل البلاط الذى يتبع تعاليم جلالته .

«محو» رئيس الشرطة : كان « محو » رئيس شرطة مدينة « اختاتون » (Davies, Ibid. Vol. IV, Pl. XXI.) وقد تكلمنا عن الدور الذى قام به فى المؤامرة التى دبرت حول العرش ، وهذا الحادث قد مثل فى قبره بتل «العمارة» ، (Ibid. Pl. XXVI.) وزخرفة هذا القبر لم تتم ، ولذلك نجد معظم المناظر قد خُطت بالمداد فقط ، والفن الذى نشاهده فى هذه المقبرة يعطينا صورة عن فن «تل العمارة» فى نهاية مدته ، بما فيه من سوء استعمال النسب فى رسم أعضاء الجسم ، وكذلك رسم الوجوه الإنسانية القبيحة . غير أنه فى مقابل هذه النقائص نجد الرسام قد أعطى هبة وحرية مطلقة فى تمثيل الحركات السريعة ، وحسا ما كرا ينطوى على التنكيت . هذا فضلا عن أن مناظر قبر « محو » تشمل أشياء مبتكرة ، مما لا نجده فى مناظر القبور الأخرى فى هذه الجبانة ، وقد يعزى ذلك إلى طبيعة وظيفة صاحبه وما ينطوى عليه من مناظر جديدة ، فنجد المثال حتى فى المناظر التقليدية

في هذا القبر قد أعطاها طابعا خاصا فمثلا نجد هنا منظر آخر للفرعون، و«نفرتي» والأميرة «مرت آتون» راكبين معا، في عربة، كما شاهدناهم في قبر «أحمس»، ولكن يلفت النظر هنا أن «نفرتي» تظهر بمظهر الحب فتغازل الفرعون مما يربكه وهو يسوق عربته، وقد زاد في ارتباكها أن الأميرة «مرت آتون» كانت مائلة على مقدمة العربة وتضرب الجوادين بعصا (راجع Ibid. Pl. XXII).

وفي المنظر الذي نشاهد فيه الملك والملكة مغادرين أبواب المعبد نجد ثلة من الشرطة في ركبهما، وكذلك الوزير «محو» والكل يهرولون أمام العربة. حقا إن ذلك ليس بالشيء المتعب للجنود النشطين الذين كانوا يسرعون بعزم وقوة الشباب، ولكن «محو» كان يظهر عليه عدم الارتياح لهذا التمرين العنيف، وكان منظر الوزير البأس يثير الضحك وهو يتعثر في جريه، وكأننا نسمع دقات قلبه وسخطه وهو يجهد نفسه في السير بخطا واسعة مع رفاقه الذين كانوا يبدون نشاطا وحيوية في جريهم.

غير أن من أهم الأشياء التي تلفت النظر في المقبرة ما نشاهده في المنظر الذي يمثل لنا فيه نظام الشرطة في العاصمة الجديدة. وأول ما يلحظ هو عدم وجود سلاح مع حرس الشرطة الذين يتبعون الفرعون مما يدل على أنه كان محبوبا، على الرغم من المؤامرة التي قامت عليه في مدينته، اللهم إلا إذا كانت قد وقعت بعد ذلك. وفي مكان آخر نشاهد أن محل الحراسة كان محصنا وليس له إلا باب واحد، والدخول منه كان محروسا بسياج من هيئة أعمدة يصل بعضها ببعض حبال حاجزة (راجع Ibid. Pl. XXIV). والظاهر أنه كانت توجد سلسلة بيوت حراسة صغيرة متباعدة حول المدينة وكان يحتل كل واحد منها حارس. وفي منظر آخر نشاهد «محو» وهو يقوم بأعمال وظيفته بنشاط، ففي مكان نشاهده يتصل بالوزير الذي كان لا بد أن يقدم له تقاريره. وفي جهة أخرى نجده يفحص معدات جنوده ويشرف على إحضار مواد الطعام (جراية الشرطة)، كما يشاهد مخزن أسلحة يحرسه ثلة من الجنود مسلحة تسليحا تاما.

وقد كوفئ « محو » على إخلاصه ، إذ نشاهده خارج المعبد وهو يقدم شكره للإله على ما غمره به الفرعون من أطواق الذهب الكثيرة (راجع. Ibid. Pl. XVIII).
« باك » مدير أعمال محاجر الجبل الأحمر : كان « باق » هذا ابن أحد رؤساء النحاتين الذين قاموا بنحت الآثار العظيمة للفرعون « أمنحتب الثالث » ووالده هو « مين » الذى تكلمنا عنه فى عهد « أمنحتب الثالث » (راجع .

وقد اقتفى « باك » خطوات والده فكان يشغل الوظائف التالية : مدير أعمال محاجر الجبل الأحمر ، والذى علمه جلالته بنفسه ، ورئيس النحاتين للآثار العظيمة للملك فى معبد « آتون » فى بلدة « اخناتون » .

وصورة هذا الموظف ونقوشه نشاهدها فى نقش على لوحة فى الصخر بالقرب من « أسوان » مع والده ، وقد ظهر فيها وهو يتعبد لتمثال « اخناتون » (؟) وقد محّا اسمه ، واسم والده من هذه اللوحة بعد الانقلاب الذى حدث بموت « اخناتون » غير أن اسم « آتون » بقى ولم يصب بسوء (راجع. De Morgan. Cat. Mon. P. 40 No. 17.4) على أن ما يلفت النظر هنا فى لقبه الأول أن « اخناتون » كان هو المعلم الأول لهؤلاء المهندسين والنحاتين ، وذلك لتنفيذ فكرته الخاصة بالفن فى تلك الفترة .

« مرى — إتى نيت » الكاهن المطهر الثانى : كان « مرى ، إتى ، نيت » أحد موظفى الفرعون فى الأقاليم ، ومعلوماتنا عنه قد جاءت إلينا من قطعة حجر منزوعة من مقبرة خربت بالقرب من مصطبة الفرعون الواقعة جنوبى «سقارة» ، وألقابه هى : الكاهن المطهر الثانى ، ومدير بيت معبد « آتون » ؛ ويمكننا أن نقول ببعض التأكيد إن « مرى — إتى — نيت » هذا كان أحد موظفى معبد « آتون » فى « منف » (راجع Roeder, "Aegypt", Insch. Mus. Berlin Vol. II P. 121.) .

«سارا بيجينا» المسمى «أبي» كاهن الالهة «عشتارت» والإله «بعل» :
هذا الموظف كان كما يدل اسمه أجنبيا، ولما كان اسمه تجده الآذان فقد تسمى
باسم مصرى خفيف على السمع واللسان . وكان مثله كمثل سابقه «مرى — إتى —
نيت» أحد الموظفين فى معبد الشمس بمنف، وكان يحمل لقب كاهن الالهة «عشتارت»
والإله «بعل» ، ومما هو معلوم أن هذه الالهة كانت تعبد فى «منف» حيث كانت
أحيانا يشار إليها بابنة الإلهة «بتاح» أعظم آلهة هذه الجهة . وقبر هذا الموظف
يظهر أنه كان فى منطقة «سقارة» (راجع Petrie, "Memphis", I, PP. 8, 19
& L. D. Text. Vol. I, P. 16.) .

«معى» المشرف على جياذ الفرعون : ظهر «معى» هذا هو وطائفة
عظيمة من كبار الموظفين فى مقبرة الوزير «رع موسى» ، والظاهر أنه كان
ضمن موظفى الفرعون «اخناتون» يقوم بأعباء وظيفته : المشرف على جياذ رب
الأرضين، ورسول الفرعون فى كل بلد والمقرب إليه (راجع Steindorff, "Kunst
der Aegypter", P, 236.)

«رع نفر» المشرف على جياذ كل الاصطبل : وكان «رع نفر» كذلك
أحد الموظفين القائمين على صيانة جياذ الفرعون ، إذ كان يحمل لقب «المشرف
على جياذ كل الاصطبل» .

ولم تصلنا أية معلومات عن هذا الموظف إلا ما جاء عنه فى نقش وجد
فى إحدى كوات منزل بمدينة «اخناتون» (راجع Peet & Woolley, "The City
of Akhetaton", I, Pl. IX. 6.) .

«بارت نفر» ساقى الفرعون : كان «بارت نفر» ساقى الفرعون، وغاسل
يذى جلالة الفرعون (٩) (راجع Davies, "El Amarna", VI, Pls. III, VII, P. 6
(أو نظيف اليدين على حسب رأى آخر فى الترجمة) ويوجد فى «الخوخة» «بطيبة
الغربية» مقبرة يحمل رقم ١٨٨ ، وتؤرخ بلا نزاع بعهد «اخناتون» غير أن اسم

صاحبها قد مى عن قصد فى كل مكان وجد فيه على جدران المقبرة وصاحبه يحمل لقب
ساقى الفرعون ، ونظيف اليدين ، ومدير البيت على حسب ما جاء فى ترجمة « جاردنر »
و « ويجول » (Gardiner & Weigall, Cat. No. 188.) ، والفن الذى يشاهد
فى نقوش هذه المقبرة يرجع إلى بداية عهد « اخناتون » ، ويميل الإنسان إلى الاعتقاد
بأن هذا القبر قد عمل « بارت نفر » رسمه ، ثم هجره ورحل مع سيده « اخناتون »
إلى بلدة « اخناتون » وهناك أقام مقبرة ، وعلى الرغم من أنها صغيرة الحجم فإن الجزء
الذى تم منها زخرف بكرم وإتقان . وتدل شواهد الأحوال على أنه قد جلب لنفسه
غضب الفرعون لسبب ما . وذلك لأن القبر لم يتم زخرفته ، وكذلك مى اسمه
فى كل مكان وجد فيه على الجدران ، ولا بد أن هذا الغضب له علاقة بما حدث
فى القبر الذى نحت فى « الخوخه » . (رقم ١٨٨) والواقع أن قبر « بارت نفر »
يحتوى مناظر غاية فى الإتقان ، وبخاصة التى تم نقشها . ومن المناظر النادرة منظر
زيارة الأسرة المالكة لزيارة غير رسمية لمقبرة هذا الموظف . وقد يجوز أن هذه
حادثة حقيقية ، أو باعتبار ما سيكون قد نسجها خيال « بارت نفر » ، فىرى
الملك والملكة يسيران على مهل وبتؤدة وساعد الملك مطوى حول رقبة زوجته ،
ويدهما مشتبكاً معا (راجع Davies Ibid. Vol. VI, Pls. III, VII, VIII.) ،
وفوقهما قرص الشمس مرسل أشعته تتدلى منه الأيدي البشرية التى تمسك بالفرعون
من تحت إبطه كأنها تحميه من التعثر فى حجارة الصحراء ، وأمام الفرعون تابعون
يسرون حاملين المظلات لوقايتهم من حر الشمس . وهكذا نشاهد فى منظر واحد
« آتون » يحى الملك من السقوط ، ويحمى هو من حرارته ، وبذلك يجتمع النقيضان .
ويأتى خلف الملكة ثلاث من الأميرات ومعهن مربيتهن ، وإثر هذا المنظر
يشاهد الخدم يحملون الكراسى وأدوات الكتابة . ولم يذكر اسم « بارت نفر »
فى هذا المنظر . وعلى أية حال فإن هذا الموظف قد كوفى على إخلاصه ، إذ نشاهد
الفرعون وزوجه السمحة الوجه يقدمان له ذهب الجدارة ، وقد كان حاضرا فى هذه

المناسبة السعيدة الأميرات الثلاث و «موت بنت» أخت «نفرتيتي» ، (راجع Ibid. Pl. IV) وهذا المنظر قد بقي مخطوطا بالمداد فقط فلم يحفر، وما تبقى منه يظهر فيه «بارت نفر» وهو عائد إلى بيته في عربته وفي ركابه طائفة من أتباعه يحملون المنحة الملكية، وعند وصوله تخرج زوجه من بيتها مهرولة نحوه رافعة يديها، وكانت أول من حياه وهناه، وقد كان ثناؤها على الهدية الملكية عظيما، ثم جاء خلفها طائفة من العذارى يرقصن ويضربن على الدفوف . والظاهر أن بعضهن قد أسرعن لمقابلته حتى أنهن قد خرجن عاريات الأجسام . (راجع Ibid. Pl. V) .

وفي منظر آخر يرى الفرعون وقد مثل جالسا على عرشه تحت مظلة وأمامه موظفان لم يذكرا اسمهما — أحدهما حامل إبريقا ومنديلا، ويظهر أنه يقدم شرابا للفرعون والثاني يرى راكعا، ولا بد أن الأول هو ساقى الفرعون «بارت نفر» نفسه وهو يؤدي وظيفته . (Ibid. Pl. VI) والمنظر مهشم تهشيا كبيرا، خير أنه يمكننا أن نرى جماعات من المغنيات، وصفا عظيما من الأباريق والأطعمة قد وضعت خلف القبر (؟) مما يبرهن على أنه كان ساقى الفرعون حقيقة .

«توتو» : لقد دل البحث العلمى على أن «توتو» هو نفس «دود» الذى ورد فى خطابات «تل العمارنة» وهو الذى لعب دورا مشينا على حسب ما توحى به هذه الخطابات التى تبودلت بين الفرعون وأمراء آسيا مما أدى إلى سقوط الامبراطورية المصرية .

وألقابه كما جاء فى قبره هى : التشرىفاتى ، وتشرىفاتى سيد الأرضين ، والخادم الأول للفرعون ، «نفر خبرورع — وع — ن — رع» فى بيت معبد «آتون» فى «إختاتون» ، والخادم الأول للفرعون «نفر خبرورع — وع — ن — رع» فى السفينة ، والمشرف على كل أواصر رب الأرضين ، ومدير كل أعمال جلالة ، والمشرف على كل الفضة والذهب ، ملك رب الأرضين ، والمشرف على الخزانة

في « آتون » في معبد « آتون » في « إخناتون » القم الأعلى لكل الأرضين ،
والخادم الأعظم للفرعون ، والتابع الأول (؟) وخادم « وع — ن — رع »
ومدير كل أعمال جلالته .

ومما يلحظ في قبر هذا الرجل العظيم أن المناظر التي تصف رقيه والمكافآت
التي نالها قد برزت بشكل واضح ، ولذلك نشاهد فيها كل الاحتفالات الضخمة
التي أقيمت بكل أبهة ونفار لهذه المناسبات . وقد كانت المكافآت الملكية
تشمل الماشية السمينة كما كانت تحتوي على الحلى الذهبى الفاحر (راجع
Ibid, Pls. XVII - XXII.) ، وقد تكلمنا فيما سبق عن الدور الذى لعبه في سياسة
الدولة .

« رع موسى » المدير الملكى : كان « رع موسى » هذا يلقب المدير الملكى ،
والمشرف على جنود رب الأرضين ، ومدير بيت « أمنتب الثالث » . وعلى
الرغم مما يوجد من توحيد في لقبه الأخير واسمه مع اسم « رع موسى » الذى خدم
« أمنتب الثالث » وأقام لنفسه قبرا في جبانة « شيخ عبد القرنة » يحتوى على
مناظر من عهد « إخناتون » وما قبله من الوجهة الفنية فإنه ليس لدينا ما يدعو
إلى الاعتقاد بتوحيدهما . والواقع أن قبر « رع موسى » هذا المقام في « تل العمارنة »
كان قبرا صغيرا ، والمناظر التي فيه يظهر فيها الملك « إخناتون » والملكة « نفرتيتى »
والأميرة « مريت آتون » يتعبدون للإله « آتون » ، ويشاهد فيه صورة راکة
تمثل « رع موسى » وقد نقش أمامه وفوقه الصلاة التي يدعو بها ربه (راجع
Ibid. Pl. XXXV.) .

« سوتى » حامل العلم : كان « سوتى » يلقب بحامل العلم لطائفة جنود الفرعون
« نفر — خبرو — رع — وع — ن — رع » (إخناتون) وقبره في « تل العمارنة »

ولم ينقش منه إلا عارضتا الباب ، والنقش دعاء جنازى (Ibid. Pls. XXXVIII, XXXIX, PP. 25, 31).

«حاتياى» مدير مخازن معبد آتون : كان قد كشف عن مقبرة فى جبانة «شيخ عبد القرنة» فى عام ١٨٩٦ وعثر فيها على تابوت كبير، وعليه اسم «حاتياى» ويحمل الألقاب الآتية : الكاتب ومدير مخزن غلال معبد «آتون» ، وقد أרך الأثرى «دارسى» هذا القبر بعهد الفرعون «أمنحتب الثالث» أو بداية عهد حكم «إختاتون» (راجع A. S. II, P. 2). وبعد ذلك عثر فى مدينة «إختاتون» على عتب باب لشخص يدعى «حاتياى» ويحمل لقب مدير الأعمال ، ومحبوب رب الأرضين (راجع "The City of Akhetaton", P. 109, Pl. XXIII, 4).

ولذلك يحتمل أن يوحد هذا الرجل بصاحب المقبرة المذكور سالفا .

«سوتاوى» مدير خزانة رب الأرضين : كان «سوتاوى» يحمل لقب مدير خزانة رب الأرضين .

وقبر هذا الموظف فى «إختاتون» صغير جدا لم يتم العمل فى داخله ولا فى خارجه . والظاهر أن هذا التعس لم يجد أملا حتى فى إتمام حجرة دفنه المتواضعة ، وكل ما حاوله هو أن تخلد ذكراه وذكرى الملك على جزء من الجدار فى المدخل ، فعلى أحد جانبي المدخل رسم أفراد الأسرة المالكة وهم يتعبدون «لآتون» ، وأسفل ذلك رسم صورته ، وبعض النقوش التى تحدثنا عن أن «سوتاوى» كان رجلا من أسرة متواضعة ، وقد رفعه الفرعون إلى درجة عالية من الغنى والثراء والنفوذ ، على أن حجم قبره وحالته لا يدلان على شئ من ادعائه العريض . (راجع Davies "El Amarna", Vol. V, P. 14, Pls. XIV, XV).

«مرى رع الثانى» كاتب الفرعون : كان «مرى رع» الثانى من كبار رجال بلاط «إختاتون» ، إذ كان يحمل الألقاب التالية ، كاتب الفرعون ، والمشرف

على (الحريم) الملكى ، والمشرف على الخزانة ومدير البيت ، والمشرف على (الحريم) الملكى للزوجة الملكية العظيمة ، « نفر نفرو آتون » « نفر تيتى » العائشة أبد الآبدين (Ibid. Vol. II, Pl. XXIX.)

والواقع أن مقبرة هذا العظيم كان مثلها كمثل المقابر الأخرى فى هذه الجهة لم يتم نحتها ونقشها تماما ، وعلى أية حال فإن الكثير من زخرفتها كان قد أنجز ويظهر فيه مناظر الأسرة المالكة ، و « مري رع » وهو يتقبل الإنعامات الملكية من الملك والملكة شخصيا ، ويعتقد الأثرى « ديفز » أن كل مقابر « تل العمارنة » كانت قد نحتت بأمر ملكى ، وأن الملك نفسه هو الذى أمر برسم هذه المناظر الملكية فى هذه المقابر ، وهى التى يجب أن تكون فى قبر الملك نفسه وحده . وأهم منظر على جدران هذه المقبرة هو مشهد استقبال الجزية الأجنبية (راجع Ibid. Pls. XXXVII - XLVII & P. 38 ff.) وتاريخ هذا الحادث قد محى ، والظاهر أنه كان مثل التاريخ الذى وجد على مقبرة « حويا » القرية منه وعلى ذلك يمكن أن يكون السنة الثانية عشرة من حكم « إخناتون » . وهاك النص : " السنة الثانية عشرة ، الشهر الثانى ، من فصل الشتاء ، اليوم الثامن من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى ، العائش على الصدق ، رب الأرضين « نفر — خبرو — رع » بن الشمس العائش على الصدق رب النيجان « إخناتون » العظيم فى بقاته ، والزوجة الملكية محبوبته « نفر تيتى » العائشة أبد الآبدين . ظهر جلالتة على عرش الوالد المقدس والملك ، « آتون » الذى يعيش على الصدق ، وكل رؤساء الأراضى قد أحضروا جزييتهم (أرهدا ياهم ؟) ... وملتسين العطف من يده (؟) حتى يستطيعوا شم نفس الحياة " . والواقع أن النقوش التى فى قبر « حويا » كما ذكرنا قد سجلت حادثة جلب الجزية من « سوريا » و « كوش » والشرق والغرب ، وجزر البحر ، ومن المحتمل أن هذا الوصف كان مجرد تقليد . وهنا نشاهد الملك جالسا على العرش ومعه أسرته وعلى الجهة اليمنى ترى جزية الجنوب (Ibid. Pl. XXXVII - XL.) ، وعلى اليسار أعم الشمال . ويلاحظ أن الملك وزوجه يجلسان على كرسيين متحدين جنبا لجنب ، وبما يلفت النظر أنه حتى فى مثل هذا الحفل العام الذى يظهر فيه وفود الأجانب نرى الملك

يجلس جلسة تدل على مغالته لزوجته ، فالملكة تطوق الفرعون بذراعها الأيمن ، وذراعها الأيسر وضع على ذراعه ، وهنا نشاهد ست أميرات قد حضرن في هذا الحفل وهو عدد لم نجده في أى رسم آخر ، والأميرتان الجديدتان في هذا المنظر هما « نفر نفرو رع » والأميرة « ستب - ن - رع » .

وأمام الفرعون رسم ستة صفوف تمثل إحضار العطايا بوساطة قبائل عبيد الجنوب ، وفي الصف الأعلى نشاهد نماذج الهدايا ، وهذه كانت تقدم في صورة مجاميع مزخرفة على حسب ذوق الأهالي ، فمثلا نجد هنا كومة مزخرفة بالجلود وذبول الحيوان ، والخواتم من الذهب مدلاة في هيئة سلاسل طويلة ، في حين نرى كذلك صفا من ريش النعام يزين الجانب الأعلى ، ويشاهد هنا كذلك جزية أخرى مؤلفة من الدوم يحتمل أنها صنعت من المعدن الثمين ، وخلف ذلك يوجد أطباق عظيمة عليها ركائز من المعادن ، وحقائب من التبر ، وخواتم من الذهب ، ودروع وسهام وأقواس ، وأسفل ذلك نرى هدايا مماثلة للسالفة مقدمة من رؤساء بلاد « واوات » أو « يام » في بلاد النوبة ، كما نشاهد من بينها بعض الحيوان مثل الفهود الأليفة والغزال (؟) .

وفي الصف الثالث نشاهد أسرى ضمن الجزية ، ومن بينهم نحو اثنتي عشرة جارية قد وضعت الأغلال في أعناقهن وفي أيديهن ، وكل واحدة منهن كان يتبعها ثلاثة أطفال أو أربعة ، والكبار من الأطفال يسرون بجانب الجوارى ، أما الصغار فقد حملن على ظهورهن في سلات ، وهذه على ما يظهر كانت عادة شائعة . أما الصف الذى يلي ذلك فيمثل منظرا حربيا ، ولكن من غير أسلحة ، والظاهر أنه منظر ألعاب رياضية ، ويشتمل على المصارعة ولعب العصا والملاكمة .

وفي هذه الأثناء نشاهد « مري رع » ومعه أربعة من الموظفين يتزلون من الطوار ليقدّموا أنفسهم للفرعون ، ومعهم أتباعهم من حاملى المراوح وغيرهم ممن

اشتركوا في هذه الحملة أو الرحلة ؛ وفي الوسط نجد الصبية يحبونهم ، وكذلك نرى جماعة صغيرة يشتركون في الاحتفال بمنح « مري رع » عقدين من الذهب .

وعلى يسار الطوار (راجع Ibid P. 40) نرى أهل الشمال (وهو الشرق بالنسبة لنا) ويؤلفون ستة الصفوف التي تقع خلف السوريين (رتنو) مباشرة ، وكلهم ذوو شعر كثيف ولحي طويلة . وفي أعلى الصورة نشاهد جزءا عظيما من الهدايا ، وتحتوي على الأسلحة التي كان المصريون قد تعلموا قيمتها في حروبهم مع « سوريا » منها القوس والنشاب والخنجر والحسام ، والحراب والدروع ، والزربد والعربة التي يجرها جوادان ، وكذلك هدايا يحملها الأسويون في أيديهم ، ومن بين هذه الهدايا ثلاث عذارى قد دفعنهن إلى الأمام ليستلقن نظر الفرعون ، ثم نشاهد رؤساء البعثة راكعين أمام الفرعون ومقدمين أواني من المعدن وقبعات وسن فيل وبها ما وأقواسا ، وثلاثة حيوانات — غزالا ووعلا وأسدا . وفي الصف الثاني نجد تسعة أسرى أو عبيدا مغلولي الأيدي .

وفي الصف التالي نشاهد بعثة من بلاد أخرى ربما كانوا الأموريين وهداياهم تشمل فتاتين وعربة وأواني مختلفة جميلة الصنع . والصفان الأسفلان يحتمل أنهما يمثلان قبيلة أخرى من السوريين لا يمكن تحديدها . ثم نشاهد كذلك أهل « بنت » على ما يظهر يقدمون جزيتهم (Ibid. P. 41) ثم يأتي بعد ذلك « اللوبيون » . ثم أهل « خيتا » الذين كانوا يحملون هدايا لا بد أنها من صنع أهل « كريت » .

وبعد موت « إخناتون » بقي « مري رع » حائزا للعطف الملكي ، فنشاهد الملك « سمنخكارع » يستقبله هو وزوجه « مريت آتون » وأغدق عليه الهدايا المعتادة من الذهب وثبته في وظيفته (راجع Ibid. P. 43) .

توت عنخ آمون



ولقد أدى موت « سمنخكارع » أن يعتلى « توت عنخ آمون » عرش الملك ،
ومعه زوجه « عنخس — ن — باآتون » بنت « إخناتون » و « نفرتيتي » .
وقد ظل كثير من الحقائق التاريخية التي تتعلق « بسمنخكارع » و « توت عنخ آمون »
غامضا إلى أن كشفت مقبرة الأخير وفحصت كنوزها فحفا علميا دقيقا ، فاتضح
أن كثيرا من الحلى والجواهر التي وجدت مع « توت عنخ آمون » كانت في الأصل
قد صنعت للملك « سمنخكارع » وحليت باسمه ، ثم نرى أثر التغيير باديا عليها . فمضى
اسم « سمنخكارع » ونقش مكانه اسم « توت عنخ آمون » . وقد أرتنا هذه
الكشوف أن النقوش الدينية التي كانت في الأصل « لسمنخكارع » لا تمت بصلة
إلى ديانة « آتون » بل كانت الأناشيد الدينية فيها تتجه إلى الإله « رع » ، كما
وجدت أشكال آلهة لها رؤوس حيوان ، وجسوم إنسان ، وهذه بداهة لم تصنع
في « إخناتون » مقر عبادة القوة الشمسية الواحدة ، بل إنها من صنع « طيبة »
التي اتخذها « سمنخكارع » مقر له بعد أن غادر عاصمة أخيه . وهذه الدلائل كلها
تثبت لنا أن « سمنخكارع » قد عاد إلى الشعائر الجنازية القديمة الخاصة بالدفن .

والظاهر أن « سمنخكارع » قد حمل معه مقدارا عظيما من سبائك الذهب التي كانت توجد بكثرة في « إختاتون » وأن دالته على أخيه وسلطانه عليه كانا كفيلين بإجابهته الى كل مايرنو إليه ، وهذا يعلل لنا السر في إسراع « توت عنخ آمون » ورائديه ، وبخاصة « نفرتي » والكاهن « آي » بالعودة إلى « طيبة » ، فقد رموا من وراء ذلك الاستيلاء على ذلك النضار الذي حمّله معه « سمنخكارع » من « إختاتون » أولا والقضاء على التأثير الذي تركه « سمنخكارع » على كهنة « آمون » مدّة إقامته ملكا في « طيبة » ثانيا بنشر فضائحه وعلاقته المشينة بأخيه كما يدعى البعض ، وقد تمّ لهم ما أرادوا ، فتملكوا أثاث « سمنخكارع » وجواهره ، واستولوا على النضار الذي جلبه من « تل العمارنة » ، واستلبوا كل الهدايا التي أغدقها عليه « إختاتون » وبذلك حرّموا « سمنخكارع » إقامة شعائر دينية تليق بملك مثله ، كما حرّموا أثنائه الجنازي . وليس بخاف أن « توت عنخ آمون » ذلك الصبي الساذج الذي لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره يقصر عقله وتفكيره عن تدبير مثل هذه المكاييد لأخيه . أما الرأس المفكر والعقل المدبر فهو ذلكم الداهية الكاهن « آي » الذي كانت له أطباع واسعة ، وأهداف بعيدة يسعى إلى تحقيقها ، ولكنه كان يتستر ويتخفى في كل خطوة يخطوها ، لأنه ربما كان يخشى شخصية قوية هي شخصية القائد « حور محب » الذي كان يسيطر على جيش البلاد في تلك الآونة ، وإن كانا في الظاهر يعملان معا إذ أنهما من رجال الجيش كما سنرى بعد .

بدا على المسرح الآن أمامنا بطلان كلاهما طاعن في السن وكلاهما طامع في العرش ، ولكل منها طريقته التي يراها توصله الى مطمحه ؛ « فأى » يتخذ السياسة والدهاء ونفوذه في بيت الملك ونقضه للدين الجديد ، وعودته لعبادة « آمون » والقوة أيضا وسائله لتحقيق ما تصبو إليه نفسه و « حور محب » يرى أن القوة هي كل شيء ، وأنه مادام يأخذ بزمام الجيش فإنه لا بدّ واصل إلى ما يريد ، واحتدمت الغيرة الشديدة بين الرجلين ، واشتعلت نار الحقد بين القلبين وأخذ كل

منهما يعمل سرا في هدم صاحبه بدعوى الإخلاص للملك ، وما الملك في أيديهما إلا العوبة يحركانها فتتحرك ، ويقفانها فتقف ، وليس لأحد منهما في خدمة الملك رغبة وإنما لكل منهما في ذلك غاية ، هي اغتصاب ملكه والوثوب على عرش آبائه .

عاد « توت عنخ » إلى « طيبة » كما قلنا وبقي محتفظا باسمه المركب مع كلمة « آتون » مدة ما فصار يدعى فيها « توت عنخ آتون » ويعتقد بعض المؤرخين أنه غير اسمه على إثر انتقاله إلى العاصمة القديمة « طيبة » فصار يدعى « توت عنخ آمون » اقتداء بالكاهن « آي » الذي عاد وقتها إلى عبادة « آمون » ثانية ، وليس هناك ما يبرر هذا الإسراع في تغيير الاسم فإن اسم « آتون » لم يكن ممقوتا في « طيبة » أو في غيرها لأنه يدل على عبادة « رع » الذي يؤمن به الجميع ، وأكبر دليل على عدم مقتهم لهذا الاسم أن أعداء مذهب « إخناتون » لما أرادوا تشويه مقابر « إخناتون » (تل العمارنة) ومعايدها قصروا هذا التشويه على محو اسم « إخناتون » نفسه ، ولم يتعرضوا لرمز الشمس « آتون » بالمحو أو التشويه ، والظاهر أن « توت عنخ آمون » قد غير اسمه بعد تركه « إخناتون » واستقراره في « طيبة » فإن أثاره الجنائزى عدا أساس قصره الذي حمله معه في قبره يحمل اسم « توت عنخ آمون » ، وأهم ما يسترعى النظر من التناقض في نقش اسم هذا الملك ما شوهد على كرسي عرشه وكرسي أنحله نموذجي ، فقد نقش على الأول صورة الفرعون وزوجه باسميهما مركبين مع لفظة « آمون » ، ومع هذا نرى فوقهما « آتون » مرصلا أشعته التي ينتهى كل شعاع منها بيد إنسان ، فضلا عن أن قرص الشمس هذا يكتنفه طغراء « آتون » من جانبيه ، ونرى نفس الظاهرة بادية على ظهر الكرسي عينه ، فإننا نجد اسم الملك مركبا مع لفظة « آتون » كذلك . أما الكرسي الثانى وهو النموذجى فنرى أن الاسم المنقوش عليه هو « توت عنخ آتون » أيضا أينما وجد الاسم . ولعل هذين الكرسيين قد صنعا في « طيبة » قبل أن يغير الملك اسمه ، ولا داعى لأن نفترض أنهما صنعا في « إخناتون »

ثم أرسلنا إلى «طيبة» ، لأنه لم يكن ثم كما قلنا من قبل كفر وجحود في النطق بلفظة «آتون» فيها، ومن الجائز أن يكون «توت عنخ آتون» قد غير اسمه على ظهر كرسي عرشه ، وهو الجزء البادى من الكرسي عند جلوسه عليه لأسباب سياسية خاصة ، وترك اسمه الأصلي على الكرسي المثالى ليدفن معه، وهذا الدليل على أن عبادة آتون لم تمنح بسرعة جارفة بعد موت «إخناتون» كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

وعندنا من آثار «توت عنخ آتون» لوحة صغيرة من الحجر الجيري الأبيض محفوظة الآن بمتحف «برلين» وهى تمثل «توت عنخ آتون» بلباس فضفاض يقدم القربان للإله «آمون رع» والإلهة «موت» زوجه ، وهى لذلك ذات قيمة تاريخية عظيمة لأنها تصوّر بصفة قاطعة رجوع الملك إلى عبادة آلهة طيبة مع احتفاظه باسمه الأصلي «توت عنخ آتون» . ولا يمكننا أن نحدد بالدقة التاريخ الذى غيّر فيه هذا الملك اسمه ، وكل ما نعرفه أنه كان قبل السنة الرابعة من حكمه لا يحمل اسمه الأصلي المركب مع لفظه «آتون» ، إذ وجدنا فى قبره زجاجة نبيذ مختومة وقد نقش على الختم السنة الرابعة من حكم «توت عنخ آمون» .

مكثت «طيبة» طيلة مدة حكمه مسرحا للحكم بعد انتقاله إليها من «إخناتون» ، وعلى الرغم مما بين «حور محب» و «آى» من تشاحن على الملك إلا أنهما أخذتا يعملان معا فى الظاهر وكل منهما طامع فى أن يتولى العرش بعد «توت عنخ آمون» وسرى فيما بعد أن الذى تولى عرش الملك بعد «توت عنخ آمون» هو الكاهن «آى» ومن بعده «حور محب» ثم استولى مكانه «رعسيس الأول» وكلهم من رجال الجيش كما سنأتى على كل ذلك بالتفصيل .

(٥) «حور محب» الوصى على العرش والقائد المظفر فى حروب

«توت عنخ آمون»

تفرغت البلاد ووقف كل مصرى خائفا يترقب «فالحيتا» بالمرصاد تهدد الكثانة وما بقى من أملاكها بالغزو، والشئون الداخلية فى مصر مختلة نتيجة الارتباك الدينى

والفوضى الاجتماعية التي أعقبت إصلاحات «إخناتون» فتطلعت البلاد إلى يد قوية حازمة تبسط سلطانها على شعب مصر، وترهب في نفس الوقت أعداء البلاد، ووجدت رغبتها في القائد العظيم «حور محب» فتولى زمامها، وصيا على عرش الملك الصغير.

والظاهر أن «حور محب» كان من عامة الشعب ولا ينتسب إلى أسرة عريقة في المجد من بلدة «حت نسوت» من أعمال المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي . وقد عاش في كنف إله مقاطعته المحلي المسمى «حور» . ولم يكن «حور محب» مغمورا في حياته أو ظهر بجلاء في هذا الوقت العصيب بل كان فذا في كل عمل وكل إليه أمره فكان كاتب المجندين الموفق في عهد الفرعون «تحتمس الرابع»، ثم ارتفع في عهده أيضا إلى مرتبة «مرب قدير لإحدى بناته»، ثم صعد إلى وظيفة «قائد لكثائب الفرسان» ثم عهد إليه مولاه بمهمة خطيرة لا ينهض بأعبائها على الوجه الأكمل سواه، تلك هي محاربة كهنة «آمون» وانتزاع الرياسة الدينية لكهنة القطرين من أيديهم ، وليس ذلك بالأمر الهين في هذا الوقت فهم أصحاب نفوذ كبير، وإليهم آلت السلطة المسيطرة في البلاد ، هذا إلى أن إعلان الفرعون الحرب على كهنة «آمون» سابقة خطيرة لم يعتدها القوم ولم يألّفوها من قبل، فإقدام الفرعون على ذلك يدل على أنه واثق تمام الوثوق من مقدرة ذلك القائد الذي عهد إليه بالأمر . وقد صدقت فراسته ، ولم يخيب «حور محب» ظنه فانتصر فعلا على هؤلاء القوم ، وانتزع منهم تلك الوظيفة التي كان شاغلها يسيطر على المرافق الدينية والاقتصادية في كل المقاطعات، وهي وظيفة «رئيس الكهنة لكل آلهة القطرين» ، وهنا ارتفعت منزلة «حور محب» في عين سيده فولاه راضيا هذه الوظيفة مكافأة له على إخلاصه وصدق عزمه ، وإن كان من رجال الجيش ، وليس من كهنة الدين ، على أن هذه الوظيفة لم تستطع أن تبقى طويلا خارج حدود الكهنة ، فقد اضطر «أمنحتب الثالث» أن ينزل عنها مرغما إلى الكهنة فرجعت إلى حوزتهم مرة ثانية إلى أن جاء «إخناتون»

وانتزعها منهم إلى الأبد . وقد بقي « حور محب » — على ما يبدو — محتفظا بوظيفة قائد الجيش في عهد إخناتون ، كما كان كذلك مديرا لأشغاله . والظاهر أنه لما أحدث « إخناتون » ذلك الانقلاب الديني غير « حور محب » اسمه مسaire للجو الذي يعيش فيه ، فسمى نفسه « آتون — محب » (يعنى آتون في عيد) وقد رأينا هذا الاسم على قبر في « تل العمارنة » يحمل صاحبه لقب « قائد الجيش » ثم مى ثانية ، غير أننا لا نقطع بصحة هذا الاستنباط .

وقد زاد نفوذه ، وامتد سلطانه في عهد الملك « توت عنخ آمون » كما قلنا ، فقد كان وصيا على العرش ، وقابضا على معظم السلطة الحربية في البلاد ، وتدل نقوشه التى خلفها لنا ومقبرته فى «سقارة» على أنه صار فى ذلك العهد أرفع مكانة ، وأقوى سلطانا ، وإن ألقابه الضخمة التى وجدت على جزء من تمثال له تنطق بتلك المنزلة العالية التى وصل إليها ، فقد جاء فيها أنه : «عظيم العظماء ، وقائد القواد ، والرئيس الأعلى لمجلس الحكام ، والمنصب من الفرعون رئيسا للقطرين ، والقائد الأعلى لكل جيوش الملك ، ومدير بيت الفرعون » . كما قال فى هذه النقوش متحدثا عن نفسه : « لقد وضعت القوانين للفرعون ، وإن جلاليه مسرور من كفايتى ، وحسن إدارتى للبلاد » . كما حدثنا عن نفسه فى وثيقة توليته أمور العرش فقال : « قد اغتبط الملك لحسن اختياره إياى ، ولذلك نصبنى رئيسا أعلى للبلاد ، ونفذت له قوانين هذه البلاد كلها ، ولم يشركنى أحد فى ذلك ، وكان الناس يعجبون بما تنطق به شفتاى .

وإذا ما ناديت أحدا بصوتى أمام الملك اهترت أركان القصر ، ولكنى إذا حدثت جلاليه مجيبا على أسئلته سر بعذب منطق الذى وهبى إياه الإله «تحت» رب العلم ، و «بتاح» (رب الحرف والصنائع والجمال) ، وهكذا حكمت القطرين عدة سنين ، وكان رجال مجلس الحكام ينجون أمامى عند مدخل القصر الملكى ، وأمرأه البلاد الأجنبية من الجنوب إلى الشمال يرفعون إلى أكف الضراعة كما يرفعونها للإله (أى الملك) ، وكل شئ يجرى وفق ما أريد ، والناس يتمنون لى السعادة والصحة ، والشعب يحبنى كما يحب رب الأرضين (أى الملك) » .

هذا معنى ما قاله « حور محب » ولا شك فى أن مثل تلك الألقاب الضخمة ، وهذه السلطات الواسعة التى نسبها لنفسه لا تكون إلا لحاكم بأمره ، ولم يصل إليها حتى

« سفوت » الذى مر الكلام عنه ، وإن كان وجه الشبه بينهما عظيما . ولم يذكر لنا فى هذا النقش اسم ذلك الذى ولاه قيادة الناس ، وجعل له الأمر النافذ فيهم ، والهيمنة على شئون البلاد ، ولكن الآثار تدلنا بجلاء على أن ذلك الملك الذى أمته بكل تلك السلطة هو « توت عنخ آمون » فلقد وجدنا تمثالا « لخور محب » جالسا فى مقبرته وفى يده المرسوم الملكى الذى أعطاه فيه « توت عنخ آمون » كل هذه السلطة الواسعة ، وقد نقش فيه اسم هذا الفرعون .

وقد كان أهم عمل قام به « خور محب » فى عهد « توت عنخ آمون » هو الحروب التى أشعل ناراها وظفر بالانتصار فيها نصرا مؤزرا ، ولقد اتخذ ذلك النصر فيما بعد ذريعة تؤهله لاعتلاء العرش بعد الملك « آي » كما سترى .

وكانت أولى حروبه تلك التى ادعى فيها أنه بدأ بإعلانها على « خيتا » ، ومن جهة أخرى ادعى أهل « خيتا » أنهم هم البادئون بشنها على مصر ، ويزعم « خور محب » أنه انتصر على « خيتا » فى هذه الحرب كما ينقض « خيتا » هذا الزعم ويقولون أنهم هم المظفرون فيها .

وإذا استعرضنا الأمر فى شيء من التبصر أمكننا أن نزيل هذا التناقض ونخرج بوقائع نرتاح لصحتها بعض الارتياح . فإنه كان من البدهى أن تأخذ النعرة ملك « خيتا » ويقدم سيدها « شوبيليو ليوما » على الانتقام من مصر لقتلها ابنه الذى استدعى إليها ليكون زوجا وملكاً ، فيشن الغارة عليها ، ويحجى من بعده خليفته « مورسيل » فيسير فى تلك الطريق التى اختارها سلفه انتقاما للشرف الضائع والكرامة المجروحة ، وأخذا بثأر الدم الزكى المسفوح .

أما التناقض بشأن نتائجها فيدعى « خور محب » أن المصريين انتصروا على الآسيويين ، ويدعى « مورسيل » أنه انتصر على الجيش المصرى رجالته وفرسانه ، وأسر منهم خلقا كثيرا^(١) ، فتفسيره كما جاء فى تقرير « خيتا » أن الأسرى المصريين

(١) راجع : Forrer, "Forschung", II, P. 14.

قد نقلوا معهم وباء فتأكاً إلى بلاد « خيتا » نكبهم نحو عشرين عاماً ، ولم يتمكنوا من متابعة انتصارهم على المصريين ، فاضطر لذلك ملكهم إلى وقف القتال ، وبقى السلام ناشراً ألويته بين الدولتين منذ ذلك الوقت إلى عهد « ستي الأول »^(٢) . ومن هنا أخذ كل من المعسكرين ينظر إلى المعركة من الناحية التي ترضى عاطفته الوطنية ، فخلع على نفسه البطولة ، وادعى أنه المنتصر المظفر .

على أن هذا السلام الذي ساد جؤ الدولتين : « خيتا ومصر » قد مكن المصريين من متابعة حروبهم التي شنوها على أهل « فلسطين » بسبب ثورتهم على الحكم المصري ، ومحاربتهم الأمراء الموالين لمصر ، وكان أكثرهم إثارة للقلق قوم « خيبرى » (اليهود فيما بعد) ؛ ولكن « حور محب » تمكن من إخماد ثوراتهم ، وانتصر عليهم نصراً ميئناً . وكان يرافقه في هذه الحرب مليكه « توت عنخ آمون » ، ونستخلص ذلك من لقب « حور محب » الفخرى الذي خلعه على نفسه : " إنه مصاحب سيده في المعركة في ذلك اليوم الذي انتصر فيه على الأسويين " .

وقد ترك لنا هذا القائد مناظر ممتعة على جدران قبره في « سقارة »^(٣) تدور حول هذه الحروب فنشاهد فيها جماعات الأسرى الذين ساقهم معه من فلسطين ، وقد شاعت براعة المثال أن توضح جنسية كل فئة منهم ، فنستطيع أن نخرج منهم الأسويين ، ونميز كذلك الأوربيين الذين كانوا في « فلسطين » وقت هذه الحروب ، فنرى كذلك صورة مهشمة جداً فيها الملك والملكة وأمامهما « حور محب » يقدم الأسرى ، ولما كانت هذه الصورة تمثل فن « تل العمارنة » في روحها فقد نسبها بعض المؤرخين إلى عهد « إخناتون » ، ولكن فيها من الوقائع ما يفند هذا الرأي

(١) راجع : Forrer, "Forschung", II, PP. 11, 12, 14.

(٢) راجع : Meyer, "Gesch.", II, 1, P. 404, note 4.

(٣) راجع : Helck, "Der Einfluss der Militärführer in der 18.

Agyptischen Dynastie", P. 78 note c.

فليس فيها أبدا ما يدل على عبادة « آتون » ، بل إن فيها على العكس من ذلك « حور محب » يتعبد للإله « آمون رع » ويتعبد للإله « حور » ، ويتعبد للآلهة الآخرين ، وتقرأ عليها الصيغ الدينية الخاصة بالإله « أوزير » ، فلا محل إذا للاقتداء أنها من عهد « اخناتون » ، وإذا كان فيها روح فن « تل العمارنة » واضحا فذلك لأن « حور محب » كان قد استعان بكثير من الصناع ورجال الفن الذين جلبهم من « تل العمارنة » لتزيين قبره ونقشه ، فلا بدع أن نتغلب عليهم طبيعة بلدهم ، وأن تظهر في أعمالهم الروح الذى ضروا عليه وامتزج بنفوسهم ، وصارت من مميزات بدائعهم .

ونشاهد فوق الصور المذكورة جنودا من الأسويين قد أرسلوا لحامهم ، وجثوا يتوسلون إلى « حور محب » أن يعفو عنهم ، وترى من بين المقهورين لوبيا ، وزنجيا ، وخلف هذين وأولئك أسويون آخرون قد زالت لحامهم ، وأرسلوا ذؤابات من الشعر على أصداعهم ، وارتدوا ملابس سورية ، ومعهم خيلهم ، وأسبلوا خصلات من الشعر تدل على أنهم آريون ، وترى نقوشا أخرى تصف ما حاق بهؤلاء المنكوبين من جراء ولائهم لمصر ، فتحدثنا بأن مساكنهم قد حرقت ، وحقوقهم قد خربت ، واستولى عليها غيرهم ، وأصبحوا جياعا بلا مأوى يهيمون كالسائمة بين الشعاب والجبال ، ولذلك جاءوا إلى الفرعون يحنون بسيفه الصارم ، ويعتزون بقوة الغلبة ، وترى بجانب هذا الحديث مترجما يحمل إلى « حور محب » — وقد بدا فى جيده طوق من الذهب — ، قرار الفرعون فى صدد هؤلاء المغلوبين على أمرهم ، وهو يقضى بحمايتهم ، وضمان حدود بلادهم .

وهذه الحال السيئة التى يعانها أتباع مصر فى البلاد الأسيوية هى نفس الحال التى كان يرسف فى أغلالها أهل « لوبيا » وأهل « كوش » الذين كانوا يدينون لأهل مصر بالولاء والسلطان ، فلا عجب أن تأخذ النخوة « حور محب » وينهض ليقوى نفوذ مصر فى هذه الممتلكات ، ويرجع إليها هيبتها ، ويرد لها ماضع من ولاء القوم وخضوعهم . ويظهر أن « حور محب » قد أفلح فى إنجاز هذا العمل

فإننا نقرأ في بعض النقوش بياناً بالأسلاب التي عاد بها من بلاد « النوبة » ،
وفي أخرى أنه صعد بجيشه في النيل سفيرا مليكا لقهر العصاة من أهالي « كوش »
ثم نراه يظهر بعد ذلك أمام الملك على رأس رجال المجلس الأعلى يقدم الجزية ثم
نشاهد جزية الشمال (آسيا) وجزية الجنوب (بلاد كوش) محمولتين أمامه ،
و « حور محب » بين يديه يقدمهما لمولاه .

ولانزع في أن الملك المذكور الذي قدمت إليه الجزية ، ووقف « حور محب »
بين يديه هو الملك « توت عنخ آمون » ، فقد رأينا منظرا مطابقا لهذا المنظر في مقبرة
« حوى » وقد استبدل باسم « حور محب » اسم « حوى » نائب الملك « توت
عنخ آمون » في بلاد « كوش » .

سلطان مصر في بلاد كوش

تمتد بلاد « كوش » هذه من « نخن » (الكاب الحالية) إلى « نباتا » أو
« كاراي » عند الشلال الرابع ، وقد كان « حوى » الذي سبق ذكره نائبا للملك
فيها ، وقد أطلق عليه هذا الاسم وهو صغير ، فلما كبر سمي « أمنحتب » وقد
برهن الأستاذ « زيتيه » على صحة ذلك^(١) . ولما كانت المناظر التي رسمها في قبره
تكشف لنا عن بعض النواحي المظلمة في تاريخ هذا العصر وبخاصة عن تعيينه نائبا
للك في « بلاد كوش » آثرا أن نعطيها جانباً من الاهتمام . فالمناظر الأولى^(٢) توضح
كيف احتفل بتعيين « حوى » نائبا للملك في « كوش » ، فنشاهد أولا
« توت عنخ آمون » جالسا على عرشه وأمامه صفان من الرجال في جماعات
تقوم كل منها بعمل في ذلك الحفل ، ثم نشاهد موظفا كبيرا يستقبل « حوى »
وهو يتقدم نحو الفرعون تحف به طائفة من رجال البلاط ، ونرى هذا الموظف

(١) راجع : A. Z., XLIV, P. 89.

(٢) راجع هذه المناظر كلها في مقبرة « حوى » :

Davies, "The Tomb of Huy" (1926).

الكبير يقدم إلى « حوى » خاتما من الفرعون رمزا لتعيينه حاكما على القطر الذى يمتد من « نخن » إلى « نباتا » ويقول له : « خذ خاتم وظيفتك يا ابن الملك » وهو اللقب الذى كان يعطاه نائب الملك فى « كوش » ، ثم يخرج « حوى » من القصر بعد الحفل بتعيينه فتستقبله أسرته وكبار الموظفين فرحين مهللين ، وفى منظر آخر نرى نائب الملك « حوى » منحيا أمام سيده « توت عنخ آمون » ويقدم له جزية الأسويين الذين يحملون اليه الذهب والفضة والآنية الفانعة والأحجار الثمينة ، وقد كتب فوق صورة « حوى » ما يأتى :

يقول ابن الملك صاحب « كوش » حاكم الأقاليم الجنوية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون :
” ليت والدك « آمون » يحفظك لتستقبل أعيادا لا عداد لها ، وليته يمنحك الخلود مالكا للأرضين ،
وحاكما لشعوب الأقواس التسعة . إنك « رع » وعنصرك عنصره ، والسماء ملكك وثابتة على عمدتها
الأربعة ، والأرض تحتك مدحوة ، وذلك بسبب سموك أيها الحاكم الطيب^(١) “ .

كما كتب فوق الأسويين : إن رؤساء « رتنو العليا » الذين لم يعرفوا مصر منذ أيام الآلهة
يلتمسون الصلح من جلالته ويقولون : ” امنحنا نسيم الحياة الذى تهبه أيها السيد ، وسنتكلم عن قوتك
الظافرة ، ولا يوجد توار بجوارك بل كل أرض فى سكون “ .

وفى منظر آخر قريب من السابق نرى « حوى » نفسه يقدم جزية بلاد « كوش »
التي يتولى أمرها ، وفيما يقدمه ذهب وفضة وأوان فضية وذهبية وعربية ، ودروع
وأثاث ، ثم نرى رؤساء « كوش » يقولون :

” الحمد لك يا ملك مصر يا شمس الأقاليم التسعة أعطنا نسيم الحياة الذى تهبه ، حتى نستطيع أن نعيش
برضاك الطيب^(٢) “ .

والغريب فى الأمر أن نائب الملك فى « كوش » يقدم أيضا جزية بلاد
« آسيا » مع جزية بلاد النوبة ، ولا توجد له علاقة بآسيا ولا الأسويين ، ولكن
مما يخفف حدة الغرابة أن « حورحوب » كان يقدم أيضا جزية بلاد « آسيا »

(١) راجع : Ibid. P. 29.

(٢) راجع : Ibid. P. 24.

و «كوش» في آن واحد ، وإذا كان «حورمحب» وصيا على العرش ، فقد كان «حوى» نائبا للملك ويلقب بابن الملك ، فلا بد أن مكانته كانت عظيمة في البلاط ، وقد لا تقل عن مكانة «حورمحب» .

كل هذه المناظر التي سجلناها وفصلناها تدلنا على أن سلطان مصر كان لا يزال ممتدا على بعض أجزاء «آسيا» وبخاصة «فلسطين» ، وأن «حورمحب» وقوته الحربية الفضل كل الفضل في إنعاش مصر ، وإرجاع ممتلكاتها إليها ، وامتداد سلطتها الذي كان قد تقلص عن آسيا كلها تقريبا في عهد «إخناتون» ، كما بدأ وهو وصى على العرش يعيد إلى الكهنة الأمن والرخاء في ظل قوانين عادلة محترمة كما سيجيء بعد .

أعمال توت عنخ آمون الطمينة

لقد مال رجال البلاط والقائمين على شئون المملكة في عهد «توت عنخ آمون» ما انزلت إليه البلاد من الضعف والفساد في أيام سلفه فصحت نيتهم على إنعاش البلاد من كبوتها في الخارج وإتقاذ مراقفها في الداخل ، فعملوا على أن يعيدوا إليها مجرى الحياة الطبيعية الذي كان قبل عهد «إخناتون» الزائع عن دينه في نظرهم ، فأعادوا عبادة الآلهة القدامى وأنقذوا البلاد من الفوضى الدينية المحزنة التي وقعت فيها ، ولذلك يقول «توت عنخ آمون» في لوحة تذكارية «بالكرنك» يصف حالة البلاد عندما تولى أمرها ويتحدث بمجهوده في إصلاحها وتعميرها :

”لقد وجدت المعابد قاعا صفصفا ، والجيوش المصرية منهزمة في فينيقية ، والآلهة قد ولت ظهورها للأهلين في طول البلاد وعرضها ، فلا تسمع نداءهم ولا تستجيب دعاءهم ، ولكنني أصلحت الحال ؛ لأن الإله نفسه قد صورني ، وأرواح «عين شمس» مجتمعة قد ستوتني ، وإنني ملك حصين مخلد ، وحاكم يعمل لسعادة آباءه الآلهة ، ويسيطر على أرض «حور» (مصر) ، وتنحني أمامي البلاد الأجنبية وغيرها لإجلالا ، وقد أعدت بناء ما هدمته الأزمان الغابرة ، وقضيت على الكذب ودعمت الصدق .

ولقد رسم «توت عنخ آمون» هذه الخطة لنفسه في جلسة ملكية في قصر «تحتمس الأول» بطيبة مقر حكمه الجديد ، ولذلك كان أول عمل قام به أنه عظم شأن

الإلهين «آمون طيبة» و«بتاح منف»، ولم يثنه ذلك عن التفكير في الآلهة الآخرين، فقد أرجع عبادتهم في معابدهم، ورصد لهم دخلا عظيما، وبني لهم سفن الآلهة التي كانت تقام في عرض النيل لتستعمل في المحافل، وعند زيارة إله لآخر، ونصب لخدمتهم كهانا وخداما من بين عظماء مدنهم، ممن صح نسبهم، وثبتت عراقتهم، بخلاف أولئك الذين رقامهم «إخناتون» وقلدتهم هذه الوظائف وهم من سوقة الناس وعامتهم، كما وهب خزائن هؤلاء الآلهة مالا وفيرا، ورصد للعباد من غنائم الحرب القينات والعبيد، وخصص لها المغنيات والراقصات لينهضن بالشعائر الدينية التي كان لهن دور كبير فيها .

ولم ينس «توت عنخ آمون» أن يعيد مظاهر الدين القديم إلى معبد «الأقصر» فأرجع اسم الإله «آمون» الذي أزاله «إخناتون» وصوره التي محاهها من هذا المعبد ومن غيره، ثم أخذ في إتمام بنائه بعد الجزء الذي كان والده قد أتم تشييده، ودون اسمه على الجزء الذي بناه، وزين جدران قاعة العمدة بالمناظر والنقوش التي تصور الحفل بعيد رأس السنة الذي كان يقام لآلهة «طيبة»، وبخاصة لثالوث «طيبة» المؤلف من الإله «آمون» وهو الأب، والإلهة «موت» وهي الأم، والإله «خنسو» وهو الابن . (راجع. "Ancient Egypt", 1924, Part. III, P. 69.) ولقد أمر «توت عنخ آمون» كذلك بقطع تماثيل ضخمة لنفسه من حجر الكوارتسيت^(١)، تبدو فيها نفس القسمات البادية في وجوه تماثيله التي نصبها لنفسه في معبد الكرنك، وفي غطاء الوجه الذي وجد في قبره . والظاهر أنه قطع هذه التماثيل الضخمة تحتل مكانها في معبد الجنائزى (وهو معبد كان يقيم كل فرعون من فراعة الأسرة الثامنة عشرة على الضفة اليمنى للنيل في «طيبة» قريبا من مكان دفنه لتقام فيه المراسم الدينية، وتقدم القربان فيه) .

(١) راجع : Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et Particuliers, "I, Cat. Gen. Musee du Caire, Pls. LVII; A. S., Vol. XXXVIII, P. 24.

ومن الجائز أنه قد وضع تصميم هذا المعبد في مدينة «هابو»، ولكن مما يؤسف له أن هذه التماثيل قد اغتصبها لنفسه خلفه الملك «آي» الذي كان من أكبر أعوانه مدة حياته، غير أن ربك بالمرصاد فسقاه من الكأس التي شرب منها «توت عنخ آمون»؛ فاغتصبها منه بدوره خلفه «حور محب» كما اغتصب كل شيء أقامه سلفاه .

ومن المحقق أن ملكا مثل «توت عنخ آمون» يحكم تسعة أعوام طوال، ويشيد جانبا كبيرا من معبد الأقصر الهائل، ويجمع لنفسه أثاثا نفيسا وجد في قبرة نخليق بأن يبنى لنفسه مقبرة فاحرة تتفق مع جلاله وغناه، تشابه على الأقل تلك التي بناها غيره من الملوك الذين حكموا مدة تعادل مدته أو تقل عنها، ولكنا وجدناه في مقبرة صغيرة حقيرة لا تتناسب مع الدفين الذي ضمته، ولا مع ما احتوته من فخر الأثاث، وقناطير الذهب، مما يدل على أن هذه المقبرة ليست له، وإنما دفن فيها بدافع الضرورة الملجئة، والموت الفجائي؛ وما يعزز هذا الرأي أن بعض الأثاث الذي دفن معه كان ضخما، وكان من العسير أن تتسع له فتحة الباب، فقاموا بتوسيعها ليسمح بدخول القطع الضخمة من الأثاث أمثال أجزاء المحاريب الكبرى التي وجدت في هذا القبر، ولقد كان من نتائج هذا الإجراء أن بدا ترتيب المقبرة معكوسا، فعمست لذلك المحاريب^(٣)، واختلفت اتجاهاتها مع الشعائر الدينية، والمعتقدات المعروفة .

ويعتقد العالم «لوكاس» أن هذا القبر كان في الأصل للكاهن «آي» صاحب الكلمة العليا في «طيبة» من عهد «توت عنخ آمون»، وليس معنى هذا أن

(١) راجع : Holscher, "Madinet Habu (Morgenland) Vol. XXIV, Pl. 14, fig. 33.

(٢) راجع : Holscher, "The University of Chicago Oriental Institute" (ed. Breasted) I, Pl. 33.

(٣) راجع : A. S., Vol. XL, Pls. XXI, XXII.

« توت عنخ آمون » لم يفكر في بناء مثوى له يضم رفاتة بعد مماته ، ولم يتخذ العدة لنحت قبر يتفق مع مكانة صاحبه وجلاله ؛ بل تدل شواهد الأحوال على أنه قد أخذ فعلا في نحت مقبرة له في وادى الملوك ، وهى تلك التى وجد عليها اسم « آى » ممحوا ، ولكنه ما كان يتعجل الأمر ، وهو لا يزال غض الشباب طرى الإهاب ، فقد تولى ملكه فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمره فما الذى يتعجله وهو ما برح فى مستقبل السن ، ينتظره العمر الطويل ، والحياة الحافلة ، وما دام قد أعد كل أثاثه الجنازى فأى داع يضطوه الى الإسراع فى بناء القبر ، والشقة بينهما طويلة الأجل ، ولكن الموت كان على قيد خطوة منه ، فاهتصر عوده اللدن وهو فى ميعة الشباب ، ودالة الصبا ، فمات بعد حكم تسع سنوات حافلات ، ولا ندرى أى ميتة لاقاها ؟ أمات حتف أنفه على فراشه أم انتزعت حياته بفعل وغد أثيم ، ولكن الذى ندرىه أن التاريخ قد أسدل ستارا كثيفا على هذه المأساة ، وقد يتبدد هذا الستار بفضل كشف جديد فى « وادى الملوك » أو بردية مطوية فى جوف الأرض توفقنا إلى ملاقاتها الأقدار .

والآن نضع هنا أمام القارئ ترجمة حرفية لوحة « توت عنخ آمون » وهى تصف لنا أحوال البلاد التى كانت عليها قبل توليه الملك والأعمال التى قام بها ، وقد اغتصبها « حور محب » عند توليته العرش لاعتقاده أنه هو الذى قام بكل ما جاء عليها من أعمال عظيمة .

لوحة إصلاح توت عنخ آمون

(١) فى السنة الشهر الرابع من فصل الفيضان اليوم التاسع عشر فى عهد جلالة « حور » الثور القوى — الجيل الولادة ؛ السيدتان^(١) ، — صاحب القوانين الطيبة ، ومن يهدى الأرضين ، حور الذهبى — صاحب التيجان الرفيعة ، مرضى الآلهة ، ملك الوجه القبلى والبحرى — نب خبرورع ، ابن الشمس — « توت عنخ آمون » ، حاكم « أرمنت » — معطى الحياة مثل رع أبدا الآبدى .

(١) أى إلهتى الوجه القبلى والوجه البحرى : « تحبت » و « وازيت » .

(٢) محبوب آمون ، رب عروش الأرضين وسيد « إبت إسوت » (الكرك) « وأتوم » رب الأرضين « وعين شمس » ، و « رع حور اختى » ، و « بتاح جنوبى جداره » وسيد « عنخ تاوى » (اسم حتى فى منف) ، « ونحوت » سيد كلام الإله ، وهو الذى يظهر على عرش حور الأحياء مثل والده « رع » كل يوم ، والإله الطيب ابن « آمون » ، وصورة « كفيس » (ثور أمه) والبذرة الفاخرة ، والنسل الجليل ، وسليل « آمون » نفسه ، [والد الأرضين ؟] ، والمصور مصوره ، وخالق خالقه ، والذى يجتمع من أجله أرواح « عين شمس » لأجل أن ييأ ليكون ملكاً أبدياً مثل « أبدية حور » الخالد ، الحاكم الطيب الذى يعمل أشياء نافعة لوأله ، ولكل الآلهة ، وهو الذى جعل ما كان قد خرب صالحاً بمثابة أثر خالده ، مدى الدهر ، وقضى على الأعمال الخاطئة فى كل الأرضين ، ووطد الحق ، وجعل الكذب ممقوتاً فى البلاد كما كان فى بادئ أمرها . وعندما أشرق جلالته الآن ملكاً كانت معابد الآلهة ، والإلهات من بداية « الفتين » حتى منافع الدنيا قد أهمل شأنها ، إذ قد أصبحت محاربيها خاوية ، وصارت أراضي تفشاها أعشاب كال [ث ؟] ومعابدهم أصبحت كأن لم تكن بالأس ، وججراتهم كانت طرقاً معبدة ، والبلاد كانت فى ارتباك ، وهجرت الآلهة هذه الأرض ، وإذا أرسل جيش (؟) الى « زاهى ليمد من حدود مصر لم ينل أى نجاح قط . وإذا دعا الله إنسان ليطلب إليه حاجة ، فإنه لا يأتى إليه بأية حال ، وإذا تضرع إنسان لآلهة فإنها كذلك لا تجيب تضرعه بأية حال ، لأن قلوبهم كانت ضعيفة من نفسها بالفضب ، فغربوا ما كان قد عمل .

وبعد أن مضت بضعة أيام على ذلك ظهر جلالته على عرش والده فحكم ممالك « حور » ، وكانت الأرض السوداء والأرض الحمراء تحت سلطانه وكل بلد كانت تخضع لقوته .

انظر ! لقد كان جلالته فى قصره فى ضيعة « عا خبر كارع » (تحتس الأول) (ذكر هذا المكان كذلك فى لوحة « آى » فى السنة الثالثة من حكمه . على أن الأهمية التى يظهر بها « بتاح » هنا وذكر « عنخ تاوى » على هذه اللوحة من البراهين التى تدل على أن هذا المتن كتب فى « منف » أى أنها العاصمة وقتئذ كما يدعى البعض ، ولكن الحقيقة أنها كانت فى « طيبة ») مثل « رع » فى السموات ، وكان جلالته يحكم هذه الأرض ، ويدبر حركة شاطئ النهر يومياً وبعد ذلك استشار الملك قلبه منقبا عن كل فرصة ممتازة ، باحثاً وراء ما يفيد والده « آمون » فصنع تمثاله الفاخر من الذهب الخالص الجليل ، وأضاف الى ما كان قد عمل له فيما سلف من الأزمان ، إذ نحت تمثال والده « آمون » ليحمل على ثلاثة عشر قضيباً ، أما تمثاله المقدس فصنع من الذهب الخالص الجليل ، واللآزورد ، والفيروز ، ومن كل ماندر وغلا ثمنه من الأحجار ، فى حين أنه فى الأزمان السالفة كان تمثال جلالته إلهه الفاخر يحمل على أحد عشر قضيباً ، وكذلك صنع تمثالا

للالة « بتاح القاطن جنوبى جداره » رب « عنخ تاوى » ، وكان تمثاله الفخم من الذهب الجميل [يحمل على أحد عشر قضيبا] وتمثاله المقدس صيغ من الذهب الخالص واللازورد والفيروز ، فى حين أن جلالة هذا الإله الفخم كان يحمل على ستة قضبان ، وكذلك صنع جلالته آثارا للالهة ، فصاغ تماثيله من الذهب الخالص من أحسن ما فى الأراضى الأجنبية . وأعاد بناء معابدهم لتكون آثارا خالدة على الدهر ، ومنحها أملاكا إلى الأبد . وأسس لهم عطايا مقدسة لتكون قربانا يوميا دائما ، وأمدتهم بقرايين من الطعام على الأرض . وأضاف إلى ما كان لهم فى سالف الزمن . ففاق فى ذلك ما كان قد عمل منذ عهد أجداده . وعين كهانا وسدنة وخدام الإله من أبناء أشرف البلاد ، وكان كل ابن رجل مشهور واسمه معروفا ، وقد ضاعف ثروتهم بالذهب والفضة ، والشبه ، والنحاس ، ومقادير لا حصر لها من كل الأشياء ، وملا مخازنهم بالعبيد رجالا ونساء ، وذلك من ثمرة ما سلبه جلالته ، وتضاعفت كل ممتلكات المعابد فصارت ثلاث ورباع من الفضة والذهب واللازورد ، والفيروز ، وكل الأحجار النادرة الغالية ، والكائن الملكى ، والنسيج الأبيض ، والكائن الرفيع ، وزيت الزيتون والصمغ والشحم [...] والعطور وبخور « أهت » « والمر » : مما لا يدخل تحت حصر من كل الأشياء الطيبة ؛ وقد صنع جلالته (له الحياة والفلاح والعافية) سفنهم التى تجرى على النهر من خشب الأرز الجديد ، وهو أحسن ما ينوع على منحدرات الجبال ، ونخبة بلاد « نجاو » (مكان بالقرب من جنوب « بيلوس ») وغشى بالذهب ، وهو أحسن ما تنتجه البلاد الأجنبية ، وهى تضى النهر . وقد خصص جلالته « له الحياة والصحة والعافية » لها عبيدا وإماء ، ومغنين وراقصات ممن كانوا خدما فى بيت الفرعون ، وكانت أجورهم تدفع من قصر رب الأرضين ، وقد قت بحمايتهم وحفظهم لآباء كل الآلهة وذلك رغبة منى فى إرضائهم بعمل ما تحبه نفوسهم حتى يحفظوا « تامرى » (مصر) ، وأصبحت الآلهة والإلهات التى فى هذه الأرض قلوبهم فرحة وأصحاب المحارب مبهجين ، والأراضى فى أعياد بقم الأفراح ، والسرور منتشر فى كل الأرض بعد أن أصبحت حالة البلاد مرضية .

وقاسوع الآلهة الذين فى معابدهم كانوا يرفعون أيديهم تعبدا ، وهى مفعمة بالأعياد الأبدية الخالدة وكل ما معهم من الحياة والفلاح قد أعطيه أنف « حور » الذى ولد ثانية (يشير إلى عيد سد) الابن المحبوب من [والده « آمون رع » سيد عرش الأرضين] ؛ وقد سواه (أى آمون) حتى يستوى هو نفسه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب خبرورع » محبوب « آمون » ومحبه ، وبكر أولاده الحقيقى ، ومن يحى الوالد الذى سواه حتى يكون مسيطرا على ملوك كل البلاد ، ابن الشمس « توت عنخ آمون » حاكم « أرمنت » . وهو ابن نافع لمن برأه ، غنى الآثار ، ثرى فى معجزاته ، ومن يقيم الآثار بقلب نق لوالده « آمون » ، جميل الولادة ملك [تسلم التيجان فى « نحيس » (المكان الذى وضعت فيه إيزيس « حور ») ، فى هذا اليوم

(يوم تنويجه) كان الواحد (الفرعون) في قصره الجميل في ضيعة المرحوم (ما — خبرو — رع) . تأمل ! إن جلالته (أى آمون) (له الحياة والفلاح والصحة) قد تصبى ثانية ، ومن يقبض (أى على تاج الملك) قد أسرع من تلقاء نفسه (أى أسرع بنفسه لللك) ، وقد سواء «خنوم» عظيما ؟ ... فكان قوى الساعد ، عظيم القوة ممتازا على الشجعان ، عظيم البطش مثل ابن [نوت ...] ، قوى الساعد مثل «حور» ، ولا يوجد من يضارعه بين الأقوياء في الأراضي قاطبة ، وإنه يعرف مثل «رع» والذي ... مثل «بتاح» والذي يفهم مثل «تحتوت» ، والذي يسن القوانين الممتازة ، والذي يأمر [...] المتفوق في نطقه . ملك الوجه القبل والوجه البحرى رب الأرضين ، ورب الشعائر ، والرب القوى الساعد «نب خبرو رع» الذى يرضى الآلهة ، ابن «رع» محبوبة من جسده ، وسيد كل أرض أجنبية ، ورب التيجان «توت عنخ آمون» حاكم «أرمنت» معطى الحياة والثبات والفلاح مثل «رع» أبد الآبدين^(١) .

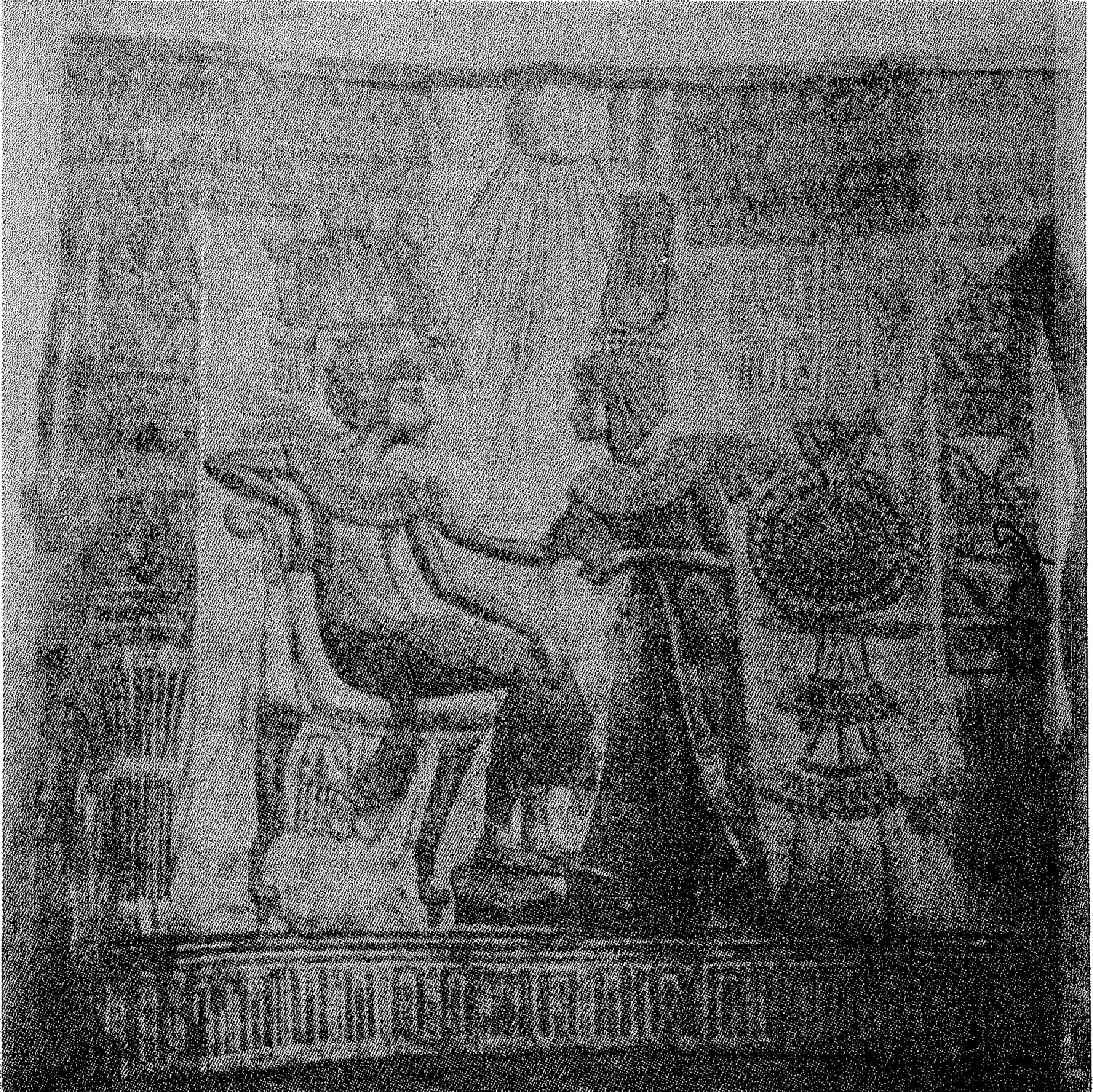
ولا نزاع في أن نقوش هذه اللوحة تقدم لنا صورة صادقة عن حالة البلاد وما كانت عليه معابد الآلهة ومحاريبهم في طول البلاد وعرضها في الفترة التى حكم فيها «إخناتون» ، إذا كان ينطق فيها اليوم الغربان ، وأصبحت مأوى للحشرات ومرتعاً للسائمة خاوية على عروشها لا يأوى إليها إنسان بعد أن كانت تزخر بالثراء وعامرة بالأعياد التى كانت تقام فيها ، والمحافل التى كانت لا تنفك تترى في عرصاتها تؤمها الوفود من كل أرجاء العالم .

حياة توت عنخ آمون الخاصة من آثاره

ليس في مقدور التاريخ أن يصدر حكما سليما على هذا الشاب ، فقد تولى أمر بلاده في بداية العقد الثانى من عمره ، وتوفى ولما يبلغ ختام هذا العقد ، وهو غير مسئول بداهة عن الأعمال التى تمت في مستهل حكمه ، إذ كان قاصرا ، ولم يكن له من الأمر شيء ، بل كان في الواقع لعبة يتقاذفها الكاهن «آى» والقائد «حور محب» ، يتلقفها هذا مرة وذاك أخرى ، واستكانت اللعبة أخيرا في يد القائد «حور محب» الذى سيطر على شئون الدولة ، وهيمن على كل مرفق داخل البلاد وخارجها ؛ فهذان اللاعبان اللذان تناوبا أمور البلاد في هذه الفترة هما المسئولان عما جرى فيها ، ولقد كان من سوء طالع التاريخ أو من سوء طالع أمير البلاد الصغير أن القدر

(١) راجع : J. E. A., Vol. XXV, P. 8 ff.

لم يمهل حيناً قارب النضوج ، وأخذ يدب فيه روح الرجولة ، فاخفى بجاءة من مسرح الحياة دون أن يترك لنا كلمة عن حياته ونشأته ، ومراميه التي كان يهدف إلى تحقيقها ، وهو على سرير الملك ، ولكنه ترك لنا في الصور التي أمر بنقشها على أثاثه الجنائزى ما يكاد يغنى عن الكتب المخطوطة ، والوثائق المسطورة ، فعرفنا منها ميوله وأخلاقه ، وكثيراً عن حياته الخاصة إذا كان فعلاً يقصد ما صوره .



الصورة رقم (٢٠)

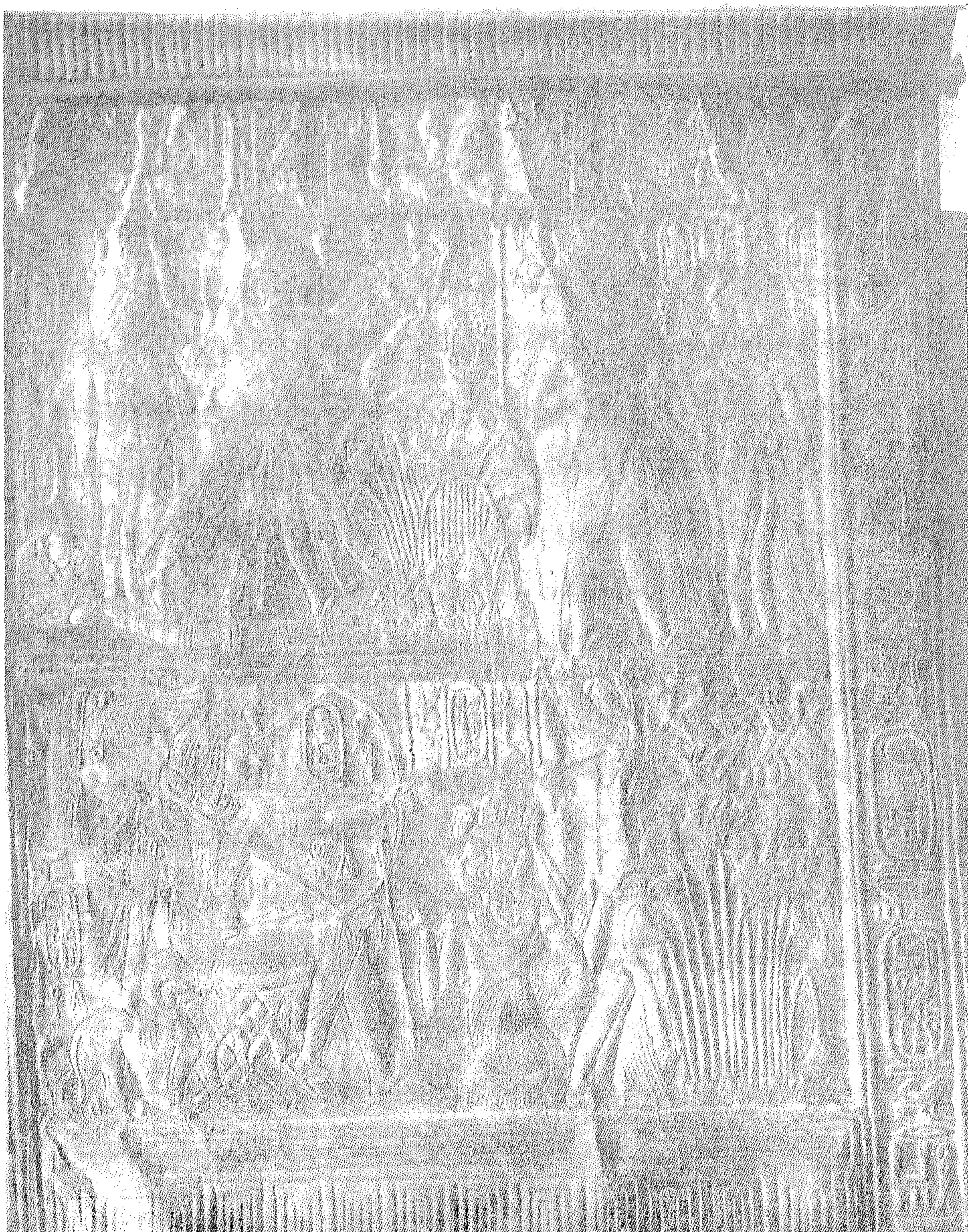
وإن من ينعم النظر في تلك الصور التي خلفها لنا « توت عنخ آمون » على آثاره ليؤمن بتمام الإيمان بأن المصور المفتن لا يقل قدره عن إبراز أفكاره للناس من الكاتب اللبق . ترينا هذه الصور الناطقة مواقف « لتوت عنخ آمون » تفيض بسالة وإقداما ، وأخرى تتدفق حبا وحنانا ، تلمس فيها عاطفة العاشق ، ووله الزوجة المغرمة الوفية ، وبأس الملك الصغير الشهم ، تلمس في تلك الصور حياة وحركة وقوة على التعبير تجعلك حائرا مشدوها ، فهنا الملكة الشابة « عنخس إن آمون » تتحسس بيدها صدر زوجها الشاب تعطر ما أحاط به ثياب ، وتعذل ما شذ عن معيار الهندمة والتنسيق من ملابسه ، في رفق وحنان وإعجاب ، حتى لا يغادر بعلمها حجرتها الخاصة ليرأس اجتماع مجلس البلاط ، إلا في أتم زينة وأجمل رونق^(١) (انظر الصورة رقم ٢٠) .

ويظهر أنه كان سعيدا بحياته الزوجية فزاه ممثلا على محرابه الذهبي ، ومعه شبلة الصغير وزوجته المحبوبة في رياضة خلوية ممتعة ، يحمل فيها قوسه ونشابه ، ويلهو بصيد الوز البري (انظر الصورة رقم ٢١) ، وزوجه الجميلة تجلس أمامه على أديم الأرض تناوله بإحدى يديها سهما وتشير بالأخرى إلى وزه سمينة قد حطت على سوق البردى اليانع^(٢) ، وكأنها تقول لزوجها : « البدار يا زوجي المحبوب ، فهذا صيد سمين ساقه الله إليك ، فسدد نحوه رميتك تشبع رغبتك ، وتكسب جولتك » . كما نرى على نفس المحراب هذه الزوجة الشابة تقدم لقسميها في الحياة يانع الأزهار ، وجميل القلائد ، وتطوق جيده بما يزينه من ملابس . وفي موقف آخر بدت الملكة تصحب « توت عنخ آمون » في نزهة أخرى لصيد الطيور ، يقضيها في قارب^(٣) من سيقان البردى ، وقد استند ذراعه عليها كأنها تعينه على احتمال مهام الدولة التي

(١) راجع : Carter, "The Tomb of Tutankhamon", Vol. I, Pl. II.

(٢) راجع : Carter : "The Tomb of Tutankhamon", Vol. II. Pl. I. b.

(٣) راجع : Ibid, PP. 14-15.



الصورة رقم (٢١) توت عنخ آمون مع زوجته في أوضاع مختلفة للصيد والنزه

أنهكته . وقد رأينا في صورة جميلة ما يدل على ذلك الحب العميق الذي غرسه الله في قلب هذين الزوجين المتحابين ، فهما ذان الزوجان يجلسان في حجرتهما الخاصة في جلسة أسرية هنيئة ، وما هو ذا الزوج يعبر عن عاطفة نحو زوجته فيصحب في راحتها قدرا من العطر^(١) الذي الغالى .

فأى شئ يترجم عن هذه العواطف المشبوبة بين الزوجين أكثر من هذه المناظر التي استعرضناها (أنظر الصورة رقم ٢١) . وقد دلتنا تلك الصور وغيرها مما رأيناه على أنه كان يغرم بالصيد ، ولعل ذلك قد نسل إليه بالوراثة فأبأوه وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة لهم قدم سابقة في هذا المضمار ، بل كانت هذه الهواية موضع المناقشة بين هؤلاء الفراعنة ، وكان كل منهم يحرص أشد الحرص على تسجيل مغامراته في هذا المضمار على ما خلفه من الآثار ، وبخاصة «أمنحتب الثالث» الذي أنفق جزءا عظيما من وقته في صيد الأسود والظباء ومن قبله «تحتمس الثالث» ، وابنه «أمنحتب الثاني» ، وقد أسهبنا القول في مناقبهما في هذا المضمار ، «فتوت عنخ آمون» لم يند عما كان عليه أسلافه من الإغرام بالصيد والمباهاة بالتبريز فيه ، فنشاهده في بعض نقوشه التي خلفها على مقبض^(٢) مروحته التي وجدت معه في قبره خارجا من «منف» ليصيد النعام من صحراء «عين شمس» وليصنع من ريش ما يصطاده مروحة تعجبه ، ثم نراه في نقش آخر على نفس المقبض ، وقد عاد من رحلته مظفرا منصورا يحمل تحت إبطه ريش النعام ، وخلفه أتباعه يحملون صيده المؤلف من نعامين ، ويظهر أن ذلك الريش الذي تأبطه هو الذي صنعت منه تلك المروحة التي صاحبته في قبره .

وقد وجدنا «توت عنخ آمون» في بعض نقوش يمترن على الصيد ، ومعه مجموعة من أدواته^(٣) وقد رصع بعضها بالأحجار الكريمة ، وغطى بصفائح من الذهب

(١) راجع : Ibid, Pl. I. a. (٢) راجع : Ibid. Pl. LXII.

(٣) راجع : Carter, Ibip. P. 15.

المطرز، ويدل حجم هذه الأدوات الصغير على أن الفرعون كان يستعملها منذ نعومة أظفاره ، وقد طغى إغرامه بالصيد على كل ما عداه ، فصوّر على قراب خنجره الذهبي الجميل وعلى قارورة^(١) عطوره ثيرانا وأسودا وظباء ، وأرانب برية ، وكلاب صيد، ويظهر أنه كان لهذه الأخيرة شأن كبير في هذه الرياضة ، إذ لا يكاد يخلو منها منظر من مناظر صيده التي سجلها على آثاره .

ولقد كانت صحراء « رستاو » التي تشمل « منف » و « الجيزة » وأرباضهما ، وبخاصة وادى الغزال تزخر بحيوان الصيد، فكان انتقال « توت عنخ آمون » إلى « منف » أحيانا فرصة مكنته من إشباع رغبته ، كما كان من قبله ملوك الأسرة الثامنة عشرة يفدون إلى هذه المعالم على كل ضامر من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فيصطادوا ويؤدّوا مناسك الحج لهذا الإله العتيق الرابض في صحراء الجيزة « حور ام — أختي » (حور الأفق) الذي كان يمثل إله الشمس « بوهول » ، وكان كل فرعون يحرص على أن يسجل هذه الزيارة الميمونة لهذا المعبود العظيم عند توليته الملك ، فيضع أثرا يخلد به ذكرى هذا الحج المبرور . ومن الذين حجوا إلى هذا المشعر المقدس ، وسجلوا تأديتهم لهذه الشعيرة الدينية « أمنمس بن تحتمس الأول » ، وهو أول من سنّ هذه البدعة على ما نعلم ، ثم « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثانى » ، ثم « تحتمس الرابع » ثم « أمنحتب الثالث » ثم بطلنا « توت عنخ آمون » ، فلم يمنعه صغر سنه أن يؤدّى مناسك الحج ، ويصطاد في حماه في وادى الغزال ويترك لنا لوحة تذكارية عثرنا على جزء منها في حفائر الجامعة المصرية سنة ١٩٣٦ ، وقد بدا فيها « توت عنخ آمون » وزوجه « عنخس — ان — آمون » يتعبدان « لبوهول » ، وقد محى من اللوحة صورة « بوهول » وهشم جزء من اسم الملك كما محى اسم الملكة ، وشوّه وجهاهما ، ولا يبعد أن يكون هذا فعل بعض المتعصبين لعبادة « آتون » .

(١) راجع : Steindorff, "Die Kuns der Agypter", PP. 305 and 273 ;

Carter, Ibid, Pls. L, LI.

وقد ترك لنا « توت عنخ آمون » في هذه المنطقة أثرا آخر وهو نزل من اللبن في الجنوب الغربى من معبد الوادى ، وبابه من الحجر الأبيض ، وقد كتب عليه اسم « بوهول » ثم اسم الملك ثم اسم الملكة ، ولكن اسم « توت عنخ آمون » قد غطى بطبقة من الملاط بأمر « رعمسيس الثانى » الذى نقش اسمه مكانه كما كانت عادته في اغتصاب الآثار .

ومما يستحق التنويه عنه هنا أن اسم « بوهول » قد نقش على هذا الباب ، وأول ظهوره على الآثار المصرية المعروفة كان في عهد « أمنحتب الثانى » وقد نقش بلفظ « حولنا » مما يدل على أن المستعمرين من أهل فلسطين الذين استوطنوا هذه المنطقة ، قبل عهد « توت عنخ آمون » كانوا قد بدءوا في عبادة معبودهم « حولنا » أو « حول » وهو اسم إله الكنعانيين الذى يشبه « حور اختي » وهو اسم « بوهول » الأصل ، ومن ثم اشتق اسم « بوهول » (فلفظ « بو » معناها مكان ، و « حول » أى المعبود حول) .

ومن الجائز أن هذا البناء وما حوله من الأبنية كان ديرا للكهنة ، واستراحة لرواد الصحراء الصائدين .

على أن النزل الذى كان يأوى إليه « توت عنخ آمون » بعد صيده كان مجهزا بمهام يأوى إليه مليكا الشاب ليغتسل ويزيل آثار وعشاء المطاردة والصيد ، ويعطى جسمه حقه من النظافة والاستجمام ، بعد هذه الرياضة الشاقة في تلك الصحراوات الرملية الحارة . هذا وقد نقل بناء هذا الحمام بهيئته التى كان عليها إلى جهة أخرى بجوار الهرم الثانى ليحفظ هناك تذكارا من آثار هذا الشاب .

وإذا كان « توت عنخ آمون » مغرما هذا الإغرام بصيد الحيوان وطرده فلا بد أن يكون شجاعا جريئا ، وقد رأينا قطعة من الحجر الجيري أمام مقبرة هذا الفرعون تؤكد لنا هذه الشجاعة الفائقة ظهر فيها هذا الملك يطعن بحربة أسدا ضاريا طعنة

نجلاء ، ويساعده في مهمته كلبه الأمين ، والصورة تمتاز بقدرتها على تمثيل حركات الطعن تمثيلا رائعا ، وفيها من الحياة والحركة ما يعجب ويفسّر ، والعثور عليها أمام قبره كان بشيرا بما يحويه ذلك القبر من ذخائر الفن والتراث المجيد ، وقد صدقت البشرية ووجد القبر عامرا بكل تليد . فهذا صندوق صغير^(١) من الخشب المظلي ، وعلى وجوهه سلسلة من المناظر الملونة البديعة ، وهذا غطاؤه المحدث يزدان بمناظر صيد مختلفة وبخاصة صيد الأسود (أنظر اللوحة رقم ٢٢) ، وهذه جوانبه ملاءى برسوم الوقائع الحربية يقاتل فيها « توت عنخ آمون » وحاشيته قتالا عنيفا ، ويرى على طرف الصندوق مليكا في صورة أسد يدوس الأعداء بقدميه .

ولا نزاع في أن الخيال وقوة التأثير والحياة التي ظهرت في هذه المناظر تفوق حد المألوف بل ليس لها نظائر في الفن المصري ، وإن كانت لا تخلو أحيانا من المبالغة ، فقد جاء في بعضها صورة الملك النحيل وقد بدا فيها عملاقا ضخما حتى يتفق ذلك مع ما نسب إليه من عمل جبار ، كما رأينا في بعضها الآخر مليكا يصوب سهامه من عربته فلا يكاد يصل إلى الأعداء حتى يحدث في صفوفهم الرعب والفرع ، وتتساقط القتلى ، ويتلاحق الصرعى ، وتحل بالقوم الهزيمة ، كما رأينا من مناظر الصيد ما يدل على قسوته ، فنراه يطارد الحيوان على عربته التي تجرها الجياد المطهمة في غير هواده ، ونرى قطعانا تطلق لساقها العنان هربا من سهامه الفتاكة ، وهو يلاحقها في غير إشفاق حتى يودى بحياتها أو يتركها تعاني الآلام وهي مضرجة بدمائها والسهام لا تزال عالقة بأجسامها .

على أن هذه الصرامة في المعاملة لم تكن مهيمنة على خلقه بل كانت له نواح أخرى أظهرنا جوانب منها تدل على رقة القلب ودماثة الطبع .

(١) راجع : Carter, Ibid. I, Pls. L – LIII, see also Pl. III.



صورة رقم (٢٢) نرت عنيخ آمون بهمطاد الأسود

وقد دل الفحص الطبي لجسمه^(١) على أنه كان نحيل القوام عظيم الرأس تشبه ملامحه وجوه تماثيله التي عثر عليها في « الكرنك » ، كما أن في تركيب بعض أعضائه ما يتفق مع أخيه « اخناتون » .

وبعد فهذا قل من كثر من تاريخ هذا الشاب العظيم ، وإنا لنعلق كثيرا من آمالنا في معرفة ما تخفى من تاريخ هذا الشاب على معول رجال الآثار ، وإن كانت تلك البوادر التي كشفناها وحققناها تدل على أن هذا الفتى الصغير كان شهما ، وقد خلد للبلاد مجدا فنيا عظيما ، ولو كان القدر قد أمهله لأرانا كثيرا من عظمته ، فمخايله في صباه كانت تبشر بما نتظر منه في كهولته وشيخوخته .

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

الموظفون في عهد الفرعون سمنخكارع وتوت عنخ آمون

« با—واح » أعظم الرائيين : ليس لدينا معلومات تذكر عن الموظفين في عهد هذا الفرعون ، وذلك لا يدهشنا لأنه عندما تولى « سمنخكارع » عرش الملك منفردا كانت الامبراطورية المصرية آيلة للسقوط والتمزق السريع ، هذا فضلا عن أنه لم يمكث على عرش الملك إلا فترة قصيرة ، وبطبيعة الحال لدينا بعض آثار خاصة قليلة ترجع إلى عهده ، ولا نزاع في أنه أبقى على معظم الموظفين الذين كانوا في خدمة سلفه ، وإذا كان قد أظهر رغبة في العودة إلى اعتناق مذهب « آمون » فإن هؤلاء العظماء الذين كانوا في ركابه لن يتأخروا طرفة عين عن اقتفاء أثره عن طيب خاطر ولو ظاهرا ، وبخاصة إذا علمنا أن ديانة « آتون » كانت قد فرضت على بعضهم فرضا ، وبقار الموظفين على دين ملوكهم ، وعبيد لتنفيذ رغباتهم ، حتى نبذ دينهم إرضاء لهم .

(١) راجع : Ibid. II, PP. 143 ff.

ولدينا إطار من الحجر الجيري لأحد بيوت « إخناتون » ويحمل اسم فرد يدعى « با — واح » وكان ضمن موظفي « إخناتون » ويحمل لقب « أعظم الرائيين للإله « آتون » في معبد « رع » ، ويحتمل أن هذا الرجل هو نفس الكاهن الذي كان يحمل الألقاب التالية في « طيبة » في عهد « سمنخكارع » في السنة الثالثة من حكمه وهي : الكاهن المطهرو كاتب القرابين المقدسة للإله « آمون » في بيت « عنخ خبرورع » في « طيبة » ، وإذا حكمنا بالكلمات المؤثرة التي نقشت من أجله على جدران قاعة « بآيرى » في جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٣٩) فإنها تدل على أن رجوع « با واح » إلى عبادة « آمون » كان رائده الإخلاص . والظاهر أن هذا التعس قد أصابه العمى . وهذه المصيبة ربما عزاها إلى غضب « آمون » عليه ، ولذلك كان يعتقد أنه هو الذي في استطاعته أن ينجيها منها ، وهذا المتن كان قد نقشه في الواقع أخوه الرسام « باثاي » وهو :

(٢) السنة الثالثة ، الشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم العاشر من حكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري « عنخ خبرورع » محبوب « نفر خبرورع » ابن الشمس ، « نفر نفر آتون » محبوب « رع — ن — رع ؟ يقدم الثناء « لآمون » والخضوع أمام « ونفر » من الكاهن المطهر ، وكاتب القرابين المقدسة « لآمون » في بيت « عنخ خبرورع » في « طيبة » « باواح » الذي وضعته « اتف سنب » يقول : إن قلبي يتوق لرؤياك أنت يارب شجر شاواب عند ما تأخذ حنجرتك ريح الشمال . وإنك تعطى الشبع بدون أكل ، والرى بدون شرب . إن قلبي لفرح يا « آمون » يا ناصر الفقير ، وإنك والد من لا أم له ، وزوج الأرملة ، والنطق باسمك محبوب ، وإنه مثل طعم الحياة ، وإنه مثل طعم الخبز للطفل ، والكساء للعريان ، وإنك مثل طعم ... خشب في فصل الحرارة ، وإنك مثل ... مع ... نفس الحرية إلى رجل كان في السجن ، وإنه لآمن ... رجل الفضيلة ، التفت إلينا يارب الأبدية ، وإنك كنت هنا قبل أن يوجد أى شيء في الوجود ، وإنك هنا عند ما يكونون ... وإنك تجعلني أرى ظلاما من عطيتك ، أضئ لي حتى أراك (؟) ، وإنني أستحلفك بقدر بقاء روحك ، وبقدر بقاء وجهك الجميل أن

(١) راجع : Le Tombeau de Pare in Mem. Miss. Arch. Fr. V, 581-90.

(٢) راجع : Stela in Brit. Mus. 1182, Hiero. Texts From Egyptian

Stela Pt. VII, Pl. 7.

تأتى من بعيد ، وتعمل خادمك الكاتب « با واح » يستطيع أن يرى ، وأعطه بقاء « رع » ! حقا إن عبادتك حسنة . يأمون ، أنت يا من البحث عنه عظيم إذا كان في الامكان الوصول إليه . ابعده الخوف وضع الفرح في قلوب الناس ، وإن القوم الذين يرونك لفي سرور « يأمون » ، وإنه لفي عيد كل يوم . إلى روح « كا » الكاهن المطهر ، وكاتب معبد « آمون » في بيت « عنخ خبرورع » « با واح » الذى وضعته « إمتف سنب » . إلى روحك (كا) إمض يوما سعيدا في وسط زملائك من أهل بلدتك ! (نقشه) أخوه الرسام « بائى » التابع لبيت « عنخ خبرورع » .

وهذا مثل من الأدعية والتضرعات التى أصبحت فيما بعد ذائعة في جبانة « طيبة » ، وهى التى نرى فيها روح التقي والورع والتقرب من الآلهة ، ولم تكن معروفة قبل ذلك العهد .

الموظفون فى عهد توت عنخ آمون

« حوى » : من أبرز الرجال الذين عاشوا فى عهد « توت عنخ آمون » حاكم السودان « حوى » وقد تكلمنا عنه فى مكانه (راجع ص ١٦٨) (راجع Davies & Gardner, The Tomb of Huy) .

« معى » : كاتب مالية بيت « توت عنخ آمون » : وجدت له لوحة فى معبد الملك « سحورع » أحد ملوك الأسرة الخامسة فى « بوسير » وكانت مهداة للإلهة « سخمت » قدمها موظف يدعى « معى » وكان يشغل وظيفة خادم الإله « بتاح » وخادم الإلهة « سخمت » وكاتب مالية بيت « توت عنخ آمون » ولا بد أن قبر هذا الموظف كان فى هذه الجهة ، أو أنه قدم هذه اللوحة تقربا لهُذين الإلهين فى هذه الجهة (راجع Borchardt Sahure Vol. I, Pl. 121, 122) .

« باسر » بن « حوى » المشرف على الخليل : كان « باسر » أحد أبناء « حوى » نائب بلاد « كوش » فى عهد « توت عنخ آمون » وقد تقلد وظيفة المشرف على الخليل وكانت ضمن الوظائف الرفيعة الشأن فى الدولة فى ذلك العهد ، وقد ظهر فى رسوم قبر والده ، ويحتمل أنه هو الذى أصبح فيما بعد نائب « كوش » (راجع L. D. text III, P. 306) .

نهاية الأسرة الثامنة عشرة

عرض عام للنظم الحربية والادارية ونفوذ الجيش

فى عهد الأسرة الثامنة عشرة

كان «توت عنخ آمون» آخر فرعون تولى عرش مصر من سلالة التحامسة ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وبعد وفاته توالى على عرش البلاد ثلاثة فراعنة لم يكن يجرى فى عروقهم الدم الملكى، وهؤلاء هم الفرعون «آى» الذى خلفه «حورمحب» ثم أعقبه «رعمسيس الأول». وقد كان كل من هؤلاء قبل أن يقبض على زمام الأمور فى البلاد يحمل لقب «القائد الأعلى» لجيوش الدولة المصرية، كما ستفصل ذلك بعد فى حينه، على أن كل واحد منهم كان يرر توليته عرش البلاد بزواجه أحيانا من إحدى أميرات هذا البيت المالك الذى اقترض نسل الذكور فيه.

موازنة بين الموظفين ورجال الجيش : ولا شك فى أن موضوع تولى قائد الجيش أعظم سلطة فى البلاد يكون مثارا للدهشة والعجب عند ما يستعرض الإنسان أمامه الدور الضئيل الذى كان يقوم به كل من الجندى وقائده فى بناء مجد المملكة المصرية الداخلى، فقد كانت حكومة الأسرة الثامنة عشرة تعتنق مذهب الحكم «البيروقراطى» وبعبارة أوضح كانت حكومة البلاد وقتئذ تتركز فى يد سلسلة من طوائف الموظفين درجات بعضها فوق بعض كل منها مسئولة أمام رؤسائها وحدهم، بيد أنهم كانوا يقبضون فى الوقت نفسه على كل صغيرة وكبيرة ماسة بحياة القوم العامة والخاصة. ولم يكن فى يد الأشراف فى هذه الفترة أية سلطة لمناهضة هذا النظام البيروقراطى، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الفراعنة الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة، قد أجهزوا على معظم فئة الأشراف من حكام المقاطعات، أما البقية الباقية الذين أفلتوا من أيديهم، فقد تلاشوا تدريجا على كرايام، ومن ثم أصبحت طبقة الموظفين تعد أعلى طبقة بين أفراد الشعب فى كل البلاد، ولذا كان ينظر إليها بعين التبجيل والاحترام، أما الطبقات الأخرى من الشعب فقد كان ينظر إليها

بمعين الاحتقار والامتهان ، ولا غرابة إذا رأينا أن الكتاب والموظفين كانوا يقبضون على زمام البلاد وحدهم فيما بعد ، ويحتلون مكانة ممتازة فيها .

وقد بقي لنا صدى منزلتهم الرفيعة فيما دون في كراسات تلاميذ من عهد «الرامسة» فقد دافع حملة الأقلام عن هذه الفئة دفاعا مجيدا ، على حين أنهم كانوا يحتقرون وظيفه الجندى وغيرها من الحرف^(١) ، ولا شك في أن هذه ظاهرة تدل صراحة على مهاجمة مكانة الجندى والطبقة التي ينتسب إليها ، وقد كان هذا الروح العدائى بين طبقة الموظفين وطبقة الجند سائدا في عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر «اخناتون» ، هذا على الرغم من أن الروح العسكرية كان سائدا في عهد التحامسة الأول ، إذ على أعناق رجال الجيش وبجد سيوفهم تبوّأت مصر المكانة الرفيعة بين دول العالم بعد أن استردت استقلالها وطردت الغزاة الغاصبين من عقردارها ، غير أنه لم يكن يدور بخلد أحد في هذه الفترة أن هذه القوة العسكرية سوف تناهض السلطة البيروقراطية ، وتحتل مكانتها ، إلا أن الأقدار شاءت أن تتكوّن رابطة قوية بين الفرعون وبين جنوده الذين خاضوا جنبا لجنب معه غمار الحروب الطاحنة التي شنوها على الممالك المجاورة ، وهى التي أسفرت عن تكوين إمبراطورية مصرية مترامية الأطراف أغدقت على الشعب المصرى الخير العميم ، والأرزاق الوفيرة . ولقد كان من نتائج تكوين هذه العلاقات بين الفرعون وجنوده أن انتقلت السلطة الحكومية الفعلية تدريجا إلى يد القواد الحربيين في هذه الفترة ، ولا بد لنا الآن من أن نبحث هنا الأسباب التي أدت إلى هذا الانتقال ، ونعرض صورة العصر الذى بدأ يظهر فيه اندماج الوظائف الحربية بالوظائف المدنية ، وكذلك يجب علينا أن نبحث الدور الحقيقى الذى لعبه القائد الحربى قبل انتقال السلطة المدنية إلى يده ، وما كان يقوم به خلال التمتع بها ، ولكن قبل أن نقف على حقيقة ذلك لابد من الإجابة على السؤال التالى : من هو الموظف الخارج عن هيئة السلك العسكرى الذى يقوم بأعباء وظيفة لها ارتباط بالجيش ؟ ثم نتساءل كذلك كيف كان تدرج تلك الوظيفة ؟ والجواب على ذلك هو أن رجال السلك العسكرى كانوا ينقسمون طائفتين ،

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٣٥٠ الخ .

طائفة الموظفين الحربيين ، (أى رجال الإدارة) وطائفة الجند العاملين ، وكان لكل من الموظفين الحربيين ، وضباط الميدان عمل خاص بهم . ولما كان بعض هذه الوظائف حربيا محضا وبعضها الآخر يجمع بين العمل الحربى والعمل المدنى أصبح من الضرورى أن نحدد أولا الفرق بين عمل الموظف الحربى ، وعمل الجندى المقاتل ، وعلى هذا يمكن وضع حد فاصل بينهما نعرف به الموظفين الذين كانوا فى زمرة الجنود العاملين فى الميدان ، ثم تقلدوا فيما بعد وظائف مدنية ، وبهذه الكيفية يمكننا أن نحدد الرقعة التى يمتد عليها هذا البحث ، ثم نعرف التأثير الذى أحدثه هؤلاء الموظفون فى قلب كيان الأداة الحكومية فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة . وأخيرا لا بد أن نجيب عن سؤال آخر وهو : من أية طبقة من طبقات الشعب نشأ القائد الحربى ؟

أمنحتب بن حبو

كان موظفو الإدارة الحربية هم الطائفة العظيمة الذين كانوا يسيطرون بنفوذهم على القيادة الحربية ، ومن أبرز رجال هذه الطائفة الذين عرفوا فى تاريخ الأسرة الثامنة عشرة ^(١) « أمنحتب بن حبو » وهو الذى اشتهر فيما بعد بحكمته وأصالته

(١) وأهم المصادر الأصلية التى ستعتمد عليها فى درس حياته هى ما يأتى :

تمثال من معبد آمون بالكرك (راجع A. S. XXVIII, P. 141)

تمثال من معبد الكرك (راجع A. S. XIV, P. 17)

تمثال آخر (راجع A. S. XIV, P. 19)

تمثال نشره « لجران » (راجع Legrain, "Statue", I, No. 42127)

تمثال نشره « يورخارت » (راجع Legrain, "Statues", II, P. 853)

تمثال كتب عنه « جلافيل » (راجع J. E. A. XV, P. 2)

(راجع Legrain, "Statues" IV, P. 942)

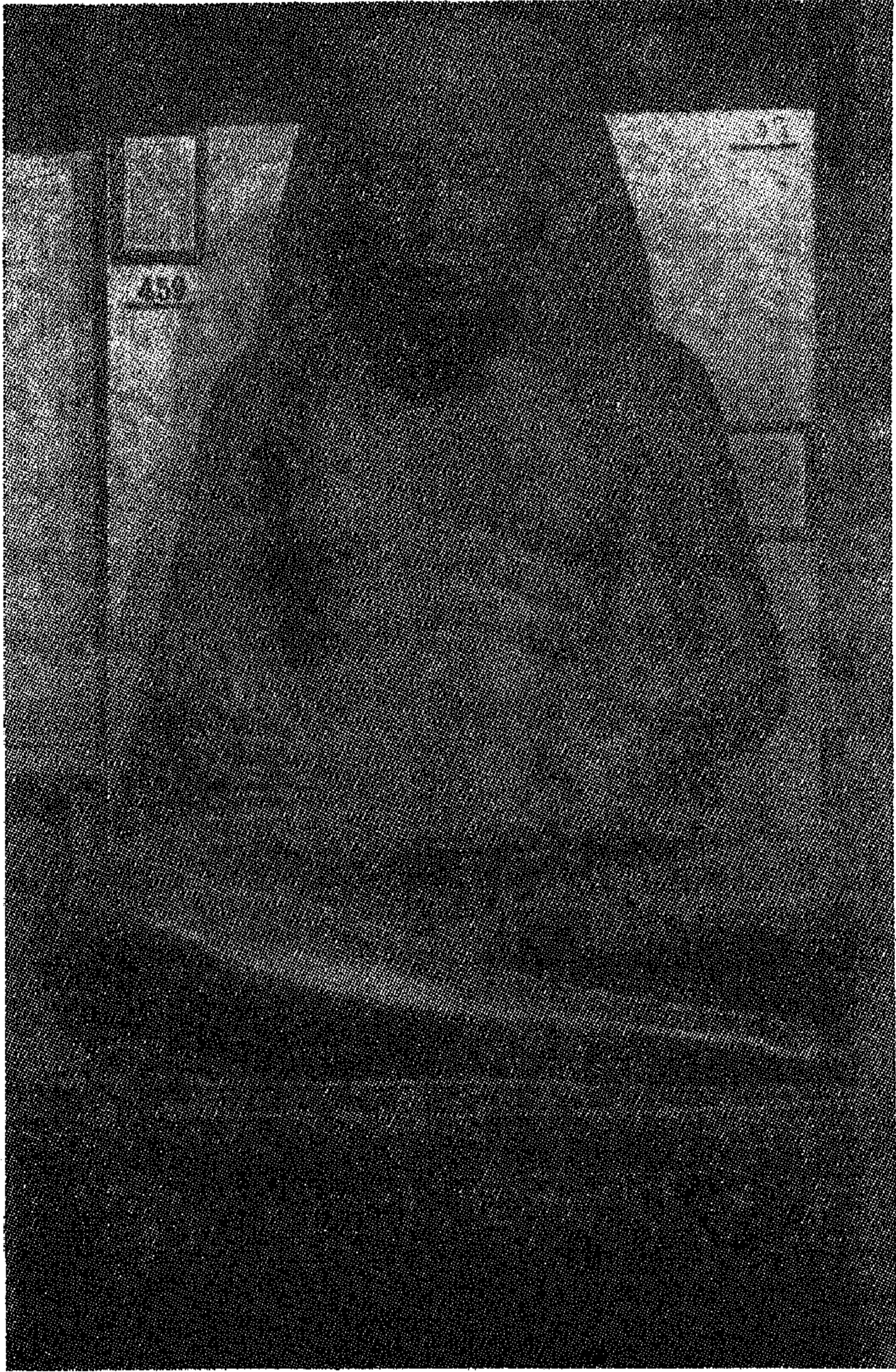
أما معبده الجنائزى فقد كتب عنه « روبيشون » و « فارى » (راجع Robichon et Varille,

"Le Temple du Scribe Royal Amenhotep fils de Hapoui, I, et Cone Funeraire (Robichon et Varille, Fouilles de l'Inst. Franç. du Caire", Vol. XI, 1936.)

راجع كذلك : "Revue d'Egyptologie", II, fasc. 1, 2 ;

Egyptologique (1919) nouv. Serie, I, P. 74.

رأيه لدرجة أن الشعب قد رفعه في عهد البطلمة إلى مرتبة الآلهة ، وتاريخ حياة هذا الرجل العظيم يمثل أمام أعيننا حياة الموظف الذي تقلب في أعمال الإدارة الحربية ، فبدرس حياته إذا نعلم حدود هذه الإدارة وما تشتمل عليه من الوظائف .



الصورة رقم (٢٣) «أمنحنب» بن «حبو»

حياة « أمنحتب » بن « حبو » : ولد « أمنحتب بن حبو » في بلدة « أتريب » (بناها الحالية) من أعمال المقاطعة العاشرة من مقاطعات الوجه البحري كما ذكر لنا ذلك في ترجمته لنفسه التي تركها في نقوش عدة^(١) ، ولذلك كان مما يفخر به أنه يحمل لقب « رئيس كهنة إله بلدته » الذي كان يدعى « حور خنتي خنتي »^(٢) ، على أن بلدة « أتريب » مسقط رأسه لم تكن ذات مكانة تحسد عليها في خلال الأسرة الثامنة عشرة^(٣) ، ومع ذلك فإن « أمنحتب » هذا كان كثير التفاخر بانتسابه إليها لأسباب لا تزال مجهولة لدينا . فنراه يذكر لنا بسرور وندوة في ترجمة حياته^(٤) ، كيف أن الفرعون أجاب ملتمسه فزين هذه المدينة بأحسن الزينة وأخفها . وتدل كل الأحوال على أنه ولد من أبوين فقيرين ، أى أنه نشأ من عامة الشعب ، فقد ذكر لنا اسم والده « حبو » واسم والدته « إاتو » مجردين عن كل لقب : ومن هذين الأبوين المغمورين الذكر نشأ « أمنحتب » وتدرج إلى معارج الرقي ، حتى أصبح يقبض على زمام أمور الدولة المصرية في عهد « أمنحتب الثالث » أشهر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، وقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب مما وضعه في مصاف الآلهة في العصور المتأخرة ، فقد كان القوم يحتفلون بعيد ولادته في اليوم العاشر^(٥) من الشهر السابع من كل سنة ، وقد عمر طويلا ، إذ بلغ على حسب بعض الأقوال الثمانين حولا في نهاية حكم « أمنحتب الثالث » ، وأرجح الأقوال أنه ولد في عهد الفاتح العظيم « تحتمس الثالث » . وقد حاول البعض أن ينسبه إلى أسرة أحد

(١) راجع : A. S. XIV, P. 19.

(٢) راجع : Legrain, "Statues", No. 42127.

(٣) راجع : A. Z. LXXIII, P. 44.

(٤) راجع : Borchardt "Statuen und Statuetten" II, P. 583. L. 5.

(٥) راجع : Spiegelberg, "Rec. Trav.", XXIII, P. 98; A. Z., XXV, P. 117.

(٦) راجع : Naville, "Temple of Deir el Bahari", V, Pl. 150.

أمراء المقاطعات بحجة أنه كان يحمل لقب الحاكم «المشرف على الكهنة» وفي هذا من خطل القول ما فيه لأنه في هذه الفترة من تاريخ البلاد لم يكن في المقاطعات أمراء يحكمونها، لأن هذا النظام من الحكم كان قد قضى عليه نهائيا في عهد الأسرة الثانية عشرة، هذا إلى أن والده «حبو» كما ذكرناه قد وصل إلينا اسمه مجردا عن الألقاب، مما يدل على أنه لم يرث أى لقب قط عن أجداده، بل على العكس نال مجده بجده وعبقريته الفذة .

لم يذكر لنا «أمنحتب» شيئا ما عن حياته قبل اعتلاء سيمه «أمنحتب الثالث» عرش الإمبراطورية المصرية، وأول وظيفة تقلدها في حكم هذا الفرعون هي «مساعد كاتب الملك» .

ولا بد أنه كان قد ناهز الخمسين من عمره حينما تقلد أعباء هذه الوظيفة الصغيرة . ومن المحتمل أنه كانت توجد بينه وبين الملك الشاب رابطة جعلته ينخرط بسرعة في سلك الوظائف المدنية غير أن الآثار لم تمدنا بأية معلومات في هذا الصدد كما أغفلت ذكر الوظائف التي كان يتقلدها قبل هذه الوظيفة التي وجدناه يقوم بأعبائها، فاستمع لما يقصه في ترجمته عن نفسه وهو في دور التكوين :
«كنت قد رقيت إلى وظيفة مساعد كاتب ملكي ، وكنت قد تفقّهت قبلها في كتاب الإله ، ورأيت قوة «تمحوت» (إله العلم) فكنت بذلك ماهرا في أسرار كتابه ، حتى أني كنت أحل كل معضلاتها وكان كل إنسان يسألني النصيحة^(٢)

(١) مما هو جدير بالملاحظة هنا أن لقب الحاكم المشرف على الكهنة في عهد الأسرة الثامنة عشرة منذ عهد حتشبسوت ، كان كل منها لقب شرف وحسب (عدا حكام نخن ، والكاب وطية) يعطى لمن أحيوا على المعاش وقد كان الحاكم الحقيقي للندن يدعى «الحاكم» (حات ما) أو «العمدة» ولم يكن يوجد مثل هذا الحاكم إلا في أوائل الأسرة الثامنة عشرة في «نخن» و «الكاب» وكما كان كذلك في طية) .

(٢) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten, 483, 1, 12.

(المشورة) « . ثم يذكر لنا في نفس هذه الوثيقة أن الفرعون قد رقاها بعد فترة من الزمن إلى وظيفة « كاتب المجندين » برتبة « رئيس كتبة الملك » . وتلك كانت الوظيفة الرئيسية التي تقلدها « أمنتحتب بن حبو » وسنفصل القول عن نشاطه فيما بعد .

وقد كلفه الفرعون بوصفه « كاتب المجندين » أن يسهم في إقامة المباني الملكية ، ولهذا منحه لقب « مدير كل المباني الملكية » ، وقد كان نطاق وظيفته هذه بالإضافة إلى وظيفة « كاتب المجندين » قاصرا على الوجه البحري^(١) ، ولهذا السبب كان يلقب بحق على أحد النقوش « مدير المحاجر للجبل الأحمر^(٢) » . وهذه المحاجر واقعة بالقرب من « عين شمس » ، وكانت تعد في نظر ملوك الأسرة الثامنة عشرة أعظم محاجر تمتاز بفخامة الأحجار المستخرجة منها ، إذ كان يقطع منها الحجر الرملي الأحمر المحبب ، ومنه تصنع التوابيت الملكية^(٣) ، وتدل شواهد الأمور على أن « أمنتحتب الثالث » كان معجبا بأحجار هذه المحاجر ، ويقال إنه في أول حكمه لقب الأحجار المستخرجة منها « بالأحجار المدهشة^(٤) » . ومن المحتمل أن سبب تفضيله هذه الأحجار على غيرها يرجع إلى الذوق الشخصي من جهة ، وإلى الصعوبات التي كان لابد من تجشمها في نقل أحجارها الضخمة عن طريق النهر إلى « طيبة » من جهة أخرى ، وكذلك إلى الصعوبات الفنية التي كان لابد للفتن المصري من التغلب عليها في نحتها ، وإخراجها في صور متقنة بهجة . ولقد عبر لنا « أمنتحتب الثالث » عن كبريائه وعجبه وقوته في هذا الصدد عندما فاه بالجملة العظيمة المعبرة عن نقل هذه الأحجار : من « عين شمس » الشمالية إلى « عين

(١) راجع : Anthes, A. Z., LXXII, P. 68.

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 17; A. S. XXXIII, P. 85; Ibid, XXX IV, P. 10.

(٣) راجع : Sethe, "Festschrift fur Ebers", P. 30.

(٤) Ibid, P. 28.

شمس الجنوبية « (أى من هليوبوليس إلى طيبة) ، وقد دون « أمنحتب » ابن « حبو » هذه العبارة على آثار سيده الخالدة إلى الآن بنصها . وكذلك خلع « أمنحتب الثالث » على نفسه في نقوش تماثليه الضخمين المقامين أمام معبده « بطيبة » الغربية لقب : صاحب الآثار العظيمة التى تحملها بقوة من « عين شمس الشمالية » إلى « عين شمس » الجنوبية^(١) (طيبة) ، كما ترك لنا « أمنحتب بن حبو » على التمثال^(٢) الذى أهده إياه الفرعون ، وحياه بإقامته فى « معبد آمون » نقوشا تصف إقامة تماثيل الملك العظيم بكلمات ملؤها الفخر والإعجاب ، لا تقل عما سبق ذكره إذ يقول :

”لقد نصبنى الفرعون مديرا للأعمال القائمة فى محجر الجبل الأحمر، وهى الآثار التى كانت ستقام فى « معبد الكرنك » للإله « آمون » ، فنقلت تماثله الضخم الذى كان يمثل صورة جلالاته بكل دقة فنية ، وقد أحضر من « عين شمس الشمالية » إلى « عين شمس الجنوبية » ، وهو لا يزال إلى الآن رابضا فى مكانه وقد حباق سبدي فسمح لى بإقامة تماثلى فى معبد « آمون » ، لأنه يعلم أنى ملك يديه أبديا“ .

كذلك تدل اللوحة الجنازية التى جاء فيها ذكر إهداء المعبد الجنازى الذى أقيم فيه هذا التمثال على أنه قطع من نفس الحجر السالف الذكر ، إذ يقول الفرعون

لقد ملأ جلالتى المعبد بالآثار والتماثيل من الجبل الأحمر^(٣) .

والظاهر أن « أمنحتب بن حبو » هو الذى كان يشغل وظيفة مدير الأعمال التى كانت تقام فى هذا المعبد ، وإن لم يذكر لنا ذلك صراحة . ويمكن استخلاص ذلك من أن « أمنحتب بن حبو » قد أقام معبده بجوار معبد سيده مباشرة ، وقد كافاه الملك على ما قام به من جليل الأعمال فى إدارة المباني الملكية ، وقطع أحجار التماثيل ونقلها بالتصريح له بإقامة تماثله فى معبد « آمون » . وهذا التمثال لا يزال

(١) راجع : Varille, A. S. XXXIII, P. 83. ff. وهذان التمثالان هما تماثلا « ممنون » المشهوران .

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 18.

(٣) راجع : L. D. III, Pl. 72, line 4.

باقيا حتى الآن وقد عثر على تمثال آخر معه مشابه له في نقوشه ، والتمثالان موجودان الآن بالمتحف المصرى ^(١) . والظاهر أنهما نصبا في هذا المعبد في وقت واحد ، وقد جاء على الأخير منهما ذكر عيد « سد » الأول للفرعون ، « أمنتب الثالث » . وهذا العيد كان يقام في الأصل كما يقال بعد مرور ثلاثين سنة من حكم الفرعون الجالس على العرش ؛ ولكن هذا التقليد لم يكن يعمل به دائما من جهة المدة كما ذكرنا . وعلى ذلك يظهر أن هذين التمثالين قد نحتهما « أمنتب بن حبو » بمناسبة هذا العيد ، وكذلك تدل الشواهد على أن تمثال « ممنون » قد نصبا في خلال هذه الفترة ، لأننا نقرأ على واحد منهما الدور الذى لعبه « أمنتب » في إقامتهما .

ومما يؤثر عنه من جليل الأعمال التى قام بها لسيدته كذلك في أعمال البناء الضخمة التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن ، نصب تمثال هائل بمعبد الكرنك : فيقول

”لقد نصبتى سيدى مديرا لكل المباني الملكية ، فجعلت اسم الفرعون مخلدا ، لأنى لم أقلد أعمال السلف ، بل بنيت له جبلا من الحجر الرملى (أى أن معبد موت عامة كان مفعما بتمائيل من — هذا النوع من الحجر حتى أصبح جبلا من هذا الحجر الرملى) ، لأنه وارث الإله « آتوم » ، وقد أقت ذلك على حسب ذوقى الخاص ، فجعلت صورته في معبده العظيم هذا من كل نوع ، وجعلته يناهض السماء في علوه من الأججار الصلبة ، ولذلك جاء على هذا منقطع القرنين منذ الأزل “ .

ولقد أشرفت على عمل تمثاله العظيم الشاسع في عرضه والسامق في طوله حتى فاق عمود المعبد الذى نصب فيه ، ولقد أشرق جماله على بابه إذ بلغ طوله أربعين ذراعا ، أما مادته فقد قطعت من محاجر الحجر الرملى المقدس لاله « رع آتوم » ، وكذلك بنيت له سفينة خاصة وأحضرت فيها بالنيل ، وأقته في معبده العظيم الأبدى ، فكان يناهض القبة الزرقاء في سموها ، وسيحكم من سياق بعدى على عمل العظيم الأبدى هذا . وكان الجيش بقيادتي ، وكان جنوده يعملون بسرور وقلوبهم فرحة لأنهم يقومون بتأدية واجبهم لإلههم الطيب مسبحين بحمده ، وقد أنزلوا هذا الأثر في « طيبة » مهللين مستبشرين وهو رابض الآن في مكانه أديبا .

(١) راجع : A. S., XIV, P. 17, 19.

(٢) راجع : Borchardt, Statuen und Statuetten” II, 583.

(٣) راجع : Sethe, “Bauersteine”, P. 31.

فندى من الوصف السابق أن تمثال الملك هذا قد قطع من محاجر «الجبل الأحمر»، وقد أوضح لنا «أمنحتب» في النقوش السالفة الذكر تفضيل الفرعون هذه المحاجر المقدسة، وتقع على مقربة من «عين شمس» وتنسب للإله «آتوم»، وهو الإله المحلى لهذه الجهة، ولما كان الفرعون يعد نفسه ابن الإله «آتوم» ووارثه على الأرض، فإنه كان بطبيعة الحال يفضل نحت تماثله من أحجار هذا الحجر بوصفها موروثه عن أبيه «آتوم» .

والتمثال المشار إليه كان منصوبا في معبد «الكرك» وقد تعرف عليه الأستاذ «زيت» ثانية (راجع Sethe Festschrift für Ebers P. 107 ff.) وقال إنه هو التمثال الضخم المنسوب إلى الفرعون «أمنحتب الثالث»، وهو الذى لا تزال قاعدته قائمة للآن أمام الواجهة الجنوبية للبوابة العاشرة التى أقامها «حورح» ، وهذا التمثال حقيقة منحوت فى الحجر الرملى المجلوب من الجبل الأحمر ولكن لا يبلغ ارتفاعه على حسب رأى الأستاذ «زيت» إلا نحو خمسة عشر مترا. وقد فسر ما جاء فى النقوش من أنه يبلغ ذرعه أربعين ذراعا بأن هذا الطول ينسب إلى قطعة الحجر التى نحت فيها التمثال فى الحجر . ولا بد أن هذا التمثال هو أحد التماثيل الضخمة القائمة فى الجهة الشمالية من نفس البوابة وهى التى اغتصبها «رعمسيس الثانى» لنفسه كما كانت عادته . يضاف إلى ذلك أن تمثال «أمنحتب الثالث» هذا ، ليس قائما فى مكانه الأصلى ، وليس لدينا معلومات عن المكان الذى كان قد أقيم فيه أولا . هذا كل ما وصلنا عن أعمال البناء التى قام بها «أمنحتب بن حبو» . يضاف إلى ذلك تمثال آخر له فى معبد «الكرك» ، ولكن هذا لا يدل على أنه قد أقام بها مباني هناك ، والظاهر أن التمثال المذكور قد أقيم فى هذا المعبد بعد أن تم بناؤه نهائيا .

أما المباني التى أمر «أمنحتب الثالث»^(١) بإقامتها فى «إتريب» (بنها الحالية) تكريما «لأمنحتب بن حبو» مدير مبانيه بوصفها مسقط رأسه، فلم يذكر لنا الأخير

(١) راجع : Borchardt, ibid. II, 583, Rs. line 5 ff.

أنه هو الذى أشرف على إقامتها ، وكل ما نعرفه أن الفرعون ” أمر أن تحفر فى هذه البلدة بحيرة فى شمالها وأخرى فى جنوبها ، وأن تزين شواطئها بالأزهار والأشجار... ، وكذلك أقام معبدا لإله بلدتى ... وزاد فى قرابينه اليومية ، وبذلك أسدى سيدى الى بلدتى شرفا عظيما . هذا الى أنه أغدق من فيضه على أسرته فى الحياة الدنيا“ .

ويعزى لقب « كاهن سم فى بيت الذهب » (مكان التحنيط) الذى يحمله « أمنحتب » الى نشاطه بوصفه مشرفا على المباني الدينية والآثار ، وهذا اللقب كان لا يحمله إلا امرؤ مقدس طاهر منحه الله قوة ربانية . لأنه كان لا يجوز لأحد غيره لمس أدوات العبادة ، وهذا هو السبب الذى من أجله قد عين « إخنوفرت »^(١) فى عهد الدولة الوسطى على حسب أوامر الملك « سنوسرت الثالث » ليضع صورا دينية ثانية فى « العرابة » للإله « أوزير » فيقول إخنوفرت : « وكانت يدي طاهرة عند تزيين الإله بوصفى « كاهن سم » وأصابعي نظيفة ، وكذلك كانت الحالة مع « ممسو »^(٢) الذى عاصر كلا من « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » وكان يحمل لقب « مدير المباني الملكية فى الوجه القبلى والوجه البحرى » لأنه منح وظائف فى كل المعابد التى كان يدير العمل فيها كهنة مطهرون .

وهذه الأعمال الجليلة المنقطة النظير التى قام بها « أمنحتب بن حبو » لمليكه قد قابلها الفرعون بإنعامات عظيمة فريدة فى بابها أيضا ، فتفضل وسمح له بإقامة قبر على غرار قبر الفرعون ، فأقام لنفسه معبدا جنازيا على الضفة اليمنى للنيل فى « طيبة الغربية »^(٣) ،

(١) راجع : Schaefer, "Stele des Ichernofert", Line 17.

(٢) راجع : Bisson de la Roque, "Fouilles de Medamoud" rapport Preliminaire. IV, 2. P. 52. line 29.

(٣) راجع : Robichon et Varille, "Le Temple du Scribe Royal

Amenhotep fils de Hapou, Tome I, (Fouilles de l'Inst. Franç. du Caire "XI. P. 1936.)

ونحت قبره على مقربة منه في الصخور التي على حافة الصحراء ، كما كان يفعل الفراعنة . وهذه ميزة فريدة اختص « أمنحتب بن حبو » على كل أقرانه بها فقد تساوى بالفراعنة من هذه الناحية في عهد الأسرة الثامنة عشرة وليس هناك من يضارعه في هذا الانعام إلا « سنوت^(١) » أكبر رجال بلاط الملكة « حتشبسوت » فقد سمحت له أن يقيم قبره في منطقة معبدها بالدير البحري كما فصلنا القول في ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٣٥٣) .

وفي خلال المدة التي كان يقوم فيها « أمنحتب بن حبو » بأعباء إقامة تماثلي « ممنون » ، ويشرف على بناء معبده الجنازي ، ومعبد الفرعون أيضا ، وكل إليه « أمنحتب الثالث » أمر القيام بمهمة أخرى خطيرة الشأن ، وذلك أنه عند ما حل موعد أحفال العيد الثلاثيني ، أراد هذا الفرعون أن يتنزه من الحفل به فرصة سانحة ليقوم لإلهه « آمون » ولنفسه معبدا عظيما في بلاد النوبة ، فرأى أن خير من يقوم بهذا العمل الضخم هو « أمنحتب بن حبو » ، ولذلك كلفه أن يشرع بإعداد كل ما يحتاج من معدات دينية واقتصادية لتنفيذ ما أراد . وفي ذلك يقول لنا « أمنحتب بن حبو » نفسه : لقد نصبت مندوبا فوق العادة لجلالة الفرعون لأجل أن أحضره أنا من « طيبة » وهم عبيد ممتلكات الفرعون لأقدمهم أبديا للإله آمون في عيد « سد » الأول لجلاله ، وقد وكل إلى جلالته تنظيم إدارة الإله « آمون » فنصبت الكهنة في وظائفهم وعينى الملك مدير عيد « آمون » في كل أعياده فجهزت قربانا يوميا .

وعلى الرغم من أن معبد بلدة « صولب » المقصود هنا لم يذكر بالاسم في هذه النقوش فإن من الظاهر بداهة أنه قد أقيم فيها بهذه المناسبة ، هذا فضلا عن أن الرسوم الواضحة التي تمثل « أمنحتب » في هذا المعبد لا تدع أى مجال للشك في أن معبد « صولب » هو المقصود هنا .

(١) راجع : M. M. A. (Feb. 1928) P. 12.

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 19.

ونعلم أن « أمنحتب بن حبو » هو الذى حبس على هذا المعبد الحقول ، وخصص لها فلاحين ليقوموا بزرعها وصيانتها ، وقد نقلت من أملاك الملك لتكون هبة للمعبد ، وكذلك أعد ما يلزم لإقامة الشعائر الدينية من مغنين وراقصات ، هذا إلى أنه جهز كل ما يلزم لإتمام معدات المعبد ، وكان أهم أمر لفت نظره هو تنصيب الكهنة الذين كانوا تمتعوا بأوقافه وهباته ، وقد كافأه الفرعون على ما قام به لإعداد هذا الحفل بالعيد الثلاثيني ، ففضلا عن أنه جعله يقوم بتمثيل الفرعون قد خلع عليه رتبة « ربعت » (أى نائب الملك) ؛ وهو لقب شرف عظيم القدر ، ولهذا السبب وجدنا هذا اللقب العظيم منقوشا على تابوته بالصور التالية : « وظيفة نائب الملك » (ولى العهد) فى « عيد سد » ؛ ومما يلفت النظر أن « أمنحتب بن حبو » هو الفرد الوحيد الذى شوهد على مابقى من نقوش هذا المعبد يمثل هذا الدور وحده فى هذا الحفل^(١) ، وتصفه النقوش بأنه « نائب الملك والكاتب الملكى » « أمنحتب بن حبو » ، وقد استقبل هناك بوصفه ملكا عند المحراب المخصص للاله ، وقرع على بابه كما يقرع الملك بصوبلجانه . ويستدل من الآثار أن لقب « ربعت » (ولى العهد) لم يكن لقباً قديماً يستعمل فى عيد « سد » لأننا لم نجده فى نقوش معبد الشمس للملك « نوسر رع »^(٢) من فراعنة الأسرة الخامسة ، بل كان يطلق على من يمثل هذا الدور لقب آخر حل محله هذا اللقب واللقب القديم الذى كان يحمله من يقوم بهذا الدور يتفق فى الواقع اتفاقاً تاماً مع ما كان يقوم به « أمنحتب » بن « حبو » بوصفه منظمًا للمعبد بمناسبة الحفل بأول عيد ثلاثيني لهذا الفرعون . على أن « أمنحتب » لم يكن الموظف الكبير الوحيد الذى أخذ بنصيب وافر فى الحفل بهذا العيد الثلاثيني للملك « أمنحتب الثالث » ، إذ نجد فى نقوش « صولب » نفسها أنه قد ذكر بوجه خاص

(١) راجع : L. D., III, P. 118; Sethe, "Festschrifte fur Ebers", iPl. 83 ff, L. D. Text, V, P. 235.

(٢) راجع : Bissing - Kees, "Textband zum Re Heiligtum III, PP. 29, 58

«وزير الجنوب» «رع موسى» والكاهن «مري»^(١)؛ يضاف إلى ذلك أن «إتن تحن» مدير بيت «أمنحتب الثالث» كان يقوم بدور في هذا العيد^(٢) مع «نفر سهرو» الذي كان يحمل لقب «مدير العرشين». وكذلك نجد صورة «مدير الجنوب» «خع — محات» كاهن الإله «أنوبيس»^(٣) بين الذين اشتركوا في الحفل بهذا العيد. ونظن أن «أمنحتب بن حبو» لعب دورا آخر بعد نهاية هذا العيد الثلاثيني، ويرتكز هذا الظن على النقش الذي وجد في قطعة حجر من معبدته جاء فيها: «السنة الثلاثون، الشهر الحادي عشر، اليوم الثاني من الشهر، تميز كاتب الملك الحقيقي «أمنحتب» بلقب «عز مر» (حاكم مقاطعة)؟ في نهاية العيد الثلاثيني، ومنح حليا من الذهب وأنواعا مختلفة من الأحجار الكريمة الجميلة، فقد أهدى قلادة من الذهب، وزين جبينه بأنواع كثيرة من الأحجار الكريمة، واعتلى كرسيًا من الذهب، (الذي يقابل قاعة العرش)، وكسا جسمه بأحسن أنواع الكتان» فهذا النقش يدل على أن «أمنحتب بن حبو» قد لعب دور «عز مر» في نهاية عيد سد، وهذا الدور لم يعرف من قبل في مناظر هذا العيد قط. أما الامتيازات التي اختص بها عن طريق الهبات الملكية فيمكن قرننها بالانعامات التي أنعم بها نفس الفرعون على «مدير الغلال» «خع — محات» في العام الثلاثين من حكمه (أي في عيد سد) والمثلة في قبره^(٥).

وقد قص علينا «أمنحتب» في النقوش التي على تمثاله مقدار نشاطه في هذا العيد إذ يقول: "إن الملك قد نصبه مشرفا على عيد «آمون»، وهو بذلك يقوم

(١) راجع : L. D., III, Pl. 84.

(٢) راجع : Statue Berlin Mus. No. 2293; Naville, "Bubastis", Pl. XXXV, G; A.Z. LIX, P. 110; A.Z., XLVII, P. 91.

(٣) وقد تكلمنا عن «خيروف» والدور الذي لعبه في هذا العيد من قبل راجع ص ٨٨.

(٤) راجع : Robichon et Varille, "Le Temple du Scribe Royal Amenhotep", Pl. XXXV.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 76 b.

بنفس الدور الذى كان يقوم به الفرعون نفسه“؛ والواقع أن الفرعون كان يعين نائباً عنه فى الأقاليم من كبار رجال الدولة فى مناسبات الحفل بالأعياد فى هذه الجهات^(١). وكذلك فى معبد «الكرك» كان ينوب أحياناً عن الفرعون موظف كبير من رجال البلاط المقرين^(٢).

وقد قام «أمنحتب بن حبو» بدور الملك فى تبريك معبد «صولب» ولكن «أمنحتب» قد جمع إلى شرف تمثيل الفرعون فائدة مادية، فقد ذكر لنا نفسه : “أن سيده قوته وسمح له بالخيز بعد العيد” فهو بهذا قد استولى لنفسه على نصيب القربان الذى كان خاصاً بالفرعون، وثبت صحة هذا التفسير أن «دودو» الذى كان يلقب “بالقم الأعلى للملك «اختاتون»“ كان يشغل هذه الوظيفة عن جدارة، وأنه كان يأكل نصيب جلالة الفرعون فى معبد «آتون» ببلدة «اختاتون»^(٣). وكانت ترقية «أمنحتب بن حبو» إلى وظيفة «مدير أملاك» كبرى الأميرات المسماة «سات آمون» إعلاناً بأن حياته كموظف حربى قد ختمت، وأنه بذلك لن يرتقى قط إلى رتبة «قائد جيش» . والظاهر أن الأميرة «سات آمون» قد لعبت دوراً هاماً فى البلاط الفرعونى وقتئذ، إذ لا يعد من طريق المصادفة

(١) راجع : Urk. IV, 208-9; Urk. IV, 981. A, Z. LXV, P. 85.

(٢) فقد مثله «سن نفر» عمدة المدينة فى عهد «أمنحتب الثانى» ، ومدير البيت العظيم «مرى رع» فى عهد تحتمس الرابع (A. Z. LXVII P. 132.) ، ومدير المالية «مى» فى عهد «حورحوب» (راجع Davies Tomb of Thouthmes IV, p. 2374.)

(٣) راجع : Borchardt “Statuen und Statuetten”, II. 583, Rs. line. 8

(٤) راجع : Davies, “El Amarna”, VI, P. 15; Davies, “El Amarna” I, P. 22, Pl. VI. حيث نجد الكاهن الأكبر «مرى رع» فى تل العمارنة يذكر أنه كان يأكل من نصيب الفرعون .

(٥) راجع : A. S. XXVIII, P. 141; J. E. A., XV, P. 2.

المحضة أنها كانت تملك ضياعا عظيمة ، ولكن الواقع أنها تزوجت من والدها «أممنتب الثالث» كما تنطق بذلك الآثار الباقية . ولا شك في أنها كانت تتضاءل بجانب والدتها «تى» التى كانت تسيطر على «أممنتب» وتلعب دورا خطيرا في سياسة الدولة الخارجية والداخلية ، كما أنه لم يكن لها أى ذكربعد وفاة «أممنتب الثالث» ، وقد ظل «أممنتب بن حبو» بعد هذا الزواج يدير أملاك هذه الأميرة .

وقد بقى «أممنتب بن حبو» بعد اعتزاله أعمال الحكومة وتقاعده يشغل وظيفة «حامل المروحة على يمين الفرعون» فى البلاط ، وبذلك ظل مرتبطا بالبيت المالك تمام الارتباط . ويغلب على الظن أن «أممنتب» هذا قد نال لقب «مدير ثيران آمون» فى الوجه القبلى والوجه البحرى فى آخر أيام حياته ، إذ من المحتمل أن القطعان التابعة لمعبد «آمون» كانت ترعى فى أملاك الأميرة «سات آمون» وهذا هو التفسير الممكن لحمله هذا اللقب .

وهنا يصل بنا المطاف إلى خاتمة حياة «أممنتب بن حبو» ، ولا نزاع فى أنه قد وصل إلى ذروة مجده فى مجال حياته الحكومية فى السنة الثلاثين من حكم «أممنتب الثالث» ، فقد أقام أنخرمبانى سيده ، وأشرفها ، ووصل بعمله هذا إلى أعظم الرتب التى لم ينلها إلا التزر اليسير من أمثاله من الموظفين . ومما يؤسف

(١) راجع : (Newberry, P. S. B. A., (1902) P. 247) وتدل النقوش التى على صندوق فى المتحف البريطانى أنه تزوجها Archeological Journal, "VIII, P. 396 (5899 A) وهالك النص : "الإله الطبيب رب الأرضين صاحب القرابين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب ماعت رع» ابن الشمس «أممنتب» والابنة الملكية ، والزوجة الملكية «سات آمون» التى وضعتها الزوجة الملكية العظيمة «تى» معطاة الحياة والصحة مثل «رع» أبديا . ومن هذا المتن نفهم أنها كانت ابنته وزوجه فى آن واحد . اقرن ذلك بما ذكر عن رسميس الثانى وزواجه من بناته راجع : Maspero, "Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient", I, P. 50 (Incest Ramses II. أما يقال عن ارتكاب «سثرو» لمثل هذا العمل (Sethe, A. Z., 50, 57; 45, 54.) فلا يعترف به «ريزير» (A. Z. LXIV, P. 97.)

له أننا لا نعرف تاريخ وفاته حتى الآن . أما ما وصل إلينا عن المرسوم الخاص بمعبده الجنائزى وهو الذى ذكر فيه : « السنة السادسة ، الشهر الثامن ، اليوم الواحد والعشرون » فهو محض اختراع وضع فى الأسرة الحادية والعشرين ، وليس ثمة شك فى أنه قضى فى الحادية والثلاثين أو الثانية والثلاثين من حكم الفرعون « أمنحتب الثالث » . ولا ريب فى أن ما حياه به سيده من الإنعامات وألقاب الشرف كان لها اثر بالغ فى الإشادة بذكوره ، والرفع من شأنه ، والتعظيم لقدره ، كما ذكرنا من أن سيده « أمنحتب » الثالث قد صرح له بإقامة معبد جنائزى لنفسه بجوار معبده ، ولم يجعله كرامة الموظفين نحت لنفسه مدفنا فى تلال « طيبة » الواقعة على الضفة الغربية من النيل ، هذا إلى أنه قد نحت تابوته^(١) على غرار توابيت الملوك ، ونقشه كذلك بنقوش ملكية . وكانت تقام له فى معبده الجنائزى هذا الشعائر الدينية كأنه ملك مؤله مثل الفراعنة الذين دفنوا بجواره فى أبواب الملوك ، ومن أجل ذلك نلاحظ أنه قد ظهر فى صورة ترجع إلى عهد « رمسيس » الرابع فى مقبرة « انحرت خعو » الذى كان يدير شئون المعابد الملكية وفيها نشاهد أن « انحرت خعو » هذا يقدم القريبان^(٢) للملك المتوفى ، وفى نهاية قائمة هؤلاء الملوك نجد ملكا ممثلا يحمل اللقب التالى : نائب الملك الكاتب الملكى « حوى » (وهو اسم مصغر لأمنحتب) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن القوم كانوا يقدسون هذا الرجل العظيم مدة حياته ، إذ كانوا يعدونه خارقا للعادة ، فلا غرابة إذا فى أن كانوا ينظرون إلى تمثاله بمثل هذه النظرة بعد وفاته . والواقع أن هبة تمثاله كانت توحى فى نفوس الشعب الإجلال والاحترام فكان القوم يعتقدون فيه أنه لسان حالهم ، وحاميهم والشفيع لهم فى معبد الإله بعد مماته ، كما كان الملجأ الذى يلجئون إليه مدة حياته ، ولا عجب فى ذلك فقد وجدنا منقوشا على قاعدتى التمثالين اللذين وجدا أمام البوابة العاشرة

(١) راجع : Dawson, "Aegyptus", VII, P. 124.

(٢) راجع : (L. D. III, Pl. 2 d.

بالكرنك النص التالى : ” أتم يا أيها الناس الذين يرغبون فى رؤية «آمون» ، تعالوا إلى لآنى بشير هذا الإله ، فقد نصبنى «أمنحتب الثالث» لأبلغ كلمات القطرين إذا قرأتم لى صيغة القربان وناديتم باسمى إنسانا محبوبا عمل خيرا “ .

ومما يدعو إلى العجب أننا عثرنا على تماثيلين آخرين لموظفين آخرين من رجال « أمنحتب الثالث » كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين الملكى » ويقوم بدور بشير الإله ، وهو الدور الذى كان يقوم به بطلنا « أمنحتب بن حبو » . فالتماثل الأول كان « لمن^(١) » وقد عثر عليه فى معبد «آمون» بالكرنك وقد نقش عليه النص التالى : ” إنى حاجب سيدتى «موت» (زوج الإله آمون) وإنى أجعل تضرعاتى تصعد إليها “ . أما التمثال الثانى فكان لموظف يدعى « رعيا^(٢) » وقد دونت عليه نقوش مماثلة للسابقة : « إنى رسول ربة السماء (ازيس فى فقط) ، وإنى فى ردهتها^(٣) . قل لى تضرعاتك وإنى سأرفعها إلى ربة الأرضين لأنها تصنى إلى تضرعاتى « ومهما يكن من أمر فإننا فى هذا الموقف لا يمكننا أن نجد أية علاقة أو ارتباط بينهما وبين رجلنا العظيم « أمنحتب بن حبو » .

وعلى أية حال فإنه ليس من شك أو ريب فى أن تماثيل « أمنحتب » بطلنا كانت موضع احترام وتقديس فى مدة حياته كما كانت عبادته بعد مماته فى معبده الجنازى المقام فى « طيبة الغربية » موضع سرور القوم وإجلالهم . ومن ثم يظهر لنا تدرج القوم فى احترامه وتعظيم شأنه ، فقد كان فى بادئ الأمر ينظر إليه نظرة حكيم ورع ، ثم ارتفعت درجته فى أعين الشعب على مر الأيام حتى عد فى مصاف الآلهة فى العهد البطليموسى^(٤) .

(١) راجع : Benson and Gourlay, “The Temple of Mut in Asher”, P. 331.

(٢) راجع : Cairo : 627.

(٣) فهذه التماثيل كانت توضع فى الردهة حيث كان يأتى المتعبدون لاستعطافها .

(٤) راجع : Sethe, “Hastings Encyclopedia of Religion and Ethics “IV, P. 651. (Heroes and Hero Gods).

موظفو إدارة الجيش — كاتب المجندين

تقلب «أمنحتب بن حبو» في سلك الموظف الحربى العادى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وقد أكدت لنا هذا رأى النقوش التى تتحدث عن حياة موظفين حربيين آخرين من هذا العصر . والواقع أن حياته لا تختلف فى هذه الناحية عن حياة أى موظف آخر . أما حياة جندى الميدان فكانت تختلف عن حياته اختلافاً بينا ، وذلك أن الموظفين الحربيين كانوا يبدأون حياتهم بالتلمذة فى وظائف إدارية صغيرة ، فكان الواحد منهم يعمل بوصفه مساعد كاتب ملكي^(١) ، وكان أمثال هؤلاء التلاميذ يدربون على تصريف الأمور ، ويحذقون كتاب الإله ، فيشاهدون قوّة « تحوت » (إله العلم) ، وبذلك يصبحون مهرة فى أسرار الكتب . ولم تمدنا الوثائق بالمدة التى كانوا يقضونها فى ممارسة هذا الدور من التعليم ، وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة « كاتب الجند » كانت تقع فى دائرة الوظائف الصغيرة^(٢) ، وكان هؤلاء الكتاب يجلسون فى مكتب إدارة الجيش وينفذون أوامر « رئيس الإدارة » دون أن يكون لهم دائرة عمل محدودة . وكان لكل وحدة فى الجيش كاتب من هؤلاء . والظاهر أن هؤلاء الكتاب الحربيين هم الذين نشاهدهم يمشون خلف رؤسائهم فى رسوم المناظر التى تصور توزيع الطعام ، والجرايات ، كما هو مشاهد فى رسوم مقبرة « آمون المحب » ومقبرة « بحسوخ » ، وهؤلاء الكتاب يختلفون^(٣) فى ملابسهم عن ضباط الجيش العاملين ، إذ كانوا يرتدون فوق قمصانهم لباساً آخر . وقد جرت العادة أن ينتخب الموظفون أصحاب الرتب العالية فى الجيش من كتاب الجند فمنهم من يكون مديراً للكتاب الحربيين ، وكاتب المجندين ، ثم القائد .

(١) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten" II, 853, line 12.

(٢) راجع : Mariette, "Abydos" P. 1137.

(٣) راجع : Wreszinski, "Atlas", I, Pl. 94; Ibid. Pls. 279-280.

وقد كان عمل مدير الكتاب^(١) الحربيين هو تدوين التقارير عن كل ما حدث في خلال المعارك أثناء الحملات الحربية . فهو إذا كان الموظف الذى يدون اليوميات الرسمية عن سير المواقع . وقد دُون لنا « ثنتى » بكبرياء على جدران قبره أنه كان يسير في ركاب سيده « تحتمس الثالث » خلال المعارك التى شنها ، « ودُون أعمال الشجاعة التى قام بها في كل بلد أجنبي ، وقد دُونها كما حدثت » ، وهذه الألفاظ التى ذكرها « ثنتى » تنطبق على يومياته الحربية التى خلدت ذكرها بمنتخبات منها لا تزال باقية منقوشة على جدران معبد الكرنك ، ومما يؤسف له أن نقوش ترجمة^(٢) حياته في مقبرته قد وجدت مهشمة ، ولكننا نستخلص منها أنه كان يعمل كذلك في عهد « أمنحتب الثانى » وفي عهد « تحتمس الرابع » ، وقد دُون لها أسماء جنود كثيرين ومن أجل أعماله العظيمة رقى إلى منصب « كاتب المجندين » (راجع ص ٤٥)

كاتب المجندين : يظهر أن هذه الوظيفة لم تكن شائعة الاستعمال قبل عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وإن كانت قد وجدت منذ الدولة القديمة ، ويقول البعض إنها أنشئت في عهد الأسرة الثانية عشرة ، أما في خلال الأسرة الثامنة عشرة فنجد عددا عظيما من الموظفين يحملونها ، وبخاصة في عهد « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث »^(٤) و « أمنحتب الرابع »^(٥) ثم « حور — محب »^(٦)

(١) هذا اللقب كان يحمله « ثنتى » في عهد تحتمس الثالث (Urk. IV, P. 1000-1017) وحور — محب

في عهد تحتمس الرابع. "Mem. Miss. Arch. Franç" V, P. 415 ff.

(٢) راجع : Urk. IV, 662.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 1014-1015.

(٤) راجع : Hermann, "Mitteilungen des Deutschen Instituts. Kairo VI, P. 38.

(٥) راجع : Davies, "El Amarna", V, Pl. IV, and Ibid. IV, P. 21.

(٦) راجع : A. S. XIX, P. 127.

والواقع أنه كان لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى كاتب مجندين ، وقد كان تعدد الموظفين الذين يحملون هذه الوظيفة معلوما واضحا من تعدد درجة القائد التى تليها فى درجات الرقى ، ومع هذا فإن من المؤكد أنه لم يذكر لنا فى أية وثيقة تقسيم سلطة هذه الوظيفة فى الوجهين القبلى والبحرى ، وكذلك لم يظهر أمامنا على النقوش إلى الآن كاتبان للمجندين أو أكثر فى وقت واحد أبدا .

ويدل ما جاء فى حياة « أمنحتب بن حبو » على أن هذه الوظيفة كانت فى الوجه البحرى الذى كان يعد أهم من الوجه القبلى من الناحية الحربية ، وما وصل إلينا عن كتاب المجندين لا يدل قط على أن تقسيم هذه الوظيفة كان ممكنا ، وذلك لأن الترقيات التى كانت تلى هذه الوظيفة ليس لها أى أثر قط فى النقوش المصرية .

التجنيد : وصف لنا « أمنحتب بن حبو » فى النقوش التى تركها لنا نشاطه بوصفه كاتب المجندين ، فقد بدأ أحد نقوشه بالكلمات التالية : ^(١) « لقد جمعت المجندين لسيدى ، وأحصى قلمى عددا لا نهاية له . ووضعت الشباب مكان القدامى من الجنود ، فتصبح عصا الشيخوخة ممثلة فى أبدانهم الحية ، وأحصيت ضريبة بيوتهم على حسب عدد أفرادها وأعفيت بيوتهم من الضرائب ... » فمن وصف هذا التجنيد نعلم أنه ينقسم صنفين مختلفين ، ولكن لا يمكن أن نستخلص منه ما إذا كان هذا التقسيم يعالج الجنود النظاميين أم جنود الرديف ، إذ نعلم بدورنا أنه منذ تكوين جيش عامل فى عهد الدولة الوسطى كان تنظيم المجندين من هذين الصنفين من الناس مختلفا ، فقد عرفنا أنه فى « البرشة » فى عهد الفرعون « سنوسرت الثالث » كان شباب الجيش العامل منفصلا عن المجندين فى المقاطعة ^(٢) .

(١) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten", 583, line 13.

(٢) راجع : Newberry, "El Bersheh", I, Pl. XV. حيث نجد أن جنود كل

مقاطعة اشتركوا فى جرتمال « تحوتى حنب » قد ذكر كل فريق منهم على حدة .

والواقع أنه كان للجنود النظاميين في عهد الدولة الوسطى أراضٍ معفاة من الضرائب زمن الخدمة العسكرية وبعدها ، فكانت باب رزق أساسي لهم ولأسرهم ، هذا إلى أن ملوك الدولة الوسطى كان لهم حرس ينتخبون من صنف من الضباط العاملين ، وهؤلاء خصص لهم حقول وماشية وعبيد^(١) ، وذلك لأن الفرعون كان مضطراً في أوائل هذه الأسرة إلى معونة عدد عظيم من الجنود في الحروب التي كان يشنها لتحرير البلاد من جهة ، وللمحافظة على الأقاليم التي فتحها وضمها لمصر في سوريا والسودان من جهة أخرى . (وكان للفرعون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة أراضٍ شاسعة ، وبخاصة الأراضى التي استولى عليها من حكام المقاطعات بعد القضاء على سلطانهم وتشتيت شملهم ، وكذلك الأراضى التي استولى عليها بعد طرد الهكسوس من البلاد) . ومن أجل ذلك نرى أن ضياع الجنود في هذه الفترة كانت منتشرة في أنحاء البلاد لدرجة عظيمة ؛ فكان ربان السفينة « أحس بن أبانا » يمتلك في ذاك الوقت بهذه الوسيلة أراضى شاسعة في مقاطعة « الكاب » وهو يقص علينا بنفسه أن معدات سفينته كان ينفق عليها من أراضٍ مُنحها . وفي عهد حكم الفرعون « أحس » كان مدير السفن المسمى « نسي » يملك حقولا في « منف » تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ومائة أرورا قد وهبها إياه الفرعون ، وقد أقيمت من أجلها قضية نزاع على ملكيتها في عهد « حور محب » واستمرت في يد القضاء حتى عهد « رع مسيس الثاني »^(٢) .

وكذلك عثر على لوحة حدود جاء فيها أن « تحتمس الأول » قد منح راكب العرب « كرى » حقلا تبلغ مساحته نحو خمسين ومائة أرورا (الأرورا = ٢٩٣٥ مترا

(١) راجع : Pap. St. Petersburg, 1116 A. Z. 59; A. S. XXIX, P. 5-14. line 11.

(٢) راجع : Gardiner, "The Inscription of Mes.", P. 42 - 43.

(٣) راجع : Berlin Mus. No. 14994.

أو ثلثي فدان) ؛ وكان كذلك حامل العلم « نب آمون » يملك حقولا قبل أن يعين صاحب الشرطة في عهد « تحتمس الرابع » في « طيبة^(١) » الغربية ، ومن هذا يمكن القول بأن الإعفاء الذي ناله « نب آمون » عن أملاكه بوصفه رئيسا للشرطة يدل على أن الأراضى التى يُمنحها الجنود لم تكن معفاة من الضرائب ، كما يمكن الإنسان أن يستنبط هذه الحقيقة من مضمون نقوش قضية « مس » ، لأن وصف سير هذه القضية يشعر بأن ضرائب هذه الأطنان كانت تدفع إلى بيت المال وإلى « إدارة الغلات » ؛ غير أننا نجد من جهة أخرى أن الإعفاء من الضرائب كان على ما يظهر شائعا بين الجنود فيما بعد ، وبخاصة في عهد الرعامسة . يدل على ذلك ما جاء في قصيدة « رعمسيس الثانى » التى تصف لنا موقعة « قادش » (وهى المسماة « بنتاور » خطأ) إذ يقول الفرعون لجنوده مؤنبا : " لقد أعفيتكم من الضرائب " . ويظهر كذلك أن هذه الأملاك التى كانت ضمن أملاك الحكومة لا يمكن تقسيمها بين أولاد الجنودى القديم المستولى عليها إلا بوصفهم زراعا لها فقط ، وكذلك كان لا يمكن لأولاد عمه الانتلاء عليها إلا بهذه^(٢) الكيفية .

وكانت الأراضى التى تعطى هبة لمؤلاء الجنود تتركز فى قرى معينة وفى مناطق عسكرية . وبهذه المناسبة نذكر أن « أمنحيب الثالث » أمر فى أثناء إحدى نزحاته لصيد الثيران الوحشية وهو بصحبة كل حرسه أن تجند الجنود الذين يسكنون فى الجهة المجاورة لمحل الطراد (دندره) ، وأن يكون على رأسهم قائدهم ليكونوا جميعا مرشدين لجلالته فى هذه^(٣) الجهة . هذا وقد جاء فى رسوم الفرعون « حور محب » ذكر مستعمرات عسكرية ، إذ نجد مع القوائم التى تحتوى على الأفراد

(١) راجع : Davies, "Tombs of Two Officials of Thothmes IV",

Pl. XXVI.

(٢) راجع : Gardiner, Ibid, P. 25 - 26.

(٣) راجع : P. S. B. A. XXI, Pl. III, P. 156.

المدنيين قوائم تشمل جنودا عاملين يملكون سفنًا وحدائق . وذكر لنا كذلك « رعمسيس الثانى » كره أخرى فى موقعة « قادش » بعض الحقائق فى هذا الصدد إذ يقول : ” إني صرحت لكم بالسكنى فى ضياعكم وأمددتكم مع أنكم لم تقوموا بالخدمة العسكرية^(٢) ” فهذه الكلمات التى فاه بها « رعمسيس الثانى » كان يقصد بها منح هذه الأراضى المعفاة من الضرائب لتكون بمثابة أساس لإنشاء جيش عامل فى البلاد ، إذ أنه قرن استغلالها بأن يكون مالكتها على تمام الأبهة دائما ليقوم بواجبه العسكرى كلما دعا داعى الحرب للدفاع عن حياض الوطن ، وإذا حدث أن أصبح مالك هذه الأرض المعفاة من الضرائب غير قادر على حمل السلاح ، فإن ابنه الذى يرث هذا الإقطاع من بعده يجب عليه أن يحمل السلاح بدلا منه ، وإذا اتفق أن ليس فى الأسرة ذكرا قادر على حمل السلاح ، فإن الإقطاع يرجع ثانية ملكا للفرعون ، فيعطيه بدوره غيره من القادرين على حمل السلاح . ولا ريب فى أن الادعاء الذى ذكره لنا « رعمسيس الثانى » من أن المبدأ القائل بأن المالك لمثل هذه الأراضى كان من حقه أن يستمر فى تملكها حتى ولو كان غير قادر على حمل السلاح ، وليس له ولد يحمل محله ، مبالغ فيه ، وذلك لأن القانون الأصلى معروف تماما ، وهو يقضى بأن ملكية الأرض والانخراط فى سلك الجيش العامل كانا يتمشىان معا جنبا بلجنب منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، إذ يقص علينا فى هذا الصدد « أحمس » الذى أصبح فيما بعد مديرا لمعدات السفن فى عهد آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة : ” كان والدى جنديا فى جيش الفرعون « سقن رع »^(٣) ثم أصبحت جنديا بعده مع أنى كنت لا أزال صيبا “ . ومن ذلك نستخلص أن معظم جنود الجيش العامل كانوا أولاد جنود .^(٤) يضاف إلى ذلك أن « أمنحتب بن

(١) راجع : Muller, A. Z., XXVI, P. 70, lines 17, 34.

(٢) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ص ٢٠٦ (٣) راجع : Urk. IV, P. 2.

(٤) راجع : Davies, “Two official” P. 23; Rec. Trav IV, P. 135,

Brit. Mus. 215. حيث نجد أن الابن يرث والده فى وظيفته .

« حبو » (كاتب المجندين) أعلن في نقوشه أنه يجعل المجند الصغير يحمل محل سلفه لتكون بذلك عصا شيخوخته ممثلة في ابنه الذي يحبه ، وكان يشير إلى أنه تحت سلطانه — بوصفه كاتب المجندين — الإدارة التي تجعل الولد يحتل مكان والده في الأملاك التي وهبها الفرعون إياه مقابل خدمته في الجيش العامل ، وكذلك كان يقصد الكاتب « ثنى » نفس المعنى بكلماته التالية التي ذكرها لنا في تاريخ حياته ... ” لقد رافقت الفرعون « تخمنس الرابع » ودونت له أسماء جنوده العدة^(١) . وكذلك نجد نقوشا تفسر لنا صورة تدل على تدوين أسماء كل جيوش جلالته ” تسجيل كل الجيش أمام جلالته ، واقتراع المجندين من بين كل الشبان ، وجعل كل رجل يعرف واجبه في عامة الجيش على يد كاتب الملك الحقيق محبوه ، وكاتب الجيوش « ثنى » ” وهذان النصان يدلان على ما كان يحدث في هذه الإدارة الحربية : فقد كان من الواجب التأكد من هذه القوائم بمراجعتها ، وكذلك التحقق من قدرة كل جندي على الخدمة في الجيش ، أو مما إذا كان ابنه سيحل محله فيأخذ أملاكه بدون ضريبة . ونجد أمثال هذه المراجعات لقوائم الجنود في نقوش قبر كل من « ثنى^(٢) » و « حور محب^(٣) » ، وكان كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين » ، فنجد في المناظر الجنود مقسمين فرقا بقيادة حامل العلم أمام « كاتب الإدارة » في صفوف ، ونشاهد « كاتب المجندين » يراجع القوائم وهي التي كانت الأساس في تنظيم الجيش ، إذ بها يستطيع الإنسان أن يتأكد عندما يوجد أى شك في موضع أى جندي أو ضابط ، وكانت الجيوش تعبأ على حسب هذه القوائم^(٤) . وعلى هذا الأساس من النظام أصدرولى^(٥) العهد في حكم « رع مسيس الثانى » إلى الضباط : ” أن ينادى الشبان من الشجعان المدونين في قوائم جلالة الفرعون ، وأنه يجب عليهم أن يحملوا السلاح أمام جلالته ” .

(١) راجع : 6. — Urk. IV, 1005 .

(٢) راجع : 598. P. V, Mem. Miss. Arch. Franc.

(٣) راجع : 245. Pl. I, Wreszinski, “Atlas” .

(٤) راجع : 12. Pap. Anastasi I,

(٥) راجع : 110, 111. Pls. II, Wreszinski, “Atlas” .

والظاهر أن أولاد جنود الجيش العامل كانوا يدربون في سنّ محدّدة ، ولكن بما يؤسف له أنه لم تصلنا نصوص صريحة عن ذلك في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، مع أننا كما سبق قد وجدنا « أحس » قد حل محل والده وهو لا يزال صبيا ، غير أنه قد بين لنا أن حالته كانت حالة خاصة ؛ ومع ذلك فقد ذكر في بردية من العهد الإهناسي ، (أى الأسرة العاشرة) أن سنّ التدريب كانت في العشرين ، ولكن في ذلك خلاف عند علماء الآثار^(١) . وكان هؤلاء المجندون يجمعون في فرق خاصة حيث كانوا يدربون كما يستخلص ذلك من لقب « حامل العلم » « سنى مسو »^(٢) الذى كان يطلق عليه لقب « مدرب فرقة البحارة » . وهذا الجندى بعينه هو الذى نراه مصورا على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « ثنى » وقد رقى إلى وظيفة « كاتب المجندين » ، كما نجد كذلك في نفس الصورة نظام سير هذه الفرق ذهابا وإيابا تحت إشراف ضابط يحمل لقب « حامل العصا » (أى أنه مسلح بالعصا) ، ولكن من الجائز أن تكون كل مناظر مقبرة « ثنى » تمثله نفسه في وظائفه المختلفة .

وكان هذا التدريب العسكرى يجرى في حاميات لا نعرف موقعها على وجه التحقيق ، فنعرف أن واحدة منها كانت في « طيبة » حيث كان يدرب حرس الفرعون ، وهؤلاء كانوا على حسب ترتيب الوزير لا بد أن يرافقوا الفرعون عندما يغادر « طيبة » وكان الفرعون يرافق الجيش بنفسه أحيانا كما ذكرنا ذلك من قبل عند ما نخرج « أمنختب الثالث » للصيد والقنص . وكانت توجد حامية أخرى كذلك في « منف » التى كانت مقر القائد الأعلى لجيوش الدولة في خلال الأسرة الثامنة عشرة كما سنرى بعد . هذا وقد وجد في قبر الصائغ « أبوى » صورة تمثل بعض أقسام الحامية التى

(١) راجع : J. E. A. I, P. 27.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 1006; Wreszinski, "Atlas" I, 23, 236.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 1112, line 23.

كان يدرب فيها المجندون . ويرجع تاريخ هذه المقبرة الكائنة بسقارة إلى أواخر الأسرة الثامنة عشرة^(١) .

وليس لدينا حاميات أخرى في الدلتا إلا إذا استثنينا معازل الحدود والحاميات التي في المقاطعات ، ولا شك في أن جزءا عظيما من هذه الفرقة التي كانت تحمل السلاح هم الجنود الذين يتألف منهم الجيش العامل ، ويقضون وقتا غير محدود في تلك الحاميات يدربون تدريبا عسكريا قبل أن يطلق سراحهم ويؤذن لهم بالعودة إلى إقطاعاتهم التي منحوها .

وكان تجنيد العساكر الرديف كذلك تحت إدارة « كاتب المجندين » ، وكانوا يشتغلون كثيرا في خلال الأسرة الثامنة عشرة في شئون النقل .

أما في الحروب فكانوا لا يستعملون إلا عند الضرورة الملحة ؛ فنشاهد مثلا على جدران معبد الدير البحري فرقة الجنود الخاصة ينقلون مسلات الملكة « حتشبسوت » وعلى مقربة منهم مجندو الجيش أى الجنود الذين كانوا يدربون ليصبحوا جنودا نظاميين^(٢) ، وهم الشباب المقترعون . وفي نص آخر ذكروا بأنهم من بلدة « أطفيح »^(٣) أى المقاطعة العاشرة من أعمال الوجه القبلي . ولا نعلم إن كان هذا التخصيص يدل على أنه كانت توجد نسبة مئوية للتجنيد أم لا . وكل ما وصل إلينا إلى الآن من معلومات في هذا الصدد وثيقة واحدة ترجع إلى عهد الأسرة الثانية عشرة^(٤) ، ذكر فيها أن النسبة كانت ١/١٠ ، وذلك حينما أريد جمع جيش من الرديف للقيام بحملة إلى الواحات .^(٥) والواقع أنه لا يمكننا أن نحدد النسبة المئوية

(١) راجع : Quibell and Hayter, "Excavations at Sakkara", (1927) VIII, Pl. 12.

(٢) راجع : Naville, "Deir el Bahari", Vol. IV, Pl. XCI.

(٣) راجع : Ibid. VI, Pl. CLIV.

(٤) راجع : Erman-Schafer, A. Z. 38, 42.

(٥) راجع : Davies, "The Tomb of Two Officials", Pl. XXV.

الحقيقية للمجندين الذين كانوا يؤخذون من الأهليين لاختلاف أنواع المجندين أنفسهم، وبخاصة في الجيش العامل الذي كان يتألف من عدد عظيم، ومن المحتمل أن هذا التجنيد كان ينفذ قهرا، إذ نجد في مقبرة رئيس الشرطة « نب آمون » « بطيبة » الغربية منظرا يشاهد فيه عدد عظيم من الشباب قد جمعوا في مكان واحد لينتخب منهم من تتوافر فيه شروط التجنيد وعلى مقربة منهم نشاهد ذويهم يرجون من أولى الأمر إعفائهم^(١).

وكان من الضروري لهذا إعداد قوائم دقيقة بأسماء كل الأهليين ومكاتبهم الاقتصادية وعلى حسب هذه القوائم كان يقتر « كاتب المجندين » ضرائب كل جهة تناسب عددها^(٢). ويشاهد وضع هذه القوائم ومراجعتها في منظر على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « ثنى » وقد كتب معها الشرح التالى : " تسجيل كل البلاد أمام جلالته ، ومراقبة كل الأشياء ، ومعرفة الجنود ، والكهنة ، وخدم الفرعون ، وكذلك كل الصناعات في جميع البلاد ، وكذلك الثيران والبط والمساكن بوساطة ... « ثنى »^(٣) " .

ولا نزاع في أنه كان في مقدور الإنسان أن يعرف على وجه التقريب كل عمال البناء من « إلفتين » (اسوان) حتى « سما بحدت » (البلمون الحالية) الذين جاءوا لقطع مسلة أقامها « أمنتب الرابع » . هذا وكانت فرق الرديف هذه مقسمة وحدات على حسب القرى^(٤) التي اقترعوا منها .

(١) راجع : Borchardt, Ibid, 583, Vs. line 13.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 1007.

(٣) راجع : A. S., III, P. 263.

(٤) وفي عهد الدولة الوسطى كان يقوم كاتب الجنود في كل مركز بعملية التجنيد، وفي هذا الوقت لم

تكن وظيفة كاتب المجندين قد وجدت بعد . (راجع Griffith, A. Z. XXXVIII, P. 42 ;

Kahun Pap. IX, 11 a.

ولم تكن دائرة نفوذ « كاتب المجندين » تنحصر في الأمور الحربية الخاصة بفرق المجندين ، بل كانت تمتد كذلك إلى فرق العبيد من أسرى الحروب ، وهم الذين كانت تملكهم الحكومة . وقد بين لنا ذلك « أمنتخب بن حبو » في تاريخ حياته حيث يقول : « لقد أنجزت أعمال السخرة برجال من أحسن الأسرى الذين أسرمهم جلالتهم في ساحة الوغى ، وراقبت جنوده^(١) » . ويقول : « لقد أحصيت أسرى جلالتهم الذين كنت رئيسا لهم » . وكان يوزعهم على حسب أمر الفرعون على المعابد المختلفة ، وكان هؤلاء الأسرى من العبيد يستوطنون ضياع الفرعون ، أو يحتلون ضياع المعابد الموقوفة^(٢) ، عليها فكان الرجال منهم يفلحون الأرض أو يصيرون رعاة ، أو منظمين للذهب ، أو يعملون بنائين الخ . أما النساء من الأسرى فكان يحترفن الغزل ، أو يعملن غسالات ، أو يقمن بتقديم البخور وطاقات الأزهار . وقد كانت هذه القوائم تدون بدقة وإحكام ، ولا شك في أن ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه كل إدارة محكمة النظام ، وقد كان يشترط في كل قسم منها أن يكون قائما بذاته ، فلا يتعدى قسم على آخر ، مجنبا لعدم الارتباك في سير العمل ، لأنه كان يطلب دائما من العبيد عدة طلبات في وقت واحد مما يخل بنظام سير العمل . ومن الأمثلة النموذجية^(٣) في هذا الصدد الشجار الذي قام بين « اتني » صاحب بيت المال المشهور في عهد الرعامسة ، وبين مدير بيت الفرعون بسبب توريد الكنان بواسطة الإماء والعبيد ، فقد تدخلت هنا كذلك الإدارة الحربية ، وكان يمثلها قائد وكاتبه ، ووضعت قائمة مضبوطة لذلك ، وكانت كل من هاتين الإدارتين تدعى حق السيطرة على هؤلاء الإماء .

(١) راجع : Borchardt, Ibid, 583, line 13.

(٢) راجع : A. Z., XXXVI, P. 84; "Rec. Trav.", XX, P. 37 ff. line.

7; "Rec. Trav.", XVI, P. 123. Kees, "Kulturgeschichte", 239, Anm. I;

Bissing. A. Z. XXXVII, P. 39; Pap. Harris I, P. 10, 16, 8, 51 a, 7.

(٣) راجع : Pap. Anastasi VI, 1, 7 ff.

من كل هذا يتضح أنه لم يكن ثمة فرق بين إدارة الجنود ، وبين إدارة جماعات جنود العبيد ، بل على العكس كانت إدارتهما موحدة في يد موظف حربى كفاء . وعلى هذا تنطبق الملاحظة التى ذكرها أحد كتّاب الرعامسة فى خطاب نموذجى^(١) ، أعلن فيه أنه كان يراجع فى « الفنتين » عدد الجنود ، وفرسان العربات المحارين والعبيد^(٢) ، وقد شرح لنا الأستاذ « ولف » (A. Z. LXV, P. 90 ff.) كيف كانت توضع هذه القوائم ، استنادا إلى ما جاء فى ورقة « بولونيا » رقم ١٠٨٦ . وهذه الوثيقة خاصة بقائمة عبيد « سوريا » ، وتشتمل هذه القائمة أولا على اسم العبد ووالديه ، والمكان الذى نشأ فيه ، واسم من أحضره إلى مصر ، واسم الإدارة التى سلم إليها . ولا نزاع فى أن أمثال هذه القوائم هى التى استقيت منها المعلومات التى تصادفنا أحيانا مرسومة أو منقوشة على جدران المعابد بمناسبة الاحفال التى كانت تقام وقتئذ ، ويظهر فيها السيد والمسود .

وقد وصلتنا ملاحظة فى نقوش « أمنحتب بن حبو » فى هذا الموضوع ، غير أنها مهشمة فيقول : ” حيث كنت موزعا للعطور “ ، وهذه الجملة المبتورة تذكرنا بما جاء فى نقش على جدران مقبرة الوزير « رخ مى رع » الذى كان يشغل منصب وزير الدولة ، ومدير الخاصة الفرعونية ، فى عهد « تحتمس الثالث » إذ يقول^(٣) : ” إنه كان مشرفا على توزيع الأنصبة من الكتان والعطور والإماء ، والعبيد الخاصة بمعبد آمون “ . غير أنه لا يمكننا الجزم هنا بما إذا كانت كلمات « أمنحتب بن حبو » المبتورة تشير إلى موقف مثل هذا أم لا ، أو إذا كان من اختصاص كاتب المجندين تغذية المجندين بوصفه المدير المشرف على تنفيذ ما فى هذه القوائم ، وذلك لأن الإشارة إلى القيام بمثل هذا العمل لم تأت قط فى دائرة اختصاص كاتب مجندين غير « أمنحتب بن حبو » .

(١) راجع : Pap. Anastasi IV, 4, 8-9.

(٢) راجع : Borchardt Ibid. 583, Line 3.

(٣) راجع حياة « رخ مى رع » فى الجزء الرابع من هذا المؤلف ص ٥٥ ، Urk. IV, P. 1147.

حماية الحدود : تدل النقوش التي ذكرها « أمنحتب بن حبو » في تاريخ حياته ، وهي التي تصف لنا إشرافه على التجنيد وإدارة جنود الجيش العامل وجنود الرديف والجنود العبيد ، على أن كاتب المجندين كان يشرف على دائرة حيوية أخرى إذ يقول : ^(١) « لقد وضعت كذلك فرقا على الطريق لترد الأقوام الأجانب على أعقابهم إلى بلادهم . وهؤلاء الأقوام يحيطون بكتنا الأرضين . كذلك كان من واجباتهم منع تنقلات البدو الرحل ، وقت بنفس العمل على الشواطئ عند مصبات النهر التي كانت مغلقة إلا لبحارة الفرعون . تأمل ! لقد كنت مرشد طرقهم وكانوا طائعين أوامري ، وكذلك كنت الفم الأعلى (الرئيس الأعلى) الذي كان يرأس الشجعان ، وأدبت همج آسيا ... » .

ومما سبق يتضح أن الأماكن التي كانت في حاجة إلى حماية من المغيرين على شواطئ الدلتا وحدودها أو بعبارة أخرى الجزء الشمالي من أرض الدلتا هو الذي كان تحت إدارة « أمنحتب بن حبو » بوصفه « كاتب المجندين » . على أنه لم يرد في نقوش الأسرة الثامنة عشرة ذكر حماية الشواطئ . حقا نعرف أنه كان لهذه الشواطئ مشرف خاص يحمل لقب « مدير مصبات البحر » . هذا إلى أنه قد جاء ذكر موظف يحمل هذا اللقب في عهد الفرعون « تحتمس الثالث » وكان مكلفا بقيادة حملة إلى سينا في « سرابة الخادم » ^(٢) . وكذلك نجد في الأزمان التالية لهذا العصر الذي نحن بصددده أن « رعسيس الأول » كان قبل توليته الملك يلقب في عهد الفرعون « حورحوب » أو في حكم الفرعون « آي » بلقب « مدير السواحل » وقائد الحامية في « سيلة » (تل أبو صيفة) ^(٣) . هذا إلى أننا لم نجد في خطابات

(١) راجع : Borchardt, ibid. 583, Rs. line 14.

(٢) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai", Pl. LXIV, No. 196; Urk.

IV, P. 885 - 9.

(٣) (راجع مصر القديمة جزء ٤ ص ٧١) .

« تل العمارنة » ما يدل على حماية السواحل وكانت أول إشارة صادفناها والنقوش تشير إلى إغلاق مصبات النيل في عهد « رمسيس الثالث » خلال حروبه مع أقوام الشمال فقد تكلم أحيانا عن إغلاق مصبات النيل^(١) . ومن المحتمل أن لقب « مدير حصن البحر » يدخل ضمن موضوع حماية السواحل التي كان مكلفا بالإشراف عليها في عهد الأسرة الثامنة عشرة شخص يدعى « سا أمنت »^(٢) إذ يقص عن نفسه : « إنه كان يسيطر على كل جزية الأعداء »^(٣) . ويمكن قرن هذا التصريح بما جاء في ورقة « بولونيا » رقم ١٠٨٦ التي دؤنت في عهد الرعامسة ، وقد نص فيها على أن العبد كان قبل أن يسلم من بلاده إلى سيده الجديد لا بد أن يقدم إلى مدير القلعة ، ومن ذلك نعلم أن مصبات النيل كانت مغلقة في وجه السفن الأجنبية وكانت تجبر على الرسو في مكان معين حيث كانت تجبي منها الضرائب . وكانت هذه القلاع إذن أما كن لجمع الضرائب أكثر منها حصونا حربية . من أجل ذلك كان قائد القلعة البحرية « سا أمنت » يقول : « إنه كان يحافظ على جمع الضرائب من الأجانب » . وهذا القول يطابق ما جاء في مرسوم « نوري »^(٤) الذي صدر في عهد « سيتي الأول » وهو خاص بمعبد « أوزير » بالعرابة ، إذ يقول إنه في قلعة معينة على مقربة من الحدود النوبية المصرية كان يجب على كل سقينة آتية أن يستولى عليها وتسلم إلى القائد أو إلى الكاتب أو المفتش المشرف على القلعة ليحصل منها على الضرائب المفروضة .

(١) راجع : Edgerton and Wilson, "Historical Records of Ramses III",

Pl. XLVI, 20, 23.

(٢) راجع : Speelers, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes des

Musees Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", No. 117, "Rec.

Trav", XXII, P. 105 - 8.

(٣) راجع : Holscher, "Libyer", P. 34, 35. anm. 10.

(٤) راجع : A. Z. LXV, P. 89.

(٥) راجع : Griffith, J. E. A., XIII, P. 143. line 82 ff.

وكانت السفن الخاصة بمعيد « أوزير » بالعرابة بمقتضى نص هذا المرسوم قد أصبحت معفاة^(١) من كل الضرائب .

على أن « سا أمنت » الذى ذكرناه آنفا كان يشغل بالإضافة إلى منصب « قائد قلعة بحرية » وظيفة « قائد قلعة الأراضى الأجنبية الشمالية » ، والظاهر أن هذا اللقب الذى لم يرد إلا فى هذا النص وحده لا يعزى إلى قلعة فى فلسطين أو سوريا ، بل إلى قلعة فى الشمال الشرقى من الحدود المصرية وهى حصن ضمن سلسلة الحصون التى أقيمت لحماية الحدود من هذه الناحية ، إذ كان لابد لمصر من معقل يعززها جيش عظيم عند حدودها الشرقية . أما فى الجنوب فكانت حدودها محمية ببلاد النوبة التى كانت تحت حكم نائب ملك مصرى منفصل بإدارتها . أما على جانبي الصحراء فى الوجه القبلى فكان يكفى لحمايتها رجال شرطة أفوياء عينوا لهذا الغرض وحسب .

والواقع أنه كان من الضرورى اتخاذ قواعد حربية على حدود الدولة من الشرق والغرب فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كانت إدارة الحدود فى عهد الدولة الوسطى مقسمة تقسيما عظيما محكما فكان يشرف على الحدود الشرقية أمير المقاطعة السادسة عشرة^(٢) (بنى حسن الآن) ، إذ كان يسيطر على قواعد المعقل وعلى رجال شرطة الصحراء من الدلتا حتى مقاطعته ، وكان يحمل من أجل ذلك لقب « مدير الصحراء الشرقية » وهو اللقب الذى كان يحمله « ختى » قبل عهد « أمنمحات الأول » وكان يحمله « نختى » بعد عهد « أمنمحات الأول » ، وكذلك « تترنخت » فى عهد « سنوسرت الأول » وكذلك كان يلقب به « خنوم حتب » فى عهد « سنوسرت

(١) راجع : Pap. Hood. Maspero, "Etudes Egyptologique", II, P. 1 ff.

line 21 ff. راجع كذلك A. S. IX, P. 441 anm. 1, A. Z., L, P. 49 ff. Pap.

Hood, 20 - 21. حيث تجد ألقاب المشرفين على مصاب النيل وقلامه .

(٢) راجع : Newberry, "Beni Hassan", Vol. II. Tomb No. 17 etc.

الثانى» أما الجزء الباقى بعد المقاطعة السادسة عشرة حتى بلاد النوبة فكان على ما يظهر يشرف عليه قائد الجيش فى الصحراء وهو المشرف العام على شرطة الصحراء^(١) فقد جاء فى أحد النصوص إثباتا لهذا رأى أن قائد الصحراء «سعنخ» فى عهد «متوحتب الرابع» آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة كان يسمى المنطقة التى بين بلدة «منعات خوفو» وبين بلدة «ثاعو» (مكان غير معروف) منطقة نفوذه، ولا يبعد أن تكون إدارة الحدود المصرية الغربية كانت تسير فى حمايتها على نفس الطريقة، فكان أمراء مقاطعة «البرشة» (المقاطعة الخامسة عشرة) يحملون لقب «مدير الصحراء الغربية» ومن المعروفين بين هؤلاء فى أوائل الأسرة الثانية عشرة «عحانخت»^(٢) (مدير الصحراء الغربية) و«بجواره» فى عهد «سنوسرت الثانى» كان يحمل «متوحتب»^(٣) لقب مدير الأقاليم الجبلية الغربية ومدير حصن، وفى هذه الحالة كان هذا الموظف لا يحمل لقب أمير مقاطعة، ومن المحتمل أن مثل هذا الموظف كان موقفه كموقف «سعنخ» الذى كان مديرا للقسم الجنوبى من الجهة الشرقية، وكان هو بدوره قائدا للجزء الجنوبى فى الجهة الغربية، غير أنه لا يمكننا البرهنة على صحة ذلك، على أنه من المحتمل أن تغيير مقر الحكم من «طيبة» الى جوار «منف» قد تبعه تغيير كل هذه الإدارة، ولكن خلافا لذلك نجد أن أمير مقاطعة «قفط» فى العهد الإهناسى كان يشرف على طريق القوافل التجارية فى بلده، وبذلك كان المشرف على شرطة الصحراء فى منطقة «طيبة» القائمة بذاتها، ولكن منذ باكورة عهد الدولة الحديثة كان «كتاب المجندين» هم القواد لحماية قواعد الحدود. وأهم هذه القواعد قاطبة

(١) راجع : Couyat et Montent, "Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du Ouadi Hammamat", No. 1.

(٢) راجع : Newberry, "El Berseh", Vol. II. Pl. XIII; Anthes, A. Z., LXV, P. 111.

(٣) راجع : Lange und Schafer, "Grab und Denksteine des Mittleren Reiches", II, No. 20539, line 16.

هى الحصون التى كانت تقع بين حدود مصر وآسيا، ولا غرابة فى ذلك فإن تلك الحصون كانت قائمة هناك منذ فجر التاريخ المصرى، ويظهر أنها أقيمت فى عهد الملك « سنفرو » وقد جمع القائد « ونى » فى عهد الأسرة السادسة جنوده لمحاربة « سوريا » فى مكان يسمى « وعرت — حور — ماعت »، وكانت هذه الحصون قد اختفت بعد سقوط الدولة القديمة، ثم أقيمت ثانية فى العهد الإهناسى، وكانت وقتئذ تمتد من شاطئ البحر الأبيض المتوسط إلى المقاطعة السادسة عشرة من أعمال الوجه القبلى . وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أصلحها « أمنمحات الأول » وزاد فيها مسميا إياها « سور الحاكم » وقد ظهر تأثير مناعتها فى الوصف الدقيق الذى جاء فى قصة « سنوهيت » (راجع كتاب الأدب المصرى الجزء الأول ص ٣٤ انخ) .

وكان قائد تلك الحصون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تحت إمرة « كاتب المجندين » للوجه البحرى، وكان يحمل لقب قائد حصن « سيلة » (تل أبو صيفة الحالية) . وكانت « سيلة » مقر الإدارة، وتعد بمثابة نقطة الوسط لكل خط الدفاع فى تلك الفترة . وكان فيها المركز الرئيسى للإدارة . ومنها كانت تقوم الحملات التى يشنها الفرعون على بلاد « سوريا » ولهذا السبب كان يوجد جزء من معدات الجنود فى « سيلة » هذه . وكان قائد الحصن فيها يحمل لقب « فارس » .

(١) راجع : Sethe, "Die Altägyptischen Pyramidentexte", line 628 b.

(٢) راجع : Urk. I, P. 103.

(٣) راجع : Pap. St. Petersburg 1116 A, line 88 - 90; Kees, "Kulturgeschichte" P. 228. ff.

(٤) راجع : Pap. St. Petersburg 1116 b. line 66.

(٥) راجع : Gardiner, J. E. A., Vol. V, P. 244; Naville, J. E. A., X, P. 22 - 26.

(٦) راجع : (Urk. IV, P. 647.)

(٧) راجع : Erman und Lange, "Papyrus Lansing", 10, 1, P. 88.

وقد وصلت إلينا أسماء بعضهم في خلال الأسرة الثامنة عشرة^(١) ، وكان قائد الحصن في بلاد النوبة يحمل مثل هذا اللقب ، ولكن نجد فيما بعد أنه كان يحمله لأول مرة في عهد أحد أخلاف «إختاتون» ، وهو الذى أصبح فيما بعد «رعمسيس الأول» وكان قبل توليته الملك يعمل بمثابة ضابط لقواعد الدفاع على الساحل ، كما كان يشرف على الحدود الشرقية الشمالية^(٢) ، ومن الجائز كذلك أن «سأمنت» الذى كان مديرا للحصون البحرية ، والحصون التى فى شمالى البلاد الأجنبية كان من نفس هذا الصنف من هؤلاء الموظفين ، وبخاصة عندما نعلم أنه كان مثل «بارعمسيس» يدير حراسة الشواطئ ، وحماية الحدود ، وكان تحت إمرة قائد حصون «سيلة» كل ضباط الحاميات التى فى دائرتها ، فكان عملهم الإشراف على الحاميات والآبار^(٣) المحروسة على طول خط الدفاع ، يضاف إلى ذلك النقط التى كانت فى طرق الصحراء المؤدية إلى «فلسطين» ، وكان كل ضابط منهم يحمل لقب «فارس الحامية»^(٤) وكان من واجبهم ألا يدعوا شخصا غير معروف يدخل الحدود المصرية أو يغادرها ، وقد وصل إلينا فى هذا الصدد يوميات أحد موظفى الحدود فى حصن «سيلة»^(٥) نعلم منها أنه كان لا بد من مراقبة كل ماثر بدقة ، وكذلك مراقبة قبائل البدو الرحل

(١) راجع : Leiden V, 43, "Boeser, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums in Leiden", VI, Taf. XIII, 22; Gardiner und Peet, "Sinai", Pl. XIX, No. 59; "Rec. Trav." XX, P. 178.

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 30.

(٣) راجع : J. E. A. VI, P. 108; Ibid. P. 99; A. Z., LXV, P. 57; Harris Papyrus I, 77. 6 ff.

(٤) راجع : Pap. Anastasi. V, II, 7 ff; A. Z., LVI, P. 55; Pap. Anastasi V, 19, 2, 3.

(٥) راجع : Wolf, A. Z., LXIX, P. 39.

الذين كانوا يتسربون إلى داخل الحدود المصرية بحجة البحث عن مرعى خصب^(١) لما شيتهم، هذا إلى مراقبة العبيد الفارين^(٢). وكان من واجب ضباط نقط الحراسة الفينة بعد الفينة الحضور أمام رئيسهم الأعلى في « سيلة » ليقدّموا له تقاريرهم عن سير الأمور في النقط المختلفة، وكان من نتائج تلك الحراسة اليقظة الشديدة المنظمة أن أصبحت « سيلة » مستعمرة صالحة للجرمين، وبخاصة أنها كانت واقعة على حدود الأراضي الزراعية، كما ذكرنا « حورمحب » في مرسومه العظيم. وكان « كاتب المجندين » في الوجه البحري هو الرئيس الأعلى لضباط نقط الحراسة، وقائد حامية « سيلة »، ولهذا نجد صورة على جدران قبر كاتب المجندين « حورمحب »^(٣) تمثل عددا عظيما من هؤلاء الرؤساء في ضيافته.

ومن الغريب أنه بينا نرى معلوماتنا عن حراسة الحدود الشرقية في الدلتا تحتل مكانة عظيمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، إذ نتضاءل معلوماتنا جدا عن حراسة الحدود الغربية في الدلتا بالنسبة لنظيراتها، على أننا من جهة أخرى نعلم أن « أمنحتب بن حبو » قد ذكر لنا أنه أحاط شاطئ الدلتا بنقطة حراسة، وهذا يدل على أنه كان على الشاطئ الأيمن للدلتا معاقل حربية وقد كانت نقط الحراسة هذه في غرب الدلتا موجودة من قبل منذ الدولة القديمة، فقد ورد ذكر لقب « مستشار تغور البلاد الأجنبية في شقى الدلتا » وكذلك لقب « حارس حصن باب الغرب »^(٤)؛ غير أن هذه المعاقل لم يأت ذكرها في النقوش في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وكان أول ذكر لمعاقل الحدود الغربية في عهد الفرعون « مرنبتاح » ثم

(١) راجع : Pap. Anastasi VI, 4, 11 ff.

(٢) راجع : Pap. Anastasi V, 19, 2 ff.

(٣) راجع : Bouriant, "Mem. Miss. Arch. Franç.", V, P. 426. Pl. II.

(٤) راجع : Borchardt, "Des Grabdenmal des Königs Ne-user-Re"

P. 113; Urk. IV, P. 16.

(٥) راجع : A. Z. XXXIV, P. 1, line 23.

في عهد « رعمسيس الثالث » ، والظاهر أن النظام في هذه الجهة كان يختلف عنه في الجهة الشرقية، يدل على ذلك أنه كان في الجهة الغربية قائد يحمل لقب « قائد فرع النهر الأيمن » (الفرع الكانوبي) ونرى فيما بعد أن هذا اللقب كان يحمله حاكم لمدينة « طينة » والواحات اسمه « مين »^(١) ، ومن المحتمل أن هذا الموظف كان يحمل في الوقت نفسه لقب « حاكم فرع النهر العظيم » كما كان القائد الأعلى يحمل في الجهة الشرقية لقب « حاكم سيلة » ، غير أنه مما يؤسف له أن هذا اللقب وصل إلينا مهشماً^(٢) ، ومهما يكن من أمر فإن لقب « حاكم النهر العظيم » قد وصل إلينا في نقوش الأسرة الثامنة عشرة^(٣) ، ولكن من غير لقب حربي معه .

أما عن حدود الوجه القبلي من جهة الصحراء فلم توجد أية معاقل بل كان يقوم بالحراسة هناك « شرطة الصحراء » ، وهم رجال خفاف الأجسام ، سريعو الحركة ، معظمهم نشأ في الصحراء نفسها ، وكان يسيطر عليهم مشرف يحمل لقب « مسدير الصيادين » . وهؤلاء المديرون هم الذين كانوا بدورهم في عهد الدولة الوسطى حكام مقاطعات^(٤) ، أو قواد الصحراء^(٥) ، وفي خلال الدولة الحديثة كانوا تحت سيطرة كاتب المجندين ، ولم تكن مهمة هؤلاء الحراس قاصرة على أعمال الشرطة ، أو الأمور الحربية ، وذلك بتعقبهم الفارين إلى الواحات^(٦) ، أو حماية عمال قطع الأحجار^(٧)

(١) راجع : Urk. IV, P. 982.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 981.

(٣) لوحة نب آمون (راجع : "Dict. Rec. Trav." XXXII, P. 154; Gauthier; "Geog." I, P. 118.

(٤) راجع : Newberry " Beni Hassan", Vol. I, Pl. XXX.

(٥) راجع : Couyat et Montet, "Ouadi Hammamat", No. 114.

(٦) راجع : A. Z. LXV, P. 108 – 114.

(٧) راجع : Couyat et Montet, "Ouadi Hammamat", No. 114, line. 12.

من غارات البدو الجائلين الذين يعيشون في الأرض فسادا، أو صيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب؛ فقد وجدنا في قبر رئيس كهنة «آمون» المسمى «منخبرع» — سنب^(١) في عهد «تحتمس الثالث» منظر مدير صيد، ومعه جزية الذهب من «قفط»^(٢)، بل كانوا كذلك على الرغم من كل هذه الخدمات التي يقومون بها باقين على حالتهم الأصلية يزاولون الصيد والقنص وهي مهنتهم الأصلية التي فطروا عليها، من أجل ذلك نشاهد «رئيس البدو» و«مدير الصحراء» «نفرخاوت» ممثلا على لوحه التذكارية حاملا أثقاله على كتفه؛ وكان ابنه «منخبرع سنب» يلقب كوالده «مدير الصيادين» ومدير الصحراء ورئيس البدو^(٣)، وكان مقر كل منهما بطيبة. على أن هذا الموظف كان يلقب «رئيس البدو» حينما يكون جنوده من سكان الصحراء لا من سكان المدن المصرية.

قائد الجيش

كانت السبيل ميسرة لكاتب المجندين أن يرقى في وظيفته إلى أعلى رتبة في الجيش، وأعني بذلك رتبة «قائد»^(٤)، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد كان كل من «ثني»^(٥) و«سات است»^(٦) و«رعمسو»^(٧) ثم «معي»^(٨) كاتب مجندين، قبل أن يصبح قائدا. وكذلك كانت الحال مع القائد الأعظم «حورمحب»^(٩)، فإنه على حسب ما وصل إلينا من المعلومات عن القابه كان في بادئ أمره «كاتب مجندين»^(١٠)، ولكن الأمثلة الأخرى

(١) راجع : Davies, "The Theban Tomb Series", Vol. V, Pl. IX.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 989 - 991. من عهد «تحتمس الثالث».

(٣) راجع : Urk. IV, P. 991 - 994.

(٤) راجع : Urk. IV, P. 1002 - 1017.

(٥) راجع : Mariette, "Abydos" II, 53. c. من عهد «أمنحتب الثالث».

(٦) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. IV, P. 21.

(٧) راجع : Ibid, V, Pl. IV.

التي لدينا لمن رقوا قوادا لا نعرف منها عن سلك ترقية في الخدمة شيئا ينحول لنا أن نحكم بأنهم شقوا طريق رقيهم المعتادة، فمن هؤلاء «^(١) تحوتى» و«بتاح معى»^(٢) الذى عاصر حكم «تحتس الرابع» و«أمنحتب» فى عهد «أمنحتب الثالث»^(٣) ثم «باآتون»^(٤) — محب «، ولم يشذ عن هذه الأمثلة إلا القائد الأعظم «أمنانت»^(٥)، فانه رقى إلى رتبة قائد من الجيش العامل نفسه، وستكلم عنه فى الجزء الخاص بحياته . بعد عصر العمارنة ، ولا بد أن نلاحظ هنا أنه قد ظهر عدة قواد فى وقت واحد فى البلاد ، وليس هذا بغريب فقد كان بطبيعة الحال لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى قائد قائم يقود الجنود المدربين ، وهم الذين كان لا يوجد منهم إلا نفر قليل فى المعسكرات ، وهؤلاء هم الذين كانوا فى أغلب الأحيان يعفون من الضرائب التى كانت تفرض على إقطاعاتهم . أما مكانة القائد بين كبار رجال الدولة فقد عرفناها من منظر على جدران مقبرة «رئيس الكهنة» فى عهد الفرعون «توت عنخ آمون»^(٦) يمثل مقر الإدارة العامة، فنجد الوزير يحتل المكانة الأولى، ثم يأتى بعده «مدير أملاك الفرعون»، ثم «مدير المالية فمدير محكمة العدل»، وخلف

(١) تحوتى (راجع Urk. IV, P. 999) من عهد «تحتس الثالث» وكان يحمل الألقاب التالية : كاتب الملك الحقيقى ، المشرف على البلاد الأجنبية الشمالية والمشرف على الحامية والقائد .

(٢) بتاح معى (راجع Rec. Trav. X, P. 150) من عهد «تحتس الرابع» ويحمل الألقاب التالية : كاتب الفرعون وقائد رب الأرضين .

(٣) أمنحتب (راجع Champollion, "Not. Desc.", I, P. 161) ويحمل لقب قائد جيش رب الأرضين .

(٤) باآتون محب (راجع Davies "El Amarna", V, P. 15, Pl. XIII) من عهد أمنحتب الرابع، ويحمل الألقاب التالية : كاتب الفرعون وقائد رب الأرضين ، ومدير الأعمال فى إخناتون ومدير البيت .

(٥) راجع : A. Z., P. LXVII, P. 78.

(٦) راجع : Erman, A. Z., XXXIII, P. 32 ; A. Z., LX, P. 56.

هؤلاء يأتى « مدير مكتب الوزارة » فدير بيت المال (وهو تحت إمرة مدير
المالبة) ، ثم يأتى بعد كل هؤلاء « القائد » . ومما هو جدير بالذكر هنا أن هؤلاء
القواد كانوا فى عهد « إخناتون » يرقون إلى وظيفتهم هذه من وظائف كتابية
وحسابية . والواقع أن القائد لم يكن المجال نسيحا أمامه ليستعمل مواهبه ودرايته
الحربية قط ، على أنه إذا أتيت له الفرصة ، فانه كان يفوق مدوه فى الحال ، لأن
ثقافته كانت أكبر عون له على ذلك ، إذ كان من واجبات القواد أن يعرفوا طرق
مواصلات جنودهم ، والاعتناء بجراياتهم ، وعدد الجنود اللازمة لهم ، هذا إلى أن
الجيش المصرى لم تكن مهمته القيام بالحروب وحسب ، بل كان فى أغلب الأحيان
يستعمل فى إنجاز مشاريع البناء ، ونقل الأحجار اللازمة لأعمال الدولة ، ومن ثم
كان من الضرورى للقائد أن يكون ملما بكل ما يتعلق بهذه الأمور ، مما جعل
الأعمال الحربية المحضة تتضاءل أمام الواجبات الأخرى ، التى كان يضطلع بها
القائد لتنظيم تلك الأعمال وتنفيذها . من أجل ذلك تعدد لنا ورقة « انسطاسى »^(١)
رقم ١ المعلومات التى كان يجب على كل موظف حربى أن يلم بها ، وفى قدرته
حل معضلاتها إذا واجهته . وأهم شئ لفت إليه النظر مؤلف هذه الورقة ،
هو ما كان يجب أن يقوم به القائد من أعمال البناء قبل قيامه بحملته ، فيجب على
القائد أن يحسب حساب الجرايات اللازمة للرجال لحفر بحيرة أبعادها معلومة ،
أو لأجل نقل مسلة ذات أبعاد معينة وحجم معين ، وكذلك حساب متزلق لأجل
بناء ما ، وكذلك عدد الرجال اللازمين لإقامة تمثال ضخم ، وبجانب هذه الأعمال
يوجد عمل آخر خارج عن الأعمال الحربية ، ولكن لا يختلف فى جوهره عن
الأمور السابقة ، وهذا العمل هو توزيع حركات الجيش ، والمؤن اللازمة للحملة
مسافرة إلى بلاد « سوريا » ، هذا فضلا عن أن كاتب هذه الورقة يفرض فى وثيقته
هذه على كل موظف حربى ، أن يكون عالما بتخطيط البلدان التى سيتدخل فيها لهيب

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء الأول ص ٣٧٨ — ٣٩٥ .

الحرب، وأن يكون عالماً ببلغة أهلها، وأن يكون في المستوى العلمى الذى تتطلبه وظيفته العالية .

على أن ما يدعو إلى الدهشة فى هذه الورقة التى ترجع إلى عهد الرعامسة إن الجزء الهام الخاص بمشروعات العمارة الذى كان لزاماً على الموظف الحربى أن يسهم فيه لم يأت ذكره حتى عهد « أمنحتب الثالث »، إذ لم نجد بين ألقاب هؤلاء الموظفين لقب « مدير كل مباني الفرعون »؛ على أن هذا اللقب لا يدل على أن حامله كان مسئولاً عن أعمال هذه المصلحة الحكومية وحسب، بل كان على حسب المبدأ المصرى فى الوظائف يدير أعمالاً أخرى كثيرة، فكان يحمل هذا اللقب رئيس الوزراء، ووزير المالية ومدير بيت المال، ورئيس كهنة « آمون » والكاهن الثانى، ومدير الأملاك والمعابد، وحاكم « طيبة ». وهؤلاء الموظفون كلهم لهم علاقة بأنظمة المباني، ولذلك يلقب كل منهم « بالمشرف على المباني »؛ ومع هذا فإنه كان ينظم هذه الإدارة، ويترك أمر الإشراف عليها لكاتبه . والواقع أن الإشراف الحقيقى عليها كان موكولاً لضباط معينين، فنشاهد مثلاً فى « سرابة الخادم » فى شبه جزيرة « سينا » أن قائد حصن « سيلة » (تل أبو صيفه الحالية) المسمى « نبي »^(١) أو قائد مصب النيل^(٢)، كان يقوم كل منهما بقيادة حملة، ويلقب « بمبعوث الملك »، ومع ذلك فإنه لم يلقب واحد منهما بلقب « مدير المباني »، أو ما يشبه ذلك تشريفاً له، على ما قام به من خدمة أخلص فى أدائها، وأدهش من هذا أن رئيس البعثة، أى القائد الذى كان يشرف على نقل الأحجار بجنوده فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لم يحمل هذا اللقب كما كان يحمل القائد فى عهد الرعامسة . والواقع أن هذا اللقب لم يكن كثيراً الظهور حتى عهد « أمنحتب الثالث ». وكان أول موظف كبير حربى معروف يحمل لقب « مدير المباني » هو

(١) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai", No. 59.

(٢) راجع : Ibid, No. 196.

كاتب المجندين « أمنحتب بن حبو »^(١) ، وكان نفوذ وظيفته يمتد إلى كل الوجه البحرى ، وعلى ذلك كان يدير شئون المحاجر الواقعة فى « الدلتا » ، وكان العاملون فيها فرقة من الجنود. وذكر لنا فى نقوشه أنه كان مديرا لكل الأشغال الفرعونية ، ووصف لنا أعمال النقل التى كان يشرف عليها بما كان فى دائرة الموظفين المدنيين حتى الآن ، وقد ظهر تغير مدهش منذ زمن « أمنحتب بن حبو » فى تقدير مكانة الموظفين الذين كانوا يشرفون على أعمال البناء ، وقد كان النصيب الأوفر من شرف هذا العمل ينسب إلى « وزير المالية » و« مرءوسه » مدير بيت المال ، ولكن منذ عهد « أمنحتب الثالث » أصبح هذان الموظفان بالنسبة لأعمال البناء فى المؤخرة ، واحتل مكانهما الموظفون الحربيون ، إذ أصبحوا هم المشرفين الحقيقيين ، ولذلك كانوا يقدرون حق قدرهم لما يقومون به فى هذا المجال . ومنذ عهد « إخناتون » كان معظم القواد ، وكاتب المجندين ، يحملون لقب « مدير كل الأعمال الملكية » ، نذكر منهم فى حكم « أخناتون » القائد « معى »^(٢) والقائد « باآتون محب »^(٣) وفى عهد « حور محب » نذكر القائد « أمنانت »^(٤) ومن المحتمل أن « حور محب » نفسه كان يحمل لقب « كاتب المجندين » ولقب « مدير الأعمال الملكية فى محاجر الجبل الأحمر »^(٥) قبل أن يكون قائدا للجيش ، وبينما نجد أن أكبر موظف كان يحمل هذا اللقب بالإضافة إلى لقبه الأصلى ، إذ بنا نجد فى خلال الأسرة التاسعة عشرة أن قواد الفرق كان كل منهم يحمل اللقب نفسه عندما تكون الفرقة التى يشرف عليها تقوم بقطع الأحجار ونقلها ، ونفهم مما

(١) ثم لقب بهذا اللقب « حور محب » فى عهد تحتمس الرابع (مدير مبانى آمون) لا بوصفه كاتب المجندين بل بوصفه مدير كهنة كل الآلهة .

(٢) راجع : Davies, "El Amarna" V, Pl. I.

(٣) راجع : Ibid, V, P. 15.

(٤) راجع : A. Z. LXVII, P. 78.

(٥) راجع : Brit. Mus. No. 463.

جاء في ورقة «أنسطاسي» الأولى الهجائية، وهي التي تنسب إلى عصر الرعامسة أن عمل قطع الأحجار كان عملا حرييا محضا . وكان ولي العهد هو القائد الأعلى للجيش ، وله اليد العليا في الإشراف العام عليه ، ومن بعده يأتي القائد ، وهو الذي كان ينظم نقل الأحجار . من ذلك نفهم أن هذا الميدان قد أقفل في وجه كل الموظفين إلا رجال الجيش ، فكان في يدهم إدارته ، وكانت دائرة الموظفين الذين يعملون في إدارة الجيش محددة ، فالموظف الذي يشغل وظيفة « كاتب » كان يرقى بعدها إلى « مدير كتاب جنود » ، ثم إلى « كاتب مجندين » وبعدها يرقى قائدا . وهذه حقيقة هامة يجب ملاحظتها لأننا سنرى فيما بعد أن بعض الموظفين غير الحربيين قد احتلوا هذه الوظيفة . والآن نتساءل من أى طبقة من طبقات الشعب نبت هؤلاء الموظفون الحربيون ؟ والظاهر مما سبق أن هؤلاء الأفراد الذين انخرطوا في سلك الجندية لم يكونوا من أبناء كبار الموظفين ، أى أنهم ليسوا من علية القوم ونخبته ، إذ لم نجد بين كل الموظفين الحربيين واحدا كان والده من عظماء رجال الدولة أو من الكهنة ، ولذلك نلاحظ أن الجلم الغفير منهم كان لا يذكر اسم والده ، مما يدل على أنه لم يكن ينسب إلى أب ذى أرومة رفيعة الأصل ، وإذا حدث وذكر واحد منهم اسم والده ذكره مجزءا عن كل لقب ، هذا إلى أننا لم نصادف واحدا منهم ورث وظيفته عن والده إلا في كتاب الجيش وأبرز أسرة نال رجالاتها شهرة عظيمة من أول أمرهم هى أسرة « أمنحتب » كاتب المجندين ، ومدير بيت الفرعون العظيم فى عهد « أمنحتب الثالث » فى « منف » ؛ فقد كان أحد إخوته الوزير « رعموسى » وكان أخوه الثانى « معى » قائد الفرسان ، ومع كل ذلك فإن كل واحد منهم قد أغفل ذكر والده « حبو » ، اللهم إلا فى مناسبات نادرة جدا ، وفى هذه الحالة كان يذكره عاريا عن أى لقب شرف . وهذا دليل على أن رجال هذه الطبقة من الموظفين كانوا من الطبقة الوسطى ، وربما كان هذا

هو السبب الذى لم يجعل كبار الموظفين يرغبون فى الانخراط فى سلك الوظائف الحربية ، ومع ذلك فإن من الأمور المحببة إلى نفس الموظف الذى لم يكن قد نشأ من دوحة عريقة فى المجد أن يفتخر بأصله الوضيع فيذكر ذلك جنباً إلى جنب مع ما ناله من الإنعامات الملكية والوظائف العالية التى رفعة إليها الفرعون لمّا قام به من عظيم الأعمال فى ميادين القتال وغيرها من نواحي الحياة الأخرى ، ولا أدل على ذلك من القائد ^(١) « معى » الذى كان يتغنى بكراً أصله الوضيع ، وبما حباه الفرعون من رفع شأنه على ما أتاه من عظيم الأعمال وما تحلى به من جميل الخصال والمقدرة الفذة .

القائد الأعلى

كان الفرعون الرئيس الأعلى لكل القواد كما كان هو أعلى قائد فى الجيش ، وعلى أية حال فإنه كان يظهر أمام العالم فى الوثائق الرسمية بهذا المظهر ، وكان لا يعين بدلاً منه قائداً للجيش إلا نادراً ، إذ كان لا يحدث ذلك إلا فى الحملات الصغيرة التى كان يتولى قيادتها « نائب الملك » فى بلاد « كوش » ^(٢) (ابن الملك) . وحقيقة الأمر أن الفرعون كان يعين نائباً عنه أو ممثلاً له ، يقوم بكل ما يقوم به القائد الأعلى ، وكانت العادة المتبعة أن يعين ولى العهد فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، كما كانت الحالة فى عهد الدولة الوسطى . وفى عهد « تحتمس الأول » مثلاً كان أكبر أولاده « أمنس » ^(٣) هو القائد العام لكل الجيوش ، إذ وجدت وثيقة تبرهن على ذلك جاء فيها : « بكر أولاد الملك القائد الأعلى لجيوش والده « أمنس » . وقد عثر على هذا النقش مدوناً على صندوق صغير من الحجر فى معبد « بواهل » ، وأول هذا النقش — وهو كل ما تبقى من الوثيقة — يشبه فى مغزاه

(١) راجع : Davies, "El Amarna", V, P. 4, Pl. IV.

(٢) راجع : Breasted, A. R. II, § 851-55 ff.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 91.

لوحة « تحتمس الرابع » المقامة في معبد « بو الهول » إذ يقص علينا موضوعا مماثلا لما جاء على هذه اللوحة فيقول : ” وخرج الأمير في عربته ليسافر للتدرب على الرماية بالقوس والنشاب “ ثم يلى ذلك قصة حلم بجوار « بو الهول » . والواقع أن حملات الصيد التي كان يقوم بها ولى العهد لم تكن لمجرد التسلية وحدها بل كان لها غرض آخر ، وهو التدريب على الرماية حتى يكون أهلا لقيادة الجيش ، ولا أدل على ذلك مما جاء على اللوحة التي كشفت عنها حديثا بجوار « بو الهول » للفرعون « أمنحتب الثانى » وقد وصف فيها قدرته على التجديف ، وركوب الخيل وإصابة المرمى مما سبق ذكره في موضعه .

وهذه الأقاصيص تدل دلالة واضحة على أن الفرعون كان يرسل أكبر أولاده لينوب عنه في قيادة الجيش العليا في « منف » التي كانت تعد القاعدة العامة للجيش ، ولذلك كان لزاما على ولى العهد بوصفه القائد الأعلى أن يتدرب علميا على الفنون الحربية ، وكانت العربية وقتئذ أحسن أداة للحرب^(١) . ومن المحتمل جدا أن أولياء عهد غير من ذكرنا كانوا يشغلون مركز القائد العام للجيش ، وإن لم تسعفنا الوثائق بما يثبت ذلك . وقد ظهر في عهد « أمنحتب الثالث » أمير صغير يحمل لقب « ابن الملك القائد العام للجيش » اسمه « نخت مين »^(٢) . أما في عهد « أمنحتب الرابع » فلا نعرف من كان القائد الأعلى ، لأن هذا الفرعون لم يعقب ذكرا . هذا إلى أن خطابات « تل العمارنة » لم يأت فيها ذكر لاسم القائد العام . ومما لاشك فيه أن « حور محب » لم يكن وقتئذ قائدا أعلى للجيش ، إذ لم يأت اسمه

(١) وقد كان رجال سلاح العربات والرجالة معسكرين في الصحراء الواقعة بجوار « منف » للتمرين على الأعمال الحربية . (اقرأ المناظر التي تدرب فيها الجنود بالتى نشاهدها على جدران مقبرة الصائغ « أبوى »)

Quibell, "Excavations at Sakkara", VIII, Pl. XII.

(٢) راجع : "Rec. Borchardt, "Statuen und Statuetten", 779;

Trav.", XXVIII, P. 177; XXIX, 225 - 6.

في النقوش بما يدل على ذلك . ومن الجائز أن « تحوتي مسو »^(١) الذي كان يحمل وقتئذ لقب « قائد الجيش الأعلى » ، وكذلك لقب « الإمارة » كان يشغل هذا المنصب ، وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن سوطه قد وجد في حجرة دفن الفرعون « توت عنخ آمون » . أما في عهد « توت عنخ آمون » نفسه فقد تولى هذا المنصب الرفيع « حور محب » ، وكان مركز قيادته مدينة « منف » كما سيأتي ذكره . ولقد كان لتعيين أفراد من غير الأسرة المالكة في هذه الوظيفة الحربية - وهي التي كانت حتى الآن لا يشغلها إلا ولي العهد أو أمير - أول مبرر لاتخاذ الخطوة الأولى لقيام الأسرة التاسعة عشرة واختفاء الأسرة الثامنة عشرة .

وظائف المسنين

لقد كانت السنة المرعية حتى عهد « إخناتون » أن يحال كل موظف حربي إلى المعاش بما في ذلك القائد الأعلى للجيش ، إذا كان من غير البيت المال . غير أن الفرعون لم يترك أصحاب الكفايات منهم يتقاعدون نهائيا ، فقد كان يوجد للكفاء منهم عملا مفيدا في وظيفة ما من الوظائف التي تليق برجل عظيم حنكته التجارب ، وضحى بثمرة حياته في خدمة بلاده والذود عن حياضها ، فكان القائد مثلا يعين بعد تقاعده عن العمل في الجيش في وظيفة « مدير أملاك » وغالبا ما كان يعين مدير أملاك الفرعون نفسه ، أو مدير أملاك إحدى نساء البيت المال ، وبذلك يصبح وفي يده وظيفة تشعر بالثقة في شاغلها ، وأحيانا كان يعين الواحد منهم مديرا لأملاك المعبد ، ويتساوى في هذا معبد الإله أو معبد الفرعون نفسه ،

(١) راجع : Carter, "Tomb of Tutankhamon", Pl. III, P. 121.

قد يجوز أن هذا القائد هو نفس الأمير والكاهن « سم » والكاهن الأكبر لاله « تحوتي مسو » الذي عثر على قبره في « منف » ويحتمل أن يكون ابن « أمنحتب الثالث » (٩) . اقرن بذلك ما ذكره « دارسي »
A. Z., LXVII, وفي J. E. A., XIV, P. 83 وفي "Rec. Trav.", XIV, P. 174.
P. 8.

وهذا المركز كان يستمد سلطانه من الحكومة التي تضمن من جانبها للموظف المتقاعد معيشته المادية ، فتجعل له دخلا يضمه إلى معاشه . وبهذه الطريقة كانت الحكومة تضم دخل المعابد فتستولى على بعض رأس المال الذي كان محجوبا عنها اغتصابا . ففي عهد « إخناتون » كان مدير أملاك الفرعون هو القائد (با - آتون^(١) - محب) وكان القائد « معي^(٢) » مدير أملاك « بيت آتون » كما كان في الوقت نفسه « مدير أملاك معبد رع » في عين شمس .

وكان « أمنحتب بن حبو » في آخر مجال حياته مدير أملاك أكبر بنات « أمنحتب الثالث » « سات آمون » وهي التي قد تزوجت من والدها كما نقص علينا النقوش ، وبذلك بقي « أمنحتب بن حبو » مدير أملاكها بعد زواجها .^(٣) وكان مدير أملاك الملكة « تي » زوج « أمنحتب الثالث » كاتب حربى يدعى « نخت مين »^(٤) . أما في إدارة أملاك المعابد فكان يتولى شئونها القائد « ساست^(٥) » بوصفه مديرا لمعبد الإله « أوزير » في عهد « أمنحتب الثالث » بالعراية . وكذلك كان يتولى نفس الوظيفة في المعابد الجنازية لكل من الفرعون « أحسن » و « تحتمس الثالث » ثم « تحتمس الرابع » ؛ وكان « رع - مسو » قائد الفرعون « إخناتون » مديرا لمعبد « أمنحتب الثالث »^(٦) الجنازى وكذلك كان « أمنانت » قائد الفرعون « حور محب » مديرا لمعبد « تحتمس الثالث »^(٧) ، وقد ثبت أنه حتى كاتب الجنود « سبك نخت »^(٨) كان يشغل وظيفة « مدير أملاك معبد

(١) راجع : Davies, "El Amarna", V, P. 15.

(٢) راجع : Ibid. V, P. 1.

(٣) راجع : Legrain, "Statues", No. 42127.

(٤) راجع : Louvre, C. 203.

(٥) راجع : Mitt. Deutsch. Inst. Kairo", VI, P. 38.

(٦) راجع : Davies, "El Amarna", V, P. 21, 22.

(٧) راجع : Ranke, A. Z., LXVII, P. 78.

(٨) راجع : "Rec. Trav." IV, P. 132.

آمون» ، ولكن هذا العمل كان فريدا في بابيه في خلال الأسرة الثامنة عشرة، فقد كانت العادة أن يعين الموظف الحربى القديم بعد انتهاء مدة خدمته في الجيش العامل في وظيفة إدارية، وقد بقى هذا النظام متبعا إلى عهد الرعامسة، إذ ذكر لنا في ورقه «هرس» رقم ١ أن أملاك المعبد كانت تحت إدارة رجال من قواد الجيش الذين أحيلوا إلى المعاش^(١)، ومن الغريب المدهش أن الوظائف التى كان يتولى إدارتها المتقاعدون من الموظفين الحربيين لم تكن ذات أهمية كبيرة . وتدل الظواهر على أن المصالح الحكومية والإدارات التى كان فيها للتعليم أو التخصص وشرف المحتد شأن، كان يقصى عنها المتقاعد، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا «حور محب» كاتب المجندين في عهد «تحتمس الرابع»، فقد كان على اتصال وثيق بالبيت المالك، إذ عينه سيده «تحتمس الرابع^(٢)» مربيا لإحدى بناته ورقاه في الوقت نفسه على ما يظهر إلى رتبة «قائد فرسان»، إذ كان يجد فيه خادما مخلصا، فهو الذى قاد جيوش الفرعون لمحاربة كهنة «آمون» لأول مرة . وقد وصفت هذه الحروب على إحدى لوحات الحدود التى أقامها «إختاتون» على تخوم بلدة «إختاتون» عاصمته الجديدة، غير أن هذا النقش قد وصل إلينا مع الأسف مهشما، ولم يبق منه إلا بعض كلمات تمكنا أن نتلمس منها ما كان يقصده هذا الفرعون^(٣): [... أعمال الكهنة لا بد كانت أقبح مما سمعت «إختاتون» في العام الرابع وكانت أقبح مما سمعت عام [.....] ... وكانت أقبح مما سمع «أمنحتب الثالث» بل كانت لا بد أقبح مما سمعه الفرعون «تحتمس الرابع» .] ويفهم من هذه الجمل المبثورة الأدوار التى تقلب فيها النزاع بين الفرعون وبين رئيس كهنة «آمون» في خلال الأسرة الثامنة عشرة، أن هذا الخلاف بدأ في عهد

(١) راجع : Pap. Harris I, 61 a, 12; 61b, 1-2; "Kees", A. Z., LXXIII,

P. 86; A. S., XI, P. 172 (XIX Dynasty).

(٢) راجع : Bouriant, "Mem. Miss. Arch. Franç. V, P. 413 - 434.

(٣) راجع : Davies, Amarna, V, P. 28 ff. Line 20 21; A. Z. LV, P. 4.

« تحتمس الرابع » ، وقد كان هذا الكاهن الأعظم يلقب برئيس كل كهنة آلهة الوجه القبلي والوجه البحري^(١) .

على أننا لا نعلم بالضبط من النقوش مقدار نفوذ هذه الوظيفة لأنه لم يصل إلينا نص صريح في ذلك ، ومع ذلك يمكن القول بأن صاحبها كان يسيطر على وظائف الكهانة في طول البلاد وعرضها ، وعلى مرافق الكهان الحيوية والاقتصادية في كل مقاطعات القطرين ، وكانت هذه الوظيفة حتى عهد « تحتمس الرابع » في يد رئيس كهنة « آمون » في « طيبة » ، ولكن لما أعلن هذا الفرعون الحرب على الكاهن الأعظم وانتصر عليه استولى على هذه الوظيفة وقلدها « حور محب » كاتب المجندين ، ومربي الأميرة ابنة الفرعون لما كان يعهده فيه من الإخلاص والولاء . ومن ذلك يتضح أن الفرعون قد عاد ثانية واتخذ من موظفي الجيش رجلا من المخلصين له يقوم بأعباء هذه الوظيفة الخطيرة . على أن تولى « حور محب » منصب رئيس كهنة القطرين لم يمهله الحرب بين البلاط والكهنة ، إذ أعادها ثانية « أمنتب الثالث » للكاهن الأعظم للإله « آمون » (بتاح مسو)^(٢) ولكنه لم يلبث أن نزعا مضطرا من كهنة « آمون » ثانية كما لمح بذلك « إخناتون » في لوحة الحدود السالفة الذكر ، وقلدها هذه المرة الكاهن الأعظم للإله « بتاح » بمنف ، وهو « تحوتي مسو » ابن « بتاح مسو » السابق الذكر ، وكان يرمى من وراء ذلك أن يبعد هذه الوظيفة عن كهنة « آمون » بطيبة مقر حكمه ، وبذلك يستريح باله من مناوآتهم ومشاركتهم إياه السلطة . وسنرى فيما بعد أن هذا الفرعون أقصى كذلك « مدير البيت العظيم » للأملاك الفرعونية عن مقر ملكه ، وجعل مركزه « منف » عندما شعر بازدياد سلطانه ونفوذه في العاصمة ، لذلك نجد أن « مدير

(١) راجع : A. Z., LXVII, P. 7 ; LXXII, P. 68.

(٢) راجع : A. Z., LXXIII, P. 60.

(٣) راجع : A. Z., LXVII, P. 7.

البيت العظيم « للأُملاك الفرعونية « أمنتخب » ثم « إبي » من بعده كان يتكلم في صراحة عن مقر وظيفته في « منف » ، ومن ثم أصبح نفوذ هذه الوظيفة محدودا . أما منصب رئيس كهنة كل القطرين فقد عادت بلا شك في أواخر عهد « أمنتخب الثالث » إلى « طيبة » وكان يديرها الوزير « رعموسى »^(١) .

وخلاصة ما سبق ذكره عن مجال حياة الموظف الحربى وما كان يقوم به من الأعمال بعد التقاعد ، أنه كان لا يعدّ في سلك كبار الموظفين ، وإن كان صاحب سلطان مدّة خدمته العسكرية ، ولا يمكن التقليل من شأنه ، غير أنه عندما كان يترك العمل في الجيش ، لم يكن يقلد وظيفة ذات نفوذ محس ، وذلك لأنه لم يكن من فئة الموظفين الذين كانت تسند إليهم وظائف ذات نفوذ في البلاط الفرعونى ، أو الذين كان لهم قوّة عظيمة خارج حدود وظيفتهم في أواخر الأسرة الثامنة عشرة ، مما يمهد لهم الطريق للاستئثار بالسلطة لأنفسهم ، لذلك كان يلزم للوصول لجمع كل السلطة ، والقبض على زمام الأمور في البلاد صنف آخر من رجال الجيش ، وهؤلاء هم رجال الجيش العامل .

جندى الميدان

يجب أن نستعرض هنا أولا باختصار أطوار حياة ضابط الميدان أيضا . كان الجندى يقترع من بين طائفتين مختلفتين من الشعب ، فطائفة منهم كانوا يجندون من بين أولاد الجنود القدامى ، وهؤلاء كان لزاما عليهم أن يحملوا محل آبائهم ، وكانوا أحيانا يحتلون مرا كرمهم ، وطائفة أخرى كانوا يجندون من بين الشبان الذين قضوا فترة طفولتهم في البلاط الفرعونى يتلقون العلم ويدربون مع أمراء البيت المالك أنفسهم ، فكانوا بذلك يؤلفون فرقة مختارة من الغلمان المثقفين ، ومن ثم نشأت العلاقات الشخصية بين الفرعون وضباط الميدان ، وهذه العلاقات كان لا ينقطع

(١) راجع : Weil, "Die Veziere des Pharaonen reiches", P. 86.

سببها في الميدان ما دام الفرعون يقود جيشه في ساحة الوغى، وهذه الوسيلة كانت سببها هاما لا يستهان به في ترقية هؤلاء الضباط، لأن الفرعون كان قد تربى معهم في صغره، كما كان يقودهم في رجولته.

وكان آباء هؤلاء الأطفال الذين يشتون في صغرهم في بلاط الفرعون يحملون لقب «غلام بيت التعليم الفرعوني» أي الأطفال الذين تعلموا مع الأمراء في قصر خاص في أثناء طفولتهم. وكان هؤلاء التلاميذ يحملون هذا اللقب بكل نخار وكبرياء مدة رجولتهم ويدعون به كما كانوا يحملونه وهم لا يزالون غلمانا، فكان «سن من»^(٢) أخو «سمنوت» أكبر رجل في الدولة في عهد الملكة «حتشبسوت» يلقب بهذا اللقب، على أن موجه تحقير كل فرد غير موظف جعلنا نفهم بداهة أن السواد الأعظم من هؤلاء الأطفال كانوا ينتسبون إلى طبقة صفار الموظفين والكهنة والمستخدمين، إذ نجد والد أحدهم كان كاتب ثيران^(٤)، وآخر كان والده حارس باب الإدارة، وثالثا كان والده رساما الخ. ولكن لما كان معظم أولاد الأمراء الذين كانوا في المرتبة الثانية بين الأمراء يصبحون ضباطا عاملين في الجيش^(٥) كان الجح

(١) راجع : Gardiner and Weigall, "Topographical Catalogue of the Private Tombs at Thebes, P. 38, No. 241.

(٢) وقد خص هذا اللقب بعض العلماء (راجع Bergmann, "Rec. Trav." XII, P. 11 - 12; Lefebure, P. S. B. A., XIII, P. 458; Loret, P. S. B. A., XIV, P. 205; Gardiner, P. S. B. A., XXXIX, P. 32; Gauthier, B. I. F. A. O., XV, P. 197; XVI, P. 178.

(٣) راجع : Davies, "Five Theban Tombs", P. 31; P. S. B. A., XXXV, P. 283.

(٤) راجع : Helck, "Der Einfluss der Militärführer in der 18 Agyptischen Dynastie", P. 34, note 4.

(٥) مثال ذلك «إبنى» من عهد «حتشبسوت» (Urk. IV, P. 465) و«وين تب كار» (راجع Holscher, "Chefren - Heiligtum", P. 108) وكلاهما كان قائد فرسان.

الغفير من هؤلاء الغلمان المدربين أولاد الطبقة الدنيا ينخرطون معهم في هذا السلك^(١) الحربي، هذا إلى أنهم كانوا يشغلون معهم مراكز صغيرة تتناسب مع طبقتهم في البلاط الفرعوني^(٢) يضاف إلى ذلك أنه قد ظهر بين هؤلاء الغلمان عدد ضئيل جدًا ممن كانوا يشغلون وظائف حكومية^(٣)، هذا إلى أنه كان يوجد بينهم بعض الأجانب ويحتمل جدًا أنهم أرسلوا رهائن إلى مصر، وقد شغل بعضهم فيما بعد وظيفة مرب في البلاط الفرعوني، فكان الواحد منهم يحمل مع وظيفته الممتازة لقب مرب لأميرة أو أمير في القصر. وقد كان عدد هؤلاء المربين عظيمًا جدًا في عهد الأسرة الثامنة عشرة^(٤).

أما عن كيفية تعليم هؤلاء الصبية فلم نجد في الرسوم التي عثر عليها حتى الآن إلا صورًا تمثل تدريبهم على الرماية^(٥) بالقوس والنشاب. وعلى أية حال فإن أحسن ما كان يتفانح به الملوك في هذا العصر هو التدريب الرياضي كما جاء في لوحة «أمنحتب الثاني» التي كشفنا عنها حديثًا بجوار «بو الهول» وتكلمنا عنها، وكان هؤلاء الغلمان يشاطرون الملوك في هذا التدريب.

-
- (١) مثال ذلك الفارس «أمنحتب» (Urk. IV, P. 899) من عهد تحتمس الثالث، وحامل العلم (nbnkmt) نبكت (راجع. Urk. IV, P. 996)، وحاكم «سيلة» المسمى «نبي» (راجع. Gardiner and Peet, "Sinai", No. 59)، والفارس «باسر» (L. D. Texts, III, P. 274) من عهد «أمنحتب الثاني»، وحامل العلم «أون أرتي» (Iwn - irti) (راجع. "Rec. Trav." IV, P. 136 من عهد الأسرة الثامنة عشرة).
- (٢) ففي عهد «تحتمس الثالث» نجد الساقى «منتوأوى» (mntw iwi) (المقبرة رقم ١٧٢) والساقى «نقربرت» (Cairo Mus. 42121) وحامل المروحة «ماى حربى» (Myhrpry).
- (٣) مثال ذلك «وسرسات» Wsr-satt نائب الملك في بلاد كوش من عهد «أمنحتب الثاني» (راجع. "Rec. Trav." XXXIX, P. 192)، وحاسب الخبز «وسرحات» من عهد أمنحتب الثاني أيضا (المقبرة رقم ٥٦).
- (٤) وقد ذكرنا معظمهم أثناء سردنا لحوادث ملوك هذه الأسرة.
- (٥) راجع ما ذكرنا عن «مين» مدرب الفرعون «أمنحتب الثاني» (الجزء الرابع ص ٦٤٥).

وأما حياة الضابط العامل في الميدان فكانت عادية ، إذ كان يبدأ مجاله في الجيش جنديا بسيطا في أحد الفرق . لعسكرة في حامية من الحاميات أو في سفينة من السفن ، وكان يعرف بجندى تابع لفرقة كذا بحامية كذا ، أو جندى تابع لبحارة كذا في سفينة كذا ، ثم يرقى بعد مدة إلى رتبة حامل العلم في فرقته ، أو على ظهر سفينته ، وعندئذ كان يلقب حامل العلم في فرقة كذا أو حامل العلم في سفينة بحارة كذا .

وتدل كل النقوش على أنه لا توجد رتبة بين لقب الجندى ولقب حامل العلم . وقد ظهر في النقوش التي عثر عليها أن حامل العلم كان يقود فرقة يبلغ عددها في عهد الرعامسة ما لا يقل عن مائتي جندى محارب^(١) ، وهذه الفرق كان كل منها يحمل اسما خاصا بها بعضها يركب تركيبا مزجيا مع اسم الملك ، وكان لكل منها علم يختلف عن الأخرى وتدل الشواهد على أن جنودها كانوا مصريين لا أجانب ، وكانت تنظم فرق خاصة من المصريين لتقوم بأعمال الشرطة وحرس الفرعون الخاص ، وهذه الفرق كانت دائما تحت السلاح ، ولم يدخل في عدادها الفرق الجنود المرتقة الذين كان يؤتى بهم من الخارج ، ولكننا لا زلنا إلى الآن نجهل العلاقة التي كانت بين ضباط فرقة ما وموظفيها ، ولسنا متبئين حقا — إلا إذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها — فيما إذا كان يوجد بجانب حامل العلم قائد للجنود البرية كما هي الحال في السفن أولا ، إذ نجد مع حامل علم السفينة مديرا للبحارة^(٢) كما هي الحال في مقبرة « حوى »^(٣) حيث نجد قائدا وحامل علم يقودان بحارة السفينة .

أما الخطوة الثانية في مجال رقى الضابط العامل بعد رتبة حامل العلم فهي ترقيته إلى رتبة « فارس » وقد وضعنا هذه النقطة عند ذكر الوظائف التي جاءت مرتبة

(١) راجع : Pap. Turin IV, 6 - 7.

(٢) راجع : (Urk. IV, P. 8.).

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Huy", P. 13.

(٤) راجع : J. E. A., Vol. XIII, P. 193 ff., line 35, 42.

على حسب تدرجها في مرسوم « نوري » الذي صدر في عهد « سيقى الأول » وكذلك جاء هذا الترتيب على نفاذة^(١) ، غير أننا نلاحظ في مرسوم « نوري » وجود رتبة أخرى قبل رتبة فارس ، وعلى ذلك يكون مجال رقى الجندي كما يأتي : أولا حامل العلم ثم رئيس اصطبل ثم رتبة فارس .

وكان الفارس يظهر بوصفه قائد جنود في الحاميات التي على حدود الدولة أو في المقاطعات . على أننا لا نعرف بصفة قاطعة إلى أي مدى كانت سيطرة هذا القائد على الجنود الأسرى ، كما لا نعرف على وجه التحقيق عدد الفرق التي كانت بقيادته ، هذا إلى أننا لا نعرف إذا كان الجنود الذين كانوا بقيادته يشملون جنودا مرتزقة من غير المصريين أو أن كل ما يقودهم من جنود كانوا مقسمين فرقا تحت إمرة حامل العلم . وقد سبق الكلام عن مكانة هذا الفارس أو القائد بوصفه قائدا لمعاقل الحدود في الشمال الشرقي للدلتا^(٢) . أما في بلاد النوبة فكان يعمل هذا الفارس بإمرة نائب الملك في « كوش » ، وكان يحمل هناك اللقب الثانوي « مدير البلاد الأجنبية الجنوبية » وكان في الوقت نفسه يحمل لقب قائد معقل في النوبة^(٣) .

أما في « سوريا » فكان القائد يحمل لقب « قائد ، ومدير البلاد الأجنبية الشمالية » أي قائد الجنود الذين كانوا يسكرون في المدن والحاميات في بلاد « سوريا » . والواقع أن « سوريا » لم تكن منظمة تنظيما دقيقا كما كانت الحال في بلاد النوبة ولم يكن يحكمها نائب ملك يسيطر على عامة أمورها ، كما ذكرنا من قبل ، ومن أجل ذلك كان من أول واجبات هؤلاء الضباط أو القواد أن يراقبوا الأمراء الوطنيين الذين كان في يدهم حكم البلاد ، لهذا كان الفارس « امنسو » يطلق عليه لقب « أذنى الملك » في عهد الفرعونين « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثاني »^(٣) .

(١) راجع : A. Z., XVIII, P. 96 = Pap. Lansing, 9, 4 - 7.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. VI , P. 73 ; Ibid. III, P. 155, 184.

(٣) راجع : Davies, "The Theban Tombs Series", Vol. V, P. 27 - 34.

وهذا اللقب يعيد إلى الذاكرة بوجه خاص لقب « رايصو » (أى المتربص) الذى جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » التى كتبت بالبابلية، وهذا اللقب بعينه كان يعطاه قائد المدينة (معناه المتربص أو المتسمع) . وهذا الريصو كان يقابله فى المصرية وقتئذ لقب « فارس » إذ نجد أن القائد « معى » كان يلقب « رايصو » فى خطابات « تل العمارنة »^(١) وكان هو نفسه يلقب فى عهد « أمنحتب الثالث » بالمصرية « الفارس مبعوث الفرعون فى الأراضى الأجنبية »^(٢) مما يدل دلالة واضحة على أن اللقبين كانا يحملان معنى واحدا . ولكننا لا نعلم بصفة مؤكدة من كان تحت إمرته . ومن الجائز أن هذه البلاد الشمالية كانت بإمرة قائد ويستند هذا الاستنباط إلى أن القائد « تحوتى »^(٣) الذى عاصر الملك « تحتمس الثالث » كان قائدا فى هذه الجهات ، وفى آن واحد كان مديرا للأراضى الأجنبية الشمالية، وبهذا يكون قد ظهر بوصفه قائدا له الكلمة العليا فى هذه الممتلكات ؛ هذا وقد وجدنا فى خطابات « تل العمارنة » أن قائدا كتب لأحد الأمراء السوريين بلهجة الأمر مما يشعر بأن القائد كان هناك هو صاحب القول الفصل، ولكن المدهش فى الأمر أن هذا القائد لم يذكر هنا ، ولم تذكر لنا خطابات « تل العمارنة »^(٤) موظفا كان يسيطر على بلاد « سوريا » سيطرة حقيقية إلا « يناخومو »^(٤) وكان يلقب « حامل المظلة على يمين الفرعون » وهو من ألقاب الشرف العالية فى البلاط الفرعونى ، على أننا لا يمكننا بأية حال من الأحوال التحقق من هذه الوظيفة التى كان يقوم بها ولا من مقر وظيفته « يريموتا » ولا شخصيته هو ، وكذلك جاء ذكر « أمنوبى »

(١) راجع : Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln", No. 261, 8, 292, 300 etc.

(٢) راجع : Brit. Mus. No. 1210. ff. A. Z. XXX, P. 299.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 999 ff.

(٤) راجع : Knudtzon, Ibid, No. 82, 6 ; 102, 105, 6 ; 116, 8 etc. and Steindorff, A. Z., XXXVIII, P. 15.

الذى كان يسيطر على ما يظهر تمام السيطرة على ممتلكات مصر في « سوريا » ، وقد جاء ذكره في خطابات « تل العمارنة » في خطاب أمير « تاعنك » باسم « أمان حتي »^(١) . والظاهر أن مقر إدارة الحكومة المصرية لهذه البلاد كان في غزة في الجنوب ، وعلى أية حال فإن كل الشواهد تدل على أنه كان صاحب السيطرة في الممتلكات « الآسيوية » في « مجدو » : كما كان له نفس السلطة في الجنوب في « غزة » . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا أى لقب من الألقاب التي كان يحملها ، ويجب أن نشير هنا أيضا إلى جنود الحاميات التي كانت خارج الحدود المصرية ، فقد كانوا على حسب ما جاء في ورقة « ساليه »^(٢) يسرون على نظام الجنود في البلاد نفسها يتألفون من جنود وضباط أعلام ومديرين ، ونذكر من وثائق الأسرة العشرين أن هؤلاء الجنود كان يشرف عليهم « فارس » ، والظاهر أنهم كانوا يقيمون هناك في مستعمرة كما يدل على ذلك مخصص الكلمة الدالة على اسمهم في موقعة « قادش » في رسوم الواقعة « بأبي سمبل » (سطر ٣٤)^(٣) . أما في عهد « تل العمارنة » فكان هؤلاء الجنود يتألفون بصفة قاطعة من جنود أجانب في كل المستعمرات المصرية كلها^(٤) ، والظاهر أن المدير المسيطر عليهم كان يحمل رتبة أكبر من رتبة « فارس »^(٥) ولم يصلنا حتى الآن من أسماء المديرين الذين كانوا يشرفون على الجنود الأجانب في الأسرة الثامنة عشرة إلا اسم القائد « تحوتي »^(٦) ويحمل لقب القائد ومدير الأراضي الأجنبية في عهد « تحتمس الثالث » أما الجنود فقد جاء ذكرهم في عهد هذا الفرعون أيضا^(٧) .

(١) راجع : Denkschr. d. Kais. Akadem. Wien. 52. (Phil.-hist. Kl.), P. 36.

(٢) راجع : Pap. Sallier I, 7, 4.

(٣) راجع : Kadesh records in Abu Simbel.

(٤) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 17 - 18.

(٥) راجع : Gardiner, "Inscriptions of Mes", P. 7.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 999.

(٧) راجع : Urk. IV, P. 656.

ومن كل هذا يمكننا أن نستخلص أن النظام الذي كان قائما في الأقاليم الغربية (لوبيّا) التي كانت تحت سيطرة مصر يشبه تمام الشبه النظام الذي كان قائما في «سوريا» ، على الأقل في عهد الأسرة التاسعة عشرة فقد كان القائد الذي على رأس القوات هو الفارس ومدير البلاد الأجنبية في «لوبيّا»^(١) .

ألقاب الشرف في الجيش

لا نزاع في أنه كان من بين هؤلاء الجنود العاملين فريسترعون النظر بما يأتونه من ضروب الشجاعة والمهارة في فنون القتال مما كان يستهوى نظر الفرعون ويتير إعجابه ، فيكافئهم على حسن عملهم وإقدامهم بما كان يعبر عنه عند المصريين بعبارة «ذهب الشجاعة» أو «ذهب الشئ» فكان الفرعون يهبه شجمان جيشه في صور تحف مختلفة الأشكال منها : مشابك ذهب ، وفتوس ، وخناجر وأساور ونياشين في صور ذباب وأسود ، وصدریات الخ . وهذه كانت أشكال هدايا الشرف المأدى ، أما الشرف الأدبي فكانت الألقاب التي يمنحها الفرعون من فاق من رجاله برحمان عقله وحسن تديره للأمر ، وأهمها لقب «شجاع الفرعون» ، غير أن ألقاب الشرف الأدبية لم تكن قاصرة على الجندي العامل ، بل كان يمنحها كذلك الموظفين الذين يصحبون الفرعون في غزواته ، ويقومون بأعمال مجيدة تدل على الشجاعة ، أو كان يناها موظف وهو يؤدي خدمته بهمة في أثناء معاملاته التجارية برعوس أموال أخذت من الأعداء^(٢) . فكان بعض الضباط يمنحون لقب «صاحب القتائم» ، وقد حمل هذا اللقب الفارس «آمون محب» الذي أصبح فيما بعد نائب الجيش (Urk. IV, P. 898) الملك في «كوش» ، وكذلك

(١) راجع : A. Z., LXIV, P. 95, Grabstein Berlin. Inschr. II, 176.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 974 ; Urk. IV, P. 32, Ibid, P. 955, P. 528.

(٣) مثال ذلك «سن نقر» وزير المالية السابق الذكر ، و «مين» الذي عاصر تحتمس الثالث

(A. Z., LXIII, P. 114.) و «بتاح مسو» الذي عاصر أمنحيب الثالث Schiaparelli, "Cat.

Florence" P. 207.

كان يتقلده حامل العلم « سو — منوت » في عهد « أمنحتب الثاني^(١) » .
ومن هذه الألقاب كذلك لقب « محارب الحاكم » (أى الفرعون) وكان يحمله
الضباط « أحس » في أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، وكان يمنح الجندي الشجاع لقب
« المحارب القديم » . وقد منح الفرعون هذا اللقب حامل العلم « نب — آمون »
وهو الذى رقى فيما بعد في عهد « تحتمس الرابع » إلى وظيفة رئيس شرطة « طيبة
الغربية » . وكان الفرعون يختار من بين هؤلاء الضباط العاملين في الجيش حاشيته
الحربية وبخاصة حملة السلاح ، فمثلا كان الأمير « إنبى^(٢) » يحمل لقب فارس ، ثم
عين فيما بعد « مدير سلاح الملك » ، على أنه كان هناك ضباط آخرون يشرفون على
شرطة الحرس الملكى مثال ذلك الفارس « باسر^(٣) » الذى عاصر « أمنحتب الثاني »
وكذلك مدير « شرطة الصحراء » « نفر خاوت^(٤) » وقد عاصر « تحتمس الثالث »
ثم الفارس « أمنحتب^(٥) » وهو الذى رقى في عهد « آمون محب » إلى رتبة نائب الملك
في الجيش وكان في الوقت نفسه المشرف على حراسة شخص الفرعون .

ومن كل هذا نستخلص أن الفرعون كان يرغب عن طيب خاطر في الاستئثار
بشغل المراكز الحربية الخاصة بنفسه مباشرة بضباط من رجال الجيش العامل .

الجندي العامل في وظائف البلاط

لم يقتصر الضباط الحربي بعد انتهاء خدمته في الجيش القائم على العمل في حاشية
الفرعون بل كان يضم إلى ذلك عملا آخر في الإدارة الحكومية في البلاط أو في تولى
إدارة شئون الخاصة الملكية ، ومن ثم نشاهد تغيرا خطيرا في النفوذ العظيم الذى
انتهى إلى بعض هؤلاء الضباط .

(١) راجع : Cone funeraire 124.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 464.

(٣) راجع : Piehl, "Recueil", I, P. 116. 1.

(٤) راجع : Urk. IV, P. 990.

(٥) راجع : Urk. IV, P. 897.

والواقع أن كل الضباط العاملين حتى الذين كانوا يحملون رتبة «فارس» لم تكن لهم وظائف، وكانوا يعتدون خارج الطبقات الاجتماعية المحترمة في نظر رجال الحكومة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، والسبب في ذلك راجع إلى أن طبقة الموظفين كانت تنظر إلى طبقة الجنود العاملين وضباطهم نظرة الأصيل للتحسيس، ولذلك كانوا يعتدون أنفسهم أرفع منزلة وأعلى قدرا، كما كان الموظفون ينظرون إلى رجال الجيش نظرة الرئيس للريوس، وذلك لأنه لم يكن بين ضباط الجيش من ينتمى إلى أسرة عريقة في المجد، ولهذا لم يرق من بين رجال الجيش إلى مناصب عالية في الحكومة غير نفر قليل شملهم عطف ملكي أو قريتهم الفرعون لما شاهدوا فيهم من الكفاية والإخلاص. ولا نزاع في أن أمثال هؤلاء الضباط الممتازين كانت تتأجج في نفوسهم نار الطموح ليثبوا إلى أعلى المراتب، وكذلك لا بد أنهم كانوا معروفين بين رجال الإدارة، غير أنه كان لزاما عليهم أن يتخلوا عن ألقابهم الحربية التي كانوا يحملونها في الجيش. وما من شك في أن هؤلاء الضباط كان لهم من الصفات الفاضلة، والأخلاق العالية، والقوة الكامنة في نفوسهم ما جعلهم يصلون إلى هذه المناصب، وما اضطر رجال الإدارة الحقيقيين إلى أن يعترفوا بكفائتهم الإدارية، ولذلك كان يستفيد الفرعون بهذه الكفايات، فكان يعين هؤلاء الضباط في مناصب متصلة به مباشرة، إما لثقتهم بهم، وإما لاعتبارات أخرى ذات أهمية خطيرة، وأهمها هو أن هذه الفئة لما كان أفرادها لا يستندون على أصل رفيع يشد أزهرهم، ولا على ممتلكات ضخمة تحمي ظهورهم، ولا على علم غزير يرفع من شأنهم فإنهم تجنبوا كل ما يحول بينهم وبين عطف ملكهم، فلم يفكر واحد منهم في أن يأتي عملا يفضي مولاة، هذا إلى أن من كان من بينهم يشغل منصبا خطيرا في الدولة من المناصب المتصلة بالفرعون لا يجسر أن يعارضه في أمر من الأمور صغرا أو كبرا. وفضلا عن ذلك كان للفرعون في الوقت نفسه طائفة من أولاد هؤلاء الضباط العاملين في الجيش في الإدارة اتصلوا به اتصالا وثيقا ليحتلوا وظائف آبائهم في مسلك الإدارة العامة للدولة.

ومما تجدر ملاحظته أن التعيين في هذا الوظائف كان في بادئ الأمر ضئيل الأهمية إذا قرنا هذه الوظائف بالمراكز التي كان يتولاها الموظفون الحربيون الذين أحيوا إلى المعاش من الخدمة العسكرية ، ففي عهد « تحتمس الثالث » مثلا نجد أن حامل العلم « آمون مسو » قد رقى إلى مدير القصر الملكي في « طيبة » ، وبقى يشغل هذا المنصب حتى عهد « أمنحتب الثالث »^(١) ، وفي عهد هذا الفرعون نفسه رقى الفارس « قن آمون » مديرا لـ^(٢)الحقول زوج الإله ، وكذلك رقى قائد حامية « سيلة »^(٣) « نبي » إلى منصب « مدير بيت الملكة » وفي عهد « أمنحتب الثالث » كان حامل العلم « سو — منوت » يشغل وظيفة « مدير الاصطبلات » ثم « مديرسفن الملك » ، وأخيرا رقى إلى وظيفة « وصيف الفرعون » . وفي عهد « حتشبسوت » تولى « سنموت » وظيفة مدير أملاك الملكة ، وبهذا المنصب أخذ يرقى حتى أصبح من أعظم رجال الأسرة الثامنة عشرة قوة ونفوذا وسلطانا . ولا يبعد أنه كان من رجال الجيش العامل ، غير أنه لم يصلنا أى لقب حربي نسب إليه ، ومع ذلك فإننا وجدنا في النقوش القليلة التي على جدران قبره ما يصف لنا أعماله في الحروب التي شنها « أمنحتب الأول » و « تحتمس الأول والثاني » وتشعر هذه النقوش بأنه كان في باكورة حياته العملية ضابطا ثم أصبح بعد ذلك موظفا ، هذا إلى أنه عندما كان يصحب الفرعون إلى ساحة القتال لم يتحدثنا عن الحرب بل كان يقص علينا نشاطه الإداري ، ولم نجد له إلا نقشا واحدا تكلم فيه عن نشاطه بوصفه ضابطا حربيا إذ يقول : ” إنه كان مواطنا ، قوى الساعد مرافقا للفرعون في البلاد الأجنبية الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية نقي الأعضاء بين القوسين ، نال ذهب الشرف^(٤) . وقد ذكر لنا « سنموت » أنه ولد من أبوين

(١) راجع : Urk. IV, P. 1021 - 5.

(٢) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai", No. 59.

(٣) راجع : Cone funeraire 123 - 4. A. S., I, P. 106.

(٤) راجع : Urk. IV, P. 399.

رقيق الحال لا يرتكان على حسب ولا نسب ، ولهذا لم يذكر لوالده أى لقب من ألقاب الشرف ، هذا إلى أنه لم ينجل من فقره ووضاعة أصله ، يدل على ذلك أن أخاه « سن من » كان غلاما فى البلاط الفرعونى ، وهذا ما يؤكده لنا « سنوت » نفسه . وتدل الأحوال على أنه قبل أن يتولى منصب مدير أملاك « حتشبسوت » لم يكن يشغل أية وظيفة أخرى من وظائف الإدارة فى الحكومة ولقد تغير مركزه فى لمح البصر وأصبح ذا أهمية عظيمة على إثر وفاة « تحتمس الثانى » ، إذ أصبحت « حتشبسوت » زوجه صاحبة السلطان فى البلاد من بعده ، فقد كانت أولا الوصية على العرش لابنتها « نفورع » التى أصبحت زوجة « تحتمس الثالث » وكان زمام الأمور فى يدها منذ ذلك العهد ، وبعد هذا التغير فى الحكم أصبح يلقب « سنوت » « المدير العظيم لإدارة زوج الإله » أى الملكة .

وكان « سنوت » فى الوقت نفسه المدير العظيم لأمالك ولاية العهد « نفورع » ولكن عندما أعلنت « حتشبسوت » فى العام السابع ملكة على البلاد أصبح كذلك « سنوت » المدير العظيم لأمالك الفرعون . وقد تطورت هذه الوظيفة فى خلال الأسرة الثامنة عشرة تطورا خطيرا حتى أصبحت من أهم وظائف البلاد التى لها نفوذ عظيم فى كيان الدولة ، وقد لعب حاملها دورا هاما فاصلا فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

المدير العظيم لبيت الفرعون (مر — بر — ور)

بدهى بعد ما ذكرنا من تعيين الضباط فى الوظائف الهامة المتصلة بالفرعون نفسه أن وظيفة المدير العام لأمالك الفرعون كان ينتخب لها ضباط من الجيش العامل ، يدل على ذلك أن « قن آمون^(١) » الذى كان يحمل هذا اللقب فى عهد « أمنحتب الثانى » قد عثر له على نقش يدل على أنه كان قبل أن يكون مديرا عاما لأمالك

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. LIV.

الفرعون يحمل لقب « فارس » ، وهذا اللقب الأخير قد وجد في جزء مستور على جدران قبره ، (راجع Ibid Pl. 54) وذلك لأن هذا اللقب لم يكن من الألقاب المشرفة التي تتناسب مع رجل أصبح في مركز عظيم مثل مركز « المدير العام لأملاك الفرعون » . من أجل هذا نجد أن كل من عين في هذا المنصب الرفيع يسدل الستار على ألقابه الأولى والأخرى التي كان يحملها قبل ذلك ، حتى أصبح من الصعب علينا أن نعرف من من الذين شغلوا هذا المنصب كانوا ضباطا في الجيش ، ولكن يجوز لنا في حالة كل من « أمنحتب » الذي عاصر « حتشبسوت » و « وسر » الذي عاش في عهد « تحتمس الأول » أن نستنبط من لقب « شجاع » الذي كان يحمله كل منهما أنه كان لكليهما ماض حربي ، ولكن لا يغرب عن ذهننا أن هذا اللقب كان يمنحه الفرعون كلا من الجندي العامل ، والموظف المدني على السواء لما كانا يأتياه من جليل الأعمال كل في دائرة عمله . وعلى الرغم من ذلك فإنه يحتمل أن الجحيم الغفير ممن تقلدوا هذه الوظيفة السامية المرتبطة بالبلاط مباشرة لم يكونوا من طائفة الموظفين المدنيين ، وقد أثبتت النقوش صحة هذا القول في مثالين . أما في الأمثلة الأخرى فيجوز أنهم كانوا ضباطا في بادئ حياتهم بالجيش ، والأمثلة على ذلك متعددة جدا في عهد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، وبخاصة منذ حكم « تحتمس الأول » حتى عهد « حور محب » .^(١)

والواقع أن دائرة نفوذ المدير العام لأملاك الفرعون كانت تتحصر في سيطرته على دائرة أملاك الفرعون الخاصة ، ولكن من جهة أخرى كان الفرعون بمقتضى القانون هو المالك لكل أرض مصر وكنوزها ، ومن أجل ذلك كان من الضروري نزع جزء من إدارة مالية الدولة ، وتخصيصها لنفقات بيت الفرعون ، وكان القابض

(١) راجع : Helck, "Der Eidfluss der Militärführer in der 18. Agyptischen Dynastie", P. 43 - 48. حيث نجد قائمة بأسماء الرجال الذين تقلدوا وظيفة المدير العظيم لبيت الفرعون . وقد جاء ذكر معظمهم فيما سبق .

على زمام هذه الإدارة هو « المدير العام لممتلكات الفرعون » . والظاهر أن هذا الوضع قد جعله تحت إدارة وزير المالية^(١) . أما علاقته بوزير الدولة فلا نعرفها على وجه التحقيق ، إذ بكل أسف وجد الجزء من النقش الذى يتكلم عن علاقة المدير العام لأمالك الفرعون بهذا الوزير مهشما ، كما شاهدنا من قبل هذا ، وتدل النقوش التى على جدران مقابر هؤلاء المديرين ، على أن هم اختصاصاتهم هى دائرة بيت مالية الفرعون وممتلكاته ، والظاهر أن بيت مالية الفرعون هذا كان منفصلا عن دائرة بيت مالية الدولة العام ، والدليل على ذلك أنه كان له عمال خاصون به ، فكان للقصر الملكى مصانع خاصة به كالتى لمعابد الآلهة ، وكان يشرف هذا المدير على صناعة الأشياء الثمينة كلها فى القصر الملكى كما كانت الحال فى المعبد ، هذا وكانت تقدم الحسابات الخاصة بأمالك الفرعون وكذلك الموقوفة على المعابد لمدير البيت ، وقد حفظت لنا بعض المقابر مناظر للأشخاص الذين يقدمون للفرعون الأشياء كلها التى كانت تصنع فى هذه المصانع ، وكانت تعرف باسم « هدايا السنة الجديدة » . وهذا يدل على أنه كان من الضرورى تقديم حساب جديد عن السنة المنصرمة ، ويلاحظ كثيرا فى نقوش المقابر وصورها أن الرسوم الخاصة بأمالك الفرعون كانت عدّة وواضحة^(٢) . فنجد ممثلا فيها المدير العام لأمالك الفرعون ينتقل من ضيعة إلى ضيعة أخرى مشرفا على محصول كل غلة حتى السمك ، وصيد الطيور . وكذلك نجد أحيانا أن قطعان معبد الإله « آمون » ترعى فى أرض أمالك بيت الفرعون ، ولذلك كان يلقب « مدير بيت الفرعون » ومدير ثيران الإله « آمون » .

(١) وهذا الموقف يذكرنا بعلاقة وزير المالية فى عهد البطالمة بمروسة Idios Logos الذى كان

يعمل بمثابة أمين صندوق الفرعون الخاص .

(٢) راجع : Davies, "Tomb of Kenamon", Pls. XI, XXIV; Amonhotep.

Urk. IV, P. 455 - 61; Amenemhat Swrr; Borchardt, "Allerhand Kleinigkeiten" Blatt 11, Twna; Champollion, "Not. Desc.", I, P. 481;

(٣) راجع : Davies, Ibid. Pls. XXVI ff. urk IV, 458; Wresz I, 244.

وتدل شواهد الأمور على أن المدير العام لأُملاك الفرعون كان يسيطر على جزء من تجارة البلاد فيما وراء البحار ، وإن لم يذكر ذلك صراحة إلا أنه عثر على حسابات مرفأ عظيم خاص بضیعة كبيرة « بمنف » تسمى « برو نفر » في عصر « أمنحتب الثاني » ؛ وهذه الحسابات كانت خاصة ببناء السفن التجارية .^(١) والآن يتساءل المرء عن المركز الإداري لأُملاك الفرعون ؟ هذا مع مراعاة أننا على علم تام بأن معظم أُملاك الفرعون كانت في أراضى الدلتا . والجواب على ذلك لا يحتاج إلى بحث طويل ، إذ تنحصر الإجابة عن هذا السؤال في معرفة هل كان يوجد في البلاد مديرون عامون لأُملاك الفرعون على حسب تقسيمها منذ أقدم العهود إلى الوجه القبلي والوجه البحري ؟ والواقع أن كل ما لدينا من المعلومات يدل على أن دائرة نفوذ هذه الوظيفة لم تقسم قط ، لأنه إذا حدث تقسيم مثل هذا ، فإن إدارة مالية هذه الأُملاك تكون في العاصمة « طيبة » ، على حين أن أهم جزء في إدارة هذه الأُملاك كان في الدلتا ، وبذلك تكون أقسام إدارتها منفصلة انفصالاً مختلفاً تمام الاختلاف . فالواقع أنه لم يكن للملك إلا إدارة أُملاك واحدة .

غير أن المسألة تصبح دقيقة جداً عندما نصادف أفراداً معينين ممن يحملون لقب « مدير البيت العظيم » تخصص وظائفهم باسم مكان معين صراحة ؛ من ذلك أن « قن آمون » كان يلقب بالمدير العظيم للبيت في « برو نفر » كما كان « أمنحتب » وكذلك ابنه « إبي » كان يلقب كل منهما بالمدير العظيم للبيت في « من نفر » (منف) . على أننا من جهة أخرى نلاحظ أن كل من كان يحمل هذا اللقب عدا من ذكرنا لا تخصص وظيفته باسم مكان . هذا إلى أن مكان « برو نفر »^(٢) كان اسم ضیعة هامة بالقرب من « منف » في عهد الفرعون « أمنحتب الثاني » وهذا يدل على أن هذا التخصيص لهذا اللقب يشير إلى الوجه

(١) راجع : Glanville, A. Z., LXVI, P. 105 ; LXVIII, P. 7 ff.

(٢) راجع : Glanville, A. Z., LXVI, P. 105 ; LXVIII, P. 7. 28 - 30 ;

“Revue de l’Egypte Ancienne”, I, P. 215.

البحرى كما يشير مباشرة إلى « منف » بوصفها مركز الإدارة لهذه الوظيفة ، وقد كان من الواجب في هذه الحالة أن ينتظر الإنسان تخصيص مثل هذا لمدينة « طيبة » ، إذا كان يوجد هناك فعلا مثل هذا التقسيم ، ولكنه لا أثر له ، ولم نجد تخصيصا لطيبة إلا « بالمدير العظيم للبيت للمدينة الشمالية وهذا يعنى مديرا للقصر ، ففى عهد كل من « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثالث » نجد « امنسو »^(١) وفى عهد « حور محب » نجد « تيجوتى مسو »^(٢) . وفى نهاية عهد الرعامسة عندما تغيرت الأحوال نجد لأول مرة لقب « المدير العظيم للبيت للمدينة الجنوبية » . ومن أجل ذلك نعتقد أن هذه الإضافة أو هذا التخصيص لهذا اللقب بعبارة فى « برونقر » أو فى « منف » يدل على ازدواج هذه الوظيفة . وقد يظن أن « المدير العظيم للبيت » أجدر بأن يخصص بإضافة عبارة للقبه دائما حتى يميز عن « مدير البيت للوجه القبلى » . بيد أننا نجد أن « حور محب » الذى كان يحمل هذا اللقب فى عهد « توت عنخ آمون » وكان مركزه مؤكدا فى « منف » لم يخصص لقبه بأية إضافة له كما يدل على ذلك ما وصل إلينا من الكشف الأثرية . هذا فضلا عن أنه فى الإمكان تفسير هذه الإضافة أو هذا التخصيص على وجه آخر ، والواقع أن القراعنة بدءوا فعلا فى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة يقصون الموظفين أصحاب النفوذ عن « طيبة » عاصمة الملك ، وقد كانت أول محاولة من هذا النوع هى نقل مقر « المدير العظيم للبيت » إلى « برونقر » فى « منف » ، وقد قام بهذا العمل الفرعون « أمنحتب الثانى » على أنه هو نفسه كان قد اتخذ مقره فى « منف » حينما كان وليا للعهد^(٣) .

(١) راجع : Urk. IV, P. 1021.

(٢) راجع : Davies, "The Tomb of Thotmes IV", Pl. XXXIV, J. E. A. XIV, P. III; L. D. Text IV, P. 45.

(٣) راجع : A. Z. LXVI, P. 106.

وقد اتخذ على ما يظهر هذه الضيعة الهامة بعد توليته الحكم بمثابة مقر ثان له فقد جاء في لوحة الكرنك^(١) في سطر ٣٣ ما يأتى : ” وفي اليوم السابع والعشرين اتفق خروج جلالته من « برو نفر » متجها نحو « منف » ومعه الأسلاب التى استولى عليها من بلاد « سوريا » ، وعلى ذلك كان المركز الرئيسى لإدارة أملاك الفرعون الخاصة قد أصبح قريبا من الجزء الهام من ممتلكاته التى كانت فى الدلتا . على أنه فى عهد « تحتمس الرابع » وفى الفترة الأولى من عهد « أمنحتب الثالث » لم تكن فكرة نقل مقر « المدير العظيم للبيت » على ما يظهر من الأمور المتبعة بعد ، ولكننا على حين غفلة قد طالعنا الآثار فى نهاية حكم « أمنحتب الثالث » بظهور مديرين للبيت العظيم فى « منف » وهما « أمنحتب » وابنه « إيبى » . والظاهر لنا من حياة « أمنحتب » أنه كان كاتب مجندين وأحيل إلى المعاش ثم عين ” مديرا للبيت فى « منف » ، وبعد سقوط المدير العظيم للبيت « أمنمحات سورر » الذى كان مقره فى « طيبة » عين الفرعون « أمنحتب الثالث » أمنحتب « مديرا عظيما للبيت » وجعل مقر وظيفته « طيبة » حيث كان يعمل حتى الآن ، ومن ثم ظهرت فكرة نقل هذه الوظيفة من « طيبة » ، وقد كان هذا التغيير ضروريا ليقضى على المشاحنات التى كانت قائمة هناك . وكان المدير العظيم للبيت له ضلع كبير فيها . وقد كان من جراء نقل هذه الوظيفة أن زيد فى استقلالها ، وبخاصة أنه قد أدخل تغيير أساسى فى شغلها ، ولأجل أن يكون فى مقدورنا تفسير سبب هذا النقل يجب أن نناقش أولا مدى نفوذ المدير العظيم للبيت عند الفرعون ثم تأثيره فى حكومة البلاد .

نفوذ المدير العظيم للبيت فى حكومة البلاد

والواقع أن مركز « المدير العظيم للبيت » كان مركزا خاصا ، وإن كان نائيا عن الوظائف الحكومية فقد كان حتى أول عهد « أمنحتب الثالث » لا يعد موظفا حكوميا ، وذلك لأن أعظم مدير عظيم للبيت فى هذا الوقت لم يكن يحمل لقب « كاتب الملك » ، ولم نجد من يحمل هذا اللقب الممتاز أى لقب ” كاتب الملك “

(١) راجع : A. S., IV, P. 132.

إلا "وسر" في عهد «تحتمس الأول»، وبعد ذلك نجد أن كلا من «امنمحات سورر» و «امنحتب» و «إبى» يحملونه ثانية . ولا غرابة في أن يحمل هذا اللقب «امنحتب» لأنه كان قبل ذلك «كاتب المجندين» ومن المحتمل أن ذلك ينطبق على «سورر» لأننا لا نعرف تاريخ حياته في الوظائف الحكومية ، وقد كان «المدير العظيم للبيت» يبقى شاغلا وظيفته ما دام الفرعون الذى يدير أملاكه على عرش الملك ، ولم نصادف مديرا عظيما لبيت واحد ظل يدير أملاك البيت الملكى في زمن ملكين متعاقبين إلا «إبى» فقد كان في عهد «امنحتب الثالث» مدير البيت العظيم فى «منف» وفى عهد «امنحتب الرابع» كان يلقب «مدير البيت فى منف» فحسب ، وربما كان ذلك قبل أن ينتقل هذا الفرعون إلى «تل العمارنة» . وقد بقيت الرابطة الوثيقة التى بين «المدير العظيم للبيت» وبين الفرعون معمولاً بها حتى عهد حكم «حتشبسوت» ، وقد كان «سنوت» آخر من أضاف إلى لقبه وظيفة اسم الملك ، وبعد ذلك كان هذا الموظف يدعى «مدير البيت العظيم للملك» وحسب .

ولقد كان النفوذ الذى استحوذ عليه «المدير العظيم للبيت» فى خلال عهد الأسرة الثامنة عشرة عظيما جدا حتى أنه ليفوق ما تستحقه هذه الوظيفة ذاتها من نفوذ ، فقد كان فى بادئ الأمر ينحصر عمله فى تمثيل الفرعون فى إدارة ممتلكاته ، غير أنه تخطى ذلك وأصبح الآن يطلب التدخل فى أمور خارجة عن دائرة وظيفته الأصلية التى وكل الملك أمرها إليه ، وعلى العكس من ذلك بدأ الفرعون الآن يصدر أوامر على يد مدير بيته العظيم فقد حدث منذ عهد «سنوت» أن أصبح «مدير البيت العظيم» يميز بلقب «الفم الأعلى» وبذلك أصبح من المعلوم أن إرادة الملك وأوامره كانت تنشر بين الناس على يد هذه الشخصية ، وأنه كذلك كان المسئول عن تنفيذ هذه الأوامر . وقد أوضح لنا ذلك

« ستموت » في كلمات له عند ما يقول^(١) : ” لقد رَفَنِي الملك أمام الأرضين ونصَبَنِي « الفم الأعلى »
لقصره لأجل أن أحكم البلاد كلها “ وكذلك نجد « حور محب » يصف قوته ونفوذه في أواخر
الأسرة الثامنة عشرة بما يقرب من هذه الكلمات نفسها بوصفه مدير البيت العظيم^(٢)
حيث يقول : ” لقد نصَبَنِي الفرعون الفم الأعلى للبلاد لأجل أن أدير قوانينها بوصفي وصيا على عرش
البلاد كلها (ربعت) “ ، وفي عهد « أمنحتب الثاني » كان « قن آمون » يحمل لقب « الفم
الأعلى في البلاد » كما كان يحمله كذلك « ثنتي »^(٤) في عهد « تحتمس الرابع » ، وكذلك
كان يحمل هذا اللقب في عهد « اخناتون » « خادم حجرتة » الخاصر ، والفم الأعلى^(٥)
« دودو » الذي لم يكن يحمل لقب « مدير البيت العظيم » بعد ، ولكن على ما يظهر
كان هذا اللقب الأخير قد حل محله .

وتظهر لنا الرسوم التي عثر عليها في قبر « حور محب » مدير البيت العظيم للفرعون
« توت عنخ آمون » كيف أصبح هذا الموظف « الفم الأعلى »^(٦) ، إذ نشاهد في تلك
الرسوم مبعوثا أسيويا حضر الى البلاط الفرعوني راجيا مساعدة حربية فيقابله
« مدير البيت العظيم » هذا ويبحث الموضوع معه ثم يضع الأخير الأمر أمام الفرعون
للفصل فيه ، ثم يعلن « المدير العظيم للبيت » قرار الفرعون الى المبعوث ، ونجد
« دودو » في وصفه لوظيفته ، وهو « الفم الأعلى » للملك « اخناتون » يرّد لنا
بالألفاظ ما جاء في هذه الرسوم السالفة الذكر حيث يقول : ” لقد أعلنت كلمات المبعوث^(٧)

(١) راجع : Berlin Statue, Vs, line. 25", The American Journal of Semetic Languages and Literatures", XLIV, P. 52.

(٢) راجع : Turin Statue, line 5.

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Kenamun", Pl. VIII, line 2.

(٤) راجع : "Rec. Trav." XI, P. 157.

(٥) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 7 - 14.

(٦) ومنشرح ذلك فيما بعد .

(٧) راجع : Davies, Ibid. Pl. XIX.

الأجنبي في القصر الملكي لأنى كنت مع الملك كل يوم ، وكنت أخرج من عنده ثانية بوصفى « رسول الفرعون » ومعى كل أوامر جلالة » . هذا هو ما نجده على الصور المرسومة ، غير أن الحقيقة في عهد « حور محب » كانت تظهر بمظهر آخر مختلف تماما ، فقد كان « توت عنخ آمون » وقتئذ لا يزال طفلا لا يمكنه أن يصدر قرارا في شىء ما من تلقاء نفسه ، بل كان « حور محب » بطبيعة الحال هو الذى يعطى الجواب باسم الفرعون للبعوث . وقد وصف هذه الحالة على تمثال له محفوظ الآن في « تورين »^(١) صنع بعد توليته العرش . وقد وضع أمامنا صورة عن نشاطه قبل إعلان نفسه فرعوناً على البلاد ، وكان يقصد بذلك إثبات حقه الشرعى فى الاستيلاء على العرش فيقول :
”... وقد أحضر إليه كل شىء ، وقد حضر إليه المستشارون مطأطيء الروس عند باب القصر ، وقد وفد أمراء البلاد الأجنبية من الجنوب والشمال بأيد مرفوعة تضرعا له كأنه إله يعبد ، وكان كل شىء يعمل وينفذ على حسب أمره “ .

ومن ذلك نعلم أنه فى عهد الملك « توت عنخ آمون » الذى كان لا يزال قاصرا ، كانت سلطة الحكومة فى يد « حور محب » المدير العظيم للبيت ، والفم الأعلى للبلاد قاطبة ، ومع ذلك فإن هناك ملوكا آخرين قد سلكوا هذه الطريق تخلصا من متاعب الحكم وهمومه . فعلى عهد « إخناتون » كان صغار أمراء « سوريا » « وفلسطين » يرون أن « دودو » الفم الأعلى هو الذى يفصل فى رسائلهم ، فقد كتب إليه « أزيرو » الأمورى يطلب إليه إرجاء سفره إلى البلاط ، وكان « دودو » هذا قد أصدر إليه الأمر بالحضور .^(٢) والواقع أنه فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة أصبح « مدير البيت العظيم » الممثل للفرعون ، على أننا لا زلنا نجهل كيف أن « سنوت » وهو أول « مدير بيت عظيم » أصبح يلقب « الفم الأعلى للملك » .

(١) راجع : Davies, “The Tomb of Harmhabi and Tutankhamon”,

P. 8 ff.

(٢) راجع : Knudtzon, “El Amarna Tafeln”, Nos. 158, 164, 167.

ولقد كان نفوذ « سنموت » على الملكة « حتشبسوت » قد بلغ ذروته فعلا
فى عهد وصايتها لا فى عهد « تربعها » على العرش ، وإذا قرن الإنسان بوجه خاص
ألقاب « سنموت » قبل زمن تولى « حتشبسوت » الملك وبعده أى فى أواخر السنة
السابعة بعد موت « تحتمس الثانى^(١) » لعرف الحقائق التالية فى تاريخ حياته الحكومية ؛
إذ ظهر أن « سنموت » كان يحمل أولا لقب « مدير بيت حتشبسوت أرمله
تحتمس الثانى » . وكانت هى التى تقوم بأمر الوصاية على ولية العهد « نفورع »
القاصرة ، وهى التى كانت بزواجها المنتظر من « تحتمس الثالث » تجعله ملكا شرعيا
على البلاد . وقد أصبح « سنموت » فى الوقت نفسه مدير أملاك ولية العهد
« نفورع » ، كما أصبح يحمل لقب « مريها » . وقد كان يشغل بجانب هاتين
الوظيفتين وظائف أخرى مختلفة فى داخل إدارة معبد « آمون بالكرك » كما سبق
ذلك ، ومن المحتمل أن « سنموت » قد وصل فى إدارة معبد « آمون » الى ماوصل
إليه « أمنحتب بن حبو » فيما بعد فى عهد « أمنحتب الثالث » ، فقد كان الأخير
بوصفه مدير البيت للأميرة « سات آمون » يشرف على أراضى معبد « آمون » .
والظاهر أنها كانت أرض المراعى ، وبذلك كان يحمل لقب « مدير ثيران آمون » ،
ولقد كان من السهل على « سنموت » أن يستولى على إدارة أملاك « آمون » لأنه
كان يدير أملاك كل من « حتشبسوت » و « نفورع » ، وكانتا تعدان زوجتين
للإله ، وليس هناك حواجز كبيرة بين أملاك الإله وزوجه ، غير أنه لم يحمل بعد لقب
« مدير أملاك معبد آمون » . إذ الواقع أن هذا اللقب لم يكن معروفا فى عهده ،
ومن المحتمل أنه أنشئ أولا « لسنموت » ، ولا بد أن يكون ذلك بعد تولية
« حتشبسوت » العرش فى نهاية السنة السابعة . وقد بقى « سنموت » أولا محافظا
على وظيفته « مدير البيت العظيم لحتشبسوت » بعد توليها الملك ، غير أن لقبه أصبح
« المدير العظيم لبيت الملك » عامة بدلا من التخصيص بلفظة « حتشبسوت » ، ولكنا

لم نجد هذا اللقب إلا على تمثال واحد ، وعلى جُعلٍ وحسب ، مما يدل على أن هذه الوظيفة قد استغنى عنها بسرعة . وكذلك فقد « سنوت » مركزه بوصفه مدير أملاك الأميرة « نفوررع » بعد وفاتها ، وعلى هذا عندما تولت « حتشبسوت » العرش أصبح لقب « زوجة الإله » خاليا ، ومن ثم تغير وضع أملاكها من أساسه ، على أننا لا نعلم على وجه التحقيق من كان يدير ممتلكاتها ، ومن المحتمل أنه « سن من » أخو « سنوت » إذ وجدنا في قبره لقب « مدير البيت ومربي زوج الإله » ، غير أن البعض ينسبه إلى « نفوررع »^(١) ، وعلى أية حال فإن « سنوت » لم يحمل قط لقب مدير أملاك زوجة الإله « نفوررع » ، ولكنه قد بقي بطبيعة الحال مربيها ومن أجل ذلك كان يسمى أيضا مربي زوجة الإله « نفوررع » ، ونجد الآن على الآثار بعد تولية « حتشبسوت »^(٢) العرش أنه قد ظهر لقب مدير أملاك معبد « آمون » وهو أهم لقب كان يحمله « سنوت » منذ ذلك الوقت . على أننا نجد من نتائج هذه الألقاب الحقيقة المدهشة وهي أن « سنوت » كان في عهد ترمل « حتشبسوت » وقبل أن تتولى العرش بوصفه مديرا لممتلكاتها يقبض على أعظم سلطة في البلاد ، وبخاصة أن ولاية العهد كانت تحت نفوذه ، ولكنه بعد تولي « حتشبسوت » العرش مباشرة حرم وظائفه ذات النفوذ الواسع ، ويمكن الإنسان أن يفهم من سلوك « حتشبسوت » هذا معه أنها أرادت أن تتحرر من نفوذ « سنوت » وقبضه على زمامها . والواقع أنه لم يبق في يديه من الوظائف ذات النفوذ في البيت المالك إلا وظيفة مربي « نفوررع » . ولما ماتت هذه الأميرة في تاريخ يتراوح بين عامي ١١ ، ١٦ من حكم « حتشبسوت » قضى على آخر ما في يديه من نفوذ وقوة ، وأصبحت قوته ونفوذه تنحصران في وظيفته وهي مدير بيت « آمون » ، ومن المحتمل كذلك أن سقوطه السياسي كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بموت الأميرة

(١) راجع : P. S. B. A., XXXV, Pl. 53.

(٢) هذا خلافا لما قاله وتلك (راجع : M. M. A. (Feb 1928).

« نفروع » ؛ ويدل قبره الثانى على أن هذا السقوط قد حدث قبل موت « حتشبسوت » . ومما سبق يمكن الإنسان أن يفهم أن « حتشبسوت » بعد توليتها العرش كانت تفكر فى القضاء على سلطان « سنوت » ، وأنها كانت سائرة فى طريقها إلى تنفيذ خطتها هذه ، وأن آخر عقبة كانت تعترضها فى طريقها هى الأميرة « نفروع » ، وقد زالت بموتها ، وبذلك تخلصت من ذلك الرجل الذى كان يقودها فيما مضى ، وسير أمور البلاد بإرادته وما لديه من سلطان .

ولقل ظل هذا النضال الصامت بين الملكة ومدير بيتها العظيم على السلطة بقية مدة الأسرة الثامنة عشرة . وفى الحق كان الملوك يسعون لوضع حد لتجمع السلطة فى يد «مدير البيت العظيم» حتى أنهم كانوا ينصبون فيها رجالا لا يرتكزون على نسب ، كما أنهم كانوا يتحاشون أن يشغلوها برجال من طبقة الموظفين العريقين فى النسب ، ومن جهة أخرى كان شاغل هذه الوظيفة يعمل جهد الطاقة على ازدياد سلطانه ، على أن ذلك كان لا يعنى أنه كان يسعى للتدخل فى أمور الحكم وحسب ، بل كان كذلك يزج بنفسه فى إدارة الحكومة التى كان على رأسها الوزير ، ويشترك معه فى كل الأوامر المتصلة بالفرعون ، ولقد كانت نهاية محاولة المدير العظيم للبيت لتقوية مركزه على حساب رجال الإدارة والملك سقوط هؤلاء الرجال الذين شغلوها ، ولا زال أثر ذلك ماثلا أمامنا حتى يومنا هذا فى القضاء على ذكرياتهم ، وتخريب قبورهم . وقد كان أول من أصابه هذا التدمير هو «سنوت» ثم خلفه «أمنحتب» و « قن آمون » و « ثنى » و « أمنمحات — سورر » ، وكأهم أصابهم ما أصاب «سنوت» ؛ وبعد سقوط « سورر » أدخل تغيير فى شغل هذه الوظيفة ، والظاهر أن الوزير « وعمبوسى » قد توصل لدى الفرعون بما له من نفوذ أن يولى أخاه « أمنحتب » الذى كان فيما مضى موظفا حريبا منصب المدير العظيم للبيت ، وعلى ذلك أدخل تغييرا فى المبدأ الذى تشغل به الوظيفة لأن ملئها كان فيما مضى لا يتوقف على الحماه والكفاية فى العمل ، ولكن « أمنحتب الثالث » اعتقد أنه

بتولية « أمنحتب » هذا وهو أخو وزيره ، ومن طبقة الموظفين ، يمكنه أن يقضى على النضال الذى كان يقوم به « المدير العظيم للبيت » على الملك ورجال الحكومة من أجل السلطة ، ولأجل أن ينتزع الفرعون من « المدير العظيم للبيت » كل نفوذ عدائى له — وهو ذلك النفوذ الذى كان محسباً فعلاً فى طبقة الموظفين الطبييين ، وكذلك فى رجال الكهنة — شرع فى إبعاد مقر « المدير العظيم للبيت » من « طيبة » فنقله إلى « منف » وكان ذلك ضرورياً ، لأن وظيفة « المدير العظيم للبيت » كان يشغلها الآن من له صلة بطبقة الموظفين وعلى ذلك كان من الواجب أن يقضى مدير البيت العظيم عن البلاط ، وحينئذ تكون فرصة تأثيره على الملك ضئيلة ، وأظهر علامة على إبعاد حامل هذه الوظيفة عن البلاط ، وتضائل نفوذها ما نشاهده من أن المديرين العظميين للبيت « أمنحتب » و « إبنى » اللذين كان مقرهما « منف » فى عهد « أمنحتب الثالث » لم يحمل واحد منهما لقب « حامل المروحة على يمين الملك » ، وهو لقب كان يتحلى به كل من كان يشغل هذه الوظيفة منذ عهد « أمنحتب الثانى » ، وفى الوقت نفسه لم يلقب واحد منهما « بالفم الأعلى » . ومن هذا يرى الإنسان الجواب على السؤال : لماذا اتخذ المديران العظيمان للبيت مقرهما فى « منف » بقاءة ، ولقب كل منهما « المدير العظيم للبيت فى منف » ؟ وقد كانت فكرة إبعاد الوظائف ذات النفوذ العظيم — وهى التى كانت فى الوقت نفسه تحتاج إلى نضال — من عاصمة الملك إلى الأقاليم تهدئة الحال ، للخصم من شوكة نفوذ شاغلي هذه الوظائف — هى التى حملت الفرعون « أمنحتب الثالث » على توجيه عنايته لإبعاد وظيفة رئيس كهنة كل الآلهة فى الوجه القبلى والوجه البحرى عن « طيبة » كما سبقت الإشارة إلى ذلك . فقد وكل أمر الإشراف على هذه الوظيفة إلى الكاهن الأعظم للإله « بتاح » فى « منف » ، وذلك لأن بقاءها فى « طيبة » كان مدعاة لطموح كهنة « آمون » إلى جمع السلطة فى يدهم .

ويرى القارئ فى البحث الذى بسطناه عن وظيفة المدير العظيم للبيت أن « أمنحتب الثالث » كان يناهض بكل ما يملك من قوة — كما فعل من سبقه من

ملوك الأسرة الثامنة عشرة — هو وطبقة الموظفين ، كل رجل يريد الاستيلاء على السلطة ، ولو كان من رجال بلاطه . وقد كان أول من حتمت عليه الأحوال أن يتبع سياسة مضادة لذلك هو ابنه « أمنحتب الرابع » ، وذلك حينما أراد أن يتخذ له عضدا من رجال خارج رجال حكومته لأن سياسته الدينية كانت تحتم عليه أن يناهض كهنة « آمون » ورجال حكومة بلاده .

ضباط الميدان في الإدارة الحربية

كانت توجد طائفة من وظائف الدولة يعين فيها ضباط الميدان بعد انتهاء خدمتهم العسكرية ، وهذه كانت مراكز معينة في الإدارة الحربية ، وكان لا يشغلها إلا من له ماض مجيد في ساحات الوغى . مثال ذلك « أمنحتب » ويسمى « مح » الذي حارب مع « تحتمس الثالث » في غزواته^(١) ، وقد ترقى خلال حروب هذا الفرعون من جندي بسيط إلى أن تقلد لقب « فارس »^(٢) ، وعندما احتفل « أمنحتب الثاني » بعيد « أوبت » (الأقصر) بعد توليته العرش كان « أمنحتب » هذا يدير سكان قاربه ، فطلبه الفرعون للثول بين يديه في القصر وخاطبه قائلا : « إني أعرفك منذ ذلك العهد الذي كنت لا أزال فيه صبيا في المهد فقد كنت وقتئذ رفيق والدي ، من أجل ذلك أكل إليك الآن نيابة الجيش ، ويجب عليك أن تعد نفسك مسئولاً عن حرسى الخاص من الآن » . فهذا الضابط كما نرى قد وصل على حسب هذه النقوش بخدمته الطويلة إلى مرتبة نائب الجيش . وخلافاً « لأمنحتب » هذا نجد ضباط ميدان آخرين ممن كانوا يشغلون وظيفة « فارس » ، رقى كل منهم إلى نائب

(١) راجع : "Mem. Miss. Arch. Franç." V, P. 224 (Tomb No. 85); Urk. IV, P. 889 ff; Stela. "Brit. Mus. Stelae", VII 23; Cone. funeraire Paris Bibl. Nat. 1337; Stuhlfragm. Munchen 487; Sethe, A. Z., XLIV, P. 87.

(٢) راجع : Porter and Moss, "Bibliography", I, P. 182; Wegner, Mitt. Deutsch. Inst. Kairo", IV, Pls. 28 a, 29 a (?)

للجيش فيما بعد؛ ففي عهد «تحتمس الثالث» نجد نائب الجيش المسمى «تحتوتى^(١) مس» وفي عهد «أمنحتب الثانى» نجد «أمنحتاب» السابق الذكر، ثم «بج سونخر»^(٢) في عهد «أمنحتب الثانى» أيضا، وفي عهد «تحتمس الرابع» نجد «باسر»^(٣) و «باتونر» وغيرهم .

ولكن ما يلفت النظر هو أن هؤلاء وبخاصة في الأمثلة القديمة لا يحملون لقب «كاتب» ، وهو اللقب الذى كان يدل على أن صاحبه من عداد الموظفين، ومن لا يحمله لا يعدّ حاصلا على ثقافة الموظف الحكومى فى ذلك الوقت ، بل فى كل زمن، لأن إتقان فن الكتابة كان المؤهل الوحيد لتولى وظائف الحكومة، ونشاهد ذلك بوجه خاص فى حالتى «أمنحتب» و «بج — سونخر» فقد كان كلاهما ضابط ميدان وحسب، ولكن من المدهش أن «رعموسى» على الرغم من أنه كان يحمل لقب «فارس» فإنه مع ذلك كان يتمتع بلقب كاتب .

وأهم عمل يقوم به ممثل الجيش هو الإشراف على المؤن الخاصة بالجنود والحاميات ، ولذلك نجده مصورا على جدران قبور هؤلاء الرجال الذين يحملون هذا اللقب، وقد عثر على صورهم بالتأكيد فى مقبرة «أمنحتب»^(٤) وفى مقبرة «بج — سونخر»^(٥) ، ومن الجائز كذلك أنه مصور فى مقبرة «تحتوتى مسو» ، فاستمع لما جاء فى المتن الذى فى مقبرة «أمنحتب» ومقبرة «بج سونخر»^(٦) : «إحضار الضباط والجنود إلى القصر لإطعامهم الخبز واللحم والنبذ والفطير والخضر وكل شئ جميل مفرح ... على يد نائب

(١) راجع : Mem. Miss. Arch. Franç., V, P. 287.

(٢) راجع : Bapyrus (Munchen), A. Z., LXIII, P. 105.

(٣) راجع : A. Z, 63, P. 105

(٤) راجع : Wreszinski, "Atlas", I, Pl. 94.

(٥) راجع : Ibid, Pls. 280, 281.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 911; Mem. Miss. Arch. Franç., V, P. 289.

الجيش « فلان » . ومناظر هذه القبور التي تتشابه في الرسم وفي التركيب ترينا نائب الجيش واقفا أمام موظف المؤن وأمامه كاتب وهو يستعرض المشاة والفرسان يقودهم ضباطهم . ويلاحظ أن الجنود لا يحملون سلاحا ما بل حقيبة للطعام ؛ ويشاهد الفارس وهو يقود جواده من عربته . وفي إدارة المؤن نشاهد سلات الخبز وأباريق الجعة معدة ليأخذ منها الجنود جرايتهم . على حين أنه يشاهد الضباط في نفس الزمان والمكان وهم يأكلون من أنصبتهم الوفيرة . أما المكلف بملاحظة توزيع هذه المؤن فهو كاتب حسابات الخبز^(١) . ومن الجائز أن توزيع هذه المؤن كان يتم على ثلاث دفعات في الشهر، إذ وجدنا في مرسوم « حور محب » النص التالي : ”لقد حضر إلى موظفي « قنبت » ... ثلاث دفعات في الشهر ... كأنه عيد وكل إنسان يجلس أمام نصيبه من كل مالد وطاب ... ويمدحون كل شيء جميل ... وقائد الجيش وكل ضابط وكل رجل ... “ . ويلاحظ هنا أن تهشيم المتن كان عائقا للإدلاء بأي حكم فاصل^(٢) .

على أن ذكر نائبين للجيش في مرسوم « حور محب » في هذا الصدد الذي وجد متنه مهيما لا يمكننا استنباط شيء حاسم منه : ”وعندما توجد سفن لتسليم الجزية لمخازن ولإدارة جلالته ، وهي التي تحت إشراف نائب الجيش ... و ... وحاملو الجزية للحريم . وحاملو القربان الذين يسلمون الجزية لنائبي الجيش ... “ . هذا الكلام يبحث بلا شك في مخازن المؤن^(٣) ، ولا نزاع في أن جرايات الخبز كانت تأتي من إدارة مخازن الغلال ولهذا السبب نجد في مقبرة « أمنمحاب » ، أن مدير مخازن الغلال مصور في منظر توزيع المؤن ويصاحبه التفسير التالي^(٤) : ”مدير مخازن جلالته يحسب الجرايات المخبوزة“ . ومن ذلك نستنبط أنه كانت توجد إدارتان موزع عملهما بين

(١) راجع : Wreszinski, "Atlas", Pl. 186.

(٢) راجع : Harmhebdekret B. 8 a - 8.

(٣) راجع : Ibid. line 16.

(٤) راجع : Urk. IV, p. 912.

نائب الجيش ومدير المخازن، وكلاهما ينحصر في عمل واحد، أما فيما يخص مواد المعيشة الأخرى مثل اللحم والخضر والسمك والجمعة ... الخ فيظهر بحسب ما جاء في منشور «حور محب» أن قري وضياعا معينة كانت تورد بجزيتها إلى مخازن نائب الجيش مباشرة لا إلى مدير مخازن الغلال . وهذا الوضع نفسه نلاحظه في تغذية رجال الشرطة ، إذ كانت ترد إليهم المؤن مباشرة من القرى^(١)، ولا نعرف على وجه التحقيق الجهة التي تتبعها الإدارة التي تمتد الجنود بالمواد الغفل مثل الجلود وكل المواد اللازمة لإصلاح السلاح، أتتبع إدارة نائب الجيش هي الأخرى أم لا . على أنه كان هناك عقاب خاص بجمع الجلود خلسة ذكر في منشور^(٢) « حور محب » .

وتدل النقوش على أنه كان يوجد في البلاد نائبان للجيش في آن واحد ويثبت هذا ما ذكرناه في نص منشور « حور محب » وكذلك ما جاء في نص قانون يرجع إلى عهد «تحتمس الرابع»^(٣) والظاهر أن أحدهما كان للوجه القبلي والآخر كان للوجه البحري . ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان هذا التقسيم هو الذي دعا إلى الاختلاف في تركيب صيغة اللقبين اللذين كان يحملهما كل من «أممحاب» وكان يلقب نائب الجيش و«بح سونحر» الذي كان من المحتمل يلقب «نائب الملك»^(٤) أولا ويصف لنا «نب آمون» حامل العلم في السفينة المسماة «مريت آمون» كيف أنه ذات يوم بعد حملة مظفرة أرسل الفرعون « تحتمس الرابع » أمرا لأمير البحر خاص بـ « نب

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, Pl. XXIV.

(٢) راجع : Horemhebdekret line 25 28.

(٣) راجع : Schafer, A. Z., LXIII, P. 105.

(٤) راجع : Vierey, " Mem. Miss. Arch. Franç.", V, P. 8, 216.

(٥) راجع : Davies, "Tomb of Two Officials", PP. 19 - 38, Pls.

آمون « الذى كان قد وصل إلى شيخوخة موقرة فى خدمة جلالته بمهارة، لأنه كان يقوم بعمل كل ما قد أمر به دون حدوث أية شكاية منه ... »، وفيه أمر جلالته بتعيينه رئيس شرطة « طيبة الغربية »، فقد أعلن هنا بصراحة تامة أن مركز رئيس شرطة « طيبة الغربية » قد شغله جندي قديم ظهر حتى الآن بأعماله العظيمة، ويؤكد لنا ذلك حياة « ددى » الذى سبقه فى عهد كل من « تحتمس الثالث » « وأمنحتب الأول » إذ عين رئيسا للشرطة فى « طيبة الغربية » مع أنه كان جنديا بسيطا. ومن المدهش أن ترقيته تشبه كل الشبه ترقية « نب آمون » السابق الذكر، إذ فى الواقع أنه رفع من رتبة حامل العلم فى حرس الملك الخاص إلى هذه المكانة العالية وهذا مما يدلنا على أن رئيس الشرطة كان ينتخب من الضباط الحاملين رتبة العلم. وكانت وظيفة رئيس الشرطة فى مرتبة « فارس »، وكان معظم الجنود الذين تحت إمرته من المصريين والنوبيين الذين كانوا فى البلاد بمثابة جنود شرطة على الحدود وفى الجبانات، وأكبر دليل محس على ذلك شرطة « طيبة » وشرطة « تل العمارنة^(١) ». والظاهر أنه كان يوجد فى أمهات البلاد فرق كل منها تحت إشراف رئيس شرطة، وقد عرفنا من ذلك « منف^(٢) » و« قفط^(٣) » وكانت الأخيرة من الأهمية بمكان، لأنها كانت الطريق لجلب الذهب من « وادى الحمامات » ولذلك كان من الضرورى وضع نقطة شرطة قوية هناك، وفى العهد الاهناسى نعلم أن أمير المقاطعة فى هذه الجهة المسمى « وسر » كان يلقب مديرا للبلاد الأجنبية الغربية والشرقية^(٤). وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان رئيس شرطة « قفط » يعمل باتصال وثيق مع مدير مناجم الذهب التابعة

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, P. 12 - 18.

(٢) راجع : Quibell, "Excavations at Sakkara", (1907 - 8), Pl. LXXXI, (XIX, Dynasty).

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Menkheperra snob", Pl. IX.

(٤) راجع : Cairo Mus. No. 1442.

« لقفت » وقد ظهر هذا الموظف في الرسوم التي على مقبرة « من خبر رع سنب » عند تسليم الذهب لرئيس الكهنة (إقرن كذلك تمثال) مدير مناجس الذهب المستخرج من « قفت » الخاصة « بآمون » والمسمى « ورسو » في عهد « أمنحتب الثاني »^(١) ، وهذا الذهب كان يورد ضريبة لمعبد « آمون »^(٢) كانت تجبي فعلا في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكذلك كانت الشرطة في « بروسير »^(٣) وهي بلدة « أبوصير » الحالية ، وبلدة « روزت - ن - با - رع » على الحدود الشرقية من الدلتا^(٤) . ولقد كان الجزء الغربي من « طيبة » ذا أهمية عظمى لما يشتمل عليه من المعابد والمعاهد التي كانت مكدسة بالذخائر ، هذا فضلا عن أنه كان يوجد في هذه الجهة عمال يشتغلون في الجبانات هناك بأعمال العمارة ، ولهذا السبب كان رئيس شرطة غربي « طيبة » يحتل المكانة الأولى ؛ على أننا من جهة أخرى لا يمكن أن نجزم بوجود رئيس شرطة في « طيبة الشرقية »^(٥) . وفي عهد الرعاسة حينما كانت حكومة مدينة « طيبة » يديرها عمدتان أو حاكمان أحدهما لطيبة الشرقية والآخر لطيبة الغربية ، كان الأخير لا يزال يحتفظ بلقب رئيس شرطة الجبانة المقدسة العظيمة لملايين السنين بلحالة الملك في طيبة الغربية ، وقد كان تحت إمرته قواد فرق ، كل منهم يسمى كذلك « رئيس شرطة الجبانة »^(٦) ، وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة ظهر بجانب قواد الفرق هؤلاء الذين كانوا يسمون رؤساء شرطة ضباط آخرون يلقب كل منهم « حامل علم الشرطة »^(٧) وكان الوزير هو المشرف على رئيس الشرطة في « طيبة الغربية » في عهد

(١) راجع : J. E. A. II, P. 5.

(٢) راجع : Kees, "Kulturgeschichte", P. 255.

(٣) راجع : A. Z., XLIII, P. 40.

(٤) راجع : Pap. Anastasi V, 25, 3.

(٥) راجع : Pap. Abbot I, line 9 ff.

(٦) راجع : J. E. A., XIII, P. 30, Pl. XV, 15.

(٧) راجع : Davies, " Tomb of Two Officials", P. 29.

الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك على عمدة « طيبة الغربية » الذى كان فى يده السلطة على الشرطة فى عهد الرعامسة بوصفه « مدير المدينة »، وقد كانت تعرض عليه كل قضية^(١) وإذا اتفق أنه تغيب فى مكان ما كان لزاماً أن يرسل خلفه شرطياً يحمل له الأخبار^(٢)، وقد كانت العلامة المميزة لجنود الشرطة فى « طيبة الغربية » علماً مصوراً عليه غزالة^(٣)، أما فى « تل العمارنة » فكانت درما مستطيل الشكل رسم عليه عدو يضربه^(٤) الفرعون . (راجع كذلك موضوع الشرطة « مزاي » Gardiner Onomastica I, 73 ff. & II, 269 ff.)

ويشاهد رؤساء الشرطة ممثلين على جدران مقابرهم وهم يتسلمون التقارير التى كان يأتى بها رجال الطواف ، إذ يرى رئيس الشرطة واقفاً مع آخرين وهو يفتش الحى ، ويميز مكانته عن الآخرين أنه يحمل سهماً عظيماً بدلاً من العصا التى تحمل عادة^(٥) ويجانب هذا نراه يراقب — كما نشاهد فى « إختاتون »^(٦) — نقط الشرطة للحراسة التى وضعت حول العاصمة ، وكان يقبض على المجرم ويقدمه للحاكم^(٧)، وكذلك كان يشترك فى تجنيد المقترعين^(٨) .

والظاهر أن تموين الشرطة بالمواد الغذائية كان يشبه فى نظامه تموين الجيش ، إذ كان لرجال الشرطة نائب يسمى « نائب رجال الشرطة » وقد ظهر ممثلاً على جدران مقبرة « نب أمون » بوصفه مرءوساً له^(٩) ، ونشاهد على مقبرة « معحو » فى تل

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, Pls. XXIV, XXVI.

(٢) راجع : Pap. Abbot III, P. 22.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 994.

(٤) راجع : Davies, Ibid. IV, Pl. XVII.

(٥) راجع : Davies, "Tomb of Two Officials", Pl. XXI.

(٦) راجع : Davies El Amarna, IV, Pl. XXII.

(٧) راجع : Ibid. IV, Pl. XXVI.

(٨) راجع : Ibid, Pls. XXIV - XXV.

(٩) راجع : Ibid, Pl. XXVII.

العمارنة صورة تدل على المواد الغذائية التي كان يقدمها الأهليون ضريبة إلى مخازن رئيس الشرطة مباشرة ، وهو نفس النظام المتبع في تموين الجيش^(١) ، وهذه السخرة لتغذية الجنود كانت جارية في البلاد منذ عهد الدولة القديمة^(٢) .

الجنود الفرسان

لقد ظهر في باكورة الأسرة الثامنة عشرة سلاح جديد وهو العربية التي تجزها الجياد ، ويعزى في العادة إدخال عربية القتال وكذلك الخيل في مصر إلى عهد الهكسوس^(٣) . وقد جلبت من بلاد سوريا التي أخذتها عن أقوام الشمال وكانت قد استعملت فعلا في عهد الملوك الأول من الأسرة الثامنة عشرة ، وهم « كامس » و « أحمس » ، و « تحتمس الأول » وقد استعملها الملوك والأهلون على السواء لأغراض سلمية^(٤) وحربية^(٥) ، وقد دخلت العربات والجياد البلاد أولا بمثابة أسلاب حرب وجزية ، ومن ثم كانت تحتفظ بأسمائها الأجنبية التي سميت بها في بلادها الأصلية^(٦) ، غير أنه لم يمض طويل زمن حتى أنشئت صناعة خاصة في البلاد المصرية تصنع

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, Pl. XXIV.

(٢) راجع : A. Z., XLII, P. 9, lines 19 - 20.

(٣) راجع : "Alt Volker und Staaten", P. 33. Kees, "Kultur- geschichte", P. 235, Bissing, "Archiv fur Orient frschung", 11, P. 325.

(٤) راجع : Urk. IV, P. 3; Scarab Thothmes I, Newberry, "Scarabs", Pl. XXVII, 4.

(٥) لوحة « كرنارفون » التي سبق ذكرها في الجزء الرابع (راجع أيضا J. E. A., III, P. 106, line. 16. حيث تجده على ما يظهر ذكر عربات حرب معادية في عهد « كامس » . وإذا كانت كلمة « منن » تعني حرب العربات ، فإن ذلك يدل على أنه كانت قد تكونت فرقة خيالة في عهد « تحتمس الأول » (راجع Berlin Mus. No. 14994.) ، وكذلك يظهر أنه قد ذكرت أعلام خيالة في عهد « حتشبسوت » . (راجع Wresinski, "Atlas", I, Pl. 94 b.)

(٦) راجع : Wegner, "Mitt. Deutsch. Inst. Kairo", IV, P. 80 ff; Klebs, III, P. 73.

العربات^(١)، ولكن المواد اللازمة لهذه الصناعات كانت تجلب من الخارج^(٢)، ولقد كان من الأمور الشاقة تربية الخيول في مصر، وكانت على ما يظهر تربى في ضياع الفرعون وضياع معابد الآلهة الكبيرة وحسب ، وقد بدأ الأفراد يملكون الخيل في خلال الأسرة الثامنة عشرة بازدياد مطرد ، فقد عثر على عربة في قبر « باحري » الذي عاش في عهد « تحتمس الأول » ، ومع هذا فيظن أنه في عهد « حتشبسوت » كان لا يزال للخيل قيمة عظيمة إذ نرى « سنموت » قد دفن جواده على حسب القواعد المتبعة^(٣)، وكان لا بد من تكوين إدارة خاصة للخيل وعربات القتال، وكان على رأس هذه الإدارة بضع قوات فرسان ، ولكن من المحتمل أنهما كانا قائدين فقط . أحدهما للوجه القبلي والآخر للوجه البحري ، وقد وصلت إلينا أسماء كثير من هؤلاء القواد من أول عهد « تحتمس الثالث » حتى عهد « حور محب » آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة^(٤) . وقد كان المظنون من مدلول أول قائد فرسان أن هذه الوظيفة كانت مدنية محضة ، ومع ذلك فإن تفسيرها في هذا الوقت بقائد فرسان كان يدل فعلا على معنى حربي ، وقد كان « مين نحت »^(٥) موظفا إداريا مدنيا يحمل لقب مدير مخزن الغلال، وكان بجانب هذه الوظيفة الرئيسية يدير إدارة خيل الحكومة ، ومن الجائز أنه كان قد بدئ في عهد « تحتمس الثالث » لأول

(١) راجع : Wegner, ibid. P. 66.

(٢) خشب من السودان في عهد حتشبسوت (راجع : Urk, IV, P. 457.) وخشب من

بلاد النهرين (راجع : Davies, "Tomb of Kenamon", Pl. XXII.)

(٣) راجع : M. M. A. (Jan. 1937) P. 10. 15, fig. 17.

(٤) راجع : Davies, "El Amarna", VI, Pls. XVII - XVIII. حيث تقرأ

لقب المشرف على الخيل .

M. M. A. (Jan. 1937) Y. 10, 15, fig. 17.

(٥) راجع : Helek, "Der Einfluss der Militärführer in der 18

Agyptischen Dynastie", P. 59 - 61.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 1176 - 90.

مرة في تكوين جنود لعربات القتال، وقد ظهرت فعلا في عهده العربات في ميدان
الوغى^(١) ولكن سرعان ما ظهر كذلك في الوظائف قائد فرسان من جنود القتال
الذين أحيلوا على المعاش .

والواقع أن مثل هذا الموظف قد وصل إلى أعلى رتبة في صفوف الميدان ،
وهي رتبة « فارس » عند نهاية خدمته العسكرية ، وبعد ذلك منح لقب « قائد
فرسان » بعد إحالته على المعاش ، فالوظيفة إذن كانت رتبة شرف تمنح بعد الإحالة
على المعاش ، ولم يكن يستخدم في قيادة عربات القتال هذه من الجنود إلا من كان
من أهل اليسار وهم الذين يكون في مقدورهم أن يقتنوا لأنفسهم العربات ويصرفوا
عن سعة على جيادها^(١) ويخصصون الخدم للعناية بها^(٢) . وظهر في الوقت نفسه أنهم
كانوا لا يقبلون في فرقة الفرسان إلا بوساطة أقرباء عريقين في المجد . ومن ثم
ارتفعت مكانة هذا الصنف من الجنود على كل أنواع الجنود الآخرين المقاتلين ،
وعلى ذلك كانت وظيفة قائد الفرسان شرفا لحاملها ، ولكن الفرعون على العكس
كان يشغل هذه الوظيفة بأفراد يريد أن يرفع من شأنهم ، فقد رقى «تحتمس الرابع»
كاتب المجندين « حور محب » إلى مرتبة « قائد فرسان » بعد أن كان قد نصبه
في وظيفتين خطيرتين وهما (مربي الأميرة «امتمابت») والمشرف على كل الكهنة،
وذلك في لحظة كان الحلاف فيها على أشده بين الملك وحزب كهنة آمون . وإذا كان
اسم قائد الفرسان « حقا — ر — منح » مربي الأمير فإن ترقيته ترجع إلى مهمته
الأخيرة . وواضح للعيان أن منح « يويا » صهر الفرعون « أمنحتب الثالث »
لقب قائد فرسان كان مجرد ترقية نخرية وحسب ، إذ كان يشغل على ما يظهر قبل
ذلك وظيفة كاهن الإله «مين» في مدينة «أنحيم» ، ولكن من المحتمل أنه قد نال
شرف هذا اللقب بفضل زوجته ؛ لأن ابتها كانت وصيفة استحوذ عليها ولي العهد

(١) راجع : Pap. Anastasi III, 6, 7 - 8.

(٢) كان الفرعون يعنى بخيله (Ibid. 6, 5.)

وتزوج منها على غير المألوف ورفعها إلى مرتبة ملكة شرعية للبلاد . وفي هذه اللحظة كان من الضروري أن يمنح الفرعون والد زوجته رتبة تفوق الرتب التي كان يحملها حتى الآن ، نخلع عليه رتبة « قائد الفرسان » .

على أن تتبع سير ترقية « آي » إلى هذه الوظيفة في عهد « إخناتون » يظهر من الأمور الصعبة ، ولكنه في الحقيقة كان في الأصل من ضباط القتال وهم الذين يرقى منهم قواد الفرسان . ولا نزاع في أن علاقته بالبلاط جعلت مسألة رفعه إلى هذه المرتبة أمرا ضروريا بل عاديا ، وذلك لأنه تزوج مرضعة الملكة « نفرتي » ، ولكنه على ما يظهر فضلا عن ذلك كانت له علاقة أخرى تربطه بالبلاط لا نعرف كنهها على وجه التأكيد ، وكل ما يقال في هذا الصدد أنه حصل على لقب « والد الإله » .

أما الذين كانوا يعملون تحت إمرة قائد الفرسان فهم رؤساء الإصطبلات . وكان لديهم عدد محدود من الجياد يرعونها ، هذا إلى ما يتبعها من الرجال الذين كان من أهم واجباتهم العناية بهذه الحيوانات وإطعامها ، إذ قد ذكرت لنا في خطابات التلاميذ التي ترجع إلى عهد الرعامسة هذه الواجبات عند ما كانت تتناول الكلام على رؤساء الإصطبلات . فقد كان لزاما أن تساق الجياد إلى المراعى وترعى هناك ، وقد كان عقاب كل من يهمل في أمر هذه الحيوانات أن يقصى إلى حاميات الجنود المقيمة في البلاد الأجنبية^(١) . وكذلك كانت تخصص على ما يظهر حقول يؤخذ محصولها علفا لهذه الخيل^(٢) ، فقد صرح لنا رئيس الإصطبل « امن — م — إوا » ... من اصطبل القصر العظيم « لرعمسيس » : وقد أعطيت حقلا ، مساحته ثلاثون أرورا فزرع شعيرا نخيل الفرعون التي كانت تحت إدارتي^(٣) . وقد كان يخصص لهذه الحقول فلاحون وكان رؤساء الإصطبلات هم المكلفون

(١) راجع : Pap. Sallier I, 7, 2 - 4.

(٢) راجع : Pap. Bologne 1094, 28 - 31. Pap. Sallier ; I, 9, 2 - 9.

(٣) راجع : Pap. Bologne 1094, 3, 1-3.

بانتخاب ما يصلح منها لميدان القتال^(١) . أما مكانة رؤساء الاصطبلات بالنسبة لغيرهم من الموظفين فيمكن استنباطها من مرسوم « نوري » الذي وضع في عهد « ستي الأول » فقد عدت فيه الوظائف على حسب درجاتها من أعلى إلى أدنى^(٢) . فنجد تبعا لذلك أن وظيفة رئيس الاصطبلات أقل من وظيفة « فارس » وأعلى من وظيفة « حامل العلم » . على أننا مع ذلك نعرف مكانة بعض رؤساء الاصطبلات من الآثار ، فقد كان رئيس جواد الفرعون « سو — منوت »^(٣) قبل توليه هذا للنصب يشغل وظيفة رئيس الاصطبل وقد ذكر هذا اللقب كثيرا على جدران مقبرته . على أنه قد صحت عن ذكر لقب حامل العلم لأنه لقب صغير جدا فلم يذكره إلا مرة واحدة^(٤) ، ومن المحتمل أن ذلك يظهر بوضوح أكثر في عهد كل من « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثاني » إذ عثر على قبرين لموظف يدعى « نب — ن — كمت » أحدهما في « طيبة »^(٥) والثاني في « سدمنت »^(٦) ، وإذا صح أن القبرين له فإنه كان يلقب في قبره الذي في « طيبة » بلقب « حامل العلم ورئيس الاصطبل » على حين أنه كان يلقب في قبره « بسدمنت » بلقب « فارس وحامل العلم في السفينة »^(٧) « خع — م — ماعت » ، ومن ذلك نعلم أنه قد رقى فيما بعد إلى رتبة فارس عندما نقل إلى « اهناسيا المدينة » في مصر الوسطى . وكذلك نعلم أن حامل علم آخر قد رقى إلى رئيس اصطبل وهذا هو « باسر ابن حوى » نائب الملك في عهد « توت عنخ آمون »^(٧) ، وهذا الترقى من رئيس اصطبل إلى درجة فارس

(١) راجع : Pap. Koller I, 1

(٢) Griffith J. E. A. XIII, P. 183 f. f.

(٣) راجع : Tamb 92 (W. B. Theb. Grab 972 Abschrift 310, 89 :

Con. fun. 123; A. S. I, P. 106-107.

(٤) راجع : Con. funeraire No. 124

(٥) راجع : Urk. IV. P. 996-997

(٦) راجع : Petrie, "Sedment", II, Ph, LII

(٧) راجع : Davies, "The tomb of Huv". Pl. XI

يجب أن نقبله ، لأن كليهما ذكر الواحد تلو الآخر في ترتيب ألقابه ، وكذلك نشاهد في استعمال كلا اللقبين في مقبرة « امنسو »^(١) . فإنه يستعمل دائماً لقب فارس ولا يستعمل لقب رئيس الاصطبل إلا نادراً جداً مما يدل على أن اللقب الأخير صغير ولا يستحق الذكر . ومن ذلك يمكننا أن نستنبط تاريخ مجال حياة الضباط فإنه كان ينحصر في ذلك الجيش جندياً بسيطاً ثم يرقى إلى حامل علم ، ثم يدرج إلى وظيفة رئيس اصطبل ثم يرتفع إلى رتبة فارس ، وأحياناً يرقى إلى رتبة قائد فرسان . وعلى ذلك نجد أن الترقى إلى وظيفة رئيس الاصطبل ليست خارجة عن سلك مجال ضباط الميدان كما هو الحال في رتبة قائد الفرسان .

على أننا نميز درجات في داخل حدود وظيفة رئيس الاصطبلات فهناك الرئيس الأول لاصطبلات الفرعون ومن المحتمل أنه كان مديراً لاصطبل الملكى وهو المكان الذى يقيم فيه جنود الحرس الذين فى ركاب الملك ، ويوجد قسم خاص يسمى اصطبل الغيار حيث تجهز الخيل للغيار وحيث يمتزق المقترعون^(٢) . وفى هذا القسم نجد مثلاً أن « بق ن خنسو » الذى أصبح فيما بعد الكاهن الأعظم « لآمون » كان يشغل من سن الخامسة حتى السادسة عشرة وفى نهاية هذه المدة حصل على لقب « فارس » وكذلك كاتب الورقة الهجائية المشهورة التى تسمى الآن « ورقة انستاسى الأولى » كان يسمى نفسه : « الذى يعلم جياد الحاكم » . وكذلك تدلنا هذه الورقة فى الوقت نفسه أنه كان يلحق الجنود المقترعين المعلومات لتثقيفهم فى حرفتهم ، وهذا على النقيض التام من جنود المشاة . وهذا مفهوم بطبيعة الحال لأن الجنود الفرسان كانوا ينتخبون من أحسن الأسر المصرية ، ولذلك كانت توجه

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Menkheperasonb", pp. 27-34

(٢) راجع : Davies, "The tomb of Huy", Pl. XI « ثر » بن « حوى » نائب

الملك فى بلاد « كوش » .

(٣) راجع : Brugsch, "Thesaurus" P. 1242

إليهم تلك العناية الممتازة . وكان السواد الأعظم من هذه الطبقة يرغبون في خروط
أبنائهم في سلك الفرسان . ولهذا نجد كذلك أن المعلم الذى نقل الخطابات النموذجية
التي وصلتنا في ورقة « انستاسى الثالثة » كان يلقب الرئيس سائق عربية جلالة على
أن وظيفة السائق الأول لعربة جلالة الملك التي ذكرناها الآن كانت ذات مرتبة
عالية ويستدل على قيمتها من مدلولها ، أى أنه كان يقود العربة الملكية ، وبذلك
كان يشغل وظيفة خطيرة جدًا . وإذا فحصنا هذه الوظيفة من حيث ترتيب مكاتها
في منشور « نورى » الذى كتب في عهد « سبتى الأول » نجد أنها أكبر من وظيفة
« رئيس الاصطبل » ولكنها كانت في الوقت نفسه أقل من مرتبة « فارس » .
وكذلك نشاهد في نقوش « وادى الحمامات » التي من عهد « رعمسيس الرابع »
أن مكانة السائق الأول تحتل مكانة قبل رئيس الاصطبل بين الموظفين .
وفي نهاية الأسرة الثامنة عشرة نرى أن اثنين من سائقى عربية الفرعون قد رقا
إلى رتبة « فارس » وهما « رأ^{١١}نقر » في عهد « إخناتون » و « بارعمسسو » في عهد
« حور محب » (راجع A. S, 14. p. 30 ff.) .

وكان الفرعون يكلف سائق عربته الأول بالقيام ببعثات خاصة لجلالته
في الخارج وفي هذه الحالة كان يسمى « مبعوث الملك في كل أرض أجنبية » فمثلا
قام رئيس الاصطبل « امنمابت » بتفتيش في بلاد كوش ، أو نشاهد سائق عربية
الملك الأول المسمى كذلك « امنمابت » يحمل لقب مبعوث الملك إلى سوريا من « سيلة »
حتى « يافا » ، ومن المحتمل أن « خانى » الذى أرسل في عهد « أمنحتب الثالث »
إلى سوريا ليهدئ الأحوال هناك كان يحمل هذا اللقب وهو ما يعادل (وكيل
« ربيصو ») في اللغة الآشورية . غير أننا لسنا على يقين من أن لقب « وكيل ربيصو »
يعادل رئيس الاصطبلات . ومن المحتمل أنه كان يرسل في تلك الفترة عدد من قواد

(١) راجع : Peet City of Akhenaton I, Pl. 9, 3.

(٢) راجع : Rev. D'assy. 19, 100; 31, 126.

الفرسان إلى الخارج لشراء الخيل من سوريا وذلك لأنه قد ظهر أن تربية الخيل في مصر لم تعط نتاجا أصيلا .

أما الجنود الذين كانوا يحاربون بالعربات فهم السائقون وكان تحتهم في المرتبة المحارب الذي يقف في العربة على ما يظهر^(١) . وبتضح لنا ذلك من ذكر هذه الوظائف الحربية التي دوت بالترتيب على حسب درجاتها في ورقة « هود »^(٢) وكما جاء ذلك أيضا في موقعة « قاذش »^(٣) وقد كان للسائقين نظام داخل اصطبلاتهم ، غير أنه يلاحظ هنا أن كل الخدم واتباع عربات جنود القتال الذين ذكروا في عهد الرعامسة لم يكونوا قد عرفوا بعد في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

أما مركز معسكرات الفرسان في عهد الأسرة الثامنة عشرة فكان في عاصمتي البلاد وهما « طيبة » و « منف » حتى عهد « إخناتون » . أما في « تل العمارنة » التي انتقل إليها « إخناتون » فكانت الشككات مجهزة بساحات عظيمة للتمرين ، وقد عثر في « منف » على صورة تمثل تمرين حرب العربات . أما الذين نشاهدهم واقفين في هذه الصورة من جنود الفرسان فانهم يتسلمون طعاما مثل المشاة على يد ممثل الجيش ولذلك نجده ممثلا معهم في صور توزيع الأغذية كما نجدهم واقفين صفوفًا أمام ممثل الجيش ومعهم خيلهم (راجع J. E. A, 20. p. 135; Quibell Saqqara Excav. 8. Pl. 12. -)

والظاهر أن العلم الذي كانت تحمله فرقة الخيالة في « طيبة » كان يتألف من قضيب عليه تمثال جواد ، وقد عثر على جزء من منظر في الدير البحري عليه رسم علم مثل عليه جوادان وجها لوجه ، ومن الجائز أنه خاص بفرقة الخيالة وهذا أقدم رسم لعلم من هذا النوع .

(١) راجع : Helk, Ibid p. 65.

(٢) راجع : Mariette etudes egypt II, 1 ff. Line 17 - 18.

(٣) راجع : Selim Hassan Poème de Pentaur. Line 25.

وقد كانت رتبة قائد الفرسان آخر ما يناله ضابط القتال من الرقي بعد ختام خدمته العسكرية، ويجب علينا أن نذكر هنا أن وظائف الكهانة كان يمكن أن يشغلها أفراد من الجنود القدماء، وإن لم يحدث ذلك كثيرا على وجه التحقيق . فنشاهد مثلا أن « معى » الذى خدم فى عهد « تحتمس الثالث » ونال مكافأة من الذهب لأنه أظهر كثيرا من ضروب الشجاعة قد وضعه الفرعون فى وظيفة نخرية وهى الأمير الوراثى ومدير كهنة المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى (راجع Schafer amtl Ber. Kgl. Kunstsamml. (1911) Sp. 186. & Ibid Sp. 188, Auch. S. 4. Anm 9. . هذا إلى أن رئيس اصطبلات « أمنحتب » الذى كان يرافق جلالة الملك « تحتمس الرابع » فى البلاد الأجنبية كلها من بلاد النوبة حتى بلاد النهرين قد رقى ترقية حقيقية إلى مرتبة دينية عظيمة وهى رئيس كهنة الإله « أنوريس » فى « طينة » (راجع A. Z, 73. p. 77. وسنرى فى عهد « حور محب » التغيير العظيم الذى حدث فى تقدير جندى القتال مما أدى إلى شغل وظائف الكهنة بضباط من الجيش عن قصد، وقد أخبرنا بذلك « حور محب » نفسه على تمثاله الموجود الآن فى « تورين » إذ يقول : "وقد مدت المعابد بكهنة مطهرين وكهنة مرتلين انتخبوا من خيرة رجال الجيش" (راجع Davies Tomb of harmhabi. p. 40. line 25. .

وظائف القصر

لقد كان الفرعون « أمنحتب الثانى » عندما رقى الفارس « أمنحتب » إلى رتبة ممثل له فى الجيش يرتكن على أن هذا الجندى كان خادما أميناً فى عهد والده « تحتمس الثالث » ، وأنه نظرا لما قام به من خدمات جليلة لا بد أن نختم حياته فى خدمته بالإعلاء عليه بهذه المكانة الرفيعة^(١) على أننا نلاحظ وجود نفس هذه الفكرة بوضوح أكثر فى نقوش حامل العلم « نب آمون » فى عهد « تحتمس الرابع »

(١) راجع : Urk. LV, P. 897.

عندما يقتبس لنا هو خطاباً أرسله إليه الفرعون يبشره فيه بترقيته إلى وظيفة « رئيس شرطة طبية الغربية »^(١) . حقاً يظهر كل هذا بوضوح إذا ألقينا نظرة على علاقات أمثال هؤلاء الرجال بالبلاط الفرعوني فقد كان « أمنحيب » زوج مرضعة الملك . ولأجل أن نعرف مدى تأثير قرابة الموظف بمرضعة الملك أو أحد أعضاء الأسرة المالكة في سير ترقيته سند ذكر هنا أسماء بعض مرضعات الفراعنة ومقدار قرابتهن بالموظفين الذين نالوا المراتب العالية لاتصالهم بهؤلاء المرضعات . وهؤلاء^(٢)

(١) راجع : Davies, Two Officials; Pl. 26.

(٢) هؤلاء المرضعات كان بعضهن معلوماً أزواجهن وأولادهن وبعضهن لم نعرفه حتى الآن :
رأهم أولئك المرضعات :

« رعى » مرضعة الملكة « أحسن نفرتارى » Urk. IV. P. 77 - 78

« تنى حت » مرضعة الملكة « أحسن نفرتارى » J. E. A. XI, P. 14.

« إن » المرضعة العظيمة لربة الأرضين « حتشبسوت » Urk. V, P. 241

« تلت إيونت » مرضعة « حتشبسوت » زوج حاكم « طينة » « ساتب إحو » Stela, Cairo
Mus. 34080.

« نفراعح » مرضعة « حتشبسوت » وزوجها كاتب الفرعون « بويا » وابنها « يوم وع » الكاهن

الثانى للإله آمون (راجع Davies, "The Tomb of Puyemre", Pl. XXIX

« إيو » مرضعة تحتمس الثالث (؟) وابنتها الزوجة الملكية العظمى « سات اعح » Urk. IV, P. 604.

« تايوننت » مرضعة تحتمس الثالث (؟) وزوجها أمنحات وابنها كاهن آمون الأول « منخبورع

سنب » (راجع Davies, "The Tomb of Menkheperresonb, P. 1 - 26.

« بكت » المرضعة العظيمة لرب الأرضين زوجة « أمنحيب » نائب جيوش الفرعون وابنه رئيس أتباع

جلالته « إمو » Urk. IV, P. 889 - 925

« معزوت » مرضعة « أمنحيب الثانى » زوجها « بحوسنفر » وزوجها رئيس الرماة لرب الأرضين ووكيل

الفرعون ، وابنها « أمنسو » (راجع "Mem Miss. Arch. Franç", V, P. 224 ff.

« أمنمات » مرضعة « أمنحيب الثانى » ووالدة « قن آمون » المدير العظيم للبيت الملكى (راجع

(Davies, "The Tomb of Kenamon" Pl. IX, P. 19.

« حناى » مرضعة « أمنحيب الثانى » (؟) وزوجها الكاهن الأول للإله « مين » المسمى « رع نيب بحتى » وابنها

الكاهن الأول لآمون المسمى « مري » (راجع Lefebvre, "Grands Petres", P. 236 - 7.

« مريت » مرضعة الملكة « قى عا » وزوجها حامل الخاتم المسمى « مين » ، وابنها حامل الخاتم

« سبك حنب » = (راجع A. Z, 63. p. 114.

النسوة كنّ في الواقع مرضعات لا مربيات وحسب كما كان يظن البعض^(١) ، ولقد كان المنتظر إذن في مثل هذه الحالة أن زوجات أكبر الموظفين رتبة كنّ اللائى يقمن بأمر الرضاعة ، بيد أن ظاهر الأمر لا يدل على ذلك .

وقد كان غير أولئك المرضعات مربون للأمرء والأميرات ، ولذلك نشاهد هؤلاء النسوة في صور نقوش « قل العمارنة » وهنّ يحملن الرضيعات الملكية على أذرعتهنّ ويلحظنهنّ بكل عناية عندما يصبحن أطفالا يمشين^(٢) .

أما ابن المرضعة الذى يربّى مع الملك فكان يحمل لقب « أخ الملك من الرضاعة » أو « أخت الملك من الرضاعة » إذا كانت أثنى . فمثلا كان « قن آمون »^(٣) مدير البيت العظيم الذى ترعرع مع « أمنتب الثانى » يحمل هذا اللقب ، وكذلك تربت بنت « سن نفر »^(٤) عمدة « طيبة » مع الملك « أمنتب الثانى » ولذلك كانت تعرف بأخته من الرضاعة ، كما نجد جدّة الكاهن الأعظم لمعبد الكرنك « من خبرع — سن »^(٥) المسماة « نبت — تا » كانت تحمل هذا اللقب ، ومن ذلك نستنبط أنها كانت بنت مرضعة ملك لم يعرف اسمه بعد . وعلى العموم نجد أن

= « سن أم أعح » ، و « سفرت » ، و « سن تانى » مرضعات الفرعون « أمنتب الثانى » وكلهنّ كنّ زوجات لحاكم المدينة الجنوبية « سن نفر » وابنة مغنية آمون « موت توى » (راجع "Rec. Trav." XX. P. 211 - 223; XXI, P. 127 - 133; XXII, P. 83, 97.)

« بنت كابنى » مرضعة « سات آمون » بنت « أمنتب الثالث » وابنها « حفا نفر » كاتب معبد « أوزير » (راجع Stela, Mariette, "Abydos" II, Pl. 49, Cairo. No. 34117.) « قى » . مرضعة « قرتيقي » وزوجها رئيس الخيل المسمى « اى » (راجع Davies, "El Amarna" VI, P. 16 ff.)

(١) راجع : Sottas Monuments Piot XXV P. 412 ff. & Maspero P. S. B. A. 14, 311.

(٢) راجع : Davies, "El Amarna", II, Pls. II - IV, P. 7, 17, 26; Ibid, V, P. 5, 7 etc.

(٣) راجع : Sottas, "Monuments Piot", XXV, P. 411 ff.

(٤) راجع : A. S., II, P. 199.

(٥) راجع : Davies, "The Tomb of Menkheperasonb", P.15, Pl.XIV.

زوجات ضباط وموظفين متوسطي الحال يؤخذن مرضعات لأطفال البيت
المالك ، فإذا تولى الأخ من الرضاعة عرش الملك فإن المرضعة وكل أسرته
في الغالب ينالهم شرف كبير ، فقد كان الفرعون يمنح مرضعته قبرا كانت تظهر
فيه صورتها بارزة عن كل الصور الأخرى وهى تعطى نديها للملك الرضيع^(١) . وكذلك
نشاهد في مناظر « تل العمارنة » المرضعة ممثلة بصورة بارزة إذ نشاهد « نى »
زوج « آى » ومرضعة الملكة « نفرتي » أنها المرأة الوحيدة التى منحت مع
زوجها ذهباً عندما كان الفرعون يوزعه في احتفال خاص علنا على رجال بلاطه^(٢) .
ولقد كان أبناء المرضعات كذلك يخلدون ذلك الشرف العظيم الذى نالته أسرته
بتصوير والدتهم مع الفرعون وهو يرضع من نديها على جدران مقابرهم^(٣) .

وبمقدار ما لمرضعة الملك من نفوذ على ابنها من الرضاعة كان يظهر تأثير نفوذها
هذا في رفع شأن أفراد أسرتها الآخرين ، وقد كان من أثر هذه العلاقة أن رأينا
فعلا كلا من الضباط « أمنحاب » و « بح سونر » قد وصل عن طريق
زوجته إلى رتبة نائب الجيش كذلك كانت الحال مع « نى » مرضعة الملكة
« نفرتي » فإنها كانت السبب في ترقية زوجها من رتبة « فارس » إلى مرتبة
« قائد فرسان » ، يضاف إلى ذلك أن الفرعون « أمنحتب الثانى » لم يجد من
عظماء دولته من يقلده وظيفة المدير العظيم للبيت الملكى وهى من أهم وظائف الدولة
كما شاهدنا من قبل غير أخيه من الرضاعة « قن آمون » والواقع أن هذه الترقيات
لم تكن على حسب مكانة الرجل ومقدرته بل كانت كذلك لأن الرجل كان زوج
مرضعة الملك أو الملكة وحسب . على أننا لا يمكننا أن نتبع خطوات كل الذين
ترقوا عن طريق مرضعات الملوك الآخرين ، ولكننا لا نكون قد حدنا عن جادة
الصواب إذا قررنا أن رقى « مرى » أو « من خبر رع — سنب » إلى مرتبة

(١) راجع : L.D. Text III, P. 261; "Mem. Miss. Arch. Franç.", V, P. 277.

(٢) راجع : Davies, "El Amarna", VI, Pl. XXIX.

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. IX.

الكاهن الأعظم للاله « آمون » بالكركك أوتيقية « بو — م — رع » إلى وظيفة كاهن ثان كان نتيجة لهذه العلاقة سواء أكانت المرضعة الملكية في هذه الحالات زوجته أم والدته . ومما تجمل الإشارة إليه هنا أن الفرعون « تحتمس الثالث » قد تزوج من بنت مرضعة ملك ، والظاهر أنها كانت أخته من الرضاعة وقد رفعها هذا الفرعون إلى مكان أعلى إذ جعلها زوجته الشرعية وهى الملكة « سات اع » بنت المرضعة الملكية العظيمة المسماة « إبو » .

وكانت ترقية « نب آمون » حامل العلم في السفينة المسماة « مريت آمون » إلى وظيفة رئيس شرطة « طيبة » الغربية لحسن إدارته ومهارته ، ولكن من غير شك كانت علاقته بالبلاط في هذا الوقت لها ضلع عظيم في الترقية ، فقد كانت ابنته وصيفة في قصر الفرعون . والواقع أن العذارى اللآلى كتن^(١) ينتخبن لنفسهن وصيفة الملك لم يكن من بيونات عريقة في الحسب والنسب فقد تباينت النسب . « سحرت — توى » بنت حامل العلم « نب آمون^(٢) » والعذراء « حنت تانب » وهى بنت حارس باب المخزن المسمى « أمنحتب وسر^(٣) » وكذلك الفتاة « أمنحنت^(٤) » وأخوات لها كتن بنات قياس الأراضى « منا^(٥) » وكانت العذراء « حنت نفر^(٦) » بنت كاتب مخبز . ومن ثم يمكننا أن نستخلص أن أولئك الفتيات لم يكن ينتمين إلى طبقة عريقة يمكن بها الرجوع لمعرفة مركزهم الأسرى ولا غرابة في ذلك فإنهن كن ينتخبن لجمالهن لأصلهن وأسرهن ، وقد مثلت صبور طائفة من هؤلاء الغانيات على جدران حجرات برج مدينة « هابو » يسمرن ويلهين مع الفرعون « رعمسيس الثالث^(٥) » وأولاء الوصيفات كن يقمن في القصر بدور هام إذ كن بمثابة رفيقات الأميرات يلهين ويلعبن معهن .

(١) راجع : Davies, "Tomb of Two Officials", Pl. XXI.

(٢) راجع : Berlin Mus. No. 2298. (قبل عهد إخناتون) .

(٣) راجع : Wreszinski, "Atlas", I. Pl. 25. (من عهد تحتمس الرابع) .

(٤) راجع : Porter & Moss I, p. 87 - 89. Tomb No. 56.

(٥) راجع : Holscher, "Hohes Tor", Abb. 7 - 8, 40 - 42, "Work in West Thebes", (1931 - 32), P. 96 - 97, fig. 50 - 51.

كذلك كان الأمراء يتخذون لأنفسهم إخوانا ورفاقا من سنهم من بين أولاد الموظفين الذين لم يكونوا من أسر عريقة في المجد .
وقد كانت العذارى الوصيفات يتساوين مع الأميرات في لباس الرأس كما كنّ ينشأن تنشئة الأميرات من حيث التربية والتعليم^(١) ، ولذلك كان يرغب في التزوج منهنّ أكبر موظفى الدولة ، وكهنة من أعلى رجال الدين مكانة . وإذا اتفق أن تزوج أحد الموظفين من إحدى الوصيفات قبل أن يبلغ مرتبة عظيمة في سلك وظائف الحكومة فإن هذا الزواج كان بمثابة ضمان لرقبه وحسن طالعته حتى أعلى درجة ، وذلك لأن الفرعون كان يعمل في أناة وتؤدة وروية عندما يريد ملء أهم وظائف الدولة سياسية كانت أو دينية فكان لا ينتخب عماله إلا من الرجال الذين تربطهم بالبلاط روابط أسرية من هذا النوع ، ولهذا السبب نجد بعض وصيفات القصر قد أصبحن زوجات الوزراء في الدولة . فنجد مثلا أن وزير « تحتس الثالث » « رخ مى رع » الذائع الصيت قد تزوج من الوصيفة « مريت » وأن الوزير « أمنأبت » تزوج « ورت ماعتف » في عهد « أمنحتب الثانى »^(٢) ، وكذلك كنّ يتزوجن من موظفين حريين وكهنة من الطبقة الثانية ومن كهنة آخرين في طيبة^(٣) ، ومن حكام ضياع معبد آمون أو البلاط الفرعونى أو موظفين في البلاط^(٤) في طيبة^(٥) ، ومن حكام ضياع معبد آمون أو البلاط الفرعونى أو موظفين في البلاط^(٦) في طيبة^(٧) ، ومن حكام ضياع معبد آمون أو البلاط الفرعونى أو موظفين في البلاط^(٨) في طيبة^(٩) .

(١) راجع : Davies, Tomb of Neb-amun", Pl. XXII; Wreszinski, "Atlas" I. Pl. XXV; Berlin No. 2298; Holscher, ibid, Abb, 8, Prinzessin: Wreszinski, "Atlas", I, Pl. 39.

(٢) من عهد « أمنحتب الثانى » Weil. P. 79

(٣) « ثنى » تزوج من « موت ارى » (راجع) Urk. IV, P. 1011.

(٤) « كام حرى إب سن » زوجة « حنت تارى » (راجع) L. D. Text. III, P. 278.

(٥) « أمنحتب ساسى » زوجة « رعى » (Urk. IV, P. 1215)

(٦) راجع : Cairo Mus. No. 34048; Urk. IV, P. 1119; Anthes, "Orientalistische Literaturzeitung (1931 sp. 523.)

(٧) « وسرحات » تزوج من « حنوت نفرت » W. B. 1heb. Grab. 546 Abschr. Sethe, 8, 24.

(٨) مدير ضياع زوج الإله « أحس نفر تارى » المسمى « أحس مسو حى » زوجة « نب » (راجع) (Weil, "Viziere", P. 79.

(٩) راجع : A. S. VI, P. 75;

وكذلك من مدير مصلحة « عين حور »^(١) وإذا اتفق أن توفيت إحدى الوصيفات قبل أن تزوج دفنت في مقابر « وادي الملوك »^(٢) .

على أن هذه الرابطة بالبيت المالك بوساطة وصيفات القصر كانت تجعل الفرعون يثق ثقة عظيمة في إسناد أعلى المناصب إلى أفراد من نسل هؤلاء الوصيفات ، ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن أبناء الوصيفات قد أصبحوا يتقلدون أعلى مناصب الدولة فكان منهم الوزراء مثل الوزير « رخ مى رع » بن « بتا » والوزير « حبو سنب » ابن الوصيفة « اعح حتب » في عهد « حتشبسوت » ، وكان منهم كهنة وموظفون في المعابد ووزراء مالية وموظفون في البلاط . ونجد في بعض الأحيان أن بنات الوصيفات يصبحن مرضعات لأقارب الفرعون . [وهذا يفسر التناقض القائل بأن المرضعات لم يؤخذن من طبقات وضيفة ، ولكن الواقع أننا نشاهد حالات خاصة كانت تؤخذ فيها زوجات بعض كبار الموظفين ليصبحن مرضعات للملك . وفي هذه الحالة تكون علاقة هؤلاء الموظفين العظام شفيها لذلك] .

ومما سبق نرى أنه على مر الأجيال قد نشأت أسر ارتبطت بالفرعون وبقي هذا الارتباط دائما وبذلك أصبح رجالها لهم فضل السبق في تولى الوظائف الحكومية المسئولة التي تحتاج إلى ثقة عالية .

وقد ظهرت في هذا الوقف بوادر تحول في الحالة الاجتماعية بين ضباط الميدان والموظفين الحربيين وذلك أن حامل العلم « نب أمون » قد نزل عن أخته لتكون بين نساء القصر ، وأن كاتب المجندين « ثننى » قد تزوج من إحدى وصيفات القصر بوصفه من كبار الموظفين في الدولة .

(١) راجع : Urk. IV; P. 547.

(٢) راجع : A. S., IV, P. 138 ff.

ومن ثم نلاحظ أن ضابط الميدان كان يرغب عند انتهاء مدة خدمته العسكرية في أن يتقلد وظيفة إدارية رفيعة أو يصبح من رجال البلاط الفرعوني . على أن عدم قدرته على القيام بأعمال وظيفة رفيعة في الحكومة لما كانت تتطلبه تلك الوظائف من تعليم خاص كان يغطى عليه تنصيبه في مركز رفيع له صلة مباشرة بالفرعون ، ولكن كان تنصيب مثل هؤلاء الضباط في وظائف مدنية يجعلهم خطرا عظيما على الفرعون نفسه بما لهم من وثيق الرابطة الأسرية به وبما آل إليهم من سلطان وقوة في وظائفهم . وقد شاهدنا فعلا أن وظيفة « المدير العظيم للبيت الملكي » الضخمة ووظيفة « رئيس شرطة العاصمة » ووظيفة « تموين الجيش » ووظيفة قائد الفرسان التي كانت في معظم الأحيان ينتخب رجالها من بين طبقة الموظفين أصبح ينتخب رجالها من بين ضباط الجيش الذين أحيوا إلى المعاش ، وقد بلغ من سلطانهم أنهم أصبحوا يمثلون إرادة الفرعون ، ولذلك كانت أية محاولة للقضاء عليهم تؤدي حتما إلى انقلاب خطير في حكم البلاد .

والواقع أن موظفي الحكومة في عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى عهد « أمنحتب الثالث » قد قاموا بأداة الحكم خير قيام بما كان لديهم من قدرة وبما اكتسبوه من ثقافة وتعليم خلال سنين طوال وبتوارثهم الوظائف في أسرهم أبا عن جد . وقد كانت هذه القدرة على إدارة الحكم هي التي جعلت طبقة الموظفين ينظرون إلى الضباط وغيرهم نظرة احتقار ، وأنهم لن يكونوا بحال ما قادرين على إدارة سكان الحكومة ، ولذلك كانوا لا يعدّون الموظفين الحربيين رجالا عسكريين ، بل مجرّد موظفين ، وأكبر دليل على ذلك ما ذكره « أمنحتب بن حبو » في ترجمته لنفسه فقد كان تفوّذه وفضله هما اللذان جلبا له وظيفته ، أما كفايته الحربية فلم يكن لها دخل في ذلك .

ومن أجل هذا كان جل هم ضابط الميدان أن يترك عمله الحربي وينخرط في زمرة طبقة الموظفين ، فإذا وصل إلى وظيفة حكومية فإنه لا يلبث أن ينبذ صراحة ماضيه الحربي ويحس أنه قد تخلص من كابوسه ، ولذلك نراه عند

ما يذكّر المناصب التي تولّاها كان يترعرع الكرام على وظائفه الحربية بمهارة وحذق، فلا يذكرونها ما استطاع لذلك سبيلاً، ولا تعوزنا الأمثلة على ذلك فقد صمّت « قن آمون » و « سنموت » و « آي » (الذي أصبح ملكاً فيما بعد) عن ذكر ألقابهم الحربية . وعلى الرغم من المبالغة في علم طبقة الموظفين وثقافتهم ، وعلى الرغم من الاعتقاد بأنهم هم الذين كان في مقدورهم القيام بأعباء الحكم في البلاد وحدهم ، فإنه لا يفوتنا أن نفهم أن الجيش في مركزه الثانوي كان لا يزال قوة فعالة يعتمد عليها في البلاد . على أنه عندما بدى في تحطيم هذه الأوهام ، وتلك المعتقدات العالقة بأذهان القوم عن طبقة الموظفين وثقافتهم أخذ الطريق ينفسح أمام رجال الجيش ليؤغلوا في وظائف الدولة .

وهذه الحقيقة قد وقعت نتيجة للإصلاح الذي قام به « إخناتون » ، وذلك أن هذا الفرعون عندما كان يسعى للقضاء على سلطان كهنة « آمون » ونفوذهم الذي كان يقف عقبة كأداء في طريق القيام بإصلاحه الديني المنشود كان لا بد له كذلك من القضاء على طبقة الموظفين الذين أوجدوا ارتباطات داخلية ضده بانضمامهم إلى الكهنة . وهذا العداء من جانب الموظفين أجبر الفرعون على أن يقضى على هذه الطائفة مع ما لها من ماضٍ مجيد وتجارب عظيمة في إدارة الحكومة ليحل محلها رجال جدد في أهم وظائف الدولة ليس في نفوسهم روح العداء والمعارضة الذي يملأ نفوس الموظفين السابقين ، ولم يكن علم الموظف أو ثقافته بالشئ الذي يرفع من مكانته ويعلى من شأنه ، بل كان التسليم بقبول تعاليم الملك دون تفكير أو مناقشة هي الطريق إلى المناصب العالية ، ولذلك نجد أفراداً لم ينالوا قسطاً من الثقافة يؤهلهم للقيام بوظائفهم قد احتلوا أهم مناصب الدولة ، وأدهى من ذلك أنهم كانوا يتفخرون بحرمانهم الثقافة ، وكان الواحد منهم يعلن أنه قد نشأ من أبوين فقيرين .

ولم يمض طویل وقت حتى أخذ الفرعون ينتخب من طبقة الضباط موظفيه الجدد ، وهؤلاء لم يكن يستحوذ على نفوسهم روح التفاخر بالمعرفة الذي كان يستولى

على مشاعر طبقة الموظفين ، على أنهم كانوا في الوقت نفسه قواد القوة كلها التي كانت تشد أزر الفرعون نفسه وأعنى بذلك قوة السلاح . وقد أصبحوا الآن محتررين من توهم أن الفرد لا يصل إلى النفوذ في الحكومة إلا إذا كان مندمجا في طبقة الموظفين ، وكذلك شعروا بأنهم يمكنهم أن يكونوا السند الأكبر للأسرة المالكة وللحكومة معا بما لديهم من القيادة الحربية ، وفي الوقت نفسه كان من الواجب على الموظف الحربي ألا يطمح بعد الى أن يكون موظفا بالمعنى القديم بل يعمل في وظيفته بوصفه قائدا حربيا بالمعنى الحقيقي .

وليس من المدهش إذن أن يصل الآن ضابط الميدان بالطريق المعتادة إلى وظيفة من الوظائف ذات النفوذ العظيم بجانب الفرعون وأن يأخذ في إدارتها بوصفه جنديا معروفا ، ومن ثم فقد اختفت تماما الفكرة القائلة بأنهم كانوا ضعفاء غير قادرين على القيام بهذه الوظائف وبخاصة أن المراكز الإدارية الحربية التي كان يشغلها ضباط الميدان أصبحت هامة وذات نفوذ عظيم ، وبذلك أصبحوا يعيشون في ظل تلك الفكرة الجديدة لا كما كانت تحتوى طبقة الموظفين من قبل بما لهم من مجد عريق وثقافة ممتازة . هذا فضلا عن أن وظيفة قائد الفرسان لم تصبح بعد وظيفة شرف أهلية بل صارت وظيفة حربية حقيقية وسرعان ما ظهر فعلا قائد فرسان من هذا الطراز ، وكان من طبقة الموظفين القدامى ، ولكنه بتغير الآراء وصل إلى السلطة واعترف بالانقلاب الجديد ، إذ أدرك أنه لا بد من إدخال القوة الحربية لتقوم عليها دعائم نظم الحكومة ولتكون سندا ترتكن عليه الأسرة المالكة ، وهذا الرجل هو « آي » وقد قاد البلاد في ظل هذا النظام الجديد الذي كان قد اتخذته « إخناتون » وسيلة ضرورية للقيام بانقلابه الديني المنشود ، حتى جعله نظاما ثابتا ، وقد بقي في الانتشار والنمو بعد « آي » إذ اعتنقه « حورمحب » ووطد أركانه « رعمسيس الأول » من بعده حتى أصبح فعلا النظام الجديد الذي سارت على نهجه حكومة عهد الرعامسة .



الملك آى



مما لا شك فيه أن « آى »^(١) لم يكن من الأسر العريقة في المجد التي كان يرث فيها الأبناء الوظائف الرفيعة أبا عن جد، ولا أدل على ذلك من أنه قد أغفل والديه، وصمت عن ذكرهما في النقوش التي تركها لنا صمتا تاما في كل مناسبة من المناسبات التي كان يحسن فيها التمدح بهما، كما جرت العادة عند عامة المصريين الذين ينتسبون

(١) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 16 - 24, 28 - 29, 34 - 35, Pls. XII - XXIV, XXVI b - XLIV; Berlin Mus. No. 17555; Davies, "The Tomb of Harmhabi", P. 128, 133; J. E. A. XVIII, P. 52; L. D. III, Pl. 113; D. T, III, 222.

إلى أسر عريقة الأصل . أما عن الرتب التي وصل إليها فقد ذكر لنا في نقش على صندوق صغير يوجد الآن بمتحف « برلين » أنه كان يحمل لقب « فارس » ، ومن ثم نعلم أنه كان في أول حياته قد انخرط في سلك الجندية وأنه كان من الضباط الذين حاربوا في ميدان القتال وترقى حتى وصل إلى رتبة فارس . ولا شك في أنه قد نال هذه الرتبة بمكانة زوجه « تى » التي كانت المرضعة العظيمة للملكة « نفرتيتى » . ومما لا نزاع فيه أنه كان ينجل من إثبات ألقابه الحربية على الآثار عندما انخرط في سلك الإدارة الحكومية ، يدل على ذلك أنه لم يذكر لنا رتبة الحربية في مقبرته « بتل العمارنة » ، هذا إلى أنه قد وصل بما لزوجه « تى » من النفوذ والرابطة القوية في البلاط إلى نيل لقب آخر وهو لقب « والد الإله » والظاهر أن هذا اللقب كان من الأهمية بمكان في عين « آى » حتى أنه ضمه إلى اسمه في طغرائه عندما اعتلى عرش الملك ، غير أن علماء الآثار لا يزالون عاجزين عن تفسير معنى هذا اللقب أو معرفة كنه هذه الوظيفة ومنشئها . فيرى بورخارت أن هذا اللقب يعنى « صهر الملك » أى والد زوجته ، وذلك لأن صهر الملك « أمنتحتب الثالث » المسمى « يويا » يحمل هذا اللقب . غير أنه إذا صح القول بأن « نفرتيتى » كانت بنت « يويا » و « تى » فإن ذلك لا ينطبق على « آى » و « تى » . لأن « تى » هذه لم تكن ام « نفرتيتى » إلا من الرضاعة . ولذلك عندما تناول الأستاذ « إدوارد مير » هذا الموضوع في تاريخه وقال إن هذا اللقب في هذه الحالة ينسب إلى الرضاعة لم يحل المشكلة ، لأننا لم نصادف إلى الآن في النقوش المصرية أن زوج مرضعة الملك يحمل لقباً كهذا . على أننا من جهة أخرى يمكننا أن نقول بتحفظ إن هذا اللقب يعنى أن « آى » كان والد امرأة ثانية للفرعون لم تكن من نساء البلاط أى من الوصيفات ، وعلى هذا الزعم يحتمل أن « آى » كان له بنت في القصر الملكى غير أننا بكل أسف لا نعرف له ابنة قط . على أن هذا اللقب « والد الإله » ليس في نظرنا من الألقاب الطنانة الجسوفاء التي كانت تمنح في كل عصور التاريخ

المصرى مثل لقب « حات عا » أى الأمير الوراثى أو « سمروعتى » أى السميع الوحيد بل كانت له قيمة ذات وزن فى ألقاب الدولة . ولا أدل على ذلك من أن « آى » عند ماتولى العرش وأصبح ملكا فعليا على البلاد وضع هذا اللقب فى طفرائه الملكى . هكذا : والد الملك « آى »^(١) .

أما عن نشاط « آى » وتفوقه فى عهد « أخناتون » فإن ما لدينا من الآثار لايشفى ظيلا إذ قد صممت صمما تاما ، ولم يذكر هو نفسه أى شئ على وجه التحقيق ، وقد أراد الأستاذ « برستد »^(٢) أن يستخلص من اللوحة المنشورة فى مجلة المتحف المصرى وهى الخاصة بعهد « إخناتون » أن الاسم المهم الذى لم يبق منه إلا بقايا إشارات ضئيلة غامضة هو اسم « آى » ، وقد لقب على هذه اللوحة بلقب « مدير المباني » ، غير أن الدكتور « أحمد نجرى »^(٣) أكد لنا أن « آى » كان ابن رجل يدعى رو... ، ولكن لا نعرف أن « آى » هذا هو نفس « آى » الذى أصبح فيما بعد ملكا على البلاد . يضاف إلى ذلك أن الملك « آى » لم يذكر لنا شيئا عن أعماله فى العماره قبل أن يلى الملك ، هذا ويظن البعض أن « خايا » الذى ذكر فى خطابات « تل العمارنة » هو « آى » الذى نحن بصددده الآن^(٤) . غير أن هذا رأى مشكوك فيه جدا إذ لا توجد وثائق تدعمه .

(١) وأنرجحت كتب فى موضوع والد الإله هو ما كتبه الأستاذ جاردنر فى سفره المسمى =

Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", I, P. 47 - 53.

وقد نخرج بالخلاصة التالية :

وعلى ذلك رأينا أن عبارة « إات تر » (والد الإله) أو « إات » « نر مرى تر » (والد الإله ومحجوب الإله) أو إات تر مريف (والد الإله ومحجوبه) تطلق على فرد ملكى وغير ملكى على السواء ؛ والعامل المشترك فى كل هذه التراكيب أن كلمة نتر فى كل منها تعنى الملك العائش الذى يكون حامل اللقب يعد بمثابة والده سواء كان ذلك حقيقة أو عن طريق الزواج (أى المصاهرة) أو لما له من منزلة سامية أو سنّ متقدمة ، أو حكمة منازة أو ما شا كل ذلك . ثم يقول أما عن اللقب « والد الإله » فى المعابد فإنه يحتمل أنه كان يمنح أى كاهن متقدم فى السن يمكن أن يعد الفرعون ابنا له الخ .

(٢) راجع : Breasted, A. R. II, §. 933.

(٣) راجع : A. S., XXXVII, P. 32.

(٤) راجع : Weber bei Knudtzon, P. 1030 f.

ولما اختفى « إخناتون » من مسرح الحياة المصرية الصاخب الذى خلفه حوله مدة حكمه لم يظهر أمامنا « آى » للبيان وقد كان من أكبر أنصار مذهبه، غير أن الباحث فى تاريخ هذا العصر ليصير يد « آى » وهى تلعب دورها فى الخفاء إبان هذه الفترة المضطربة المتراخمة بالأحداث الخطيرة^(١).

والواقع أن « آى » كان هو الموظف الوحيد من كبار الموظفين أصحاب النفوذ الذى بقى فى عمله من بين كل رجال « إخناتون » عندما تولى الفتى « توت عنخ آمون » عرش الملك . والظاهر مما لدينا من الآثار أن ما تبقى من رجال « إخناتون » الذين اشتركوا معه فى نشر مذهبه الدينى قد اختفوا جملة من مسرح السياسة على الأقل، إذ لم نسمع عن واحد منهم قط فكأنه قضى عليهم سياسيا واجتماعيا بموت سيدهم .

وإذا ذكرنا الدور العظيم الذى لعبه « آى » فى عهد « توت عنخ آمون » بما كان يملك من نفوذ عظيم وجدنا بلا شك أنه بمساعدة جنوده الذين كان ضلعهم مع الحزب الذى يعاضده فى الأسرة المالكة قد حقق له النصر . إذ الواقع أنه قد دب ديبب الخلاف والشقاق بين أفراد الأسرة المالكة بعد موت « إخناتون » فنجد من جهة أن « سمنخكارع » الذى كان شريك « إخناتون » على العرش يناصره « آى » فى تثبيت أركان ملكه ، ومن جهة أخرى نشاهد الملكة « نفرتيتى » لا تعترف بالملك للفتى « سمنخكارع^(٢) » .

ولسنا نعلم إذا كان أولو الأمر قد ظلوا على نشر الإصلاح الذى وضع أساسه « إخناتون » أم لا، إذ قد خلت جميع الوثائق التى وصلت إلينا من الإشارة إلى ذلك مطلقا . اللهم إلا اشارات عبارة سنذكرها فى حينها، وقد بدأ النضال بين الحزبين

(١) راجع : Newberry, J. E. A., XIV, P. 3 - 9; Wolf, A. Z., LXV, P. 100.

(٢) راجع : Frankfort and Pendebury, "The City of Akhenaton".

عندما أراد « سمنخكارع » أن يقضى على « نفرتيقي » وبذل على ذلك ما شاهدته من محو اسم « نفرتيقي » وصورها من قصر « مروآتون » في « اخناتون » حيث وضع بدلا منها اسم الملكة « صرت آتون » زوج « سمنخكارع » . وقد كان رد « نفرتيقي » على فعلة « سمنخكارع » هذه أن أرسلت خطابها المشهور إلى ملك اخيتا « شوبيليويوما » تطلب منه أن يرسل إليها أحد الأمراء من أولاده ليكون بجانبها وليتولى عرش البلاد المصرية^(١) .

وفي خلال هذه الفترة أصبح من الواضح للملك « سمنخكارع » ضرورة إيجاد سند جديد ترتكز على معونته الأسرة المالكة ، والظاهر كما تدل التطورات التي أعقبت ذلك أن « آي » هو صاحب هذه الفكرة . والواقع أن « اخناتون » كان قد قضى على أساس الحكم القديم في البلاد بالقضاء على طبقة الموظفين معتمدا في ذلك على القوة . ولم يعد يدور بخلد أحد من القائمين بالأمر الرجوع إلى نظام الحكم الذي كان أساسه طبقة من الموظفين البيروقراطيين ، إذ كان معنى ذلك العودة إلى التسليم التام من جانب الحكومة . هذا فضلا عن أن أهمية القواد الحربيين قد أصبحت معروفة ، وأنهم لا يرضون أن يعودوا بحكومة البلاد إلى سيرتها الأولى .

وعلى ذلك لم يبق « آي » بتغيير أى شيء في نظام الحكم الذي اتخذ « اخناتون » وسيلة إلى تنفيذ فكرته الدينية ، بل على العكس أراد أن يجعله نظاما قائما لحكومة البلاد . وعلى ذلك كان من الواجب عليه أن يجعل قواد الجيش عمادا ترتكز عليه الأسرة المالكة بضمهم إلى جانبها ، ومعنى ذلك أن النفوذ القديم الذي كان في يد طبقة الموظفين ورجال الدين لن تقوم له قائمة كره أخرى ، وفي الوقت نفسه تكون إدارة الحكومة والأسرة معا في يد القائد الحربي . وقد كان هذا الموقف يتطلب شجاعة سياسية من جانب الفرعون ، وبخاصة بعد أن قضى على السياسة الخارجية

(١) راجع : Stum, "Rev. Hittite et Asiatique", II, P. 161 ff;

Fiedrich, "Der Alt Orient", XXIV, P. 13 ff.

التي كانت حتى الآن سياسة سلبية لا تميل الى الحرب ، وكان من الضروري لتنفيذ هذه السياسة وإرسال حملة حربية وكان يترتب عليها إبعاد جنود الجيش عن داخل البلاد وهم الذين كانوا حتى الآن كانوا يحافظون فيها على الأمن والسكينة . وقد كان من الواجب أن تسود البلاد حالة سلام واطمئنان إذا أريد الاستغناء عن هؤلاء الجنود لقمع كل معارضة والقضاء على كل ثورة داخلية لذلك كان من المحتم إلغاء كل القوانين الحربية التي سنها « إخناتون » ليتمكن من القيام بثورته الدينية، وقد كان يتطلب ذلك قبل كل شيء إعادة عبادة « آمون » وإعادة مرتبات المعاشات الى أربابها . وإرجاع الكهنة الى مناصبهم . ولقد كان الغرض من القضاء على الجزء الأساسي من إصلاح « إخناتون » أن تجرد الأسرة المالكة والحكومة في الجيش عضدا جديدا يمكن الاعتماد عليه^(١) ولهذا السبب نجد أن عبادة « آمون » أعيدت ثانية في عهد « سمنخكارع »^(٢) ، وقد جاء على أثر ذلك اضطهاد اسم « إخناتون »^(٣) وقد أصبحت الحرب في الوقت نفسه جهارا بين « آي » وبين حزب « نفرتي » ، ومن الجائز أن المكاتبات التي دارت بينها وبين ملك « خيتا » « شوبيلوليوما » كانت قبل هذه الآونة . ويظهر أن كل أمل في مد يد المساعدة قد ضاع أدراج الرياح .

هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أنه مما يدعو إلى التساؤل والعجب أن « سمنخكارع » وزوجته « مريت آتن » قد اختفيا عن الأنظار بقاءة دون أن يتركا أي أثر ما فيما تبقى لدينا من الآثار حتى الآن . ومع ذلك لم يكن في مقدور « نفرتي » أن تنصر وتغتصب مقاليد الحكم في يدها ، والدليل على ذلك أن البرنامج الذي

(١) راجع : Kees, "Gott Gelehrte Anzeig" (1928) No. 11 P. 529.

(٢) راجع : Gardiner, J. E. A., XIV, P. 10 ff.

(٣) وتدل الآثار على أن اسم « إخناتون » قد بدأ يحى في حياة « نفرتي » (راجع : "City of

(Akhenaton", II, P. 64.

وضع في عهد « سمنخكارع » قد ظل متبعا مناهضا للإصلاح الذي قام به « إخناتون » وأن واضعه وهو « آي » لم يبعد عن الحكم .

والظاهر أن قوة السلاح التي كانت تشد من أزر قائد الفرسان « آي » قد لعبت دورها هنا بضربة حاسمة . ولا نزاع في أنه قد حدثت في ذلك مأساة لأن « آي » كان مضطرا أن يشهر السلاح في وجه المرأة التي كانت تربطه بها أوثق الروابط الشخصية والتي يدين لها بكل ما كسبه من رقي في مجال حياته . وعلى أثر ذلك وضع « آي » « توت عنخ آمون » على العرش بعد أن زوجه من ثلاثة بنات « إخناتون » المسماة « عنخس — ن — با — آتون » وقد بقي « آي » يستغل اسميهما لتنفيذ ما كان يرمى إليه من إصلاح . وبعد أن وضعت الحرب الدينية أوزارها ، قام بإعادة أملاك « آمون » إليه في السنة الأولى من حكم « توت عنخ آمون »^(١) . وبعد ذلك غير الفرعون اسمه من « توت عنخ آتون » إلى « توت عنخ آمون » وكذلك غيرت الملكة اسمها من « عنخس — ن — با — آتون » إلى « عنخس — ن — آمون » ، وأخيرا عاد الملك مع مرشده إلى « طيبة » كما ذكرنا آنفا .

ولعل أكبر دليل على أن الدافع إلى هذه الإجراءات هو اعتبارات سياسية ، أن اسم « إخناتون » لم يمح من جدران القصر الملكي بل منعت الأسرة المالكة ارتكاب مثل هذا العمل من التخريب ، وكذلك حمت ذكريات « سمنخكارع » الذي سارت البلاد على خطته السياسية التي رسمها أو بالأحرى التي رسمت في أيامه على يد « آي » ، فقد قُلت جثته في السنة السادسة من عهد « توت عنخ آمون » من « إخناتون » إلى « طيبة » وكذلك وجدت في مقبرة « توت عنخ آمون » آثار من آثاره باسم « سمنخكارع » وكذلك باسم زوجه « مريت آتون » ، وحتى آثار من آثار « إخناتون » وكل هذه لم تتناولها يد التدمير . وبعد ذلك دبر « آي » باسم « توت عنخ آمون » فكرة إبعاد

(١) راجع : Carter, "The Tomb of Tutankhamon", III, P. 175;

Denkstein Berlin, No. 14197.

رجال الجيش من مصر ، وذلك بإعطاء الأوامر للجيش للقيام بتحقيق سياسة البلاد الخارجية ، وكان غرضه من ذلك مزدوجا ، إذ أراد أولا إعادة ما كان لمصر من مركز قوى في سوريا ، وثانيا — وهو الأهم — إفساح الطريق له لوضع أساس نظام الحكومة في داخل البلاد ، ولذلك كان من الضروري أولا أن يضع « آى » على رأس هذا الجيش رجلا ممن عرفوا بقوة الشكيمة ويجمع إلى هذا إخلاصه للعرش والأسرة المالكة . وشاءت الظروف في هذه الآونة بعينها ألا يجد « آى » من بين أمراء البيت المالك أميرا يضعه على رأس الجيش كما كانت العادة المتبعة في هذا العصر ، ولكن المقادير ساقته له من جهة أخرى الرجل الذى يمكنه أن يقود الجيش بالمعنى الذى يقصده « آى » إذ كان يريد رجلا تجتمع فيه الصفات التى تؤهله لأن يقبض على إدارة دفة الحكم فى البلاد مع الإخلاص والولاء للملك الفتى . ولقد عثر على ضالته المنشودة فى موظف حربى يسمى « حور محب » وكان يشغل من قبل وظيفة كاتب المجندين كما ذكرنا ، وعلى الرغم من أن الآثار لم تنطق صراحة بأن « آى » هو الذى نصب « حور محب » قائدا أعلى للجيش فإن التطورات التى وقعت بعد تنبؤ عن ذلك بجلاء . هذا إلى أن المصادر التى لدينا من قبل عهد « توت عنخ آمون » وكذلك من عهد « إخناتون » لم تذكر لنا شيئا مطلقا عن هذا القائد أما موضوع توحيد مع شخص يدعى « حور محب »^(١) « حور محب » بن « ممسو » الذى ذكر مع شخص آخر يدعى على لوحة « حنوت » فإنه خير صحيح إذ لا يمكن أن يكون قد انتقل من ضابط ميدان إلى كاتب مجندين ، وكذلك ليس من المحتمل ما قاله الأستاذ « برستد » وما رده « ادوارد مير » إن قائد « إخناتون » « با اتن م حب » المحال على المعاش هو نفس قائدنا الأعلى « حور محب »

(١) راجع : Wijngarden Oudheidk Mededael Rijksmus Leiden 1926,

1.-3. & Breasted, A. R. III, § 22; Ed. Meyer, "Gesch." II, I. P. 402.

وقد نصب « آى » بماله من بعد النظر « حور محب » فى أعلى مرتبة فى الجيش إذ جعله القائد الأعلى لكل الجيوش ، وبعد أن قضى على كل بذور طبقة الموظفين الذين كان فى يدهم نفوذ عظيم فى داخل البلاد عهد إلى « حور محب » بمنصب « المدير العظيم لبيت الفرعون » « توت عنخ آمون » كذلك ، وجعل مقره فى « منف » وكان قد اتخذها من قبل مقراً لمسكرات جنوده .

يرى « فلوجر »^(١) فى رسالته عن « حور محب » و « عصر العمارنة » (١٩٣٦) أن حوادث هذا العصر كانت قد جرت على نمط خلاف ذلك إذ يرى أن « آى » كان مناصراً لفكرة ثورة من الثورات الاجتماعية وهى التى يقول عنها إنها ثورة الطبقة المتوسطة ، وكان « حور محب » يقف فى هذه الثورة على النقيض منه ، إذ كان يعاضد الطبقة الأرستقراطية ويدافع عن مبادئها ، ولذلك قام بينهما التراع على السلطة . غير أن الأستاذ « ولف »^(٢) عند مناقشته هذا الموضوع أشار إلى أنه لم تصلنا أية وثيقة من عهد الأسرة الثامنة عشرة تدل على أنه كانت توجد طبقة متوسطة أى من أصحاب الصناعات والحرف الذين يعملون لحسابهم ولا يعتمدون على أناس آخرين لكسب معاشهم ، هذا إلى أنه كان لا يوجد فى الوقت نفسه فى هذه الآونة طبقة أرستقراطية . بل على العكس قد ظهرت مصر وقتئذ بأنها بلاد موظفين وحسب ، وكان رجال الجيش وقتئذ يطمحون للاستيلاء على السلطة ، هذا فضلاً عن أنه ليس لدينا أدلة على الدور الذى نسب لكل من « آى » و « حور محب » ، فليسنا على تأكيد من أن « آى » كان قائد ثورة الطبقة الوسطى . حقا إنه نشأ من هذه الطبقة لأنه صمت صمتاً تاماً عن ذكر اسمى والديه ، بيد أن هذا هو نفس ما فعله « حور محب » . والظاهر أن هذا الرأى يرجع إلى الاعتقاد بأن

(١) راجع : Pfluger, "Harembebe und die Amarnazeit", (1939).

(٢) راجع : Wolf, "Orientalistische Literaturzeitung", (1937) Sp.

« آى » كان مناهضا « لحور محب » من بداية الأمر ولكن هذا رأى لا أصل له وليس لدينا من المبررات التاريخية ما يقيم لهذا رأى وزنا ، وقد بينا فيما سبق أن وظيفة المدير العظيم للبيت الملكى فى خلال الأسرة الثامنة عشرة كانت تزداد قوة على قوة بجانب الملك وبين الموظفين . ولم يكن إلا نهاية حكم « أمنحتب الثالث » حتى أخذ الفرعون يخفف من وطأة حامل هذه الوظيفة وذلك لأن حاملها قبل ذلك الوقت كان يطنى فى تصرفاته على طبقة الموظفين ونفوذهم ولذلك لما تولى « أمنحتب الرابع » عرش الملك أخذ أمر سلطة هذا الموظف يشغل الأذهان لأنه بموت « أمنحتب الثالث » اختفت معه هذه الوظيفة بطبيعة الحال لأنها كانت وظيفة شخصية لكل ملك كما أسلفنا من قبل . والواقع أنه كان من الواجب أن يعين « أمنحتب الرابع » مدير بيت عظيم لأملأه كما جرى العرف ومع ذلك فلم يكن فى إمكانه أن يضع فى هذه الوظيفة موظفا كما فعل أبوه من قبل ، ففى المدة التى مكثها فى « طيبة » لا نعلم شيئا عن هذا الموضوع ، أما فى عهد « إخناتون » فالظاهر أنه وجد لنفسه مخرجا للاستغناء عن هذه الوظيفة ، والدليل على ذلك أننا لم نجد فى « إخناتون » من يحمل هذا اللقب بين كبار رجال الدولة ، أما ما كان يقوم به المدير العظيم للبيت بوصفه الفم الأعلى للبلاد كلها من الأمور السياسية فقد منحها « إخناتون » خادما حجرتة الخاص « دودو » ، وهو رجل سورى المنبت ، وبذلك نرى أن أحد رجال البلاط من أحقر أصل قد شغل وظيفة هامة لأنه كان الوحيد الذى يظهر أمام الملك ، وكان له به اتصال وثيق ؛ وبهذه الطريقة كذلك يظهر أنه منح وظيفة « مدير كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى » أحد وصفائه ؛ ومن ثم لم يعد هناك موضوع للمعارضة بين الملك والفم الأعلى ولا بينهما وبين طبقة الموظفين . ومنذ عهد « إخناتون » رأى أنه لا يمكن الاعتماد على طبقة الموظفين ، ولذلك كان لزاما على الفرعون أن يترع وظيفة « الفم الأعلى » من بين الوظائف ويضم عملها إليه ويقوى القائم بأعبائها

بمنحه سلطة واسعة ، ومن أجل ذلك ظهر « دودو »^(١) وهو سورى بوصفه خادم
الجمرة الملكية لا بوصفه موظفا في يده كل إدارة الأمور السياسية « لإختاتون »
ولكن « آى » رأى مع ذلك جريا على سياسته التى كانت قائمة على أساس القضاء
على إصلاح « إختاتون » الدينى أن يعيد وظيفة « المدير العظيم للبيت » ويمنع
حاملها كل ما كان له من سلطان فيما مضى ، وأراد أن يستفيد من حاملها فى وضع
أسس نظام الحكومة . وقد كان يظن أنه فى استطاعته أن يجعل البلاد وحكومتها
متماسكة بتوحيد القوة فى يده ، وقد حدا به ذلك إلى تنصيب « حور محب » القائد
الأعلى للجيش فى هذه الوظيفة ، وبذلك وضع فى يده كل السلطة التى كان يصبو
إليها حاملها فيما مضى^(٢) .

وعلى الرغم من أن الإصلاح الدينى لم يصب هدفه فإن الفكرة السياسية التى
دفعته لم تتراخ ، بل بقيت فى سيرها . فقد رأينا فعلا أن إجماع الإصلاح الدينى قد
مهد السبيل — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — إلى تغيير نظم الحكم نهائيا إذ انتقل
الأمر من مجرد موظفين حكوميين مدنيين إلى نظام كان تسيير الأمور فيه فى يد
رجال الجيش وكان كبارهم هم أصحاب الكلمة العليا والقول الفصل ، ولكن فضل
« آى » فى تنفيذ هذا النظام يرجع الى أنه كان ضابطا قديما وكان قد فهم مقدار

(١) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 7 — 14; Knudtzon, "El Amarna" Tafeln, 158, 164, 167, (?), 169; Bisson, "Fouilles de Medomoud", XIII, (1936) P. 24. Fig. 34.

(٢) وهذه الفكرة التى أريد تسيير الحكومة بها وهى تركيز السلطة الحكومية فى وظيفة واحدة مستقلة
كان من المستطاع بل من اليسير أن تكون خطرا إذ قد توضع فى وقت معين فى يد شخص موال ، ولكن ربما
كانت لا تلبث أن تنتهى الى يد شخص آخر غير موال فيستغلها استغلالا كبيرا على حسب أطباعه . فقد وجدنا
أن « حور محب » تخطى بما لديه من معارضة الملك إلى طبقة الموظفين إذ نشاهد أنه جعل نائبه وخلفه
« بارعمسيس » وزيرا له فى الوقت نفسه وهذا نفس ما حدث فى نهاية عهد الرعامسة عندما عين « ناثب »
« بانحمى » ضابطه « حورحور » رئيس كهنة لمعبد « الكرنك » ، وفى كلتا الحالتين تفرز كل منهما إلى عرش الملك .

القوة التي كانت في يد كل موظف من الموظفين المدنيين منذ عهد الإصلاح وبخاصة تلك الوظائف التي وصل إليها حاملوها عن طريق الحسب والنسب أو عن طريق مركزه باعتباره قائد الفرسان أو نائباً للجيش ؛ ولذلك كان لا بد له من قوة السلاح لتشد أزره في تنفيذ غرضه . وقد جمع « حور محب » أعظم مقدار من القوة والسلطة في يده ، فقد كان في قبضته أعظم قوة خارج الوظائف الإدارية (مدير البيت العظيم) ، هذا بالإضافة إلى أنه كان يشغل أرق رتبة في الجيش .

ومن الغريب أننا لا نعرف المركز الذي كان يشغله « آي » في عهد « توت عنخ آمون » ، وتدل ظواهر الأمور على أنه كان قد قذف « بحور محب » إلى المكانة الأولى في الدولة عن قصد ، وقنع هو في بادئ الأمر بمركز « أمين الفرعون » تعاضده في ذلك فرقة حامية فرسان العاصمة . هذا إلى أن الآثار التي تنسب^(١) إلى هذا العصر لا تذكر أي لقب جديد « لآي » ، ومن المؤكد أنه قد عثر في « وادي الملوك »^(٢) على صفائح من الذهب كتب عليها اسمه قبل تولى الملك ، وكذلك وهو ملك ، ومن بينها صفائح نقش عليها ألقاب وزرودون أن يذكر اسمه ويعزى بعضهم هذا اللقب إلى « آي »^(٣) .

ولكن لا يوجد دليل قاطع على صحة هذا الزعم ، وبخاصة إذا علمنا أنه ليس هناك أي أثر يدل على وزارة « آي » في عهد « توت عنخ آمون » ، ولهذا لا يمكننا الأخذ بما جاء على ورقة الذهب هذه بمثابة برهان حاسم .

(١) راجع : "Rec. Trav.", III, P. 127; Davies, Tomb of Harmhabi", P. 18.

(٢) راجع : Davies, Ibid. P. 133.

(٣) راجع : Davies, Ibid; Newberry, J. E. A., XVIII, P. 52.

حور محب قبل توليته العرش

لقد وضع في يد « حور محب » عندما أعلن تنصيبه المدير العظيم للبيت ، والقائد الأعلى للجيش ، قوة وسلطان لم ينلها رجل في الأسرة الثامنة عشرة خارج الأسرة الملكية ، فقد أصبح ممثل الملك الفعلي في كل مهام الأمور ، ولذلك كان يلقب « ممثل الفرعون في الأرضين » ، وقد عبر بتعبير خاص في اللغة المصرية القديمة عن مركز النيابة الذي يشغله « حور محب » في حكومة البلاد فلقب « ربعت » ، وهذا اللقب قد خولته له وظيفة « المدير العظيم للبيت » التي صار يشغلها الآن^(١) .

وهذا اللقب الذي وصل إليه « حور محب » للمرة الأولى كان له مدلول حقيقى في الأزمان السحيقة في القدم ، إذ كان يعنى « أمير القبيلة » (فم الناس) ، والظاهر أن معناه كان محمولا على نشاطه من الناحية القضائية بوجه خاص ، وقد وجدنا أن الإله « خنسو » (إله القمر) وابن « آمون رع » كان يقوم بوظيفة القضاة بين الآلهة في الأسرة الثامنة عشرة^(٢) ، ولما نجد أن هذا اللقب أخذ يفقد مدلوله وأصبح مثل غيره من الألقاب القديمة قد هوى من مكانته العالية ، وأصبح لقب شرف وحسب .

والواقع أن لقب « ربعت حات عا » كان لقباً يحتل المكانة الأولى بين ألقاب كل الموظفين ، ولذلك كان يوضع في مقدمة كل الألقاب التي يحملها أى موظف كبير . وقد وجدنا أن حامل لقب « ربعت » في ألقاب عيد « سد » (العيد الثلاثينى) كان يدل على معنى حقيقى بين الممثلين في هذا العيد^(٣) ، ولكن نشاهد أن

(١) راجع : J. E. A., Vol. X, P. 1.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 1186.

(٣) راجع : Newberry, "Beni Hasan", I, P. 35; Urk IV, P. 404;

Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. XXV, H

هذا اللقب قد أعيد استعماله ثانية في آخر الأسرة الثامنة عشرة ليبدل على الوصى على العرش الذي يقوم بإدارة سكان البلاد في المدة التي يكون فيها الملك قاصرا ، ولم يشترط أن يكون حامل هذا اللقب من البيت المالک . والظاهر أن الكلمة « ربعت » في هذا المقام يرجع استعمالها هنا للدلالة على الوصى تذكرها لمدلولها الأصلي « فم الناس » ، (ومن المحتمل أن عبارة « ربعت » من قبل الصل والعقاب أى الملك ، التي نجدها أعطيت الوزير متوحتب خلال الأسرة الثانية عشرة يمكن تفسيرها على هذا الوجه (راجع Cairo 20539) .

ولكن السلطة التي أصبحت رسمية في يد « حور محب » بوصفه « ربعت » أى وصيا ، هي نفس السلطة التي كانت في يد المدير العظيم للبيت فيما مضى . ومن ثم نرى أنب وظيفة « المدير العظيم للبيت » قد تطورت إلى لقب « ربعت » أى الوصى الجديد . ولا نزاع في أن هذا كان بمثابة إقرار رسمي للسلطة التي كان يهيمن بها « المدير العظيم للبيت » في البلاد ، ويدل على ذلك بوضوح تام موازنة العبارتين اللتين فاه بهما كل من « سنوت » و « حور محب » عندما أراد كل منهما أن يصف لنا عظم مركزه ، فاستمع لما يقوله « سنوت^(١) » " لقد نصبني الملك « الفم الأعلى لقصره » لأجل أن أقضي في أمور البلاد كلها " . ثم استمع لما يقوله « حور محب^(٢) » : " لقد نصبني الفرعون « الفم الأعلى على الأرض » لأوجه قوانين البلاد بوصفي « ربعت » للأرض كلها " .

على أن ظهور « حور محب » حاملا لقب الكاتب الملكي والوصى وقائد الجيش في نقوش قبر أحد رجال الكهنة العظام في « منف » دليل على أن نفوذ وظيفة « المدير العظيم للبيت » قد ظهر في لقب « ربعت » أى الوصى . وعلى

(١) راجع : Berlin Mus. Statue, Vs. line 25.

(٢) راجع : Turin Mus. Statue, line 6.

(٣) راجع : Louvre C 70

ذلك لم يمض طويل زمن حتى رأينا أن وظيفة «المدير العظيم للبيت» قد انحطت قيمتها ، إذ انتقلت سلطتها إلى وظيفة « ربعت » (الوصى) ، ومن ثم رجعت قيمة وظيفة « المدير العظيم للبيت » إلى سيرتها الأولى فلم تعد سلطتها تتعدى « رئيس الضياع الملكية » وحسب .

على أنه مما يدعو إلى الدهشة أن « حور محب » لم يظهر اهتماما كبيرا لاستعمال لقب « ربعت » مدة وصايته ، إذ كان لا يذكر بين ألقابه إلا نادرا ، وكذلك كانت الحال مع لقبه « المدير العظيم للبيت » فلم نصادفه إلا قليلا . أما لقب « القائد الأعلى » فكان دائما يذكر في طليعة ألقابه بكثرة ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى ارتباط الحقائق بعضها ببعض ، لأن مدة وصايته كانت محددة بسنوات معدودات وأن « آى » كان يفكر في أنه عند بلوغ « توت عنخ آمون » سن الرشد ستنتهى مدة وصاية « حور محب » ولا يبقى له بعد ذلك من الوظائف إلا لقب « المدير العظيم للبيت » ولقب « القائد الأعلى للجيش » ، وعلى ذلك لم يكن موت « توت عنخ آمون » المفاجئ نذيرا « لحور محب » بانهاء مدة وصايته وحسب بل كان نذيرا بضياع مركز « المدير العظيم للبيت » من يده أيضا ، وذلك لأن بقاءه في إدارة هذا المنصب كان مرتبطا بحياة الفرعون ، ولما تولى « آى » الحكم لم يكن في يد « حور محب » من السلطة إلا القيادة العليا للجيش .

وعندما ثار « حور محب » على « آى » فيما بعد وخلعه من عرش الملك ، كان في مقدوره أن يأتى من الأسباب ما يبرر شرعيته لتولى عرش الملك ، فقد استغل « حور محب » وقتئذ لتبرير استيلائه على العرش وظيفته بوصفه وصيا على عرش الملك في عهد « توت عنخ آمون » ، وقد دون لنا على تمثاله المحفوظ الآن « بتورين » ، وهو الذى نحتته بعد تولى الملك ، تاريخ حياته الرسمى فوصف لنا فيه الحقائق التى تحتم على الإنسان أن يرى فيها أنه كان صاحب حق فى وراثة الملك بعد « توت عنخ آمون » ، فقد كان بضيف إلى حسن إرادة الإلهة لتوليته

العرش وظيفته « وصايته على العرش » التي ذكرها مرارا وتكرارا ويبرر لقبه « الوصى على العرش » في البلاد كلها للعيان . والواقع أنه لم يحمل هذا اللقب قط في صورته هذه قبل توليه عرش الملك ، إذ لم نثر عليه أبدا في الآثار التي تركها قبل تنصيبه ملكا . وعلى العكس من ذلك نجد أنه تجاهل لقب « القيادة العامة للجيش » ، وهو اللقب الذي كفل له النجاح لاعتلاء أريكة الملك . وقد كان تفسيره لتبرير موقفه هذا هو أنه كان الوصى على العرش للملك القاصر « توت عنخ آمون » ، وعلى ذلك أصبح بطبيعة الحال بعد موته أول مستحق العرش ، وبخاصة أنه لم يبق في الأسرة المالكة ذكر يرث الملك ، إذ كان قد انقرض منها نسل الذكور جميعا .

على أن « آى » من جهة أخرى حينما اعتلى أريكة الملك كان يعتمد في ذلك على لقبه « والد الإله » ولذلك وضعه داخل طفرائه الملكى عندما تولى الملك . والواقع أنه من الصعب علينا معرفة كنه هذا اللقب ولكن الظاهر أن له علاقة أسرية بالبيت المالک وأن وضع « آى » لهذا اللقب في طفرائه يؤكد لنا أن له صلة بالأسرة الحاكمة^(١) .

ولما كان « آى » يشعر أن لقب « والد الإله » قد لا يكون كافيا لادعائه عرش الملك سعى من جهة أخرى أن يثبت استحقاقه للملك بالزواج من أرملة الملك « توت عنخ آمون » ، وقد وجد لها فعلا خاتم عليه اسمها ^{ملكاً} معاً . على أنه ليس لدينا دليل على زواجه من « عنخس ان آمون » غير هذا النقش . وخلافا لذلك نجد أن « آى » كان دائما مصورا على الآثار مع زوجته « تى » بوصفها ملكة ، ومن المحتمل أن « حورمحب » قد اعترف بشرعية « آى » على عرش الملك عندما تم الزواج بينه وبين « عنخس ان آمون » ، وعلى ذلك نزل عن مركز وصايته .

(١) شرح الأستاذ جاردنر تطور هذا اللقب وما يمكن أن يقصد منه سواء أكان ذلك في معناه الفعلي

أو معناه المجازى كما أسلفنا (راجع Gardiner, "Onomastica", I, P. 47 ff.)

(٢) راجع : J. E. A., XVIII, P. 50.

ومن المحتمل أن ثورة «حور محب» التي خلع بها «آي» عن عرش الملك لم تحدث إلا بعد موت «عنخس أن آمون» ، لأنه بموتها قطعت الرابطة التي كانت تربط «آي» بالأسرة المالكة. أما لقب «والد الإله» فكان لا يعترف به على ما يظهر، وعلى ذلك أصبح في مقدوره الآن أن يدعى لنفسه الملك بوصفه «الوصي على العرش» غير أن هذه النظرية الخالصة ينقصها بكل أسف حتى الآن البراهين المحسنة التي تبررها فعلا .

وقد وضع لنا «حور محب» مدلول لقب «ربعت» (الوصي) عند ما منحه لوزير ونائبه «بارعمسيس» هو الذي عينه خليفته على الملك من بعده . وقد كان أقول تطوّر استعمال هذا اللقب ما نشاهده في لقب «ولى العهد» في عصر الرعامسة : أى ابن الملك ولى العهد وقائد الجيش . وقد حمل هذا اللقب فعلا «سيتي الأول» ابن «رعمسيس الأول» بوصفه ولى عهده ، إذ نجد ذلك على لوحة ربعمائة السنة التي سبق شرحها (راجع الجزء ٤ ص ٧٠ الخ) .

وكذلك كان يحمله ابنه «بارعمسيس» الذي كان سيخلف والده^(١) .

ومنذ هذا العهد أصبح هذا اللقب يطلق على ولى العهد، هذا على الرغم من أنه كان على ما يظهر يعنى فى الأصل معنى آخر . والدليل على ذلك أن «رعمسيس الثانى» قد فصل بوضوح مرة الفرق بين لقب «بكر أولاد الملك» وبين لقب «ربعت»^(٢) . على أن «حور محب» وإن كان قد تمكن بمساعدة مركزه بوصفه وصيا من أن يسجل حقه فى تولى العرش ، إلا أنه كان مكبلا بعلاقته مع سلفه ، وقد كان من

(١) راجع : Petrie, "Gurob", P. 20 ff.

(٢) راجع : Gauthier, "La Grande Inscription Dedicatoire d'Abydos", line. 44. ولدينا مواضع أخرى ذكر فيها هذا اللقب غير أنه لا يعنى (وصي) وكذلك لا يعنى ولى عهد (راجع Pap. Gardiner, "Egyptian Hieratic Texts", P. 17. Pap. D'Orbiney, 19, 2, 6; Pap. Harris I, 42, 8; Pap. Turin, 17, 1, 102; 2, 9; V. Bissing, "Acta Orient". VIII, P. 154; Pap. Hood, I, P. 12 - 13.)

الواجب عليه بوجه خاص أن يعترف بالملك « توت عنخ آمون » الذي عينه شرطا وصيا على العرش . على أنه لو فعل ذلك لكان اعترافا منه بتأييده لسياسة « آى » فى الوقت نفسه . والواقع أن « آى » هو الذى كان يحمى ظهر « توت عنخ آمون » ويقوم له بتصرف مهام الدولة ، وكان هذا مانعا له فعلا إذا أراد أن يسقط « آى » مباشرة ويتولى هو عرش الملك . ومن هذا النزاع نستخلص الحل التالى وهو أننا نجد حقا على تمثال « تورين » ملكا وهذا الملك لا يمكن أن يكون إلا « توت عنخ آمون » غير أن اسمه لم يذكر ، وهذا الخلاف أدى كذلك إلى أن « حورمحب » عامل آثار « توت عنخ آمون » معاملة تختلف عن معاملته لآثار الملك « آى » لحافظ على آثار « توت عنخ آمون » وتركها ثابتة كما هى ، لأنه كان يعد نفسه المؤسس لها . غير أنه محا طغراء « توت عنخ آمون » ووضع مكانه طغراءه هو ، وبذلك لم يكن « حورمحب » بعيدا عن الحقيقة ؛ لأنه هو الذى فى مدة وصايته أعطى الأوامر بإقامة المباني والآثار كلها ؛ والدليل على ذلك أنه لم يخرب مقبرته ، وكذلك لم يضع اسمه على آثار « توت عنخ آمون » الخاصة . أما عن سلوكه مع « آى » فإنه قد أظهره بمظهر المعتصب للعرش الذى كان من حقه هو لما كان لديه من الأسباب القوية التى تخول له هذا الحق .

ولذلك كان من الواجب فى نظره القضاء على كل آثار « آى » وعلى عكس ذلك المحافظة على آثار « توت عنخ آمون » ، فهدم قبر « آى » ^(١) ومحا اسمه أينما عثر عليه . أما معبد الجنازى الذى اغتصبه « آى » من توت عنخ آمون فقد استولى عليه « حورمحب » ^(٢) بدوره لنفسه . ومع كل فإن كل ما قيل عن كيفية تولى « حورمحب »

(١) راجع : Borchardt, "Das Grabdenkmal des Königs Sahu-re", I, P. 121 - 2.

(٢) راجع : Nelson and Holsher, "Oriental Institute Communications", No. 18 (Work in Western Thebes", 1931), P. 50, 51; (1931 - 1933) P. 106 - 118.

الملك وشريعته لا يخرج عن الحدس والاستنباط ؛ إذ الواقع أنه لا يمكن للمرء أن يستخلص نتيجة ما حاسمة عن موقف « آى » الحقيقى بالنسبة « لخور محب » قبل توليه العرش ؛ فـا لدينا من المعلومات إنما كان بعد إعلانه فرعوننا ، هذا ويلحظ أن اضطهاد آثار « آى » ليس له دخل بمناهضته الإصلاح الدينى لأن ذلك قد انتهى فى السنة الأولى من عهد « توت عنخ آمون » ؛ إذ الواقع أن ما لدينا هنا هى حرب أسرية ، وليس لذلك أى دخل بعهد الكفر والزيف الذى قام به « إخناتون » كما يسميه أتباع آمون لها ، على أنه ليس هناك شك فى أن هذه الاضطهادات كان لا يمكن حدوثها دون قيام ثورة « إخناتون » التى كان غرضها الإصلاح الدينى . وعلى أية حال ليس لدينا حقائق ثابتة عن النشاط الذى قام به « خور محب » خلال مدة وصايته ، إذ لم يقص علينا هو بنفسه فى هذا الصدد شيئاً اللهم إلا جملاً صغيرة لا تشفى ظيلاً .

أما عن نشاطه بوصفه قائداً أعلى للجيش ، فنجد فى المناظر التى أبقتها يد المخترين على جدران قبره بعض صور تكاد تحكى قصتها بنفسها . والواقع أنه كما ذكرنا فيما سلف أن الحالة فى الممتلكات المصرية الأسبوية كانت دائماً مليئة بالمخاطر والثورات وقد خابت كل المحاولات الضئيلة الهزيلة التى بذلت لاعادة النظام والأمن فى هذه الربوع إلى نصابه . وبسبب هذه الفوضى حانت الفرصة لملكة « خيتا » ، وبخاصة على إثر موت « إخناتون » للانقضاض على « عمقا » والاستيلاء عليها ، والظاهر أن « خور محب » جهز حملة وساقها إلى بلاد سوريا لمنازلة « خيتا » ، ولكن قد حال بينهم وبين متابعة الحرب مع الجيوش المصرية انتشار وباء عظيم فى بلادهم وجيوشهم ، وقد اختلف المؤرخون فى القطع بأن المصريين هم الذين أرسلوا حملة على بلاد خيتا ، إذ يظن الأستاذ « ادوارد مير » أن المصريين لم يرسلوا حملة على هؤلاء القوم ، على أن الأستاذ « كيس » من جهة أخرى يقول أنه قد ذكرت عبارة « حقول » خيتا « فى منف » مما يدل على أنه قد جرى برجالها من الحروب التى

نشبت مع «خيتا» طبعا (راجع Rec. Trav. 29, P. 162. line 8) . هذا فضلا
عن أننا نشاهد رسوم أسرى من «خيتا» في عهد «إخناتون» ، وعلى أية حال
فإننا نرى مناظر هذه الحروب في رسوم قبر «حور محب» حيث نجد السوريين
يطلبون من الفرعون أن يتدخل لحمايتهم من الغزاة فاستمع إليهم وهم يقولون :
”لقد طرد الذين في البلاد الأجنبية ، غير أن غيرهم قد احتل مكانهم . وهم يفدون الآن ... وقد أصبحت
خالية ، ومدنهم قد خربت وألقيت في النار [... يرجون] صاحب القوة والبطش لإرسال سيفه الجبار ،
لأن ... بلادهم تنضوّر جوعا وهم يعيشون كحيوان الصحراء وأطفالهم يموتون ... ومن أجل ذلك أتوا
قاتلين : لقد أتى قوم لا يمكنهم أنفسهم أن يعيشوا ليطردونا من بلادنا ، فأرسل جيشا من جيوش الفرعون
كما كان يفعل آباء آبائك منذ القدم “ .

على أن الغرض من تخليد هذه الشكاية كلها هو أن «حور محب» قام بحملة
مظفرة على هذه القبائل التي انقضت على فلسطين فجاءة وهي قبائل «خيري» بلفظة
«عبرو» التي جاء ذكرها في لوحة «منف» الجديدة من عهد «أمنحتب الثاني»
وفي خطابات «تل العمارنة» كما ذكرنا من قبل .

وكذلك قام «حور محب» بحملة على بلاد النوبة ، إذ قد جاء وصف له على حجر
من أحجار قبره بسقارة يقول : لقد أرسل قاثب عن الملك إلى نهاية ما يشرق عليه «آتون» ...
ولذلك أقلع شمالا ، ثم ظهر جلالتة على العرش الخاص بإحضار الجزية وعلى ذلك أحضرت أسلاب
الجنوب والشمال . ثم تقدّم الوصي «حور محب» بالقرب من العرش ...
ونجد على حجر آخر مما عليه أسرى من الزوج ذكر فوقهم : «إحضار الجزية إلى مكانها وانتخاب
جامل المراوح من بينهم (...) وأسرى الجيش قد ملثوا مخازن قربان الإله [...] وكانوا
من السوريين (...) “ .

(١) راجع : Leiden. Boeser, Ibid, IV, Pls. XXIII - XXIV b.

(٢) راجع : Wiedemann, P. S. B. A., Vol. II, P. 424.

(٣) راجع : Bologna V, Bissing, “Denkmaler” 81 A.

ومن المحتمل أن هذه الأسلاب العظيمة التي نجدها مصورة في مقبرة « حور محب » هي نفس الأسلاب التي قد رسمت في مقبرة نائب الملك في كوش^(١) المسمى « حوى » في عهد « توت عنخ آمون » وتدل النقوش التي في المقبرة الأخيرة على أن عرض هذه الجزية كان في « طيبة » .

أما عن حياة « حور محب » بعد تولى « آى » عرش الملك أى بعد أن ذهبت عنه وظيفة الوصى فلا نعلم شيئاً البتة ، ومن المحتمل أنه اشترك في جنازة « توت عنخ آمون » بوصفه قائداً للجيش . وقد كان « آى » يتقدم هذه الجنازة بملابس الملك ، والواقع أننا نشاهد على الجدار الشرقى لمجرة دفن الملك « توت عنخ آمون » ، وهى التى رسم عليها مشهد لجنازة أحد رجال البلاط بمفرده فى مرتبة أعلى من مرتبة الوزير ؛ ولا بد أن يكون هذا الرجل هو « حور محب » ؛ وقد كان « آى » مرسوماً فى هذا المنظر بملابس الفرعون . ومن هذا نرى أن ما قام به « آى » حين تولى الملك لم يترك فى نفس « حور محب » شيئاً من الحقد ؛ هذا على حسب تفسير « آى » نفسه ، أما ما حدث بعد ذلك فعلاً فقد أسدل عليه ستار كثيف من الظلام الحالك وكل مانع له أن « آى » زار « منف »^(٢) فى السنة الأولى الشهر الحادى عشر اليوم الثالث منه وكانت وقتئذ مقر الجيش ومقر « حور محب » أما آخر تاريخ عرف للفرعون « آى » فهو السنة الخامسة الشهر الثانى عشر اليوم الأول منه .

ولا بد أنه قد قامت ثورة بعد هذا التاريخ مباشرة على « آى » انتهت بنخلعه من عرش الملك ، غير أن قصتها لا تزال مجهولة تماماً حتى الآن ، وكذلك لا نعلم شيئاً عن الأسباب التى أدت الى قيام « حور محب » على الرجل الذى رفعه بنفسه إلى أسمى مناصب الدولة .

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Huy", Pl. XIX.

(٢) راجع : A. S., XXXVIII, Pl. CXV.

(٣) راجع : "Rec. Trav." XVI, P. 123.



حور محب على عرش الملك



حور محب الملك

يدل ما كشف عنه من آثار باقية حتى الآن على أن الملك «آي» السالف الذكر لم يحكم أكثر من خمس سنوات، كما أننا لم نعرف من آثاره كذلك كيف كان مصيره، فهل مات حتف أنفه أو أعلن عليه القائد الأعلى للجيش «حورمحب» العصيان وقتله؟.

وتدل ملاحظات الاحوال على أن الرأي الأخير هو المرجح . إذ كان « لهور محب » بلا شك شيعة يناصرونه في « طيبة » على الرغم من أنه كان قد اختار « منف » مقره بوصفه قائدا للجيش المصرية ، وكذلك بوصفه الوصي على الفرعون « توت عنخ آمون » مدة حياته . وقد كان « حور محب » صاحب رأى صائب ، وفطنة سديدة في اختياره هذا ، إذ كانت « طيبة » في الواقع بعيدة عن وسط الملك ، وعن الامبراطورية الأسوية التي كان يريد أن يعمل جهده لاستردادها لمصر كاملة بعد أن أضاعها « إخناتون » لاشتغاله بإصلاحه الديني العظيم .

ويلاحظ أن « حور محب » قد تجاهل عهد سلفه « آي » في نقوشه التي تركها لنا عن كيفية توليه عرش مصر ، وهذا هو السبب الذي من أجله نعتقد أنه ثار على الفرعون « آي » وانتزع منه الملك ، وكل مانع له في هذا الصدد هو أنه عندما أعلن موت « آي » كان « حور محب » في مدينة « منف » ، وأنه خرج منها في موكب حافل ، وأن ذلك حدث على يد الإله « حور » رب « حت نسوت » عاصمة المقاطعة الثامنة عشرة بالوجه القبلي « الكوم الأحمر » جنوبي « شارونا » الحالية ، على حسب رأى الأستاذ « كيس » (راجع A. Z, 58. pp. 97 ff. (Gauthier Dic Geogr. IV, p. 86.

وقد قص علينا « حور محب » نفسه قصة صباه وحياته الحكومية وتوحيجه في « طيبة » ، وبداية عصر حكمه على تمثال مزدوج من الجرانيت الأسود يمثله هو وزوجه الملكة « موت نرمت » ، والتمثال محفوظ الآن « بمتحف تورين » ، (راجع Br. A. R. III: §§ 24 ff.) وستترك المتن يتحدثنا عن قصة هذا الفرعون العظيم فاستمع لما جاء فيه .

شبابه : يعيش « حور » ، الثور القوى ، حاضر الخطط ، محبوب الإلهتين ، عظيم المعجزات في « الكرنك » ، حور الذهبي ، الراضى بالصدق ، منشئ الأرضين ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، رب الأرضين ، « زسر خبرورع » « ستبرع » ابن الشمس ، رب التيجان ، محبوب « آمون » « حور محب » ، ومحبوب « حور » سيد « حت نسوت » ثور والدته ، وابن « آمون »

ملك الآلهة ، وهو الذى نشأه « حور » بن « إزيس » وحرسه ، كما كان الحامى لأعضائه . ولما خرج من الفرج كان منقما القوة ، وكانت تعلوه صبغة الإله ، وقد صنع ... ومن يحنى له الذراع وهو لم يزل طفلا ، ومن يقدم له الطاعة العظام والصغار ... الطعام وما يؤكل ، وهو لا يزال طفلا ، بدون نصيحته ... عظيم أمام الأرض كلها ، ومن كانت فى لونه صورة إله ، ومن كانت فيه قوة والده « حور » ، وقد وضع نفسه وراءه (حماية) ، والناس قد أحضروا كل ... وقد عرف يوم رضاه لينحه مملكته .

تعيينه فى الوظيفة : تأمل ! إن هذا الإله قد رفع شأن ابنه أمام الأرض قاطبة ، وأراد أن يمتد فى خطاه حتى حلول اليوم الذى يجب أن يتسلم فيه وظيفته ، وكان قلب الملك راضيا بشئونه ، ومسرورا باختياره ، وقد نصبه ليكون رئيس الأرض ، وليدبر قوانين الأرضين بوصفه أميراً وراثياً على هذه الأرض كلها ، وقد كان فذا منقطع القرين ، وكان الناس يسرون على حسب أمره وقد أدهش الناس بما خرج من فمه . وعندما كان يطلب للثول أمام الفرعون كان الخوف يدب فى القصر . وعندما كان يفتح فمه ، وعندما كان يجيب الملك فإنه كان يسره بما كان يخرج من فيه ، وهو الوحيد الممتاز الذى لا مثيل له .

..... وكانت كل خطوة له هى خطوة « إيبس » (تحوت) وقراراته جزء من قرارات رب « الأشمونين » وكان ينعم بالعدالة مثل « خنى » (الإله أوزير) وقلبه مسرور بها مثل الإله « بتاح » ، وكان عندما يستيقظ فى الصباح يعطيا حقها . والطريق ... أحواله . وأما من كان يسير على نهجها (العدالة) فأنها هى التى كانت تحميه على الأرض مخلدا .

تعيينه نائبا للملك : تأمل ! لقد أدار شئون الأرضين سنين عدة ، وكان المراقبون يلفونه وانحنى المجلس أمام أبواب القصر خضوعا له كما كان يأتى إليه هناك رؤساء الأقواس التسعة والجنوب والشمال ، وكانت أيديهم تبسط فى حضرته مقدمين لمحياء التحيات كما يقدم لإله (ملك) ، وكل شئ ينفذ كان بأمره . وعندما كان يحضر كان الخوف منه عظيما فى أعين الناس ، وكان الفلاح والصحة يطلبان إليه ، كما كان يرحب به بوصفه والد الأرضين والممتاز النصيحة التى وهبها إياه الإله ليدبر ...

تتويج « حور محب » فى طيبة : وبعد أن انقضت عدة أيام على ذلك عندما كان أسن أولاد « حور » هو الرئيس ، والأمير الوراثى فى كل هذه الأرض تأمل ! فإن هذا الإله الفاهر « حور » رب « حت نسوت » كان قلبه يتوق إلى أن يمكن ابنه على عرشه الأبدى ، وقد أمر ... « آمون » وقد سار « حور » نحو « طيبة » مدينة رب الأبدية فى ابتهاج ، ومعه ابنه فى أحضانه إلى « الكرنك » ليقدمه أمام « آمون » ، ليقبله وظيفته الملك ، وليقضى حياته ملكا تأمل لقد حضروا فى ابتهاج فى وقت عيد الأقصر

الجميل . وقد رأى « آمون » جلاله هذا الإله « حور » رب « حت نسوت » ومعه ابنه بوصفه ملكا فقدمه ليمنحه وظيفته على العرش ، تأمل ! فإن « آمون رع » كان مفعما بالسرور عندما شاهده آتيا في يوم تقديم قربانه . وبعد ذلك قدم نفسه لهذا الأمير ، والحاكم الوراثي ، ورئيس الأرضين « حور محب » .

زواج « حور محب » من الأميرة « موت نرمت » : وتوجه « آمون » نحو القصر واتى به أى (الملك) أمامه إلى محراب كبرى بناته ، فقدمت له الخضوع ، وقبلت جماله وقعدت أمامه .

فرح الآلهة بهذا التتويج : وكان الآلهة أسياذ « حجرة النار » في ابتهاج بسبب هذا التتويج ، كما أن الآلهة « نخت » و « بوتو » و « نيت » و « إزيس » و « نفتيس » و « حور » و « ست » وكل تاسوع الآلهة الذين يشرفون على العرش العظيم قد رفعوا أكف المسيح حتى عنان السماء ، مبتهجين برضاء « آمون » - تأملوا ! إن « آمون » قد حضر وابنه أمامه إلى القصر ليضع تاجه على رأسه ، ولبطيل له حياته كلها ، ولقد اجتمعنا مويا لأجل أن نمكن له . دعنا نعد له كل حلى « رع » (أى التى كان يحملها به « رع » عندما كان ملكا على مصر) ، ودعنا نشكر « آمون » من أجله : لقد أحضرت لنا حامينا ، فامنحه أعياد « رع » الملكية الثلاثينية وهى سنى « حور » بوصفه ملكا ، لأنه هو الذى سيرضى قلبك فى وسط « الكرنك » ، وكذلك فى « هليوبوليس » وفى « منف » وإنه هو الذى سيجعلها فى بهاء .

الإلهة تقور ألقاب « حور محب » : ! دع الاسم العظيم لهذا الإله الطيب وألقابه تكتب

مثل اسم جلاله رع كما يأتى :

(١) « حور » : الثور القوى ، حاضر الخطط ، محبوب الإلهتين ، عظيم المعجزات فى « الكرنك » ، « حور » الذهبى ، الراضى بالصدق ، وخالق الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، « زسر خبرو رع » « ستبرع » ، ابن « رع » ، محبوب « آمون » « حور محب » معطى الحياة .

العيد فى الأقصر : وبعد ذلك خرج هذا الإله المبجل « آمون » ملك الآلهة إلى خلف قصره ، وأمامه ابنه ، فضم جلالته وهو متوج بتاج الملك ليسلطه على ما يحيط به قرص الشمس ، والأقواس التسعة تحت قدميه ، والسماء فى عيد ، والأرض فى فرح ، وقلوب تاسوع آلهة مصر سعيدة . تأمل ! لقد كانت كل الأرض فى سرور ، وعلت أصواتهم حتى السماء ، والعظاء والسوقة أخذوا فى أسباب المسرات ، والأرض كلها كانت فى ابتهاج . وبعد الانتهاء من عيد الأقصر هذا عاد « آمون » ملك الآلهة فى سلام إلى « طيبة » .

إصلاح المعابد : وبعد ذلك انحدر جلالته فى النيل كأنه صورة الإله « حور اخت » . تأمل ! فإنه قد نظم شئون هذه الأرض ، إذ أعاد العدالة فيها كما كانت فى عهد الإله « رع » ، فأصلح المعابد من

أول برك المستنقعات (في الدلتا) حتى بلاد النوبة ، ونحت تماثيل لهم عددها أكثر من ذى قبل ، وزاد في جمال ماقد صنعه . وقد فرح عندما رآها بعد أن كان قد وجدها أخنى عليها البلى فيما سلف ، ورفع بنيان معابدهم (الآلهة) ، وسوى مائة صورة بأجسامها محكمة الصنع من كل حجر ثمين فاخر ، ثم بحث عن حدود أملاك الآلهة التي كانت في الأقاليم في هذه الأرض ، ثم أمدها بما كانت تمده به منذ الزمن الأزل ، وخصص لهم قرايين يومية ، أما أرائى المعابد جميعها ، فقد صنعت من الفضة والذهب ، وجعلها (المعابد) بالكهنة المطهرين والكهنة المرتلين ، وبخيرة رجال الجيش ، ومنحهم أراضى وماشية مجهزة بكل جهازها .

الصلاة للملك : فكانوا يستيقظون مبكرين لينشدوا لرح الأغاني في صباح كل يوم : لينك ترفع لنا من شأن مملكة ابنك الذى يرضى قلبك « زمر خبرورع » « سنبرع » « حور محب » . لينك تمنحه عشرة آلاف من الأعباد الثلاثينية الملكية ، وتجعله متصرا على الأراضى كلها مثل « حور بن لازيس » بقدر ما أبهج قلبك في « هليوبوليس » متحدا مع الناسوع المقدس .

التعليق : وعلى الرغم مما جاء في هذا المتن من فجوات بسبب تهشيم الحجر فإنه يقدم لنا صورة واضحة عن أصل هذا الفرعون الغامض النسب ، وكيف تساق مدارج الرقى بما ناله من حظوة مستمرة في البلاط بذكائه ومهارته لا بحسبه ونسبه ، وتدل شواهد الأحوال كلها كما ذكرنا من قبل ، على أن الملك الذى يتحدث عنه « حور محب » في هذا المتن هو الفرعون « توت عنخ آمون » ، ولا نزاع في أن « حور محب » كان من أسرة ليست عريقة النسب ، ولا أدل على ذلك من أنه أغفل في نقوشه كلها ذكر والديه . وقد شق طريقه بعد كفاح طويل حتى وصل إلى عرش الملك . وكان على ما يظهر من أتباع شيعة « آمون » ، ولذلك كانت الأمور كلها مهيئة له لاعتلاء العرش بعد موت « آى » ، وبخاصة لأنه كان القائد الأعلى للجيش .

وقد تفاضى « حور محب » بعد أن وصف لنا حياته قبل تولى العرش عن التحدث إلينا عن كيفية توليه الملك بل قال : « بعد أن انقضت عدة أيام على ذلك عند ما كان بكر أولاد « حور » هو الرئيس الأعلى والأمير الوراثةى ... الخ ، ونسب نفسه بأنه ابن الإله « حور » إله « حت نسوت » وهى بلدة من

أعمال المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ، ثم جعل هذا الإله المحلى يقوده إلى « طيبة » ليتوج على يد ملك الآلهة « آمون رع » الذى كان يعبد الإله الأعظم للدولة ، وهو الذى ناضل من أجله « حور محب » ليعيد مجده ، وقد قبل هذا الإله العظيم أن يزوجه من ابنته « موت نومت » التى لا نعرف لها نسبا قط ، ولا يبعد أنها كانت من البيت المالك لتكون محلا ومبررا لاعتلاء « حور محب » عرش الملك . ولا نزاع فى أن مثل هذا الزواج الذى تم على هذه الكيفية يعد ابتكارا جديدا من الابتكارات التى كان يبتكرها ملوك مصر لجعل شرعيتهم لتولى الملك قانونية فى نظر الشعب ، فيها نحن نجد هنا إله مقاطعة يقود أحد أبنائها إلى الإله الأعظم ليزوجه من ابنته ، وليس لهذا الملك الحديد أى مبرر لاعتلاء العرش إلا قوة ذكائه ومعاضدته لكهنة « آمون » الذين عضهم الدهر بنابه فترة لا يستهان بها فى عهد « إخناتون » وخلفه ، هذا إلى أنه كان صاحب القول الفصل فى الجيش الذى كان يشد أزره ، ويسيطر على البلاد به ، ثم توج « حور محب » ملكا على البلاد ، وقد كان ذا فطنة فى اختيار ألقابه إذ جعلها تنسجم مع مقتضيات الأحوال التى وجد فيها ، فوصف نفسه بأنه حاضر الخطط ، وأنه عظيم المعجزات فى « الكرنك » ، مشعرا الكهنة بأنه سيقوم فى هذا المعبد بالأعمال المدهشة إكراما لوأله « آمون » . ثم قال لنا إنه خالق مصر ، وهذا حق كذلك ، لأنه قد أحيها بعد أن صارت كأن لم تغن بالأمس ، وأعاد لها شيئا كثيرا من مجدها فى الخارج بالفتوح ، وفى الداخل بإصلاح قانونها ، وبناء معابد الآلهة التى قضى عليها « إخناتون » . وبعد التتويج أقيمت الأفراح والأعياد ، ودعا الآلهة لهذا الملك العظيم . ولم تكد تنتهى هذه الأعياد التى كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، حتى امتطى « حور محب » متن سفينته ، وانحدر فى النيل ليتفقد أحوال المعابد المخربة والتماثيل المهشمة ، فأعاد لها بهجتها ، وزاد فيها عما كانت عليه ، وحبس عليها الأوقاف وحفظ لها أملاكها ، مما جعل طائفة الكهنة تلهج بذكره وتمدح بعظيم أعماله ، ويقيمون له الصلوات فى كل أمهات المدن على لسان الآلهة .

حالة البلاد عند تولي حور محب :

والواقع أن حالة البلاد عندما اعتلى العرش الملك «حور محب» كانت لا تبعث على الرضى . حقا كان أخلاف «إخناتون» قد أخذوا في إعادة امتيازات «آمون» التي كان يتمتع بها من قبل ، غير أن الأحوال في داخل البلاد وخارجها كانت غاية في الارتباك لا من الناحية الدينية وحسب ، بل كذلك من الناحية السياسية ، وبخاصة التطاحن على عرش الملك بعد موت «إخناتون» . ولسنا مبالغين إذا قلنا إن ديانة «إخناتون» على الرغم من عدم حب الشعب لها لبعدها عن تقاليدهم ، الموروثة كانت قد تأصلت في نفوس فئة عظيمة من المفكرين ، وتركت أثرها في نواح كثيرة من حياة القوم ، ولذلك نجد أن هذه الفئة مع عودتهم إلى ديانة الآباء القديمة فلم ينهم لم يفعلوا ذلك عن طيب خاطر ، بل دفعهم إلى ذلك سيل التحول الجارف ، فتمشوا مع الأحوال السياسية ، إذ الواقع أن بعض أخلاف «إخناتون» كانوا يعتنقون ديانتهم ، وإن لم يكونوا من جنوده الظاهرين ، وحتى «حور محب» نفسه لم يتحول بسرعة إلى ديانة «آمون» ، وقد كان معبد «آتون» البغيض لم يزل قائما جنبا لجنب مع معبد «آمون» في الكرنك فكان ذكرى أليمة لأتباعه .

ولما تولى «حور محب» مقاليد الأمور كان همه إعلاء شأن «آمون» وآثاره ، ولذلك كانت بداية عهده تعد نهاية الأيام السود في عهد ديانة «آمون» ، وفاتحة عهد جديد زاهر لها ، فقد عاد «آمون» سيدا «لطيبة» وملكا على الآلهة في جميع الإمبراطورية المصرية ، ثم أخذ «حور محب» يتبارى تدريجا مع سلفه «أمنحتب الأول» في غيرته على مصلحة والده «آمون» فنجد أنه قد قام بهدم مسلات «إخناتون» وإزالة المباني التي أقيمت أمامها تلك المسلات ، ثم عمل على ألا يبقى منها حجر واحد في مكانه ، فهدمها ، وأقام بأحجارها البوابتين التاسعة والعاشرة كما جعل منها أساس مباني أحجار البوابة الثانية التي أقامها هو في «الكرنك» وإن كانت من أحجار هذا المعبد أيضا وتنسب إلى «رعسيس الأول» خطأ (راجع Keith

Seele. The Coregency of Ramses II, P. 11.) ولقد بقيت أحجار معبد «إخناتون» محتجة عن الأنظار إلى أن حدث زلزال عظيم في عام ٢٧ ق.م فتصدعت مباني البوابتين ، وظهر ما على أحجارها المغتصبة من نقوش تدل على أنها من مبنى للفرعون « إخناتون » ، فنجد في كل مكان في الخرائب التي تحيط بهاتين البوابتين أو عند قواعد التماثيل الضخمة المهشمة الرؤس ، أكواما من الأحجار المتناثرة من هذه المباني نقرأ عليها بقايا صلوات لقرص الشمس «آتون» ومناظر عبادة ، وطغراءات للفرعون «إخناتون» و «آي» و «توت عنخ آمون» ، وقد جمع بقايا هذه النقوش الأثرى « نستور لا هوت » وكذلك « بريس دفن » وغيرهما مثل « لبسيوس » (راجع Nestor L'Hote Papiers Inedits Vol. III, p. 80, 96, 97, 101, 104, 105, in Presse D'avennes Monuments Pls. X, XI, & L. D. III, 110 c - g, . (119 a b ; Keith Seele Coregency P. 11.

وقد كان العمل الذي شرع فيه «حورمحب» في «طيبة» بحماس وغيرة وإخلاص يسير بنفس القوة ، وب نفس الحماسة في جميع أنحاء الوادي دون هوادة وبلا انقطاع وهذا هو ما قصه علينا في لوحة تتويجه .

وفي استطاعتنا أن نفهم مقدار ما قام به من إصلاحات فعلية في عهده المفعم بالاضطرابات ، مما نشاهده مدونا من النقوش على صخور جبانة «طيبة» ، إذ الواقع أن ما تنطوى عليه هذه المتون من معان لا تكشف لنا عن سرقة القبور في ذلك العصر وحسب ، بل كذلك تكشف لنا الثقباب عن مدى الفوضى التي أعقبت الانقلاب الديني الذي قام به « إخناتون » . ولقد كان من الطبعي أن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن تحدث في طيبة «إلا في مثل هذا الوقت ، ومن ثم يمكننا أن نفهم الأحوال المضطربة التي خلص منها «حورمحب» البلاد . فاستمع لما جاء في بعض هذه النقوش مما يدل على الاستهتار بالقانون وبالدين والأخلاق : « السنة الثامنة ، الشهر الثالث من الفصل الأول ، اليوم الأول في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « زمر خبرورع — ستبزع » بن رع «حورمحب » محبوب «آمون» ، أمر جلالة له الحياة والفلاح والصحة بإرسال حامل

المروحة على يمين الملك ، وكاتب الفرعون ، والمشرف على الخزانة ، ومديرا لأعمال في المقر الأبدى (الجبانة) ومدير أعياد «آمون» في «الكرنك» «ميا» ابن القاضي «يوى» الذى وضعته السيدة «ورت» لأجل إصلاح مدفن الملك «منخبرورع» المرحوم في البيت الفانر (قبره) غربى «طيبة» (راجع Br. A. R. III, § 31-).

فإذا كانت مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة تنتهك حرمتها على الرغم من شدة حراستها والقيام عليها فى ذلك الوقت فأى فوضى تكون أبشع من هذه .

إصلاح القوانين : وكذلك لم يكن عهد «حور محب» محصورا فى إصلاح المباني ، وإقامة أخرى جديدة لإرضاء كهنة «آمون» ، بل كانت لديه مهمة شاقة أقضت مضجعه وشغلت باله ، لأنها كانت تمس نظام الحكم ونزاهته ، وحسن سيره ؛ وذلك أن التراخى المشين ، والتهاون المخزى ، والتغاضى المقصود فى ملاحظة الموظفين ، وما يرتكبونه من اختلاسات ، كل ذلك كان من خصائص عهد «أخناتون» وأخلافه فى داخل البلاد وخارجها ، مما أضاع أملاكها فى الخارج وأتعب أهلها فى الداخل ، يضاف إلى ذلك أن رجال الجيش ، كانوا يعيشون فى الأرض نسادا ، وبخاصة أنهم كانوا منتشرين فى طول البلاد وعرضها فى تلك الفترة التى أصبح فيها لرجال الجيش السيطرة التامة على مرافق الحكومة ووظائفها كما شرحنا ذلك من قبل ، وهذه الرذائل التى تكون دائما عرضة للتفشى فى وقت الانقلابات العظيمة كانت قد استفحل خطرها ، وامتد طغيانها إلى حد مشين فى مصر وممتلكاتها . فقد كان الموظفون المحليون والجنود الذين كانوا يعيدون عن أعين مفتشى الحكومة المركزية يتمتعون بحياة ناعمة بما ينتزعونه من أفراد الشعب الذين كانوا يرزحون تحت عبء الظلم أمدا طويلا حتى أصبح النظام المالى والإدارى مفعما بالرشوة ، والاختلاس من كل صنف ، وعلى الجملة فالبلاد قبل عهد «حور محب» كانت متعطشة إلى العدالة ، وكان الفساد ضاربا بأعراقه فى نواحي الحياة المختلفة ، ومظاهر الظلم والعسف كانت منتشرة فى ربوع المملكة المصرية ، ومن أجل ذلك كانت ألقاب العدالة من أبرز الألقاب التى تمتح بها جلالته

فى لؤحئءه؁ ومف أفءل ذلك أفضا قفى لفسله ونهاره فى البءء عفا كان صالءا لأرض الكئانة؁ ففعقب الظلم والإثم؁ وقفى علفهما فى مظائفهما؁ وقطع دابر الكذب والرؤوة وكتب ءلالته بفده دستور العءالة وأشرف بنفسه على فنففذه .

ولا فء أن « ءور ءءب » كان قد وقف بنفسه على نواءى اللل والفساء فى الدولة؁ وهو لا فزال موظفا فوضع لكل ءالة قانونا فكفل رء الأمور إلى نصائفها الصءفء؁ وفعرض من فءاول الءروج علفه لعقوبات ماففة فئاله فى ءسمه أو فى ماله أو فى كلفهما بفتر عضو من أعضائه؁ أو بالقضاء علفه فوق ذلك بالإباء والنفى؁ ورء الرؤوة المءنصبة .

وفظهر أن الطرفقة الفى كانت ففبعة فى ءمع الضرائب هى أن فءمل كل موافن ما فرض علفه من ضرائب فى سففئفه ووفصلها إلى الفرعون؁ وفظهر كذلك أن السفن كانت فعرض كئفرا لأعمال السلب والنهب؁ وكان هذا لا فءرك سا كا عفف أولفاء الأمور فى الدولة المنءلة الففءاعفة قبل عهد « ءور ءءب » ولا فعفى المسلوب من دفع الءزفة؁ بفءاء « ءور ءءب » فقرض المءفءى الأفم لعقوبة فففل فى ءفع أنفه ونففه إلى « سفلا » (فل أبو صففه الءالفه) وعء المءفءى علفه معافى من دفع الءزفة .

وإذا وءء الموظف موافنا بفءون سففئة فرفء فوففء ما فرض علفه من ءزفة؁ فإنه فءب على ذلك الموظف أن فءصل له على سففئة من أى موافن آءر؁ لأن كل موافن فءب علفه أن فءءم الفرعون مهما ءءء .

ولا فسفرب على « ءور ءءب » بعء ما رأفنا ءفرته الفففة أن ففظر إلى أملاك المعافء والالفزاماء الفابعة لها فظرته إلى شىء مقدس؁ وأنه كان فءطها بسفاب منع من القدسفة والءلال ءفى ءعل أى اعتءاء على الضرائب الفى ففصفا؁ اعتءاء على ءق مقدس بعء مرءكبه مءرما فعاقب بنفس العقوبات السابقة .

ولم تكن قوانين « حور محب » مدنية بفحسب، تحدد علاقات بعض الوطنيين ببعض بل كانت شاملة للقوانين الدستورية التي تحدد علاقة الفرد بالسلطة الحاكمة، وكان أفراد الشعب كثيرا ما يتعرضون لحيف طبقة الموظفين الذين كانوا محبين بسلطانهم ونفوذهم — كما هي الحال في كل عصر — بفعل لكل موظف يخرج عن حدود سلطته أو يسيء استعمالها عقوبة تتناسب وجرمه، فأى موظف يحاول الاستيلاء على نبات « كث » بدون حق مشروع أو يستدعى لتنفيذ مآربه عبدا أو عبيدا بدون رغبة سيدهم، فإن هذا العمل من شأنه أن يعرض هذا الموظف للعقوبة .

وطالما وقع الأهلون فريسة لرجال الإدارة الذين كانوا يشرفون على الوجه القبلي والوجه البحري، فكانوا يسرقون منهم جلود قطعان الماشية التي كان مفروضا عليهم أن يقدموها جزية لسيدهم الفرعون كل سنة عن قطعانهم المستأجرة من الدولة، فوضع « حور محب » لذلك قانونا صارما يمثل في جلد المجرم مائة جلدة، وجرحه خمسة جروح دامية، ورد الجلد إلى صاحبه، أو إعفائه من توريد ما فرض عليه من جلود للخزانة .

ولقد كان من مظاهر الظلم والعسف وتفشي الرشوة قبل عهد « حور محب » أن العمد كانوا يفرضون الأتاوة على الأهلين ويجمعونها منهم ظلما وعدوانا، فكان مثلا كتاب مائدة بيت الزوجة الملكية، وكتاب مائدة الحريم الذين كانوا يقتفون أثر العمد على استعداد للتفتيش السطحي والتغاضي عن كل اختلاس لقاء قدح من النبيذ يقدم لكل منهم . وعلى مثل هذه الأحوال السيئة كانت تسير الأمور في البلاد فكان العشور على المجرم والقضاء على الجريمة أمرا بعيد المنال لأن منفذ الشر هو حامى القانون ومرتكب الجرم هو رجل الإدارة .

ولذلك نجد « حور محب » بعد أن سنّ قوانينه للضرب على أمثال هؤلاء المختلسين يقوم بنفسه برحلة تفتيشية للإشراف على تنفيذها بمناسبة عيد الأقصر

الفاجر الذى كان يقام كل عام، فيجوس فى أثنائها خلال الديار، ويأمر باستئصال الشر فى مكنه، وكان أمره مقضيا، ولقد نهج « حور محب » فى طريقته هذه منهج سلفه «تحتمس الثالث»، الملك الجبار الذى اجتث هذه المساوى من جذورها فضرب على أيدي المجرمين من هذا الصنف، وكان يقوم بنفس هذه الرحلات التفتيشية فى طول البلاد وعرضها للإشراف على تطبيق قوانينه وتنفيذها كما سلف ذكره. ولقد كان نظر «حور محب» ثاقبا فقد نفذ إلى كل صغيرة وكبيرة فى الدولة كما يؤخذ ذلك من النقوش التى تركها على لوحته، فيها هو ذا يحيط خبرا بما كان يجرى من غش واختلاس قبل عهده من رجال السلطة فكثيرا ما استولى هؤلاء على نبات « سم » باسم دخل الفرعون، وكثيرا ما طفقوا المكال لأنفسهم وأخسروه لحق من حقوق الدولة نظير رشوة ينالونها، وكثيرا ما استولوا على الكنان والخضروبا كورة المحاصيل، مما حرم الأهلين ثمرة جدتهم وكدهم؛ فخرم « حور محب » كل ذلك ووضع القوانين الصارمة، وأشرف بنفسه على تنفيذها فاستأصل بذرة الشر من جذورها.

ولم يكن سبيله الإرهاب والتخويف وتعذيب المجرم فحسب، بل كذلك كافا الأمانة والشرفاء فجمع بين الرغبة والرغبة وأتاح لكل مخلص أمين سبيل الترقى والعلو، واختار طائفة عددهم من أمثال القوم فأسند إليهم المناصب الخطيرة فى الدولة وزودهم بنصائحه الغالية، وحذرهم مما وقع فيه من قبلهم، فأمرهم ألا يقبلوا قعب نبذ من أحد، وألا يتخذوا لهم أصدقاء حتى لا يدفعهم الهوى إلى الميل والانحراف، وعلمهم طريق الحياة، وأرشدتهم إلى كل ما هو عدل وبسط لهم فى الرزق لعلمه أن كل تشريع يتناول الناحية الروحية فحسب من شأنه أن يعرض أحكام المشرع للمخالفة والامتهان، فكان كل واحد منهم يتسلم مرتبه بدون أى تأخير، كما رفع عنهم ما كان مفروضا على مرتباتهم من ضرائب الذهب والفضة ليمنعهم استصفاء أية ضريبة على السلع لأنفسهم.

ولتحقيق السعادة لسكان مصر وضمنان تنفيذ قوانينه كما يريد، أسس فى كل البلاد مجالس قضائية تفصل فى الخصومات بين الناس كأحدث التشرييع فى العصر الحاضر،

وأوصى القضاة أن تكون العدالة رائدهم ، فلا يقبلوا رشوة من أحد ، ولا يميزوا أحد المتخاصمين على الآخر ، ومن يتعد هذه الحدود فعليه إثم نفسه وعقوبة جريمته . ولحرص « حورمحب » على تحقيق العدالة وتنفيذها ، رغب في أن تكون علاقته برجال جيشه وضباطه ورجال إدارته علاقة ودّ وحب مباشرة فكان يتصل بهم بنفسه ويدعوهم إلى مائدته التي ينفق عليها من أمواله الخاصة فيأكلون ويشربون ، وفوق ذلك ينقلون إلى أهلهم حاملين الحقايب بهداياه الوفيرة ، التي كان يوزعها عليهم بنفسه فيناديهم بأسمائهم ، ويلقيها عليهم من نافذة قصره ، فلذلك كانت إدارة الملك شريعة الأمة ، وجاءت إصلاحاته مطابقة للحزمصيبة للفصل .

ولسنا في حاجة بعد ذلك إلى تقرير أن « حورمحب » قد تربّع على صرّش القلوب ونال محبة شعبه وتقديره ، بل نقتر أنه ارتقى مكانا عليا في تاريخ حكومة الإنسان لأخيه الإنسان ، وبخاصة إذا علمنا أن المساوي التي كان يعالجها ويعمل على اقتلاعها من جذورها لم تزل مشاهدة في البلاد على الرغم من الإصلاحات السطحية التي يقوم بها بعض الذين يريدون القضاء على الأمراض المتأصلة ، وهي لا يمكن أن تزول إلا بنهضة قوية على يد فئة درست الإصلاح على وجهه الصحيح ، كما فعل « حورمحب » وأفلح فلاحا عظيما هيا لأخلافه إعادة مجد الامبراطورية الغابرة بعد سقوطها في فترة الانقلاب الديني .

ولعل سائلا يسأل عن السبب الحقيقي الذي جعل « حورمحب » ينجح هذا النجاح المؤزر؟ سواء في سنّ قوانينه ، أم في تطبيقها ، والجواب عن ذلك لا يختلف باختلاف الأشخاص ولا يتغير بتغير العصور ، وتباين المجتمعات ، فهو السبب نفسه الذي جعل قادة الشعوب الذين أفلحوا في بعث الحياة في أممهم التي كانت أشلاء متناثرة ، وجسمها هامدا ، وهو السبب عينه الذي جعل الأمة المصرية تلتف حول القادة والزعماء الذين نشئوا من بينهم ، وتجعل اعتناق مبادئهم من الأمور المحببة إليهم .

ذلك أن « حورمحب » نشأ من بين أبناء الشعب ، وانصهر في بوتقته ، فكان ملما بكل رغباته وميوله ، عالما بكل ما كان يحيق به من عسف وظلم ، فأحسن التعبير عن رغباته ، والترجمة عما يتطلبه ، ووقف بنفسه على العلل والأدواء ، فكان دواؤه ناجعا ، وبلسمه شافيا . والتاريخ يفيض بأمثلة كثيرة من هذا النوع من القادة ، ويدلنا على أن ذلك هو السبب الحقيقي الذي من أجله نجح كثير من الزعماء والمفكرين ، كما أن كثيرا من الزعماء والملوك كان سبب إخفاقهم عدم استطاعتهم الترجمة عن رغبات الشعب وميوله ، وما يصلح له من نظم وقوانين ، وتخطوا في تطبيقها لبعدهم بالفوارق الاجتماعية والمعيشية عن أفراد شعوبهم .

ويعزى نجاح « تحتمس الثالث » ذلك الملك الفذ إلى أنه عاش بين الشعب وإن انحدر من أسرة ملكية ، فلقد كانت نشأته بين رجال الدين في الدير والمعبد ، وكان رجال الدين يدعون إلى الفضيلة وهم يدنسونها ، ويحثون بالابتعاد عن المنكر وهم يقتربونه ، فوقف بنفسه على زلاتهم وعثراتهم ، ورأى عن كثب أحوال الشعب وما يجري في خلاله من مساوئ ورذائل ، فأمكنه أن يفلح الفلاح كله في القضاء على أمراض كانت متأصلة ، ويحتث رذائل كانت خبيثة ، ولا يستغرب هذا إذا علمنا بالإضافة إلى ما تقدم أنه رضع من ثدي امرأة شعبية ، بل إن أمه نفسها كانت منحدرة من أبناء الشعب ، وقد تعلم جنبا بلجنب مع أبناء الشعب ، وبذلك لم يكن هناك كبير فارق بينه وبين « حورمحب » ، غير أنه ولد ملكا متوجا أما الآخر فسعى إلى تاج الملك حتى وضعه بيده على رأسه . وهاك ما تبقى لدينا من نصوص قوانين « حورمحب » التي استخلصنا منها ما سبق على حسب أحدث الآراء ، وسيجد القارئ أنها مهشمة لا تشفى غلة للقارئ العادي ، ولعل رجال القانون يمكنهم أن يستخلصوا منها شيئا جديدا غير الذي قد نوهنا عنه (راجع Journal of Near Eastern Studies of Chicago (Jan-Oct) 1946 Vol. V, No. 4. p. 260-270.

مقدمة [بفتة أربعة أسطرونصف] « حورمحب » معطى الحياة مخلدا أبدا . بداية الخلود حيث يتقبل (الملك) السرور ، ومئات آلاف السنين ، وملايين أعياد ثلاثينية ، وهو على عرش من

في السماء (أى رع) ، ومملكة « رع » . وإليه ينسب عرش « حور » ... ، والبلاد تفيض بحبه .
والعدالة قد مادت ، وامتزجت معه ... والمصريون يفرحون ، وأرض الكانة تعيد شبابها ، والأرض
السوداء قلبها في سرور وفي غبطة ... قد رأى ، وعلى ذلك أتى ممثلاً بالفخار ، وملاً الأرضين بجماله ،
لأن الإله الطيب قد أنجبه رع ... بإقامة العدالة على الشاطئين ، وإنه يصبح في عيد عندما يكون جمالها
(العدالة) قد أصبح ممجداً .

والواقع أن جلالة فكر في قلبه ... عن الطريقة التي يقضى بها على الإثم ، وينفى الكذب . وقد أير
جلاله تعد ماوى ممتازا ، وذلك بكبح جماح العسف أينما وجد ... والظلم الذي كان منتشرًا بينهم . والواقع
أن جلالة قد قضى نهاره وليه في البحث عما كان صالحاً لأرض الكانة ، وكذلك في متابعة القيام بالأعمال
[المتنازة] ... جلالة . فأخذ الدواة والقرطاس وكتب كل ما فاء به جلالة .

وقد أصدر الملك نفسه الأوامر التالية :

... حالات الاضطهاد في البلاد .

(ب) الانظمة التشريعية

(١) المواد التي سنت لمنع التعدي على سفن النقل التي تستخدم لتوريد الضرائب :

إذا صنع مواطن سفينة بمعداتها ليستطيع بها خدمة الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) ، [واغتصبت
منه هذه السفينة فأصبح فير قادر على توريد] الجزية ، وأصبح مسلوباً متاعه ، ومحروماً ثمرة جهوده العدة
[... فقد أمر جلالي بعده معافا] لحسن مقاصده .

وإذا وجد إنسان ما يرغب في توريد الجزية لمعامل الجمعة ، ومجازر الفرعون له الحياة والسعادة
والصحة ، من قبل ضابطين من ضباط [الجيش ... وإن إنساناً يعمل له عراقيل ، ويقتصب سفينة عضو
من الجيش (أو) ملك أى شخص آخر من أهل البلاد قاطبة ، فإن مثل هذا الشخص يطبق عليه القانون ،
وذلك بمجده آتفه وحقه إلى « سيلة » (تل أبو صيفة الحالي) ...

ومع ذلك إذا وجد موظف مواطناً بدون سفينة ، فإن له الحق أن يحصل له على سفينة من آخر
ليتمكن من توريد الجزية ، ويرسل صاحب السفينة الأصلي لأجل أن يحمل الخشب إلى مكانه ، لأن من
واجهه أن يخدم الفرعون مهما حدث .

(٢) الإجراءات المتخذة للقيام بمساعدة أصحاب السفن الذين سرقت حمولتها
المرسلة للفرعون :

[إذا وجد موظف مواطناً صاحب سفينة قد سلب متاعه ، وأن حمولة هذه السفينة قد فرغت بالسرقة ،
وبذلك أصبح هذا المواطن مسلوباً متاعه ...] وأمسى لا يملك شيئاً ، فنظرنا لأن هذا التقرير الدال على
عمل فيه خسارة كبيرة ليس بالعمل الحسن ، فإن جلالي قد أمر بأن يعده معافاً . انظر ...

(٣) الإجراءات المتخذة ضد الذين يعرقلون توريد الضرائب للحريم والقرب الإلهية :

إذا أقام إنسان تما عقيات في سبيل أولئك الذين ... وسبيل أولئك الذين يقومون بالتوريدات للحريم ، وكذلك لمائدة القربان الخاصة بقرب الآلهة المختلفين ، في حين أنهم يدفعون الضرائب لضابطي الجيش ، وأنهم ... فإن القانون يطبق عليه بجدة أنفه ونفيه إلى « سيله » أيضا .

(٤) الإجراءات المتخذة لمنع الاستيلاء على نبات « كث » وكذلك لمنع تسخير عبيد الأفراد في هذا العمل :

إذا قام موظفون من إدارة قربان الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) بطلبات رسمية للاستيلاء على نبات « كث » ، وكذلك إذا استدعوا لهذا العمل عبيدا يملكهم أفراد لمدة ستة أو سبعة أيام دون أن يكون لهم الحق في الذهاب أحرارا ، فهذا عمل مجحف ، فيجب أن تتخذ معهم الإجراءات على حسب خطورة المسألة . أما في أى مكان [... ... حيث] يسمع الناس يقولون فيه : إنهم يستدعون الناس لأجل الاستيلاء على نبات كث ، وكذلك حيث يأتي إنسان آخر معنا : لقد استولى على عبيدى أو أمتى فلا بد من تطبيق القانون بـ

(٥) الإجراءات المتخذة لمنع اغتصاب جلود الحيوان من الفلاحين — مادة في صالح دافعى الضرائب :

إذا استولت فرقنا الجيش المسكرتان في الريف ، وهما اللتان تقيم واحدة منهما في الوجه البحرى والأخرى في الوجه القبلى ، على جلود الحيوان في كل البلاد دون أن يتركوها مدة سنة واحدة لأجل أن يتمتع بها الفلاحون ... ويأخذون من بينها الموسومة (أى المكوية) ، في حين أنهم يذهبون من بيت بيت طارقين أبوابها ومنتجين السعف دون أن يتركوا جلودا للفلاحين ... [...] .

وإذا جاء بعض ... من قبل الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) لعمل إحصاء ماشيته ، وحققوا معهم (أى مع الفلاحين) ولكنهم لم يجدوا عندهم جلودا ، بل فوق ذلك يتضح لهم أن الذين ركبهم ، وأنهم قد اكتسبوا ثقتهم (أى ثقه مديرى حيوان الفرعون) فيقولون لهم : « لقد أخذت منا » .

ولما كان ذلك يعدّ عملا خطيرا فلا بد من الفصل فيه على حسب فداحة العمل . إذا قام مدير حيوان الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، لتسلم إحصاء الحيوان في كل أنحاء البلاد — لأنه هو الذى يقوم بجمع جلود الحيوان الميتة التى ... فإن جلالتي قد أمر أن يعدّ الفلاح معنى بسبب حسن نيته .

أما فيما يخص أى جندى يسمع عنه أنه قد ذهب للاستيلاء على جلود منذ تاريخ هذا اليوم ، فلا بد من تطبيق القانون عليه ، بجلده مائة جلدة ومسببة جروح دامية ، والاستيلاء منه على الجلد الذى اغتصبه بوصفه مالا مكتسبا من وجه غير مشروع » .

(٦) الإجراءات المتخذة ضد ابتزاز الأموال وضد الرشوة في إدارة الدخل :

أما عن نوع تلك الجريمة الأخرى التى تعزى إلى ... كتاب مائدة بيت الزوجة الملكية ، وكتاب مائدة الحريم الذين كانوا يقتفون أثر العمد ملحين عليهم وطالين إليهم لإبريق نمر مما يحمل فى النيل شمالا أو جنوبا ، على حسب ما كان يطلب قديما من العمد فى عهد الفرعون « منخبر رع » « تحتمس الثالث » .

— أما من جهة ما كان يحمل فى النيل شمالا أو جنوبا ، وكان العمد يستولون عليه ، فإنه على أثر وصول العمد فى عهد « تحتمس الثالث » فى كل سنة كانوا يفرضون الأتاوة على الأهلى فى خلال رحلتهم ، وكذلك كان يصل خدام الحريم عند العمد قائلين لهم : « فليقدم لنا إبريق من الخمر مقابل تفتيش سطحى » ، ولكن تأمل ! الآن ترى الفرعون له الحياة والسعادة والصحة يقوم برحلة تفتيشية بمناسبة عيد « أبت » (الأقصر) فى كل عام دون إظهار أى إهمال ، بل على العكس تعمل الترتيبات قبل وصول الفرعون ... خدام الحريم بحيث يكون الاستعداد متقنا . ولكن ما الذى حدث فى هذه الإجراءات المستمرة لاستنزاف إبريق الخمر منهم — فلاجل ذلك كان العمد يصحبون الملك فى رحلته ، وذلك لفائدة المواطنين ولما كانت هذه حالة خطيرة فإن جلالتى أمر بالامتناع بالعمل على هذه الصورة منذ هذا اليوم . أما من جهة الذين كانوا كذلك يستولون على سفينة تكون فى الميناء فانه كانت تحرر محاضر ضدهم .

(٧) الإجراءات المتخذة لمنع الاستيلاء على نبات « سم » بغير حق :

وكذلك فان الذين يستولون على نبات « سم » لأجل معامل الجمعة المواطنين مقتصين عشبهم « سم » يوميا قائلين : إنها مقابل دخل الفرعون وإنه لا فائدة للمواطنين الذين يستولون عليه فى العمل الذى يقومون به — ولما كانت هذه حالة ضارة فإن جلالتى قد أمر وأن الموظفين الذين يستولون على أعشاب « سم » لأجل دخل الفرعون له الحياة والسعادة والصحة فى حدائق الفرعون وضباعه له الحياة والسعادة والصحة الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، التى تحتوى على أعشاب « سم » ، فاذا سمع أنهم يستولون على متاع أى جندى أو أى شخص آخر فى أى جزء من أجزاء البلاد فان القانون سيطبق عليهم ؟ لأنهم أناس قد تعدوا حدود التعلقات .

(٨) الإجراءات التي تتخذ ضد الذين يستولون بدون حق على حيوان

وخضرا الخ :

أما ما يتعلق بحراس القردة الذين يستولون ... [في الإقليم الجنوبي ، وفي الإقليم الشمالي ، ويستولون اغتصابا على غلال أهالي القرى فارضين خمسين « هنا » على كل بيت ، ونحسرين ميكال خزانة الغلال العامة (؟) ، وكذلك يستولون بدون حق على الكنان والخضروبا كورة المحاصيل ... وبما أن هذه حالة مضرّة فإن جلالتى قد أمر بمنع هذا العمل (؟) ... والذين يسلبون من الضياع بغير حق ، ويستولون قسرا على السفن ، ثم يأتي أناس آخرون ... في الإقليم الجنوبي ، والإقليم الشمالي ، ويقتصبون بدون حق ميكال خمسين « هنا » عن كل بيت من المواطنين ، أما أولئك الذين يكونون أمنا فانهم سيكافئون . أما المواطنون الذين ... من الخبز المورد لهم ، فإن جلالتى أمر بإعادته كله لمنع ... المواطنون ...

(٩) إجراء متخذ ضد نوع آخر من سوء التصرف :

أما عن الحالة الأخرى الإجرامية التي يكون التقرير عنها سيئا ، فإذا كان أولئك الذين ... كل الضيعات التي هم فيها ، وهم ... من الملك ... فإن مدير البلاد الأجنبية يقدم ذهب الملك ... إلى الذين هم ...

(١٠) الإجراءات المتخذة لمنع استغلال العبيد في العمل ظلما :

... إذا ذهب رسل الحريم ليعطوا رسميا الاستيلاء على عامل فقير مهما كان قد عين لهم بالذات ، فإن مع ذلك ... مع غسل (؟) ؛ وإذا سمع مرارا ... كل ... فإنها جرائم ... فإن رسل الحريم الذين يذهبون ليستولوا في المكان ... سكان القرى (؟) ... صيادو السمك ، وصيادو الطيور ... يحملون ...

إجراءات إدارية

(١) مقدمة : ... لقد أصلحت هذه البلاد كلها ... وإني جيتها بعناية حتى الجنوب ، وقد فحصتها ... قاطبة ، وإني أعرف على وجه التأكد ما في داخلها لأنني قد زرتها أولا من الداخل .

(٢) إعادة تنظيم المجالس : لقد بحثت عن أفراد ... ذوى حزم وأخلاق جميلة ، يعرفون كيف يحكمون على الآراء ، ومنيقظين لأقوال القصر ، وإلى قواعد الإدارة ، وقد عينتهم ليحكموا في أمور القطرين ، وليرضوا سكانهما ... وقد نصبتهم في المدن الكبيرة في الجنوب وفي الشمال ، وكان كل واحد

منهم يتسلم مرتبه بدون أى تأخير ، وقد وضعت لهم نصائح وقوانين فى قائمه أعمالهم ... حادقة ، وعليتهم طريق الحياة ، لأنى أرشدتهم إلى ما هو عدل . وقد أوصيتهم قائلا : لا تتأخروا مع أناس آخرين ، ولا تقبلوا قعب نبيسذ من آخر لأنه لا يوجد ... إذا ما الذى يظن الآخرون فى أشخاص مثلكم مكلفين بالقيام مكان آخرين ، مع ذلك إذا كان من بينكم من ينتهك حرمه العدالة ؟ . أما عن الضريبة من الفضة والذهب ... فإن جلالتى قد أمر بإعفائكم منها ، لأجل أن يمنع جباية أية ضريبة على أية سلعة بوساطة مجالس «قنبت» الجنوبية أو الشمالية .

أما أى حاكم أو أى كاهن يشاع عنه : أنه جلس ليحكم بالعدل فى المجلس «قنبت» الذى أسس للحكم ومع هذا وتعدى فيه العدل فإنه يتهم من أجل ذلك بجريمة كبرى ؛ لأن جلالتى قد ألف هذا (المجلس) لأجل إعادة توطيد مصر ، ولأجل منع حدوث ... آخر ... من المجلس (قنبت) . وكهنة المعبد (خدام الإله) وموظفو مقر الحكم فى هذه البلاد ، وكذلك الكهنة المظهرون ، الخاصون بالآلهة ، فهم الذين يتألف منهم كل مجلس (قنبت) فهم الذين سيفصلون فى قضايا مواطنى كل مدينة .

وإن جلالتى قد أجهد نفسه من أجل مصر لتكون حياة سكانها سعيدة ، لأنه يظهر كل يوم على عرش «رع» . تأمل فإنه قد أسس مجالس قضائية فى البلاد كلها ليحكموا بين الناس ، وليعقدوا جلسات فى المدن على حسب الخطط المتنازة التى وضعها جلالتى .

(٣) علاقة الفرعون بضباط جيشه : ... كلية . لقد وضعت هذا النظام لأن جلالتى يرغب فى حماية كل الناس ؛ وكانوا يجتمعون حول جلالتى ثلاث مرات شهريا : وكان هذا عيدا لهم ، إذ أن كل فرد منهم يجلس ومعه جوايته من كل شئ ، لذيد ، تشمل خبزا طيبا ولحما وفطائر من ممتلكات الفرعون ... وأصواتهم تصل إلى سنان السماء معظمين كرم سيد الأرضين .

وقد كان كل واحد من رؤساء الجيش ، وكل ضباط المشاة يكافأ كما كانت الحال من قبل . وقد كان الفرعون نفسه يلقى عليهم الهدايا من النافذة مناديا كل واحد منهم باسمه ، وكانوا يمرون أمامه مهللين ، وكانوا يتسلمون الهدايا التى تصرف من ممتلكات القصر الملكى . والواقع أنهم كانوا يحملون معهم مؤنا من المخازن . فكان كل منهم ينصرف ومعه الشعير والشوفان دون أن يوجد واحد من بينهم لم يتسلم نصيبه ... لأجل أن يعمل له الباقي ... مدنهم ، دون أن يعطوا وقت فراغ مدة هذه الأيام الثلاثة ليتمتعوا بالراحة .

ورجال « ختخت » (طائفة من الناس) يسمعون وراهم إلى المكان الذى يكونون فيه ، وكل ما يجدونه هناك هو ملك سيدهم أبدا ... الرغبة ... فى إدارة سيد الأرضين ...

(٤) إعادة تأسيس بعض احتفالات البلاط التي كانت قائمة قبل عهد العمارنة :

... .. حاملوا النعال ، وكانوا يسرون في قاعة الإدارة الواسعة ذهابا وإيابا من أبوابها وأتى الشريف . ويدخلون من باب القصر بسرعة بالعربة ذاهبين نحو الباب الفانر ، وفي ركايبهم كلب سلوقي قاعة العرش لابسين ومتعلين أحذية وعصا في هيئة التي في قبضته مثل إلى مكانهم ، كما كانت الحال قديما ، وقد حددت التغيرات . الخاصة بالقصر العظيم الخاص ، ونظام بيت الأمراء ، ومنحت يتناقمون [الإله] وحجاب قاعة العرش على حسب مناجهم و نحت في كل البيت . ورجال بلاط الملك في مكانهم ، وأعضاء مجلس الثلاثين يتبعون النظام

الخاتمة : وإذا مده في أجلى على الأرض لأنى أقوم ببناء آتار الآلهة فإنى سأجد ولادى مثل القصر منضما إلى الحياة والخلود والسعادة .

وقد شمع جسمه على أقاصى البلاد مثل قرص « رع » ، وقد أضاء جسمه مثل ضوء « رع » عندما يظهر في فصل الفيضان ، وجماله قد أصبح غاية في البهاء ، وقوته صارت في قلوب الناس .

ليتم ترعون هذه المراسيم التي جددتها جلاتى لإعادة تنظيم البلاد كلها بعد أن فكر جلاتى في أعمال العسف التي كانت ترتكب في هذه البلاد (راجع Chronique D'Egypte No. 44. (Juillet 1947) p. 230 ff.)

وتدل صور « حور محب » التي عثر عليها حتى الآن على أنه كان رجلا صاحب خلق عظيم جمع بين النشاط والشدة ولين الجانب ، وأجمل هذه الصور قطعة من الجرانيت حفظت لنا عليها صورة محياه ، والواقع أن الناظر إليها لا يجد فيها شيئا من الجاذبية أو ما تترشح إليه العين ، فالوجه كان لم يزل يعبر عن نضرة الشباب ، غير أنه كان يشتم منه ريح الكتابة ، وهو تعبير قل أن نجده على وجوه الفراعنة الذين عاشوا في أزهى عهود مصر ، ويلاحظ أن أنفه الرفيع المستقيم قد ركب في صورته بإتقان ، وعينه المستطيلتين لها جفنان ثقيلان ، وشفتيه الغليظتين المنقبضتين بعض الشيء عند طرفي الفم قد مسويتا بصورة مرهفة ينبعث منهما نشاط فذ ، كما أن ذقنه المتناسك المحكم الصنع قد فقد بعض شكله بالتحية المستعارة التي ركبت فيه ، وفي الحق نجد أن كل تفصيل في أجزاء وجهه قد عالجها المقتن بدرجة عظيمة

من الحرية ، حتى ليخيل للإنسان أن المثال كان ينحت تمثاله في مادة لينة ، لا في حجر تكاد تقاوم صلابته آلة النحات ، غير أن السيطرة التامة قد أظهرها المثال على هذا الحجر بما نشاهده من نتيجة ممتازة جعلت الإنسان ينسى صعوبة العمل فيه ، وما لاقاه المفتن من مشقة مضمينة في إنجازه .

على أن ملاحظ وجه « حور محب » ، الحاملة لم تعفه على أية حال من إظهار نشاطه الفذ في خارج مصر كما أظهره في داخلها . إذ على الرغم من أن مصر لم تنزل قط عن حقها في السيطرة على كل وادى النيل حتى « الشلال الرابع » فإنها منذ عهد « أمنحتب الثالث » على ما يظهر لم يسر أى فرعون بشخصه على رأس حملة إلى قبائل أعلى النيل . وقد كان « حور محب » يرغب في إحياء تلك العادة التي كادت تكون مفروضة على الفراعنة عند توليهم العرش ، وهي القيام بحملة إلى بلاد « كوش » . ولذلك انتهز فرصة خروج بعض القبائل هناك وسار على رأس جيش إلى هذه الأصقاع كما ذكرنا من قبل . وكان قد أمر في هذه الفترة بإقامة البوابتين الجنوبيتين في معبد الكرنك ، ولذلك كانت أعمال قطع الأحجار سائرة على قدم وساق في محاجر « سلسلة » . وكذلك كان قد أصدر أوامره بنحت مقصورة ضخمة تذكارية في هذه المحاجر في صخور الحجر الرملي ، وهي التي أهداها لوالده « آمون رع » ، وإلى الإلهين المحليين « حابي » و « سبك » رب « أمبوس » . وهذه المقصورة أو الكهف قد حفر إلى عمق بعيد في جانب التل ، وقد حليت حجراته الداخلية المظلمة بمناظر العبادة العادية ، غير أن المدخل المقبب الذي يؤدي إلى هذه الحجرات قد رسم على جداره الغربي انتصارات هذا الفرعون على هذه الأصقاع ، فنشاهد في هذا المنظر صورته وهو يتقبل من « آمون رع » رمز حياة سعيدة طويلة ، وصورة أخرى له وهو يفوق سهامه على جم غفير من الأعداء الفارين ، وكذلك نشاهد السودانين رافعين رؤوسهم إليه متضرعين ، كما نشاهد جنودا يمشون ومعهم الأسرى . ويلاحظ فوق أحد الأبواب اثنا عشر قائدا

سائرين ، وهم حاملون الفرعون على محفة في حين نشاهد جماعة من الكهنة والأشراف يحيطونه ويطلقون له البخور (راجع Br. A. R. III, § 40; L. D. III, 211. a — b.) .

الحملة إلى بنت : وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة نعلم أن السفن المصرية كانت تنحدر عباب البحر ، والظاهر أنه في عهد « حور محب » أخذت مصر تعيد علاقاتها مع بلاد « بنت » بعد أن استقر فيها الأمن وسادها السلام ، إذ نشاهد منظرا ممثلا على الجدار الذي يوصل بين البوابتين اللتين أقامهما « حور محب » في معبد « الكرنك » ، ظهر فيه الملك على اليمين عاقدا مجلسا ويستقبل رؤساء بلاد « بنت » ، وهم يقتربون منه من جهة الشمال يحملون حقائب مفعمة بالتبر وریش النعام ... الخ ، وقد نقش فوقهم المتن التالي :

خطاب رؤساء « بنت » العظام : السلام عليك يا مليك مصر ، يا شمس الأقواس التسعة ، بحياة حضرتك إنا لا نعرف مصر ، وإن آباءنا لم تطلأ أقدامهم أرضها فأعطنا النفس الذي تمنحه ، وإن كل الأراضي تحت قدميك . (راجع Mariette Monuments divers 88; Brugsch Recueil de Monuments II, 43. — Brugsch Recueil XVII, 3. 57, وفي منظر آخر نشاهد « حور محب » يقدم محاصيل بلاد « بنت » التي استولى عليها حديثا للإله « آمون » كما يدل على ذلك النقش التالي : ” إحضار الجزية (الهدية) بوساطة جلالته لوالده « آمون » وهي جزية بلاد « بنت » ... بقوتك المظفرة . وإنك قد صيرت رؤسائهم في خوف بسبب الفرع منك ... حاملين كل جزيتهم على ظهورهم ، وإن قوتك لعظيمة في كل أرض “ .

ولا غرابة في أن نرى « حور محب » يرسل مثل هذه الحملات التي كانت على ما يظهر سلمية إلى بلاد « بنت » ، كما أرسل أخرى إلى بلاد « كوش » لإخضاع الثوار وجعلهم يدفعون ما عليهم من جزية ، إذ لو فحصنا السبب الحقيقي لوجدنا

(١) راجع : L. D. III, 121. a — b.

أن الدافع لها كان الإله « آمون » ، لأن هذا الإله قد قضى عليه بالإهمال والترك في زوايا النسيان نحو ربع قرن من الزمان ، وكان بعد أن استرد سلطانه في حاجة إلى الذهب والفضة لتملأ بهما خزائنه في هذا الوقت أكثر من أى وقت آخر مضى ، فقد كان في حاجة إلى بنائين لإقامة مبانيه ، وعبيد وماشية لمزارعه ، وعطور وبخور لإقامة شعائره اليومية ، ولذلك نجده حفز « حور محب » ليقوم بحملاته إلى تلك البلاد التي ترد منها تلك الخيرات مما جعله يولى وجهه نحو الجنوب كما ذكرنا ، وقد عاد منه بالأموال الوفيرة والخيرات العظيمة .

أما حروبه في الشمال (آسيا) فليس لدينا إلا قائمة أسماء منقوشة على الجانب الشمالى من بوابة الكرنك الحادية عشرة (راجع Champ. Notices Desc. II, 178 ; Br. A. R. III, §§ 34 - 36) . ولم يبق منها إلا اثنا عشر اسما محفوظة تقرأ من بينها « خيتا » ، وإلا نقش نشاهد فيه « حور محب » يقود بيده ثلاثة صفوف من الأسرى مقدما إياهم للإلهة « آمون » و « موت » و « خنسو » وهم ثالث « طيبة » ، وملابس الأسرى وسجنهم تدل على أنهم أسويون . والنقوش التي على الصف الأوسط هي : — أمراء جنبوت (جزر البحر الأبيض المتوسط) الخاسثون يقولون : ” مرحبا بك ! إن اسمك قد احاط بطرفي الأرضين بين كل الأراضى ، وكل أرض تخاف بسبب بعد صيتك ، ورهبتك في قلوبهم “ . أما الصف الأسفل فكتب فوقه : ” الأمراء الخاسثون من ... يقولون مرحبا بك مثل العظيم — والخوف قد دب في أجسامهم والرعب في قلوبهم “ .

والواقع أنه ليس في استطاعتنا أن نحكم مما جاء في هذه النقوش عما إذا كانت قد قامت حروب فعلية جديدة بين « حور محب » وبلاد « خيتا » ، أم لا ، إذ لم تصلنا حتى الآن نقوش مباشرة عن هذه الحرب لا في النقوش المصرية ولا في النقوش الخيتية ، ويقول الأستاذ « ادورد مير » في هذا الصدد : إن الفصل في هذا الموضوع يتوقف على الحكم فيما إذا كان « خاتوسيل » ملك « خيتا » عند إبرام معاهدته مع « رع مسيس الثانى » ، وهي التي أشار فيها إلى : ” المعاهدة القديمة التي أبرمت في عهد

«شوبيلوليوما» وعهد والدي «مواتال» ، إنه قد استعمل لفظة « والد » بدلا من لفظة « أخ » في هذا النص ، وحيث أن يكون التعبير الصحيح « وبين والدي مورسيل » ، وإذا كان الوضع الأخير هو الصحيح فإن المعاهدة تكون قد أبرمت إذن بين «مورسيل» وبين «حورمحب» وبذلك تكون قد نشبت بينهما حرب (راجع Ed. Meyer Gesch II, 1. p. 412.) . وعلى أية حال فإن ظواهر الأمور لا تدل على قيام حروب كبيرة بين « حورمحب » عندما تولى الملك ، لأن الأحوال لم تكن في الواقع مهيئة له لإعلان حرب على مملكة « خيتا » التي كانت وقتئذ عظيمة السلطان . حقا كانت مصر ذات ثروة عظيمة في عهد « أمنحتب الثالث » ، ولكن الحروب الخارجية والانقلابات الداخلية التي هزت أركانها في عهد « اخناتون » وأخلافه الضعفاء لم تغر «حورمحب» على القيام بحملات ضخمة على أمة كانت واسعة السلطان عظيمة القوة ، ولذلك فطن أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه المشروعات الحربية الخطيرة ، بل وجه همه للإصلاحات الداخلية التي وضعت في مصاف عظماء رجال الإنسانية الحق ، وميزته عن عظماء ملوك مصر الذين امتازوا بعلو الكعب في كبح جماح الظلم والعسف والرشوة التي كانت تئن تحت عبئها البلاد ، وترزح تحت أثقالها في عصور التاريخ كلها وبخاصة مدة فترة الانحلال الخلق العظيم الذي طغى على البلاد من أقصاها لأقصاها ، وهو العصر الذي تلا وفاة « أمنحتب الثالث » حتى عهد « حورمحب » ، وقد كان هذا الانحلال يتمثل في طبقة الموظفين ورجال البلاط فقضى عليه جملة كما فصلنا القول في ذلك .

أهم الآثار التي خلفها حورمحب قبل تولى الملك

(١) وجد له تمثال في معبد « آمون » « بالكرك » وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري (راجع سجل المتحف رقم ٤٢١٢٩) .

(٢) تمثال من معبد « تحوت » في « منف » (راجع J. E. A. Vol. 10 p.

ff. (1923) Part. II, October (1 — 5) .

(٣) وقد أقام «حورمحب» لنفسه مقبرة نفخمة في «سقارة» تعدّ من الطراز الأول في النقش، ويظهر فيها فن عصر العمارنة بصورة واضحة . ومما يؤسف له أن هذه المقبرة قد مزق شملها المخربون ، ولذلك توجد أجزاؤها في مختلف متاحف العالم وهي :

متحف لميدن : وتوجد فيه قطعة (راجع Leiden Boeser Beschuyt . (IV, Pl. XXIII — XXIV b.

متحف « فينا » : وفيه قطعة باسم هذا الفرعون (Breasted. A. Z, 38.) (p. 47.

متحف « برلين » : يوجد فيه كثة . (Berichte Aus Berl Mus. 49. heft 2. p. 34.

متحف « بولونيا » : وجد فيه قطع كذلك من جدران هذا القبر عليها مناظر مختلفة (راجع Capart J. E. A, 7. p. 31 ; & Von Bissing Denkmaler.)
المتحف البريطاني : يوجد فيه عارضا باب (راجع Guide Sculptures . (p. 130 — 1., & Gauth. L. R. II, p. 383.

المتحف المصري : يوجد فيه عارضا باب وعمود كان في قبره من سقارة (راجع De Rougé Insc. hierog p. 107 — 8. & Gauth. Ibid.)
متحف « اللوفر » : يوجد فيه عارضا باب وواجهة ، كما يوجد فيه قطعة من جدار (راجع Louvre c. 68 — 70 ; Mem. Miss. V, p. 486.)
متحف الاسكندرية : كانت فيه قطعة من هذا القبر، غير أنها قد اختفت (راجع Wiedemann. P. S. B. A, II, p. 424.

متحف « ليننجراد » : يوجد فيه لوحة (راجع A, Z. 72, p. 311 ff.)
وخلافا لذلك نجده قد مثل في نقوش قبر كاهن أعظم في « منف » وهذا النقش موجود الآن في برلين (راجع Spiegelberg A. Z. 60. p. 56.) ، كما نجده ممثلا على

الجدار الشرقي من حجرة دفن الملك « توت عنخ آمون » غير أنه لم يذكر بالاسم بل تدل شواهد الأحوال على أنه « حور محب » كما ذكرنا من قبل .

آثار حور محب الملك :

الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن آثار الفرعون « حور محب » في أثناء توليه عرش الملك غير ما ذكرنا . ففي السنة الأولى من حكمه وصلت إلينا وثيقة عرفنا منها حسن مقاصده بالنسبة لعبادة الإله « بتاح » (راجع Mariette Karnak, 47 d. in Mariette Karnak Plan G.) .

وفي السنة الثالثة من عهده أقام « نفرحتب » مدير أملاك الفرعون مقبرته . أما حروبه التي شنها على أهل الجنوب في السودان وحروبه مع أقوام « حايونبوت » في الشمال (سكان جزر البحر الأبيض) فلا نعلم على وجه التأكيد موعد حدوثها بعد توليه العرش أو قبله ، ومن المحتمل أنها تعزى إلى الجزء الأول من حياته كما سبق الكلام عن ذلك . أما التواريخ التي تدل على طول مدة حكمه منفردا ، فقد عثرنا منها حتى الآن على « استراكون » مؤرخة بالسنة السابعة من حكمه ، وقد كتب عليها تظلم رجل يدعى « حاي » يشكو فيه من أن قبر والده كان قد منحه في السنة السابعة من حكم « حور محب » ، وأنه الآن في السنة الواحدة والعشرين (لم يذكر اسم الملك) ولم يتسلم بعد وثيقة الملكية . على أنه ليس لدينا برهان على أن السنة الواحدة والعشرين تعود إلى حكم الملك « سبتى الأول » . غير أنه من الجائز أن « حور محب » بعد أن ألغى عبادة « آتون » أرخ حكمه بوصفه ملكا منذ توليه قيادة الجيش .

وعلى الرغم من أن عبادة « آتون » قد أقصيت من مكاتها المتنازعة في عهد « توت عنخ آمون » إلا أنها لم تكن قد محيت تماما من البلاد ، يدل على ذلك حفر اسم « حور محب » على معبد « آتون » في « تل العمارنة » (Petrie. Amarna XI, 5.)

وكذلك وجود التعبير "إن جسم « رع » هو « آتون » " حتى السنة الثالثة من حكم هذا الملك (راجع Miss. Arch. Franç, Caire, V, p. 499) .

ولكن لم يلبث « حور محب » أن محّا كل أثر من هذا النوع حتى أسس مباني « إخناتون » في « طيبة » كما استعمل أحجارها، وكذلك أحجار مباني « توت عنخ آمون » والملك « آي » في إقامة بواباته بالكرك .

وفاته :

وقد قضى « حور محب » في سنّ متقدمة ، وشيخوخة موقرة ، ودفن بقبره في « طيبة » ، والواقع أنه أقام لنفسه ثلاث مقابر ، الأولى في « تل العمارنة » (وأن كان ذلك فيه شك) ، ولكنه لم يتقدم في بنائها كثيرا ، والثانية في « منف » ، وكانت من بدائع ما أخرجه يد كل من المهندس والمفتن المصري ، وتصوّر لنا حياته الحكومية وكيف مهد السبيل إلى اعتلاء عرش الملك ، والقبر الثالث في « أبواب الملوك » على الضفة الغربية من النيل ، وهو مزين بالرسوم التقليدية ، والمتون الدينية الخاصة بالعالم السفلى بوصفه ملكا ، وفي الحجر الداخلية من هذا القبر نجد تابوته المصنوع من الجرانيت الأحمر لم يزل موجودا في مكانه الأصلي ، وقد حليت جوانبه بصورة أربعة الآلهة الحامية للتوفى ، كما كانت العادة في تزيين مثل هذه التوابيت ، ويلاحظ أنها كانت ناشرة أجنحتها على الأركان الأربعة للتابوت .

أما صندوقه الخشبي فقد نهب ولم يعثر فيه على شيء قط ، كما أن مومية هذا الفرعون قد اختفت ، ولا نعرف عنها شيئا قط .

ولا نزاع في أن « حور محب » قد وضع أمامنا صفتين في التاريخ يكاد يمتاز بهما عن كل ملوك مصر ، ففي قبره في « منف » صفحة عن الرجل الموظف وحياته ، ولما اعتلى الملك طوى هذه الصحيفة ونشر أمامنا أخرى تمثله وهو ملك ، ولم يجاره في هذا المضمار إلا الملك « آي » سلفه ، ومن ثم نستطيع أن نقول بحق إنهما هما

الرجلان اللذان مهدا السبيل إلى استعادة مجد مصر بعد أن ضيعه « إخناتون »
في عهد إصلاحه الديني .

ويعتد « حور محب » في نظر المصريين وفي نظر التاريخ عامة ملكا شرعيا نشأ
من لا شيء ، ومات ملكا متوجا ، وحقق لبلاده ما لم يحققه ملك من الذين نشئوا
من دم ملكي ، ولم يترك للعرش وارثا ، ولذلك كان هذا الروح الفريد ، والعقل
الفذ الذي حرك سكان الحكم في مصر بروية وحزم في الطريق القويمة ثانية ،
بعد أن ضلت السبيل فترة من الزمن ، نعمة عظمى لمصر والرجل المثالي الذي شيد
للعدالة صرحا لا تزال ترسم خطاه .

أما آثاره التي تركها لنا بعد توليه العرش فهي قليلة بالنسبة للملوك الآخرين ،
وربما يعزى ذلك لأن حكمه الحقيقي لم يدم طويلا ، ومع ذلك فإننا نجدها منتشرة
في طول البلاد وعرضها ، وسندكرها على حسب الترتيب الجغرافي بقدر المستطاع .

منف (مدافن العجل أبيس) : في عهد « حور محب » دفن العجل الثالث
والعجل الرابع ، وقد دفنا في قبر مزدوج . ففي الحجر الأولى دفن العجل أبيس الثالث ،
وقد زينت جدرانها بالآلهة ، وبصورة العجل أبيس نفسه (راجع Mariette
Serapeum Pl. 3) ، وفي الحجر الثانية دفن العجل الرابع ووجد معه أواني الأحشاء ،
وهي في « متحف اللوفر » الآن (راجع Porter & Moss III, p. 205) .

قرية بوصير : وجدت قطع مختلفة تحمل طغراء « حور محب » (راجع L. D. Text.
I, p. 139) ، وفي معبد « بتاح » « بمنف » وجد له تمثال وهو الآن بمتحف « مترو بوليتان »
« بنيويورك » (راجع J. E. A. X, Pls. 1 -- IV, p. 1 — 5) وكذلك وجدت
قطعة من الحجر الجيري في « منف » عليها طغراء « أمنحتب الرابع » و « حور محب »
(راجع Porter & Moss. Ibid p. 224) ووجد تاج عمود في ضرب الحماميز ،
ويحتمل أنه جيء به من « منف » (راجع Wiedemann Gesch. p. 409) .

« غراب » : وفي قرية « غراب » وجدت له خواتم مدّة باسمه (Petrie Kahun XXIII, & Petrie Illahun XXIII).

وفي « القاهرة » : جزء من لوحة كبيرة للفرعون « حور محب » يحتمل أنها من « هليو بوليس » وقد استعملت أسكفة (راجع 4 — 103 A. S., IV, P. 103)، وكذلك وجدت زاوية باب من الحجر الرملى عليها طغراء « حور محب » (راجع 103. A. S., IV, P. 103)، وقد عثر عليها قبالة جامع السلحدار .

« العرابة » : وبالقرب من معبد « سبتى الأول » عثر على مجموعتين من التماثيل باسم هذا الفرعون : واحدة منهما من الحجر الجيري الأبيض، والثانية من الجرانيت تمثل كل منهما « حور محب » ومعه « أوزير » و « إزيس » و « حور » وهما بالمتحف المصرى الآن (راجع الدليل : (1932) A Brief Desc of Monuments (P. 85.)).

« طيبة » فى « الكرنك » : أقام هذا الفرعون ثلاث بوابات كما ذكرنا آنفا فى معبد الكرنك ، وكانت تمتد أمام البوابتين التاسعة والعاشرة طريق بكاش تشمل ثمانية وعشرين ومائة تمثال فى هيئة « بوهول » برأس كبش ، وقد وصفت بأنها أجمل شيء من نوعه حتى الآن فى « طيبة » (Champ Notices Desc. II, p. 172.) هذا إلى أنه أقام جدارا من الجرانيت بين البوابة الخامسة والمحراب الجرانيتى بالكرنك أيضا (راجع Ibid p. 139.)).

وفى معبد « الأقصر » : وضع « حور محب » اسمه على عمد « أمنحتب الثالث » الكبرى الموجودة فى قاعة العمد التى بمعبده (راجع Baedeker p. 129. (1929)؛ وكذلك نقش « حور محب » على كل الجدار الغربى من معبد الأقصر مناظر عودته إلى الأقصر من « منف » .

وفى معبد بتاح : ترك لنا بعض نقوش باسمه (راجع Mariette Karnak, 74d.)، كما وجدت له لوحة فى معبد الكرنك أيضا (A. Z. XXVI, p. 70.)). وفى الكرنك وجد « لحور محب » تمثال صغير من الخشب المتحجر (Legrains; Statues No. 42095.)

وتمثال آخر في نفس المعبد في صورة « بولبول » (Legrains ibid 42096) ،
وعثر على قطعتين من مسلة صغيرة باسم « حورمحب » (راجع Legrains. Repertoire
No. 321) ولوحة له أيضا (راجع A. S. IV, 9-10) .
وفي معبد آمون : وجدت له لوحة لاتزال في مكانها (راجع Legrains
ibid p. 107-14) ، ومتن مؤرخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون ، ولم
يبق منه إلا ثلاثة أسطر (راجع Brugsch Thesaurus 1223-4) ، وقطعة حجر
في معبد « خنسو » وعليها اسم « حورمحب » (Champ. Notices p. 217.)
وكذلك نجد أن « بينوزم » قد نقش مناظر له كانت في الأصل لحورمحب (راجع
Ibid. p. 221) .

وفي « طيبة الغربية » :

ترك لنا نقوشا في الدير البحري ادعى فيها أنه أصلح آثار والد آبائه « تحتمس
الثالث » ، ولا يبعد أن تكون إعادة حفر المناظر التي محاها « تحتمس الثالث »
من عمل « حورمحب » كما يقول « بترى » ، لأن تحمسه لعبادة « آمون »
قد يكون السبب الذي دعا لذلك . وكذلك أصلح بعض مناظر « بنت » (راجع
Petrie History of Egypt II, p. 254; Champ. Notices I, p. 574.

(٢) وفي مدينة « هابو » ترك لنا نقوشا ادعى فيها أنه قام بإصلاحات
في المعبد الصغير ، وهذه النقوش توجد على كلا جانبي المدخل الرئيسى في النهاية
الشمالية من الردهة (راجع L. D. III, P. 202 d) .

(٣) وفي متحف « برلين » (Berlin Mus. No. 1497) جزء من تمثال لإله النيل
وكذلك أجزاء من متن من تمثال ضخم للفرعون « حورمحب » (راجع L. D., III,
112 c, d, e & Text III, pp. 147) .

« أرمنت » : وفي مدفن العجول بجبهة « أرمنت » عثر على قطع من الحجر
الرملى عليها متون باسم « حورمحب » و « آتون » وهذه القطع مبنية في الجدار
(راجع Porter & Moss, V, P. 159) .

« كوم امبو » : وفي « كوم امبو » وجدت قطعة مستعملة في بناء المعبد الرئيسي من عهد البطالمة ، وعليها طغراء « حور محب » (راجع Procktesch Van Osten Nil fahrt P. 479) .

« اسوان » : وفي إحدى مقابر أسوان المنحوتة في الصخر وجد في حجرة الدفن مع أشياء أخرى خاتم باسم « حور محب » (راجع A. S., VI, P. 282) .
كوبان : وعثر له في « كوبان » على تمثال برأس أسد (Murray Guide to Egypt Ed. 1889 p. 538.) .

جبل عدة : وفي جبل عدة حفر « حور محب » لنفسه محراباً فخماً ، ويلاحظ أنه لم يرسم مناظر حربية كهعادة الملوك الفاتحين بالنسبة لبلاد النوبة ، وهذا مما يجعل على الظن أن « حور محب » لم يقيم بأعمال حربية في آخر أيامه بل كانت حروبه كلها في الجزء الأول من حياته (L. D. III, 122 a - f; & Plan Champ. Notices Desc. II, p. 5.) .

تمائيل الفرعون « حور محب » : ولدينا من تماثيل هذا الفرعون أمثلة تدعو للإعجاب في دقة الصنع وبراعة الفن في تفصيل أجزاء الجسم وتمثيلها للواقع :
(١) ومن أهم ما لدينا الجزء الأعلى من تمثال ضخم عثر عليه في مدينة « هابو » وهو الآن في « متحف برلين » (راجع L. D. III, 112 c. وقد تكلمنا عنه فيما سبق) .

(٢) مجموعة تماثيل من الجبرالجيري الأبيض مثل فيها الملك والإله « آمون » وهي الآن بمتحف « تورين » .

(٣) تمثال ضخم في فندق الأقصر (Wiedemann Gesch p. 411.) .

(٤) تمثال نصفي من البازلت الأحمر (؟) في متحف « فلورنس » الآن ، ولا بد أنه جزء من تمثال راجع (Schiaparelli. Cat. Flonence 1225.) .

(٥) تمثال للفرعون بوصفه « حابي » إله النيل (Budge Guide Sculp. 125.) .

(٦) مجموعة تمثل هذا الفرعون مع الإله « حور » في « كاستل كاتاجو » (Castel Cattajo) (راجع Wiedmann Gesch p. 411) هذا عهدا ما ذكرناه فيما سبق .
أما عن آثاره الأخرى الصغيرة مثل الخواتم والتعاويذ واللعارين فوجوده بكثرة (راجع Wilkenson Manners & Customs ed-Birch II, 342 ff.) .

أما زوجه فقد عثر لها على تمثال معه ، كما سبق ذكر ذلك ، كما وجد لها خواتم (راجع Flinders Petrie Coll. Scarabs; Berl. Mus.) .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على آثار هذا الفرعون نجد أنه على الرغم مما ينسب إليه من طول مدة الحكم أحيانا بما يقدر بنحو ربع قرن ، وأحيانا بأنه لم يحكم بوصفه ملكا إلا سنين قلائل ، فإن آثاره كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها بدرجة لا بأس بها ، غير أننا مع ذلك نميل إلى الرأي القائل بأنه لم يحكم بوصفه ملكا فعليا إلا مدة قصيرة .

الموظفون في عهد حور محب

إن ما لدينا من معلومات عن رجال أواخر الأسرة الثامنة عشرة لا يمكننا من تمييز الرجال البارزين الذين خدموا في عهد الفرعون « حور محب » بصفة قاطعة ، وقد يعزى السبب في ذلك إلى تلاحق الملوك بسرعة على عرش البلاد بعد موت « إخناتون » . ومن جهة أخرى لقصر المدة التي تولى فيها « حور محب » عرش البلاد منفردا . وأهم الشخصيات البارزة في عهده ما يأتي :

« نفرحتب » : الكاهن « والد الإله » .

كل ما نعرفه عن هذا الكاهن مستقى من مقبرته الجميلة المعروفة المنحوتة في صخور « العساسيف » في « طيبة » الغربية (راجع Mem. Miss. Fr, V, pp. 489 — 540, Pls. 1 — VI.)

وألقابه هي (١) والد الإله « لآمون رع » ، وقاضى المكان العظيم ، وتشريفاتى والدته (٢) ، وساقى الإله « آمون » .

وقبر هذا الموظف يحتوى على مناظر ونقوش لها أهمية عظمى من الوجهة الدينية من حيث إقامة الشعائر الجنازية، هذا إلى أنه يحتوى على منظر تاريخى ذى قيمة عظيمة، إذ نشاهد « نفرحتب » وهو يتقبل الإنعامات الفرعونية من يد الملك « حور محب » نفسه .

فترى فى قاعة مزار قبره على الجدار من جهة اليمين الفرعون « حور محب » فى منظر واقفا فى الشرفة الملكية مرتديا قبعة الملك الخاصة، وفى يده سوط ملكى ويسير خلفه تابعان، وأمامه تشريفاتى البلاط ويصحبه وزير الدولة، وخلف هؤلاء نشاهد « نفرحتب » رافعا يديه بسرور، وكان يطقو جيده بقلائد من الذهب تابعان، ونرى كذلك أساور من ذهب وقلائد كانت مجهزة على منضدة أمام الشرفة ليحلى بها جيده، والمتون التى تتبع هذا المنظر هى :

(١) فوق صورة أتباع الملك : المشرف على أملاك الفرعون، وساقى الملك وتابع الملك فى كل مكان .

امام الملك : السنة الثالثة فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى
زسر خبر ورع (حور محب) .

تأمل ! فإن جلالة قد ظهر مثل الشمس فى قصره صاحب الحياة المرضية، بعد أن قرب الخبز لوالده « آمون »، وعند خروجه من بيت الذهب انتشر الحبور فى كل الأرض ووصل الفرح إلى عنان السماء، وقد طلب « نفرحتب » والد الإله « آمون » ليتقبل الإنعام فى حضرة الملك ، وهو عشرات آلاف من كل شئ من الفضة والذهب والملابس والعطور والخبز والجمعة واللحم والفطائر عند طلب سيدى آمون الذى يحفظ لى حظوتى فى الحضرة (الملكية) .

الكاهن المرتل الذى يسر قلب آمون « نفرحتب » يقول : « ما أعظم أملاك من يعرف عطايا هذا الإله ملك الآلهة ، وإن من يعرفه لذو حكمة ، ومن يخدمه محظوظ ، ومن يتبعه فإن نصيبه الحماية ، وإنه شمس جسمه ، وقرص الشمس

المخلد ملكه أبدا . ولا نزاع في أن القارئ يشتم من هذا المتن رائحة بقايا عبادة « آتون » التي لم يكن في الاستطاعة اقتلاعها من جذورها دفعة واحدة ، وبعد هذا الإنعام نشاهد « نفرحتب » متقلدا قلائد من ذهب ، ثم يقابل أخاه « أمنحتب » وقد نقش فوق رأسه اسمه والألفاظ التالية : « كوفى بالفضة والذهب من الملك نفسه » ، ثم يتبعه كاهن آخريليس قلائد مشابهة ، ونقش معه الكلمات التالية : « وصول والد الإله « لآمون » « برنتفر » المرحوم ، في سلام حاملا إنعام الملك .

أما المناظر الجنائزية التي نشاهدها في هذا القبر فهي التي كنا نشاهدها في القبور التي من قبل عهد « أخناتون » ، إذ نرى المتوفى في وليمة مع أسرته وكذلك القربان التي كانت تقدم ، ومتونا خاصة بالأعياد ، غير أن الشيء الجديد الذي نلاحظه هنا هو ظهور متن يشبه المتون التي كنا نقرأها في عصر التشكك الذي جاء على أثر الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي تلا سقوط الدولة القديمة (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الثاني ص ٢٢٢ — ٢٢٨) ، ولا غرابة في ذلك إذ لو أنعمنا النظر لوجدنا أن الانقلاب الذي أحدثه « إخناتون » قد أثر في نفوس القوم ، وخلخل عقائدهم ، وجعلهم ينظرون للحياة نظرة تجعلهم يتجهون إلى التمتع بمناعمها ولذا نلذذها لأنهم لا يعرفون ، ماذا سيكون مصيرهم بعد الموت . وسرى أن هذه السحابة المليئة بالتشكك لم تمكث طويلا بل ستهلأ النفوس ثانية ، ويعود إيمانها عندما يعود الأمن إلى نصابه ، وتسود السكينة في البلاد .

وإنا من جانبنا لنتمسك بمصرى هذا العهد بعض العذريل كل العذر ، إذ نجده في نفس الموقف الذي كان يقفه كاتب أغنية الضارب على العود الذي كان يرى مقابر العظماء والملوك تحرب وتنهب على مرأى منه ، وهذا هو نفس ما شاهده « نفرحتب » فقد رأى قبور الملوك العظام تهدم وتسرق على مرأى من رجال الحكومة وليس في مقدورهم عمل أى شيء لإصلاح ما تهتم منها ، إلى أن قام

« حور محب » بوضع القوانين الفذة، وأمر بإصلاح ما خربته الطفافة، وهالك نص هذه الأغنية :

ما أهدأ هذا الأمير الصالح . إن مصيره الطيب قد حان حينه .
إن الأجسام ينتهى أجلها منذ وقت الإله ، ويحل محلها جيل آخر .
والإله « رع » يشرق فى الصباح ويغيب « آتوم » فى « مانوم » (جبل خرافى
تقرب وراء الشمس كل يوم) ، والرجال تلقح والنساء يحملن ، وكل أنف تنسم الهواء .
ويطلع النهار وأطفالهم يذهبون فرادى وجماعات إلى أماكنهم .
أمعن اليوم فى متاع أيها الكاهن ! ضع العطر والزيت الجميل معا فى خياشيمك ،
وتيجان الأزهار ، وأزهار البشنين حول عنق أختك التى تحبها الجالسة بجانبك ! .
وليكن الغناء والموسيقى أمامك ! واطرح كل الآلام وراء ظهرك ، وفكر فى السرور
إلى أن يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه إلى الميناء فى الأرض التى تحب الصمت ...
اقض يومك فى سرور يا « نفرحتب » ، أنت أيها الكاهن ذو اليدين الطاهرتين
لقد سمعت ما جرى ... جدرانهم قد خربت ، وبيوتهم كأن لم تكن بالأس كأنهم
لم يكونوا منذ وقت الإله ... » .

« رى » : (روى) : رئيس الحكومة المركزية . كان « رى » يلقب الكاتب
الملكى ومدير أملاك « حور محب » ، وكذلك مدير ضياع الإله « آمون » . والظاهر
أنه كان معاصرا لهذا الفرعون .

وقبره فى « جبانة ذراع أبو النجا » . ومزار هذا القبر قد حليت جدرانه
بالمناظر الجنازية العادية حيث نشاهد المتوفى واقفا أمام الآلهة ومنظر الحساب
والموكب الجنازى .

ولكن أهم ما يلفت النظر فى هذه المناظر مشهد فى ثلاثة صفوف نرى فيها
أولا « حور محب » وزوجه ثم « أمنحتب الأول » وزوجه « نفرتارى » يتعبدون
للآلهة ، وأخيرا نشاهد المتوفى نفسه تطعمه آلهة تتقمص شجرة (حتحور)
(راجع . Porter & Moss I, pp. 159 — 160) .

« أممأنت » : عثر لهذا القائد العظيم على عدة قطع من جدران قبره وتوجد الآن في عدة متاحف أوربية كما توجد بعضها في المتحف المصرى ، وقد درسها الأثرى « انكا » ويظن أن قبره فى « منف » فى الجزء الشمالى (راجع A. Z., 67. pp. 78 - 82.) .

وعلى الرغم من عدم ذكر الملك الذى عاش فى عهده هذا القائد فإنه بطريق الموازنة أمكنه أن يستخلص أنه عاش فى عهد الفرعون « حور محب » ، وبخاصة أنه كان يحمل لقب القائد الأعلى لرب الأرضين ، وكذلك لقب المشرف على كل الموظفين فى الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، واللقب الأخير كان يمتاز به « حور محب » قبل توليته الملك ، وهاك ألقابه ومناقبه كما جاءت على القطع التى وصلتنا من قبره :

- (١) الأمير الوراثى والرئيس الأول لمقاطعة « منف » .
- (٢) مدير عبيد الإلهة « ماعت » .
- (٣) المشرف على الأعمال فى معبد « رع » .
- (٤) المشرف على الوظائف كلها فى الوجه القبلى والوجه البحرى .
- (٥) مدير كل أعمال الفرعون .
- (٦) الممدوح كثيرا من الإله الطيب (الملك) القائد الأعلى لجيوش رب الأرضين .
- (٧) صاحب الفرعون الأول .
- (٨) رئيس الرماة .
- (٩) مدير بيت الفرعون « تحتمس الثالث » (أى معبده) .

وأهم ما يلفت النظر فى القطع التى عثر عليها من قبر هذا الموظف الكبير قطعة يشاهد فيها « أممأنت » راكما يتعبد وقد نقش أمامه صلاة يتضرع بها لخور إله الشمس مما يدل على أن القوم كانوا لا يزالون متعلقين بعبادة الشمس وإن

كانت عبادة « آمون » قد أخذت تتغلب على عبادة كل إله آخر، وما تبقى من هذه الصلاة أو الأتسودة هو : « السلام عليك يا أيها الإله الطيب ، يا حور صاحب التيجان الجميلة ، أنت يا شمس كل حين ، ويا شمس كل من يتبعه » . ومن هذه الأتسودة نلاحظ أن النقوش كانت لا تزال متأثرة بعبادة إله الشمس التي كانت تتمثل « لإخناتون » في قرصها الذي كان يسميه « آتون » .

« معي » : لم يكشف بعد قبر هذا الموظف، وكل ما لدينا من آثاره هو تمثال عثر عليه « لحران » في معبد الكرنك على مقربة من جنوبي مسلة الفرعون « تحتمس الأول » بالقرب من المكان الذي عثر فيه على تمثال « أمنحتب بن حبو » السالف الذكر، وهذا التمثال وجد مهشما وقد مثل جالسا القرفصاء، وعلى حجره ورقة مبسوطة يقرأ فيها، وقد نقش على صدره لقب الفرعون « حور محب » . ومما يؤسف له أن نقوشه قد وجدت مهشمة كذلك ، غير أنه قد تبقى منها ما يدلنا على ألقابه وهي : حامل المروحة على يمين الفرعون، ومدير كل أعمال « آمون » في « الكرنك » ، والكاتب الملكي ، والمشرف على الخزانة . وهذا الموظف معروف لنا من قبل فقد ذكرنا أنه هو الذي كلفه الفرعون « حور محب » بإصلاح مقبرة الملك « تحتمس الرابع » ووضع موميته في مقبرتها الفاخرة . وفي استطاعتنا أن نفهم مقدار عظم مكانته عند الفرعون حينما نعلم أن حاكم « طيبة » نفسه كان تحت إدارته بوصفه سكرتيرا له . والخطاب الذي وجهه « معي » للفرعون وهو المنقوش على تمثاله من الأهمية بمكان لأنه يذكر لنا الأعمال التي تمت في هذا العهد وما نال الآلهة منها .

يقول : « إن اسمك مضاعف بجماله ضعفين يا ملك الأرضين ، وإن والدك « آمون » قد أنجبك ، وإنك أنت الذي قد شيدت له بيته من جديد، وجعلته ثابتا أبدا . وإن الآلهة قد أنجبوك ، وأنت تزيد في مؤنهم ، وأنت الذي أقمت لهم معابدهم التي قد ذهبت إلى البلى ، وقلوبهم قد ابتهجت بما فعلته لهم ، وإنك

منعم تقيم الشعائر، وقد حفظوك حيا ثابتا معافى بمئات آلاف السنين في سلام ،
وإنك روحنا ، والأنفاس تخرج منك ، وأنت تعمل لبقائنا ، واسمك يبقى كما تبقى
الأبدية » .

والواقع أن الدور الذي كان يقوم به « معى » في خدمة « حور محب » هو
دور رئيس الوزراء، وهو في ذلك يشبه « أمنحتب بن حيو » وما قام به من
جليل الأعمال للفرعون « أمنحتب الثالث » . وتدل شواهد الأحوال على أنه هو
الذى ساعد « حور محب » في كل الإصلاحات البنائية التى قام بها في طول البلاد
وعرضها كما ذكرنا من قبل .

والظاهر أن « معى » هذا هو الذى كان يشرف على حفر مقصورة السلسلة
التي حفرها « حور محب » في هذه الجهة ، غير أن الألقاب التي وجدت للموظف
الذى كان يشرف على هذه المقصورة ، ليست موحدة مع ألقابه التي نقشت على
التمثال ، ولا مع التي على الصخرة ، هذا إلى أن اسم صاحب النقش على مقصورة
« حور محب » في « السلسلة » قد وجد ممحوا في كل مكان ؛ ويفسر « لجران »
هذا الاختلاف بقوله : إن « معى » كان رئيس كل أعمال « آمون » عندما
كان في « الكرنك » ورئيس الأعمال في الجبانة عندما عين لتجديد مومية « تحتمس
الرابع » ، وعندما ذهب إلى « السلسلة » وكان العمال يقطعون الأحجار العظيمة
من الجبل كان يحمل لقب المشرف على الأعمال العظيمة لسيده ، أى أنه كان يحمل
في كل مكان اللقب الذى يتفق معه .

ولكن الأمر المدهش في نقوش « السلسلة » أن اسم هذا الموظف قد محى ،
ولا نعرف لذلك سببا قط (راجع A. S. p. 213 — 218) .

« نب وع » : الكاهن الأول للاله « آمون » . وجد لهذا الكاهن تمثال ،
وكذلك قطعة من تمثال ، وقاعدة تمثال ، وتمثال مجيب ؛ وقد جاء عليها ذكر اسم
زوجته « موت نفرت » ووالده « حوى » ، وكانت الأولى تشغل وظيفة مغنية

الإله « آمون رع » . أما والده « حوى » فكان يحمل لقب القاضى ، والكاتب الماهر .
ويلاحظ أن « نب وع » كان يحمل لقب الكاهن الأكبر للإله « آمون » هكذا :
الكاهن الأول « لآمون » البحيرة ، والكاهن الأول « لآمون رع » البحيرة ، الكاهن
الأول « لآمون رع » ملك الآلهة للبحيرة . والكاهن الأول « لآمون رع »
في « سماجدت » عاصمة المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى
(راجع . P. 245. Histoire des Grands, Pretres d'Amon de Karnak)
• (Legrain Repertoire P. 192.

لمحة عن ممالك الشرق التي جاء ذكرها

في خطابات تل العمارنة

(١) « بابل »

يدل ما جاء في رسائل « تل العمارنة » وفي قائمة ملوك الكاسيين على أن لفظة « كاراينداش » كانت علما على بلاد « بابل » ؛ ويظهر أن هذا الاسم كان مرادفا في الأصل لاسم « أرض البحر الجنوبية » التي كانت يحتلها قوم « الكاسيين » ؛ وهذه البلاد بعينها هي التي أطلق عليها فيما بعد أرض « كلديا » ، ولكن عند ما وسع الكاسيون أملاكهم شمالا أطلق على كل هذه البقاع اسم « كاردونياش » ، ولذا نجد مثلا الملك « سنخرب » استعمل هذا الاسم للدلالة على « أرض البحر » . وكلمة « كاراينداش » كاسية الأصل ، غير أن معناها ليس معروفا لنا تماما . ويظن بعض المؤرخين أن معناها « أرض البحر » (راجع Husing, Orientalistische, Literatur - Zeitung (1915) P. 1 - 4.)

ومما يلفت النظر في خطابات « تل العمارنة » أن اسم « بابل » كان يذكر غالبا فيها باسم « كاشي » مثال ذلك ما جاء في الخطاب ٧٦ سطر الخ : « أن » عبدي أشرتا « الكلب الذي يبحث لنفسه على الاستيلاء على كل المدن ، يأبى الملك ، ويأبى الشمس ، فهل هو ملك « متي » أو ملك « كاشي » الذي يبحث للاستيلاء على أرض الملك نفسه ؟ . « وفي الخطاب ١٠٤ سطر ١٧ الخ حيث نجد : « من هم أبناء « عبدي أشرتا » عبيد الكلاب ؟ فهل هم ملكا « كاشي » وملك « متي » ؟ .

غير أنه مما لا شك فيه أن لفظة « كاشي » في نفس خطابات « تل العمارنة » تدل على بلاد النوبة الأفريقية ؛ ويحتمل أن هذا المعنى يوجد في الخطابات التالية (راجع ١٢٧ سطر ٢٢ ، ١٣١ سطر ١٣ ، ٢٤٦ سطر ٨ ، ٢٨٧ سطر ٧٢) .

ولكن تدل على وجه التأكيد على بلاد « كوش » في الخطاب ١٣٣ سطر ١٧ ، حيث نجد الاسم « ملوفا » مرادفا لللفظة « كاشي » . هذا على زعم أن التصحيح

الذى أجرى فى هذين اللفظين معترف به ؛ إذ الواقع أن لفظة « ملوخا » معناها بلاد النوبة بما فى ذلك « أثيوبيا » ، كما أن لفظة « ماجان » معناها « مصر » (راجع 1. Winckler in Keilinschriftliche Bibliothek. V, P. XXX, Note 1) ومن المحتمل أن لفظة « كاشى » قد نشأت فى « بابل » ثم نقلت الى بلاد العرب وأخيرا الى شمال شرق أفريقيا .

ويحوز أنه فى عهد تاريخ بلاد « بابل » المتأخر أو فى بابل فى عهد الأسرة الكاسية قد أطلق على البلاد اسم « كاشى » ، واتفق أن هذه التسمية كانت تدعى بها الأسرة التى جاء أسماء ملوكها فى خطابات « تل العمارنة » .

على أننا من جهة أخرى لا يمكننا أن نعرف على وجه التأكيد من هم هؤلاء الكاسيون ، وعلى أية حال يظهر أنهم كانوا جنسا من « الهنود الجرمان » ، وهم قوم عرفوا بتربية الخيل ، وكذلك كانوا طائفة حكام ، أو طبقة أرستقراطية ، بينهم وبين أهل « منى » الذين حكموا البلاد فيما بعد قرابة جنسية ، وقد استوطنوا فى « بابل » حوالى عام ١٧٥٠ ق م ، وبقوا يقبضون على زمام الأمور فيها حوالى خمس وستين سنة ونحوها ، وهؤلاء القوم لم يكونوا أصحاب ثقافة بل كانوا أميين ، وكل ما وصل إلينا من لغتهم بعض مفردات قليلة (راجع Delitzsch, Die Sprache der Kossaer P. 25.) .

ومنذ حكم الملك « سمسوالونا » المبكر نصادف قبائل من الكاسيين مغيرين على تخوم « بابل » الشرقية (راجع King, Letters III, 242.) ، غير أن فتحهم لبلاد « بابل » كان قد حدث تدريجا وعلى مهل . ويعد « جانداش » (أو جنداش) المؤسس لأسرتهم فى « بابل » ، وقد حكم بعده على أقل تقدير ثلاثة عشر ملكا قبل أن يقبض « كاراينداش الأول » على زمام الأمور فى هذه البلاد ، ويعتد أول ملك كاسى كانت له علاقات بمصر على قدر ما وصلت اليه معلوماتنا . وقد استهل « كاراينداش » حكمه حوالى عام ١٤٦٠ ق م ، وبذلك كان معاصرا للفرعون

« تحتمس الرابع » (حوالى ١٤٢٠ — ١٤١١ ق م)؛ ومن المحتمل أنه الملك الذى كتب اليه الفرعون « تحتمس الرابع » يقول : « مكن الإخاء الطيب بيننا » ؛ وكذلك راسل « كاراينداس » « أمنحتب الثالث » (حوالى ١٤١١ — ١٣٧٥ ق م) ، وزوجه من ابنته .

وأوثق تواريخ يمكن الاعتماد عليها للتاريخ الكاسى أو الأسرة البابلية الثالثة هى التى اقترحها الأستاذ « البريت » (A Revision of the Early Assyrian and Middle Babylonian Chronology. Revue d, Assyriologie etd, Archeo-logie Orientale XVIII, 82 — 94.)

وهاك التواريخ المقارنة التى وضعها :

| مصر | بابل | آشور |
|------------------------|-------------------------------|-----------------------------|
| تحتمس الثالث ١٥٠١ ق م | كاراينداس الأول ١٤٦٠ ق م | أشور-رابى الأول ١٤٨٠ ق م |
| أمنحتب الثانى ١٤٤٧ ق م | | أشور-نيرارى الثالث ١٤٦٠ ق م |
| تحتمس الرابع ١٤٢١ ق م | كوريجالزو الثانى ١٤١٠ ق م | أشور-نيرارى الثالث ١٤٤٠ ق م |
| أمنحتب الثالث ١٤١١ ق م | كاداشمان أنليل الأول ١٣٩٠ ق م | أشور-نيرارى الثالث ١٤٢٠ ق م |
| أمنحتب الرابع ١٣٧٥ ق م | بورابورياس الثانى ١٣٧٥ ق م | أشور-نيرارى الثالث ١٤٠٠ ق م |
| | | أشور-نيرارى الثالث ١٣٨٠ ق م |

ونجد من بين خطابات « تل العمارنة » أحد عشر خطابا تخص بلاد « بابل » مباشرة منها صورتان لخطابين أرسلهما « أمنحتب الثالث » للملك « كاداشمان أنليل الأول » وثلاثة خطابات تسلمها « أمنحتب الثالث » من « كاداشمان أنليل الأول » وخمسة كتبها الملك « بورابورياس الثانى » للفرعون « أخناتون » ، وكذلك لدينا خطاب يحتمل أن « بورابورياس الثانى » قد أرسله للفرعون « أمنحتب الثالث » ؛ هذا ويلحظ فى خطابات أخرى من هذه الرسائل إشارات غير مباشرة عن أحوال

« بابل » . وأقدم ملك بابل جاء ذكره في خطابات « تل العمارنة » هو الملك « كاراينداش » الأول ، وهو الذى كان يرسله « أمنحتب الثالث » ، وذلك على حسب خطاب من « بورابورياش » للفرعون « أمنحتب الثالث » ، وهذا الخطاب قد افتتح بتذكير الفرعون أنه منذ عهد الملك « كاراينداش » عندما كان والداهما يتراسلان سويا فإنهما كانا دائماً صديقين متحابين ؛ وليس لدينا خطابات في مجموعة هذه الرسائل من عهد الملك « كوريجالزو » الثانى ، ولكننا نعرف من الخطابين التاسع والتاسع عشر أنه كان والد الملك « بورابورياش » الثانى ، كما نعرف من الخطابين الحادى عشر والتاسع عشر أنه راسل مع الفرعون « أمنحتب الثالث » وتسلم منه ذهباً كثيراً ، وكذلك لدينا من الأدلة ما يشير إلى أنه كان على صفاء وود مع « أمنحتب الثالث » لأنه كما ذكرنا من قبل قد رفض ما عرضه عليه الكنعانيون ، وهو مخالفتهم على « أمنحتب الثالث »^(١) . ومعظم الخطابات التى تتناول بلاد « بابل » كانت في عهد الملكين « كادشمان أنليل » الأول ، و « بورابورياش الثانى » ؛ إذ نعرف أن أخت الملك « كادشمان أنليل الأول » قد تزوجت « أمنحتب الثالث »^(٢) . وبعد ذلك تزوج نفس الفرعون من بنته^(٣) . وقد رغب « كادشمان أنليل الأول » في التزوج من إحدى بنات « أمنحتب الثالث »^(٤) . فلم يجبه إلى مطلبه ؛ غير أنه في نهاية الأمر قنع بالتزوج من إحدى علية القوم من المصريين ، ويفهم مما جاء في الخطابين الثانى والثالث أن الملك « كادشمان أنليل » كان يسعى جهد طاقته لإرضاء فرعون مصر ، غير أنه لم ينل مقابل ذلك إلا الشيء القليل ، إذ قد أرسل له ابنته ، ولكنه لم تصله هدايا ثمينة كما كان ينتظر ، وقد شكّا من أن الهدايا لم تكن مثل التى أرسلها « أمنحتب » لوالده من قبله ، وكذلك تألم من أن « أمنحتب » قد حمز رسله مدة طويلة في بلاطه ، هذا فضلاً عن أنه لم يدعه لوليمة كان يأمل أن يذهب إليها .

(١) راجع الخطاب ٩ سطر ١٩ — ٣٠ . (٢) راجع الخطابين ١ ١٢٠ .

(٣) راجع الخطاب الرابع سطر ٣٣ . (٤) راجع الخطاب الرابع .

ونحن نعلم من جانبنا أن « أمنحتب الثالث » لم يكن من رجال الحرب العظام، لأنه لم يوقد نار حرب إلا مرة واحدة في مدة حياته، وهي التي شنها على بلاد النوبة في باكورة حكمه، ولكنه من جهة أخرى كان محبا لإقامة المباني العظيمة؛ وقد أراد أن يعقد المحالفات بين الدول المجاورة بالزواج، ولذلك بنى بأخت « كادشمان أنليل »، وكذلك تزوج من أميرتين متنتين، وهما « جليوخيا » بنت الملك « شوتارنا »^(١)، والأميرة « تدوخيا » بنت الملك « دوشرتا »^(٢) وكذلك تزوج بنت « كادشمان أنليل الأول »^(٣)، وكانت زوجه الرئيسية للملكة « تي » .

ومما يسترعى النظر أن الفرعون « أمنحتب الثالث » قد أرسل خطابا إلى الملك « كادشمان أنليل » يشكو فيه أن الرسل التي أرسلها ليسوا من طبقة راقية، كما شكوا من حقارة الهدايا التي بعث بها إليه، وقد أرسل من جانبه هدايا ثمينة للملك « كادشمان أنليل » ووعد به بإرسال أخرى عندما تصل ابنته إلى الديار المصرية لتكون زوجا له^(٤). ويشير كذلك « أمنحتب » إلى المراسلات التي تبودلت بين « بابل » و « مصر » في عهد « تحتمس الرابع »، وكان « بورابور ياش » ابن الملك « كوريجلزو الثاني »^(٥)، ويحتمل أن جده هو « كاراينداس الأول »^(٦)، وأن ابنته كانت زوج « أمنحتب الرابع »^(٧).

ونعرف أن « بورابور ياش الثاني » كان يشكو في بداية حكمه من أن « أمنحتب الرابع » لم يتبادل معه التهاني والهدايا، وكذلك نجده يطلب تعويضات عن قوافله التجارية، كما جاء في الخطاب السابع من هذه الرسائل، وهالك نصه لما فيه من أشياء طريفة تلقي بعض الضوء على العلاقات بين ملوك مصر وجيرانهم في تلك الفترة المظلمة من تاريخ العالم :

- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| (١) راجع الخطاب ١٧ سطر ٥ . | (٢) راجع الخطاب ٢٢ . |
| (٣) راجع الخطاب ٣ سطر ٥ . | (٤) راجع الخطاب الخامس . |
| (٥) راجع الخطاب التاسع سطر ١٩ . | (٦) راجع الخطاب ١٠ سطر ٨ . |
| (٧) راجع الخطاب ١١ . | |

”إلى بنخوروريا (إخناتون) الملك العظيم ، ملك مصر أقول . هكذا يقول
« بورابورياش » ملك « كاراينداس » أخوك : إن الحالة على مايرام من جهتي ،
ومن جهة بيتي وخيلي وعرباتي وكبار رجالي وأرضي ، وإنه منذ اليوم الذي جاء
إليّ فيه رسول أخى ، كانت صحتي ليست بالحسنة ، ولذلك فإن رسوله لم يتناول قط
طعاما أو نبيذ بلع في حضرتي ، وفي الحق لو سألت رسولاك فإنه سيخبرك بأن
صحتي لم تكن طيبة ، و ليس لدى شيء يجعلني (صحيح الجسم) ، وعند ما كانت
صحتي سيئة ، ولم يرفع أخى رأسى (بالسؤال عني) فإني عند ذلك صبيت جام
غضبي على أخى قائلا « ألم يسمع أخى بأنى كنت مريضا ؟ لماذا لم يرفع رأسى
(أى يواسينى) ؟ لماذا لم يرسل رسوله ، وينظر في ذلك ؟ ” . وقد تكلم رسول
أخى كما يأتى قائلا : ” إن الطريق ليست قصيرة ، وإذا كان أخوك قد
سمع ، فإنه لا بدّ كان يرسل إليك التحيات ، والطريق لأخى بعيدة . فمن الذى
كان قد بلغه حتى كان يرسل إليك بسرعة تحياته ؟ وهل أخوك قد سمع
بأنك طيل ، ولم يرسل إليك رسوله ؟ وقد أجبت عليه هكذا : هل توجد لأخى
الملك العظيم طريق طويلة أو طريق قصيرة ؟ فأجاب هكذا : سل رسولاك فيما
إذا كانت الطريق طويلة ، ومن الجائز أن أخاك لم يكن قد سمع ، وعلى ذلك لم
يرسل شيئا لتحيتك . وعلى ذلك عند ما استخبرت من رسولى وقال لى إن الطريق
طويلة ، فإني لم أصب جام غضبي على أخى . وكما يقولون ” إنه يوجد كل شيء
في أرض أخى ، وإن أخى ليس في حاجة الى أى شيء ، وكذلك فإنه يوجد في أرضي
كل شيء وإني لست في حاجة الى أى شيء ، وقد توارثنا من الملوك علاقة طيبة
من قديم الزمن ، وإنا على ذلك نبعث التحيات متبادلة ، وهذه العلاقة ستدوم
حقا بيننا . سلامي عليك ” . لقد حجرت رسولى ، وقد أعطيت
رسولاك قرارا وسيرته ، فأعط رسولى قرارا عاجلا واسمح له بالعودة . ولما أخبروني
أن الطريق طويلة جدا وأن مورد الماء قد قطع ، وأن الجحوظ حارّ فإني لم أرسل

إليك هدايا جميلة كثيرة ، وقد أرسلت فقط هدية جميلة صغيرة من اللازورد الجميل لأنى ، وكذلك أرسلت خمسة أزواج من الجياد ، وإذا صار الحق حسنا ، فلانى سارسل عن طريق رسول من قبلى ، سارسله لأنى بهدايا جميلة ، وكل ما يحتاج إليه أنى . دع أنى يكتب لى ! وسيحضرونها له من بيوتهم ، ولقد شرعت فى عمل ، وعلى ذلك كتبت لأنى ، فليرسل إلى أنى ذهبيا كثيرا لأجل أن أنفذ بها عملى . والذهب الذى سيرسله أنى لا يجعله أنى فى يد ضابط ، بل تلحظه عينا أنى ، وليختمه أنى ويرسله ! وذلك لأن الذهب الذى أرسله أنى من قبل ولم يفحصه بنفسه ، بل ختمه ضابط من ضباط أنى وأرسله — والأربعون مينا من الذهب التى أحضروها عند ما وضعتها فى الفرن لم تكن وافية الميزان (بعد صهرها) ، أما « سالمو » رسولى الذى أرسلته إليك فإن قافلته قد نُهبت مرتين إذ قد نهب « ييريا مازا » واحدة وقافلته الأخرى قد نُهبت وناهبها هو « بانمو » ... حاكم بلادك وهى أرض تابعة نهبا . وعلى ذلك فليفصل أنى فى هذا التراع !

وعندما يحضر رسولى إلى حضرة أنى دع « سالمو » يحضر أمام أنى ! ودعهم يدفعون له فدية ويعوضونه عن خسارته .

(١)
ونجد ثانية « بورا بورياش » يشكو من أن تجارا قد نهبوا فى « كنعان » ، ولكن على ما يظهر لم يجبه « إخناتون » . وقد كان « بورا بورياش » بطبيعة الحال يتوق بدرجة خارقة الحد للذهب المصرى ، وقد كان غيورا إلى حد بعيد على حقوقه (٢) فى أعين الفرعون المصرى ، فمثلا نجده يشكو من الآشوريين لأنهم قد أرسلوا رسلا للفرعون « أمنحتب الرابع » على غير علم منه ، ولذلك كتب إليه أن يعيدهم فارغى الأيدي . وفى الخطاب رقم ١١ نعلم أن « إخناتون » عندما عرف أن الأميرة البابلية التى كان يرغب فيها قد وافاها الأجل المحتوم ، أرسل إليه « بورا بورياش »

(٢) راجع الخطاب رقم ٩

(١) راجع الخطاب رقم ٨

يطمئننه قائلا إنه سيرسل إليه أخرى مع «خعا» وهي امرأة مصرية كانت في قصر «بورابور ياش» لتكون في خدمة تلك الأميرة ، والسهر على راحتها .

أما الخطاب الثالث عشر فقد ذكرت فيه الهدية التي أرسلها ملك «بابل» مع ابنته بمثابة مهر للفرعون «أمنحتب الرابع» ، وكذلك الخطاب الرابع عشر فإنه يحتوى على قائمة الهدايا التي أرسلها ملك مصر صدقا لابنه ملك «بابل» .

ولدينا خطاب طريف (١٢) كتبه أميرة بابلية لسيدها في مصر عن أمور منزلية محضة .

وقد كانت الهدايا العادية التي يرسلها ملوك «بابل» إلى فراعنة مصر تشمل الفضة^(١)، واللازورد، والمواد الخشبية الممّوّهة بالذهب، والزيت، والعربات والخيل، والعبيد، وقد كانت المنافسة في كل زمان بين الدولتين العظيمتين مصر و«بابل» شديدة ، وتشير خطابات «تل العمارنة» إلى هذه المنافسة في كثير من رسائلها ، غير أن مصر في عهد «إخناتون» كانت قد أهملت تلك المنافسة التي كانت بينها ، وبين «بابل» والبلاد الأخرى الأجنبية، وهذا ما نفهمه من المراسلات التي دارت بين «إخناتون» والملك «بورابور ياش الثاني» ، ولكن هذا الفتور كان الانصراف «إخناتون» إلى بث الآراء الدينية السلمية ، التي كان يقوم بنشرها .

مملكة آشور وخطابات «تل العمارنة»

لم تذكر لفظة «آشور» في خطابات «تل العمارنة» إلا مرتين في الخطابين الخامس عشر، والسادس عشر، ولكن مما يؤسف له أن كلمة «آشور» وجدت مهشمة بعض الشيء في كلا الخطابين ، ويلاحظ أن سلسلة النسب في ملوك «آشور» حتى عهد الملك «آشور وباليت الأول» وهو الذي ينسب إليه هذان الخطابان، لا يمكن تنسيقها على وجه التأكيد لما يعترض المؤرخ فيها من عقبات،

(١) انظر الخطاب رقم ٥، ٢، ٧، ٨، ١٠، ٣، ٩، الخ .

وتدل شواهد الأحوال على أن بلاد « آشور » منذ عهد « تحتمس الثالث » كانت على أية حال ترسل الجزية إلى مصر باسم رئيس « آشور » ، ومن المحتمل أنه الملك « آشور رابي الأول » ، وقبل ذلك نعلم أن الملك « بوزور — آشور الرابع » قد عقد معاهدة مع الملك « بورا بور ياش الأول » عاهل « بابل » (راجع: Synchr History I, 16; Comp. Olmstead, History of Assyria p. 36). ومنذ عهد الملك « شوشنار » ملك « منى » حوالى عام ١٤٣٠ ق م ، وهو الذى غزا بلاد « آشور » فى عهد الملك « آشور — بل نشنى » وفتح مدينة « آشور » حتى عصر الملك « دوشرتا » (حوالى عام ١٣٩٠ — ١٣٧٠ ق م) كانت بلاد « آشور » تابعة لدولة « منى » .

ولما ارتقى عرش الملك « آشور — باليت الأول » ملك « آشور » المقدام ، وهو الذى كان معاصرا لعاهل « بابل » « بورا بور ياش الثانى » وفرعون مصر أمنحتب الرابع « ، خلع عن بلاده نير الحكم « المنى » ، وكذلك أوعز لملك « بابل » أن بلاد « آشور » قد صممت على أن تقف وحدها محافظة على استقلال عرشها .

ويمكن ترتيب ملوك « آشور » فى هذه الفترة على الوجه الآتى :

- (١) آشور — رابي — الأول ١٤٨٠ ق م .
- (٢) آشور — نيرارى — الثالث ١٤٦٠ ق م .
- (٣) آشور — بل — نشو ١٤٤٠ ق م .
- (٤) آشور — ريم — نشو ١٤٢٠ ق م .
- (٥) آشور نادين — آخى ١٤٠٠ ق م .
- (٦) أريبيا — أداد ١٣٨٠ ق م .
- (٧) آشورو — باليت الأول ١٣٧٠ — ١٣٤٠ ق م .
- (٨) أنليل — نيرارى ١٣٤٠ — ١٣٢٥ ق م .

والواقع أن « آشورو — بالليت » كان أول أولئك الرجال العظام الذين أسسوا
الامبراطورية الآشورية، وكانت آشور عند توليه عرش الملك تشمل مساحة قليلة
حوالى بلدة « آشور »، ولكن عند وفاته كانت قد أصبحت « آشور » تبعاً ضمن
ممالك الشرق العظمى، وكان من أول أعماله أنه عقد تحالفاً مع « آلاشيا » (قبرص)،
ثم أخضع بلاد « متنى » وبقيت تحت سلطانه إلى أن جاءت بلاد « خيتا »
وخلصتها من نيرها، ووضعت على عرشها ابن الملك المسمى « ماتيو وازا » .
وفى خلال عهد الملك « آشورو بالليت » أصبحت « نينوى » التى كانت فى قبضة
بلاد « متنى » آشورية ثانية، وقد ذكرنا من قبل أنه فى عهد « أمنحتب الثالث » قد
أرسل « دوشرتا » الإلهة « عشتار » ربة « نينوى » إلى مصر لشفاء هذا الفرعون،
وكذلك لما رجعت الإلهة « عشتار » إلى حظيرتها الأصلية احتفل الآشوريون
بعودتها احتفالاً عظيماً، وذلك بإقامة معبدها من جديد بعد أن كان قد أخت
عليه الأيام . أما الخطابات التى تشير إلى « آشور » فى رسائل « تل العمارنة »
فإننا نشاهد فيها عظمة ملكها ، فقد سمي نفسه « آشورو — بالليت » ملك آشور
الملك العظيم ، وكان يعمل على مساواته تمام المساواة مع ملك مصر ، ولذلك كان
يخاطبه بلفظة « أخى » . ونراه كذلك يذكر أن « أمنحتب الرابع » عندما أرسل
جده « آشور — نادين أخى » إلى مصر ، فإن الفرعون أهداه ٢٠ تلتاً من
الذهب ، ولذلك فهو لا يرى بأساً من طلب مثلها هدية له أيضاً، وقد احتج الملك
« بورابور ياش الثانى » وقتئذ على البلاط الفرعونى ، على وضع الآشوريين فى تلك المنزلة
مع أنهم من أتباعه وتحت سلطانه^(١) ، غير أن فرعون مصر لم يعر هذا الاحتجاج أى
التفات^(٢) ، ولكن نرى فيما بعد أن الملك « آشورو — بالليت » قد انتقم لنفسه ، وذلك
بأن أرغم « كاراينداش الثانى » خلف « بورابور ياش الثانى » على الزواج من
ابنة « آشورو — بالليت » كما جعله فضلاً عن ذلك يخضع لقبول طائفة جديدة من

(١) راجع الخطاب التاسع السطر ٣١ الخ . (٢) انظر الخطاب رقم ١٥

الأنظمة الخاصة بالحدود بين البلدين ، وبعد ذلك بزمان قصير كانت الجيوش الآشورية من القوة بحيث ترك لها الخيار في وضع رجل على عرش « بابل » وهو الملك « كوريجالزو الثالث » (١٣٤٤ — ١٣٢١ ق م) ؛ وقد أرسل « آشورو — باليت » رسلا إلى فرعون مصر معهم العربات وجيادها وكذلك من اللازورد^(١) . وقد رد الفرعون التحية بأقل منها ، إذا أرسل بعثة للملك « آشورو — باليت » ببعض هدايا لم ترق في عينه ، وطلب إلى الفرعون أن يغدق عليه بأحسن منها^(٢) .

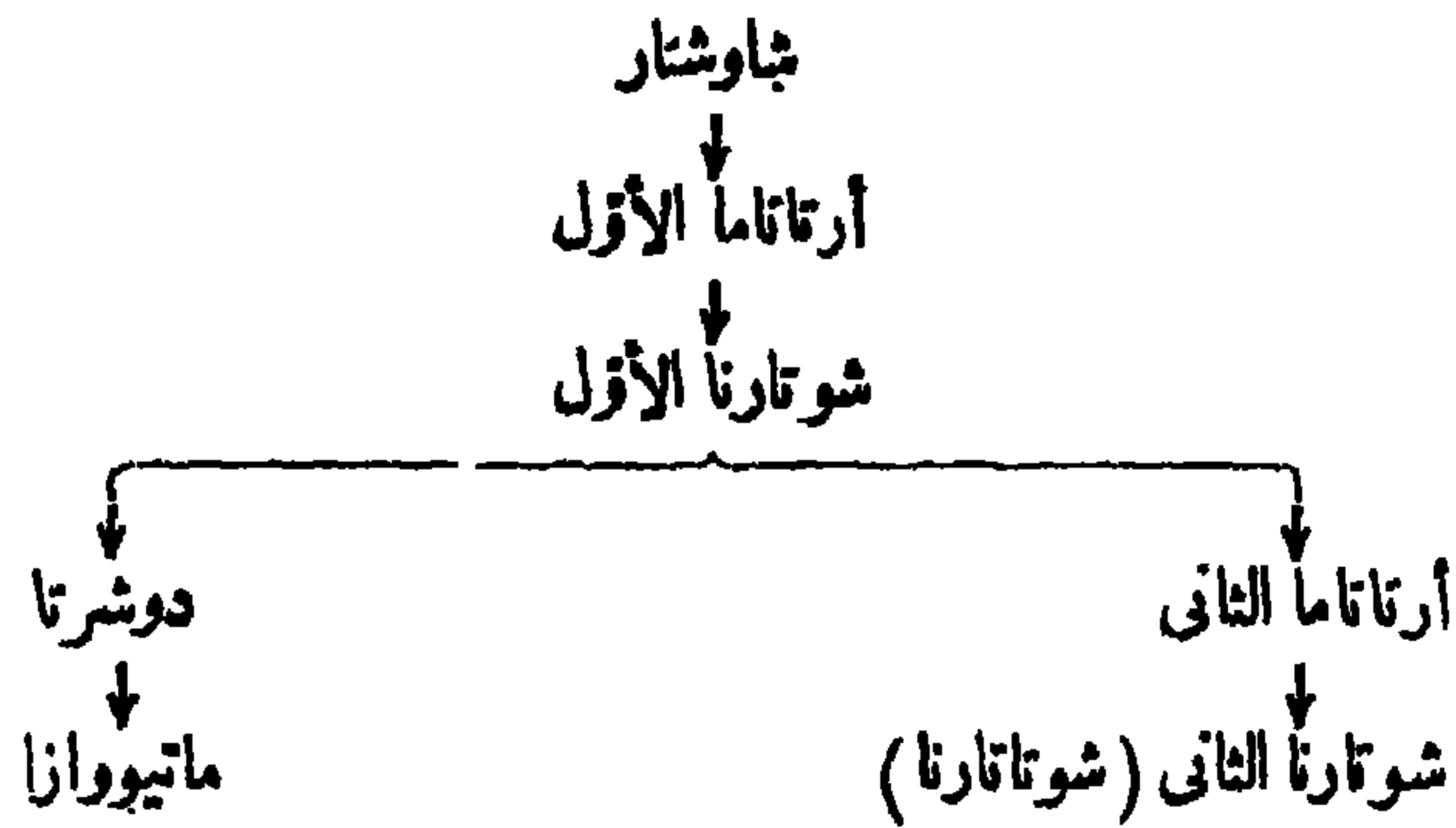
مملكة « متنى » في خطابات تل العمارنة

منذ عهد الفرعون « تحتمس الثالث » نصادف في المتون المصرية اسم « متنى » وقد ذكر لنا « ملر » أنها على نهر الفرات (Muller A E. p. 284) ، والظاهر أن مملكة « متنى » قبل الفتح الذى قام به « تحتمس الأول » ومن بعده « تحتمس الثالث » كانت تقع على الضفة الشرقية من نهر الفرات وقد وجدت ببلاد « نهرين » (راجع Gardiner Onomastica I, p. 180) ؛ ومن المحتمل أن بلاد « متنى » يرجع أصل نشأتها إلى مدينه واحدة وهى « متنى » (وإن كنا لم نعرف قط أين موقعها) ، وذلك لأنه ذكر في المتون عبارة : « أرض مدينة « متنى » » ، ويجوز أنها كانت ملكا لبلاد « خيتا » لأن هذا التعبير الخاص لا يطلق إلا على « الخيتيين »^(٣) . ويظن الأثرى « فنكلر » (Vorlesung und Nachrichten p. 46) أن قوم « متنى » هم أقدم عنصر في شعوب « خيتا » وعلى أية حال يظهر أنهم في الأصل فرع من جنس « خيتا » ولكن في عهد « تل العمارنة » نجد أنهم كانوا يتميزون عن « خيتا » الذين كانوا غالبا معهم في تخاصمات وحروب ، ويعتقد الأستاذ « برك » Bork Mitteilung der Vorderasiatischen gesellschaft (1909) 1, 2 أن لغة « متنى » من أصل قوقازى ، وتشبه في تركيبها لغة الام .

(١) انظر الخطاب رقم ١٥ (٢) انظر الخطاب السادس عشر .

(٣) راجع الخطابات ٤١ سطر ٢ ، ٣ ، ٤٢ سطر ١٠ ، ٤٤ سطر ١٠ ، ٨٠ ، ١٩٠

أما عن الأستاذ « ينسن » Jensen Z. A., V, 166 ff. VI 34 ff. فيعتقد أن لغتهم ليست بالحيثية ولا بالهندية الأوربية، بل هي لغة قانية (Vannic) وقوقازية وأحدث الآراء على أية حال ترى في اللغة المتنية أنها أقدم لغة في بلاد « مسوبوتاميا » وأنها تشبه كثيرا اللغة الحيثية، على أن أسماء الأعلام التي حفظت لنا في اللغة المتنية يظهر عليها الصبغة الآرية، وقد وضع لنا « فنكلر » بعد دراسة عميقة، سلسلة نسب الملوك الذين عاصروا فراغت الأسرة الثامنة عشرة كما يأتي :



وتدل الكشف الحديثة بما في ذلك كشف الأثرى « أونجاد » (Mitteilung der Deutschen Orientgesellschaft 21, pp. 34. 39; 26, pp. 66 ff; V. S. VII; B. A. VI, 6.) على أن قوم « متني » كانوا في « بابل » منذ عهد أسرة « حورابي » وكذلك كانوا هم المؤسسين لمدينة « آشور » . هذا إلى أنهم أقدم سكان استوطنوا بلاد « آشور » . غير أنه مما يؤسف له توجد فجوة عظيمة في معلوماتنا عن بلاد « متني » تمتد منذ تلك الأزمان الغابرة حتى حوالي ١٤٣٠ ق.م، وذلك عندما فتح « شاوشتار » مدينة « آشور »، ومن المحتمل أن الملك « شاوشتار » كان معاصرا للفرعون « أمنحتب الثاني » (حوالي ١٤٤٨ — ١٤٢٠ ق.م) . ومنذ تلك الفترة حتى حكم الملك « دوشرتا » كانت بلاد « متني » خاضعة لسلطان بلاد « آشور »، وقد خلف « شاوشتار » « أرتاتاما الأول » . وقد جاء اسمه في المتون المصرية (اقرون, Z. A. VIII, 385,

« دوشرتا » (M. V. A. G. (1900), p. 7. A) فقد جاء ذكره في خطاب من « دوشرتا » (ص ٢٩ سطر ١٦) أنه زوج ابنته للفرعون «تحتمس الرابع» . أما الملك الثاني فهو « شوتارنا » وقد زوج ابنته من « أمنحتب الثالث^(١) » . ومن المحتمل أنه قد خلفه ابن له يدعى [أرتاشومارا Artassumara] ، ولكننا لا نعرف عنه شيئاً^(٢) . أما الملك « دوشرتا » الذى خلفه فهو ابن « شوتانا » ، ويعد أحسن ملك معروف لنا من بين ملوك « متنى » . فلدينا غير قوائم الهدايا التى نجدتها فى خطابات « تل العمارنة » سبعة رسائل كتبها « لأمنحتب الثالث » ، وخطاب بعث به لأرملة هذا الفرعون ، هذا إلى ثلاثة خطابات للفرعون « اخناتون » . وكذلك نعلم من وثائق « تل العمارنة » أن رجلاً يدعى « تونى » كان وصياً على الملك « دوشرتا » عندما لم يكن قد بلغ سن الحلم وأنه لسبب ما قد قتله « دوشرتا » فيما بعد . وهذا الملك كان فى الواقع على جانب عظيم من النشاط ، فقد شن حرباً على بلاد « خيتا^(٣) » . ولكن قبل نهاية حكمه انتشرت الفوضى فى بلاده مما أدى إلى انفصال « آشور » عن بلاده ، وخلع النير الذى ظل يثقل عاتقها مدة طويلة ، وقد زاد الأحوال تعقداً لإعلان أخيه « أرتاتاما » العصيان ، وانضمامه إلى جانب « خيتا » كما فعل حفيده « شوتارنا » ونعلم كذلك أن الملك « دوشرتا » قد زوج ابنته « تدوخيا » من « أمنحتب الثالث » ، ثم بعد وفاته زوجها من ابنه « أمنحتب الرابع » . والظاهر أن « دوشرتا » ، قد قضى عليه بمؤامرة فى البلاط أعقبتها فوضى فى بلاد « متنى » وكذلك سنحت الفرصة للملك « شوبيليولوما » جاهل « خيتا » للتدخل فى شئون بلاد « متنى » فوضع « ماتيووازا » أحد إخوة « دوشرتا » المنفيين على عرش ملك « متنى » وزوجه من ابنته ، وجعل نفسه ملكاً على هذه البلاد (راجع M.D.O.G. 35, p. 36 ; Bohl in Theol Tridschrift 1916 pp. 170 ff ; Figulla Weidner Keilschrifttexte I, obv. II, 48 ff) وكان عهد حكم « ماتيووازا » عهد فوضى ،

(١) راجع الخطاب ٢٩ سطر ١٨ (٢) راجع الخطاب رقم ١٧ سطر ١١

(٣) راجع خطاب رقم ١٧ سطر ٣٠

وقد استمرت الحال كذلك حتى عهد «أرتاتا ما الثاني» أحد إخوة «دوشرتا» ، وقد خلفه ابنه «شوتارنا الثاني» ، ويحتمل أن الملك الذي خلفه هو «اتيوجاما» ، غير أننا لا نعرف عنه شيئا قط ، وكما ذكرنا نعلم من المصادر المصرية أن «تحتمس الأول» و «تحتمس الثالث» و «أمنحتب الثاني» قد شنوا حروبا مظفرة على «نهرين» أى (بلاد «متنى») . ومن أعظم الشخصيات في التاريخ المصرى في عهد «العمارة» الملكة «تى» زوج «أمنحتب الثالث» والدة «إخناتون» وقد فصلنا القول في تاريخها في مكانه ونعلم أنها كانت صاحبة قدم راسخة في أحوال البلاد السياسية من رسائل «تل العمارة»^(١) . وقد ترأست مع «دوشرتا» لمصلحة ابنها «إخناتون»^(٢) ، وكذلك كان لها أثر في توجيه سياسة كل من زوجها وابنها^(٣) . وقد أرسل لها الملك «دوشرتا» هدايا خاصة باسمها^(٤) وأرسل لها التحيات في مناسبات عدة في مكاتباته مع ابنها وزوجها^(٥) .

ديانة «متنى» : إن معلوماتنا عن ديانة قوم «متنى» ضئيلة جدا بالنسبة لممالك الشرق القديم الأخرى ، والظاهر أن إله هذا القوم كان يدعى «تشب» ، ويمثل هذا الإله واقفا على فهد قابضا في يده على (بلطة) مزدوجة ، ونراه فيما بعد ممثلا بمنشار في إحدى يديه ، وفي الأخرى يحمل صاعقة ذات ثلاث شوكات وله بلية وشعر طويل . وفي زمن متأخر عن السابق كذلك نراه ممثلا يحمل (بلطة) مزدوجة ، وصاعقة ، ويقف على ظهر ثور ، وأقدم ذكر لهذا الإله «تشب» في أسماء الأعلام نجده في المتون التي حلها «أونجاد» مثل «تشب — آرى» (راجع V. S. VII, 72, 10; Cf. Knudtzon, 24. IV, 36.) .

(١) راجع خطابات ٢٦ سطر ٧ — ١٨ ؛ ٢٤ سطر ٤٢ ؛ ٢٩ ؛ ٨ ؛ ٩ ؛ ٤٥ ؛ ١٤٣ .

(٢) راجع الخطاب ٢٦ سطر ٢٠ (٣) أنظر خطاب ٢٩ سطر ٦٦ الخ .

(٤) أنظر الخطاب ٢٧ سطر ١١٢ (٥) راجع ٢٧ سطر ٤ ، ٢٨ سطر ٧ ، ٢٩ سطر ٣

والظاهر أن اسم إلهة « متنى » هى « خبا » التى لا نعرف عنها شيئا البتة .
وقد وصلتنا معلومات كثيرة عن بلاد « متنى » غير التى جاءت فى خطابات
« تل العمارنة » من ققوش « بوزاز كوى » وبخاصة عن الملك « دوشرتا » وخلفه .
فنعلم من خطابات « تل العمارنة » أن اسم « خانيجلبات » يطلق على بلاد « متنى »
غير أنه فى مصادر أخرى على ما يظهر كان يستعمل لجزء من أمبراطورية « متنى »
(راجع Tiglathpileser I, Prism V, 34) .

أما فى مصر فكان المصرى يستعمل كلمة « نهرين » مرادفا لبلاد « متنى » ،
أما عن شئون « متنى » الصغيرة فإن خطابات « تل العمارنة » ليس فيها ما يشفى
غلة ، والخطابات المتنية حوالى اثنى عشر خطابا (١٧ — ٢٩) ، وأهم ما يلفت
النظر من بينها الخطاب السابع عشر الذى يتناول عهد « دوشرتا » والوصى على
العرش « تونخى » حيث نعلم شيئا عن قتل « أرتاشومارا » أخت إخوة « دوشرتا » .
وكذلك يتحدثنا عن قتل « تونخى » على يد « دوشرتا » وكما يشير إلى الحرب التى قامت
بين « دوشرتا » ومملكة « خيتا » وعن علاقته الودية مع مصر .

والظاهر أن « تونخى » كان رئيس الوزراء مدة حكم « أرتاشومارا » القصير ،
وكذلك فى المدة التى لم يكن فيها « دوشرتا » قد بلغ الحلم . والظاهر أن « تونخى »
قد قتل « أرتاشومارا » وعمل على قطع العلاقات الودية بين « متنى » و « أمنحتب
الثالث » ، ومن أجل ذلك عندما تولى الحكم قضى على « تونخى » وشيعته ! وهاك
النص الخاص بذلك : « وعندما اعتليت عرش والدى كنت حدث السن ، وقد قام
« تونخى » بإتيان المظالم فى بلادى ، وقتل سيده ، وعلى ذلك لم يعمل عملا صالحا لى ،
ولا لمن كان على مصافاة معى . وإنى على وجه خاص بسبب هذه المساوىء
التي كانت ترتكب فى بلادى ، لم أتاخر عن قتله وقتل أخى « أرتاشومارا » .

هذا ويتناول الخطاب الثامن عشر العلاقات الطيبة بين مصر و « متنى » ويتميز
الخطاب التاسع عشر من هذه الرسائل بما أظهره « دوشرتا » بحبه المفرط للذهب

المصرى ، وهذا نفس ما نراه فى الخطاب العشرين بالإضافة إلى أن هذه الرسالة الأخيرة تلقى كثيرا من الضوء على الطريقة التى كان يتبادل بها ملك «متنى» الأميرات فى مقابل الذهب المصرى . ونلاحظ هذه التجارة الفريدة فى بابها كذلك فى الخطاب الواحد والعشرين ، كما نجد فى الخطاب الثانى والعشرين قائمة بالهدايا التى أرسلها الفرعون صداقا للأُميرة « تدوخيا » . أما الرسالة الثالثة والعشرون فتحدثنا عن كيفية عزيم الإلهة « عشتار » إلهة « نينوى » على زيارة مصر ، وأن ملك « متنى » نصح للفرعون أن يحسن وفادتها ويقابلها بما يليق بها من تجلة وتكريم .

ومما يلفت النظر فى هذه الخطابات الرسالة الرابعة والعشرون ، إذ قد كتبت بالخط المسامى ، ومع ذلك فإن ألفاظها باللغة المتنية . والظاهر أنها تبحث فى موضوع مدينتين وهما « خارواخا » و « ماشرينا » وقد جرت المفاوضات على أن تعطى مصر الأولى والملك « دوشرتا » الأخرى . والخطاب الخامس والعشرون يعدّ قائمة بما أرسله « دوشرتا » للفرعون « أمنحتب الرابع » من هدايا متنية جميلة تكشف لنا عن مقدار ما كانت عليه هذه البلاد من حضارة ، وصناعات راقية ، وبخاصة فى اللازورد الذى كان فيها كثيرا . وكل هذه الهدايا كانت مهرا لابنته التى تزوجها هذا الفرعون .

أما الخطاب السادس والعشرون فعلى جانب من الأهمية ، إذ نجد فيه أن الملكة « تى » تلعب فيه دور الوسيط بين مصر و « متنى » وتعمل على توطيد أواصر المصادقة والمهادنة بين البلدين ، وقد كان « دوشرتا » يرى أن كل هذا لا يتأتى إلا إذا أرسلت له مصر الهدايا العظيمة من الذهب المصرى البراق ، ولذلك نجد أن كثيرا من الخطابات تضرب على هذه النغمة .

ولدينا خطاب غريب فى بابها قد يعدّ « جواز سفر » يحتمل أن كاتبه هو ملك « متنى » لملوك « كنعان » وقد حث فيه كاتبه ملوك « كنعان » على السماح لرسوله المسمى « أكا » ليذهب إلى أخيه ملك مصر ليواسيه .

ويعتقد البعض أن هذا الخطاب قد أرسله « دوشرتا » للفرعون « تحتمس الرابع » . وبذلك يعدّ أقدم خطاب غير أن هذا مجرد تخمين (راجع Mercer, The Tell El Amarna Tablets I, p. 182.) .

وقد جاء ذكر « متنى » كذلك في خطابات أخرى من رسائل « تل العمارنة » ، ففي الخطاب الثامن والخمسين مثلاً نجد أن أحد الأمراء يكتب لفرعون مصر أن ملك « متنى » قد شنّ عليه غارة ، ويحتمل أن هذا الخطاب كان موجهاً للفرعون « أمنحتب الثالث » (راجع Mercer Ibid I, p. 243.) .

ويشير الخطاب الخامس والسبعون إلى تقرير كتبه « ريبادى » إلى ملك مصر يخبره فيه أن الخيتيين قد فتحوا بلاد « متنى » .

ولدينا عدّة خطابات نلاحظ منها تدخل بلاد « متنى » في « فلسطين » والإشارة عليها فمنها الخطاب الخامس والثمانون الذى نفهم منه أن ملك « متنى » قد زحف بجيشه في بلاد « فلسطين » حتى وصل « سومورا » ، وقد كان على وشك الاستيلاء على « جيبيل » نفسها لولا أن قلة الماء قد عاقته فقفّل راجعاً إلى بلاده ، وكذلك نجد في بعض الخطابات أن ملك « متنى » كان يساعد « عبدى اشرتا » وقوم ساجاز (خبرى) على « ريبادى » كما نلاحظ أنه كان يريد أن يتولى على بلاد « آمور » . والظاهر أن « جيبيل » بعد أن أعيتها الحيل في وصول النجدة من الفرعون اضطر أميرها لدفع جزية لدولة « متنى »^(٢) . والظاهر أن أطباع بلاد « متنى » وعدائها لمصر كان من قديم الزمن ، إذ نجد في الخطاب التاسع بعد المائة أن « ريبادى » يكتب إلى الفرعون يذكره بهذا العداء الذى كان بين « متنى » وبين آبائه ، وأن أباءه لم يتخلوا عن صداقة أجداده ، ولذلك لا ندهش إذا وجدنا عدة إشارات على حسب ما ذكره « ريبادى » نفهم منها أن ملك « متنى » كان على أهبة الاستعداد للزحف على أملاك مصر في الخارج عندما كانت تسنح له الفرصة ، حتى أن « ريبادى » جعل

(١) راجع ٨٦ سطر ١٢ ؛ ٩٠ سطر ٢٠ (٢) راجع ٩٥ سطر ٢٧ الخ .

هذه البلاد هي وبلاد « بابل » وبلاد « خيتا » مضرب الأمثال عنده للدول القوية التي كان يمكنها أن تغير على أملاك مصر، وتستولي عليها كما جاء في بعض خطابات^(١)، فقد جرى على لسانه عندما كان يتحدث عن « عبدى أشرتا » عدوه الألد فيقول: « من هو « عبدى أشرتا » الكلب الذي يجرى وراء الاستيلاء على كل المدن ؟ هل هو ملك « متنى » أو ملك كاشي (بابل) حتى يعمل على الاستيلاء على أرض الفرعون لنفسه ؟ وقد تكلمنا عن كل ذلك في موضعه .

الآشيا « قبرص » في خطابات تل العمارنة

وردت كلمة « آلاشيا » في خطابات « تل العمارنة » في مواضع كثيرة ، وقد وصلنا من هذه البلاد عدة خطابات (٣٣ — ٤٠) وكلها قد سطرها ملك « آلاشيا » لملك مصر إلا خطابا واحدا وهو الأخير (٤٠) ، وتدل شواهد الأحوال على أنها في أغلب الظن قد أرسلت الى « أمنحتب الثالث » أو « إخناتون » واسم هذا المكان ورد في المصرية في قائمة « الكرك » التي تركها لنا « ستي الأول » بلفظة « إرس » .

وتدل البحوث الحديثة المتفق عليها أن هذا الاسم يطلق على جزيرة « قبرص » وبخاصة لأنه قد أشير فيها الى إله « أبو للو الاسيوتاس » (Apollo Alasiotas) وجد في قبرص (ZA, X, 380) .

وكذلك في « قبرص » الحالية نجد الاسم « الاسوس » و « وإيلاسيكا » (Knutzon p. 1077) (راجع Ailasyka & Alassos) .

وقد كانت جزيرة « قبرص » منذ عهد « تحتمس الثالث » تابعة لمصر (راجع Cambridge Ancient History II, p. 78) .

واستمرت كذلك على ما يظهر حتى جاء عهد « إخناتون » إذ نراها في هذه الفترة متحررة من النير المصري ، وأصبح ملكها يخاطب الفرعون مخاطبة الأخ لأخيه ،

(١) راجع الخطابات ٧٦ سطر ١٤ ؛ ١٠٤ سطر ٢١ ؛ ١١٦ سطر ٧ .

كما نشاهد ذلك في الخطاب الثالث والثلاثين، إذ يفتح الخطاب بالكلمات التالية :
” هكذا تكلم ملك « آلاشيا » إلى ملك مصر : أنى اعلم أنى على ما يرام، وأن
أرضى على ما يرام الخ “ .

وكانت بلاد « آلاشيا » موطنًا للنحاس في عالم البحر الأبيض المتوسط ،
ولذلك كان أهم هدايا تقدمها لأرض الكثانة هو النحاس كما يدل على ذلك عدة
خطابات . وكانت تتطلب في مقابل ذلك هدايا من المصنوعات المصرية ، على
أن هدايا ملك « قبرص » لم تقتصر على النحاس، بل كانت ترسل كذلك الصاج
وخشب الصناديق .

وكانت مقادير النحاس التي ترسلها « قبرص » عظيمة جدا . فقد أرسلت مرة مائتي
تلت (التلت وزنه ٥٧ رطلا) وأخرى مائة « تلت » ، وثالثة خمسمائة « تلت » .
وقد اعتذر في المرة الأخيرة على قلة ما أرسله بأن « رجال » إله الموت، قد قضى
على العمال في بلاده، وليس لديه من يستخرج هذا المعدن ^(١) .

ونجد غير الخطابات السالفة إشارات في رسائل « تل العمارنة » لبلاد
« آلاشيا » ، فمثلا نعلم من الخطاب الرابع عشر بعد المائة أن « ريادى » ملك
« جيل » كتب « لأختاتون » ملتصقا منه أن يسأل الضابط المصرى فيما إذا كان
« ريادى » لم يرسل إليه (الضابط المصرى) من « آلاشيا » ليخبره عن حالة البلاد،
وما قام به « أزيرو » من المؤامرات عليه .

والواقع أن العلاقات بين « اخناتون » وبين « قبرص » كانت على أحسن
ما يكون من الود والمصادقة، إذ نجد أن ملك « آلاشيا » يرد على خطاب أرسله إليه
« اخناتون » يعاتبه فيه، على أن ملك « آلاشيا » لم يرسل إليه رسولا تهنته، فكتب

(١) الخطابات ٣٣ سطر ١٦ ، ٣٤ سطر ١٨ ، ٣٥ سطر ١٠ ، ٣٦ سطر الخ ، ٤٠

إليه معتذرا بأنه لم يعلم بعيد تنصيبه الذي أقامه الفرعون ، ولذلك فإنه يرجوه ألا يأخذ ذلك عليه ، وألا يكون ذلك سببا في تكدير صفو العلاقات الطيبة التي بينهما ، وأرسل إليه رسولا يحمل الهدايا الجمّة ، وطلب إليه أن يغدق عليه من خيرات بلاده . هذا ولدينا خطاب آخر يدل على ما كان بين البلدين من التحالف الوثيق ، إذ في الخطاب الخامس والثلاثين نقرأ أن ملك « آلاشيا » كتب إلى الفرعون يحذره من التحالف مع « خيتا » وبلاد « سنجار » (بابل) ، غير أنه لم يذكر السبب لذلك ، وفي نفس الخطاب نجد هذا الملك يطلب إلى فرعون مصر أن يرسل إلى « آلاشيا » متاع أحد رعاياه الذي مات في مصر . ولا شك في أن مثل هذه التلميحات العابرة على قصرها تدل دلالة واضحة على ما كان بين البلدين من روابط وثيقة من الناحيتين السياسية والاجتماعية ، هذا فضلا عن الناحية التجارية ، إذ لدينا خطابات تدل على أن التجارة كانت قائمة بين البلدين ، فقد كانت مصر تستورد النحاس منها ، وفي مقابل ذلك ترسل إليها الفضة التي كانت معدومة في « آلاشيا » (راجع الخطابين ٣٦ ، ٣٧) .

والظاهر أن ملك مصر قد شك في إخلاص ملك « آلاشيا » واتهمه أنه يقوم بدسائس على مصر مع بلاد « لوكي » (لوسيا) ، ولذلك كتب إليه ملك « آلاشيا » مبرئا نفسه من تلك التهمة مدّعا أن بلاد « لوكي » كانت تغير على بلاده نفسها (راجع الخطاب ٣٨) .

وأخيرا من الخطابات الهامة الخطاب الأربعون الذي كتبه وزير « آلاشيا » لوزير مصر يطلب إليه تبادل السلع ، وكذلك يلتمس منه أن يفك عقال سفينة وبعض الناس لأنهم ملك عاهل « آلاشيا » . ويعتقد الأستاذ « فير » (راجع Knudtzon pp. 1085 ff.) أن هؤلاء الناس هم أعوان بلاد « لوكي » الذين اتهم الفرعون ملك « آلاشيا » بالتواطؤ معهم على مصر .

بلاد خيتا في « خطابات » تل العمارنة

كان قوم « خيتا » منذ ستين سنة يعدّون ضمن القبائل السورية الصغيرة التي ذكرت في التوراة، وكان كل ما يعرف عنهم مستقى من كتاب « العهد القديم » أيضا . وقد ظلت الحال كذلك حتى عام ١٨٧٢ عندما ظهر مؤلف الأستاذ « وليم ريت » الانجليزى عن أصل هؤلاء القوم ، وكان أول محاولة علمية في هذا الصدد ، غير أن علم الآثار الخيتية لم يبتدئ فعلا إلا في عام ١٨٨٦ عندما ظهرت الطبعة الثانية لهذا المؤلف الفريد في بابيه . وقد جاءت المحاولة الثانية في كشف النقاب عن هذه الأمة على يد الأثرى « هوجو فنكلر » (عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧ م) ، وذلك عندما عُثر على سجلات « خيتا » في بلدة « بوزاز كوى » ومنذ هذا الوقت وبخاصة بعد الحرب العالمية الكبرى أخذ شغف العلماء وميولهم تتجه إلى هذا العلم ، ونخص بالذكر من بينهم « هرزوفنى » و « قيدنر » و « سومر » فقد كانوا من أعلام الفاتحين في هذا المضمار . وفي عام ١٩١١ قام « سر شمت » بوضع سجل شامل لكل المتون الخيتية المعروفة حتى زمنه ، ولكن منذ عصره ظهرت متون كثيرة أخرى . وعلى أية حال فإن الأخيرة مكتوبة على وجه عام بالخط المسمارى في حين أن سجل « سر شمت » لا يشمل إلا متونا هيروزليفية .

ويوجد غير هذه المتون الأصلية التي كتبت بالهيروزليفية والمسمارية التي يقوم العلماء بدرسها مصادر أخرى عن « خيتا » وأهمها الرسوم المصرية والمتون الفرعونية التي خلفها لنا المصريون على جدران المعابد والمقابر ، وكذلك توجد أسماء خيتية في المتون البابلية ، كما توجد أسماء خيتية وفهارس في خطابات « تل العمارنة » .

ولفظه خيتيين وصلتنا من كتاب العهد القديم ، وقد وجدت في الخط المسمارى بلفظة « خاتى » وفي المصرية « ختى » . أما اشتقاق كلمة « خاتى » فليس مؤكدا عند الباحثين ، ويظن البعض أن كلمة « خاتى » تعادل كلمة « خانى » وهي بلدة واقعة على نهر الفرات ، واللفظة الأخيرة هي اختصار لكلمة « خانيجالبات »

(راجع M. O. D. G, 21.pp, 50 f ; M. G. A. II, 1, 29.) . وإذا كان هذا
الرأى يمكن الأخذ به فإن أقدم مركز للندية الخينية يكون موقعه إذا على نهر
الفرات ، ثم انتقل فيما بعد إلى « بوغازكوى » بآسيا الصغرى . وعلى أية حال
تدل البحوث الحديثة الآن على أن دولة « خيتا » كانت تحتوى على عدة إمارات
أو ممالك تمتد من غربى « آسيا الصغرى » حتى السهول الواقعة شرقى نهر « دجلة »
ومن البحر الأسود حتى « دمشق » .

وقوم « خيتا » على حسب ما جاء فى المناظر المصرية القديمة كانوا رجالا
ذوى أنوف مقوسة بعض الشيء وجبهة خاطرة وفكين عظيمين ، وذقن قصير مستدير
مزدوج وجلد أحمر ، وكانوا من جنس مختلط يجرى فى عروقه الدم الآرى
والقوقازى معا ، وقد نشئوا من خمسة أقوام وهم : (١) قوم « خيتا الأول » الذين
كانوا يسكنون جبال « كبادوشيا » ، (٢) وقوم اللويين الذين كانوا يسكنون
شمال آسيا الصغرى وكليكا (٣) وقوم « باتا » الذين كانوا يسكنون « بافالاجونيا »
(٤) وقوم الحورانيين الذين كانوا متوطنين فى الشمال الشرقى من « مسوبوتاميا »
(٥) وأخيرا قوم الكانيسيان (Kanisian) وقد نزحوا من إقليم بحر « مرمرية » وأسسوا
ما يسمى الآن الإمبراطورية الخينية ، وقد كتبت معظم نقوش « بوغازكوى » بلغتهم .

وقد أسس قوم « الكانيسيان » الذين وفدوا من إقليم بحر « مرمرية » أنفسهم
دولة منذ النصف الثانى من الألف سنة الرابعة قبل الميلاد ، ويحتمل أن عاصمتهم
كانت « خانيجالبات » إذ فى هذه البقعة قامت دولة ، ولكنها فى نهاية الأمر
انقسمت قسمين ، وهما الحورانيون فى « أرمينيا » والنتيون فى الجنوب الغربى منها .

وحوالى عام ٢١٠٠ ق م انفصل عن قوم « متنى » دولة سميت باسم اختصر
من اسم العاصمة أى أنها سميت « خانى » أو « خاتى » وهى دولة « خيتا » .
وهذه الإمبراطورية كانت فى الواقع من عمل الملك العظيم « لابارناش » الذى

كان مقره « كوشار » ، وكان أول ظهور « خيتا » على مسرح التاريخ في ساحة
الوغى في عهد الملك « سامسو ديتانا » البابلي حوالى ١٩٥٦—١٩٢٦ ق م (راجع
• (King, Chronicles II, 22.

فقد اجتاحت جنودها « بابل » ومهدوا الطريق لسقوط أسرة « حمورابى »
واستيلاء الكاسيين على البلاد . ومنذ ذلك العهد حتى عام ١٣٠٠ ق م كان قوم
« خيتا » أصحاب نفوذ عظيم جدا في العالم الشرق القديم . وبعد هذا التاريخ
بحوالى ثلاثة قرون نجد إشارة لغزو « خيتا » هذه البلاد « بابل » وذلك أن
« أجومكا كرىم » حوالى ١٦٥٠ ق م قص (راجع King, Chronicles I, p. 149).

علينا أنه استولى ثانية على صور الإله « مردوك » ، « وسار بانيم » وهى التى
كانت قد حملت فيما مضى إلى بلاد « خاني » ، فضلا عن ذلك يظهر أنه يوجد
براهين على أن « خيتا » قد اتصلوا بالآشوريين قبل حكم الملك « سامسو ديتانا » ،
وذلك لأن باني مدينة « آشور » فى مملكة « آشور » وكذلك مؤسس معبد « آشور »
فى نفس المدينة كانا يحملان الاسمين الخيتين ، وهما « أوشبيا » و « كيكا » (راجع
• (Beitrag zur Assyriologie VI, Heft 5. p. 12.

على أننا لا نعرف الملك الذى خلف (لابارناش Labarnas) ، ولكن على ما يظهر
كان الملك الثالث فى هذه السلسلة هو « خاتوسيل الأول » ، وكذلك يحتمل أن
الملك الخامس هو « مورسيل الأول » الذى حكم البلاد حوالى عام ١٩٠٠ ق م ،
واتخذ « بوزازكوى » عاصمة للملكة . وقد خلفه على عرش الملك « تليبنوش » .
والظاهر أنه كان آخر هؤلاء الملوك العظام لمدة الخمسين والثلاثمائة سنة التى تلت
وفاته فى تاريخ البلاد . وحوالى عام ١٧٠٠ ق م نجد دولة « خيتا » تظهر على
مسرح التاريخ مرة أخرى عزيزة الجانب قوية الشوكة ، ويظهر أن الهكسوس
قد هاجروا من جزئها الغربى ليفتحوا سوريا ومصر حوالى ١٦٥٠ ق م .

وقد ظل تاريخ بلاد « خيتا » غامضا بعد تلك المدة قرابة قرنين من الزمن ؛ وكان أول ما عرفنا عنهم شيئا بعد ذلك في عهد الفرعون « تحتمس الثالث » إذ نجد أنهم كانوا يدفعون له الجزية كما تكلمنا عن ذلك في مكانه .

وقد كان اتصال المصريين بهم اتصالا معروفا لنا في عهد ملكهم المسمى « شوبيليولوما » ، والظاهر أن جده كان ملكا على مدينة ، وقد سمي نفسه بالاسم الضخم « الملك العظيم ملك خاتي » ، ويحتمل أن هذا الملك هو « خاتوسيل » الثاني ١٤٠٠ ق . م . ومهما يكن من أمر فإن « شوبيليولوما » كان رجلا ذا سطوة وبأس ، فقد فتح بلاد « متني » في عهد ملكها « دوشرتا » ونصب مكانه « ماتيوازا » على عرش متني ، وقد اعترف « أزيرو » بسلطانه ، وكذلك أصبح من القوة بحيث جعل « ريبادي » يحذر الفرعون « أمنحتب الرابع » من عظم قوته . وقد حكم من ١٣٨٠ إلى ١٣٥٠ ق . م . تقريبا أي أنه عاصر كلا من « أمنحتب الثالث » و « إخناتون » ، وقد كتب للفرعون « أمنحتب الرابع » خطابا يخطب فيه وده ويطلب تجديد العلاقات القديمة التي كانت بين البلدين .

وقد خلف « شوبيليولوما » ابنه « ارانداس » (١٣٥٠ — ١٣٤٥ ق . م .) ولكنه لم يحكم طويلا إذ توفي بعد أن حكم خمس سنوات ، وتولى العرش بعده « مورسيل الثاني » (١٣٤٥ — ١٣١٥ ق . م .) . وهذا الملك أصبح ذا قوة وسلطان وعقد معاهدة مع ممالك « أرزاوا » و « جاسجا » و « تيبيا » و « زينخريا » ، وهو الذي حارب « رعسيس الثاني » في موقعة « قادش » وقد أشير إليه في متون « بوزازكوي » . وقد رزق أربعة ذكور وابنة واحدة ، وقد امتد حكمه إلى ما بعد عهد خطابات « تل العمارنة » (راجع Hrozy Hethitische Texte pp. 156 ff. & M. D. O. G, 58, 53 ff.) .

وقد تولى الحكم بعد « مورسيل الثاني » ابنه « موتالو » (١٣١٥ — ١٣٠٠ ق . م .) و « خاتوسيل الثالث » (١٣٠٠ — ١٢٧٠ ق . م .) على التوالي . وقد جاء ذكر كل منهما في المعاهدة الشهيرة التي عقدها « رعسيس الثاني » مع « خيتا » .

وقد ذكرت لنا وثائق « بوغاز كوى » أن « مورسيل الثانى » هو فاتح بلاد الآموريين، هذا ونعلم أن معظم وثائق « بوغاز كوى » التى وصلتتنا ترجع الى عهد « موتالو » . وقد اعتلى عرش « خيتا » بعد هذا العاهل ملكان لها شهرة عظيمة فى التاريخ وهما « دودخليا » (١٢٧٠ — ١٢٥٠ ق م .) ثم « أرنوانتا » (١٢٥٠ — ١٢٤٠ ق م .) ، غير أنه قبل حكم أولهما تحدثنا الآثار أن آشور فى عهد الملك « سلما نصر » الأول (١٢٧٠ ق م .) ذبحت جموع الجيوش الخيتية ، وقد كانت أمباطورية « خيتا » فى تلك الفترة آخذة فى التدهور حتى أنها فى نهاية القرن الثامن فقدت معظم أملاكها ، وانتهى آخر نفوذ وقوة لها فى عهد الملك « سرجون » عاهل « آشور » الذى فتح « كركيش » عام ٧١٧ ق م . وهكذا ختمت حياة دولة عظيمة حكمها ما لا يقل عن أربع وأربعين ملكا لا نعلم الآن إلا القليل عنهم ، ولكننا نأمل أن تكشف وثائق « بوغاز كوى » بعد حلها عن الكثير من مجد هؤلاء الملوك العظام .

والواقع أن أهل « خيتا » شعب مختلطة أجناسه ، وتدل البحوث الحديثة تدريجا على أن لغتهم كذلك كانت مزيجا من لغات مختلفة . ولا نزاع فى أنه توجد عناصر آرية فى لغتهم . هذا ولدينا أدلة على وجود لغات عدة أخرى . ويعتقد الأستاذ « فورر » أنه توجد ثمانى لغات فى نقوش « بوغاز كوى » وهى (١) لغة أهل « خيتا » الأول (٢) اللغة اللووية (٣) اللغة البابلية (Balâin) (٤) اللغة الحورانية (٥) اللغة الكانيسية أو (الإزاوانية Azawan) (٦) اللغة السومرية (٧) اللغة البابلية (٨) اللغة (الماندانية Mandaian) .

ومنذ أن نشر « هرورنى » رأيه عن لغة « خيتا » مبرهنا على أنها لغة هندية جرمانية نقده الكثير من علماء اللغة بما له وما عليه ، غير أنه إلى الآن لم يكن فى مقدور أى عالم أن يضحد رأى « هرورنى » تماما ، وعلى أية حال فإن الموضوع لا يزال معلقا وسيبقى كذلك مدة طويلة حتى تظهر بحوث جديدة .

ولا نعلم إلا القليل عن ديانة « خيتا » . حقا لدينا أسماء آلهة كثيرة من آلهتها ويلاحظ أن عقيدة وجود الإله في كل شيء كانت منتشرة، ولا أدلّ على ذلك من وجود ألقاب مثل سيدة الجبال والأنهار، ونجد أحيانا أن الإله نفسه يحمل أسماء مختلفة في أماكن مختلفة ، فمثلا إله الشمس كان يسمى (تليبنوش Telibinus) بين قوم الكانيسيين ويدعى (ووي Woi) بين قوم الخيتيين الأول، وينادى باسم « هبات » بين قوم الحورانيين .

وكان يوجد عندهم شياطين كثيرة، وإليها كان ينسب ما يصيب الإنسان من سوء الحظ، وكان للقوم معابد وصور كائنات مقدسة، كما كان يحتفل بالأعياد تكريما للآلهة . وكان كلما اتصل قوم « خيتا » بالأمم الأجنبية العظيمة اتخذت آلهتهم أرباما لها، فمثلا الإله « رع » المصري ، و « آشر » و « اسخارا » الآشوريان و « مترا » و « فارونا » و « اندرا » ويحتمل « ناساتيا » آلهة الهند . وأكثر الآلهة معرفة لنا من بين آلهة « خيتا » هم إله الشمس « تشب » وإله العاصفة « ما » (؟) والأم العظيمة و « ساندان » ابنها و « تارخو » و « خبا » و « سالو » و « تيللا » .

ولدينا دلائل عديدة تشير إلى أن شعب « خيتا » كان لهم أدب عظيم يشمل أناشيد وصلوات وأساطير وخطابات ملكية وتواريخ وعقود ورسائل ، وغير ذلك من الموضوعات الأدبية ، والأمل عظيم في أن المستقبل سيكشف أمامنا أن قوم « خيتا » من أعظم شعوب العالم القديم مدنية وثقافة .

وبعد هذه المقدمة القصيرة عن هؤلاء القوم في استطاعتنا أن نتحدث عن الفقرات التي وردت في خطابات « تل العمارنة » خاصة ببلادهم .

والواقع أن كلا من قوم « خيتا » وقوم « متني » قد انفصل بعضهما عن بعض منذ زمن طويل قبل عهد « تل العمارنة » ، وفضلا عن ذلك أصبحا يتناضلان على السلطة، وامتداد النفوذ في الأقاليم المجاورة .

وقد ذكرنا من قبل أن «شوبيلوليوما» المؤسس لأسرة خيتية جديدة في زمن حكم «أمنحتب الثالث» قد فتح بلاد «متنى» في عهد الملك «دوشرتا» ووضع على عرشها «ماتيوازا»، والظاهر على أية حال أنه قبل هذه الفترة كان «دوشرتا» متصرا على «خيتا» (راجع الخطاب ١٧ سطر ٣٠). وقد أشار إلى هزيمة «دوشرتا» الوالى «ريبادى» في خطاب من الخطابات التى كان يرسلها للفرعون (٧٥ سطر ٣٦)، وفيه يحذر الفرعون من سطوة «شوبيلوليوما»، وقد كان من نتائج ذلك أن أصبحت الصداقة متينة العرى بين مصر و«متنى» فترة من الزمن، ونرى صداها فيما دار من مراسلات بين البلدين في أثناء ذلك^(١). وعلى أية حال نرى فيما بعد أن ملك «خيتا» كان على وئام عظيم مع كل من «متنى» وملك «كاشى» (بابل) لدرجة أنهما قد مؤنوا «ريبادى» بالذخائر التى جعلت في استطاعته أن يهزم «عبدى أشرتا» وأولاده^(٢)، ولكن أولاد «عبدى أشرتا» كان لهم يوم نصرهم لأنهم أصبحوا فيما بعد أقوىاء بفضل سلطان الملك القوى، بعد أن أهدوه الذهب والفضة^(٣). ولا نزاع في أن عبارة «الملك القوى» تشير هنا إلى ملك «خيتا» أو ملك «متنى» غير أن رأى الأول هو الأفضل.

وتدل شواهد الأحوال على أن «خيتا» كانت دائماً في صدام مع المصريين وإن كان الفرعون لم يفتن لذلك في كل الأحيان، إذ قد حذر من شرهم في كثير من المناسبات، ولا أدل على ذلك مما جاء في خطاب ملك «قبرص» السالف الذكر. يضاف إلى ذلك أن الخيتين قد حرضوا ملك «أوجاريت» (رأس الشجرة) على أن يهجر الفرعون^(٤)، وساعدوا قوم «أوبى» في خروجهم

(١) راجع الخطابين ٥٤ سطر ٤٠، ٥٦ سطر ٣٩ الخ

(٢) راجع الخطاب ١١٦ سطر ١٧.

(٣) راجع الخطاب ١٢٦ سطر ٦٦.

(٤) راجع الخطابين ٤٥ سطر ٢٢، ٣٠، ١٥١ سطر ٥٥ الخ.

على الفرعون^(١) ، وكذلك أغروا خدما وممثلين للفرعون على الانفصال عنه^(٢) ، هذا إلى أنهم كانوا لا يتأخرون متى سنحت لهم الفرصة عن حرق أرض الفرعون وتخريبها^(٣) ، ومع كل ذلك فإن ملك « خيتا » كان لا يتأخر في التحالف مع الفرعون ، متى وجد ذلك في مصلحته ، ولا أدل على ذلك من أن « شوبليولوما » عندما كان العدا بينه وبين « دوشرتا » طلب إلى فرعون مصر أن يحدد العلاقات الودية التي كانت بينه وبين « أمنحتب الثالث » (راجع الخطاب ٤١) .

ومن جهة أخرى كان الخيتيون معادين « لأزيرو » ، على الرغم من محالفته لهم على « قطنا » (راجع الخطاب ٥٥) ، وكان « أزيرو » يخشى بأس ملك « خيتا » (راجع ١٥٧ سطر ٢٨) ، وقد كتب « أزيرو » للفرعون أنه لا يمكنه أن يأتي « لدودو » في البلاط المصري لأن ملك « خيتا » كان في « نوخاشي » (راجع ١٦٥ سطر ١٨ ، ٣٩ ؛ ١٦٦ سطر ٢٢ ، ١٦٧ سطر ١١ ، ٢٠) ، ومع كل ذلك فإن « أزيرو » كانت تضطره الأحوال إلى التحالف مع « خيتا » كما فعل ذلك على الأقل في حالة من الحالات (راجع ٥٥) ، وذلك لأننا نعرف من الخطاب ١٦١ سطر ٤٩ أن الفرعون قد وبخه لأنه استقبل رسل « ملك خيتا » والظاهر أن جنود « خيتا » كان عليها إقبال عظيم ، فقد استعملوا في فتح جبيل (٢٦ سطر ٥٩) بقيادة رجل يدعى « لوباكو » وهم الذين استولوا على مدينتي « عمقي » و « عادومي » (راجع ١٧٠ سطر ١٤) ، كما كانوا مصدر رعب للاموريين (راجع ١٦٥ سطر ٢٠ ؟ ٣٥٠ ، ١٦٦ سطر ٢٤) ولأهل « تونب » (١٦٥ سطر ٣٩ ؛ ١٦٦ سطر ٢٥ ، ١٦٧ سطر ٢٣) .

(١) راجع الخطاب ٥٤ سطر ٢٩ ، ٣٣

(٢) راجع ١٩٦ سطر ١٧ ؛ ١٩٧ سطر ٢٤

(٣) راجع ١٣٦ سطر ٥١ ؛ ١٧٤ سطر ١١ ؛ ١٧٥ سطر ١١ ؛ ١٧٦ سطر ١١ .

والواقع أن أهم رسائل « تل العمارنة » الخاصة بقوم « خيتا » خلافا لما ذكرناه هما الخطابان الواحد والأربعون ، والثاني والأربعون ، وكلاهما من ملك « خيتا » ، وقد تكلمنا عن أولها وهو الذى كتبه « شوبيليوما » لملك مصر ، ويطلب فيه نفس المصادقة التى كانت بينه وبين الفرعون السابق ، وبعد ذلك يعتد لنا الهدايا التى أرسلها لملك مصر ، أما الخطاب الآخر ٤٢ فيحتمل أن مرسله هو نفس ملك « خيتا » الذى أرسل الخطاب الأول ، وإن كان ذلك ليس محققا لأن اللوحة مهشمة . والظاهر أن هذا الخطاب يتناول بعض سوء تفاهم كان بين العاهلين ، وقد أراد كاتب الخطاب أن ينهى هذا الخلاف ، ويقلل من أهميته بإرسال هدية خففت من وطأة غضب الفرعون ، وأسدت عليه ستارا زينتته تلك الهدية .

وعلى أية حال فإن هذين الخطابين على الرغم من أنهما رسالتان تبودلتا بين العاهلين العظيمين فإنهما لم يضيفا الشئ الكثير لمعلوماتنا عن أى واحد منهما . وكل ما استفدناه تاريخيا منهما أننا علمنا أسم ملك خيتا « شوبيليوما » العظيم ، وكذلك عرفنا أن لفظة « نجخوريا » الخيتية تقابل اسم ملك مصر (اخناتون) ، وكذلك عرفنا من هذين الخطابين كيف كانت ترسل التهاني ، وكيف كانت تبعث الرسل ، وتعود ثانية بالتحيات والهدايا ، كما تضع أمامنا صورة ناطقة عن حرص الملوك على استيفاء التحالف والمصادقة بينهم ، وكيف أن « شوبيليوما » حكم فى عهد كل من الفرعونين « أمنحتب الثالث » و « اخناتون » .

وختاما فإنه على الرغم من ضالة هذه المصادر التى وجدناها فى خطابات « تل العمارنة » عن الخيتيين ، فإننا مدينون بالشكر لها إذ لا بد أن تحتل مكاتها يوما ما فى بناء تاريخ حياة وأخلاق شعب عظيم من شعوب الشرق القديم .

دونا هذه الملحّة العاجلة عن دول الشرق القديم الناشئة وعلاقاتها مع مصر
وامبراطوريتها الضخمة ليتسنى للقراء بها تتبع الحوادث التي سردناها في هذا
الجزء من تاريخ مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة من جهة وليستطيع من جهة
أخرى اقتفاء أثر تلك العلاقات والحروب التي نشبت بين مصر و«حيثا» في عهد
الأسرة التاسعة عشر عندما أراد فراعنتها استعادة مجد مصر في آسيا بعد أن كاد
يقضى عليه جملة في أواخر عهد إخناتون وأخلافه الضعفاء ، لولا أن قيض الله
للبلاد نخبة من رجال الحرب العظام اعتلوا عرش مصر متلاحقين على رأسهم
« حوزحوب » ثم تلاه ملوك أسرة الرعامسة الذين أسسوا الأسرة التاسعة عشرة
وعلى أيديهم استعادت مصر بعض مجدها وعزتها القومية .

فهرس الموضوعات

ممهيد :

الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة

- ٢ مقدمة — ٥ « تحتمس الرابع » — لوحات إخوته — لوحة بوهول —
١٧ حروب تحتمس الرابع — ٢١ آثاره — ٢٦ وفاته — ٢٨ علاقات مصر
بالدول المجاورة .

الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد « تحتمس الرابع »

- ٣٧ أمنحيب ساسي — ٤٠ نب آمون — ٤٤ ثاني — ٤٦ ثونا — ٤٧ زمركارع سنب —
٤٨ مري رع — ٤٩ نبي — بتاح مس — بخت — حقر نبح — ٥٠ أمنحيب الكاهن
الأول للاله « أنحور » — باعاقو — حوى — نقرحات .

٥١ حاعنخف .

٥١ انثرعون « أمنحيب الثالث » .

- ٥١ مقدمة — ٥٣ ولادته — ٥٤ حروبه في السودان — ٥٧ المصادر التي تشير إلى حروبه
في آسيا — ٥٧ امبراطوريته وملاحيه — ٦٣ أمنحيب والصيد والقتل — ٦٥ مبانيه —
٧٢ قصر أمنحيب الثالث — ٧٥ قبر أمنحيب في أبواب الملوك — ٧٦ آثاره في طيبة الشرقية —
طريق الكباش — البوابة الثالثة — ٧٧ سفينة آمون في الكرنك — ٧٩ معبد آخر للاله متو —
معبد للالهة موت — ٨٠ معبد الأقصر — ٨٣ معبد آخر بالقرب من الأقصر — ٨٤ معبد صولب —
٨٨ أعياد « سد » أو العيد الثلاثيني — ٩٧ آثاره خارج القطر — آثاره في سينا — ٩٨ آثاره
في القاهرة — وفي بنها — والجيزة، ومنف، وميدوم، وكوم مدينة ماضى، والكوم الأحمر،
والعمارة، ومسيخ، وريانة — ١٠١ — ١٠٣ آثاره في الوجه القبلي — ١٠٣ آثاره في بلاد
النوبة — ١٠٤ تماثيله وتماثيل الآلهة التي تنسب إلى عهده — ١٠٥ عبادة أمنحيب الثالث —
١٠٦ الأسرة المالكة — ١٠٨ نهاية حكمه .

- ١١١ الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد أمنحيب الثالث — ١١١ أمنحيب
ابن حبي — ١٢٠ أمنحيب سورر — ١٢١ خيروف — ١٢٢ تحتمس الوزير — ١٢٣ بتاح مس

ابن الوزير تيمس - مري بتاح من بن الكاهن الأكبر - ١٢٤ بتاح من الوزير والكاهن الأكبر - أمنتب الوزير - ١٢٥ رع موسى الوزير - ١٢٨ خع محات - ١٣٣ أمنتب كاتب الفرعون - ١٣٤ بانجسي المشرف على الخزانة - ١٣٥ مين رئيس النحاتين - مين كابني مرضعة بنت الملك المسماة سات آمون - ١٣٦ فقر خبرو المشرف على قاعة القربان - حتب حامل المروحة على يمين الفرعون - حبي ختف حاكم منف - سبك نخت مدير بيت آمون - ١٣٧ سبك حتب كاتب الملك - يويا والد الملكة تي - ١٣٨ أمنتب التشرىفاتي - وسرحات المشرف على حرم الفرعون - ١٣٩ قن آمون عمدة طيبة - ١٤٣ سبك موسى .

٤٤ المدنية في باكورة الأسرة الثامنة عشرة - ١٤٤ الإدارة - بقايا الحكم الإقطاعي - ١٤٥ القضاء النهائي على بقايا الحكم الإقطاعي - ١٤٦ نظم الحكم وما طرأ عليها من تغيير - ١٤٨ الحكم في المقاطعات - ١٥٠ الحياة الاقتصادية - ١٥٢ المدارس والتعليم - ١٥٨ سلطان الفرعون في داخل البلاد وخارجها - ١٦١ سلطان الإله آمون .

١٦٣ إدارة السودان وحكامه - ١٦٥ سني - نجي - ١٦٦ ورسالت - ١٦٧ مرمس - ١٦٨ حوى أو أمنتب - ١٦٩ باسر - أمنتب - يوني - ١٧٠ حقانخت - باسر الثاني - ١٧١ سثاو - مس سوى ستي - ١٧٢ حورى الأول بن كاما - حورى الثاني ونت تاوت - ١٧٣ رعسيس نخت - بانجسي - مري حور - ١٧٤ باعنخي - مكاة نائب كوش وحدود وظيفته .

١٧٧ الإمبراطورية المصرية في آسيا - ١٧٧ درجات الحكم الإمبراطوري - ١٩٣ تنظيم أملاك الدولة المالية - ٢٠٧ الحياة الدينية - الثقافة والدين - ٢٠٨ المقابر الملكية وتطورها - ٢٠٩ تطور مقابر الأشراف - ٢١٠ المعابد في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

٢١٦ موازنة بين فن العمارة المصري والإغريقي - ٢١٧ المعبد المصري - فكرته وصورة - ٢١٨ موازنة بين المعبد المصري والإغريقي - ٢٢٢ بيت الولادة - ٢٢٣ الحساب في الآخرة - ٢٤٠ تأثير السحر في الأمور الدينية - ٢٤٤ كتاب الموتى .

٢٥١ مبادئ انحلال الإمبراطورية وعهد اخناتون .

مقدمة - ٢٥٣ اخناتون - نظرة عامة في حياته .

٢٦٤ عرش مصر بين ممخنكارع ونفرتيتي

٢٦٥ عصر اخناتون وما حدث فيه من تجديد - ٢٦٦ التدرج في إعلان عبادة آتون - ٢٧١

مدينة تل العمارنة — ٢٧٢ موقع مدينة اخناتون — ٢٧٧ أسرة إخناتون — ٢٨١ وصف مدينة

إخناتون — ٢٨٤ البيت المصري في عهد اخناتون وقصوره — ٢٩٢ وسط مدينة إخناتون .

٢٩٣ التوحيد — أقدم عقيدة للتوحيد العالمى .

٢٩٣ مقدمة — ٣٠١ بهاء آتون وقوته العالمية — ٣٢٠ علاقة الإنسان بالإنسان .

٣٢ الفن في عهد إخناتون والعهد السابق له

٣٤٥ تدهور سلطان مصر في سوريا وزحف البدو وختيا — ٣٤٦ خطابات تل العمارنة — ٣٥٤

غزو قبائل البدو السامية البلاد المتحضرة — الآراميون والإسرائيليون — ٣٥٨ الثورات

في عهد أمنحتب الثالث — ٣٦٤ تولى أمنحتب الرابع عرش الملك وانتشار الفوضى في سوريا —

٣٧٢ الحالة في فلسطين — ٣٧٧ سيطرة خيتا على سوريا — ٣٨٦ آثار إخناتون الباقية .

٣٩٩ الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد إخناتون

٣٩٩ نخت با آتون الوزير — ٤٠٠ معى المشرف على الجنود — مري رع الكاهن الأعظم —

٤٠٦ بانحسى الكاهن الثانى — ٤٠٧ حويا المشرف على المحريم الملكى — ٤١٣ أحسن

كاتب الفرعون الحقيقى — ٤١٥ آتى قريب الفرعون — ٤١٧ با آتون محب — ٤١٩ بنشو

الطبيب الأول — نقر خبروحر سخبر عمدة اخناتون — ٤٢٠ ماع تخنوف مدير البنائين — محور رئيس

الشرطة — ٤٢٢ مري إتى نيت الكاهن المطهر الثانى — ٤٢٣ سار ابجينا المسمى إبنى كاهن

الإلهة عشتارت — معى المشرف على جياد الفرعون — رع نقر المشرف على جياد كل الاصطبل — ٤٢٥

توتو أودودو التشريفاتى — ٤٢٦ رع موسى المدير الملكى — سوتى حامل العلم — ٤٢٧ حاتياى

مدير مخازن معبد آتون — سوتاوى مدير خزانة رب الأرضين — مري رع الثانى كاتب الفرعون .

٤٣١ توت عنخ آمون وتولية العرش — ٤٣٤ حور محب الوصى على العرش والقائد المظفر

في عهد توت عنخ آمون — ٤٤٠ سلطان مصر في عهد بلاد كوش — ٤٤٢ أعمال توت عنخ آمون

السلبية — ٤٤٥ لوحة إصلاحات توت عنخ آمون — ٤٤٨ حياة توت عنخ آمون الخاصة

من آثاره .

٤٥٧ الموظفون في عهد الملك سمنخكارع وتوت عنخ آمون — باراح : أعظم

الرائين — ٤٥٩ معى — باسرين حوى المشرف على الخيل ٦٠ نهاية الأسرة الثامنة عشرة —

مرض عام للنظم الحربية والإدارية ونفوذ الجيش في عهد الأسرة الثامنة عشرة — ٤٦٢ أمنحتب

ابن حابو وحياته .

٤٧٨ موظفو إدارة الجيش — كاتب المجندين ٤٨٠ التجنيد — ٤٩٨ قائد الجيش — ٥٠٤ القائد الأعلى — ٥٠٦ وظائف المسنين — ٥١٠ جندي الميدان — ٥١٧ ألقاب الشرف في الجيش — ٥١٨ الجندي العامل في وظائف البلاط — ٥٢١ المدير العظيم لبيت الفرعون — ٥٢٦ قوذا المدير العظيم للبيت في حكومة البلاد — ٥٣٤ ضباط الميدان في الإدارة الحربية — ٥٤١ الجنود الفرسان — ٥٤٩ وظائف القصر .

٥٥٩ الملك آي — ٥٧١ حورمحب قبل توليته العرش — ٥٨٠ حورمحب على عرش الملك — ٥٨٦ حالة البلاد عند تولي حورمحب — ٥٨٨ إصلاح القوانين — ٦٠١ الحملة إلى بنت — ٦٠٢ حروبه في آسيا — ٦٠٣ أهم الآثار التي خلفها حورمحب قبل تولي الملك — ٦٠٦ وفاته — ٦٠٧ آثاره بعد توليته العرش .

٦١١ الموظفون في عهد حورمحب — ٦١١ قرحتب الكاهن — ٦١٤ دى رئيس الحكومة المركزية — ٦١٦ مئى مدير كل أعمال آمون — ٦١٧ نب وع .

٦١٩ لمحة عن ممالك الشرق التي جاء ذكرها في خطابات تل العمارنة — ٦١٩ بابل — ٦٢٦ مملكة آشور — ٦٢٩ مملكة متى — ٦٣٦ آلاشيا (قبرص) — ٦٣٩ بلاد نخيتا .

الأشكال الإيضاحية

| صفحة | شكل | صفحة | شكل |
|------|-----|------|--|
| ٦ | ١ | ٢٦٤ | ١٤ الملك سمنخ كارع |
| ٢٧ | ٢ | ٢٨٠ | ١٥ أسرة إخناتون |
| ٤٠ | ٣ | ٢٨٣ | ١٦ تصميم منزل بمدينة إخناتون |
| ٥٢ | ٤ | ٣٣٦ | ١٧ الملكة نفرتيتي |
| ٦٢ | ٥ | ٣٩٥ | ١٨ تمثال إخناتون |
| ٨١ | ٦ | ٤٣١ | ١٩ توت عنخ آمون |
| ٨٧ | ٧ | ٤٤٩ | ٢٠ توت عنخ آمون وزوجه |
| ١٠ | ٨ | ٤٥٣ | ٢١ توت عنخ آمون مع زوجته في أوضاع مختلفة للصيد والتنزه |
| ١٣٠ | ٩ | ٤٥٦ | ٢٢ توت عنخ آمون يصطاد الأسود |
| ١٣٩ | ١٠ | ٤٦٣ | ٢٣ أممنحتب بن حبو |
| ٢٢٠ | ١١ | ٥٥٩ | ٢٤ الملك أي |
| ٢٥٤ | ١٢ | ٥٨٠ | ٢٥ حورمحب الملك |
| ٢٦٠ | ١٣ | | |

إخناتون وسمنخكارع ؟ أو إخناتون
وإحدى بناته

فهرس الأعلام والآلهة والأماكن وغيرها

| | |
|--|---|
| « إبن » بن حورماخت (موظف) : ٣٩٧ | (١) |
| « إبن » بن امنحتب (علم) : ١١٩ | آتوم (إله) : ١٠٠ ، ١١١ ، ١٢ : ١٣ ، ٥٦ ، ٩٥ ، ١٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ، ٤٦٩ ، ٦١٤ |
| ايميلكي (ملك) : ٣٤٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ | آتون (إله) : ١٥ ، ١٦ ، ٣٧ ، ١٣٥ ، ١٦٧ ، ٢٥٣ ، ٢٨٥ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٥٨٦ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٩ |
| اتروريا (بلاد) : ٢١٦ | آتون يسطع (قارب) : ٧٤ |
| أتريب (بنا) : ٤٦٣ ، ٤٦٩ | أتوب (انظر انوبيس) (إله) : ١٠٥ |
| إتن تحن (موظف) : ٤٧٣ | آني (علم) : ٤١٥ ، ٤١٦ |
| لاتو (امراة) : ٤٦٤ | آي (كاهن) : ٣٣٦ ، ٣٤٢ |
| لاتي (موظف) : ٨٨ ، ١٢١ ، ٥٢٦ | آي (ملك) : ١٦٩ ، ٣٩٧ ، ٤٤٤ ، ٤٩٠ ، ٥٤٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ |
| أثيوبيا (بلاد) : ٦١٩ | أبت أو (أويت) (الأقصر) : ٨٢ ، ٨٣ ، ٥٣٤ |
| أحمد نفري (أثرى) : ٨٨ ، ١٢١ ، ٥٦١ | أبريم (بلدة) : ٥٦ ، ٢٠٠ |
| أحمس (ملك) : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٤٨٤ ، ٥٤١ | أهيت (بلدة) : ٥٤ ، ٥٦ |
| أحمس بن أبانا (قائد) : ١٥٩ ، ٤٨١ | أبواب الملوك (مقابر) : ١٥٧ ، ٦٠٦ |
| أحمس (كاتب) : ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ | أبود (حكيم) : ٢٩٦ ، ٣١٦ |
| أحمس نفرتاري (ملكة) : ٥٥٠ ، ٥٥٤ | أبو (كفر أبو الحالى) : ١٣٧ |
| اختاتون (مدينة) : ١٦ ، ٧٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥٤ ، ٢٨٨ ، ٢٥٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٣ ، ٤٩٥ ، ٥٤٠ | أبو (مرضعة) : ٥٥٣ |
| أخرونفرت (موظف) : ٤٧٠ | أبو سمبل (معبد) : ١٧١ |
| أنحيم (بلدة) : ٣٤٧ | أبولو الاسيوتاس (مكان) : ٦٣٧ |
| اختاتون (ملك) : ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٧ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٧٧ ، ٢٥٧٨ ، ٢٥٨١ ، ٢٥٨٦ | أبوى (صائغ) : ٤٨٥ |
| | أبوى (علم امرأة) : ١٢٥ |
| | إبن (علم) : ٥٢٤ ، ٥٢٧ ، ٥٣٣ |
| | إبن (موظف) : ٣٧ |

| | |
|--|--|
| آست (أميرة) : ١٠٧ | أخيل (بطل يوناني) : ٧١ |
| أستراليا (بلاد) : ٣٨٧ | أدفو (بلدة) : ١٠٢ ، ٥٩ ، ٥٣ ، ٢١ |
| الإسكندر الأكبر (ملك) : ١٩٣ ، ٥٢ | أدورد مير (مؤرخ) : ٦٠٢ ، ٥٧٧ ، ٥٦٦ ، ١٠ |
| إسنا (بلد) : ٣٩٦ ، ١٤٥ | أراجنا (مملكة) : ٢٠٦ |
| اسوان (بلد) : ١٢٢ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٣ ، ٢٣ | أرابا خيتس (بلاد) : ٥٨ |
| ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ٢٠٩ ، ٣٣٢ | أراثيس (إله) : ٢٥ |
| ٦١٠ ، ٤٢٢ | أرايتيس (إله) : ٢٣ |
| اسوس (بلد) : ٣٤ | أرادو (بلد) : ٣٧٧ |
| آسي (بلاد) : ١٩٧ | أوباخا (بلاد) : ٥٧ |
| أسيوط : ٣٩١ ، ٢٥٩ ، ١٤٦ | أرتاتا ما (ملك) : ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٥٣ ، ٣٥ |
| أشموليان (متحف) : ٢٤٧ ، ١٢٠ | ٦٣١ ، ٦٢٩ |
| الأشونين (بلاد) : ٢٧٩ ، ٢٥٩ ، ١٦٢ ، ١٣ | أرتاشوارا (أسير) : ٣٦ |
| ٣٩٠ ، ٣٨٩ | أرتاشومارا (أمير) : ٦٣٣ |
| أشور (ملكة) : ١٨٢ ، ٧٢ ، ٦٥ ، ٥٨ ، ٥٧ | أرتكسركيس ممنون (ملك) : ١٩١ |
| ١٩٨ ، ١٨٥ ، ١٨٤ | أرزاوا (ملكة) : ٦٤٢ ، ٢٩ ، ٢٤ |
| أشوا (إقليم) : ٣٣ | أرزاويا (أمير) : ٣٦٩ ، ٣٦٣ |
| أشور بلننشو (ملك) : ٣٣ | أرمان (عالم أثرى) : ١٤٨ |
| أشور باليت (ملك) : ٦٢٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٠ | أرمنت (بلد) : ٢٦٧ ، ١٠٨ ، ١٠١ ، ٣٧ ، ٢١ |
| أشور بانيبال (ملك) : ١٩١ | ٦٠٩ ، ٤٤٧ ، ٣٩٦ |
| أشور نادين أنخي (أو) آشي (ملك) : ٦٢١ ، ٣٨٠ | أرمندو (علم) : ٢٢٣ |
| أشير بل نشي : ٦٢٧ ، ٦٢١ | أزنو اندا الثالث (ملك) : ٣٥٣ |
| أشير رم نشي : ٦٢١ | إروادا (بلدة) : ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ١٩٢ ، ١٨٢ ، ١٨١ |
| أشير رابي الأول : ٦٢٧ ، ٦٢١ | أرييا - اداد (ملك) : ٦٢١ |
| أشير فيراري الثالث : ٦٢١ | أريكا (بلدة) : ٢٣ |
| آفنيون (بلد) : ١٠٤ | أريكديلو (ملك) : ٣٥٥ |
| أطفيج (بلدة) : ٤٨٦ | أزيرو (أمير) : ٣٨٦ ، ٣٧٩ ، ٣٧٠ ، ٣٦٤ |
| اعح حنب (وصيفة) : ٥٥٥ | أزي (بلاد) : ٣٥٣ |
| | إزيس (إلهة) : ٦٠٨ ، ٥٨٣ ، ٢٣٦ ، ١٠٦ ، ١٢ ، ٧ |

أمنحبت الثاني (ملك) : ٥٦٣ — ٤٢٨٠١٧٠١٠
٤٢٠٠٠١٦٦٠١١٨٠١٠٨٠٧٦٠٣١
— ٤٥٢٠٤١٥٠٣٥٧٠٢٨٩٠٢٠٩
٥٥٢ — ٥٢٤

أمنحبت (نائب الفرعون) : ١٦٧٠١٦٦
أمنحبت بن حبو (كاتب المجدين) : ١١٧٠١١١
٤٥٦٠٤٩٠ — ٤٦٣٠٤٦٢٠٣٢٩
٦١٧٠٦١٦

أمنحبت بن حي (المدير العظيم لبيت الفرعون) : ١١١ —
١٢٠

أمنحبت (وزير) : ١٢٥٠١٢٤

أمنحبت (كاهن) : ٥٠

أمنحبت (موظف) : ٣٩٢

أمنحبت سامي (موظف) : ٤٨٠٣٩٠٣٨٠٣٧
٥٥٤

أمنحبت (تشريفاتي) : ١٣٨

أمنحبت بن كائنحت (علم) : ١٣١

أمنحبت الرابع (ملك) : ٢٥١٠٥٥٠٢٨ — ٢٦٨٠
٤٢٩٧٠١٨٤٠١٢٧٠١٠٠٠٧٢٠٥٩
٤٣٩٧٠٣٦٥٠٣٥٤٠٣٥٠٠٣٤٨٠٢٩٨
٤٦٠٧٠٥٦٨٠٥٣٤٠٥٢٧٠٤٧٩٠٣٩٨
٦٢٠٠٦٢٥٠٦٢٨٠٦٣١٠٦٣٣ (أنظر
إخناثوون).

أمنأبت (أمير) : ٢٩٠٢٥٠٧٠٥

أمنأبت (أميرة) : ٥٤٣

أمنأبت (قائد) : ٤٩٩

أمنأبت (نائب الملك) : ١٧٠٠١٦٩

أمنأبت (وزير) : ٥٥٤

أمن — م — إو : ٥٤٤

الأقصر (بلد) : ٨٢٠٨٠٠٦٧٠٥٩٠٥٣٠٢٢ :
١٤٣٠٩٧٠٩٢٠٨٣

أكاد (بلاد) : ٣٢

أكتشوب (علم) : ٣٨٢

أكشاب (بلد) : ٣٧٦

أكيزي (أمير) : ٣٦٥٠٣٦٤٠٣٥٠٠٣٤٩

السي (إقليم) : ٣٨٢

ألاشيا (قبرص) : ٦٣٧٠٦٣٦٠٦٣٥

إلام (ملكة) : ٣٣

إلفتين (بلدة) : ٣٩٢٠٢٦٨٠١٤٦٠١٠٢٠٢٣ :
٤٨٧٠٤٤٦

أمانابا (أمموني) : (علم) : ٣٦

أمانوس (إقليم) : ٣٥

أمبوس (بلد) : ٦٠٠

امي (بلد) : ٣٥٩

أمنحبت (كاتب الفرعون) : ١٣٣

أمنحبت (مهندس) : ٣٢٧

أمد (بلدة) : ٢٠٠٠١٠٣٠٢٤٠٢٣

أمريكا : ٩٩

أمنحبت (موظف) : ٥٢٦

أمنحبت (موظف) : ١٨

أمنحبت (حاكم) : ٩٨

أمنحبت الأول (ملك) : ١٦٥٠١٦٤٠١٦٣ :
٦١٤٠٥٣٨٠٢٠٨

أمنحبت الثالث (ملك) : ٣٥٠٢٨٠٢٣٠١٩ :
٤٣٠٠ — ٢٩٧٠٢٦٤٠٢٥١ — ٥١٠٤٠

٤٥٤٣٠٥٣٥ من ٤٢٦٠٣٨٠٠٣٥٨

٦٣٦ — ٦٢٠٠٦٠٣٠٥٦٨٠٥٦٠٠٥٥٦

| | |
|---|--|
| أمنابيت (قائد) : ٦١٥ | أمنبو (بلد) : ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٣ |
| أمنحات (أمير) : ٢٥ | أنحور (إله) (أنظر أنحوريس) : ٥٠ |
| أمنحات الأول (ملك) : ٤٩٢ ، ١٥٣ ، ١٤٤ | اندارونا (أمير) : ٣٧٦ |
| أمنحات سورد (كاتب) : ١٢٠ (اقرأ أمنحات) ٥٢٧ | انرق (الجليلين) : ١٣ |
| ٥٣٢ | أنطونيوس (علم) : ٢٦١ |
| أمنحات الثالث (ملك) : ٢١٧ | إنكا (أثرى) : ٦١٥ |
| أمنجب (شح) (ضابط) : ٥٥٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٤ | أنكوى (بلدة) : ٩٩ |
| أمنحت (امراة) : ٥٥٣ | إنخى (علم) : ٤٨٨ |
| أمفس (ملك) : ١٧١ | أنويس (إله) : ٤٧٣ ، ٢٣٦ ، ١٢٨ |
| أمفس (علم) : ٣٩٢ | أنوريس (إله) (أنظر أنحور) : ٥٤٩ ، ١٨ |
| أمفوي بن أمفوي (علم) : ١٥٥ ، ١٥٤ | أواريس (بلد) : ٣١١ |
| آمون (إله) : ٦٠ ، ١٠ ، ١٨ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٩ | أوبى (بلد) : ٣٦٣ |
| ٦٦ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٢٢ | أبرت (علم) : ٣٤٦ |
| ١٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ٢٠٠ ، ٢١٣ ، ٢٩٧ | أوتا أو (أوتو) (رسام) : ٢٣٣ ، ١٠٨ |
| ٢٩٩ ، ٤٠٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ | أوجاريت (رأس الشجرة) (بلد) : ٣٦٢ ، ٤٨ |
| ٦٠٢ ، ٦٠٩ ، ٦١٨ | أورشليم (بلد) : ٣٧٦ ، ١٩٣ |
| آمون رع (إله) : ١٣ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ١٧٣ | أوروفارقى (جزيرة) : ١٦٤ |
| ١٧٤ ، ٤٣٤ ، ٤٢٩ ، ٥٨٥ ، ٦٠٠ ، ٦١٨ | أوزير (إله) : ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ١٠٣ |
| آمون رعسيس (إله) : ١٧٣ | ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ٢٤٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧٠ |
| آمون — ام — ابت (موظف) : ٥٤٧ | أوسركون عنخ (موظف) : ١٦٣ |
| آمون — ام — حب (علم) : ٤٨٧ | ألبريت (أثرى) : ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٦٢٠ |
| آمون مسو (مدير) : ٥٢٥ | إهناس (إهناسية المدينة) : ١٧٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ |
| أمونير (أمير) : ٣٧٠ | ٣٨٩ ، ٥٤٥ |
| إمى (علم) : ٣٩٧ | آى (كاهن) : ٢٦٥ ، ٤٣٢ |
| إمى ورت (كاهن) : ١١١ | آى (ملك) : ١٦٩ ، ٣٩٧ |
| أمينى (أمير مقاطعة) : ٢٢٤ | إياب (إقليم) : ٣٧٣ |
| الأمين (خليفة) : ٦٠ | إيات تاموت (مكان) : ١١ ، ١٣ |
| إنا (معبد) : ٣١ | |

باسرين حوى (نائب الملك) : ٥٤٥
 باق (أمير) : ١٣٥
 باقت آتون أو (باك آتون) (أميرة) : ١٠٧ : ٢٩٠
 ٤٠٨ : ٤٠٩ : ٤١٢ : ٤١٣
 بانحسى (نائب الملك) : ١٩٣
 بانحسى (المشرف على الخزانة) : ١٣٤
 بانحسى (كاهن) : ٤٠٦ : ٤٠٧
 بانكس (علم) : ١٠٢
 باتيسى (كاهن بلاد آشور) : ٣٣
 باواح (موظف) : ٤٥٧ — ٤٥٩
 باى (الكاهن الأول لتحتس الرابع) : ٣٧
 بينور يا (ملك) : ٣٥١ : ٣٥٢
 بيلوص (جيل) (بلدة) : ٥٧ : ١٩٦ : ٣٥٩
 ٣٦٠ : ٣٦٢ : ٤٤٧
 بتاح (إله) : ١١ : ١٣ : ٤٩ : ٥٥ : ٥٩ : ٦٥
 ٩٩ : ١٠٥ : ١١٢ : ١١٨ : ١٢٣ : ١٥٤
 ١٦٢ : ٢١١ : ٣٨٦ : ٤٢٣ : ٤٤٦ : ٤٤٧
 ٤٤٨ : ٥٣٣
 بتاح حنب (كاتب) : ١٥٣ : ٢٢٧ : ٢٢٨ : ٢٢٩
 ٢٩٣
 بتاح سكر (إله) : ٩٦
 بتاح مس (موظف) : ٤٩ : ١٣٥
 بتاح مس (وزير) : ١٢٤
 بتاح مس (كاهن) : ١٢٣
 بتاح مى (علم) : ٤١٥
 بترى (أثرى) : ٢٥ : ٨٠ : ١٠٧ : ١١٢ : ١٣٨ : ٦٠٩
 بجة (بلدة) : ١٣٤
 بيج سونر (ضابط) : ٤٧٨ : ٥٣٥ : ٥٥٢

لينا كاما (ملك) : ٣٥٠ : ٣٦٣ : ٣٦٤ : ٣٦٨
 ٣٨٢
 لىوس (إلهة) : ٧١
 لىون الجنوبية (أرمنت) (?) (بلدة) : ١٣٨
 لىونى (موظف) : ٤١
 لىون (هوليوبوليس) : ٣٨٨
 (ب)
 يا لىن محب أو (با آتون محب) (قائد) : ٤٦٦ : ٤٩٩
 بارى (كاهن) : ٢١٤
 بابل (بلاد) : ٢٨ : ٢٩ : ٣٠ : ٣١ : ٣٢ : ٣٣
 ٧١ : ١٥٠ : ١٥٦ : ١٨٢ : ١٩٠ : ١٩٨
 ٢٠٥ : ٢٧٩ : ٢٩٤ : ٣٥٦ : ٣٧٢ : ٣٨٠
 ٣٨١ : ٣٨٤ : ٣٤٨ : ٦١٨ : ٦١٩ : ٦٢٠
 ٦٢٥
 يافاى (رسام) : ٤٥٨
 ياحرى (أمير) : ٢٢٨ : ٥٤٢
 ياحق من (علم) : ١٤٢
 يانحو (علم) : ٦٢٥
 يانخور (بوخورو) (قائد) : ٣٦٩
 يارت نقر (موظف) : ٤٢٤ : ٤٢٥
 يارع (علم) : ٤٠٠
 يارع محب (كاهن) : ٣٨٨
 يارعسيس (وزير) : ٥٦٩ : ٥٧٥
 ياريس : ٣٤٦ : ٣٤٧
 ياسر (نائب الملك) : ١٦٩
 ياسر اثنائى (كاتب) : ١٧٠
 ياسرين حوى (المشرف على التحليل) : ٤٥٩

| | |
|---------------------------------|--|
| برایام (ملك) : ٧١ | بخی عمران (قل العارنة) : ٣٤٦٠ |
| برسند (أثرى) : ٥٦١٠٣٩٧٣٣٤٨٣٦١ | بوام رع (كاهن) : ٥٥٢٠٢٠٣٠٢٠١ |
| ٥٦٦ | بولهول (إله) : ٦١١٠١٠٠٩٠٨٠٧٠٦٠٥ |
| البرشة (بلد) : ٤٨٠٠١٠٠ | ٦٩٣٠٨٧٠٧٩٠٧٦٠٦٨٠١٧٠١٤ |
| برك (أثرى) : ٦٣٠ | ٦٤٥٣٠٣٩٣٠٢٥٧٠٢١٩٠١٠٥٠٩٩ |
| بركل (جبل مقدس) : ٢٠٠٠٢٤ | ٦٠٩٠٤٥٤ |
| برلين (متحف) : ٢٦٠٠١٢٢٠٨٧٠٨٦٠١٨ | بوتو (إبطو) (بلد) : ٥٨٣٠٧٨٠١٣ |
| ٥٥٩٠٣٤٧٠٣٣٧٠٣٣٥ | بوزور — آشیر الرابع (ملك) : ٦٢٦ |
| برنتون (أثرى) : ٣٩٢ | بودابور ياش (ملك) : ٦٦٢١٠٣٨٠٠٢٧٩٠٢٨ |
| برنقر (مكان) : ٦١٣٠٥٢٦٠٥٢٥٠٥٢٤ | ٦٢٦٠٦٢٥٠٦٢٣٠٦٢٢ |
| بروسير (أبوصير) (بلدة) : ٥٣٩ | بورخارت (أثرى) : ٤٦٢ |
| بريس دفن (أثرى) : ٥٨٧٠٣٨٩ | بوستن (متحف) : ٩٩ |
| بسامتيك (ملك) : ١٩١ | بوصرونا (بلد) : ٣٦٤ |
| بعل (إله) : ٤٢٣ | بوصير (بلد) : ٦٠٧٠٤٥٩ |
| بق — ن — خنسو (كاهن) : ٥٤٦ | بول (عالم) : ٣٨٥ |
| بقت (جبال خرافية) : ٧٨ | برهن (بلدة) : ٢٠٠٠١٦٤٠١٠٣٠٢٣ |
| بك (مهندس) : ٣٣٣٠٣٣٢ | بياسيل (ملك) : ٣٨٥٠٣٨٤ |
| (انظر ص ٢٠) . | بيبي (ملك) : ٢٢٦ |
| بكي (حصن) : ٥٦ | بيت شان (بسان) : ١٩٤ |
| بفت (بلاد) : ٤٢٠٣٠٢٠٢٠١٩٨٠٨٥٠٦٠ | بيروت (بلدة) : ٣٨٥٠٢٧٠ |
| ٦٠١٠٢١٣٠٢٠٦ | بيرنز (شاعر) : ٣١٩ |
| بنرش (لوحة) : ١٠ | بيزنطة (بلاد) : ١٩٠ |
| بنخت (موظف) : ٤٩ | بينوزم الأول (ملك) : ١٧٤ |
| بند لبرى (أثرى) : ٣٤٥ | بيريامازا (علم) : ٦٢٥ |
| بنها (بلد) : ٩٨ | بيريديا (أمير) : ٣٧٣ |
| بنوزم الثاني (ملك) : ١٩٣ | بي عنخي «أر» باي عنخي (نائب الملك) : ١٦٥٠١٦٣ |
| بني حسن (مقاطعة) : ٤٩٢ | ١٧٤ |

تفت إيونت (مرضعة) : ٥٥٠

تفن (موظف) : ٤٨

تواني (أمير) : ٣٦٣

توت آمون (أميرة) : ٢٦

توتو (علم) : ٤٢٥

توت عنخ آمون (ملك) : ١٦٨ ١٠٧ ٨٧ ٧٣ : ١٩٩

٣٤٩ ٣٤٢ ٢٧٨ ٢٥٨ ٢١٤ ١٩٩

٤٥٣ ٤٤٠ ٤٣٧ ٤٣١ ٣٩٠ ٣٨٦

٥٦٩ ٥٦٢ ٥٤٥ ٥٢٩ ٥٢٥

٦٠٥ ٥٧٦

توني (أمير) : ٦٣٣ ٦٣٢ ٣٦

توري (موظف) : ١٧٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣

تورين (متحف) : ٥٢٩ ١٣٨ ١٠٧ ١٠٥

٥٨١ ٥٧٣ ٥٤٩

تونانات (بلدة) : ٣٦٤

توب (بلدة) : ٣٨٤ ٣٧٨ ١٨٢ ٥٨

توة الجبل (بلد) : ٣٩٠

تويا (ملكة) : ١٣٧ ٧٣ ٦١

تي (ملكة) : ١٠٩ ٩٣ ٦١ ٥٢ ٤٣ ٣٥

٣٣٧ ٢٩٠ ٢٥٩ ٢٠٠ ١٣٩ ١٢٢

٦٣٥ ٥٧٤ ٤٧٥ ٤١٢ ٤٠٧ ٣٨٨

تيا (ملكة) : ٦٤٣

تي (ملك) : ٢٢٦

تيا (ملك) : ٣٨٢

تعا (ملكة) : ٢٧ ٢٦

(ث)

تقي (كاتب الجيش) : ٤٧٩ ٤٦٤ ٤٥ ٤٤ ١٩

٥٥٥ ٥٥٤ ٥٣٢ ٤٩٨ ٤٨٧ ٤٨٥ ٤٨٤

تنونا (موظف) : ٤٧ ٤٤٦

توني (علم) : ١٠٠

ثيدورديفيز (أثرى) : ٢٦

(ج)

جاردنر (أثرى) : ٥٦١ ٤٢٤ ١٥٢

جاسجا (ملكة) : ٦٤٢

جارو (بلاد) : ١١٣

الجامعة المصرية : ٥

جبانة ذراع أبو النجا : ٦١٤

جبانة شيخ عبد القرة : ١٨

جب (إله الأرض) : ١٥ ١٢

جبل السلسلة (بلدة) : ٣٩٨

جبل طدة : ٦١٠

جيل (يلوص) : ٣٥٨ ٣٧١ ٣٧٠ ٣٦٣ ١٩٧

جوفث (أثرى) : ٢٧٨

جوة مرعى (مكان) : ١٦٨

جريو (أثرى) : ٣٤٦

جزريل (بلد) : ١٩٤

جنتو (بلد) : ٢٠٢

جلاقيل (أثرى) : ٤٦٢

جلنشيف (أثرى) : ١٥٦

جليوخيا (ملكة) : ٦٢٣ ٣٦١ ٢٥١ ٦٣ ٣٥

جولوا (أثرى) : ١٠٨

جوتيه (أثرى) : ٢٠٢ ١٣٥

جون رسكن (كاتب) : ٣١٧

جييس (ملك) : ١٩١

الجيزة : ٤٥٣ ٩٨

جيزر (بلد) : ١٨٧ ١٨

(ح)

حابى (إله) : ٦٠٠
 حابونبوت (سكان جزر البحر الأبيض) : ٦٠٥
 حاضنف (كاهن) : ٥١
 حاتياى (مدير مخازن) : ٤٢٧
 حاي (علم) : ٦٠٥
 حبرون (بلد) : ٣٧٧، ٣٥٦
 الحبشة (بلاد) : ١٦٨
 حبوسنب (وزير) : ٥٥٥
 حو حنف (حاكم منف) : ١٣٦
 حنب (موظف) : ١٣٦
 حنحور (إلهة) : ٣٨٨، ٣٦٦، ٢١٠، ٩٧، ٩٠
 حنشبوت (ملكة) : ١٩٨، ١٦٤، ٧٦، ٢٢، ١٣، ٩
 ٤٨٦، ٤٧٠، ٤٦٥، ٣٣٠، ٢٧٠، ٢٠٠
 ٥٥٥، ٥٤٢، ٥٣٠
 حنكابتاح (منف) : ١١٤، ١١٣
 حننوت (بلد) : ٥٨٤، ٥٨٣، ٤٣٥، ٥٨١
 حنتوب (بلد) : ٢٢٤
 حران (بلاد) : ٣٨٥، ٣٥٦
 الحرونية (بلدة) : ٦٨
 حرى حور أو حور (علم) : ٥٦٩، ١٧٦، ١٧٤، ١٧٣
 حرى ساكت حور حنب (علم) : ٥٦٦
 حقا — ر — نحب أو (حكر نحب) (مربى) : ٤٥٣، ٥٠، ٤٩
 حقا نحت (أمير) : ١٧٠
 حقا قمر (كاتب) : ١٣٥
 حقرشار (مربى) : ٤٩

حلب (مدينة) : ٣٨٢، ٣٦٥، ١٩٥، ١٨١، ٣٣
 حلقا (بلدة) : ٢٣
 حماة (بلد) : ١٩٥
 حوراني (ملك) : ٦٣١
 حنت تانب (امرأة) : ٥٥٣، ١٠٧، ١٠٠
 حنت تاوى : ٥٥٤
 حنت مرحب (أميرة) : ١٠٧
 حور (إله) : ٥٨١، ٢٠٠، ١٢٤، ١١٩، ٩١
 ٥٨٤، ٥٨٣
 حور الأكبر (إله) : ١٢
 حو أختى (إله) : ٢٠٠، ١١
 حور بحدت (إله) : ١٤
 حور خنتى ختى (إله) : ٤٦٤
 حور (مهندس) : ٢٩٥
 حور — نعب — م — ماعت : ١١٣
 حور — ام — أخت (إله) : ١٢، ١١
 حورنا (بولبول) : ٦٨
 حور حنب (ملك) : ٢٧٧، ١٨٥، ١٦٩، ٥٣، ٢٥
 ٤٤٦٠، ٤٤٤٨، ٤٤٣٤، ٤٤٣٢، ٣٩٣، ٣٨٨
 ٥٨٦، ٥٧٥، ٦٦٦، ٥٥٨، ٤٦٩
 حورى الأول (نائب الملك) : ١٧٢
 حورى الثانى (نائب الملك) : ١٧٢
 حوى (موظف) : ٦١٧، ٤٥٩، ٤٤٢، ٣٤٠، ١٩٩، ٥٠
 حوى (نائب الفرعون) : ١٦٩، ١٦٨
 حوى (رئيس تجار) : ٣٨٧
 حويا (موظف) : ٤١٣، ٤٠٧
 حى (إله) : ٢٣

(خ)

الخابور (نهر) : ٣٨٥

خاتب (علم) : ٣٧٩

خاتوسيل (ملك) : ٦٤٢ ، ٦٠٢ ، ٣٣

خارو (بلدة) : ٦٧ ، ١٩

خارواخا (مدينة) : ٦٣٤

خاسور (أمير) : ٣٧٣

خامونير (ملك) : ٣٧٠

خاني (قائد) : ٥٤٧ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧

خاني جلبات (مثنى) (بلد) : ٣٧٢ ، ٣٦٦ ، ٣٣

٦٣٣ ، ٦٣٢

خانيا (رسول الملك) : ٢٥٢

خايا (علم) : ٥٦١

خبري (إله) : ٦٩ ، ١٢ ، ١١

خيري (قبائل) : ٥٧٨ ، ٣٥٥

خقي (علم) : ٤٩٢

خرمحا (مكان) : ١١

خرفو (كاتب ملكي) : ٩٨

خع — م — حات (موظف) : ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٨

٣٣٠ ، ٢٠٥ ، ١٣٥

خع — م — ماعت (سفينة) : ٥٤٥ ، ٨٦ ، ٦٣

خع محات (كاهن) : ٤٧٣

خمويا (علم) : ٤٠٨

خفرع (ملك) : ٨٩ ، ١٧ ، ١٢

خجيس (بلدة) : ١١

خنسو (إله) : ٦٠٢ ، ٥٧١ ، ٤٣ ، ٨٠ ، ٧٦ ، ٥٠

خنمت بتاح (بلد) : ١١٧ ، ١١٢

خنوم (إله) : ٢٠٠ ، ٥٥ ، ٥١

خنوم حتب (علم) : ٤٩٢

خنوم واست (مكان) : ١٧٣

خنينا نابي (بلد) : ٣٧٧

الخوخة (جبانة) : ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ١٣٨ ، ١٢١

خوفو (ملك) : ٢١٧ ، ٨٩ ، ١١

خيان (ملك) : ٩٧

خينا (بلاد) : ١٩٨ ، ١٨٢ ، ١٢١ ، ٣٦ ، ٣٤

٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٥٧٧ ، ٦٠٣ ، ٦٣٠

٦٤٠ ، ٦٣٨ ، ٦٣٢

خيتي بن دواوف (علم) : ١٥٣

خيروف (موظف) : ٨٨ — ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٢١

١٣٣ — ١٣٠

خيناتون (مكان) : ٣٧٢

(د)

دارسي (أثرى) : ٤٢٧

دب (بوتو) (بلدة) : ٩٦ ، ١٣

دجلة (نهر) : ٣٣

ددون (إله) : ٢٣ ، ٢٠

دقليه (أثرى) : ١٠٨

دمشق (بلد) : ٣٨٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣

دندرة (بلدة) : ٤٨٢ ، ١٠١ ، ٢٥ ، ٢٢

دنرجي (أمير) : ٣٧

دثقة (بلد) : ١٩٩

دوداخاليا الثاني (ملك) : ٣٣

دودو (موظف) : ٥٢٩ ، ٥٢٨ ، ٤٧٤ ، ٣٧٩

٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٣٨

رعسيس الثاني (ملك) : ٩ ، ٥٨ ، ٨٢ ، ١١١ ،
١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ،
٣٥٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ ،
٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٢ ، ٦٠٢

رعسيس الخامس (ملك) : ٧٩ ، ١٧٢

رعسيس الرابع (ملك) : ٧٨ ، ١٧٢ ، ٤٧٦ ، ٥٤٧

رعسيس السادس (ملك) : ١٧٢

رعسيس الحادي عشر (ملك) : ١٧٣

رعسيس نخت (نائب الفرعون) : ١٧٣

رع موسى (أورع مس) (وزير) : ١١١ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ،

٤٢٣ ، ٤٧٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٥

رع موسى (المدير الملكي) : ٤٢٦

رع نصح (علم) : ٤٠٠

رع قفر (فارس) : ٤٢٣ ، ٥٤٧

رعى (مرضة) : ٥٥٠ ، ٥٥٤

الرمسيوم (معبد) : ١٥٢

رنوت (إلهة) : ١١ ، ١٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ١٢١ ،

١٢٩ ، ٢١١ ، ٢٣٧

رويشون (أثرى) : ٤٦٢

روخيزى (بلد) : ٣٦٣ ، ٣٦٩

رودس (جزيرة) : ٩٧ ، ١٩٠ ، ٣٤٤

روزت — ن — بارع (بلدة) : ٥٣٩

روما (بلدة) : ١٩ ، ١٠٩ ، ١٨٣ ، ١٩٠

رى (كاتب) : ٦١٤

ريانة (بلدة) : ١٠١

ريادى (أمير) : ١٩٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ،

٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦

ريزر (أثرى) : ١٦٤ ، ١٧٠

دوش (جبل) : ٢٠٠

دوشرتا (ملك) : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٢٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٦٢٨ ،

٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ — ٦٣٥

ديالا (إقليم) : ٣٣

ديدور (مؤرخ) : ٧٢

ديفز (أثرى) : ٤٣ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ٢٠١ ، ٢٧٨ ،

٣٩٩ ، ٤٤٨

(ذ)

ذراع أبو النجا (مقبرة) : ٤٩

(ر)

رتنو (بلاد) : ١٩ ، ٥٧ ، ١٨١ ، ١٩٤ ، ٤٤١ ،

رنهى رع (وزير) : ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٦١ ،

١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٤٨٩ ،

٥٥٤ ، ٥٥٥

الردسية (مكان) : ١٠٢

الزقيات (بلدة) : ١٤٣

رستاو (جبانة) : ١١

رع (إله) : ١٠ ، ١١ ، ١٢ — ٢١ ، ٥٣ ، ٥٩ ،

١٦١ ، ٣١٢

رع آتوم (إله) : ٤٦٨

رع حنب (موظف) : ١٦٤

رعسو (كاتب) : ٤٩٨

رعسيس الأول (ملك) : ٤٦٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٥ ،

٥٥٨ ، ٥٧٥ ، ٥٨٦

رعسيس التاسع (ملك) : ٢٦ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ،

رعسيس الثالث (ملك) : ٧٦ ، ٧٨ ، ١٧٢ ، ٤٩١ ،

٤٩٧ ، ٥٥٣

(ز)

سبك (إله) : ٦٠٠
سبك حنب (كاتب) : ١٣٧ ، ٣٣١
سبك نخت (مدير بيت آمون) : ١٠٣ ، ١٣٦
سيكليدز (جزيرة) : ١٩٠
سبكوسى (مدير خزانة) : ١٤٣
سسي (معبد) : ٣٩٨
ست (إله) : ١٢ ، ٢١
ست آمون (ملكة) : ٢٦١
ستناخت (ملك) : ٩٨
استكهلم (بلد) : ٤٧
ستاو (نائب الملك) : ١٧١
تيجرت توى (علم امرأة) : ٥٥٣
تيجورع (ملك) : ٤٥٩
تيجمت (إلهة) : ١١ ، ٢١ ، ٧٩ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ٤٥٩
سدمنت (بلد) : ٥٤٥
سدنجا (معبد) : ١٠٤ ، ٢٠٠
سراية الخادم (بلد) : ٤٩ ، ٩٧ ، ١٣٤ ، ٤٩٠
سرجون (ملك) : ١٠
سشات (إلهة) : ١٣
سفنخ (علم) : ٤٩٣
سقارة (بلدة) : ١١٩ ، ٣١٩ ، ٣٨٧ ، ٤٢٣ ، ٤٣٨ ، ٤٨٦
سكر (إله) : ١١ ، ١٣ ، ٦٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦
السلطة (بلد) : ١٠٢ ، ١٦٤ ، ٦٠٠
سلها نصر الأول (ملك) : ٣٥٥ ، ٦٤٢
سمتة (بلدة) : ١٠٣ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ٢٠٠

(س)

زاهى (بلاد) : ٤٤٦
زرنينخ (بلد) : ٣٩٦
زسر كارع سنب (موظف) : ٤٧ ، ٤٨
زغروخا (مكان) : ٧٣ ، ٧٤
زيت (أثرى) : ٤٩ ، ٣١٨ ، ٤٤٠ ، ٤٦٩
زيجريايا (ملكة) : ٦٤٢
زيمريدى (أمير) : ٣٦٣ ، ٣٦٩
زيوس (إله) : ٧١
سات امت (موظف) : ١٣٥ ، ٤٩٨
سات اع (علم) : ٥٥٣
ساأمت (علم) : ٤٩١ ، ٤٩٢
سات آمون (أميرة) : ١٠٧ ، ١٣٥ ، ٤٧٤
ساربانيم (بلد) : ٦٤١
ساروبايا (ملك) : ٣٧١
سالنر الأول (ملك) : ١٨٥
سالو (علم) : ٦٢٥ ، ٦٢٦
ساتاتنا (أمير) : ٢٧٢
سارا بنجينا (كاهن) : ٤٢٣
سامسوديتانا (ملك) : ٦٤١
ساوششتار (ملك) : ٣٣
ساي (جزيرة) : ٢٠٠
ست آمون (قائد) : ١٩٥
سبتاح (ملك) : ١٧٢
سبتمس سقرس (أمبراطور) : ٧١

سوريا (بلاد) : ١٥٠ ١٧٠ ٢٣٢ ٢٥٨ ٢٦٠
 ٧١ ١٣٩ ١٥٩ الخ .
 سوم — فوت (موظف) : ٥٤٥
 سومر (أثرى) : ٣٢٢ ٣٥١ ٦٣٩
 سومورا (بلد) : ٦٣٦
 سوتارفا (أمير) : ٣٨٥ ٣٨٤
 سوتى (مهندس) : ٢٩٥
 سيني (موظف) : ١٧١
 سيني (نائب الملك) : ١٧٦
 سيني الأول (ملك) : ٩٠ ١٦٨ ١٧٠ ١٧٢
 ١٧٩ ٣٥٧ ٣٩٢ ٣٩٨ ٤٣٨ ٥٤٥
 ٥٤٧ ٥٧٥ ٦٠٥ ٦٠٨ ٦٣٨
 سيني الثاني (ملك) : ١٧١
 سيلة (بلدة) : ٩٤ ٢٠٣ ٢٠٤ ٤٩٠ ٤٩٦
 ٥٤٧ ٥٨٩ ٥٩٤
 سميرا (بلد) : ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦٣ ٣٦٨ ٣٧٨
 ٣٨٥
 سينتا (شبه جزيرة) : ٢١ ٩٧ ١٣٧ ١٥٩
 ٢٠٥ ٢٠٣

(ش)

شارف (أثرى) : ٢٧٨
 شاروفا (بلد) : ٥٨١
 شاماش (إله) : ٣٦
 شاوشتار (ملك) : ٦٣٠ ٦٣١
 شاوشتا (إله) : ٣٦
 شباكا (ملك) : ٢٢
 شتا (إقليم) : ٦٣
 شتيت (جبانة) : ١٣

شمشكارع (ملك) : ١٠٧ ٢٥٨ ٢٦٢ ٢٦٤
 ٢٧٨ ٣٣٣ ٣٤٨ ٣٨٧ ٤٣١ ٤٥٧
 ٥٦٢ ٥٦٧ ٥٧٠
 سما بحدت (بلدة) : ٦١٨
 ممسوالونا (ملك) : ٦٢٠
 سميرا (ميناء) : ١٩٤ ١٩٥
 سنب (موظف) : ٢٢٤
 سنب — ان — رع (أميرة) : ٢٨١ ٤٢٩
 سنت پتوزبرج (متحف) : ١٠٥ ٣٤٧
 سنجار (بابل) : ٥١٠ ٥٨ ١٩٥ ٣٦٤ ٦٣٨
 سنت سنب (امراة) : ١٦٤
 سن نقر (عمدة طيبة) : ٢٠٣ ٥٥١
 سن نقر (رئيس الخزنة) : ١٩٦
 سنموت : ١٩٨ ٢١٠ ٤٣٧ ٤٧٠ ٥٢٧
 ٥٣٢ ٥٤٢ ٥٥٧ ٥٧٢
 سنومرت الأول (ملك) : ٩٠ ٧٦ ٢١١
 سنومرت الثاني (ملك) : ٤٩٣
 سنومرت الثالث (ملك) : ١٤٤ ٢٠٠ ٣٢٩ ٤٧٠
 سنغرو (ملك) : ٤٩٤
 سنوهيت (علم) : ٤٩٤
 سنى (ابن الملك) : ١٦٥
 سنى مسو (موظف) : ٤٨٥
 سبل (مكان) : ١٢٨
 سوتوى (مدير خزانة) : ٤٢٧
 سوتى (موظف) : ٤٢٦
 السودان (بلاد) : ٥٤ ١٦٥ ١٧٥ ١٠٩
 ١٦٣
 سوراتا (أمير) : ٣٧٦

(ط)

طره (بلد) : ٢٣١ ٤٩٨
 طوروس (جبال) : ٧٩ ٤٧١ ٤٣٥ ٤٣٣
 طيه (بلدة) : ١٨ — ٤٠ ٤٢٠ — ٤٣ ٤٥٠ ٦٥٠ —
 ٤١٣٤ ٤١٣٤ ٤١١٨ ٤١٠٤ ٤٩٨ ٤٨٢ ٤٧٧
 ٤٢٠١ ٤١٩٣ ٤١٦١ ٤١٥٢ ٤١٤٧ — ١٤٢
 ٤٢٥٧ ٤٢٧١ ٤٢٩٢ — ٣٤٩ ٤٣٠٠ — ٣٦٦
 ٤٤٣١ ٤٤٢ — ٤٤٧٧ ٤٥٤٨ ٦٠٨

(ع)

العاصى (نهر) : ١٨٢
 عانن (كاهن أرمنت) : ١٣٧ ٤١٠٨
 عبدى أشرتا (أمير) : ٦١٨ ٤٣٦١ ٤٣٥٠ ٤٥٧
 عبدى خيا (أمير أرشليم) : ٣٧٧ ٤٢٥٢ ٤١٩٣
 عخانخت (مدير الصحراء) : ٤٩٣
 العرابة المدفونة (مدينة) : ٤١٦٢ ٤١٣٥ ٤١٣٣ ٤٥٠
 ٤٧٠
 صرات (ملكة) : ٢٥
 صرقا (بلد) : ٣٥٩ ٤١٩٤
 صقلان (مدينة) : ٣٧٥ ٤١٨١
 عشتارت (اله) : ٤٤٢٣ ٤٣٦٦ ٤٣٦٥ ٤٢٥٦ ٤٣٦
 ٦٢٨
 عكا (بلد) : ٣٧٦ ٤١٩٥ ٤١٣٩
 عمقا (بلد) : ٤٥٧٧ ٤٣٨٦ ٤٣٦٣ ٤٣٥٢
 عتاب (إقليم) : ١٨٣
 عنخ تارى (بلد) : ٤٤٧ ٤٤٤٦
 عنخس ان با آتون (ملكة) : ٤٣٩٠ ٤٢٧٩ — ٢٥٨
 ٤٣١

شخلال (بلد) : ٣٥٩

شردانا (بلاد) : ١٩٥

شفرية (مهندس) : ٣٩٣

شمع بحدت (البلون) : ٤٨٧

شيكى (إله) : ٣٦

شو (إله) : ١٥

شواردانا (أمير) : ٣٧٦

شوباندو (أمير) : ٢٥٢

شوبيلويوما (ملك خيتا) : ٤٣٥١ ٤٣٥٠ ٤٢٦٥

٤٣٨٢ ٤٣٨١ ٤٣٧٩ ٤٣٦٢ ٤٣٥٤ ٤٣٥٣

٦٠٣ ٤٥٦٤ ٤٥٦٣ ٤٤٣٧ ٤٣٨٦ ٤٣٨٣

شوتا (موظف) : ٢٥٢

شوتارنا الثانى (ملك) : ٦٢١ ٤٦٢٧ ٤٦٢٣ ٤٣٦

٦٣٢

شوتارنا الأول (ملك) : ٦٣٠

شيبجلبرج (أثرى) : ١٠

الشيخ عباده (أنوى) (بلد) : ٣٩٠

شيخ عيسد القرنة (جبانة) : ٤٣٨ ٤٣٧ ٤٣٦ ٤٢٩

٤٥٨ ٤٤٢٦ ٤١٢٦ ٤٥١ ٤٤٧ ٤٤٦ ٤٤٥

شيشنك (ملك) : ٨٠

(ص)

صور (بلدة) : ٣٨٥ ٤٣٦٩ ٤١٩٧ ٤١٩٢ ٤٣٧

صوب (بلدة) : ١٠٥ ٤٨٨ ٤٨٥ ٤٨٤ ٤٥٥ —

٤٤٧١ ٤٣٩٨ ٤٢٠٠ ٤١٠٢ ٤١٢٨ ٤١٠٧

٤٤٧٤

صيدا (بلدة) : ٤٣٥٩ ٤١٩١ ٤٦٠ ٤٥٧ ٤٥٥

٣٩٦ ٤٣٨٥ ٤٣٧١ ٤٣٦٣

عنخس ان آمون أو (عنخس ان با آتون) : ٤٥٠ ، ٣٨٨ ، ٤٥٠

٥٧٥ ، ٥٧٤ ، ٤٥٣

عنخ تاوى (مكان) : ١١٣

عتقت (إلهة) : ١٢٨

عنيه (بلدة) : ١٠٣

حيان (مكان) : ١١٣ .

عين شمس (بلدة) : ٤١٤ ، ٦٦ ، ٧٨ ، ٢١١ ، ٢٣١

٢٦٩ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢

٤٦٥

عيسى (علم) : ٣٢٠

(غ)

غراب (مدينة) : ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٦٠٨

غزه (بلد) : ١٩ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ٢٠٤ ، ٣٧٣

٣٧٦

ظينجى (دكتور) : ٣٩٤

(ف)

الفرات (نهر) : ٣٣ ، ٣٤

فلسطين (بلاد) : ١٨ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٢

١٩٤ ، ٣٥٠ ، ٣٨٧ ، ٤٤٢ ، ٤٩٥ ، ٤٣٨

٦٣٥ ، ٥٢٩

فلندز برى (مؤرخ) : ٩ ، ٣٤١

فلوجر (مؤرخ) : ٥٦٧

فلورنس (بلد) : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣

فليب (ملك) : ١٩٢

الفنخو. (بلاد) : ١٩٥

فنكلر (أثرى) : ٦٣٠

فررد (أثرى) : ٣٥٣ ، ٦٤٣

فيدنر (أثرى) : ٦٣٨ ، ٣٥١

القبيلة (معبد) : ٥٦

فينيقيا (بلاد) : ١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٧٢

٣٨٥

القيوم (بلد) : ١٤٧ ، ٢١١ ، ٣٣٧

(ق)

قادش (بلدة) : ٥٥ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٣٥٠

٣٦٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٨٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٢

القاهرة (مدينة) : ٩٨ ، ١٢٠ ، ٦٠٨

قبرص (جزيرة) : ٣٠ ، ٣١ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٢

٢٠٦

القرنة (جبانة) : ٢٢ ، ٢٣

القسططينية (بلد) : ٣٤٧

قطننا (بلد) : ٣٤٩ ، ٣٦٤

قنط (بلد) : ٤٩٨ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩

قن آمون (عمدة طيبة) : ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣

٥٢٤ ، ٥٣٢ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧

قوص (بلد) : ١٣٨ ، ٣٩٢

القوصية (بلد) : ١٤٦

(ك)

الكاب (بلدة) : ٢٣ ، ٥٣ ، ١٠١ ، ١٤٥ ، ١٤٧

١٤٨

كابودشيا (إقليم) : ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٦٣٩

كاداشمان إنليل الأول (ملك) : ٢٩ ، ٦٢١ ، ٦٢٢

٦٢٣

كادا شما نخرب (ملك) : ٢٩

كاراى (بلد) : ١٥ ، ١٨ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٧٧

١٦٦

كوشار (بلد) : ٦٤٢ ، ٦٤١ :
الكوم الأحمر (هيراكنيوبوليس) : ٥٨١ ، ٣٩٧ ، ١٠٠ :
كوم امبو (بلدة) : ٦١٠ ، ٢١ :
كوم الحصن (بلدة) : ٢٢ :
كوم الحيطان (مكان) : ٩٨ :
كوم غراب (بلد) : ٣٨٨ :
كوم ماضى (بلد) : ١٢٠ :
كوم القلعة (مكان) : ٣٨٧ :
كوميدى (قلعة) : ٣٦٤ :
كونوسو (مكان) : ١٠٣ ، ٥٦ ، ٥١ ، ٢٣ ، ٢٠ :
كيزوتنا (بلدة) : ٣٤ :
كيس (أثرى) : ٥٨٢ ، ٥٧٧ :

(ل)

لابارفاش (ملك) : ٦٤١ ، ٦٤٠ :
لابانا (بلد) : ٣٦٣ :
لاباى (أمير) : ٣٧٦ ، ٣٧٣ ، ٣٥٠ :
لاكش (مدينة) : ٣٧٥ :
لبسيوس (أثرى) : ٥٨٧ ، ٣٤٦ ، ٢٩ :
لبنان (بلاد) : ٣٦٥ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٥٩ ، ١٨ :
لجران (أثرى) : ٦١٦ ، ٤٦٢ :
لديا (بلاد) : ١٩٠ :
الشت (بلد) : ١٤٧ :
لندن (عاصمة) : ٣٣٨ ، ٨٧ :
لتوبوليس (بلدة) : ٢٣١ :
لوباكو (نائد) : ٣٨٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ :
لوبيا (بلاد) : ٤٣٩ ، ٢٠١ :
لوريه (أثرى) : ٢٦ :

كارينداس الأول (ملك) : ٦٢٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢١ ، ٣٣ :
كاردونياش (بابل) : ٣٨٠ ، ٢٠٥ ، ٣٢ ، ٣١ :
٦٢٣ ، ٦٢١ ، ٦١٨ ، ٤٠٨ :
كارانفون (عالم) : ٣٤١ :
كاستل تاجو (مكان) : ٦١١ :
كام حرى — اب — سن (امراة) : ٥٥٤ :
كاششو (بلدة) : ٣٢ :
كامس (ملك) : ٥٤١ ، ١٤٦ :
كانرا (كاهن) : ٥٠ :
كركيش (قرقيش) (بلد) : ١٩٣ ، ١٨٣ ، ٥٨ :
٦٤٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ :
الكرنك : ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٤٥٧ ، ٤٤٢ ، ٣٩٢ :
٦١٧ :
كريت (جزيرة) : ١٨٨ ، ١٤٤ ، ١٤١ ، ٥٧ :
٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٢١٦ ، ١٩٧ ، ١٩٠ :
كفتيو (بلاد) : ١٩٧ ، ١٥٥ ، ٥٨ :
كلبشه (بلد) : ٢٠٠ :
كلديا (بابل) : ٦١٨ :
كلشا (بلد) : ٣٧٦ :
كليكا (بلاد) : ٣٤٨ ، ١٩٠ ، ١٧٢ ، ٣٤ :
٦٤١ ، ٦٤٠ :
كبل (علم) : ٣٩٦ ، ٣٩٥ :
كنعان (إقليم) : ٦٣٥ :
كوبناجن (بلد) : ٩٩ :
كوبيل (أثرى) : ٣٩٧ :
كوديجالزو الثانى : ٦٢٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢١ ، ٣٨٠ ، ٣٢ :
كوش (بلاد) : ١٦٩ — ١٦٦ ، ٨٤ ، ٥٦ ، ٣٤ ، ٢٠ :
٤٥٩ ، ٤٣٩ ، ٤٠٠ ، ٢٤٦ ، ٢٠٠ :
٦٠١ :

- لوکاس (کیانی) : ٤٤٤
لوکی (بلاد) : ٦٢٩
لولانچی (بلد) : ٣٥٥
الوففر (متحف) : ٣٤٧
لویس العاشر (ملك) : ٦٠
لیدن (متحف) : ١٢٣ ١٢٢ ١٢٠
لفریول (متحف) : ١٣٥
لینان باشا : ١٠٢
الیوت سمث (طبيب) : ١٠٩
لیون (بلد) : ٣٩١
(م)
ماتانی کاشی (المازوی) : ١٩٦
ماتیووازا (علم) : ٦٣٠ ٦٢٧ ٣٨٥ ٣٨٤
٦٤٥ ٦٤٢
ماجان (مصر) : ٦٢٠
ماحو (رئيس الشرطة) : ٢٦٢
ماراش (إقليم) : ١٨٣
ماعث (إله) : ٦١٥ ٣٢٤ ٣٢١ ١٢٢
ماعث نب رع (ملكة) : ٢٣
مانا (قائد) : ٤٢
مانو (جبال) : ٦٩
متحف الاسكندرية : ٦٠٤
متحف برلین : ٦١٠ ٦٠٤ ٤٣٤
متحف بروکسل : ٣٤٧ ١٣٩
المتحف البريطاني : ٦٠٤ ١٣٦ ١٣٤
متحف بولونیا : ٦٠٤
متحف تورین : ٦١٠
متحف جامعة سلفی : ٣٨٧
متحف جلاشجو : ٣٨٧
متحف فلورنس : ٦١٠
متحف فينا : ٦٠٤
متحف القاهرة : ٦٠٤ ٤٦٨ ٣٢٩
متحف الوففر : ٦٠٧ ٦٠٤ ٥٠٤ ١٩
متحف لیدن : ٦٠٤
متحف ليننجراد : ٦٠٤
متحف متروبوليتان : ٦٠٧ ٣٤٧ ٣٤١
متنی (بلاد) : ٦٢ ٣٦ ٣٣ ٣٠ ١٧
١٨٢ ٢٥٦ الخ
مجدو (موقعة) : ١٩٥ ١٩٤ ١٨١
محمد علی باشا : ١٠٢
المدمود (بلد) : ٣٩٦
مرجيس (قلعة) : ١٠٣
مردون (إله) : ٦٤١
مرسر (أثرى) : ٣٤٧
مرس (نائب الملك) : ١٦٨ ١٦٧ ١٢٢ ٥٦ ٥٤
مرنبتاح (ملك) : ٣٥٧ ١٧١ ١٠٤ ٦٦
٤٩٦ ٣٨٧
مروآتون (مكان) : ٢٩٠
مری (كاهن) : ٤٧٣
مری (مغنية آمون) (بدلا من مری) : ١١٨
مری بتاح (أمير) : ١٢٣
مری آمون (سفينة) : ٥٠٠ ٤٢ ٤١ ٤٠
٥٥٣ ٥٣٧
مریت باشا (أثرى) : ٣٨٧ ٢٢
مریت (وصيفة) : ٥٥٤

متو (اله) : ١٠٨ ٠ ٧٩ ٠ ٦٥ ٠ ٥٥ ٠ ٣٧ ٠ ٢١ :
 منخبيرع (كاهن) : ١٣٤ :
 منخبيرع سنب (موظف) : ٥٥٢ ٠ ٥٥١ ٠ ٥٣٩ :
 منف (بلد) : ٢٦٩ ٠ ٢٦٠ ٠ ١٦٢ ٠ ١٤٧ ٠ ٩٩ :
 ٥٧٨ ٠ ٥٢٤ ... الخ
 منسو (علم) : ٥٦٦ :
 من ققر (منف) : ٥٢٤ :
 مواتلا (ملك) : ٦٠٣ ٠ ٣٥٢ :
 موت (إلهة) : ١١ ٠ ٦٥ ٠ ٨٤ ٠ ٤٣٤ ٠ ٤٤٣ :
 ٦٠٢ :
 موت إري (علم امرأة) : ٥٥٤ :
 موت بنت (علم امرأة) : ٤٢٥ ٠ ٤٠٠ :
 موت نرمت (ملكة) : ٥٨٥ ٠ ٥٨٣ ٠ ٥٨١ :
 موت مويبا (ملكة) : ٥٩ ٠ ٥٣ ٠ ٢٥ ٠ ٢٤ ٠ ٢٣ :
 ١٠١ ٠ ٧١ :
 مورسيل (ملك) : ٣٨٣ ٠ ٣٥٤ ٠ ٣٥٣ ٠ ٣٥١ ٠ ٣٣ :
 موسكو (متحف) : ١٠٤ :
 موت ققرت (امرأة) : ٤٣ :
 ميدوم (بلد) : ١٠٠ :
 ميلكيل (أمير) : ٣٧٦ ٠ ٣٧٣ ٠ ٢٥٢ :
 مين (إله) : ٥١ ٠ ١٦ :
 مين نخت (موظف) : ٥٤٢ :
 مينا (ملك) : ١٤٧ :
 ميونخ (متحف) : ١٠٣ :
 (ن)
 نابليون (قائد) : ٧٩ :
 نافيل (أثرى) : ٣٩٦ :
 ناميا وازا (أمير) : ٣٧٣ ٠ ٣٦٩ ٠ ٣٦٨ :

حریت آتون أو « آتن » (أميرة وملكة) : ٣٨٨ ٠ ٢٩٠ :
 ٥٦٥ ٠ ٥٦٤ ٠ ٤٣٠ ٠ ٤٠٧ ٠ ٤٠٣ ٠ ٣٨٩ :
 ري رع (موظف) : ٤٨ :
 حري رع الثاني (كاتب القرمون) : ٤٢٧ :
 حري رع (كاهن) : ٤٣٠ ٠ ٤٢٩ ٠ ٤٢٨ :
 حريكارع (ملك) : ٣١٦ ٠ ٢٩٦ ٠ ٢٢٦ ٠ ٢٢٣ :
 حس (علم) : ٤٨٢ :
 مسخت (إلهة) : ٢٣٧ :
 حشرشت (أثرى) : ٦٤٠ ٠ ٦٣٩ ٠ ٣٥١ :
 حس سوى (نائب الملك) : ١٧١ :
 مسوبو تاميا (بلد) : ٣٥٤ ٠ ١٨٣ ٠ ١٨٢ ٠ ١٧٩ :
 ٦٣٠ :
 حشينخ (بلد) : ١٠١ :
 المطار (قرية) : ٣٩١ :
 معبد الأقصر : ٢٢٠ : ٦٠٨ :
 معبد ستيت : ١١ :
 معبد العرابة : ١١٧ :
 حى (موظف) : ٤٢٣ ٠ ٤٠٢ ٠ ٤٠٠ ٠ ٣٩٩ :
 ٦١٦ ٠ ٥٤٨ ٠ ٤٩٨ ٠ ٤٥٩ :
 مكت آتون (أميرة) : ٢٧٨ ٠ ٢٧٧ :
 مكينا (بلد) : ٩٧ :
 ملت (مفتن) : ٣١٩ :
 ملر (أثرى) : ٦٢٨ :
 ملوفا (= كاشي = أى بلاد النوبة) : ٦٢٩ :
 ملوى (بلد) : ٣٨٦ ٠ ٢٧٢ :
 ممنون (تمثال) : ٧١ :
 من (رئيس النحاتين) : ١٣٥ :
 منا (علم) : ٣٣١ :

| | |
|------------------------------------|--|
| نصيبين (بلد) : ٣٥٦ | نانايا (إله) : ٣١ |
| نفتيس (إلهة) : ٥٨٣ ٢٣٦ ١٢ | نب (ملكة) : ٢٤ |
| نقرتم (إله) : ١١٧ ١٠٦ | نب آمون (موظف) : ٤١٤٢ ٤٥٠ ٤٤٤ ٤٤٠ ٣٩ |
| نقرتاري (ملكة) : ٦١٤ ١٣ | ١٩٦ |
| نقرتي (ملكة) : ٢٥٦ ١٢٨ ١٠٧ ٢٢٨ ٢٥ | نياتا (بلد) : ٢٥١ ٢٠٤ ١٦٦ ١٠٤ ٨٧ ٥٥٥ |
| ٢٧٣ ٣٣٦ ٣٩٢ ٢٥٤ ٤٤٤ ٥٥٩ الخ | ٤٩٣ ٤٤١ ٤٤٠ |
| نقرحات (موظف) : ٥٠ | نبن — ككت (موظف) : ٥٤٥ |
| نقرحطب (كاهن) : ٦١٤ ٦١١ ٦٠٥ | نبت تا (امراة) : ٥٥١ |
| نقرخاوت (موظف) : ٤٩٨ | نب آمون (موظف) : ٤٥٤٠ ٥٣٧ ٤٨٧ ٤٨٢ |
| نقرسخرو (موظف) : ١٣٦ | ٥٥٣ ٥٤٩ |
| نقرسهر (موظف) : ٤٧٣ | نيجوريا (اختاتون) : ٦٢٤ |
| نقرنقورع (أميرة) : ٥٣٢ ٥٣١ ٤٢٩ ٢٨١ | نب سومنو (المدير العظيم للعاصمة) : ٥٢٥ |
| نلسن (قائد) : ٧٩ | نبرع (كاهن) : ٦١٨ ٦١٧ |
| نماوازا (بلد) : ٣٦٤ | نب كابني (مربية) : ١٣٥ ١٠٧ |
| نهر الأرنث (نهر العاصي) : ١٩٤ | نبري (إله) : ١٢٩ ١٢١ |
| نهر الفرات : ١٩٥ ٥٨ ٢٨ | نب عنخ (علم) : ٥١ |
| نهر الكلب : ٢٠٤ ١٩٥ ١٩٤ | نبي (موظف) : ١٢٥ ٤٩ |
| نهرين (بلاد) : ٢٥١ ١٨١ ٦٣١ ... الخ | نترنخت (علم) : ٤٩٢ |
| نوخاشي (بلد) : ٣٨٤ ٣٨٠ ٣٧٠ ٣٦٤ | نجاو (بلد) : ٤٤٧ |
| نوسررع (ملك) : ٤٧٤ ٤٧٢ | نحي (أمير) : ١٦٥ |
| نوت (إلهة) : ٥١ ٥٠ ١٥ ١١ | نخبت (إلهة) : ٥٨٣ ٣٩٧ ٣٩٦ ١٣٨ ١٠١ |
| نوري (جبل) : ٥٤٧ ٥٤٥ ٤٩١ | نخت (علم) : ١٣٥ |
| نون (إله) : ٨٣ | نخت (وزير) : ٢٨٨ |
| ني (بلد) : ٣٨٢ ٣٦٤ ٢٠٤ | نخت باآتون (وزير) : ٣٩٩ |
| نيت (إلهة) : ٥٨٣ | نخن (الكاب) : ٤٨١ ٤٦٥ ٤٤٠ ١٦٦ ١٢٥ ٧٨ |
| نيوبري (أثرى) : ٣٢٠ | نستورلاهوت (أثرى) : ٥٨٧ |
| نينوي (بلدة) : ٦٣٤ ٦٢٨ ٣٦٥ ٢٥٦ | نسي (موظف) : ٤٨١ |
| نيويورك (بلد) : ٦٠٧ ٣٤١ | نسي خنسو (ملكة) : ١٦٣ |

| | |
|---|--|
| وسرحات (سفينة) : ٧٨٠٧٣ | (هـ) |
| وسرسانت (نائب الملك) : ١٦٦ | هابو (مدينة) : ٦١٠٠٦٠٩٠٥٥٣٠٤٤٤٠٢٥٧٠١٠٩ |
| وعرت حورماعت (مكان) : ٤٩٤ | هداد نيرارى (أمير) : ٣٦٥٠٣٦٤ |
| ولف (أثرى) : ٥٦٧٠٤٨٩ | هدريان (امبراطور) : ٧١ |
| ون آمون (علم) : ١٤٠ | هرزفى (أثرى) : ٦٤٢٠٦٣٨٠٣٥١ |
| الونرادوز (مثلة) : ٣٢٣ | هرموبوليس (الأشمونين) : ٢٦٩ |
| ونتاوات (نائب الملك) : ١٧٢ | هرون الرشيد : ٥٩ |
| وننفر (أوزير) : ٢٣٨٠١٢ | هليوبوليس (بلد) : ٠٤٦٦٠٣٩٨٠٣٢٤٠٣٢١ |
| روى (إله) : ٦٤٤ | ٠٥٨٣٠٦٠٨ ... الخ |
| رنى (قائد) : ٤٩٤ | هوارته (بلد) : ١٠٠ |
| ريجول (أثرى) : ٤٢٤٠٣٨٨ | هوجوفنكر (أثرى) : ٦٣٩٠٣٥١ |
| (ي) | وادی حلقا (بلد) : ٢٠١٠١٦٤ |
| يافا (نقر) : ٥٤٧ | وادی حمامات (مكان) : ٥٤٧٠٥٣٨٠٣٩٢ |
| يانوعام (بلد) : ٣٦٤ | وادی السبوع (معبد) : ١٠٣ |
| يتخام (قائد) : ٣٧٧٠٣٦٩٠٣٦٣٠٣٦٢٠٣٦٠ | وادی عباد (معبد) : ١٠٢ |
| يفسن (أستاذ) : ٦٣٠ | وادی الغزال : ١٠ |
| ينفرسى كولدج (جامعة) : ٢٥ | وادی الملوك (مقابر) : ٥٧٠٠٤٤٥٠١٠٨ |
| يوسف (نبي) : ١٥٨٠١٣٢ | وازيت (إلهة) : ١٣ |
| اليوفان (بلاد) : ٢١٦ | واوات (بلاد) : ٠٢٠٢٠٦٠٠٢٠٢ ... الخ |
| يونى (نائب ملكى) : ١٧٠٠١٦٩ | ورت حقاو (إلهة) : ٠١٣٨٠١١٧ .. الخ |
| يوى (قاضى) : ٥٨٨ | ورت ما حنف (امرأة) : ٥٥٤ |
| يوبا (والدة الملكة تى) : ٠٥٤٣٠١٣٧٠٧٣٠٦١ | وردزورث (شاعر) : ٣١٦ |
| ٥٦٠ | وسر (كاتب) : ٥٥٣٠٥٢٧ |
| يهوه (إله) : ٣٥٧ | وسر (وزير) : ١٩٨٠١٢٦٠١٦٤ |
| | وسرحات (موظف) : ٣٣٠٠١٣٨ |

(ملاحظة) حدثت بعض أخطاء في الأعلام فصححت في الفهرس

مختصر المصادر الأفرنجية

List of Abbreviations

- A. A. A. = "Annals of Archeology and Anthropology". (Liverpool, 1908 —).
- A. A. S. O. R. = "Annual of the American Schools of Oriental Research". (New-York, 1920 —).
- A. J. S. L. = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884 —).
- Am. = Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln". (Leipzig, 1907—1915).
- Arundale and Bonomi, "Gallery". = Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum". (London).
- A. S. = Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901 —).
- A. Z. = "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde" (Leipzig, 1863 —).
- Baikie, "History". = Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).
- B. A. S. O. R. = "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).
- Benson and Gourlay, "Temple of Mut". = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).
- B. I. F. A. O. = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901 —).
- Birch, "Pottery". = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).
- Bisson de la Roque, "Medamoud". = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).
- Boeser, "Leyden". = Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums du Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908 — 1918).
- Borchardt, "Statuen". = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Königen und Privaleuten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911 — 1925).

Breasted, A. R. = Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906 - 7).

Brugsch, "Thesaurus". = Brugsch, "Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum". (Leipzig, 1883 - 1891).

Brugsch, "Recueil". = Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865 - 1885).

Budge, "Guide". = Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).

Budge, "Sculpture". = Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)". (London, 1909).

Budge, "The Book of Kings". = Budge, "The Book of the Kings of Egypt". (London, 1908).

Budge, "History". = Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices". = Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Champollion, "Letters". = Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).

Coregency of Ramses II. = Coregency of Ramses II with Seti I and The Date of The Great Hypostyle Hall at Karnak, By Kieth C. Seele.

Davis, "Tomb of Hatshepsut". Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).

Evans, "Palace of Minos". = Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).

Fraser, Coll. = Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London, 1900).

Gardiner, "Onomastica". = Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford, 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai". = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gardiner and Weigall, "Catalogue". = Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes". (London, 1913).

Gauthier, "Dict. Geog" = Gauthier, "Dictionnaire des Nom Geographiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiques". (Cairo, 1925).

Griffith, Kahun Papyri". = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (London, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs". = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum". (London, 1913).

Hall, "Ancient History". = Hall, "The Ancient History of the Near East". (London, 1920).

J. E. A. = "The Journal of Egyptian Archaeology". (London, 1914 — 1947).

J. P. O. S. = "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923 —).

Helk = Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfuhrer In der 18 Agyptischen Dynastie

Lanzone, "Cat. Turin". = Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino".

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1894).

Legrain, "Statues". = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906 — 1914).

Legrain, "Repertoire". = Legrain, "Repertoire Genealogique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).

Lepsius, "Auswahl". = Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums" (Leipzig, 1842).

Lepsius, "Letters". = Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).

Lieblen, "Dict. Noms". = Lieblen, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).

- Macallister, "Gerza".** = Macailister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).
- Mariette, "Abydos".** = Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).
- Mariette, "Abydos II.". = Mariette, "Abydos. Description des Fossiles Executees sur l'Emplacement de cette Ville" (Paris, 1869 - 1880).**
- Mariette, "Monuments".** = Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).
- Maspero, "Bib. Egypt".** = Maspero, "Bibliothèque Egyptologique", OVII. (Paris, 1904).
- Maspero, Temples Immerges".** = Maspero, "Les Temples Immerges de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909 - 1911).
- Maspero, "Guide".** = Maspero, "Guide du Visiteur au Musée du Caire". (Cairo, 1915).
- Maspero, "Momies Royales".** = Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).
- Maspero, "Melanges d'Arch".** = Maspero, "Melanges d'Archéologie Egyptienne".
- Massi, "Description".** = Massi, "Description des Musées de Sculpture Antique Grecque et Romaine. Musée du Vatican". (Rome, 1891).
- Mem. Miss. Franç.** = Mémoires Publiés par les Membres de la mission Archéologique Française au Caire.
- Mercer, "Amarna".** = Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).
- Meyer, "Gesch".** = Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).
- Meyer, "Hist. de l'Antiq." = Meyer, "Histoire de l'Antiquité". (Paris, 1912 - 1926).**
- M. M. A.** = "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

- Morgan (De), "Cat. Mon."**. = Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna, 1894-1909).
- Murray, "Handbook"**. = Murray, Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).
- Newberry, "Timins Collection"**. = Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).
- O. I. P.** = "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications". (Chicago, 1924 —).
- "Paintings"**. = Davies, Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).
- Petrie, "Scarabs"**. = Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).
- Petrie, "Six Temples"**. = Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).
- Petrie, Illahun"**. = Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).
- Petrie, "Hist. Scarabs"**. = Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).
- Petrie, History"**. = Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).
- Petrie Season"**. = Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).
- Petrie "Kahun"**. = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).
- Petrie "H. I. C."**. = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).
- P, E. F. Q. S.** = "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869 —).
- Piehl, "Recueil"**. = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886 - 1903).
- Pierret, "Rec. d'Inscriptions"**. = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874 - 1878).
- Porter and Moss, "Bibliography I"**. = Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter and Moss, "Bibliography II". = "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III". = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography IV". = Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).

Porter and Moss, "Bibliography V". = Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879 — 1918).

R. E. A. = "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870 - 1923).

Rev d'Arch. = "Revue d'Archeologie".

Rouge (De), "Monuments". = Rouge (De), "Notice des Monuments Exposés dans la Galerie d'Antiquités Egyptiennes au Musée du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931 —).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin". = Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Königlichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, "Catalogue". = Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichità di Firenze", (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem". = Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen". = Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896-1917).

Sethe, "Urkunden IV, or Urk. IV". = Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906 — 1914).

Sethe, "Pyramidentexte". = Sethe, "Die Altägyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908 - 1922).

Sethe, "Achtung". Sethe, "Die Achtung feindlicher Fürsten - Volker und Dinge auf altägyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos - Hist. Klass, 1926),

Sharpe, "Inscriptions". = Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837 - 1855).

V. S. = Vorderasiatische texte. Berlin.

W. B. = Erman and Grapow, "Wörterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).

Weigall, "Guide". = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall "History". = Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia". = Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia 1906 - 1907". (Oxford, 1907).

Weil, "Vezière". = Weil, "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte". = Wiedemann, "Ägyptische Geschichte". (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Ägypt. Insc.". = Wiedemann. "Kleinere Inschriften aus der XIII - XIV Dynastie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes". = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". = Winlock, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).

Wreszinski, "Atlas". = Wreszinski, "Atlas zur Altägyptischen Kulturgeschichte", (Leipzig, 1923 — 1936).

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veröffentlichungen". (Leipzig, 1900 —).

كتب للمؤلف

بالعربية :

- (١) مصر القديمة : الجزء الأول في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الإهناسى .
- (٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى .
- (٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .
- (٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الأمبراطورية .
- (٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها ، وأول عقيدة للتوحيد بالله .
- (٦) جغرافية مصر القديمة : (محلاة بإحدى وأربعين خريطة) .
- (٧) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .
- (٨) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .
- (٩) تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى قبيل الوقت الحاضر : بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .
- (١٠) تاريخ أوروبا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .
- (١١) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .
- (١٢) تاريخ دولة المماليك فى مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود طابدين .
- (١٣) ديانة قدماء المصريين : (تعريب) .
- (١٤) صفحة من تاريخ محمد على : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنسية :

- (1) "Hymnes Religieux du Moyen Empire"; 199 pages (1928, Cairo).
- (2) "Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 plaies. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929, Cairo).

بالإنجليزية :

- (3) "Excavations at Giza", Vol. I. (1929)-1930); 119 pages, 81 plates, 187 illustrations in the text, Plan (Oxford, 1932).
- (4) "Excavations at Giza", Vol II. (1930-1939); 225 pages, 83 plates, 251 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1936).
- (5) "Excavations at Giza", Vol. III. (1931-1932); 229 pages, 71 plates, 227 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1941).
- (6) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932 - 1933); 218 pages, 62 plates, 159 illustrations in the text, 3 Plans (Fourth Pyramid) (Cairo, 1943).
- (7) "Excavations at Giza", Vol. V. (1933 - 1934); 325 pages, 79 plates, (3 coloured), 169 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1944).
- (8) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part I, The Solar Boats. (1934-1935); (Cairo, 1947).
- (9) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part II, The Offering-list in the Old Kingdom 504. pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the text, (Cairo, 1948).
- (10) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, A Description of the Mastabas and their Contents, (in the Press).

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٥٠٠٠

ISBN 977-01-3069-9

